أسمى المطالب

في سيرة أمير المؤمنين

عَلِيّ بن أبي طالبٍ

(رضي الله عنه)

شخصيته وعصره

تأليف:

د. عليّ محمّد محمّد الصَّلَّابي


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله تعالى أهدي هذا الكتاب، سائلاً المولى عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم. قال تعالى:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70 – 71].

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى.

أما بعد:

هذا الكتاب الرابع في دراسة عهد الخلافة الراشدة ؛ فقد صدرت عدة كتب عن الصديق والفاروق وذي النورين، وقد سميت هذا الكتاب: (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شخصيته وعصره).

ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين علي من الميلاد حتى الاستشهاد، فيبدأ بالحديث عن اسمه ونسبه ولقبه ومولده وأسرته وقبيلته وإسلامه وأهم أعماله في مكة، وعن هجرته، ومعايشته للقرآن الكريم وأثرها عليه في حياته، وعن تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر، وعن مكانة القرآن الكريم عنده، وما نزل فيه من القرآن الكريم، وعن الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه، وعن تفسير أمير المؤمنين علي لبعض الآيات الكريمة.

وعن ملازمته لرسول الله ﷺ منذ طفولته، ومعرفته العميقة بمقام النبوة وكيفية التعامل معه، فقد أوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان حريصاً على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله في أقواله وأعماله وتقريراته، فبيَّن وجوب طاعة النبيﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها، وأوضح دلائل نبوة الرسول ﷺ، وفضله وبعض حقوقه على أمته صلى الله عليه

وسلم، ويجد القارئ الكريم نماذج من اتباع أمير المؤمنين علي للسنة النبوية المطهرة.

ويتحدث الكتاب عن أسماء بعض الرواة عن أمير المؤمنين علي من الصحابة والتابعين وأهل بيته، وينتقل الكتاب بالقارئ إلى حياة أمير المؤمنين في المدينة في عهد النبيﷺ ؛ فيتكلم عن زواج أمير المؤمنين علي من السيدة فاطمة رضي الله عنهما، وما في هذا الزواج من دروس وعبر في المهر والجهاز، والزفاف والمعيشة والزهد، وصدق لهجة السيدة فاطمة وسيادتها في الدنيا والاخرة.

وترجمت للحسن والحسين رضي الله عنهما ترجمة مختصرة، وبينت فضلهما وما ورد فيهما من أحاديث عن رسول الله ﷺ، وتكلمت عن مفهوم أهل البيت عند أهل السنة، وما يخصهم من أحكام، كتحريم الزكاة عليهم، وكونهم لا يرثون رسول اللهﷺ، وحقهم في خمس الخمس في الغنيمة والفيء، والصلاة عليهم مع النبيﷺ، ووجوب محبتهم واحترامهم ومودتهم.

وبينت مواقف أمير المؤمنين في سرايا رسول الله ﷺ وغزواته، كبدر وأحد والخندق، وبني قريظة، والحديبية وخيبر، وفتح مكة، وغزوة حنين، وعن استخلاف النبيﷺ لعلي على المدينة في غزوة تبوك 8 هـ، وحج أبي بكر بالناس ودور علي رضي الله عنهما الإعلامي، ووفد نصارى نجران واية المباهلة، وإرسال النبيﷺ علياً داعياً وقاضياً لليمن، وأقضيته التي حكم بها في اليمن السعيد الحبيب، ومواقف علي في حجة الوداع .

وقصة الكتاب الذي همَّ النبيﷺ بكتابته في مرض موته، وعن علاقة علي بالخلفاء الراشدين، ومكانته في دولة الخلافة الراشدة، فتكلمت عن مبايعته لأبي بكر بالخلافة ومساندته له في حروب الردة، وتقديمه وتفضيله للصديق، واقتداؤه به في الصلوات وقبول الهدايا منه.

وأشرت إلى العلاقة بين الصديق والسيدة فاطمة وقصة ميراث النبيﷺ، ورددت على الشبهات الرافضية حول قصة الميراث، ونسفت حججهم، وأدلتهم بالبراهين القاطعة والأدلة الناصعة، وكشفت الستار عن رواياتهم الضعيفة والموضوعة، وأثبت محبة السيدة فاطمة للحق والتزامها بالشريعة، واحترامها لخليفة رسول الله أبي بكر، وتسامحها معه، واحترام أهل البيت للصديق والمصاهرات المتبادلة بين ال الصديق وأهل البيت، ومحبتهم له وتسمية أولادهم عليه.

وتحدثت عن مساهمات علي في عهد الفاروق في الأمور القضائية، والتنظيمات المالية والإدارية، واستخلاف عمر لعلي على المدينة مراراً، ومشاورته له في أمور الجهاد وشؤون الدولة، وعن العلاقة الحميمة المتينة بين الفاروق وأهل البيت، وزواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وحقيقة هذا الزواج الميمون المبارك وتركت الحجج الدامغة، والبراهين الساطعة تنسف الأكاذيب من جذورها فتركتها قاعاً صفصفاً، وأخذت الحقائق التاريخية ترسم لنا حقيقة المحبة والمودة بين الصحابة

الكرام، كما جاءت في القرآن الكريم.

ووضحت بيعة علي لعثمان رضي الله عنه ورددت على الأكاذيب التي ألصقت بها، وتحدثت عن جهوده في دعم دولة ذي النورين، ودفاعه عنه أمام الغوغاء، ومواقفه في فتنة مقتله في بدايتها وأثناء الحصار وبعد استشهاده، وتحدثت عن المصاهرات بين ال علي وال عثمان، وأتيت بأقوال علي في الخلفاء الراشدين الذين سبقوه في الدلالة على محبتهم واحترامهم ومودتهم والبراءة ممن يسبهم ويشتمهم، وإقامة حد المفتري على من يسب الشيخين.

ولا يتمالك القارئ المسلم نفسه من البكاء وهو يتأمل في أقوال أمير المؤمنين في الخلفاء وتعامله مع ذلك الجيل القرآني الفريد وساداته الكرام.

قال الشاعر:

ومن عجبٍ أنِّي أحنُّ إليهم — وأسألُ عنهم من لقيتُ وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها — ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقال الشاعر:

إني أحبُّ أبا حفصٍ وشيعته — كما أحبُّ عتيقاً صاحبَ الغارِ

وقد رضيتُ علياً قدوة علماً — وما رضيتُ بقَتْلِ الشيخِ(1) في الدارِ

كل الصحابة ساداتي ومعتقدي — فهل عليّ بهذا القولِ من عارِ

هذا وقد تحدثت عن بيعة علي بالخلافة وكيف تمت ؟ وعن أحقيته بها، وإجماع الصحابة على ذلك، وبيعة طلحة والزبير له طوعاً بدون ضغط أو إكراه، وانعقاد الإجماع على خلافته، وشروط أمير المؤمنين في بيعته، وأول خطبة له، وأهل الحل والعقد في دولته، وشيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه.

وتوسَّعْت في الحديث عن صفاته؛ فبينت علمه الواسع وفقهه الغزير، وزهده، وتواضعه، وكرمه وجوده، وحياؤه، وشدة عبوديته وصبره، وإخلاصه، وشكره لله، ودعاؤه الخاشع، وعن المرجعية العليا لدولته، وسيرها على كتاب الله وسنة رسولهﷺ، والاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وعن حق الأمة في الرقابة على الحكام، والشورى، والعدل والمساواة، والحريات، وعن حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوته للتوحيد ومحاربته للشرك، وتعريفه

(1) يعني سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.

الناس بأسماء الله وصفاته، وبنعم الله المستوجبة لشكره، وحرصه على محو اثار الجاهلية، وحرصه على بطلان الاعتقاد بالكواكب، وإحراقه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية، وحديثه عن كيفية بداية الإيمان في القلب وتعريفه للتقوى، ومفهوم القضاء والقدر، وكيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ .

ونقلت شيئاً من خطبه ومواعظه، وما ينسب إليه من شعر أو يتمثل به في مناسبات عديدة، واخترت مجموعة قيمة من حكمه التي سارت مضرب المثل بين الناس، وتكلمت عن حديثه عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبيﷺ، ووصف الصحابة الكرام، وتحذيره من الأمراض الخطيرة التي تصيب القلوب؛ كطول الأمل واتباع الهوى، والرياء، والعجب، وعن اهتمامه بترشيد الأسواق، ومحاربته للبدع، والأعمال التي تخالف الشرع في أوساط الناس.

وتحدثت عن المؤسسات التي في دولته، كالمالية، والقضائية ومؤسسة الولاة، وعن الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد، وعن ميزات القضاء في العهد الراشدي، وعن أشهر قضاة أمير المؤمنين علي وعن أسلوبه القضائي، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء، ومجانية الحصول على الحكم، وعن اجتهاداته الفقهية في العبادات، والمعاملات المالية، والحدود والقصاص والجنايات، وأشرت إلى مسألة حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين، وبينت في حديثي مؤسسة الولاة، وأقاليم الدولة في عهده، وما وقع في كل أقليم من أمور جسام.

وتكلمت عن منهجه في تعيين الولاة، ومراقبته لعماله وبعض توجيهاته، والصلاحيات الممنوحة للولاة، من تعيين وزراء مع كل والي في كل أقليم، وتشكيل مجالس الشورى، وإنشاء الجيوش في كل ولاية، وترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم والحفاظ على الأمن الداخلي، وتشكيل الجهاز القضائي في كل ولاية، والنفقات المالية، والعمال التابعين لكل ولاية ومتابعتهم، ودور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات.

ووضحت بعض المفاهيم الإدارية من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كتأكيده على العنصر الإنساني، وعامل الخبرة والعلم، والعلاقة بين الرئيس والمرؤوس، ومكافحة الجمود، والرقابة الواعية، والضبط، والمشاركة في صنع القرار وحسن الاختيار لدى الوالي، والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة، ومرافقة ذوي الخبرات، ومفهوم الإدارة الأبوية، وكون التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية.

ثم انتقلت إلى المشاكل الداخلية في عهد علي رضي الله عنه، فتحدثت عن معركة الجمل مبتدأ بالأحداث التي سبقتها، وعن أثر التنظيم السبئي في اندلاعها ودور عبد الله بن سبأ في إذكاء الفتن الداخلية، وعن اختلاف الصحابة في الطريقة التي يأخذ بها القصاص من قتلة عثمان.

وعن موقف السيدة عائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان ومن كان معهم في الإسراع بالقصاص من قتلة عثمان، وبينت موقف معتزلي الفتنة، كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وأسامة بن زيد ومن سار على نهجهم، وتكلمت عن موقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين علي، وعن محاولات الصلح قبل اندلاع معركة الجمل، وعن نشوب القتال، وجولته الأولى والثانية، واستشهاد طلحة والزبير، ومبايعة أهل البصرة لعلي رضي الله عنه، وعن موقف علي رضي الله عنه من أم المؤمنين عائشة وكيف عاملها واحترمها وقدَّرها وردَّها إلى المدينة معززة مكرمة، وأشرت إلى فضائلها وشيء من سيرتها.

كما ترجمت للزبير وطلحة رضي الله عنهما لكونهما من الشخصيات المؤثرة في عهد النبوة والخلافة الراشدة وفي عهد أمير المؤمنين علي، ودافعت عنهم دفاعاً عن الحق لكونهم ظلموا، فبينت فضلهم ومكانتهم في الإسلام، ورددت عن الشبهات والأكاذيب التي ألصقت بهم من خلال إثبات الحقائق الناصعة، والحجج الدامغة، وصفاتهم الرفيعة، وأخلاقهم الكريمة، بحيث يخرج القارئ المسلم بمعرفة حقيقية لا لبس فيها ولا غموض، لهذه الشخصيات الفذة، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن ترجمة عائشة أو طلحة والزبير أو غيرهم من كبار الصحابة التي ساهمت في الأحداث التي وقعت في عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينسجم مع منهجي في دراسة شخصية أمير المؤمنين وعصره، والشخصيات التي أثرت في ذلك العهد ملتزماً في طرحي بمنهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلاً، أصولاً وفروعاً.

قال الشاعر: أبو محمد القحطاني:

أكرمْ بطلحةَ والزبيرِ وسعدِهم ... وسعيدِهم وبعابدِ الرحمنِ
وأبي عبيدةَ ذي الديانةِ والتُّقى ... وامدح جماعةَ بيعةِ الرِّضوانِ
قلْ خيرَ قولٍ في صَحَابةِ أحمدٍ ... وامدَحْ جميعَ الآلِ والنسوانِ
دَعْ ما جرى بينَ الصحابةِ في الوغى ... بسيوفهم يوم التقى الجَمْعانِ
فقتيلُهُمْ منهم وقاتِلُهُم لهم ... وكلاهما في الحشر مرحومانِ
واللهُ يومِ الحشرِ ينزعَ كلَّ ما ... تحوي صدورُهم من الأضْغانِ
لا تركننَّ إلى الروافضِ إنهم ... شتموا الصحابة دون ما برهانِ
لُعِنوا كما بغضوا صحابة أحمد ... وودادهم فرض على الإنسانِ



حبُّ الصحابةِ والقرابةِ سنةٌ ... ألقى بها ربِّي إذا أحياني

وقال أيضاً:

إن الروافضَ شرُّ من وطئ الحصى ... من كلِّ إنسٍ ناطقٍ أو جانِ

مدحوا النبيَّ وخوّنوا أصحابَه ... ورمَوهُمُ بالظُّلم والعدوانِ

حبُّوا قرابَتَهُ وسبُّوا صَحْبَهُ ... جَدَلانِ عِنْدَ اللهِ منتقصانِ

فكأنَّ ما آلُ النبيِّ وصحبُه ... روحٌ يَضمُّ جَميعها جسدانِ

فئتان عَقدهما شريعةُ أحمدٍ ... بأبي وأمِّي ذانكِ الفئتانِ

فئتان سالكتان في سبلِ الهُدى ... وهما بدينِ اللهِ قائمتانِ

هذا وقد تحدثت عن معركة صفين، ودوافع معاوية رضي الله عنه في عدم البيعة، والمراسلات التي تمت بينه وبين علي رضي الله عنه، ومحاولات الصلح، ونشوب القتال، والدعوة إلى التحكيم، ومقتل عمَّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين، وعن المعاملة الكريمة من الطرفين أثناء الحرب والمواجهة، ومعاملة الأسرى، وعدَد القتلى وترحم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على قتلى الطرفين، ونهيه عن شتم معاوية ولعن أهل الشام.

ثم تكلمت عن قصة التحكيم، فترجمت لسيرة أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وبينت بطلان الأكاذيب والقصص الواهية والموضوعة التي ألصقت بهم في حادثة التحكيم، وأشرت إلى كيفية الاستفادة من قصة التحكيم في فضِّ النزاعات بين الدول الإسلامية، وركزت على موقف أهل السنة من تلك الحروب.

وحذرت من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة بالظلم والعدوان، ككتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب زوراً لابن قتيبة، وكتاب (الأغاني) للأصفهاني، وتاريخ اليعقوبي، والمسعودي وغيرها من الكتب المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، وبينت دور المستشرقين في تحريف التاريخ الإسلامي وتزويره وتشويهه وكيف استفادوا من كتب الشيعة الروافض وأسسوا مدرسة معارضة ساهمت في تلويث الأفكار، وتحريف الوقائع، وطمس الحقائق، وتوسيع النقاط السوداء في تاريخنا، مع المبالغة والتهويل تحت شعارات برَّاقة، كالبحث العلمي النزيه، والواقعية، والموضوعية، والحياد. وتبنى تلك الأفكار التدميرية مجموعة من أبناء المسلمين ينتمون للإسلام لا يحسنون فهمه ولا عرضه، ولا العمل به، ولا الدفاع عنه، بل تورطوا في شباك أعداء الإسلام الذين يعملون على تشويه تاريخ هذه الأمة وحضارتها التي صنعها دينها العظيم.



هذا وقد قمت بدراسة موضوعية علمية في الفصل الأخير عن الخوارج والشيعة الرافضة، فبينت نشأة الخوارج وعرفت بهم، وذكرت الأحاديث النبوية التي تضمنت ذمهم، وانحيازهم إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم، وسياسة أمير المؤمنين في التعامل معهم، وأسباب مقاتلته لهم، ونشوب القتال معهم، وقصة ذي الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه.

ووقفت مع الأحكام الفقهية التي اجتهد فيها أمير المؤمنين علي في معاركه في الجمل وصفين والخوارج، وكيف اعتمد عليها الفقهاء فيما بعد، ودونوها في كتبهم بما يعرف بأحكام فقه البغاة، وأشرت إلى أهم صفات الخوارج في عهد أمير المؤمنين علي، كالغلو في الدين، والجهل به، وشق عصا الطاعة، والتكفير بالذنوب، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والطعن والتضليل، وسوء الظن، والشدة على المسلمين، وناقشت بعض الاراء الاعتقادية للخوارج، كتكفير صاحب الكبيرة، ورأيهم في الإمامة، وطعنهم لبعض الصحابة وتكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهما، وتطرقت لأسباب انحراف الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث، كالجهل بالعلوم الشرعية بسبب الإعراض عن العلماء، والقراءة من الكتب بدون معلم، وغلوهم في ذم التقليد، وتخلي كثير من العلماء عن القيام بواجبهم وشيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعية، وانتشار الفساد بين الناس، وعدم تزكية النفوس، وأشرت إلى أهم مظاهر غلوهم، كالتشدد في الدين على النفس والتعسير على الاخرين، والتعالم والغرور، والاستبداد بالرأي وتجهيل الاخرين، والطعن في العلماء العاملين، وسوء الظن، والشدة والعنف مع الاخرين، وتكفير المسلمين.

وتكلمت عن فرقة الشيعة الرافضة، فبينت معنى الشيعة في اللغة والاصطلاح، ومعنى الرفض في اللغة والاصطلاح، وسبب تسميتهم بالرافضة، ونشأتهم ودور اليهود في ذلك، والمراحل التي مرَّ بها الشيعة وأهم عقائد الشيعة الرافضة وموقف أمير المؤمنين وعلماء أهل البيت من تلك العقائد المنسوبة إليهم، كعقيدة الإمامة وحكم من جحدها، والعصمة ومناقشة أدلتهم على العصمة وبيان بطلانها، وكذلك أدلتهم على النص من القرآن الكريم، كاية التطهير، والمباهلة، والولاية، وأدلتهم المزعومة من السنة، كخطبة غديرخمّ، وحديث: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وبيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي استدلوا بها على الإمامة، كحديث الطائر، وحديث الدار، و«أنا مدينة العلم وعلي بابها».

وألحقت بالكتاب فهرساً للأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يحتج بها الشيعة الرافضة لتحذير المسلمين من الوقوع في حبائلهم، وبينت حقيقة التوحيد عند الشيعة الرافضة وكيف حرفوا نصوص التوحيد وجعلوها في ولاية الأئمة، وجعلوا الإمامة أصل قبول الأعمال، واعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه، وقولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة، ولا

يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة، وكون الحج إلى المشاهد الشيعية أعظم عندهم من الحج إلى بيت الله، وكون الإمام عندهم يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء، وأن الدنيا والاخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء، وإسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة.

وقولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، وغلوهم في الإثبات، وحقيقة التعطيل عندهم، ومسألة خلق القرآن، ومسألة رؤية الله عز وجل في الاخرة، وتفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل، وموقفهم من القرآن الكريم واعتقاد بعض علمائهم بتحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم، وموقف الشيعة الرافضة من الصحابة الكرام والسنة النبوية المطهرة، ومفهوم التقية عند القوم، وعقيدة المهدي المنتظر عندهم، والرجعة، وقولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى.

وقد بينت موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأئمة أهل البيت الأطهار، وعلماء أهل السنة من تلك العقائد الفاسدة والمنحرفة عن كتاب الله تعالى، والتزمت في مناقشتي بالأدب والابتعاد عن السبِّ والشتم، ومناقشة القوم من خلال أصولهم وكتبهم المعتمدة، والحرص على بيان الحقيقة لمحبي أهل البيت من الشيعة ودعوتهم بالاقتداء بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتحذيرهم من المندسين تحت عباءة أهل البيت لغرض إفساد عقائد الناس وابعادهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

كما أن هناك رغبة صادقة مخلصة لتعريف الجمهور العريض من أهل السنة لحقيقة هؤلاء الشيعة الرافضة؛ فالقضية لها وجودها واثارها بين الشعوب في إفريقية، واسية، وأوروبة والأمريكيتين، ودعاة التشيع الرافضي نشطون في دعوتهم المنحرفة يبذلون في سبيلها الغالي والنفيس، ويتحالفون مع خصوم الإسلام الصحيح لضربه والقضاء عليه، وتشويه منهجه، وهذا ليس بجديد، وأهل السنة ـــ إلا ما رحم الله ـــ في استرخاء عجيب، ونوم عميق، وغفلة عمَّا يراد بهم، وبعضهم يقول: إن الصراع السني الشيعي الرافضي قد عفا عليه الزمن، وهذا الكلام عارٍ من الحقيقة، ودليل على الجهل، وفي طياته خداع لجمهور المسلمين العريض، باسم التقريب وتوحيد الصف الإسلامي.

إن المنهج الصحيح للتقريب هو أن يقوم علماء أهل السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبيان صحته وتميزه عن مذهب أهل البدع، فأهل السنة والجماعة هم المتبعون لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ونسبتهم إلى سنة الرسول ﷺ التي حث على التمسك بها بقوله ﷺ : «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليه بالنواجذ»[1] .

[1] رواه أبو داود (4607) والترمذي (2676) وابن ماجه (43).

وحذر من مخالفتها بقوله: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضـــلالة»[1]، وقوله: «من رغب عن سـنتي فليس مني»، وهذا بخلاف غيرهم من أهل الأهواء والبدع الذين سـلكوا مسـالك لم يكن عليها الرسـول ﷺ، فأهل السـنة ظهرت عقيدتهم بظهور بعثته ﷺ ؛ وهي محفوظة بحفظ الله لها في كتابه وسـنة رسـوله ﷺ، وأهل الأهواء ولدت عقائدهم بعد زمنه ﷺ، ومنها ما كان في اخر عهد الصـحابة، ومنها ما كان بعد ذلك، والرسـول ﷺ أخبر أن من عاش من أصحابه سيدرك هذا التفرق والاختلاف؛ فقال: «وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً»[2] .

ثم أرشـد إلى سـلوك الصـراط المسـتقيم، وهو اتباع سـنته وسـنة خلفائه الراشـدين، وحذر من محدثات الأمور، وأخبر بأنها ضـلال، وليس من المعقول ولا المقبول أن يَحجب حقّاً وهدى عن الصـحابة رضـي الله عنهم ويَدخر لأناس يجيئون بعدهم، فإن تلك البدع المحدثة كلها شر، ولو كان في شـيء منها خير لسـبق إليه الصـحابة، لكنها ابتلي بها كثير ممن جاء بعدهم. ممن انحرفوا عما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، وقد قال الإمام مالك رحمه الله: لن يصلح اخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوَّلها، ولذا فإن أهل السنة ينتسبون إلى السنة وغيرهم ينتسبون إلى نحلهم الباطلة، أو إلى أسماء أشخاص معينين.

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق، وكشف الباطل، وتقريب الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفهم الإسلام الصـحيح من خلال علماء أهل السـنة وعلى رأسـهم فقهاء وعلماء أهل البيت، كأمير المؤمنين علي رضـي الله عنه وأبنائه وأحفاده، كما أنه ينبغي التنويه، وتشـجيع الأصـوات الإصـلاحية الشـيعية الصـادقة واحترامها وتقديرها والوقوف معها في نصـيحة أقوامها، كالذي قام به السـيد حسـين الموسـوي في كتابه القيم (لله ثم للتاريخ)، من كشـف الأسـرار وتبرئة الأئمة الأطهار، وكالجهد العلمي الذي قام به السيد أحمد الكاتب مشكوراً في كتابه (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه)، وعلينا أن نقف مع كل محب صـادق لأهل البيت مقتفياً لاثارهم الصـحيحة وهديهم الجميل في إرشـاد الناس لكتاب الله وسـنة نبيه عليه أفضـل الصـلاة والسـلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شـواطئ الأمـان، ونحثهم على أعمـال العقـل، وتحريره من أغلالـه، وإزاحة الركام الثقيل من الأباطيل التي على الفِطَر، حتى تأخذ العقول النيرة، والفطر السليمة مجالها في الوصول للحقيقة التي لها نور ساطع وبريق لامع لا تخفيه الغيوم.

وعلى علماء أهل السـنة أن يلتزموا أسـلوب البحث العلمي الهادئ في مناقشـة بدع المبتدعة، وأن يترفقوا معهم، وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها، أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب، أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع كافر أو ظالم لهم، وفق فقه السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن

[1] رواه أبو داود (4607) والترمذي (2676) وابن ماجه (43).
[2] رواه البخاري (5063) ومسلم (1401).

العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائماً ليشمل من يأتي من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشـــديد، والأقوال الشـــاذة في كل الأحوال، والحد المميز بين الطائفتين: الأولى: التي نترفق معها في الكلام. والثانية: التي نغلظ لها الكلام، إنما يكون كامناً في مدى اعتماد القائل على نص شـــرعي تتكون منه شـــبهة، أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومن لا تأويل له فالإنكار منا تجاهه أولى، وربما كان الإغلاظ في إنكار بدعته أوجب.

قال الشاعر:

واحـــذرْ مجـــادَلـــةَ الـــرِّجـــالِ فـــإنَّهـــا	تَـــدْعـــو إلى الشَّـــحْـــنـــاءِ وَالشَّـــنَـــانِ
وإذا اضـــــطـــررتَ إلى الجـــدالِ ولم تجـــدْ	لـــكَ مـــهـــرباً وتـــلاقـــتِ الصَّـــفـــانِ
فـــاجـــعـــل كـــتـــابَ الله درعـــاً ســـابـــغـــاً	والشـــرعَ ســـيـــفَـــك وابـــد في المـــيـــدانِ
والسُّـــنَّـــةُ الـــبـــيـــضـــاءُ دونَـــك جُـــنَّـــةٌ	واركـــبْ جـــوادَ الـــعـــزمِ في الجـــولانِ
واثـــبـــتْ بصـــبرِكَ تحـــت ألـــويـــةِ الهـــدى	فـــالصـــبرُ أوثـــقُ عـــدةِ الإنســـانِ
واطـــعـــنْ بـــرمـــحِ الحـــقِّ كـــل مـــعـــانـــدٍ	لله درُّ الـــفـــارسِ الـــطـــعَّـــانِ
واحمـــلْ بســـيـــفِ الصِّـــدقِ حمـــلـــةَ	مخـــلـــصٍ مـــتـــجـــرِّداً للهِ غـــيرَ جـــبـــانِ

فكما أن علماء أهل السـنة وأهل الحل والعقد منهم في المجتمعات الطائفية لهم دور كبير في قيادة المسـلمين نحو الخير، فهم الذين يقدِّرون المواقف السـياسـية والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسـد الذي تضبطه قواعد السـياسـة الشـرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسـلمين أصـول منهج أهل السـنة وتربيتهم عليه ودعوة الناس إليه، والتحذير من العقائد الفاسـدة المندسَّة في أوسـاط المسـلمين، حتى لا يتأثروا بها، والتي يجتهد دعاتها في نشـرها بالليل والنهار والسـر والإعلان بدون ملل ولا كلل، ولنا أسـوة حسـنة في رسـول الله ﷺ إبَّان هجرته إلى المدينة عندما عقد المعاهدات مع اليهود التي تؤمّن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسـلامية، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يتعرف المسـلمون على حقيقة الشـخصـية اليهودية فلا ينخدعوا بها. وعندما غدر اليهود كان الصف الإسلامي محصناً ضد هذه الطائفة.

إن الدَّارس لحركة التاريخ الإسلامي، كمرحلة الحروب الصليبية في عهد نور الدين وصلاح الدين، وزمن العثمانيين في عهد السلطان محمد الفاتح وغيره، والمرابطين، في عصر يوسف بن تاشفين، يلاحظ أن عوامل النهوض، وأسباب النصر كثيرة؛

منها: صفاء العقيدة، ووضوح المنهج، وتحكيم شرع الله في الدولة، ووجود القيادة الربانية التي تنظر بنور الله، وقدرتها في التعامل مع سنن الله في تربية الأمم، وبناء الدول وسقوطها، ومعرفة علل المجتمعات، وأطوار الأمم، وأسرار التاريخ، ومخططات الأعداء، من الصليبيين واليهود والملاحدة والفرق الباطنية، والمبتدعة، وإعطاء كل عامل حقه الطبيعي في التعامل معه، فقضايا فقه النهوض، والمشاريع النهضوية البعيدة المدى متداخلة متشابكة لا يستطيع استيعابها إلا من فهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وارتبط بالفقه الراشدي المحفوظ عن سلفنا العظيم، فعلم معالمه وخصائصه، وأسباب وجوده وعوامل زواله، واستفاد من التاريخ الإسلامي وتجارب النهوض، فأيقن بأن هذه الأمة ما فقدت الصدارة قط وهي وفية لربها ونبيها ﷺ، وعلم بأن الهزائم العسكرية عرض يزول، أما الهزائم الثقافية فجرح مميت، والثقافة الصحيحة تبني الإنسان المسلم، والأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، والدولة المسلمة، على قواعدها المتينة من كتاب الله وسنة رسوله، وهدى الخلفاء الراشدين ومن سار على نهجهم، وعبقرية البناء الحضاري الصحيح هي التي أبقت صرح الإسلام إلى يومنا هذا بعد توفيق الله وحفظه.

فعلينا أن نعمل لهذا الدين وسعادتنا ليست باقتطاف الثمر العاجل، وإنما في الشعور بتوفيق الله والأمل في رضاه. إنني في دراستي لعهد الخلافة الراشدة حاولت أن أنتقي الكلمات وأصف الأسطر والجمل لتجلية عهد الخلافة الراشدة، من خلال الروايات الصحيحة، لكي يستفيد أبناء المسلمين من تلك الحقبة، العلم الغزير، والفقه الدقيق، وشمولية فهم الإسلام، فلعل الله سبحانه أن يبارك في هذا الجهد وينتفع به أولئك الدعاة الذين لا نعرف أسماءهم، ولكن سيرى التاريخ اثارهم، وسيقيلون العالم الإسلامي من عثرته، وينهضون به من كبوته، أولئك الربانيون المتجرِّدون الذين عرفوا الحق واستشعروا السعادة في نصرته، وتعصبوا له ودافعوا عنه، ووقفوا بجانبه على رقة الحال وقلة النصير، فأخذ الله بأيديهم لصدقهم وإخلاصهم ومتابعتهم للنبي ﷺ، وأولئك العلماء، وطلاب العلم الذين توزن مداد أقلامهم بدماء الشهداء، وأولئك التجار الذين يقفون خلف موكب الدعوة بأموالهم وثرواتهم وأنفسهم ولسان حالهم يقول: ﴿لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: 9ــ10]، وأولئك الجنود المجهولون في هذه الدنيا، ولكنهم غداً أعلام شامخة في رُبى الخلد.

إن العواصف العاتية تهب بعنف تريد اجتياح إسلامنا وديننا وعقيدتنا من جذورها، وجهود خصوم الإسلام من الصليبية واليهودية والعلمانية والباطنية والمبتدعة تستبيح قادتنا وكبراءنا في ميدان العلم والأدب والسياسة، وتريد تشويه تاريخنا، فعندما نكون أمة بدون تاريخ، فلن نكون أمة صالحة. فما قيمة أمة ليس لها رجال؟ وما قيمة دين لم يصنع رجالاً على تراخي العصور؟ فهل يمكننا أن نستلهم الدروس والعبر من تاريخنا ما يخزي أعداء الله ويرد كيدهم في نحورهم، وما يساعدنا

على استئناف رسالتنا ودعم حضارتنا؟ إن الإنسانية تترنَّح في هذه الاونة الكالحة من التاريخ لبعدها عن منهج الله تعالى والدواء عند المسلمين وحدهم فهل ينصفون أنفسهم، وينقذون الاخرين؟

فهل من عودة إلى الإسلام، تزكي السرائر، وتبني الأخلاق، وتصلنا بالقرآن الكريم، وتشعرنا بشرف الانتماء إلى محمد ودينه وضرورة العمل بدعوته وسنة خلفائه الراشدين: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ونكون حلقة موصولة، في دعم رسالة الحبيب ﷺ التي استوعبت الزمن كله.

وقبل الحديث عن المصادر والمراجع التي تعاملت معها، لابد من الاعتراف بأن هذا الجهد لولا توفيق الله سبحانه وتعالى ثم جهود علماء أهل السنة وطلاب العلم ممن ساروا على منهجهم، ما استطعت أن أبحر في هذا البحر العميق ولذلك أقرر بأنني استفدت من الرسائل العلمية التي طبعت والتي لم تنشر، من حيث المادة والمنهج، والحكم على الروايات، والرجوع إلى المصادر الحديثية، والتاريخية وغيرها، مع محاولة التطوير والاستفادة من جهود الاخرين في البناء، وأخص بالذكر الدكتور أكرم ضياء العمري الذي أشرف وناقش الكثير من هذه الرسائل في هذا المجال، فقد استفدت من كتبه، كالسيرة النبوية الصحيحة، وعصر الخلافة الراشدة، ومن الرسائل التي أشرف عليها كرسالة الدكتور يحيى اليحيى (الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري)، جمعاً وتوثيقاً، ورسالة الأستاذ عبد العزيز المقبل في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من خلال كتب السنة والتاريخ دراسة نقدية للروايات باستثناء حروب الردة، ورسالة الدكتور عبد العزيز بن محمد الفريح في تحقيق كتاب (محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)، ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي الحنبلي، ورسالة الدكتور محمد بن عبد الله الغبان في فتنة مقتل عثمان بن عفان، ورسالة الأستاذ عبد الحميد علي ناصر في خلافة علي بن أبي طالب، وغير ذلك من الرسائل الجامعية التي أشرف عليها أساتذة اخرون، كرسالة د. محمد المحزون في تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، ورسالة سليمان العودة (عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام)، ورسالة الأستاذة أسماء محمد أحمد زيادة (دور المرأة السياسي في عهد النبيﷺ والخلفاء الراشدين)، وغير ذلك من الرسائل الجامعية، فالفضل لله سبحانه وتعالى، ثم لأساتذتي وإخواني الذين مهَّدوا لي الطريق، فلهم مني الدعاء في ظهر الغيب بأن يتقبل الله جهودهم، وتكون في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.



أما المصادر التي في هذه الدارسة المتعلقة بعهد الخلافة الراشدة فهي:

1. كتب الحديث:

وقد بدأت بالكتب الستة: صحيحي البخاري، ومسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ثم موطأ مالك، ومسند أحمد، فبذلت جهداً لاستخراج المادة التاريخية، التي لها علاقة بعهد الخلافة الراشدة، ثم جمعت مادة تاريخية من مصنف عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، ومستدرك الحاكم، والسنن الكبرى للبيهقي، وسنن سعيد بن منصور، ومسند الحميدي، والطيالسي، وسنن الترمذي، ومجمع الزوائد، وكشف الأستار عن زوائد البزار، وموارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ولم أغفل المعجم الكبير للطبراني، وسنن الدارقطني، واستفدت من جهود المحققين لما سبق ذكره من كتب الحديث في الحكم على الروايات.

2. كتب شروح الحديث:

وأهمها: فتح الباري لابن حجر، وشرح النووي على صحيح مسلم؛ ففيهما مادة تاريخية لا يستهان بها، كما أن تعليقات ابن حجر والنووي على بعض الأحداث التاريخية ذات أهمية تاريخية.

3. كتب التفسير:

وأهم هذه الكتب: تفسير الطبري، والقرطبي، وابن كثير، وأهتم بتعليقاتهم أكثر من الروايات التي نقلوها؛ حيث إن معظمها ذكر في كتب الحديث والتاريخ.

4. كتب العقائد:

وأهم هذه الكتب: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، وهذا الكتاب استفدت منه فائدة عظيمة، وشرح الطحاوية، والإبانة في أصول الديانة، والاعتقاد للبيهقي، والشريعة للاجري، وغيرها من كتب العقائد، حيث نقلت منها أقوال السلف فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين، ومكانة الصحابة رضي الله عنهم.

5. كتب الفقه:

وأهمها: المغني لابن قدامة، والمجموع للنووي، وبداية المجتهد لابن رشد، وغيرها من كتب الفقه، حيث استفدت منها في المسائل الفقهية والقضائية التي اجتهد فيها الخلفاء الراشدون.

6. كتب الأدب:

حيث استخرجت منها بعض الأبيات المنسوبة للخلفاء الراشدين أو تمثلوا بها، أو استمعوا إليها، ولكون كتب الأدب ليس لها أسانيد، وفيها الغث والسمين، لذلك كان اختياري للأبيات الشعرية التي تنسجم مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأخلاق ذلك الجيل الفريد، ومن أهم هذه الكتب: عيون الأخبار لابن قتيبة، والأدب الإسلامي في عهد النبوة، لنايف

معروف.

7. كتب الزهد والرقائق:

واستخرجت منها أقوال الخلفاء الراشدين في هذا العلم، ومن أهم هذه الكتب: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، ومدارج السالكين لابن القيم، ومختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبد الرحمن المقدسي، وغيرها من الكتب.

8. كتب الفرق والمذاهب:

وأهم هذه الكتب: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د. ناصر القفاري.

9. كتب في أنظمة الحكم:

وأهم هذه الكتب: نظام الحكومة الإسلامية للكتاني: المسمى التراتيب الإدارية، ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، لظافر القاسمي.

10. كتب في التراجم:

وأهم هذه الكتب: سير أعلام النبلاء للذهبي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي الحنبلي، أسد الغابة لابن الأثير، سير السلف لأبي القاسم الأصفهاني.

11. كتب في الجرح والتعديل:

وأهم هذه الكتب: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم، الثقات لابن حبان، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي.

12. كتب التاريخ:

وأهمها: تاريخ الطبري، وهذا الكتاب نقل إلينا الروايات الصحيحة والضعيفة والموضوعة بأسانيدها، وفيما يتعلق بالعقيدة والأحكام الشرعية والأحداث التي تتعلق بالصحابة، لا بد من خضوع الروايات للجرح والتعديل وبيان الروايات الشيعية الرافضية، والكذابين والمجاهيل، وقد استفدت في هذا الشأن من كتاب (استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري)، لخالد الغيث، و(مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري)، للدكتور يحي إبراهيم اليحيى، و(أثر التشيع على الروايات التاريخية) د. عبد العزيز نور ولي، ومن أهم هذه الكتب: البداية والنهاية لابن كثير، وغيرها من الكتب التاريخية. هذه أهم المصادر التي رجعت إليها مع كم كبير من المراجع الحديثة المتنوعة.

هذا وقد تشددت في تصحيح الروايات أو الحكم عليها فيما يتعلق بالعقائد والأحكام والصحابة رضي الله عنهم، وفي هذا الشأن ما أنا إلا ناقل لأقوال العلماء المتخصصين في هذا العلم، فالفضل لله ثم لهم، واجتهدت في تصوير الحدث التاريخي

من الروايات الصحيحة، فقدمتها وأخذت بالحسنة ولم أهمل الروايات الضعيفة، فقد أفدت منها في إكمال الصورة التي لا تسدها الروايات الصحيحة والحسنة بما يتوافق مع روح ذلك العصر، لكن فيما لا يتعلق بعقيدة أو شريعة، ودخلت في مناقشات لشبهات وافتراءات الرافضة والمستشرقين وبعض الكتّاب المعاصرين، وقد حرصت على طرح منهج أهل السنة فيما يتعلق بالعهد الراشدي، والرد على الشبهات خصوصاً في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما، وقد جدّت أفكار كثيرة من بعض الإخوة الأعزاء حول دراسة عهد الخلافة الراشدة، والعزم ماضٍ بإذن الله على تطويرها، بما يلائم ذلك العصر الزاهر، ونسأل الله تعالى السداد والتوفيق.

هذا وقد أفردت خامس الخلفاء الراشدين: الحسن بن علي بن أبي طالب بدراسة خاصة نظراً لأهمية اجتهاداته في فقه السياسة الشرعية وفقه المصالح والمفاسد، وما كان يملكه من رؤية إصلاحية توجت بتنازله عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه، وما تعرض له أثناء اتخاذه الخطوات التنفيذية لتلك الرؤية من عوائق، ومصائب، وما تميزت به شخصيته الفذة من قدرة على امتلاك مشروع إصلاحي، وعزم على التنفيذ كان سبباً في توحيد الأمة وتحقيق نبوءة النبيﷺ في قوله: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[1].

وبتنازل الحسن بن علي عن الخلافة ومبايعته معاوية رضوان الله عليهم أجمعين تنتهي بذلك فترة خلافة النبوة، وهي ثلاثون سنة، والحجة في ذلك قول رسول الله ﷺ : «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك ـ أو ملكه ـ من يشاء»[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم : «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك»[3]، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل نبوة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً[4] .

وبذلك يكون الحسن بن علي رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين، وبإذن الله تعالى سوف تكون مع كتاب الحسن بن علي خلاصات مهمة فيما يتعلق بدراسة عهد الخلافة الراشدة من معالمها وخصائصها، وأسباب زوالها، ونظام حكمها وصفات جيلها، وقادتها، ودستورها، وإدارة الأزمات فيها، واستنباط قوانين وسنن للنهوض، ومكانة المرأة في العهد الراشدي، ومؤسسات الدولة، وفقه القدوم على الله عند ذلك الجيل.

هذا وقد حرصت على تناول شخصية أمير المؤمنين علي من جوانبها المتنوعة، فحياته صفحة مشرقة في تاريخ الأمة، وهو من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة، والفهم السليم لهذا الدين، فنتعلم منه فقهه في التعامل مع السنن وحسن توجيهها، وكيف نعيش مع

---

(1) البخاري رقم 3746.

(2) صحيح سنن أبي داود (879/3) للألباني.

(3) سنن الترمذي مع شرحها الأحوذي (395/6-397). قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(4) البداية والنهاية (16/8).



القرآن الكريم ونهتدي بهديه، ونقتدي برسول الله ﷺ، وأهمية الخوف من الله والإخلاص له وابتغاء ما عنده في نجاح العبد في الدارين، وأثر هذه المعاني في حياة الأمة الإسلامية ونهوضها وقيامها بدورها الحضاري المنشود، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدَّعٍ عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسؤول في المعونة عليه، والانتفاع به إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة واحدة إلا خمس دقائق ظهراً بتاريخ 17 ربيع الاخر 1424 هـ الموافق 7 يونيو 2003 م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 19].

قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[فاطر: 2].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد الصَّلاَّبيُّ . ...

الأخوة القرّاء الكرام ! يسرّ المؤلف أن تصله ملاحظاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبه من خلال دور النشر، أبو عبر الموقع الألكتروني : www.alsallabi.com

ويطلب من إخوانه الدعاء في ظهر الغيب بالإخلاص والصواب، ومواصلة المسيرة في خدمة تاريخ أمتنا.

الفصل الأول : علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة

المبحث الأول : اسمه ونسبه، وكنيته وصفته، وأسرته

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

1- **اسمه ونسبه:** هو علي بن أبي طالب (عبد مناف)[1] بن عبد المطلب، يقال له: شيبة الحمد[2] بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[3]، فهو ابن عم رسول الله ﷺ ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، ووالده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبيﷺ، وكان اسم علي عند مولده أسد، سمته بذلك أمه رضي الله عنها باسم أبيها أسد بن هاشم، ويدل على ذلك ارتجازه يوم خيبر حيث يقول:

أنا الذي سمّتني أمي حيدره[4] كليث غاباتٍ كريهِ المنظره[5]

وكان أبو طالب غائباً، فلما عاد، لم يعجبه هذا الاسم وسماه علياً [6].

2- **كنيته:** أبو الحسن، نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن؛ وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ويكنى أيضاً بأبي تراب كنية كناه بها النبيﷺ، وكان يفرح إذا نودي بها، وسبب ذلك: أن الرسول ﷺ جاء بيت فاطمة رضي الله عنها فلم يجد علياً في البيت، فقال: أين ابن عمك؟

قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل[7] عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله ! هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع وقد سقط رداءه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول اللهﷺ يمسحه عنه ويقول: «قم أبا تراب»[8]، ومن رواية البخاري: والله ما سماه إلا النبي[9]. ومن كُناهُ: أبو الحسن

---

(1) أبو طالب اسمه عبد مناف.

(2) عبد المطلب: اسمه شيبة الحمد. الاستيعاب (1089/3).

(3) الطبقات الكبرى (19/3) ، صفة الصفوة (308/1) ، البداية والنهاية (333/7) ، الإصابة (507/1)، الاستيعاب (1089/1) ، المنتظم (66/5) ، المعجم الكبير للطبراني (50/1).

(4) حيدرة: من أسماء الأسد.

(5) الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ص 617.

(6) غريب الحديث للخطابي (170/2) ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد بن علي ناصر فقيهي ، ص18.

(7) من قال يقيل ، فالقيلولة: الظهيرة ، وتكون بمعنى النوم في الظهيرة ، اللسان (577/11).

(8) مسلم في صحيحه رقم 2409.

(9) البخاري في صحيحه رقم (441 ، 3703 ، 3280).

والحسين، وأبو القاسم الهاشمي[1]، وأبو السبطين[2] .

3 – لقبه: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين(3).

ثانياً: مولده:

اختلفت الروايات وتعددت في تحديد سنة ولادته، فقد ذكر الحسن البصري أن ولادته قبل البعثة بخمس عشرة أو ست عشرة سنة[4]، وذكر ابن إسحاق أن ولادته قبل البعثة بعشر سنين[5]، ورجح ابن حجر قوله[6]، وذكر الباقر محمد بن علي قولين: الأول: كالذي ذكره ابن إسحاق، ورجحه ابن حجر؛ وهو أنه ولد قبل البعثة بعشر سنين[7]، وأما الثاني: فيذكر أنه ولد قبل البعثة بخمس سنين[8]، وقد مِلْتُ إلى قول ابن حجر وابن إسحاق، فيكون مولده على التحقيق قبل البعثة بعشر سنين[9]، وذكر الفاكهي[10]، بأن علياً أول من ولد من بني هاشم في جوف الكعبة. وأما الحاكم فقال: إن الأخبار تواترت بأن علياً ولد في جوف الكعبة[11] .

ثالثاً: الأسرة وأثرها في الأعقاب:

لقد دلّ علم التشريح؛ وهو دراسة التركيب الجسدي، وعلم النفس، وعلم الأخلاق، وعلم الاجتماع، على تأثير الدم والسلالات في أخلاق الأجيال وصلاحياتها ومواهبها، وطاقاتها، إلى حدٍّ معين، وفي أكثر الأحوال، وذلك عن ثلاث طرق:

(أ) القيم والمثل التي ما زال اباء هذه الأسرة وأجدادها يؤمنون بها أشد الإيمان، ويحافظون عليها أو يحاولون أن يحافظوا عليها أشد المحافظة، ويتنبّلون بها ويمجّدون، ويعتبرون من سار عليها من أبناء الأسرة، أو خالفها وحاد عنها شارداً غريباً، ويرون في ذلك غضاضة، وسقوط همة، وقلة مروءة، وعقوقاً للاباء، وإساءة إليهم لا تغتفر في قوانين هذه الأسرة العرفية

---

(1) البداية والنهاية (223/7).

(2) أسد الغابة (16/4). والسبطين: الحسن والحسين.

(3) تاريخ الإسلام للذهبي ، ص376 ، البداية والنهاية (223/7) ، خلاصة تهذيب الكمال (250/2).

(4) المعجم الكبير للطبراني (54/1) رقم 163 بسند مرسل.

(5) السيرة النبوية (262/1) دون إسناد.

(6) الإصابة (501/2) ترجمة علي.

(7) المعجم الكبير للطبراني (53/1) رقم 165 إسناده حسن.

(8) المصدر السابق (53/1) رقم 166. إسناده حسن إلى محمد الباقر حيث أرسلها.

(9) فتح الباري (174/7) ، الإصابة (507/2).

(10) صاحب أخبار مكة ، حقق الكتاب عبد الملك بن دهيش.

(11) المستدرك على الصحيحين (483/3) دون إسناد.

المتوارثة.

(ب) حكايات الاباء وعظماء الأسـرة في البطولة والفتوة والفروسـية، والشـهامة، والأنفة والإباء، والجود والسـخاء، وحماية المظلومين والضـعفاء، تتناقلها الأجيال وتتباهى بها، وذلك من سـنٍّ مبكرة، ومن أيام الصـبا إلى سـنِّ الشـباب والكهولة، فتؤثر في تكوين عقليَّتها ومشاعرها، وتعيين المقاييس للعظمة والرجولة، والبرِّ بالاباء، وتبرير شهرة الأسرة والسلالة.

(ج) تأثير الدم الموروث في أعضـاء الأسـرة كابراً عن كابر، في أسـرة حافظت على أنسـابها وأصـالتها، وذلك ما أيده علم السـلالات[1]، وهذا ليس على إطلاقه، وقاعدة مطردة لا تقبل اسـتثناء ولا شـذوذاً، كالسـنن الإلهية التي قال الله عنها: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُـنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُـنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: 43]، وإلى ذلك أشـار النبيﷺ في قوله: «الناس معادن كمعادن الفضـة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسـلام إذا فقهوا»[2]، وقوله ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسـرع به نسبه»[3]، وليس في ذلك من تقديس الدم الموروث الدائم، وتركُّز الرئاسة الدينية والزعامة الروحية العلمية في أسرة معينة، واحتكارها لقيادة أمة، دينياً وروحياً وعلمياً بشكل دائم، وهو الذي عانى منه العالم القديم –قبل الإسلام– فساداً اجتماعياً وخلقياً جارفاً، واسـتبداداً فظيعاً، واسـتغلالاً مادياً شـنيعاً، تزخر به كتب التاريخ وشـهادات المؤرخين للإمبراطوريتين الرومية والساسانية، والمجتمعين الإغريقي والهندي[4] وغيرها من الجاهليات، ولذلك يحسن بنا أن نشير إلى وضع الأسرة والسلالة ـ اللتين ولد ونشأ فيهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ــــــ العرقي والاجتماعي، وما كانتا تمتازان به من خصـائص وأعراف، وتقاليد وتراث خُلقي ونفسي، وكيف كان العرب ينظرون إليهما ويقرُّون لهما بالفضـل، ونبدأ في ذلك بقريش، ثم ببني هاشم[5] .

1- قبيلة قريش:

أقرّ العرب كلّهم بعلو نسـب قريش، والسيادة، وفصـاحة اللغة، ونصـاعة البيان، وكرم الأخـلاق، والشـجاعة والفتوة، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشـاً ولا جدلاً [6]، وكانوا حلفاء متألفين متمسـكين بكثير من شـريعـــــة إبراهيم الخليل عليه الصـلاة والسـلام، ولم يكونوا كالأعراب الذين لا يوقرهم دين، ولا يزينهـــــم أدب، وكانوا يحبُّون أولادهم، ويحجُّون البيت ويقيمون

([1]) المرتضى سيرة أمير المؤمنين ، أبي الحسن للندوي ، ص 19-20.

([2]) مسند أحمد (539/2) إسناده صحيح.

([3]) مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة.

([4]) المرتضى للندوي ، ص20.

([5]) فيما يتعلق بخصائص ومزايا العرب ينظر إلى: السيرة النبوية للندوي.

([6]) السيرة النبوية للندوي ، ص74.

المناسك، ويكفّنون موتاهم، ويغتسلون من الجنابة، ويتبرؤون من الهرابذة [1]، ويتباعدون في المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت، غيرةً وبعداً من المجوسية، ونزل القرآن بتأكيد صنيعهم وحسن اختيارهم، وكانوا يتزوجون بالصَّداق والشهود ويطلقون ثلاثاً [2]، وما زاد شرفهم أنهم كانوا يتزوجون من أي قبيلة شاؤوا، ولا شرط عليهم في ذلك، ولا يزوّجون أحداً حتى يشترطوا عليه، أن يكون متحمساً [3] على دينهم، يرون ذلك لا يحل لهم ولا يجوز لشرفهم، حتى يدان إليهم وينقاد[4].

2- بنو هاشم:

أما بنو هاشم فكانوا واسطة العقد في قريش، وإذا قرآنا ما حفظه التاريخ وكتب السيرة من أخبارهم وأقوالهم - وهو قليل من كثير جداً - استدللنا به على ما كان يمتاز به هؤلاء من مشاعر الإنسانية الكريمة، والاعتدال في كل شيء، ورجاحة العقل، وقوة الإيمان بما للبيت من مكانة عند الله، والبعد عن الظلم ومكابرة الحق، وعلو الهمة، والعطف على الضيف والمظلوم، والسخاء، والشجاعة، وما تشتمل عليه كلمة (الفروسية) عند العرب من معان كريمة وخلال حميدة، السيرة التي تليق بأجداد الرسول الكريم ﷺ، تتفق ويتفق مع ما كان يفضله ويدعو إليه من مكارم الأخلاق، غير أنهم عاشوا في زمن الفترة، وسايروا أبناء قومهم في عقائد الجاهلية، وعباداتها[5] ولم يصل بنو هاشم إلى هذه المكانة في مجتمعهم إلا بالتضحية والعطاء والبذل وخدمة الناس.

3- عبد المطلب بن هاشم:

جد الرسول ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة[6]، بعد عمِّه المطلب، فأقامهما للناس، وأقام لقومه ما كان اباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشَرُفَ في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبّه قومه وعظم خطره فيهم[7] .

ولم يكن عبد المطلب أغنى رجل في قريش، ولم يكن سيد مكة الوحيد المطاع، كما كان قُصي، إذ كان في مكة رجال كانوا

---

(1) الهرابذة: قوام بيت النار ، فارسي معرب. وقيل: عظماء الهند أو علماؤهم.
(2) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (243/1) للآلوسي.
(3) متحمساً: التحمس: التشدد في الدين.
(4) المرتضى للندوي ، ص22 ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (243/1).
(5) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي (243/1).
(6) الرفادة: إطعام الحجّاج في أيام الموسم حتى يتفرقوا.
(7) السيرة النبوية لابن هشام (142/1).

أكثر منه مالاً وسلطاناً إنما كان وجيه قومه، لأنه كان يتولى السقاية والرفادة، وبئر زمزم، فهي وجاهة ذات صلة بالبيت[1] . ويتجلى إيمان عبد المطلب بأن لهذا البيت مكانة عند الله، وأنه حاميه ومانعه، وتتجلى نفسية سيد قريش السامية، وشخصيته القوية الشامخة في حديث دار بينه وبين أبرهة ملك الحبشة، وقد غزا مكة وأراد أن يهين البيت ويقضي على مكانته، وقد أصاب لعبد المطلب مئتي بعير، فاستأذن له عليه، وقد أعظمه أبرهة ونزل له عن سريره فأجلسه معه، وسأله عن حاجته، فقال حاجتي أن يردّ علي الملك مئتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك زهد فيه الملك وتفادته عينه، وقال: أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين ابائك، قد جئت لهدمه، لا تكلِّمُني فيه؟! قال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما كان يمتنع مني، قال: أنت وذاك[2]. وقد كان ما قاله عبد المطلب، فحمى رب البيت بيته، وجعل كيد أبرهة وجيشه في تضليل، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[الفيل: 3 – 5]. وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات الأمور[3]، ومات عبد المطلب بعد أن جاوز الثمانين، وعمر الرسول ثماني سنين، ومعنى ذلك أنه توفي حوالي سنة 578 للميلاد[4]، وذُكر أنه لم تقم بمكة سوق أياماً كثيرة لوفاة عبد المطلب[5].

4– أبو طالب والد علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أبو طالب لا مال له، وكان يحب ابن أخيه حباً شديداً، فإذا خرج فيخرج معه، فقد كان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جدّه، فكان إليه ومعه[6]، وعندما أعلن رسول الله ﷺ الدعوة إلى الله وصدع بها، وقف أبو طالب بجانب رسول الله ﷺ وصمم على مناصرته وعدم خذلانه، فاشتد ذلك على قريش غماً وحسداً ومكراً، وإن المرء ليسمع عجباً ويقف مذهولاً أمام مروءة أبي طالب مع رسول الله، فقد ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن أخيه محمد ﷺ، بل واستفاد من كونه زعيم بني هاشم أن ضم بني هاشم، وبني المطلب إليه في حلف واحد على الحياة والموت، دفاعاً لرسول الله ﷺ، مسلمهم ومشركهم على السواء[7]، وأجار ابن أخيه محمداً ﷺ إجارة مفتوحة لا تقبل التردد أو الإحجام، ولما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه من جهدهم معه، وحدبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، وفضل رسول الله ﷺ

---

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي (78/4) ، المرتضى ، ص22.
(2) سيرة ابن هشام (49/1) ، المرتضى ، ص23.
(3) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (324/1).
(4) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (78/4).
(5) أنساب الأشراف للبلاذري (78/1).
(6) المرتضى ، ص24 ، السيرة النبوية لابن هشام (179/1).
(7) فقه السيرة النبوية للغضبان ، ص184.

فيهم، ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره[1] فقال:

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لمفخرةٍ فعبدُ مناف سِرُّها وصميمُهَا
وإن حُصّلت أشراف عبدِ منافها ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُهَا
وإن فخرتْ يوماً فإن محمداً هو المصطفى من سرّها وكريمُها
تداعت قريشٌ غثُّها وسمينُها علينا فلم تظفرْ وطاشت حلومُها
وكنا قديماً لا نُقِرُّ ظلامة إذا ما ثنوا صُعْر الخدود نُقيمها

ولما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرمة مكة، وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك، يخبرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه، فقال:

ولما رأيتُ القوم لا وُدّ فيهمُ وقدْ قطعوا كلَّ العُرى والوسائِلِ
وقد صارَحونا بالعداوةِ والأذى وقد طاوَعُوا أمرَ العَدُوّ المزايلِ
وقد حالفوا قوماً علينا أَظنَّةً يعضون غيظاً خلْفنا بالأناملِ
صبرتُ لهم نفسي بسمراءَ سمحةٍ وأبيضَ عضب من تراث المقاولِ
وأحضرتُ عندَ البيت رهطي وإخوتي وأمسكْتُ من أثوابه بالوصائلِ

وتعوذ بالبيت وبكل المقدسات التي فيه، وأقسم بالبيت بأنه لن يسلم محمداً ولو سالت الدماء أنهاراً، واشتدت المعارك مع بطون قريش:

كذبتم وبيتِ الله نُبْزى[2] محمداً ولما نطاعنْ دونه ونناضلِ
ونُسلمه[3] حتى نصرَّع حولَهُ ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائلِ[4]
وينهضُ قومٌ في الحديدِ إليكم نهوضَ الرّوايا تحتَ ذاتِ الصّلاصلِ[5]

واستمر أبو طالب في مناصرة ابن أخيه، واستطاع أن يغزو المجتمع القرشي بقصائده الضخمة التي هزت كيانه هزًّاً، ولما تغلغل الإسلام في قلوب أبناء بعض القبائل، اجتمعت قريش فائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا صحيفة وعلقوها في جوف

---

(1) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصَّلَّابِيّ (158/1).
(2) نُبزى: أي نسلمه ونُغلب.
(3) أي: كذبتم أن نسلمه قبل أن نصرع حوله.
(4) الحلائل: الزوجات.
(5) الصلاصل: المزادات لها صلصلة بالماء.

الكعبة، وتواثقوا على ذلك، وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه[1]، وذلك في مُحرَّم سنة سبع من النبوة، ومكث بنو هاشم على ذلك نحو ثلاث سنوات لا يصل إليهم شيء إلا سراً، ثم كان ما كان من أكل الأرضة للصحيفة، وإخبار النبيﷺ أبا طالب بذلك، وتمزيق الصحيفة، وبطلان ما فيها[2]، ومات أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة، وهو ابن بضع وثمانين سنة، ولم يُسلم أبو طالب[3]، وهو العام الذي ماتت فيه خديجة زوج النبيﷺ، وتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب، وسمِّي هذا العام بعام الحزن[4].

5 – أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

هي الصحابية الجليلة السيدة الفاضلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية[5]، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً[6]، وقد حظيت برعاية النبيﷺ حينما كفله عمه أبو طالب بناء على وصية أبيه عبد المطلب، فكانت له أماً بعد أُمِّهِ، تقوم على شؤونه وترعى أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وقد قضى الحبيب المصطفى قرابة عقدين من حياته في كنفها، وقد استجابت لدعوة الإسلام وأصبحت من السابقات الأوليات، وصارت من صفوة النساء ممن أخذت المكانة العليا في ساحة الفضيلة، وكانت رضي الله عنها مثالاً للرأفة والرحمة في معاملة الزهراء رضي الله عنها، إذ كانت تقوم بمساعدتها براً بها وبوالدها ﷺ، وروي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال: قلت لأمي: اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك هي الطحن والعجن[7]، كما أن صلتها بالنبيﷺ أضافت إلى شخصيتها مكرمة حفظ الحديث وروايته، فقد روت عن النبيﷺ مجموعة من الأحاديث، وقد كانت لها مكانة كبرى عند رسول الله ﷺ، ويخصها بالهدية، فقد أورد ابن حجر بالإصابة: أن علياً رضي الله عنه قال: أهدى إليَّ رسول الله ﷺ حُلَّة استبرق فقال: اجعلها خُمُراً بين الفواطم[8]، فشققتها أربعة أخمرة، خماراً لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وخماراً لفاطمة بنت أسد رضي الله عنها، وخماراً لفاطمة بنت حمزة رضي الله عنها. ولم يذكر الرابعة[9].

ولقد كان حظ السيدة فاطمة مباركاً في حياتها وعند وفاتها، وحظيت بالتكريم؛ إذ توفيت في حياة الحبيب المصطفى ﷺ

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (1/350-351).
(2) المصدر السابق نفسه (1/373-377) ، المرتضى ، ص26 ، وقد فصلت ذلك في كتابي: السيرة النبوية.
(3) بلوغ الأرب (1/324).
(4) السيرة النبوية لابن هشام (1/415-416) ، المرتضى ، ص26.
(5) نسب قريش ، ص40 ، فضائل الصحابة (2/685).
(6) فضائل الصحابة (2/685).
(7) مجمع الزوائد (9/356). رجال السند رجال الصحيح.
(8) سنن ابن ماجه ،كتاب اللباس رقم 3596.
(9) الإصابة (8/27) رقم 11593.

[1]، وأما ما روي عن أنس في دفنها فهو واهٍ ضعيف شديد الضعف، ولا يتقوى من طرقه الأخرى التي جاءت لأنها كلها ضعيفة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنها، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: «رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الاخرة»، ثم أمر أن نغسل ثلاثاً ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حضره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه وقال: « الله الذي يحي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين ». وكبَّر عليها أربعاً وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما[2].

وقد احتج من احتج[3] بهذا الحديث على جواز التوسل بالذوات، وقد قام الأستاذ أبو عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي في رسالته لمرحلة الماجستير بتتبع طرق الحديث، وبيَّن ضعفها وبطلانها[4]، ووضح أن الحديث قد روي من خمسة طرق، ثلاثة موصولة، ومرسلان؛ فلم تخل واحدة منها من عدة علل فهو شديد الضعف، ومع هذا لم يرد التوسل المزعوم إلا في طريقة واحدة وهي طريق أنس، فهذه الأحاديث يمكن أن يعل بها الحديث لأن الكل ضعيف فيعل بعضه البعض، ولا يزيدها إلا وهناً وضعفاً، وأما من ناحية المتن فهو منقوض من عدة وجوه:

- إن في هذا الحديث مبالغة وإطراء ومتجاوزاً للمألوف في ذلك العهد النبوي.

- هذا الحديث يخالف هديه وسنته في غسل جنازة المرأة، وذلك في أمور منها: سكبه بيده الشريفة لم يرد إلا في هذه القصة، وأما الذي ورد في غسل بنته زينب أنه أمرهن بالغسل، ولم يسكب بنفسه، فقد روى البخاري ومسلم عن محمد بن سيرين، عن أم عطية قالت: دخل علينا النبيﷺ ونحن نغسل ابنته فقال: «اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً، فإذا فرغتن فآذنني»، قالت: فلما فرغنا ألقى إلينا حقوه فقال: «أشعرنها

([1]) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، أحمد السيد ، ص24.

([2]) السلسلة الضعيفة للألباني (32/1) رقم23.

([3]) السمهودي في وفاء الوفاء (1373/4) ، الكوثري في محق التقول ص 379 ،391 والبوطي في السلفية مرحلة: 155 العلوي في مفاهيم ص65 ، نقلاً عن الدعاء ومنزلته من العقيدة ، جيلان بن خضر.

([4]) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ، ص794إلى 798.

إياه» ولم يزد على ذلك[1].

– إن الحفر بيده وإخراجه التراب بيده والاضطجاع فيه كلها لم تعهد إلا في هذا الحديث الضعيف، مخالفاً هديه المشهور عنه وهو من المبالغة والإطراء.

– ثم لفظ الدعاء الذي بدأ بلفظة الغيبة ثم الخطاب بعيد عن الأسلوب المعهود في الدعوات المأثورات: «اللهم أنت...»، ولم نر في غير هذا الدعاء «الله الذي...».

– ومما يدل على ضعفه أن الراوي اعترف بأن النبيﷺ لم يفعل هذه الأفعال إلا في هذه المرة، ولكنه أراد أن يبرر ذلك بما ذكره، وهيهات[2].

6 – إخوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان لأبي طالب أربعة أبناء، وهم: طالب، وهو الذي تكنَّى به، وعقيل، وجعفر، وعلي، وبنتان هما: أم هانئ، وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وكان بين كل واحد منهم وبين أخيه عشر سنوات، فطالب كان أكبر من عقيل بعشر سنوات، وكذلك الشأن مع جعفر وعلي، فكان جعفر أكبر من علي بعشر سنوات[3]. وهذه نبذة مختصرة عن إخوة علي رضي الله عنه:

(أ) **طالب بن أبي طالب**: هلك طالب مشركاً بعد غزوة بدر، وقيل: إنه ذهب فلم يرجع، ولم يُدْرَ له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا في الأرض، وكان محباً لرسول الله ﷺ، وله فيه مدائح، وكان خرج إلى بدر كرهاً، وجرت بينه وبين قريش حين خرجوا إلى بدر محاورة فقالوا: والله يا بني هاشم لقد عرفنا – وإن خرجتم معنا – أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، وقال شعراً وقصيدة ثناء على النبيﷺ، وبكى فيها أصحاب قليب بدر[4].

(ب) **عقيل بن أبي طالب**: فكان يكنى أبا يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان أسر يوم بدر ففداه عمه العباس، وقع ذكره في الصحيح في مواضع، وشهد غزوة مؤتة، ولم يسمع له ذكر في الفتح وحُنين، كأنه كان مريضاً، أشار إلى ذلك ابن سعد، لكن روى الزبير بن بكار بسنده إلى الحسن بن علي: أن عقيلاً كان ممن ثبت يوم حنين ومات في خلافة معاوية، وفي تاريخ البخاري الأصغر بسند صحيح: أنه مات في أول

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص 799.

(2) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، ص794إلى 798.

(3) البداية والنهاية (223/7)، المرتضى، ص26.

(4) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه من المرتضى للندوي، ص23.

خلافة يزيد قبل الحرة[1]، وعمره ست وتسعون سنة[2].

(ت) **جعفر بن أبي طالب:** فهو أحد السابقين إلى الإسلام، وكان يحب المساكين ويجلس إليهم، يخدمهم ويخدمونه، يحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلى الحبشة، فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه، ولقد تحدثت عنه في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث. واستشهد بموته من أرض الشام مقبلاً غير مدبر[3].

(ث) **أم هانئ بنت أبي طالب:** ابنة عم النبيﷺ، فقيل: اسمها فاختة، وقيل: اسمها فاطمة، وقيل: هند، والأول أشهر. وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائد المخزومي، وكان له منها عمرو، وبه كان يكنى، وفي فتح مكة أجارت أم هانئ رجلين من بني مخزوم، وقال لها رسول الله ﷺ : «أجرنا من أجرت يا أم هانئ»، وروت أم هانئ عن النبيﷺ في الكتب الستة وغيرها[4]، قال الترمذي وغيره: عاشت بعد علي رضي الله عنه[5].

(ج) **جُمانة بنت أبي طالب:** هي أم عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ذكرها ابن سعد في ترجمة أمها فاطمة بنت أسد، وأفردها في باب بنات عم النبيﷺ، وقال: ولدت لأبي سفيان بن الحارث ابنَه جعفر بن أبي سفيان، وأطعمها رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقاً [6].

7- أزواجه وأولاده:

ولد له من فاطمة[7] بنت رسول الله ﷺ : الحسن والحسين (وسيأتي الحديث عنهم مفصلاً).. وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى. وولد له من خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة: محمد الأكبر (محمد بن الحنفية). وولد له من ليلى بنت مسعود بن خالد من بني تميم: عبيد الله، وأبو بكر. وولد له من أم البنين بنت حِزام[8] بن خالد بن جعفر بن ربيعة: العباس الأكبر، وعثمان، وجعفر الأكبر، وعبد الله. وولد له من أسماء بنت عميس الخثعمية: يحيى، وعون[9]. وولد له من

---

[1] الإصابة في تمييز الصحابة (494/2).
[2] المرتضى للندوي ، ص24.
[3] المرتضى ، ص25.
[4] المرتضى ، ص27.
[5] الإصابة في تمييز الصحابة (317/9-318).
[6] الإصابة (259/4-260) ، المرتضى ، ص27.
[7] هي أول زوجة تزوجها علي بن أبي طالب ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت .
[8] البداية والنهاية (332/7).
[9] المصدر السابق نفسه ،(332/7).

الصهباء[1] : عمر الأكبر، ورقية. وولد له من أمامة[2] بنت العاص بن الربيع: محمد الأوسط. وولد له من أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي: أم الحسن، ورملة الكبرى. وولد له من أمهات أولاد: محمد الأصغر، وأم هانئ، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، وجمانة، ونفيسة. وولد له من محياة بنت امرئ القيس: ابنة هلكت وهي جارية. قال ابن سعد: لم يصح لنا من ولد علي رضي الله عنه غير هؤلاء[3]، وجميع ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لصلبه أربعة عشر ذكراً، وتسع عشرة امرأة، وقيل: سبع عشرة امرأة. وكان النسل من ولده لخمسة: الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، والعباس بن الكلابية، وعمر بن التغلبية [4]، وسيأتي الحديث عن السيدة فاطمة وذريتها: الحسن، والحسين، وأم كلثوم في ثنايا هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

8- صفاته الخلقية:

يقول ابن عبد البر رحمه الله: وأحسن ما رأيت في صفة عليّ رضي الله عنه أنه كان ربعْة من الرجال إلى القصر ما هو، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حُسناً، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكفَّين (عَتَداً)[5] أغيد، كأن عنقه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مُشاش كمشاش السبع الضاري، لا يتبين عضده من ساعده، قد أدمجت دمجاً، إذا مشى تكفّأ، وإذا مسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفّس، وهو إلى السمن ما هو، شديد الساعد واليد، وإذا مشى للحرب هَرْوَل، ثبت الجنان، قويّ شجاع[6].

* * *

(1) وهي أم حبيب بنت ربيعة بن بجير ، من سبي عين التمر في عهد الصديق.
(2) وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ .
(3) الطبقات الكبرى (20/3).
(4) الطبقات (20،19/3) ، البداية والنهاية (331/7-333) ، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، سليمان العيد ، ص 29، 30، 31.
(5) العتد: الشديد التام الخلق.
(6) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1123/3).

المبحث الثاني : إسلامه وأهم أعماله في مكة قبل الهجرة

أولاً: إسلامه:

كان من نعمة الله عز وجل على علي بن أبي طالب، وما وضـع الله له وأراد به من الخير: أن قريشـاً أصـابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه – وكان من أيسر بني هاشم- : «يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله؛ اخذ من بيته واحداً وتأخذ واحداً، فنكفيهما عنه»، فقال العباس: نعم.. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً رضي الله عنه فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي، فأقرَّ به وصدَّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[1].

ونلاحظ أن الرسول الله ﷺ أراد أن يرد الجميل والمعروف لعمه أبي طالب الذي كفله بعد وفاة جده عبد المطلب، فكان هذا من أكبر نعم الله عز وجل على علي رضي الله عنه، إذ رباه وأدبه الذي أدبه الله عز وجل، وحفظه وعصمه ورعاه الذي كان خلقه القرآن، فانعكس هذا الخلق القرآني على علي رضي الله عنه، وكفى بتربية النبيﷺ تربية لعلي رضي الله عنه، فقد نشأ في بيت الإسلام، وتعرّف إلى أسراره في مرحلة مبكرة من حياته، وذلك قبل أن تتخطى الدعوة حدود البيت، وتنطلق إلى البحث عن أنصار يشدّون أزرها وينطلقون بها في دنيا الناس، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور، ولقد اختلف العلماء فيمن امن بعد السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، هل هو أبو بكر الصديق، أو علي رضي الله عنهما، والذي أميل إليه من بين أقوال العلماء، أن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، وهي أول من امن على الإطلاق، ومن الموالي حارثة بن زيد رضوان الله عليهم[2]. وبهذا يكون أمير المؤمنين أول الصغار إسلاماً.

---

(1) السيرة النبوية (246/1) لابن هشام.

(2) البداية والنهاية (26/3-28) ، الأوائل من الصحابة وذوو الفضل منهم والنجابة ، رضوان جامع ، ص23.

ثانياً: كيف أسلم علي؟

روى ابن إسحاق: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء إلى النبيﷺ بعد إسلام خديجة رضي الله عنها، فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبيﷺ : «دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وكفر باللات والعزى»، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاضٍ أمراً حتى أحدِّث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «يا علي، إذا لم تسلم فاكتم»، فمكث علي تلك الليلة. ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ، حتى جاءه فقال: ما عرضت عليَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ : «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد»، ففعل علي وأسلم، ومكث علي يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم علي إسلامه ولم يظهر به[1].

ثالثاً: بين علي رضي الله عنه وأبي طالب:

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، يصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ : يابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به، قال: «أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم»، أو كما قال رسول الله ﷺ : «بعثني رسولاً إلى العباد وأنت - أي عم - أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه». أو كما قال. فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين ابائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك[2] بشيء تكرهه ما بقيت. ذكروا أنه قال لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت امنت بالله وبرسول الله وصدَّقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه[3].

---

(1) البداية والنهاية (4/3).

(2) لا يخلص إليك: لا يصل إليك.

(3) السيرة النبوية لابن هشام (246/1) ، المرتضى ، ص35.

رابعاً: هل كسر علي رضي الله عنه الأصنام مع رسول الله في مكة؟

عن علي رضي الله عنه، قال: انطلقت أنا والنبيﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ : «اجلس» وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى مني ضعفاً، فنزل، وجلس لي نبي الله ﷺ وقال: «اصعد على منكبي». قال: فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إليَّ أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صُفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله، وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول اللهﷺ: «اقذف به» فقذفت به فانكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس[1]. وهذا الحديث إسناده ضعيف، وبالتالي لا يمكن أن يبنى عليه حكم كما زعم بعض الناس، ويبقى الأصل الثابت في الفترة المكية في منع النبيﷺ للصحابة لاستخدام القوة مع الخصوم، أو الاعتداء على أصنامهم وأوثانهم بالقوة، وقد قام رسول الله ﷺ بتطهير مكة في عام الفتح من الأوثان، وأرسل السرايا بعد ذلك الفتح العظيم لهدم ولتطهير الجزيرة العربية من مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على إزالتها وإبطالها.

خامساً: هل دفن علي رضي الله عنه أبا طالب بإرشاد رسول الله ﷺ ؟

عن علي رضي الله عنه: أنه أتى النبيﷺ فقال: إن أبا طالب مات. فقال له النبيﷺ : «اذهب فوارِه»، فقال: إنه مات مشركاً. فقال: «اذهب فواره». قال: فلما واريته رجعت إلى النبيﷺ، فقال لي: «اغتسل»[2]. وجاء في رواية: «اذهب فاغتسل، ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتيني» قال: فاغتسلت ثم أتيته، قال: فدعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بها حمر النعم وسودها. قال الراوي عبد الرحمن السلمي: وكان علي رضي الله عنه إذا غسل ميتاً اغتسل[3].

سادساً: الحس الأمني عند علي رضي الله عنه، ودوره في إيصال أبي ذر رضي الله عنه لرسول اللهﷺ:

إن من معالم المرحلة المكية: الكتمان والسرية، حتى عن أقرب الناس، وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على

---

(1) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة رقم 644 إسناده ضعيف ، وصحح الحاكم إسناده واستدرك عليه الذهبي فقال: إسناده ضعيف ومتنه منكر ، وقد قام أحمد ميرين البلوشي في رسالته التي حقق فيه خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، بالحكم على رجال السند ، وحكم عليه بالضعف. خصائص علي بن أبي طالب، ص135-136. وقد صحح الحديث أحمد شاكر (58/2).

(2) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم 759 إسناده ضعيف. وفي الموسوعة تفصيل مفيد في الحكم على رجال السند.

(3) الصحيح المسند في فضائل الصحابة ، ص118 ، وقال مصطفى العدوي : حسن بمجموع طرقه. وجاء بشواهد للحديث.

السرية واضحة وصارمة، وقد قام علي رضي الله عنه بدور عظيم في أخذ أبي ذر إلى مقر رسول الله ﷺ ؛ فقد كان رضي الله عنه منكراً لحال الجاهلية، ويأبى عبادة الأصنام، وينكر على من يشرك بالله، وكان يصلي لله قبل إسلامه، بثلاث سنوات، دون أن يخص قبلة بعينها بالتوجه، ويظهر أنه كان على نهج الأحناف، ولما سمع بالنبيﷺ قدم إلى مكة، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه الليل، فاضطجع فرآه علي رضي الله عنه، فعرف أنه غريب، فاستضافه ولم يسأله عن شيء، ثم غادر صباحاً إلى المسجد الحرام، فمكث حتى أمسى، فرآه عليٌّ فاستضافه لليلة ثانية، وحدث مثل ذلك الليلة الثالثة، ثم سأله عن سبب قدومه، فلما استوثق منه أبو ذر أخبره بأنه يريد مقابلة الرسول ﷺ، فقال له علي: فإنه حق، وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني، فتبعه وقابل الرسول ﷺ، واستمع إلى قوله، فأسلم، فقال له النبيﷺ : «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري». فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وثار القوم حتى أضجعوه فأتى العباس بن عبد المطلب، فحذرهم من انتقام غفار والتعرض لتجارتهم، التي تمر بديارهم إلى الشام، فأنقذه منهم[1]، وكان أبو ذر قبل مجيئه قد أرسل أخاه، ليعلم له علم النبيﷺ ويسمع من قوله ثم يأتيه، فانطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني[2] مما أردت، وعزم على الذهاب بنفسه لرسول الله ﷺ، فقال أخوه له: وكن على حذر من أهل مكة؛ فإنهم قد شنفوا له وتجهَّموا[3].

ومن الدروس والعبر والفوائد من هذه الحادثة:

1- التأنِّي والتَّريُّث في الحصول على المعلومة: حيث إن أبا ذر رضي الله عنه تأنَّى وتريَّث لما يعرفه من كراهية قريش لكل من يخاطب الرسول ﷺ، وهذا التأني تصرف أمني، تقتضيه حساسية الموقف، فلو سأله عنه لعلمت به قريش، وبالتالي قد يتعرض للأذى والطرد ويخسر الوصول إلى هدفه الذي من أجله ترك مضارب قومه، وتحمل في سبيله مصاعب ومشاق السفر.

2- الاحتياط والحذر قبل النطق بالمعلومة: حين سأل علي رضي الله عنه أبا ذر رضي الله عنه عن أمره وسبب مجيئه إلى

---

(1) صحيح البخاري (فتح الباري) (173/7).

(2) ما شفيتني مما أردت: ما بلغتني غرضي وأزلت عني همي.

(3) مسلم (1923/4) رقمه 2473 ، صحيح السيرة النبوية إبراهيم العلي ، ص83 ، السيرة النبوية الصحيحة للعمري (145/1). شنفوا: أي أبغضوه.

مكة، لم يخبره بالرغم من أنه استضافه ثلاثة أيام إمعاناً في الحذر، فاشترط عليه قبل أن يخبره أن يكتم عنه، وفي الوقت ذاته أن يرشده، فهذا غاية في الاحتياط وتم ما أراده.

3- التغطية الأمنية للتحرك: الاتفاق بين علي وأبي ذر رضي الله عنهما على إشارة، أو حركة معينة، كأنه يصلح نعله، أو كأنه يريق الماء، وذلك عندما يرى علي رضي الله عنه من يترصدهما أو يراقبهما، فهذه تغطية أمنية لتحركهم تجاه المقر (دار الأرقم)، هذا إلى جانب أن أبا ذر كان يسير على مسافة من علي فيُعدّ هذا الموقف احتياطاً، وتحسباً لكل طارئ، قد يحدث أثناء الحركة.

4- **هذه الإشارات الأمنية العابرة تدل على تفوق الصحابة رضي الله عنهم في الجوانب الأمنية،** وعلى مدى توافر الحس الأمني لديهم، وتغلغله في نفوسهم، حتى أصبح سمة مميزة لكل تصرف من تصرفاتهم الخاصة والعامة، فأتت تحركاتهم منظمة ومدروسة، فما أحوجنا لمثل هذا الحسّ الذي كان عند الصحابة، بعد أن أصبح للأمن في عصرنا أهمية بالغة في زوال واستمرار الدول والحضارات، وضعف وقوة الأمم والشعوب، والجماعات والمؤسسات والمنظمات، وأصبحت له مدارسه الخاصة وتقنياته المتقدمة، وأساليبه ووسائله المتطورة، وأجهزته المستقلة، وميزانياته ذات الأرقام الكبيرة، وأضحت المعلومات عامة، والمعلومات الأمنية تباع بأغلى الأثمان، ويضحَّى في سبيل الحصول عليها بالنفس إذا لزم الأمر، وما دام الأمر كذلك فعلى المسلمين الاهتمام بالناحية الأمنية حتى لا تصبح قضايانا مستباحة للأعداء، وأسرارنا في متناول أيديهم[1].

سابعاً: علي رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ في طوافه على القبائل وعرضه للدعوة عليها، وحضوره المفاوضات مع بني شيبان:

عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس: حدثني علي بن أبي طالب، قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب ؛ خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى، حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب؛ فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم، وكان أبو بكر مقدماً في كل خير، وكان رجلاً نسابة... إلى أن قال: ثم دفعنا إلى مجلس اخر، عليه السكينة والوقار،

([1]) دروس في الكتمان ، محمود شيت خطاب ، ص9 ، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث الصَّلاَّبِيّ (171/1).

فتقدم أبو بكر فسلم فقال: من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، وقال: بأبي وأمي، هؤلاء غُررُ الناس، وفيهم مفروق قد غلبهم لساناً وجمالاً، وكانت له غديرتان تسقطان على تَرِيبَتَيه، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على الألف ولن تُغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة، ويديل علينا مرة أخرى، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا. فقال مفروق: إلامَ تدعونا يا أخا قريش. فقال رسول الله ﷺ : «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشاً قد تظاهرت على الله، وكذَّبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»، فقال مفروق: وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلاماً أحسن من هذا، فتلا رسول الله ﷺ : ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ **[الأنعام: 151]**.

فقال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أَفِك قوم كذبوك، وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ شيخنا، وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى تركنا ديننا، واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا، لا أول له، ولا اخر لذلّ في الرأي، وقلة نظر في العاقبة. إن الزلة مع العجلة، وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقداً، ولكن نرجع وترجع، وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى –وأسلم بعد ذلك– : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيْن، أحدهما اليمامة، والاخر السَّمامة، فقال له رسول الله ﷺ : «ما هذان الصريان»، قال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وإنّا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثاً، ولا نؤوي محدثاً، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب، فعلنا، فقال رسول الله ﷺ : «ما أسأتم في الرد، إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن تلبثوا إلا قليلاً، حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم، ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه ؟»، فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك[1].

---

(1) البداية والنهاية (142/3 ، 143 ، 145) ، البيهقي دلائل النبوة إسناده حسن ونقل عنه ابن كثير.

وهذا الحدث فيه دروس وعبر وفوائد تعلمها علي بن أبي طالب رضي الله عنه منها:

1- تعلم علي رضي الله عنه، أن النبيﷺ رفض أن يعطي القوى المستعدة لتقديم نصرتها، أية ضمانات بأن يكون لأشخاصهم شيء من الحكم والسلطان على سبيل الثمن، أو المكافأة لما يقدمونه من نصرة وتأييد للدعوة الإسلامية، وذلك لأن الدعوة الإسلامية إنما هي دعوة إلى الله، فالشرط الأساسي فيمن يؤمن بها ويستعد لنصرتها أن يكون الإخلاص لله، ونشدان رضاه هما الغاية التي يسعى إليها من النصرة والتضحية وليس طمعاً في نفوذ أو رغبة في سلطان، وذلك لأن الغاية التي يضعها الإنسان للشيء هي التي تُكيِّف نشاط الإنسان في السعي إليه، فلابد إذن من أن تتجرد الغاية المستهدفة من وراء نصرة الدعوة، عن أي مصلحة مادية لضمان دوام التأييد لها، وضمان المحافظة عليها من أي انحراف، وضمان أقصى ما يمكن من بذل الدعم لها، وتقديم التضحيات في سبيلها[1]، فيجب على كل من يريد أن يلتزم بالجماعة التي تدعو إلى الله ألا يشترط عليها منصباً، أو عرضاً من أعراض الدنيا، لأن هذه الدعوة لله، والأمر لله يضعه حيث يشاء، والداخل في أمر الدعوة إنما يريد ابتداءً وجه الله، والعمل من أجل رفع رايته، أما إذا كان المنصب هو همَّه الشاغل فهذه علامة خطيرة تنبئ عن دخن في نية صاحبها[2]، لذا قال يحيى بن معاذ الرازي: لا يفلح من شممت منه رائحة الرِّياسة[3].

2- وتعلم علي رضي الله عنه من رسول الله ﷺ أن صفة النصرة التي كان يطلبها رسول الله لدعوته من زعماء القبائل بأن تكون غير مرتبطة بمعاهدات دولية، تتناقض مع الدعوة، ولا يستطيعون التحرُّر منها، وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه يُعرِّضُها لخطر القضاء عليها، من قبل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات، والتي تجد في الدعوة الإسلامية خطراً عليها، وتهديداً لمصالحها[4]، إن الحماية المشروطة أو الجزئية لا تحقق الهدف المقصود، فلن يخوض بنو شيبان حرباً ضد كسرى، لو أراد القبض على رسول الله ﷺ وتسليمه، ولن يخوضوا حرباً ضد كسرى لو أراد مهاجمة رسول الله ﷺ وأتباعه، وبذلك فشلت المباحثات[5].

3- «إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه»، كان هذا الرد من النبيﷺ على المثنى بن حارثة، حين عرض على النبيﷺ حمايته على مياه العرب، دون مياه الفرس، فمن يسبر أغوار السياسة البعيدة، يَرَ بُعدَ النظر الإسلاميّ

---

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (421/1).

(2) وقفات تربوية من السيرة النبوية ، عبد الحميد البلالي ، ص72.

(3) صفوة الصفوة (94/4).

(4) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (421/1).

(5) التحالف السياسي في الإسلام ، منير الغضبان ، ص53.



النبويّ الذي لا يُسامى[1].

4- لمس علي رضي الله عنه أثر الإسلام على المثنى وقومه بعد أن أسلموا، وكيف تحملت قبيلة بني شيبان عبء مواجهة الفرس، وكان المثنى بن حارثة -فيما بعد- من قاده فتح العراق في عهد الصديق رضي الله عنه، فقد أكسبهم الإيمان بهذا الدين جرأة على قتال الفرس.

هذه بعض المفاهيم والدروس والعبر التي استفادها علي رضي الله عنه من رسول الله ﷺ عند مفاوضاته لزعماء بني شيبان.

ثامناً: تقديمه نفسه فداء للنبي ﷺ :

عندما اجتمعت قبيلة قريش في دار الندوة، وأجمعوا على قتل النبيﷺ والتخلص منه، أعلم الله نبيه ﷺ بذلك، وكان النبيﷺ أحكم خلق الله، فأراد أن يبقى من أراد قتله ينظر إلى فراشه ينتظرونه يخرج عليهم، فأمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام في فراشه تلك الليلة، ومن يجرؤ على البقاء في فراش رسول الله ﷺ والأعداء قد أحاطوا بالبيت يتربصون به ليقتلوه ؟! من يفعل هذا ويستطيع البقاء في هذا البيت؛ وهو يعلم أن الأعداء لا يفرِّقون بينه وبين رسول الله ﷺ في مضجعه ؟! إنه لا يفعل ذلك إلا أبطال الرجال وشجعانهم بفضل الله[2] -تعالى-، وقد أمره النبيﷺ أن يقيم بمكة أياماً حتى يؤدي أمانة الودائع والوصايا التي كانت عنده إلى أصحابها من أعدائه كاملة غير منقوصة، وهذا من أعظم العدل، وأداء الأمانة[3]، وقد جاء في رواية: أن رسول الله قال له: «نم على فراشي»، وتَسَبَّح ببردي هذا الخضرمي، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم[4]، وقال ابن حجر: وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فرقد علي على فراش رسول الله ﷺ يواري عنه، وباتت قريش تختلف، وتأتمر، أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه، حتى أصبحوا فإذا هم بعلي، فسألوه، فقال: لا علم لي، فعلموا أنه قد فرّ[5]. وعن ابن عباس: إن علياً قد شرى نفسه تلك الليلة حين: لبس ثوب النبيﷺ، ثم نام مكانه[6]. وفي علي وإخوانه من الصحابة المجاهدين الذين يبتغون الله والدار الاخرة نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207].

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص64.

(2) الحكمة في الدعوة إلى الله للقحطاني ، ص235.

(3) الطبقات الكبرى (22/3) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص166.

(4) السيرة لابن هشام (91/2) ، فتح الباري (236/7).

(5) فتح الباري (236/7).

(6) فضائل الصحابة رقم 1168 إسناده حسن.

وفي هذا الموقف دروس وعبر وفوائد منها:

1- إن خطة الهجرة، كما رسمها رسول الله ﷺ كانت تتطلب أن يأخذ مكانه في البيت رجل تشغل حركته داخل الدار أنظار المحاصرين لها من مشركي قريش، وتخدعهم بعض الوقت عن مخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام، حتى يكون وصاحبه أبو بكر قد جاوزوا منطقة الخطر[1].

2- في تلبية علي رضي الله عنه لأمر النبي ﷺ مثال للجندي الصادق، المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائدَه بحياته، ففي سلامة القائد سلامة للدعوة، وفي هلاكه خذلانها، ووهنها، فما فعله عليٌّ رضي الله عنه ليلة الهجرة؛ من بياته على فراش الرسول ﷺ، يعتبر تضحية غالية، إذ كان من المحتمل أن تهوي سيوف فتيان قريش على رأس علي رضي الله عنه، ولكن علياً رضي الله عنه لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله ﷺ نبي الأمة، وقائد الدعوة[2].

3- في إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ﷺ مع محاربتهم له، وتصميمهم على قتله، دليل باهر على تناقضهم العجيب الذي كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه، ويزعمون أنه ساحر، أو مجنون، أو كذاب، لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقاً، فكانوا لا يضعون حوائجهم، ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق، الذي جاء به، وخوفاً على زعامتهم وطغيانهم[3]، وصدق الله العظيم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33].

4- وفي أمر الرسول ﷺ لعلي –رضي الله عنه– بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة، على الرغم من هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتّجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، على الرغم من ذلك؛ فإن الرسول ﷺ ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسي الإنسان نفسه فضلاً عن غيره[4]، فقد أبى أن يخون من ائتمنه ولو كان عدواً يحرّض عليه، ويؤذيه لأن خيانة الأمانة من صفات المنافقين، ويتنزَّهُ عنها المؤمنون[5].

5- هذا الحدث العظيم فيه دلالة قاطعة على شجاعة علي رضي الله عنه، فإنه يعلم وهو يقوم بتنفيذ ما أمر به أنه معرض

---

(1) خلفاء الرسول، ص396، العشرة المبشرون بالجنة، محمد صالح.

(2) السيرة النبوية للسباعي، ص345.

(3) فقه السيرة للبوطي، ص153.

(4) الهجرة في القرآن الكريم، ص364.

(5) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص423.

لخطر عظيم؛ فقد يقتحمون عليه داره ويقتلونه دون أن يتثبَّتُوا من هويته، وقد يباغتونه وهو خارج في الصـــباح من غير أن يتبيَّنوا من هو ؟ والقوم يتربَّصـون به طول الليل يترقَّبون هذه اللحظة، وقد بلغ منهم الجهد كل مبلغ، فأصبحوا غير قادرين على التأكد من شـخصـية الخارج من الدار: أهو محمد ﷺ أم هو رجل اخر ؟ لابد أن ذلك كله قد دار في عقل علي، ولكنه بادر وسعد بالتنفيذ؛ فهو أولاً: يحب الله ورسوله حباً ملك عليه قلبه وجعل سلامة رسول الله ﷺ هدفه الأسمى ولو كلفه ذلك التضحية بحياته. ثانياً: هي عملية لا بد منها لكي يخرج الرسول سالماً من تدبير الأعداء حتى يتمكن من نشر الإسـلام في كل مكان؛ فالأمر إذن يتعلق بمصلحة الإسـلام أولاً وثانياً، وقد نام علي رضـي الله عنه في فراش رسـول الله ﷺ مع كل هذه التوقعات، وهذا دليل على عمق إيمانه بقضـاء الله وقدره، فهو بحق مؤمن بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِـيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51]. وإننا لنلمح في اختيار رســول الله ﷺ لعلي – ليقوم بهذا الدور الخطير – ثقة تامة لا تعدلها ثقة، واطمئناناً إلى قدرات خاصة امتاز بها علي قد لا تتوفَّـرُ في غيره، فإنه لم يتردد حين دعاه الرسول ﷺ لينام على فراشه، وهو يعلم أنه ليس وراء ذلك إلا الموت الذي أعدَّ له المشركون أشجع فتيان قريش، ولم يسمح لنفسه أن يفكر في العاقبة؛ لأنه يعلم أنه حين يكون فداء لرسول الله ﷺ ينال بذلك شرفاً لا يناله بغير هذا الطريق[1].

تاسعاً: هجرته:

لما أصبح قام علي رضي الله عنه عن فراشه، فعرفه القوم وتأكدوا من نجاة رسول الله ﷺ، فقالوا لعلي: أين صاحبك؟ قال: لا أدري! أوَ رقيباً كنت عليه ؟! أمرتموه بالخروج فخرج. وضاق القوم بتلك الإجابة الجريئة، وغاظهم خروج رسول الله ﷺ من بين أظهرهم، وقد عموا عنه فلم يروه، فانتهروا علياً وضـربوه، وأخذوه إلى المسـجد فحبسـوه هناك سـاعة، ثم تركوه[2]، وتحمل عليٌّ ما نزل به في سبيل الله، وكان فرحه بنجاة رسول الله ﷺ أعظم عنده من كل أذى نزل به، ولم يضعف ولم يخبر عن مكان رسول الله ﷺ، وانطلق علي في مكة يجوب شوارعها باحثاً عن أصحاب الودائع التي خلفه رسول الله ﷺ من أجلها، وردَّها إلى أصـــحابها، وظلَّ يرد هذه الأمانات حتى برئت منها ذمة رســول الله ﷺ، وهناك تأهب للخروج ليلحق برسول الله بعد ثلاث ليال قضاهن في مكة[3].

([1]) جولة تاريخية في عصر الخلفاء ، ص426.

([2]) تاريخ الطبري (374/2).

([3]) المصدر السابق نفسه (382/2) ، البداية والنهاية (335/7) ، جولة تاريخية ، ص424.

وكان علي في أثناء هجرته يكمن بالنهار، فإذا جنَّ عليه الليل سار حتى قدم المدينة، وقد تفطرت قدماه[1]، وهكذا يكون علي رضي الله عنه قد لاقى في هجرته من الشدة: فلم تكن له راحلة يمتطيها، ولم يستطع السير في النهار لشدة حرارة الشمس، وفي مشي الليل ما فيه من الظلمة المفجعة والوحدة المفزعة، ولو أضفنا إلى ذلك أنه –رضي الله عنه– قد قطع الطريق على قدميه دون أن يكون معه رفيق يؤنسه؛ لعلمنا مقدار ما تحمله من قسوة الطريق، ووعثاء السفر، والام الوحدة، وقد سهل عليه تلك العقبات والمصاعب شعوره بأنه يعمل ابتغاء مرضاة الله عز وجل، وأنه في نهاية المطاف سيلحق برسول الله، ويستمتع بجواره آمناً مطمئناً في المدينة، ولم يكد علي يقطع الطريق ويصل إلى المدينة حتى نزل في بني عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم، حيث كان ينزل رسول الله ﷺ[2]، وهكذا كانت هجرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– تضحية وفداء، وتحملاً وصبراً، وشجاعة وإقداماً.

وقد لاحظ سيدنا علي مدة إقامته بقباء امرأة مسلمة لا زوج لها، ورأى إنساناً يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه، فيعطيها شيئاً معه، فتأخذه، ولنستمع إليه رضي الله عنه وهو يحدثنا بالقصة؛ حيث قال: فاستربْتُ بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه، فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة، لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف بن وهب، قد عرف أني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها، فقال: احتطبي بهذا، فكان علي رضي الله عنه يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حتى هلك عنده بالعراق[3]. ونلاحظ صفة النباهة واليقظة التي لا بد للمسلم أن يتحلَّى بها، ولا يكون غافلاً عما يدور حوله.

---

(1) الكامل (106/2).

(2) الطبقات الكبرى (22/3) ، السيرة لابن هشام (129/2). ذكره ابن إسحاق بدون إسناد ، جولة تاريخية ، ص425.

(3) محمد رسول الله ، صادق عرجون (421/2).

المبحث الثالث : معايشة أمير المؤمنين علي للقرآن الكريم وأثرها عليه في حياته

أولاً: تصوره عن الله، والكون والحياة، والجنة والنار، والقضاء والقدر:

كان المنهج التربوي الذي تربَّى عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو نفسه الذي خضع له كل الخلفاء الراشدين، والصحابة الكرام، فقد تربوا على القرآن الكريم، وكان المربّي سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر التلقِّي وتفرده، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج، مع ما يوحي إليه المولى عز وجل من الحكمة، ولقد تربى الفرد المسلم، والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولقد كانت للآيات الكريمة التي سمعها علي من رسول الله ﷺ مباشرة أثرها في صياغة شخصيته الإسلامية، فقد طهَّرت قلبه، وزكَّت نفسه، ونوّرت عقله، وتفاعلت معها روحه، فتحول إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره، وأهدافه وسلوكه وتطلعاته[1].

فقد عرف علي رضي الله عنه من خلال القرآن الكريم والتربية النبوية الراشدة من هو الإله الذي يجب أن يعبده، وكان النبيﷺ يغرس في نفسه معاني تلك الآيات العظيمة، فقد حرص ﷺ أن يربّي أصحابه على التصوُّر الصحيح عن ربهم، وعن حقِّه عليهم، مدركاً أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عندما تصفى النفوس، وتستقيم الفطرة، فأصبحت نظرة علي رضي الله عنه إلى الله، والكون والحياة، والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان؛ مستمدة من القرآن الكريم وهدي النبيﷺ .

فالله سبحانه وتعالى منزَّه عن النقائص، موصوف بالكمالات التي لا تتناهى، فهو واحد لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولد. وأنه سبحانه خالق كل شيء ومالكه ومدبره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

وأنه تعالى مصدر كل نعمة في هذا الوجود؛ دقَّتْ أو عظمت، ظهرت أو خفيت: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: 53].

---

[1] السيرة النبوية للصَّلَّابيّ (145/1).

وأن علمه محيط بكل شيء؛ فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ولا ما يخفي الإنسان وما يعلن، وأنه سبحانه يقيد على الإنسان أعماله بواسطة ملائكته، في كتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسينشر ذلك في اللحظة المناسبة والوقت المناسب: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

وأنه سبحانه يبتلي عباده بأمور تخالف ما يحبون وما يهوون؛ ليعرف الناس معادنهم، ومن منهم يرضى بقضاء الله وقدره، ويُسلم له ظاهراً وباطناً، فيكون جديراً بالخلافة والأمانة والسيادة، ومن منهم يغضب ويسخط فلا يساوي شيئاً، ولا يُسند إليه شيء: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: 2].

وأنه سبحانه يوفِّق ويؤيِّد وينصر من لجأ إليه، ولاذ بحماه ونزل على حكمه في كل ما يأتي وما يذر: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: 196]. وأنه سبحانه وتعالى حقه على العباد أن يعبدوه ويوحدوه؛ فلا يشركوا به شيئاً: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 66].

وأنه وحده المستحق للعبادة؛ وهذا حق الله على العباد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48].

وأنه سبحانه حدَّد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد في القرآن الكريم[1].

وأما نظرته للكون فقد استمدَّها من قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: 9-12].

وأما هذه الحياة مهما طالت فهي إلى زوال، وأنَّ متاعها مهما عظم فإنه قليل حقير؛ قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: 46-47]؛ فعرّف الله تعالى الإنسان المسلم حقيقة الحياة، وأنها ليست دار كرامة، وأن الاخرة خير وأبقى، وهي تهدي من تمكن حبُّ الله ورسوله في قلبه على أن يقدم رضا الله ورسوله على ما سواه، ولو كان الثمن الدنيا وما فيها، وقد عبر عن هذه الحقيقة أمير المؤمنين علي عندما قال: (يا دنيا غُرّي غيري، إليَّ تعرضت أم إليَّ تشوقت، هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها،

(1) منهج الرسول في غرس الروح الجهادية ، ص10-16.

فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق)[1].

وأما نظرته إلى الجنة فقد استمدَّها من خلال الآيات الكريمة التي وصفتها، فأصبح حاله ممن قال الله فيهم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 16 – 17].

وأما تصوره للنار فقد استمدَّه من القرآن الكريم، فأصبح هذا التصوُّر رادعاً له في حياته عن أي انحراف عن شريعة الله، فيرى المتتبع لسيرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل، وشدة خوفه من عذاب الله وعقابه، وستتضح كثيراً من هذه المعالم في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمدَّه من كتاب الله وتعليم رسول الله ﷺ، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر في قلبه، واستوعب مراتبه من كتاب الله تعالى، فكان على يقين بأن علم الله محيط بكل شيء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قرآن وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61]، وأن الله قد كتب كل شيء كائن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: 12]. وأن مشيئة الله نافذة وقدرته تامة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: 44]. وأن الله خالق لكل شيء: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: 102].

وقد ترتب على الفهم الصحيح والاعتقاد الراسخ في قلبه لحقيقة القضاء والقدر، ثمار نافعة ومفيدة، ظهرت في حياته وسنراها بإذن الله تعالى في هذا الكتاب، وعرف من خلال القرآن الكريم حقيقة نفسه وبني الإنسان، وأن حقيقة الإنسان ترجع إلى أصلين: الأصل البعيد وهو الخلقة الأولى من طين، حين سَوَّاه ونفخ فيه الروح، والأصل القريب وهو خلقه من نطفة[2]، فقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: 7–9]. وعرف أن هذا الإنسان خلقه الله بيده، وأكرمه بالصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، ومنحه العقل والنطق والتمييز، وسخر الله له ما في السماء والأرض، وفضله على كثير من خلقه، وكرمه بإرساله الرسل له، وأن من أروع مظاهر تكريم المولى عز وجل سبحانه للإنسان أن جعله أهلاً لحبه ورضاه، ويكون ذلك باتباع النبيﷺ الذي دعا الناس إلى الإسلام، لكي يحيوا حياة طيبة في

---

(1) الاستيعاب (1108/3).

(2) أصول التربية للنحلاوي، ص31.

الدنيا، ويظفروا بالنعيم المقيم في الاخرة؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

وعرف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حقيقة الصراع بين الإنسان والشيطان، وأن هذا العدو يأتي للإنسان من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، يوسوس له بالمعصية، يستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعيناً بالله على عدوه إبليس، منتصراً عليه في حياته، كما سترى في سيرته، وتعلم من قصة آدم مع الشيطان في القرآن الكريم، أن آدم هو أصل البشر، وأن جوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله، وأن الإنسان له قابلية للوقوع في الخطيئة، وتعلم من خطيئة ادم ضرورة توكُّل المسلم على ربه، وأهمية التوبة والاستغفار في حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد والكبر، وتقديم مرضات الله سبحانه وتعالى على كل ما سواه، وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع إخوانه من الصحابة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِيناً﴾ [الإسراء: 53]. وسار على منهج رسول الله ﷺ في تزكية أصحابه لأرواحهم، وتطهير قلوبهم بأنواع العبادات، وتربيتهم على التخلق بأخلاق القرآن الكريم.

ثانياً: مكانة القرآن الكريم عنده:

عاش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حياته مع القرآن تلاوةً وحفظاً وفهماً وعملاً، وكان يقول: من قرأ القرآن، فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ ايات الله هزواً[1]، وكان يقول: طوبى لهؤلاء كانوا أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ [2]، وكان يقول: ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاثة الأواخر من سورة البقرة[3]، أي: أهل القرآن، وقال يصف القرآن الكريم ويبيّن عظيم قدره في القرآن الكريم: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الحبل المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم[4].

ولشدة اهتمام أمير المؤمنين علي بالقرآن حصل على علم كبير به وبعلومه، فقد روي عنه أنه قال: والله ما نزلت اية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت: إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً صادقاً ناطقاً [5]، وقد قال رضي

---

[1] المستطرف (29/1) ، فوائد الكلام ، ص375.
[2] التبيان في آداب حملة القرآن ، ص146 ، فوائد الكلام ، ص390.
[3] التبيان في آداب حملة القرآن ، ص266 ، فوائد الكلام ، ص387.
[4] فضائل القرآن لابن كثير ، ص15 موقف أمير المؤمنين علي.
[5] الطبقات لابن سعد (338/2) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص152.



الله عنه: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم نهار، في سهل أم في جبل[1]. ويرى ابن عبد البر أن علياً رضي الله عنه: كان ممن جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله ﷺ وهو حي[2]، وقد قال في اخر عهده: سلوني قبل أن تفقدوني[3]، وكان ذلك عندما مات أكثر علماء الصحابة، وكان رضي الله عنه بالعراق، فكان من حرصه على تعليم الناس القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف في قوم كثر فيهم الجهل، ولا يعرفون الكثير من أحكام الدين، فكان رضي الله عنه يحرص على تعليمهم وإرشادهم للحق، فقد كان أعلم أهل زمانه وهذا نموذج للعالم الرباني الذي يحرص على تعليم الناس الخير وتربيتهم عليه.

ثالثاً: ما نزل فيه من القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله ﷺ يعالج أحداثاً واقعية حصلت في المجتمع النبوي الكريم، فيثني على عمل ما، ويشيد بأقوام، ويحذر من اخرين، وينبه على بعض الأخطاء، وقد نزلت بعض الآيات التي خلدت بعض المآثر لأمير المؤمنين وبعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

1- منها قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوٓا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ * إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: 19. 23].

روى البخاري بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. وقال قيس بن عبادة: فيهم نزلت: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة وعلي وأبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة[4].

2- وهو أحد من نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61].

وذلك في وفد نجران حينما جادلهم النبيﷺ في عيسى ابن مريم، وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى أمه الطاهرة،

---

(1) الصواعق المحرقة (375/2) ، الطبقات (338/2).

(2) الاستيعاب (1130/3) ، وجمع القرآن الكريم: أي حفظه عن ظهر قلب.

(3) منهاج السنة (57/8-58).

(4) البخاري رقم3965.

فأجبته، وكذبهم في أنه الله وابن الله أو ثالث ثلاثة، ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا، فدعاهم إلى المباهلة، فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: ولما نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله علياً، وفاطمة، وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم فقال: اللهم هؤلاء أهلي[1].

3- موافقته القرآن له في كون الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام: ففي الصحيح، أن رجلاً قال: لا أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال علي بن أبي طالب: الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا كله، فقال عمر بن الخطاب: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته عن ذلك: فسأله، فأنزل الله هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: 19-22] . فبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعمرة والطواف ومن الإحسان إلى الحجاج[2].

4- شفقته على أمة محمد ﷺ : عن علي رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: 21]. قال النبي ﷺ لعلي: «مُرهم أن يتصدقوا» قال يا رسول الله! بكم ؟ قال: «بدينار»، قال: لا يطيقونه، قال: «بنصف دينار». قال: لا يطيقونه، قال: «فبكم؟» قال: بشعيرة[3]، قال: فقال النبي ﷺ لعلي: «إنك لزهيد»، قال: فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: 12-13]. قال فكان علي يقول: فبي خفف الله عن هذه الأمة[4].

---

(1) مسلم (1871/4).

(2) الفتاوى (166/8).

(3) بشعيرة: وزن شعيرة من ذهب.

(4) رواه الترمذي ، رقم3297 ، وقال: حسن غريب. وضعفه الألباني في ضعيف: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، ص127-128.

رابعاً: تبليغه تفسير رسول الله ﷺ لبعض آيات القرآن الكريم:

استفاد علي رضي الله عنه من تفسير رسول الله ﷺ، وبلّغ ما تعلم من رسول الله ﷺ للنّاس، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

(أ)- قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾:

عن علي رضي الله عنه، عن النبيﷺ قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: 82]. قال: «شُكركم: أنكم تكذبون؛ مطرنا بنوء كذا وكذا، بنجم كذا وكذا»[1].

(ب)- فكل ميسر لما خلق له:

عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتَّكل على كتابنا، وندعُ العمل؛ من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ؟ فقال: «اعملوا فكل ميسَّر، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون إلى عمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[2] [الليل: 5 -10]، وفي رواية: أفلا نتَّكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة سيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة سيصير إلى عمل أهل الشقاوة[3].

وفي رواية في الصحيحين: عن علي قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار». فقالوا: يا رسول الله ! فلم نعمل، أولا نتَّكل؟ قال: «لا! اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى *وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى *وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى *وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[4] [الليل: 5 -10].

فقد أخبر النبيﷺ في هذه الأحاديث وغيرها بما دلَّ عليه القرآن الكريم؛ من أن الله سبحانه وتعالى تقدم علمه وكتابه

---

[1] مسند الموسوعة الحديثية رقم 849 ، حسن لغيره.

[2] البخاري ، رقم 1362.

[3] البخاري ، رقم 6605.

[4] المصدر السابق نفسه رقم 6605 ، الفتاوى (165/8).

وقضاؤه بما سيصير إليه العباد من السعادة والشقاوة، كما تقدم علمه وكتابه بغير ذلك من أحوال العباد وغيرهم[1]، وقد بيَّن النبيﷺ أن ذلك لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة والشقاوة، وأن من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة، وقد نهى أن يتَّكِلَ الإنسانُ على القدر السابق ويدع العمل، ولهذا كان من اتَّكل على القدر السابق وترك ما أمر به من الأعمال؛ هو من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي يسروا به لعمل أهل الشقاوة، فإن أهل السعادة هم الذين يعملون المأمور ويتركون المحظور، فمن ترك العمل الواجب الذي أُمر به وفعل المحظور متكلاً على القدر؛ كان من جملة أهل الشقاوة والميسرين لعمل أهل الشقاوة، وهذا الجواب الذي أجاب به النبيﷺ وتعلمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب النبيﷺ في غاية السداد والاستقامة[2].

خامساً: الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مبلغ كبير من العلم بالقرآن وعلومه، وقد جعله هذا العلم بالقرآن الكريم أن يعتقد أن القرآن فيه جميع الأحكام الشرعية؛ إما صراحة أو ضمناً، فكان يقول بصدد ذلك: إن الله لم يك نسياً[3]. ولذلك كان كثيراً ما يحتج بالقرآن ويتلو الآية التي يستند إليها لبيان الحكم الشرعي، وكانت طريقته في الاستنباط كالآتي:

1- الالتزام بظاهر القرآن الكريم:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يلتزم أحياناً بظاهر القرآن الكريم حين لا يرى قرينة تقتضي صرفه عن ظاهره، فإنه كان يتوضأ لكل صلاة ويقرأ هذه الآية : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[4] [المائدة: 6]، لأن ظاهرها يدل على الوضوء عند إرادة الصلاة كل مرة. وأوجب الصوم على المقيم إذا أدركه الصوم ثم سافر، فقال: من أدركه الصوم وهو مقيم ثم سافر بعدُ لزمه الصوم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[5] [البقرة: 185].

ورأى عدم تحريم إرضاع الكبير؛ لأنه ليس ضمن حولي الرضاعة استناداً إلى ظاهر آية الرضاعة، حيث روي عنه أنه قال:

([1]) الفتاوى (166/8).
([2]) مصنف عبد الرزاق ، رقم1744.
([3]) مصنف عبد الرزاق ، رقم1744.
([4]) تفسير القرطبي (80/2).
([5]) فقه الإمام علي (45/1).

في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233]: الرضاعة سنتان؛ فما كان من رضاع في الحولين حرم، وما كان بعد الحولين فلا يحرم[1].

وحمل ظاهر القرآن الكريم على ظاهره في مكان اخر؛ حيث حكم ببراءة امرأة اتهمت بالزنى؛ لأنها ولدت بعد ستة أشهر من زواجها، فجمع بين قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا﴾ فقال: الحمل ستة أشهر، والفصل أربعة وعشرون شهراً[2]، أي: أنه طرح مدة الرضاعة وهي السنتان من مجموع مدة الرضاعة والحمل وهي ثلاثون شهراً فبقيت ستة أشهر، فجمع بين ظاهر كلا الآيتين وحكم بهما[3].

2- حمل المجمل على المفسر:

المجمل: هو ما خفي مراده بحيث لا يدرك إلا ببيان يُرجى[4]. والمفسر: هو ما ظهر المراد منه دون الحاجة إلى بيان[5]. وقد حمل علي مجمل القرآن في قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: 95] على مفسره في مواضع أخرى، حيث ورد أنه سأل رجل علياً عن الهدي مما هو؟ فقال: من الثمانية أزواج. فكأنّ الرجل شك، فقال له علي: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: 1] . قال: نعم، قال: فهل سمعته يقول: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: 34]. قال:.نعم.، قال: فهل سمعته يقول: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: 142]. قال: نعم، قال: فهل سمعت الله يقول: ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ... وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: 143 – 144]. قال: نعم، قال: فهل سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: 95]. فقال الرجل: نعم، قال: فقتلت ظبياً فماذا عليَّ؟ قال: هدياً بالغ الكعبة[6].

3- حمل المطلق على المقيد في القرآن الكريم:

المطلق: هو ما دل على الماهية بلا قيد . والمقيد: هو ما قيد لفظاً بأي قيد[7]. ولقد حمل أمير المؤمنين عليّ مطلق القرآن

(1) المجموع للنووي (213/8).
(2) مصنف عبد الرزاق ، رقم 12443؛ فقه الإمام علي (41/1).
(3) فقه الإمام علي (46/1).
(4) مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول ، ص197.
(5) المصدر السابق نفسه ، ص191.
(6) الدر المأثور (193/3).
(7) جمع الجوامع بشرح المحلى (79/2) ، فقه الإمام علي (47/1).

على مقيده في استنباط الحكم، إذ حمل مطلق الأمر بالقطع في آية السرقة على مقيده في آية المحاربة بعدم القطع إلا مرتين، وعدم قطع أكثر من يد ورجل عند تكرار السرقة، فإذا سرق مرة قطعت يده اليمنى، وإذا سرق قطعت رجله اليسرى عند علي، فإن زاد وسرق مرة ثالثة ورابعة لم يزد على ذلك، ويعزره بدل القطع؛ لأنه حمل قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38]. على آية المحاربة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاَفٍ﴾ [المائدة: 33]. وقال: إن الله لم يزد على قطع يد ورجل في آية المحاربة، ولذلك كان يعاقب مثل هذا بالسجن[1]. فعن الشعبي قال: كان علي لا يقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل، وإنه كان يقول: إني لأستحيي من الله أن لا أدع له يداً يأكل بها ويستنجي[2].

4- العلم بالناسخ والمنسوخ:

النسخ: هو رفع الحكم الشرعي بخطاب متأخّر عنه[3]. ويقول الزركشي: قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ[4]، وعلى هذا المعنى يؤكد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك عندما عاتب قاصّاً بقوله: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت[5].

5- النظر في لغة العرب:

ومن منهج أمير المؤمنين علي في فهم القرآن الكريم النظر في لغة العرب، كما فهم من قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 228]، أن المراد بالأقراء الحيض، فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة[6]، لذا قال علي رضي الله عنه عن المطلقة: لا تحلُّ لزوجها الرجعة عليها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة[7]. والقُرُوءُ في كلام العرب: جمع قَرْءٍ، وهو الحيض، والقَرْء أيضاً: الطهر، وأقرأت المرأة: حاضت، وأقرأت: طهرت[8]. ومن ذلك فهمه رضي الله عنه من قوله تعالى: اللمس: هو ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾، فقد قال: اللمس هو الجماع، ولكن الله كنى عنه[9]، وحمل المس في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: 237]. على الخلوة، فقال: المراد بالمس

---

(1) فقه الإمام علي (47/1) ، مصنف عبد الرزاق ، رقم 21874.
(2) مصنف عبد الرزاق ، رقم 18764 ، فقه الإمام علي (818/2).
(3) فقه الإمام علي (48/1).
(4) البرهان في علوم القرآن (29/2).
(5) أبو خيثمة ، كتاب العلم ، ص31 ، تحقيق الألباني وقال: إسناده صحيح.
(6) تفسير ابن كثير (271/1).
(7) الدر المنثور (234/1).
(8) الصحاح للجوهري (64/1) ، مادة (قرأ).
(9) فقه الإمام علي (48/1)؛ الفصل في الأصول للجصاص (203/1).

هنا الخلوة[1]، فأوجب الصداق كله بالخلوة[2]، وقد قال: إذا أرخى ستراً على امرأته، وأغلق باباً وجب الصداق والعدة[3].

6- فهم النص بنص اخر:

ومن ذلك ما فهمه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من قوله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[النساء: 141]. أن ذلك يكون يوم القيامة، اعتماداً على قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[النساء: 141]. وذلك لما جاءه رجل يسأله: كيف هذه الآية ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ ؟ فقال علي رضي الله عنه: ادنه، ادنه، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[4].

ومنه ما فهمه من قوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: 5] ؛ بأنه السماء، لما رواه ابن جرير وذكره ابن كثير عن علي: يعني: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾، قال سفيان: ثم تلا... ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: 32].

ومن ذلك أيضاً ما فهمه من قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238]: أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، معتمداً في ذلك على نص من حديث رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى؛ صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم، وقبورهم ناراً»[5].

ومن هذا الباب أيضاً ما ورد في فهمه لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: 31]. فعن سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: إني لفي هذا المسجد ـ مسجد الكوفة ـ وعلي رضي الله عنه يخطب الناس على المنبر يقول: يا أيها الناس، الكبائر سبع. فأصاخ الناس، فأعادها ثلاث مرات ثم قال: لم لا تسألوني عنها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ! ما هي؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب[6] بعد الهجرة[7]. وهذا الفهم مبني على حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «اجتنبوا السبع الموبقات»[8]. قالوا: يا رسول الله ! وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا

---

(1) الفصول في الأصول (202/1).

(2) فقه الإمام علي (48/1) أي: خلوة الرجل بزوجته.

(3) مصنف ابن أبي شيبة (234/4)؛ فقه الإمام علي (531/2).

(4) تفسير ابن جرير ، إسناده صحيح (327/9).

(5) مسلم (437/1).

(6) أن يهاجر الرجل ، حتى إذا وقع سهمه في الفيء ، ووجب عليه الجهاد ، خلع ذلك من عنقه ، فرجع أعرابياً كما كان.

(7) تفسير الطبري (25/5).

(8) الموبقات: جمع موبقة ، وهي المهلكة.

بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[1]. وهذا يدخل ضمن منهج أمير المؤمنين علي في تفسير القرآن الكريم بالسنة.

7- السؤال عن مشكلة:

ومن منهج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في فهم القرآن الكريم سؤاله عما أشكل عليه فيه، ومن ذلك سؤاله لرسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: 3]. فقد قال: سألت النبيﷺ عن يوم الحج الأكبر، فقال: «يوم النحر»[2]، وبيَّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذا المنهج فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ونهي، فما تأمرنا، قال: «شاوروا الفقهاء والعابدين، ولا تمضوا فيه خاصة»[3].

8- العلم بمناسبة الآيات:

إن العلم بالمناسبة التي نزلت فيها الآيات، والسبب الداعي لذلك، يفيد في إدراك معنى الآية، واستنباط الحكم منها؛ لأن بيان النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز[4]، ولقد بلغ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مبلغاً في العلم بأسباب نزول الآيات، كما يقول عن نفسه حاثاً على سؤاله عن كتاب الله: سلوني، وسلوني، وسلوني عن كتاب الله تعالى، الله، ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار[5] .وفي رواية: والله ما أنزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت[6].

9- تخصيص العام:

العام: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بوضع واحد دفعة واحدة من غير حصر[7]. وقاعدة العموم: كل لفظ عام باق على عمومه حتى يرد التخصيص[8]، وقد يرد من الشارع ما يدل على قصر العام على بعض أفراده وهذا هو تخصيص العام[9]. وقد ورد عن علي رضي الله عنه ما يفيد قوله بتخصيص العموم، فقد سئل رضي الله عنه: عن رجل له أمتان أختان وطئ إحداهما، ثم أراد أن يطأ الأخرى، قال: لا.. حتى يخرجهما من ملكه[10]، وعن ابن الكواء: سأل علياً: عن

---

[1] البخاري ، كتاب الوصايا رقم 2766.
[2] سنن الترمذي ، رقم970 . وصححه الألباني (282/1).
[3] تاريخ خليفة بن خياط ، ص66 ، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص78.
[4] منهج علي بن أبي طالب ، ص79.
[5] الإصابة (509/2).
[6] الطبقات (338/2).
[7] تيسير علم أصول الفقه ، عبد الله الجديع ، ص262.
[8] المصدر السابق نفسه ، ص269.
[9] المصدر السابق نفسه ، ص269.
[10] فقه الإمام علي (560/1) نقلاً عن مصنف ابن أبي شيبة.

الجمع بين الأختين، فقال: حرمتهما آية، وأحلتهما آية أخرى، ولست أفعل أنا ولا أهلي[1]. وقصد أمير المؤمنين علي بالآية التي حرمتهما هي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: 23] وبالتي أحلتهما هي قوله تعالى: ﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: 6] فهاتان الآيتان بينهما عموم وخصوص، إذ خصص عموم التمتع بملك اليمين بخصوص عدم جواز الجمع بين الأختين[2]. ومنها أنه حكم في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها: بأن تعتد أبعد الأجلين، فقال: عدتها أبعد الأجلين[3]، أي: أنه خص عموم الآيتين: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: 234]. و ﴿وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 4]؛ فالحامل المتوفى عنها زوجها إذا وضعت حملها قبل الأربعة أشهر وعشرة أيام؛ فإنها تكمل المدة ولا تعمل بعموم الآية الثانية؛ لأنها تخصصها الأولى، وإن أكملت المدة فلا تنقض عدتها إلا بوضع الحمل؛ لأن عموم الآية الأولى مخصص بالثانية، فكلّ من الآيتين عام في وجه وخاص في وجه اخر، تخصص إحداهما الأخرى عند علي، ولعله عمل بالاحتياط جمعاً بين الآيتين[4]، ولكن الراجح: أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين؛ فقد صح عن عبد الله بن عتبة: أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدراً، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل، فقال لها: مالي أراك متجمّلة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بناكح حتى تمرَّ عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيت، فأتيت رسول الله ﷺ، فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي[5]. ولعل علياً قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة، وإلا فلا يخالف علي الصحيح الثابت عن النبي ﷺ[6].

10- معرفة عادات العرب ومن حولهم:

ولمعرفة طبيعة وعادات العرب ومن حولهم من اليهود والنصارى وقت نزول القرآن دور كبير في فهم القرآن الكريم، وعلي رضي الله عنه عاش في ذلك الزمان، وعرف الكثير من العادات التي نهى عنها القرآن، أو تلك التي أقرها.

ومن أمثلة هذا الفهم ما رواه ابن أبي حاتم: لما نافر ابن وائل أبا الفرزدق، فعقر كل واحد منهما مئة من الإبل، فخرج عليٌّ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وهو ينادي: يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها، فإنها أُهِلَّ بها لغير الله، فعلي رضي الله

---

(1) المصدر السابق نفسه، (560/2).

(2) الأحكام للآمدي (445/2)؛ روضة الناظر (129/2).

(3) الفصول في الأصول للجصاص (106/6).

(4) فقه الإمام علي (50/1).

(5) مسلم، رقم 1484.

(6) فقه الإمام علي (617/2).

عنه عرف من عادات العرب في وقته أن مثل هذه المنافرة ليست لله وإنما هي للشيطان، فلذلك نهى عنها مستدلاً بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[1] [المائدة: 3].

11- قوة الفهم وسِعَة الإدراك:

وقوة الفهم وسِعَة الإدراك من المزايا التي امتاز واشتهر بها علي رضي الله عنه، والأمثلة التي تدلُّ على هذا كثيرة جداً؛ نذكر منها ما رواه ابن جرير قال: نادى رجل من الخوارج علياً رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]، فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ﴾ [الروم: 60][2].

هذه بعض الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه، وهي ترشد محبيه وأبناء المسلمين المخلصين في كيفية التعامل مع كتاب الله سبحانه وتعالى.

سادساً: تفسير أمير المؤمنين علي لبعض الآيات الكريمة:

1- قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ...﴾:

عن الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، قال: سمعت ابن الكواء يسأل علي بن أبي طالب عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾، قال: الرياح، وعن ﴿فَالْحَامِلاَتِ وِقْرًا﴾، قال: السحاب، وعن ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾، قال: السفن، وعن ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾، قال: الملائكة[3]. وصححه الحاكم من وجه اخر عن أبي الطفيل. وقد أطنب الطبري في تخريج طرقه إلى علي[4]. وأخرجه عبد الرزاق من وجه اخر عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً وهو يخطب وهو يقول: سلوني... وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من اية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل. فقال ابن الكواء -وأنا بينه وبين علي وهو خلفي- فقال: ما الذاريات ذرواً؟ فذكر مثله وقال فيه: ويلك سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً، وفيه سؤال عن أشياء غير هذا[5].

---

(1) تفسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فهد بن عبد العزيز الفاضل ، رسالة علمية جامعية لم تنشر (30/1).

(2) تفسير الطبري (59/21).

(3) الخلافة الراشدة ، يحيى اليحيى ، ص486.

(4) الدر المنثور (614/7)؛ المستدرك (467/2)؛ تفسير الطبري (185/26-188).

(5) الخلافة الراشدة ، يحيى اليحيى ، ص486.

2-قوله تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير: 15]:

روى سعيد بن منصور بإسناد حسن عن علي قال: هن الكواكب تكنس بالليل، وتخنس بالنهار فلا ترى[1] .

3- بكاء الأرض على العبد الصالح:

قال علي رضي الله عنه: إذا مات العبد الصالح بكى عليه مصلاّه من الأرض، ومصعد عمله من السماء والأرض، ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: 29].

4- الخشوع في القلب وأن تلين كنفك للمرء المسلم:

سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 2]. قال: الخشوع في القلب، وأن تُلين كنفك للمرء المسلم ولا تلتفت في صلاتك[2].

5- خليلان مؤمنان، وخليلان كافران:

سئل أمير المؤمنين رضي الله عنه عن قول الله تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67]. قال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فبشر بالجنة، فذكر خليله المؤمن، قال: فيقول: يا رب! إنَّ خليلي فلاناً كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، فيأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويخبرني أني ملاقيك، فلا تُضِلَّهُ بعدي واهده كما هداني، وأكرمه كما أكرمني فإذا مات جمع بينهما في الجنة، ويقال لهما: ليُثْنِ كل واحد منهما على صاحبه، فيقول: اللهمّ كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، فيأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويخبرني أني ملاقيك، فنعم الأخ والخليل والصاحب، قال: ثم يموت أحد الكافرين، فيبشر بالنار - فيذكر خليله، فيقول: اللهمّ خليلي فلان كان يأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرني أني غير ملاقيك، اللهمّ فأضله كما أضلَّني، فإذا مات جمع بينهما في النار، فيقال: ليُثْنِ كل واحد منكما على صاحبه، قال فيقول: اللهمّ كان يأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرني أني غير ملاقيك، فبئس الأخ والخليل والصاحب[3].

6- الزهد بين كلمتين من القرآن:

قال رضي الله عنه: الزهد كله بين كلمتين من القرآن الكريم: قال سبحانه: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا

([1]) الخلافة الراشدة ، يحيى اليحيى ، ص486 ، الفتح (563/8).
([2]) الزهد لابن المبارك ، ص403 ، رقم1148.
([3]) الزهد لابن المبارك ، ص368.



آتَاكُمْ﴾ [الحديد: 23]. ومن لم ييأس على الماضي، ولم يفرح بالاتي فقد أخذ الزهد بطرفيه[1].

7- أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتدبره في الصلاة:

بيّن أمير المؤمنين رضي الله عنه استحباب المصلي إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى منها، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله تعالى، فعن عبد خير الهمداني قال: سمعت علي بن أبي طالب قرأ في صلاة: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[الأعلى: 1]. فقال: سبحان ربي الأعلى[2] وعن حجر بن قيس المدري قال: بت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فسمعته وهو يصلي من الليل يقرأ فمر بهذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: 58-59] قال: بل أنت يا رب... ثلاثاً، ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: 63-64] قال: بل أنت يا رب... ثلاثاً. ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [الواقعة: 68-69] قال بل أنت يا رب ... ثلاثاً، ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: 71-72]، قال: بل أنت يا رب ... ثلاثاً[3].

8- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88، 89]:

قال علي رضي الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الاخرة، وقد يجمعها الله لأقوام[4].

([1]) رسالة المسترشدين ، ص224؛ فرائد الكلام ، ص376.

([2]) المحلى (118/4) ، السنن الصغرى (146/1).

([3]) الدر المنثور للسيوطي (22/8 ، 23).

([4]) تفسير أمير المؤمنين علي ، لفهد بن عبد العزيز الفاضل (661/2) ، رسالة جامعية لم تنشر.

المبحث الرابع : ملازمته لرسول الله ﷺ

كان علي رضـي الله عنه واحداً من المكّيّين الذين قرؤوا وكتبوا في مجتمعهم الأمي، وهذا دليل على حبه للعلم وشـغفه به منذ صـغره، وقد وفقه الله تعالى أن يعيش منذ طفولته في بيت رسـول الله ﷺ فتربى على يديه وزادت عناية رسـول الله به بعد إسلامه، فكان رسول الله ﷺ الرافد القوي الذي أثر في شخصيته، وصقل مواهبه، وفجّر طاقته، وهذّب نفسه، وطهّر قلبه، ونوّر عقله، وأحيى روحه. فقد لازم رسـول الله ﷺ في مكة والمدينة، فقد كان حريصاً على التتلمذ على يدي رسـول الله ﷺ الذي كان يربي أصـحابه على القرآن الكريم، فقد كان هو الينبوع المتدفق الذي اسـتمد منه علي رضـي الله عنه علمه وتربيته وثقافته.

وقد كان النبي ﷺ، تنزل عليه الآيات منجمة على حسب الوقائع والأحداث، وكان يقرؤها على أصحابه الذين وقفوا على معانيها وتعمَّقوا في فهمها، وتأثروا بمبادئها، وكان له عميق الأثر في نفوسـهم وعقولهم وقلوبهم وأرواحهم. كما كان علي رضي الله عنه واحداً من الذين تأثروا بالتربية القرآنية على يدي رسول الله ﷺ، وتشرّب تعاليمه وتوجيهاته النبوية.

وقد اهتم علي رضـي الله عنه منذ أسـلم بحفظ القرآن الكريم وفهمه وتأمله، وظل ملازماً للرسـول ﷺ يتلقى عنه ما أنزل عليه، حتى تم له حفظ جميع آياته وسوره، لقد حصـل علي رضـي الله عنه ببركة صـحبته لرسـول الله ﷺ وتربيته على يديه خيراً كثيراً، وأصـبح من الخلفاء الراشـدين فيما بعد، فقد حرص على التبحر في الهدي النبوي الكريم في غزواته وسـلمه، وأصبح لعلي رضـي الله عنه علماً واسـعاً، ومعرفة غزيرة بالسـنة النبوية المطهرة، فقد اسـتمد من رسـول الله ﷺ علماً وتربية ومعرفة بمقاصد هذا الدين العظيم.

وقد جمع بين رسـول الله ﷺ وبين علي حب شـديد، والحب عمل هام في تهيئة مناخ علمي ممتاز بين المعلم وبين تلميذه، يأتي بخير النتائج العلمية، والثقافية، لما له من عطاء متجدد، وعلي رضي الله عنه قد أحب رسول الله حباً جماً، وتعلق فؤاده به، وقدم نفسه فداء له، وتضحية في سبيل نشر دعوته.

أولاً: أمير المؤمنين ومقام النبوة:

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين ــ الإنس والجن ــ الذين أدركتهم رسالة النبي ﷺ، أن يؤمنوا بالنبي ﷺ وبما جاء به، كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز، كما أكد الله وجوب الإيمان بنبيه بأن جعله مقترناً بالإيمان به سبحانه وتعالى

في مواضع كثيرة من القرآن الكريم؛ منها:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 158].

وقال رسول الله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»[1].

وقد أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بالنبيﷺ، كما أجمعت كذلك على أن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به؛ استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم[2].

وقد أعطى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مقام النبوة حقه، وأوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان يحرص على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله في أقواله وأعماله وتقريراته، ومن أقواله في هذا المعنى: «واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن» [3].

1- وجوب طاعة النبيﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها:

تربى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على وجوب طاعة رسول الله ﷺ ؛ فهو ممن قرأ وحفظ وفهم قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80]، فهذه الآية ضمن سلسلة من الآيات ربطت بين طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله ﷺ، فقد جعل الله طاعته وطاعة رسوله شيئاً واحداً، وجعل الأمر بطاعة رسوله مندرجاً في الأمر بطاعته سبحانه، وفي ذلك بيان للعباد بأن طاعته سبحانه لا تتحقق إلا بطاعة الرسول ﷺ والآيات الواردة بهذا المعنى كثيرة[4]، وقد تربى أمير المؤمنين على يدي رسول الله ﷺ وتعلم منه وجوب طاعته، وامتثال أمره، واتباع ما جاء به، والسير على سنته، والاقتداء به في كل ما جاء به عن ربه عز وجل، وأحاديثه ﷺ في هذا المجال أعطت للأمة توجيهات عظيمة متى ما ساروا

---

[1] مسلم (93/1) كتاب الإيمان.
[2] حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة (72/1).
[3] البداية والنهاية (319/7).
[4] حقوق النبي على أمته (174/1).

عليها، وامتثلوا ما فيها، واستناروا بها؛ فقد تحققت لهم سعادة الدارين، وفازوا وأفلحوا بإذن الله تعالى، وقد امتازت الأحاديث في هذا الشأن بكثرتها وتنوع عباراتها وتعدد أساليبها، واشتمال بعضها على الأمثلة التي ضربها رسول الله ﷺ لأمته في هذا الشأن.

ومما لا شك فيه: أن هذه المميزات زادت الأمر توكيداً وتوضيحاً وبياناً، بحيث إنها لم تدع مجالاً لمتأوِّل يؤولها، أو محرِّف يغير معناها بهواه ورأيه الفاسد، وهذه الأحاديث على تنوع عباراتها وتعدد أساليبها اتحدت جميعها في مضمون واحد؛ وهو التأكيد على وجوب طاعته ﷺ، واتباع ما جاء به، والترغيب في ذلك، إضافة إلى التحذير من مخالفته، وتحريم معصيته، وبيان الوعيد الشديد في ذلك[1].

فمن هذه الأحاديث قوله ﷺ : «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ! ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[2]، وطاعة الرسول ﷺ هي الانقياد لسنته، مع رفض قول كل من قال شيئاً في دين الله عز وجل بخلاف سنته، دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة[3].

وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من أحرص الصحابة على طاعة رسول الله ﷺ، فقد قال رضي الله عنه: ما كنت لأدع سنة النبيﷺ لقول أحد[4]، وقال أيضاً: ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة محمد ﷺ ما استطعت. وهو نموذج فريد بالتمسك بالسنة والالتزام بها والدعوة لها[5]، ومن هذا المفهوم والتصور الواضح لأهمية طاعة الرسول ﷺ واتباع سنته؛ انطلقت أفعال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يعتني بالسنة ويتحرى ويتثبت في روايتها، وفي أخذها رضي الله عنه، فقد قال رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله، فلأن أخِرَّ من السماء أحَبُّ إليَّ من أن أكذب عليه[6]. وقال رضي الله عنه: كنت إذا سمعت من رسول لله ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيري استحلفته، فإذا حلف لي صدقته[7]. وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحارب ما يناقض الاتباع، فقد قال رضي الله عنه: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخفّ أولى بالمسح من أعلاه.

---

(1) المصدر السابق نفسه ، (86/1).
(2) البخاري ، رقم 7280.
(3) صحيح ابن حبان (153/1).
(4) فتح الباري (421/3).
(5) الشفا للقاضي عياض (556/2).
(6) فتح الباري (158/6).
(7) سنن ابن ماجه ، رقم 1395.



2- حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن دلائل نبوة الرسول ﷺ :

بيّن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعضاً من دلائل نبوة النبيﷺ ؛ منها مايلي:

(أ) بركة دعائه:

مرض علي رضـي الله عنه مرة، فأتاه النبيﷺ وهو يقول: اللهم إن كان أجلي قد حضـر فأرحني، وإن كان متأخراً فارفعني، وإن كان البلاء فصـبرني. فقال له رسـول الله ﷺ : «ما قلت؟» فأعاد عليه، فقال رسـول الله ﷺ : «اللهم اشـفه، اللهم عافه»، ثم قال: «قم». فقمت، فما عاد لي ذلك الوجع بعده[1]. وسيأتي الحديث بإذن الله تعالى عن دعاء رسول الله ﷺ له في خيبر.

(ب) إخباره بما فتح الله على نبيه من أمور الغيب:

قال علي بن أبي طالب رضـي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسـول الله ﷺ فلأن أخِرَّ من السـماء أحَبُّ إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة[2]، سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «يأتي في اخر الزمان قوم حدثاء الأسـنان، سـفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسـلام كما يمرق السـهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة»[3]. وسـيأتي شـرح هذا الحديث وغيره عند حديثنا عن الخوارج، وموقف أمير المؤمنين علي منهم، بإذن الله تعالى.

(ج) النصر بالرعب:

ومن دلائل النبوة التي حدثنا بها علي رضي الله عنه: ما رواه عن رسول الله ﷺ، حيث قال: «أُعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء»، فقلنا: يا رسول الله ! ما هو؟ قال: «نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً، وجعلت أمتي خير الأمم»[4].

(د) خاتم النبوة:

وضَّـح علي رضـي الله عنه من جملة وصـفه لرسـول الله ﷺ وجود دلالة من أبرز الدلائل الحسـية على نبوته ﷺ ؛ حيث

([1]) مسند أحمد (151/2) تحقيق أحمد شاكر ، إسناده صحيح.

([2]) منهج علي في الدعوة إلى الله ، ص117 ، فتح الباري (158/6).

([3]) البخاري ، كتاب المناقب (281/2). والقوم المذكورون: هم الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب في خلافته ، وسيأتي الحديث عنهم بالتفصيل بإذن الله.

([4]) البخاري ، رقم 335.

يقول: بين كتفيه خاتم النبوة[1]. وهذه العلامة كان أهل الكتاب يعرفونها له، وهي شيء بارز أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قُلل قدر بيضة الحمامة، وإذا كبر جمع اليد[2].

(هـ) سلام الجبال على النبيﷺ :

أخبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذه الدلالة حيث قال: كنت مع النبيﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل، ولا شجر، إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله[3].

3- الترغيب في هدي النبيﷺ :

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرغِّب المسلمين في لزوم هدي النبيﷺ، فقد قال في خطبة له في الربذة[4]: الزموا دينكم، واهتدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردّوه[5].

وبعد رجوع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قتال الخوارج، خطب أصحابه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر، وقد ضَمَّن هذه الخطبة الأمر بالتزام هدي النبيﷺ والترغيب فيه، حيث يقول: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن[6].

ولم تشغل الفتن الداخلية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه التي حصلت في عهده عن دعوة أصحابه إلى كل خير، ونهيهم عن كل شر[7]، وتحذيرهم من البدع؛ ومن قوله في هذا الشأن: إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدثة بدعة، وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيَّع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة[8].

4- بيان فضله، وبعض حقوقه على أمته ﷺ :

بيّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معرض حديثه للمسلمين فضائل النبيﷺ ؛ ومما قاله في هذا المجال: فكان مما أكرم الله به عز وجل هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة؛ أن بعث إليهم محمداً ﷺ، فعلمهم الكتاب والحكمة

---

(1) مصنف بن أبي شيبة (513/11) ، البخاري ، كتاب المناقب.

(2) فتح الباري (561/6-563).

(3) سنن الترمذي ، كتاب المناقب (593/5)؛ المستدرك (620/2) صحيح الإسناد.

(4) من قرى المدينة على ثلاثة أميال معجم البلدان (24/3).

(5) البداية والنهاية (246/7)؛ تاريخ الطبري.

(6) البداية والنهاية (319/7).

(7) البداية والنهاية (319/7).

(8) البداية والنهاية (319/7).

والفرائض والسنة، لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا، وزكاهم لكيما يتطهروا، ورفَّههم لكيما لا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه، قبضه الله عز وجل صلوات الله عليه ورحمته وبركاته[1]، وإليك بعض حقوقه ﷺ :

(أ) وجوب الصدق عنه، والتحذير من الكذب عليه:

حذر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الكذب على رسول الله ﷺ ؛ فعن ربعي بن حراش، قال: سمعت علي بن أبي طالب رضـي الله عنه يقول: قال النبيﷺ : «لا تكذبوا عليَّ ؛ فإنه من كذب علي فليلج النار». وحذر أمير المؤمنين علي رضـــي الله عنه من نقل الكذب – وهو يعلم أنه كذب – فيما يرويه عن النبيﷺ، قال: «من حدث عني حديثاً، وهو يرى أنه كذب؛ فهو أحد الكاذبين»[2].

(ب) البعد عن أسباب تكذيبه:

أرشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الناس إلى البعد عن الأمر الذي يكون سبباً في تكذيب رسول اللهﷺ، كتحديث الناس بما لا تدركه عقولهم، من أقوال رســول الله ﷺ، فقد قال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسـوله؟[3]، ومعنى الحديث: بما يعرفون: أي: يفهمون فيه دليل على أن المتشـابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة. وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السـلطان، ومالك في أحاديث الصــفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين، وأن المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة، وضابط ذلك: أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصــل غير مراد، فالإمســاك عنه عند من يخشــى عليه الأخذ بظاهره مطلوب[4].

(د) الصلاة عليه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [5] **[الأحزاب:56]**.

وهذا إخبار من الله ســـبحانه وتعالى بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي

---

(1) البداية والنهاية (262/7).

(2) صحيح سنن ابن ماجه (13/1) قال الألباني: صحيح.

(3) البخاري ، كتاب العلم (46/1).

(4) فتح الباري (425/1) باب من خص بالعلم قوم دون قوم.

(5) صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة. وصلاة الملائكة: الدعاء.

والسفلي جميعاً [1]، ويؤكد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذا الحق لرسول الله ﷺ بوصْفِ من لم يُصلِّ على رسول الله ﷺ عند سماع ذكره بالبخل،فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، حيث قال: «لبخيل الذي ذكرت عنده فلم يصلِّ عَليَّ» [2].

(هـ) محبته لرسول الله ﷺ :

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

فالآية نصت على وجوب محبة الله ورسوله، وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل محبوب، ولا خلاف في ذلك بين الأمة [3].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

ففي هذه الآية إشارة ضمنية إلى وجوب محبة النبيﷺ، لأن الله تبارك وتعالى قد جعل برهان محبته تعالى ودليل صدقها هو اتباع النبيﷺ، وهذا الاتباع لا يتحقق ولا يكون إلا بعد الإيمان بالنبيﷺ والإيمان به لابد من تحقق شروطه التي منها محبة النبيﷺ ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «فو الذي نفسي بيده ! لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده» [4].

ومما لا ريب فيه أن حظ الصحابة من حبه ﷺ كان أتم وأوفر، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة، وهم بقدره ﷺ ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم، فبالتالي كان حبهم له ﷺ أشد وأكبر [5]، وقد سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وابائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ [6]. وهذه الخصوصية المطلقة ليست لأحد غير رسول الله ﷺ .

---

(1) تفسير ابن كثير (508/3)؛ منهج علي بن أبي طالب في الدعوة ، ص129.
(2) صحيح سنن الترمذي (177/3) صحيح.
(3) تفسير القرطبي (95/8).
(4) البخاري ، رقم 4؛ فتح الباري (58/1).
(5) حقوق النبي على أمته (314/1).
(6) الشفا (568/2) للقاضي عياض.

5- المعرفة الدقيقة الشاملة لملامح الشخصية النبوية:

لقد ساعدت الصلة الأسرية، والمعايشة الطويلة القريبة، والتتبع الدقيق لما خصّ الله به نبيه من نفسية نبوية، ومكارم أخلاق، وميول واتجاهات، أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على معرفته الدقيقة الشاملة للشخصية النبوية وخصائصها، والقدرة على وصفها، والتنويه بجوانب دقيقة في سيرته وخلقه، يلاحظ ذلك فيما روى عنه من وصفه رسول الله ﷺ وحليته وخلقه وسلوكه[1].

(أ) بيان خَلْقِه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، شثن الكفين[2] والقدمين، مشرب وجهه حمرة، طويل المِسْرُبَة[3]، ضخم الكراديس[4]، إذا مشى تكفَّأ تكفِّياً، كأنما ينحط من صبب[5]، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[6] . وعن محمد بن علي عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس، عظيم العينين، هَدِبَ الأشفار[7] - قال حسن[8]: الشّفَار -، مشرب العينين بحمرة، كث اللحية، أزهر اللون، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى كأنما يمشي في صَعَد -قال حسن: تفكأ -، وإذا التفت التفت جميعاً [9].

وعند الترمذي: عن محمد من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان علي (رضي الله عنه) إذا وصف النبيﷺ قال: لم يكن بالطويل الممغط[10]، ولا بالقصير المتردد[11]، وكان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط[12]، ولا بالسَّبط، كان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطَهَّم[13] ولا بالمكَلثم[14]، وكان في الوجه تدوير، أبيض مشرب، شثن الكفين والقدمين، إذا

---

(1) المرتضى ، ص39 إلى 43.

(2) أي: خشن الكفين غليظها. الصحاح للجوهري (2142/5).

(3) الشعر المستدق: الذي يأخذ من الصدر إلى السرة.

(4) الكردُوس: كل عظم تام ضخم فهو كردوس ، وكل عظمين التقيا في مفصل ، فهو كردوس ، وأراد علي أنه ﷺ ضخم الأعضاء.

(5) الصبب: هو الموضع المنحدر ، وهذه الصفة من المشي تعني: أن النبي ﷺ كان قوياً ، فإذا مشى فكأنما يمشي على صدور قدميه من القوة.

(6) مسند أحمد ، تحقيق أحمد شاكر (107/2) ، إسناده صحيح ، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(7) هي حروف الأجفان ، وأصول منابت الشعر في الجفن التي تلتقي عند التغميض.

(8) حسن بن موسى الراوي عن حماد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي.

(9) مسند أحمد ، تحقيق أحمد شاكر (130/2) ، إسناده صحيح.

(10) الممغط: الذاهب طولاً.

(11) المتردد: الداخل بعضه في بعض قصراً.

(12) القطط: الشديد الجعودة.

(13) المطهم: البادن الكثير اللحم.

(14) المكلثم: المدور الوجه.

مشى تقلع، كأنما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت[1] معاً.

كما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيَّن صفة من صفات جسد النبيﷺ بعد موته، أمراً لم يعرفه غيره – وربما من كان يغسله معه[2]– من طهارة بدنه ونقائه بعد موته، حيث يقول: غسلت رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر ما يكون من الميت؛ فلم أر شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً ﷺ [3].

وكان علي رضي الله عنه يقول وهو يغسله: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حياً وميتاً [4].

(ب) بيان خُلُقِه:

تحدث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن أخلاق رسول الله ﷺ، فقال: كان أجود الناس كفاً، وأشرحهم صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة[5]، وأكرمهم عشـرة، من راه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله[6]. وأخبرنا عن شجاعة الرسول ﷺ، وقوة بأسه، وأن علياً ومن كان معه مع شجاعتهم أيضاً وقوة بأسهم التي سطرتها أخبار المغازي، كانوا إذا اشتدت الحرب يلوذون برسول الله ﷺ، فيقـول علي رضي الله عنه: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسـول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشـد الناس يومئذ بأسـاً[7] . وفي رواية أخرى: كنا إذا احمرَّ البأس، ولقي القومُ القومَ؛ اتقينا برسـول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه[8] . وبين علي رضـي الله عنه من أخلاق رسـول الله ﷺ من الرحمة والكرم والشـجاعة، والتواضـع، ما ورد في وصـفه لرسـول الله ﷺ لليهود الذين طلبوا منه ذلك؛ حيث يقول: كان أرحم الناس بالناس، لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالكريم الكريم، أشـجع الناس، وأبذلهم كفاً، وأصبحهم وجهاً، لباسه العباء، وطعامه خبز الشعير، وإدامه اللبن، ووساده الأدم محشو بليف النخل، سريره أم غيلان مرمل بالشـريف[9]، كان له عمامتان: إحداهما تدعى السـحاب[10]، والأخرى العقاب، وكان سـيفه ذا الفقار[11]، ورايته

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب المناقب (599/5) حسن غريب إسناده غير متصل.

(2) كالعباس ، والفضل ، وقثم بن عباس يقلبونه.

(3) صحيح سنن ابن ماجه للألباني (247/1)؛ الحاكم في المستدرك (59/3) ، واللفظ له :صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

(4) السيرة النبوية لابن هشام (662/2).

(5) العريكة : الطبيعة ، وفلان لين العريكة: إذا كان سلساً. انظر: منهج علي بن أبي طالب ، ص110.

(6) وهو تتمه للحديث السابق.

(7) مسند أحمد (64/2) ، تحقيق أحمد شاكر ، إسناده صحيح.

(8) مسند أحمد (343/2) ، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(9) قال ابن القيم في زاد المعاد: كان رسول الله ينام على الفراش تارة ، وعلى النطع تارة ، وعلى الحصير تارة ، وعلى الأرض تارة ، وعلى السرير تارة بين رماله ، وتارة على كساء أسود زاد العماد (155/1). السرير المرمل: أي المنسوج. لسان العرب (295/11).

(10) وهي العمامة التي كساها علياً (زاد المعاد :/135/1).

(11) للرسول تسعة أسياف؛ منها ذو الفقار تنفله يوم بدر (زاد المعاد: 130/1).

الغراء، وناقته العضباء[1]، وبغلته دلدل[2]، وحماره يعفور، وفرسه مرتجز[3]، وشاته بركة ، وقضيبه الممشوق[4]، ولواؤه الحمد، وكان يعقل البعير، ويعلف الناضح[5]، ويرقع الثوب، ويخصف النعل[6].

6- نماذج من اتباع أمير المؤمنين للسنة:

كان أمير المؤمنين علي رضـي الله عنه شـديد الحرص على الاقتداء بالنبيﷺ، وحياته العملية خير دليل على ذلك. وهذه بعض الأمثلة المتنوعة التي كان يتبع فيها النبيﷺ ولا يفرق بين صغيرة ولا كبيرة.

- دعاء الركوب على الدواب:

عن عبد الرزاق: أخبرني من شهد علياً حين ركب، فلما وضع رجله في الركاب، قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين، وإنا إلى ربّنا لمنقلبون، ثم حمد ثلاثاً وكبَّر ثلاثاً، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك، قال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبيﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبيَّ الله؟ قال: «العبد -أو قال: عجبت للعبد- إذا قال: لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو»[7].

- الشرب قائماً، وقاعداً:

عن عطاء بن السائب عن زاذان: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه شرب قائماً، فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه، فقال: ما تنظرون[8]؟ إن أَشرَبْ قائماً، فقد رأيت النبيﷺ يشرب قائماً، وإن أشرب قاعداً، فقد رأيت النبيﷺ يشرب قاعداً[9].

---

(1) وهي غير القصواء المشهورة. والعضباء: هي التي كانت لا تسبق.
(2) بغلة شهباء أهداها له المقوقس ، وله غيرها (زاد المعاد:134/1).
(3) زاد المعاد (133/1). ملك سبعة من الخيل متفق عليها.
(4) إنه من الشوحط ، وهو الذي كان يتداوله الخلفاء.
(5) الناضح: البعير الذي يستقى عليه الماء (لسان العرب 619/2).
(6) الرياض النضرة في مناقب العشرة (163/2).
(7) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم 930 حسن لغيره.
(8) في رواية: ما تنكرون.
(9) مسند أحمد ، رقم 1128 ، إسناده حسن.



– تعليم وضوء رسول الله ﷺ :

عن عبد خير: عَلَّمَنا عليٌّ رضي الله عنه وضوء رسول الله ﷺ، فصبَّ الغلام على يديه حتى أنقاهما، ثم أدخل يده في الركوة، فمضمض، واستنشق، وغسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه إلى المرفقين ثلاثاً ثلاثاً، ثم أدخل يده في الرَّكوة فغمز أسفلها بيده ثم أخرجها فمسح بها الأخرى، ثم مسح بكفيه رأسه مرة، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاثاً ثلاثاً، ثم اغترف هُنيَّة من ماء بكفِّه فشربه، ثم قال: هكذا كان رسول الله يتوضأ[1].

– نهي رسول الله ﷺ لعلي عن أشياء:

عن عبد الله بن حنين، عن أبيه، قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: نهاني رسول الله ﷺ : عن تختُّم الذهب، وعن لُبْس القَسِّ والمِعصْفَر، وقراءة القرآن وأنا راكع، وكساني حُلَّة سِيَرَاء، فخرجت فيها، فقال: يا عليُّ، إنِّي لم أَكْسُكَها لتَلْبَسَها، قال: فرجعت بها إلى فاطمة، فأعطيتها ناحيتها، فأخذت بها لتطويها معي، فشققتها بثنتين، قال: فقالت: تربت يداك يابن أبي طالب، ماذا صنعت؟! قال: فقلت لها: نهاني رسول الله ﷺ عن لُبْسها، فالبسي واكسي نساءك[2].

– الذنوب والمغفرة:

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب به، فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستر الله عليه، وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه»[3].

– إنما الطاعة في المعروف:

عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً، وأمَّر عليهم رجلاً، فأوقد ناراً، فقال: ادخلوها، فأراد ناس أن يدخلوها، وقال اخرون: إنما فررنا منها. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: «لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة». وقال للاخرين قولاً حسناً، وقال: «لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»[4]. والحديث يبين بأن الطاعة للحكام مقيدة بطاعة الله ورسوله، والطاعة المطلقة ليست لأحد إلا لله ورسوله ﷺ .

---

(1) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم 876 ، صحيح لغيره ، إسناده حسن.

(2) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم 710 إسناده حسن.

(3) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم 1365 إسناده حسن.

(4) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم 724، إسناده صحيح.

– لا يأتي على الناس مئة سنة وعلى الأرض عين تطرف:

دخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري على عليِّ بن أبي طالب، فقال له عليٌّ:

أنت الذي تقول: لا يأتي على الناس مئة سنة وعلى الأرض عين تطرف ؟! إنما قال رسول الله ﷺ : «لا يأتي على الناس مئة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هو حيٌّ اليوم»، والله إن رخاء هذه الأمة بعد مئة عام[1].

– دعاء الرسول ﷺ لأهل المدينة بالبركة:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالحَرَّة بالسُّقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، قال رسول الله ﷺ : «ائتوني بوضوء»، فلما توضَّأ قام فاستقبل القبلة، ثم كبَّر، ثم قال: «اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك؛ دعا لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مُدَّهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين»[2].

– دعاء الكرب:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: علَّمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله، وتبارك الله ربالعرش العظيم، والحمد لله رب العالمين»[3]. والحديث يرشد إلى ضرورة التعلق بالله وحده، والاعتماد عليه، والالتجاء إليه، فلا يكشف الكرب إلا هو سبحانه، ولا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الذي خلقه، فلا ملجأ من الله إلا إليه؛ ففيه إرشاد وتعليم إلى كل مسلم بأن يعتمد على الله في كل أحواله وشأنه.

– ما أسرَّ إليَّ شيئاً كتمته عن الناس:

عن أبي الطُّفيل، قال: قلنا لعليٍّ: أخبرنا بشيء أسرَّه إليك رسول الله ﷺ . فقال: ما أسرَّ إليَّ شيئاً كتمته عن الناس، ولكن سمعته يقول: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من اوى محدثاً، ولعن الله من لَعَن والديه، ولعن الله من غيَّر تُخُوم الأرض – يعني المنار –»[4]، ففي قوله ﷺ : «لعن الله»: اللعن من الله: الطرد والإبعاد عن رحمة الله. قوله: «من ذبح لغير الله»: يشمل كل من سوى الله حتى لو ذبح لنبي أو ملك، أو جني أو غيرهم، فلو كانت هذه الأمور هينة في دين الله لما وصلت إلى درجة يستحق فاعلها اللعن من رسول الله ﷺ .

---

(1) مسند أحمد ، رقم714 ، إسناده قوي.

(2) مسند أحمد ، رقم936 ، إسناده صحيح.

(3) مسند أحمد ، رقم701 ، حديث صحيح.

(4) مسند أحمد ، رقم855 ، إسناده قوي.

– إن الله رفيق يحب الرفق:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله رفيق يحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف»[1].

– تعجيل الصدقة[2] قبل أن تحل:

عن علي: أن العباس بن عبد المطلب سأل النبيﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تَحِلَّ؛ فرخَّص له في ذلك[3].

– العشر الأواخر من رمضان:

عن علي رضي الله عنه، قال: كان رسول الله يوقظ أهله في العشر الأواخر، ويرفع المِئزر[4].

ثانياً: الرواة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أعلم الصحابة بالسنة في عهده، إذ روي أنه ذُكر علي عند عائشة، فقالت: أما إنه أعلم من بقي في السنة[5]، ومع ذلك فقد روي أنه روى عن النبيﷺ خمسمئة وستة وثمانين حديثاً[6]، وهو أقل مما رواه بعض الصحابة عن النبيﷺ لأسباب ؛ منها:

1- انشغاله بالقضاء والإمارة والحروب التي جعلته لا يتفرغ للفتيا وعقد حلقات الدروس التي كانت سبباً في انتشار علم بعض الصحابة، كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس.

2- ظهور أهل الأهواء والبدع من الذين أفرطوا فيه، والذين فرطوا به كان سبباً في كثرة الكذب عليه، لذلك بذل العلماء جهدهم في معرفة صحة الطرق الموصلة إليه.

3- كثرة الفتن في زمانه، وانشغال بعض الناس بها حال دون ثقته رضي الله عنه بمن يضع فيه علمه، إذ روي عنه أنه قال: إن ههنا علماً لو أصبت له حملة[7].

---

(1) مسند أحمد ، رقم902 ، حديث حسن الشواهد.

(2) تعجيل الصدقة؛ أي: تعجيل الزكاة.

(3) مسند أحمد ، رقم822 ، إسناده حسن.

(4) مسند أحمد ، رقم1115 ، إسناده حسن (195/3). الموبقات: جمع موبقة ، وهي المهلكة.

(5) الطبقات (338/2).

(6) تاريخ الخلفاء ، ص171.

(7) فقه الإمام علي (3/1) نقلاً عن إعلام الموقعين.



وقد لاحظنا في منهج أمير المؤمنين في الرواية وقبول الحديث ما يأتي:

1- الحذر من الكذب على النبيﷺ ؛ إذ هو أحد الرواة لقوله ﷺ : «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

2- الاستيثاق من الرواية ؛ فإنه كان يحلّف الراوي عليها، فقد روي عنه أنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وكان إذا حدثني غيره استحلفته، فإذا حلف صدقته[2].

3- عدم رواية المنكر والشاذ من الحديث؛ إذ ورد عنه أنه قال: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون؛ أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟!![3]. وقد روى علي رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر والمقداد بن الأسود وزوجته فاطمة.

وروى عن علي خلق كثير من الصحابة والتابعين وأهل بيته، فمن أشهر من روى عنه من الصحابة هم:

1- أبو أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري، من بني حارثة، وهو ابن اخت أبي بردة، له عن النبيﷺ ثلاثة أحاديث، وهو الذي أمره الرسول ﷺ أن يقيم على أمه يوم بدر[4].

2- أبو رافع القبطي مولى رسول الله ﷺ، يقال: اسمه إبراهيم، وقيل: سنان، وقيل: يسار. قال ابن عبد البر: أشهر ما قيل في اسمه: أسلم، مات في عهد علي بن أبي طالب سنة 40 هـ[5].

3- أبو سعيد الخدري؛ سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري، خرج مع رسول الله ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة، توفي سنة 74 هـ[6].

4- جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب الأنصاري السلمي، شهد صفين مع علي، وتوفي سنة 78 هـ، وكان من الحفاظ للسنن.

5- جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب العامري السوائي، حليف بني زهرة، وأمه خالدة بنت أبي وقاص، أخت سعد بن أبي وقاص، يكنى: أبا عبد الله، قال: صليت مع رسول الله ﷺ أكثر من ألفي مرة، نزل الكوفة وتوفي بها سنة 74هـ[7].

6- زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان، قيل: كنيته أبو عمر، وقيل: أبو عامر، مات بالكوفة سنة 66، وقيل: 68هـ.

7- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ابن أخ علي، ولد بأرض الحبشة، وهو أول مولود في الإسلام، توفي سنة 80 هـ،

---

(1) صحيح سنن ابن ماجه ،(13/1) وقال الألباني: صحيح.
(2) سنن ابن ماجه رقم 1395 ، إسناده صحيح.
(3) البخاري ، كتاب العلم (46/1).
(4) الاستيعاب (1601/1) أي: يقيم على خدمة أمه.
(5) سير أعلام النبلاء (16/2).
(6) الاستيعاب (1671/4).
(7) الاستيعاب (219/1).

وهو ابن تسعين سنة[1].

8- عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه قبل أن يبلغ الحلم، توفي في مكة، سنة 63 هـ، وهو ابن أربع وثمانين[2].

9- عبد الله بن مسعود بن غافل بن وائل الهذلي، من أوائل المسلمين، توفي 32 هـ[3].

10- عمرو بن حريث بن عثمان القرشي المخزومي، يكنى: أبا سعيد، رأى النبيﷺ وسمع منه، ومسح على رأسه ودعا له بالبركة، نزل الكوفة وكان له قدر وشرف، مات سنة 85 هـ[4].

- من روى عنه من أهل بيته:

روى عنه من أهل بيته كل من:

1- ولده الحسن بن علي، سبط رسول الله ﷺ .

2- ولده الحسين بن علي، سبط رسول الله ﷺ، قتل يوم عاشوراء سنة 61 هـ، وهو ابن 56 سنة[5].

3- ولده محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم المدني، المعروف بابن الحنفية، نسبة إلى أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة، قال العجلي: تابعي ثقة، كان رجلاً صالحاً يكنى أبا القاسم، ولد في ولاية عمر، ومات سنة 73، وقيل: 80، وقيل: 81، وقيل: 82، وقيل: 93 هـ[6].

4- حفيده محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، ذكره ابن حبان في الثقات[7].

5- حفيده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بزين العابدين، من سادات التابعين، وأمه سلافة بنت يزدجرد اخر ملوك فارس، أرسل عن جده علي بن أبي طالب، قال العجلي: مدني تابعي ثقة، توفي سنة 94 هـ، وكان عمره ثمان وخمسين سنة[8].

---

(1) الإصابة (276/4).
(2) وفيات الأعيان (236/2).
(3) الاستيعاب (988/2).
(4) الاستيعاب (1672/3).
(5) تهذيب التهذيب (357/2).
(6) تهذيب التهذيب (306/7).
(7) تهذيب التهذيب (82/2).
(8) تهذيب التهذيب (481/12) ، لسان الميزان (533/7).

6- ابن أخته جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم، وأمه أم هانئ بنت أبي طالب، ولد على عهد النبيﷺ، وله صحبة، ولي خراسان وسكن الكوفة. قال العجلي: مدني تابعي ثقة، روى عن علي[1].

7- سـريته أم موسـى، قيل: اسمها فاختة، وقيل: حبيبة، قال الدار قطني: حديثها مسـتقيم، وقال العجلي كوفية تابعية ثقة[2].

- أشهر من روى عن علي من التابعين:

1- أبو الأسود الدؤلي البصري، القاضي، واسمه: ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال: اسمه عمرو بن عثمان، ويقال: عثمان بن عمرو، أسلم على عهد النبيﷺ، وقاتل مع علي يوم الجمل، وثقه ابن معين والعجلي وغيرهما، وتوفي في ولاية عبيد الله بن زياد سنة 69 هـ[3].

2- أبو بردة بن أبي موسـى الأشـعري الفقيه، واسمه الحارث، وقيل: عامر، وثقه ابن سـعد والعجلي وابن حبان، وقال العجلي: كان على قضاء الكوفة بعد شريح، روى عن أبيه وعلي وحذيفة وعبد الله بن سلام وعائشة وغيرهم، قيل: مات سنة 83، وقيل: 104، وقيل: 107 هـ[4].

3- أبو عبد الرحمن السـلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرحمن السـلمي الكوفي القارئ، ولأبيه صـحبة، وثقه العجلي والنسـائي وأبو داود، روى عن عمر وعثمان وعلي وسـعد، وخالد بن الوليد وابن مسـعود وحذيفة وغيرهم، قيل: مات سنة 72 هـ، وقيل: 85، وهو ابن خمس وثمانين سنة، شهد مع علي صفي[5].

4- زر بن حبيش بن حبانة بن أوس الأسـدي، أبو مريم، ويقال: أبو مطرف الكوفي، عن ابن معين: أنه ثقة، مات سـنة 81 هـ، وقيل: 82، وقيل: 83، وهو ابن مئة وعشرين[6].

5- زيد بن وهب الجهني من قضـاعة، يكنى أبا سـليمان، من أجلّة التابعين وثقاتهم، متفق على الاحتجاج به، وثقه ابن معين وغيره، مات قبل سنة تسعين أو بعدها من ولاية الحجاج[7].

6- سـويد بن غفلة بن عوسـجة بن عامر يكنى أبا أمية، رحل إلى رسـول الله ﷺ، وقد قبض فلم يره، صـحب أبا بكر

---

(1) تهذيب التهذيب (10/12، 11).
(2) تهذيب التهذيب (19/12).
(3) تهذيب التهذيب (184/5).
(4) طبقات ابن سعد (104/6).
(5) طبقات ابن سعد (103/6).
(6) طبقات ابن سعد (67/6).
(7) طبقات ابن سعد (127/6).

وعمر وعثمان وعلياً، مات سنة 81، أو 82 هـ، وكان عمره 128 سنة[1].

7- شـريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك الحارثي المذحجي بن المقدام الكوفي، أدرك ولم ير، وهو من كبار أصحاب علي، قتل مع أبي بكرة بسجستان سنة 78 هـ[2].

8- عامر بن شـرحبيل بن عبد، وقيل: عامر بن عبد الله بن شـراحبيل الشـعبي والحميري، أبو عمرو الكوفي من شـعب همدان، روي عنه أنه قال: أدركت خمسمئة من الصحابة، وعن الحسن قال: كان والله كثير العلم، عظيم الحلم، قديم السلم، من الإسلام بمكان، وعن مكحول قال: ما رأيت أفقه منه. قال ابن عيينة: كانت الناس تقول بعد الصحابة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، ولد لست خلت من خلافة عمر، ومات سنة 109هـ.

9- عبد خير بن يزيد، ويقال: ابن بجيد بن جوى بن عبد عمرو بن عبد يعرب بن الصـائد الهمداني، أبو عمارة الكوفي، أدرك الجاهلية. قال العجلي: كوفي تابعي ثقة أهل بالكوفة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، قيل: عاش مئة وعشـرين سنة، وقتل في صفين[3].

10- عبد الرحمن بن أبي ليلى، واسمه يسـار، ويقال: بلال، ويقال: داود بن بلال بن بليل بن أصبحة بن الجلاح الحريش الأنصاري الأوسي، ولد لست بقين من خلافة عمر، روي عنه أنه قال: أدركت عشرين ومئة من الأنصار صحابة، وثقه ابن معين والعجلي، قيل: إنه أصيب سنة 71هـ، وقيل: 82 بالجماجم[4].

11- عبيدة السلماني، وهو عبيدة بن عمرو، ويقال: ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي، أبو عمرو الكوفي، أسلم قبل وفاة النبيﷺ بسنتين ولم يلقه. قال الشعبي: كان شريح أعلمهم بالقضاء، وكان عبيدة يوازيه. وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة[5].

12- عبد الله بن سلمة المرادي الكوفي، صاحب علي، كنيته أبو العالية. قال العجلي: كوفي تابعي ثقة. قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وعن عمرو بن مرة: يعرف وينكر، كان قد كبر. وقال يعقوب بن شيبة: ثقة[6].

13- عبد الله بن شـقيق العقيلي، وكنيته أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد البصـري، تابعي من أهل البصـرة، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى، وعن ابن معين أنه ثقة من خيار المسلمين لا يطعن في حديثه، وروي أنه كان مستجاب الدعوة،

([1]) تهذيب التهذيب (122/6).

(2) تهذيب التهذيب (124/6).

(3) تهذيب التهذيب (124/6).

(4) ميزان الاعتدال (584/20).

(5) طبقات ابن سعد (90/6)؛ تهذيب التهذيب (85/7).

(6) ميزان الاعتدال (409/2)؛ تهذيب التهذيب (542/5).

مات بعد المئة، وقيل: سنة 108 هـ [1].

14- علقمة بن قيس النخعي، وهو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة النخعي الكوفي، ولد في حياة الرسول ﷺ . وعن أحمد: ثقة من أهل الخير. وعن ابن معين: ثقة. روي أنه قرأ القرآن في ليلة، مات سنة 62 هـ، وقيل: 61 هـ، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

15- عمير بن سعيد النخعي الصهباني، أبو يحيى الكوفي. عن ابن معين: ثقة. ذكره ابن حبان في الثقات، له حديث عن علي في حد شارب الخمر، قال ابن سعد: مات سنة 115، وقيل: 107 هـ[2].

16- هانئ بن هاني الهمداني الكوفي. قال النسائي: ليس به بأس. ذكره ابن حبان في الثقات، وقيل: كان يتشيَّع، قال ابن المديني: مجهول، قال ابن سعد: كان منكر الحديث، وعن الشافعي: أهل الحديث لا ينسبون حديثه لجهالة حاله، ذكره ابن سعد في الطبقات الأولى في الكوفة، قال الذهبي: ليس به بأس[3].

17- يزيد بن شريك بن طارق التيمي الكوفي، وعن يحيى بن معين: ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، قال ابن سعد: كان ثقة وكان عريف قومه، يقال: إنه أدرك الجاهلية، روى عن عمر وعلي وأبي ذر وابن مسعود وحذيفة[4].

هذه إشارات عابرة عن الرواة عن علي رضي الله عنه، ولمن أراد المزيد، فليراجع رسالة الدكتور أحمد محمد طه (فقه الإمام علي بن أبي طالب) ؛ المقدمة في جامعة بغداد ولم تنشر حتى الآن.

---

(1) تهذيب التهذيب (253/5).

(2) تهذيب التهذيب (146/8) ، سير أعلام النبلاء (443/4).

(3) الكاشف للذهبي (218/3).

(4) المصدر السابق نفسه (280/3).

المبحث الخامس: أهم أعمال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما بين الهجرة والأحزاب

شرع رسول الله ﷺ بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية؛ فآخى بين المهاجرين والأنصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود، وبدأت حركة السرايا، واهتمَّ بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديد، وكان علي رضي الله عنه ملازماً له في كل أحواله، منفذاً لأوامره، متتلمذاً على هديه.

أولاً: المؤاخاة في المدينة:

آخى رسول الله ﷺ بين علي بن أبي طالب وسهل بن حنيف، وقد تحدّث بعض العلماء عن وجود مؤاخاة كانت في مكة بين المهاجرين، فقد أشار البلاذُرِيُّ إلى أن النبيﷺ آخى بين المسلمين في مكة ـ قبل الهجرة ـ على الحق والمواساة، فآخى بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال الحبشي، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وطلحة بن عُبيد الله، وبينه وبين علي بن أبي طالب[1].

ويعتبر البلاذري (ت 276 هـ) أقدم من أشار إلى المؤاخاة المكية، وقد تابعه في ذلك ابن عبد البر (ت 463 هـ) دون أن يصرح بالنقل عنه، كما تابعهما ابن سيد الناس دون التصريح بالنقل عن أحدهما[2] .

وقد أنكر ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم مع بعض، وكذب الأحاديث التي وردت في ذلك، ومنها حديث المؤاخاة بين النبيﷺ وعلي[3].

وذهب ابن القيم إلى عدم وقوع المؤاخاة بمكة، فقال: وقد قيل: إنه ـ أي: النبيﷺ ـ آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض، مؤاخاة ثانية، واتخذ فيها علياً أخاً لنفسه، والثبت الأول[4]، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام وأخوة الدار وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة، بخلاف المهاجرين مع الأنصار[5]، ولم تشر كتب السيرة الأولى المختصة إلى وقوع المؤاخاة بمكة،

([1]) أنساب الأشراف (270/1).
([2]) السيرة النبوية الصحيحة (40/1).
([3]) منهاج السنة (71/5) (361/7).
([4]) يعني: المؤاخاة في المدينة.
([5]) زاد المعاد(79/2).

والبلاذري ساق الخبر، بلفظ (قالوا) دون إسناد، مما يضعف الرواية، كما أن البلاذري نفسه ضعفه النقاد، وعلى فرض صحة هذه المؤاخاة بمكة؛ فإنها تقتصر على المؤازرة والنصيحة بين المتآخين دون أن تترتب عليها حقوق التوارث[1]، الذي نسخ بقول الله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 75]، فهذه الآية نسخت التوارث بموجب نظام المؤاخاة[2]، وبقيت النصرة والرفادة والنصيحة بين المتاخين[3].

وقد ذكر ابن كثير أن بعض العلماء ينكر مؤاخاة النبيﷺ لعلي، ويمنع صحته، وأن مستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض، وليتألف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبيﷺ لأحد منهم، ولا مهاجري لمهاجري اخر، ولكنه أشار إلى أنه قد يكون النبيﷺ أراد أن لا يجعل مصلحة علي إلى غيره، وبخاصة أنه كان ينفق عليه من صغره في حياة أبيه[4].

ولكنه عاد في موضع اخر فأشار إلى معظم الأحاديث التي تحدثت عن مؤاخاة النبيﷺ لعلي رضي الله عنه بأن أسانيدها كلها ضعيفة لا تقوم بها حجة[5]، وهناك مصادر ذكرت المؤاخاة بين النبيﷺ وعلي بدون إسناد؛ منها: محمد بن حبيب[6]، وابن الجوزي[7]، وابن الأثير[8].

إن التآخي الذي تم بين المهاجرين والأنصار في الفترة المدنية كان مسبوقاً بعقيدة تم اللقاء عليها، والإيمان بها، وكانت هي العمود الفقري للمؤاخاة التي حدثت، لأن تلك العقيدة تضع الناس كلهم في مصافِّ العبودية الخالصة لله، دون الاعتبار لأي فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح، إذ ليس من المتوقع أن يسود الإخاء والتعاون والإيثار بين أناس فرقتهم العقائد والأفكار المختلفة، فأصبح كل منهم ملكاً لأنانيته وأثرته وأهوائه[9].

وتعتبر سياسة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، نوع من السبق السياسي الذي اتبعه الرسول ﷺ في تأهيل المودة، وتمكينها في مشاعر المهاجرين والأنصار الذين سهروا جميعاً على رعاية هذه المودة، وذلك الإخاء، بل كانوا يتسابقون في تنفيذ

---

(1) السيرة النبوية الصحيحة (241/1).

(2) المصدر السابق نفسه ،(246/2).

(3) التاريخ الإسلامي للحميد (25/4).

(4) البداية والنهاية (226/3). ومن أراد التوسع فلينظر: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري ، عبد العزيز نورولي ، ص293 إلى 298.

(5) البداية والنهاية (348/7).

(6) المحبر ، ص70.

(7) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (74/3).

(8) أسد الغابة في معرفة الصحابة (588/3، 601).

(9) فقه السيرة للبوطي ، ص148.



بنوده[1]، ولا سيما الأنصار الذين لا يجد الكتّاب والباحثون مهما تساموا إلى ذروة البيان خيراً من حديث الله عنهم[2]؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

ثانياً: حركة السرايا:

بمجرد الاستقرار الذي حصل للمسلمين بقيادة الرسول ﷺ في المدينة بدأت حركة السرايا التي استهدفت بسط هيبة الدولة في الداخل والخارج، وكسب بعض القبائل، وتحجيم دور الأعراب، وتربية الصحابة على الإعداد القتالي للغزوات الكبرى، وحركة الفتوحات، وميداناً لصناعة القادة عملياً، وقد شارك في هذه السرايا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؛ في التي حدثت قبل بدر وما بعدها.

وأما التي شارك فيها قبل غزوة بدر الكبرى؛ فمنها:

1- غزوة العشيرة[3]:

وفيها غزا ﷺ قريشاً، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وسميت هذه الغزوة بغزوة العشيرة، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الاخرة، وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وذلك أن العير التي خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام ذاهبة إلى الشام[4]، فساحلت على البحر، وبلغ قريشاً خبرها فخرجوا يمنعونها، فلقوا رسول الله ﷺ ووقعت غزوة بدر الكبرى[5].

وقد حدثنا عمار بن ياسر عن مشاركته وعلي رضي الله عنهما في تلك الغزوة، فعن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة العشيرة، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها؛ رأينا ناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي: يا أبا اليقظان ! هل لك أن تأتي هؤلاء فتنظر كيف يعملون؟ فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلي، فاضطجعنا في صور من النخل، في دقعاء[6]من التراب، فنمنا فوالله، ما أهبّنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تَتَرَّبنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا أبا تراب» لما رأى عليه من التراب، قال: «ألا

---

(1) فصول من السيرة النبوية ، د. عبد المنعم السيد ، ص200.
(2) هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة للجمل ، ص524.
(3) العشيرة: ناحية من نواحي ينبع ، بين مكة والمدينة.
(4) طبقات ابن سعد (10/2).
(5) المصدر السابق نفسه (11/2).
(6) الدقعاء: الأرض التي لا نبات فيها. القاموس (22/3).

أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟» فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه ــ يعني: قرنه ــ حتى تُبَلّ منه هذه ــ يعني: لحيته ــ[1]»، وقد تكرر نداء رسول الله ﷺ لعلي بأبي تراب، وسيأتي الحديث عنه.

2- غزوة بدر الأولى:

سببها: أن كرز بن جابر الفهري، قد أغار على سَرْح[2] المدينة، ونهب بعض الإبل والمواشي، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، حتى بلغ وادياً يقال له: (سفوان) من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، فلم يدركه، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة[3]، وقد أعطى الحبيب المصطفى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لواءه الأبيض[4] .

وتعتبر حركة السرايا بداية الجهاد القتالي ضد أعداء الدعوة، ومع حركة السرايا والبعوث والغزوات التي خاضها رسول الله ﷺ ضد المشركين ظهرت جلياً سنة التدافع التي تعامل معها النبي ﷺ وأصحابه؛ ومن بينهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهذه السنة متعلقة تعلقاً وطيداً بالتمكين لهذا الدين، وقد أشار الله تعالى إليها في كتابه العزيز، وجاء التنصيص عليها في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251]، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40].

ثالثاً: غزوة بدر:

1- قال النووي – رحمه الله –: وأجمع أهل التواريخ على شهوده بدراً، وسائر المشاهد غير تبوك، قالوا: وأعطاه النبي ﷺ اللواء في مواطن كثيرة[5].

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد المجاهدين الذين شاركوا في غزوة بدر، ولنتركه يقصُّ علينا خبر هذه الغزوة، فعن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: وكان النبي ﷺ يتخبَّر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، رجلاً من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم، فيقول: هم والله

---

(1) فضائل الصحابة (855/2) ، رقم 1172 ، إسناده حسن.

(2) السرح: الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.

(3) سيرة ابن هشام (601/2).

(4) تاريخ الإسلام للذهبي (48/2)؛ علي بن أبي طالب للرفاعي, ص89.

(5) تهذيب الأسماء واللغات (245/1).

كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبيﷺ، فقال له: «كم القوم؟»، قال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد النبيﷺ أن يخبره كم هم، فأبى، ثم إن النبيﷺ سأله: كم ينحرون من الجزر، فقال: عشراً كل يوم. فقال رسول الله ﷺ : القوم ألف، كل جزور لمئة وتبعها.

ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل ويقول: «اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد ...» قال: فلما طلع الفجر نادى: «الصلاة عباد الله»، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ، وحرض على القتال، ثم قال: إن جمع قريش تحت هذه الضِّلع الحمراء من الجبل. فلما دنا القوم منا وصافقناهم، إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول اللهﷺ : يا علي، نادِ حمزة، وكان أقربهم من المشركين: من صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟ ثم قال رسول الله ﷺ: إن يكن في القوم أحد يأمر بخير، فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم ! إني أرى قوماً مُستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم أعصبوها اليوم برأسي، وقولوا: جَبُن عُتْبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم. قال: فسمع ذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول هذا؟! والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته، قد ملأت رئتك وجوفك رعباً. قال عتبة: إياي تُعَيّر يا مُصَفِّرَ اسْتِهِ؟ ستعلم اليوم أينا الجبان. قال: فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بني عمنا، من بني عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ : قم يا علي، قم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب. فقتل الله تعالى عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة.

فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين، فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح، من أحسن الناس وجهاً، على فرس أبلق، ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: «اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم». فقال علي: فأسرنا من بني عبد المطلب: العباس، وعقيلاً، ونوفل بن الحارث[1].

ومن وصف علي رضي الله عنه لغزوة بدر نلاحظ دروساً، وعبراً، وفوائد كثيرة يمكن الرجوع إليها في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث.

([1]) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم948 ، إسناده صحيح.

2- ما قيل من أشعار في بطولة علي ببدر:

كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبي طلحة، فقتله علي رضي الله عنه، فقال الحجاج بن علاط السلمي في ذلك:

لله أي مذنب عن حربه ... أعني ابنَ فاطمةَ المعمَّ المخوِلا
جادتْ يداك لَهُ بعاجلِ طَعْنَةٍ ... تَرَكَتْ طليحةَ للجبين مُجَنْدلا
وشددتَ شدةَ باسلٍ فكشفتَهُم ... بالحقِّ إذ يهوون أخولَ أخولا
وعللتَ سيفَكَ بالدماء ولم تكنْ ... لتردَّهُ حرَّان حتى يَنْهَلا [1]

رابعاً: زواج علي من فاطمة رضي الله عنهما:

هي فاطمة بنت إمام المتقين سيد ولد ادم رسول الله ﷺ، وأمها خديجة بنت خويلد، كانت تكنى بأم أبيها[2]، ولدت رضي الله عنها قبل البعثة سنة خمس وثلاثين من مولد النبيﷺ [3]، زوَّجها النبيﷺ علي بن أبي طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم، وكانت وفاتها بعد وفاة النبيﷺ بستة أشهر، فرضي الله عنها وأرضاها[4].

1- مهرها وجهازها:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خطبتُ فاطمة إلى رسول الله ﷺ، فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ ؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك. فقلت: وعندي شيء أتزوج به ؟! فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك. قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة. فقال رسول الله ﷺ : «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟» فسكت، فقال: «لعلك جئت تخطب فاطمة؟» فقلت: نعم، فقال: «وهل عندك من شيء تستحلها؟» فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: «ما فعلت درع سلحتكها؟» فوالذي نفس علي بيده ! إنها لحطمية ما قيمتها أربعمئة درهم، فقلت: عندي، فقال: «قد زوجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها»، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول اللهﷺ [5].

---

[1] البداية والنهاية (379/7).
[2] أسد الغابة (520/5)؛ الإصابة (365/4).
[3] الطبقات لابن سعد (26/8).
[4] حلية الأولياء (39/2، 43)؛ سير أعلام النبلاء (118/2، 134)؛ العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ، د.سليمان السحيمي ، ص132.
[5] دلائل النبوة للبيهقي (160/3) ، إسناده حسن.

وقد جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل[1]، وقربة، ووسادة أدم[2] حشوها إذخر[3]. [4]، وقد جاء في روايات الشيعة: فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربعمئة درهم من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال: يا أبا الحسن، ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم، وأقبلت إلى رسول الله ﷺ فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له النبيﷺ بخير[5].

2- زفافها:

قالت أسماء بنت عميس: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبيﷺ إلى الباب فقال: «يا أم أيمن ! ادعي لي أخي» فقالت: هو أخوك وتنكحه؟! قال: «نعم يا أم أيمن»، قالت: فجاء علي، فنضح النبيﷺ عليه من الماء، ودعا له، ثم قال: «ادعو إلي فاطمة» قالت: فجاءت تعثر من الحياء، فقال لها رسول الله ﷺ : «اسكتي فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إلي»، قالت: ونضح النبيﷺ عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثم رجع رسول الله ﷺ فرأى سواداً بين يديه، فقال: «من هذا؟» فقلت: أنا، قال: «أسماء؟» قلت: نعم، قال: «أسماء بنت عميس؟» قلت: نعم، قال: «جئت في زفاف بنت رسول الله تكرمة له؟» قلت: نعم، قالت: فدعا لي[6].

3- وليمة العرس:

عن بريدة قال: لما خطب علي فاطمة، قال رسول الله ﷺ : «إنه لا بد للعُرس[7]من وليمة»، قال: فقال سعد: عليَّ كبش، وجمع له رهط من الأنصار اصعاً من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: «يا علي لا تحدث شيئاً حتى تلقاني». فدعا النبيﷺ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي، فقال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما، وبارك في شبلهما»[8].

---

(1) خميل: القطيفة.

(2) الأدم: الجلد.

(3) إذخر: نبات.

(4) صحيح السيرة النبوية ، ص667؛ مسند فاطمة الزهراء وما ورد في فضلها للسيوطي ، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي ، ص189.

(5) كشف الغمة للأربلي (359/1)؛ بحار الأنوار للمجلس ، ص39 نقلاً عن الشيعة وأهل البيت ، ص137 ، 138.

(6) فضائل الصحابة (955/2) ، رقم 342 ، إسناده صحيح.

(7) للعرس: أي للعروس.

(8) المعجم الكبير للطبراني ، رقم 1153 ، فضائل الصحابة (858/2) ، إسناده صحيح.

4- معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما:

كانت معيشة علي وفاطمة وهما أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فقد أخرج هناد عن عطاء، قال: نبئت أن علياً رضـي الله عنه قال: مكثنا أياماً ليس عندنا شـيء، ولا عند النبيﷺ، فخرجت فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق، فمكثت هنيهة أؤامر نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجهد، فأعطيت به الضفاطين[1]، فاشتريت به دقيقاً، ثم أتيت به فاطمة فقلت: اعجني واخبزي، فجعلت تعجن وإن قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها، ثم خبزت، فأتيت النبيﷺ فأخبرته، فقال: «كلوه فإنه رزق رزقكموه الله عز وجل»[2]. وعن الشعبي، قال: قال علي رضـي الله عنه: تزوجت فاطمة بنت محمد رسـول الله ﷺ ومالي ولها فراش غير جلد كبش تنام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، ومالي خادم غيرها[3].

وعن مجاهد: قال علي: جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً، فظننتها تريد بَلَّة[4]، فأتيتها فقاطعتها[5] كلَّ ذنوب[6] على تمرة، فمددت سـتة عشـر ذنوباً، حتى مجلت يداي[7]، ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت بكفي هكذا بين يديها[8]، فعدت لي ست عشرة تمرة، فأتيت النبيﷺ، فأخبرته، فأكل معي منها[9].

في هذا الخبر بيان لشدة الحال التي مر بها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في المدينة، ونأخذ منه صورة من السلوك المشروع في مواجهة الشـدائد، حيث خرج علي رضـي الله عنه للعمل بيديه للكسـب المشـروع، ولم يجلس منتظراً ما تجود به أيدي المحسـنين، وصـورة أخرى من قوة التحمل، حيث قام بذلك العمل الشـاق وهو يعاني من شـدة الجوع ما يضـعف قوته، وصورة أخرى من إيثار الأحبة والوفاء لهم، فهو على ما به من شـدة الجوع، وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشـاق، قد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقي النبيﷺ فأكل معه[10].

---

(1) الضفاطون: الحمالون والمكارون الذين يجلبون الدقيق من الخارج.

(2) كنز العمال (328/7) ، المرتضى للندوي ، ص41.

(3) كنز العمال (133/7) ، المرتضى للندوي ، ص41.

(4) المدر: يعني الطين اليابس ، تريد بلة: يعني الماء.

(5) فقاطعتها: أي: اتفقت معها على أجرة.

(6) ذنوب: دلو.

(7) مجلت: تورمت من العمل.

(8) يعني: بسطهما وضمهما.

(9) صفة الصفوة (320/1) ، الموسوعة الحديثية ، مسند أحمد ، رقم 1135 ، إسناده ضعيف لانقطاعه.

(10) التاريخ الإسلامي للحميدي (49/19 ، 50).

5- زهد السيدة فاطمة وصبرها:

كانت حياتها في غاية البساطة، بعيدة عن التعقيد، وهي إلى شظف العيش أقرب منها إلى رغده[1]، وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب، وموقف رسول الله ﷺ منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادماً من السبي.

قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت[2]، حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وجاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه[3]، فقالت: أنا والله قد طحنت حتى مجلتْ يداي، فأتيت النبيﷺ فقال: «ما جاء بك أي بنية ؟». قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال علي: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتينا جميعاً. فقال علي: يا رسول الله ! والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي[4]، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ : «والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى[5]بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم»، فرجعا فأتاهما النبيﷺ وقد دخلا في قطيفتهما؛ إذا غطت رؤوسهما تكشف أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: «مكانكما»، ثم قال: «ألا أخبركما بخير ممّا سألتماني؟» قالا: بلى. فقال: «كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام»، فقال: «تسبحان في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين»[6].

وفي القصة السالفة بعض القيم المهمة منها:

إن هذه الحادثة تبين لنا كيف أدار النبيﷺ الأزمة الاقتصادية التي مرت بدولة الرسول في المدينة، وذلك من خلال ترتيبه للأولويات، فسد جوع أهل الصفة ضرورة، وأما حاجة علي وفاطمة للخادم ليست بمرتبة احتياج أهل الصفة، فقدم رسول الله ﷺ أهل الصفة عليهم، وكانت وسائل رسول الله ﷺ في حل الأزمة الاقتصادية كثيرة.

ولقد تأثر علي ــ رضي الله عنه ــ بهذه التربية النبوية، ويمر الزمن بالفتى علي فيصبح خليفة المسلمين، فإذا به من اثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها وبيده كنوز الأرض وخيراتها، لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده، ولقد حافظ على وصية رسول الله ﷺ له، وقد حدثنا عن ذلك فقال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، فسأله أحد أصحابه: ولا ليلة صفين؟ فقال:

---

(1) انظر: معين السيرة للشامي ، ص255.

(2) سنوت: استقيت.

(3) أي: اسأليه خادماً.

(4) السيرة النبوية للصلابي (992) ، مسلم ، رقم 2727 ، البخاري ، رقم 3705.

(5) تطوى: طوى من الجوع فهو طاوٍ: خالي البطن ، جائع لم يأكل.

(6) البخاري ، رقم3705؛ مسلم ، رقم2727.

ولا ليلة صفين[1].

6- إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا:

عن علي بن أبي طالب رضـي الله عنه قال: دخل عليَّ رسـول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل، فأيقظنا للصـلاة، قال: ثم رجع إلى بيته فصـلى هوياً من الليل، قال: فلم يسـمع لنا حسـاً، قال: فرجع إلينا، فأيقظنا وقال: «قوما فصـليا»، قال: فجلسـت وأنا أعْرك عيني وأقول: إنا والله ما نصـلي إلا ما كتب لنا، إنما أنفسـنا بيد الله، فإذا شـاء أن يبعثنا بعثنا، قال: فولى رسول الله ﷺ وهو يقول، ويضرب بيده على فخذه: «ما نصلي إلا ما كتب لنا، ما نصلي إلا ما كتب لنا، ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: 54]»، وهذا فيه تجرد علي رضي الله عنه للحق وحرصه على نشر العلم ولو كان الأمر متعلقاً به رضـــي الله عنه، وهذه قيمة كبرى يتعلّمها المســـلمون من أمير المؤمنين علي، ولو أراد لكتم الحديث، علماً بأن صلاة الليل لم تكن واجبة.

7- محبة رسول الله ﷺ للسيدة فاطمة وغيرته عليها:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر؛ اخر عهده بالمدينة إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة[2]. وفي رواية عن أبي ثعلبة الخشني قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه[3]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولا دلاً برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسـول الله، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسـها في مجلسـه، وكان النبيﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[4]، وفي رواية: أنها كانت تقبل يده[5].

وعن أسـامة بن زيد، قال رسـول الله ﷺ : «أحب أهل بيتي إليَّ فاطمة[6]»، وقد أراد علي رضـي الله عنه أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة، فخطب رسـول الله ﷺ الناس - إن في رواية السـيدة عائشـة للحديث دليل على حقيقة المحبة بين السيدتين وليست كما يدعي المغرضون - فقال: «فاطمة بضعة مني؛ فمن أغضبها أغضبني»[7].

---

(1) مسلم (2092/4).

(2) مسند أحمد (275/5)؛ الدوحة النبوية ، فاروق حمادة ، ص56.

(3) الاستيعاب (376/4) ، في سنده أبو فروة الزهاوي مضعف؛ الدوحة النبوية ، ص56.

(4) مسلم ، رقم 2450؛ صحيح سنن أبي داود ، رقم 5217.

(5) سنن أبي داود ، رقم 5217؛ الدوحة النبوية ، ص56.

(6) مسند الطيالسي (25/2) حسن صحيح.

(7) البخاري ، رقم 4173.

وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها[1]، ويؤذيني ما اذاها[2]»، وبلفظ اخر عند مسلم قال: إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذ محتلم ، فقال: «إن فاطمة مني، وإني أتخوف أن تفتن في دينها» قال: ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس[3]، فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن، قال: «حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي، وإني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله في مكان واحد أبداً»[4].

وروى الترمذي بسنده إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أن علياً ذكر بنت أبي جهل، فبلغ ذلك النبيﷺ فقال: «إنما فاطمة بضعة مني؛ يؤذيني ما اذاها، ويتعبني ما أتعبها»[5].

وفي إعلان رسول الله ﷺ محبتها ومكانتها على الملأ، وأن إذايتها إذاية له؛ تعريف بحق[6] حرمتها، كما دلت هذه الأحاديث على تحريم إيذاء النبيﷺ بكل حال وعلى كل وجه، وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحاً وهو حي، وهذا بخلاف غيره، وقالوا: وقد أعلم ﷺ بإباحة بنت أبي جهل لعلي بقوله ﷺ : «لست أحرم حلالاً» ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين:

أحدهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة، فيتأذى حينئذ النبيﷺ، فيهلك من اذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي وعلى فاطمة.

والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة، وقيل: ليس المراد به النهي، بل معناه أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعان، ويحتمل أن المراد تحريم جمعهما، ويكون معنى «لا أحرم حلالاً» أي: لا أقول شيئاً يخالف حكم الله، فإذا أحل الله شيئاً لم أحرمه، وإذا حرم شيئاً لم أحلله، ولم أسكت عن تحريمه؛ لأن سكوتي تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله[7].

([1]) أي: يسوؤني ما يسوؤها ، ويزعجني ما يزعجها ؛ لابن الأثير(278/2).

([2]) البخاري ، رقم 5230.

([3]) هو: هو أبو العاص بن الربيع زوج زينب رضي الله عنها ، وكان قد وقع أسيراً في بدر ، فأرسلت زينب قلادتها في فداء زوجها ، فأطلق رسول الله ﷺ أبا العاص بن الربيع ، ورد المسلمون على زينب قلادتها ، فأخذ النبي ﷺ على أبي العاص أن يخلي سبيلها ، فوعده بذلك ، ففعل.

([4]) مسلم (1903/4).

([5]) فضائل الصحابة (756/2) ، رقم 1327 ، إسناده صحيح.

([6]) الدوحة النبوية الشريفة ، ص57.

([7]) شرح صحيح مسلم (236/16، 237).

ومن مناقب السيدة فاطمة ما رواه الحاكم أيضاً بإسناده إلى بريدة رضي الله عنه قال: كان أحب النساء إلى رسول اللهﷺ: فاطمة، ومن الرجال: علي[1]، ولا يفهم من هذا الحديث معارضته لما ثبت في الصحيح من حديث عمرو بن العاص: أنه سئل النبيﷺ : أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قالت: من الرجال؟ قال: «أبوها»[2].

فالمراد من هذا الحديث والله أعلم أن فاطمة أحب النساء إليه من أهله، وعلي من رجالهم، وفي ذلك يقول ابن العربي عند هذا الحديث: كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ أبو بكر، وأحب أزواجه إليه عائشة، وأحب أهله إليه فاطمة، وعلي من رجالهم، وبهذا الترتيب تأتلف الأحاديث ويرتفع عنها التعارض[3].

8- صدق لهجتها:

روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها: أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبيﷺ قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها؛ إلا أن يكون الذي ولدها[4].

وفي ذلك منقبة ظاهرة لها رضي الله عنها، فقد وصفتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تشبه النبيﷺ هيئة وطريقة وحسن حال، كما كان التزامها للصدق أشبه له، فرضي الله عنها وأرضاها[5].

9- سيادتها في الدنيا والاخرة:

جاءت الأحاديث الصحيحة عن الصادق المصدوق التي دلت على سيادتها في الدنيا والاخرة، روى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك: أن النبيﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امرأة فرعون»[6].

وروى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران»[7]. وقال البخاري: باب مناقب فاطمة رضي الله عنها، وقال النبيﷺ : «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[8].

---

(1) المستدرك: كتاب معرفة الصحابة (155/3) ، صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(2) البخاري ، رقم 4358.

(3) عارضة الأحوذي (247/13 ، 248)؛ العقيدة في أهل البيت ، ص137.

(4) المستدرك (160/3-161) ، صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي.

(5) العقيدة في أهل البيت ، ص136.

(6) فضائل الصحابة (755/2) ، رقم1325 ، صححه الألباني ، تحريم المشكاة (745/3).

(7) فضائل الصحابة ، رقم1332 ، إسناده حسن لغيره.

(8) البخاري ، كتاب فضل الصحابة(252/4).

خامساً: أولادها: الحسن والحسين رضي الله عنهما:

1- الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي،

سبط رسول الله ﷺ وريحانته في الدنيا، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، أمه فاطمة الزهراء، ولد للنصف من رمضان سنة 3 هـ، وقيل: في شعبان، وقيل: في سنة أربع أو خمس[1]. وقد توفي عام 50 هـ. وقد اخترت في كتابي (السيرة النبوية) بأنه ولد في العام الرابع للهجرة[2].

هذا وقد سماه رسول الله ﷺ حسناً، قال علي رضي الله عنه: لما ولد الحسن سميته حرباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سميتموه؟» قلت: حرباً، قال رسول الله ﷺ : «بل هو حسن»[3]. وهكذا غير ﷺ ذلك الاسم الحاد باسم جميل يدخل السرور والبهجة على القلوب، فحمل المولود الجديد اسمه الجميل، وحمله ﷺ بين يديه وقبله، وهذا أبو رافع يخبرنا عن ماذا فعل رسول الله ﷺ، يقول: رأيت النبيﷺ أذّن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة[4].

وحدثنا أبو رافع عن عقيقة الحسن فقال: لما ولدت فاطمة حسناً قالت: ألا أعقّ عن ابني بدم (بكبشين) ؟ قال رسول الله ﷺ : «لا ولكن احلقي رأسه، وتصدقي بوزن شعره من فضة على المساكين والأوفاض»، وكان الأوفاض ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ محتاجين في المسجد أو الصفة، ففعلت ذلك[5].

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الحسن بن علي رضي الله عنهما منها:

أ- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت الحسن بن علي على عاتق النبيﷺ وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»[6]

ب- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيﷺ: أنه قال للحسن: «اللهم إني أحبه، فأحبه وأحبب من يحبه»[7].

ج- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبيﷺ: أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»[8].

---

[1] فضائل الصحابة (960/2) ، حلية الأولياء (35/2).

[2] السيرة النبوية للصلابي (199/2) ، شذرات الذهب (10/1).

[3] البخاري في الأدب ،(286).

[4] سنن أبي داود ، رقم(5105) ، إسناده ضعيف ، حكم عليه الشيخ عثمان الخميس عن رسالته للماجستير المتعلقة بالأحاديث الخاصة بالحسن والحسين ، ص80.

[5] الطبقات (233/1) ، إسناده ضعيف.

[6] البخاري ، رقم 3749.

[7] مسلم ، رقم 2421.

[8] البخاري ، رقم 3747.

د- عن أبي بكرة رضي الله عنهما قال: سمعت النبيﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[1].

فإخبار النبيﷺ بأن الحسن سيد مفخرة عظيمة وميزة شريفة له رضي الله عنه وأرضاه، وقد تحققت نبوءة جده ﷺ، فأصلح الله على يديه بين المسلمين وحقن دماءهم؛ حيث نزل عن حقه في الخلافة لمعاوية رضي الله عنهم أجمعين، وكان ذلك في سنة إحدى وأربعين، وكانت خلافته رضي الله عنه ستة أشهر، وسمي هذا العام عام الجماعة، وهذا ما أخبر به النبيﷺ بقوله: «لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين»[2].

قال ابن حجر: فالحديث فيه علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي؛ فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة بل لرغبة فيما عند الله، لما راه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة[3]، وسيأتي الحديث بإذن الله عن تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية عند حديثنا عن عهده في كتاب مستقل.

هـ- وعن سعيد المقبري[4]، قال: كنا مع أبي هريرة رضي الله عنه فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب علينا، فسلم فرددنا عليه السلام، ولم يعلم به أبو هريرة، فقلنا: يا أبا هريرة هذا الحسن بن علي قد سلم علينا، فلحقه وقال: عليك السلام يا سيدي، ثم قال: إنه سيد[5].

و- ومنها مشابهته رضي الله عنه للنبي ﷺ في الخلق؛ فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبيﷺ من الحسن بن علي[6].

ز- وروى أيضاً بإسناده إلى عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيه بعلي. وعلي يضحك[7]، فكونه رضي الله عنه شبه جده المصطفى ﷺ في الخلق منقبة عظيمة له وفضيلة ظاهرة[8].

---

(1) البخاري ، رقم 3746.
(2) البداية والنهاية (20/8) ، سير أعلام النبلاء (144/3، 145).
(3) فتح الباري (66/13).
(4) هو: كيسان المدني مولى أم شريك ، ثقة ثبت ، مات سنة 10هـ. التقريب ، ص463.
(5) المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة (169/3) ، صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(6) البخاري ، كتاب فضائل ، رقم 3752.
(7) البخاري ، رقم 3750.
(8) العقيدة في أهل البيت ، ص147.

2- الحسين بن علي رضي الله عنه:

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط رسول الله ﷺ، وريحانته ومحبوبه، ابن بنت رسول الله، فاطمــة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـــ، وقيل غير ذلك، ومات رضي الله عنه قتيلاً شهيداً، في يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكربلاء من أرض العراق، فرضي الله عنه وأرضاه[1]، وقد وردت في مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها:

أ- ما رواه أحمد بإســناده إلى يعلى العامري رضــي الله عنه: أنه خرج مع رســول الله ﷺ ؛ يعني إلى طعام دعوا له قال: فاستمثل رسول الله ﷺ أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبي يفر هنا مرة وها هنا مرة، فجعل النبيﷺ يضــاحكه حتى أخذه، قال: فوضــع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ووضــع فاه وقبله، وقال: «حسين مني وأنا من حسين،اللهم أحب من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[2]، وفي ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضي الله عنه، إذ حث على محبته وكأنه ﷺ علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم، فخصه بالذكر، وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة، وأكد ذلك بقوله: «أحب الله من أحب حســيناً»، فإن محبته تؤدي لمحبة الرسول، ومحبة الرسول محبة الله[3].

ب- ومنها ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى عبيد الله بن زيـــاد[4]برأس الحسين عليه السلام، فجعل في طست، فجعل ينكث وقال في حسنه شيئاً فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوباً بالوسمة[5][6].

ج- وفي رواية أخرى عن أنس أيضاً: قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه يقول: لقد كان - أحسبه قال - جميلاً فقلت: والله لأسوءنك؛ إني رأيت رسول الله يلثم حيث يقع قضيبك، قال: فانقبض[7].

فالحديثان يدلان على فضل الحسين رضي الله عنه، وأنه كان أشبه أهل البيت به، ولكن قد يرد إشكال ولا سيما وأنه قد تقدم في فضائل الحسن، أنه لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي، فيحدث التعارض، وقد أزال الإشكال والتعارض

---

(1) البداية والنهاية (152/8)؛ الإصابة (133/1 ، 334).

(2) فضائل الصحابة ، رقم 1361 ، إسناده حسن.

(3) تحفة الأحوذي (279/10).

(4) قتل عبيد الله عام 67 هـ. الإعلام (193/4).

(5) الوسمة بكسر السين وقد تسكن: نبت ، وقيل: شجر باليمن يخضب بورقه الشعر.

(6) البخاري ، رقم 3748.

(7) فضائل الصحابة (985/2) ، رقم 1397 ، إسناده حسن؛ مجمع الزوائد (195/9).

ابن حجر رحمه الله؛ حيث جمع بينهما فقال: ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن؛ لأنه يومئذ كان أشد شبهاً بالنبيﷺ من أخيه الحسين، وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه، أو المراد بمن فضل الحسين عليه في الشبه ما عدا الحسن، ويحتمل أن يكون كل منهما أشد شبهاً في بعض أعضائه، فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هاني بن هاني عن علي قال: الحسن أشبه النبيﷺ ما بين الرأس إلى الصدر والحسين أشبه النبيﷺ ما كان أسفل من ذلك[1]، فهذه بعض الأحاديث الواردة في الحسين رضي الله عنه وأرضاه.

3- ما ورد من أحاديث في مناقب مشتركة بين الحسن والحسين رضي الله عنهما:

أ- ما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عمر: قد سأله رجل من العراق عن المحْرِم يقتل الذباب، فقال رضي الله عنه: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقال النبيﷺ : «هما ريحانتاي من الدنيا»[2].

قال ابن حجر: والمعنى: أنهما مما أكرمني الله وحباني به؛ لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين[3].

ب- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني» يعني: حسن وحسين[4].

ج- وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أبصر حسناً وحسيناً فقال: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»[5].

د- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[6].

هـ- عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله ورسوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15]، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[7].

(1) فضائل الصحابة ، رقم 1366 ، إسناده صحيح.
(2) البخاري ، رقم 3753.
(3) فتح الباري (427/10).
(4) صحيح سنن أبي داود (29/2)؛ فضائل الصحابة ، رقم 1359.
(5) صحيح سنن الترمذي (226/3)؛ وسنن الترمذي ، رقم 3782.
(6) مجمع الزوائد (184/9) ، وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة (448/2).
(7) فضائل الصحابة ، رقم 1358 ، إسناده صحيح.

و- عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين: «أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» هكذا كان إبراهيم يعوذ ابنيه إسماعيل وإسحاق[1].

وهذا الحديث لا يتعارض مع ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: سمعت النبيﷺ يقول: «لا هامة»[2] وما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ في قوله: «لا هام لا هام»[3]، وقوله ﷺ : «لا عدوى ولا صفر ولا هامة»[4]، فقد أجاب أبو جعفر الطحاوي بقوله: ففي هذه الأحاديث نفيه الهامة ونفي وجودها، فكيف يجوز أن يعوذهما من معدوم؟ فكان جوابنا له بتوفيق الله عز وجل وعونه: أن الهامة التي عوذهما ﷺ منها هي هوام الأرض التي يخاف غوائلها، والهامة التي نفاها هي خلافهما، وهي ما كانت العرب تقوله في موتها، إنما كانت تقول: فمن ذلك مارثى به لبيد أخاه أربد[5] بقوله:

فليسَ الناسُ بعدَك في نَقيرٍ ... ولا هُمْ غيرُ أصداءٍ وهامِ

ومن ذلك قول شعر أبي داود الأياديّ:

سُلِّطَ الموتُ والمنونُ عليهم ... فَلهمْ في صَدَى المقابر هامُ

فنفى رسول الله ﷺ ذلك، مما في حديث أبي هريرة الذي رويناه، وأما الهامة التي عوذ منها حسناً وحسيناً، فهي موجودة، وهي هوام الأرض المخوفة وهي مشددة الميم، والهامة التي نفاها مخففة الميم، فليست منها في شيء[6].

سادساً: حديث الكساء ومفهوم أهل البيت:

حديث الكساء روته عائشة رضي الله عنها[7]، قالت: خرج النبيﷺ غداة وعليه مرط مرحل (وهو الكساء)، فأدخل علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، ثم قال: [8] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

---

(1) البخاري ، رقم 3371.
(2) صحيح ابن حبان رقم 6127 ، إسناده قوي ، الطبراني ، رقم 11764.
(3) شرح مشكل الآثار (328/7) ، إسناده صحيح.
(4) مسلم ، رقم 2220.
(5) شرح مشكل الآثار (329/7).
(6) المصدر السابق نفسه (330/7).
(7) مسلم ، رقم 2408 ، كتاب فضائل الصحابة.
(8) مسلم ، رقم 2167 كتاب الزكاة.

وهذا يبين لنا من كذب أن الصحابة يكتمون فضائل علي، فهذه عائشة التي يدعون أنها تبغض علياً هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة[1].

إن الخطاب في الآيات الكريمة كله لأزواج النبيﷺ ؛ حيث بدأ بهن وختم بهن قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 28 – 34].

فالخطاب كله لأزواج النبيﷺ ومعهن الأمر والنهي، والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمّهن وتعمّ غيرهن من أهل البيت؛ جاء التطهير بضمير المذكر؛ لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبيﷺ بالدعاء لهم، كما أن أهل بيت النبيﷺ يتعدى علياً والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم، كما في حديث زيد بن أرقم: وأنه لما قيل له: نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس[2]، إذا اتسع مفهوم أهل بيت النبيﷺ إلى أكثر من ذلك، فهم نساؤه، بدليل الآية، ويشمل أيضاً علي وفاطمة والحسن والحسين كحديث الكساء وحديث زيد بن أرقم، وآل عباس بن عبد المطلب، وآل عقيل بن أبي طالب، وآل جعفر ابن أبي طالب بدليل حديث زيد بن أرقم، وآل الحارث بن عبد المطلب[3]، وسيأتي الحديث عن الآية الكريمة مفصلاً عند مناقشتنا للشيعة بإذن الله تعالى.

سابعاً: ما يخص آل رسول الله ﷺ من الأحكام:

1- تحرم عليهم الزكاة:

لحديث عبد المطلب بن ربيعة: أن النبيﷺ قال: «إن الصدقة لا تنبغي لال محمد، إنما هي أوساخ الناس»[4].

---

[1] حقبة من التاريخ ، ص 187.
[2] مسلم ، رقم 107.
[3] مسلم ، كتاب الزكاة ، رقم 167.
[4] مسلم ، رقم 1072.



2- لا يرثون رسول الله ﷺ :

لحديث أبي بكر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نورث؛ ما تركنا صدقة»[1]. وقد روى هذا الحديث أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد لمطلب وأزواج النبيﷺ وأبو هريرة، كما نص على ذلك ابن تيمية، وهي ثابتة عنهم في الصحاح والمسانيد[2].

3- لهم خمس الخمس في الغنيمة[3] والفيء[4]:

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: 41].

وقال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 7].

4- الصلاة عليهم مع النبيﷺ :

عن كعب بن عجرة قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم، قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[5].

5- لهم مودة خاصة:

ويتمثل هذا فيما رواه زيد بن أرقم: عن النبيﷺ : «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[6]. قال القرطبي: وهذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم، وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها[7]، وقد فهم وصية النبيﷺ بأهل بيته حق الفهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأحبَّهم وأكرمهم، ودعا الناس إلى إكرامهم ومحبتهم، فقد روى البخاري بإسناده إلى أبي بكر رضي الله عنه،

---

(1) البخاري ، رقم 3093؛ مسلم ، رقم 1757.
(2) منهاج السنة (195/4)؛ البداية والنهاية (252/5).
(3) ما أصيب من أموال الحرب ، وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب. النهاية (389/3).
(4) ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد. النهاية (482/3).
(5) البخاري ، رقم 3370؛ مسلم ، رقم 406.
(6) مسلم ، رقم 2408.
(7) فيض القدير للمناوي (14/3).

أنه قال: ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته[1]. فهذا خطاب من الصديق رضي الله عنه، ووصية منه للناس في حفظ حقوق ال بيت النبيﷺ، فالمراقبة للشـيء المحافظة عليه، ومعنى قول الصـديق: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسـيئوا إليهم[2]، وقال النووي: ومعنى (ارقبوا): راعوه واحترموه وأكرموه[3]، وقد أكد رضـي الله عنه تلك الحقوق بما قاله لعلي رضـي الله عنه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول اللهﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتي[4].

ومحبة أهل البيت من أصـول أهل السـنة والجماعة، يقول ابن تيمية: وإن من أصـول أهل السـنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت النبيﷺ، ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ [5].

وقال القاضـي عياض: إن من علامات محبته ﷺ محبته لمن أحب النبيﷺ ومن هو بسـببه من ال بيته، وصـحابته من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين، فمن أحب شيئاً أحب من يحبه[6].

وقال ابن كثير: ولا ننكر الوصـاية بأهل البيت والأمر بالإحسـان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشـرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً، وحسـباً ونسـباً، ولا سـيما إذا كانوا متبعين للسـنة النبوية الصـحيحة الواضـحة الجلية، فكانوا من أهل الحق كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين[7].

ثامناً: علي رضي الله عنه في غزوة أحد:

في غزوة أحد بدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب رضـي الله عنه وطلحة بن عثمان، وكان بيده لواء المشـركين، وطلب المبارزة مراراً، فخرج إليه علي بن أبي طالب رضـي الله عنه، فقال له علي: والذي نفسـي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار أو يعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه علي، فقطع رجله فوقع على الأرض فانكشـفت عورته، فقال: يابن عمي أنشـدك الله والرحم، فرجع عنه ولم يجهز عليه، فكبر رسـول الله ﷺ، وقال لعلي بعض أصـحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحم حين انكشفت عورته فاستحييت منه[8].

وكان رضي الله عنه بعد الالتحام في ميمنة الجيش، وأخذ الراية بعد مقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه، وفي هذه المعركة

---

(1) البخاري ، رقم 713.
(2) نظر: فتح الباري (97/7).
(3) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ، ص175.
(4) البخاري ، رقم 3712.
(5) مجموع الفتاوى (407/3).
(6) الشفا (573/2).
(7) تفسير القرآن العظيم (113/4).
(8) السيرة الحلبية (497/2-498).

قتل من المشركين خلقاً كثيراً، رغم ما أصاب المسلمين من الشدة في هذه الغزوة، إضافة إلى بلائه في الدفاع عن رسول الله ﷺ [1]، وكان علي رضي الله عنه هو الذي أخذ بيد رسول الله ﷺ حينما وقع في الحفرة يوم أحد[2]، لقد استشهد في تلك الغزوة عدد كبير من خيرة المهاجرين والأنصار، وتركت حزناً عميقاً في نفس الرسول ﷺ، كما أصاب العدو من الرسول الكريم، فأدموا وجهه الشريف، فقامت ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بمداواة جراحه، وإيقاف الدم الذي كان ينزف على وجهه ولحيته عليه الصلاة والسلام[3]. وظهرت شجاعة علي رضي الله عنه في تلك المعركة، فعندما أشيع أن الرسول ﷺ قتل، وافتقده علي، رأى أن الحياة لا خير فيها بعده، فكسر جفن سيفه، وحمل على القوم حتى أفرجوا له، فإذا برسول الله ﷺ [4]، فثبت معه ودافع عنه دفاع الأبطال، وقد أصابته ستة عشر ضربة في ذلك اليوم[5].

وبعد انسحاب جيش المشركين من أرض المعركة أرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الغزوة مباشرة، وذلك لمعرفة اتجاه العدو، فقال له: «اخرج في اثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم»، قال علي: فخرجت في أثرهم ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة[6]، فخرج علي رضي الله عنه، وأخبر رسول الله ﷺ بخبر القوم[1].

وفي هذا الخبر عدة دروس وعبر منها:

1- شجاعة النبيﷺ، حيث كان داخل صفوف المشركين ولم يصل إليه سيدنا علي إلا بعد جهد جهيد، فوجد رسول الله ﷺ في قلب العدو يقاتلهم حتى أصيب بعدة جروح.

2- يقظة الرسول ﷺ، ومراقبته الدقيقة لتحركات العدو، وقدرته ﷺ على تقدير الأمور. وتحليل تصرفات الخصم وفهم ما يترتب عليها من قرارات.

3- ظهور قوته المعنوية العالية، ويظهر ذلك في استعداده لمقاتلة المشركين لو أرادوا المدينة.

---

[1] البداية والنهاية (224/7).

[2] السيرة النبوية لابن هشام (89/3).

[3] البخاري ، رقم 4075.

[4] مسلم شرح النووي (148/12).

[5] مسند أبي يعلى (415/1، 416) إسناده حسن ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد فقيهي ، ص39.

[6] البداية والنهاية (41/4).

4- وفيه ثقة النبيﷺ بعلي رضي الله عنه ومعرفته بمعادن الرجال.

5- المروءة ومكارم الأخلاق عند علي عندما رجع عن خصمه بعدما انكشفت عورته، وإقرار رسول الله ﷺ له، وهذا العمل يعلمنا قيمة التعامل؛ كيف تكون الأخلاق حتى مع الخصم وحتى في ساحة المعركة.

6- وجوب التضحية في سبيل الله وأنه بهذه الروح ينتصر الإسلام في الحياة وينال الشهيد الجنة، وهذا ما أثبته لنا بعض المهاجرين والأنصار في هذه المعركة وغيرها.

7- وجوب الأخذ بسنة الأسباب؛ وظهر هذا عندما وضع رسول الله ﷺ بعض الصحابة على جبل أحد، فعصوه ونزلوا وكان هذا من أسباب الهزيمة.

8- وفيه شجاعة علي رضي الله عنه، لأن هذا الجيش لو أبصره ما تورَّع في محاولة قتله[1].

تاسعاً: علي رضي الله عنه في غزوة بني النضير:

يرى المحقِّقون من المؤرخين: أن غزوة بني النضير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، وقد رد ابن القيم على من زعم أن غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر بقوله: وزعم محمد بن شهاب الزهري: أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه أنها بعد أحد، والذي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية[2].

وقال ابن العربي: والصحيح أنها بعد أحد[3]، وإلى هذا الرأي ذهب ابن كثير[4].

ففي هذه الغزوة فقد الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذات ليلة، فقال النبيﷺ : «إنه في بعض شأنكم»، فعن قليل جاء برأس عَزْوَكَ، وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين، وكان شجاعاً رامياً، فشد عليه علي رضي الله عنه فقتله، وفرّ اليهود[5].

---

(1) المصدر السابق نفسه؛ السيرة النبوية للصلابي (145/2)؛ غزوة أحد لأبي فارس ، ص95و96.

(2) زاد المعاد (249/3).

(3) أحكام القرآن ، لابن العربي (1765/4).

(4) حديث القرآن عن الغزوات (254/1).

(5) إمتاع الأسماع للمقريزي (180/1).

عاشراً: علي رضي الله في غزوة حمراء الأسد:

تعتبر هذه الغزوة مكملة لغزوة أحد، فقد عاد المسلمون من أحد مساء السبت الخامس عشر من شوال من السنة الثالثة للهجرة، وما إن أصبح الصباح وخرج الناس من صلاة الفجر إلا وأذَّن مؤذن رسول الله ﷺ بالتهيؤ على جناح السرعة لمطاردة العدو، وألا يخرج مع الناس إلا من شهد أُحُد، فاستجاب الناس لنداء رسول الله ﷺ مع ما بهم من جراحات وتعب، وكان في مقدمتهم رسول الله ﷺ، ولم يسمح لعبد الله بن أبي بالخروج معه، ولا لأحد لم يشهد أحداً إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الذي استشهد أبوه في أُحد، وكان قد منعه من الاشتراك في بدر وأحد ليبقى عند أخواته البنات.

وخرج الجيش وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، ويحمل اللواء لواء أحد نفسه علي بن أبي طالب[1]، ووصل المسلمون بقيادة رسولهم الكريم ﷺ إلى حمراء الأسد التي تبعد عن المدينة ثلاثة عشر ميلاً، حيث حطُّوا الرحال فيها، وقد أدهشت هذه الحركة اليهود والمنافقين لما فيها من جرأة وشجاعة، وأيقنوا أن الروح المعنوية عالية، وأنهم لو هزموا لما عملوا على مطاردة قريش[2].

كما أن في خروج النبيﷺ إلى حمراء الأسد إشارة نبوية إلى أهمية استعمال الحرب النفسية للتأثير على معنويات الخصوم، خرج ﷺ بجنوده إلى حمراء الأسد، ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران، فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به، فانصرفوا وقد ملأ الرعب أفئدتهم[3].

قال ابن سعد: ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمئة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، فكبت الله تعالى بذلك عدوهم[4]، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحرب الباردة، وسجلها المولى عز وجل في كتابه في معرض الثناء على الصحابة:﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:172 – 175].

---

(1) وقد حمل علي رضي الله عنه لواء رسول الله في غزوة الكدر لبني سليم بعد عودته إلى المدينة بسبع ليال من غزوة بدر.

(2) علي بن أبي طالب ، أحمد السيد الرفاعي ، ص1–10؛ تاريخ الإسلام للذهبي ، المغازي ، ص226.

(3) غزوة أحد لأبي فارس ، ص51.

(4) الطبقات لابن سعد (49/2).

الحادي عشر: علي رضي الله عنه وموقفه من حادثة الإفك:

ورد في حديث الإفك الذي اتهم فيه المنافقون عائشة رضي الله عنها به، أن رسول الله ﷺ استدعى علياً وأسامة واستشارهما في فراق أهله، لما كثر القول وأقلق النبيﷺ، واستلبث الوحي، فأما أسامة، فأشار عليه بالذي يعلم من براءتها، فقال: يا رسول الله أهلك، ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[1]، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «أي بَرِيرة هل رأيت من شيء يَريبك؟» قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق؛ إن رأيت عليها أمراً أغمصُه[2] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن[3]، فتأكله، فقام رسول الله ﷺ، فاستعذر[4] يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول. قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؛ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً[5]، ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي»[6]. إن الكلام الذي قاله علي إنما حمله عليه ترجيح جانب النبيﷺ، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل.

وكان شديد الغيرة، فرأى علي رضي الله عنه في بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما[7].

وقال النووي: رأى علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبيﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره ﷺ [8]، كما أن علياً رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه عرَّض بأخلاقها، أو تناولها بسوء[9]، بل كان رأيه خيراً لها، فهو يقول: إن أردت أن ترتاح من المشكلة فإن غيرها كثير، وإن أردت الوصول للحقيقة، فاسأل الجارية توصلك إليها عن براءة عائشة، ثم بعد ذلك خطب رسول الله ﷺ الناس وبين براءة عائشة، وخطورة من يخوض في عرضه ظلماً وزوراً. وقد بدأت نصيحة علي وأسامة بن زيد معاً إيجابيتان، وفي صالحِ

---

(1) البخاري ، رقم 4750.
(2) أغمصه: أي أعيبها به ، وأطعن بها عليه.
(3) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم.
(4) فاستعذر: أي قال: من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه.
(5) هو صفوان بن المعطل السلمي.
(6) البخاري ، رقم 4750.
(7) دور المرأة السياسي ، ص462.
(8) صحيح مسلم بشرح النووي (634/5).
(9) دور المرأة السياسي ، أسماء محمد زيادة ، ص462.

عائشة رضي الله عنها، فقد ازداد النبيﷺ قناعة بما علم من خير في أهله[1].

وعلى القارئ الكريم أن يحذر من الروايات الباطلة ساقطة الاعتبار التي تزعم بإساءة علي إلى عائشة في أمر الإفك، والتي بنى عليها بعض الباحثين بأن ذلك جعل عائشة تغضب من عليّ رضي الله عنه وتحقد عليه وتتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة عليه الأعداد الهائلة من المسلمين[2]، ومن أمثال هؤلاء الباحثين، علي إبراهيم حسن في التاريخ الإسلامي العام، وطه حسين في كتابه: علي وبنوه[3] وغيرهم، وسوف نتحدث عن العلاقة المتينة بين أم المؤمنين عائشة وعلي بإذن الله عند حديثنا عن موقعة الجمل، لقد كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدين، وكان من لطف الله تعالى بنبيه وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية، فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[4]، وقد تحدثت في كتابي (السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث) عن الدروس والعبر والأدب والأحكام التي تؤخذ من حادثة الإفك[5].

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص 463.

(2) من أراد التوسع في حادثة الإفك فليراجع السيرة النبوية للصلابي (926/2).

(3) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص54.

(4) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص440.

(5) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (242/3إلى 255).

المبحث السادس : أهم أعمال علي رضي الله عنه ما بين الأحزاب إلى وفاة النبيﷺ

أولاً: علي رضي الله عنه في غزوة (الأحزاب):

كان موقف أمير المؤمنين علي رضـي الله عنه في الأحزاب بطولياً رائعاً، ينمُّ عن مدى رسـوخ العقيدة في قلوب أصـحاب النبيﷺ، والدعوة إليها، والموت في سـبيلها، والبراءة ممن خالفها، قال ابن إسـحاق: وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المســـلمين بعد أن اقتحمت خيل المشـــركين ثغرة في الخندق، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعدوا نحوهم.

وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراح، فلم يشـــهد يوم أُحُد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليُرى مكانهُ، فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى أحد خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسـوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النّزال، فقال له: لِمَ يابن أخي؟ فوالله ما أُحِبُّ أن أقتلك، قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقرها، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة[1].

وقد ذكر ابن كثير ما رواه البيهقي في دلائل النبوة من أشـعار قالها عمرو بن عبد ود وعلي رضـي الله عنه، فقد قال عمرو لما خرج للمبارزة:

ولــقــد بحـحْـتُ مــن الـنـداءِ ... لجَـمـعـهِـم هـلْ مـن مـبـارَزْ
ووقـفـت إذ جَـبُنَ المشـجَّـعُ ... مـوقـفَ الـقـرنِ المـنـاجـزْ
ولـذاك إنـي لـم ألُ ... مـتسـرعـاً قـبـل الهَـزاهِـزْ
إن الشـجـاعـةَ في الـفـتَى ... والجـودُ مـن خـيرِ الـغـرائِـزْ

فعندما خرج له علي رضي الله عنه قال:

لا تَعْجَلَـنَّ فقـد أتـاكَ ... مُجيـبُ صَـوتِكَ غـير عـاجزْ
في نيَّـةٍ وبصـيرةٍ ... والصِّـدقُ مَنْجَـى كـلِّ فـائزْ

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام (248/3).

إني لأرجُــــــــــو أن أُقــــــــــيمَ عليـــــــك نائحـــــــةَ الجنـــــــائزْ
مــــــن ضـــــربةٍ نجـــــلاءَ يبقـــــى ذكرُهـــــا عنـــــد الهزاهـــــزْ[1]

ولما قتل علي رضي الله عنه عمرو بن عبد ود ذكروا أنه قال من الشعر:

أعـلـيُّ تـقـتـحـم الـفـوارس هـكـذا عـنّي وعـنـهـم أخّـروا أصـحـابي
الـيـوم يمـنـعـني الـفـرار حـفـيـظـتي ومُصَـمّـمٌ في الـرأس لـيـس بـنـابي[2]

وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت:

فـــرّ وألـــقـــى لـــنـــا رمحَـــه لـعـلّـكَ عِـكْـرمُ لم تـفْـعـلِ
ولـيـت تـعـدو كـعَـدْوِ الـظَّـلـيـم مـــا أن يحـــوّر عـــن المـعـدِلِ
ولم تـلـوِ ظـهـرَك مسـتـأنسـاً كـأن قـفـاكَ قـفـا فَـرْعَـلِ[3]

وبعد مقتل عمرو بن عبد ود بعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة الاف، فقال: ادفعوا إليهم جيفته، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدِّية، فلم يقبل منهم شيئاً.

وقد حدث هذا والمسلمون في ضنك من العيش، ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقاييس الإسلام في الحلال والحرام، فأين هذا من بعض المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وما شابهه؟[4].

ثانياً: علي رضي الله عنه في غزوة بني قريظة:

وكان فيها رضي الله عنه حامل راية رسول الله ﷺ في المقدمة[5]، إلى أن حكم فيهم سعد بن معاذ، وكان في بادئ الأمر لم ينزلوا على حكمه، قال ابن هشام: إن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان ! وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة، أو لأقتحمن حصونهم، فقالوا: يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ[6]، وهكذا أنزل الله تعالى الرعب والخوف في قلوب أعداء العقيدة والدين، على لسان ذاك التقي النقي لما اتاه الله من حب الاستبسال والموت في سبيل عزة دين الله تعالى، وقد نادى كتيبته بأحب الأسماء التي ينادي بها الله تعالى عباده، ألا

---

[1] نجلاء: واسعة. الهزائز: الحروب والشدائد.
[2] البداية والنهاية (106/4).
[3] الفرعل: صغار الضباع.
[4] معين السيرة للشامي ، ص94.
[5] السيرة النبوية لابن هشام (258/3).
[6] البخاري ، رقم 1421؛ السيرة النبوية لابن هشام (263/3).

وهي نداء الإيمان الذي يتجلى فيه صدق الاعتقاد، وصلاح العمل، وحب الجهاد في سبيله تعالى[1].

ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه: أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم الأموال[2]، فكان من الذين يباشرون القتل علي بن أبي طالب والزبير رضي الله عنهما[3].

ثالثاً: علي رضي الله عنه في صلح الحديبية وبيعة الرضوان:

في غزوة الحديبية وقبل الصلح، خرج بعض العبيد(الأرقاء) من مكة إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه مواليهم بإرجاعهم، فرفض رسول الله ﷺ أن يرجعهم وقال: «يا معشر قريش لتنتهن، أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان»، فسأله الصحابة بتلهُّف: من هو يا رسول الله؟ وكلهم يرجو أن يفوز هو بهذه الشهادة العظيمة من رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «هو خاصف النعل»، وكان قد أعطى علياً يخصفها[4].

ولما تم الصلح بين المسلمين ومشركي قريش، كتب علي كتاباً بينهم قال: فكتب: محمد رسول الله، فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسول الله لم نقاتلك. فقال لعلي: امحه قال: ما أنا بالذي أمحوه. فمحاه رسول الله ﷺ بيده، فصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبّان[5] السلاح[6]، وقد امتنع علي رضي الله عنه من محو كلمة (رسول الله) بدافع محبته لرسول الله ﷺ وتعظيمه[7].

وقد طعن الروافض الغلاة في موقف الصحابة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم في الحديبية، وذكروا من مراجعة عمر للنبي ﷺ في أمر الصلح، وكذلك تأخر الصحابة في بداية الأمر عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله ﷺ وحلق، ولا مطعن في شيء من هذا في أصحاب رسول الله ﷺ ؛ لا عمر ولا غيره من الصحابة الذين شهدوا الحديبية.

وبيان ذلك: أن الرسول ﷺ كان قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا معه عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسَّر هذا العام، فلما وقع أمر الصلح وفيه أن يرجعوا عامهم

---

(1) الخليفتان عثمان وعلي بين السنة والشيعة ، أنور عيسى ، ص78.

(2) السيرة النبوية لابن هشام (263/3)؛ البخاري ، رقم 4121.

(3) إمتاع الأسماع للمقريزي (247/1).

(4) مرويات غزوة الحديبية ، حافظ الحكمي ، ص183 ، والحديث صحيح بمجموع طرقه؛ خلافة علي بن أبي طالب. عبد الحكيم علي ناصر ، ص30.

(5) الجلّبان: شبه جراب من الأدم يوضع فيه السيف المعمور.

(6) مسلم (1409/3)؛ خصائص علي للنسائي ، تحقيق أحمد البلوشي ، ص203.

(7) الانتصار للصحب والآل ، للرحيلي ، ص262 إلى 274.

هذا، ثم يعودوا العام القادم؛ شق ذلك على أصحاب رسول الله[1]، فجعل عمر رضي الله عنه على ما عرف به من القوة في الحق والشدة فيه يسأل رسول الله ﷺ ويراجعه في الأمر، ولم تكن أسئلته التي سألها رسول الله لشك في صدق الرسولﷺ، أو اعتراض عليه، لكن كان مستفصلاً عما كان متقرراً لديه، من أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، وأراد بذلك: أن يحفز رسول الله ﷺ على دخول مكة، وعدم الرجوع إلى المدينة، لما يرى في ذلك من عز لدين الله وإرغام للمشركين[2].

قال النووي: قال العلماء: لم يكن سؤال عمرَ رضي الله عنهُ وكلامه المذكور شكاً، بل طلباً لكشف ما خفي عليه، وحثاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام، كما عرف من خلقه رضي الله عنه وقوته في نصر الدين وإذلال المبطلين[3]، فعمر رضي الله عنه كان في هذا مجتهداً، حمله على هذا شدته في الحق، وقوته في نصرة الدين، والغيرة عليه، مع ما كان قدْ عوّدهم عليه رسول الله ﷺ من المشورة وإبداء الرأي، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ **[آل عمران: 159]**، وقد كان كثيراً ما يستشيرهم ويأخذ برأيهم، كما استشارهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، وأخذ بمشورتهم، وشاورهم يوم أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج للعدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ، فأبى عليه السعدان (سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة) فترك ذلك، وشاورهم يوم الحديبية أن يميل على ذراري المشركين، فقال أبو بكر: إنا لم نجئ لقتال، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال[4] في حوادث كثيرة يطول ذكرها.

فقد كان عمرَ رضي الله عنهُ يطمع أن يأخذ رسول الله ﷺ برأيه في مناجزة قريش وقتالهم، ولهذا راجعه في ذلك، وراجع أبا بكر، فلما رأى اتفاقهما أمسك عن ذلك وترك رأيه، فعذره رسول الله ﷺ لما يعلم من حسن نيته وصدقه[5].

أما توقف الصحابة عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله ﷺ وحلق، فليس معصية لأمر رسول الله ﷺ، وقد ذكر العلماء له عدة توجيهات؛ قال ابن حجر: قيل: كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول وحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك؛ لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أنهم ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم في

([1]) البداية والنهاية (170/4)؛ تاريخ الطبري (635/2).

([2]) الانتصار للصحب والآل ، ص264.

([3]) شرح صحيح مسلم (141/12).

([4]) تفسير ابن كثير (420/1) عند تفسير قوله: وشاورهم في الأمر.

([5]) الانتصار للصحب والآل ، ص266.

اعتقادهم على بلوغ غرضهم، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخَّروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم[1] .

وجاء في بعض الروايات: أن الرسول ﷺ لما رأى عدم امتثالهم دخل على أم سلمة، فذكر لها ذلك، فقالت: يا رسول الله ! لا تكلمهم؛ فإنهم دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح[2]. فأشارت عليه كما جاء في رواية البخاري: أن أُخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا[3].

قال ابن حجر: ويحتمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبيﷺ أمرهم بالتحلُّل أخذاً بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة في حق نفسه، فأشارت عليه أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبيﷺ صواب ما أشارت به ففعله.

ونظير هذا ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان، فلما استمروا على الامتناع، تناول القدح فشرب، فلما رأوه شرب فشربوا[4]. وهذا الوجه حسن، وهو اللائق بمقام أصحاب النبيﷺ، فإنهم كانوا على قدر كبير من تعظيم الإحرام والحرص على إكمال النسك، فلما أمرهم النبيﷺ بالتحلل ولم يفعل؛ ظنوا أن الذي حمله على هذا هو الشفقة عليهم، كما كانت سيرته معهم، فكأنهم رضي الله عنهم اثروا التأسي به على ما رخص لهم فيه من التحلل، ثم لما رأوه قد تحلل أيقنوا أن هذا هو الأفضل في حقهم، فبادروا إليه.

وهذا مثل ما حصل منهم في الحج مع النبيﷺ لما بلغوا مكة وطافوا وسعوا؛ أمرهم أن يحلوا، وأن يصيبوا النساء ويجعلوها عمرة، فكبر ذلك عليهم لتعظيمهم لنسكهم، وقالوا: نذهب إلى عرفة ومذاكيرنا تقطر من المني ! فلما علم بذلك الرسول ﷺ وكان لم يتحلَّل، قال لهم: «أيها الناس أحلوا، فلولا الهدي الذي معي فعلت كما فعلتم». قال جابرٌ رضي الله عنهُ راوي الحديث: فحللنا وسمعنا وأطعنا[5]، وهذا كله من حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الخير والرغبة في التأسي برسول الله ﷺ التأسي الكامل[6].

---

(1) فتح الباري (347/5).

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) البخاري ، كتاب الشروط ، رقم 2732.

(5) البخاري ، كتاب الاعتصام ، رقم 7367.

(6) الانتصار للصحب والآل ، ص 268. وهذا من أفضل الكتب في الرد على بعض شبهات الروافض.

إن موقف النبيﷺ في سكوته على عمر رضي الله عنه عندما عارضه على الصلح يعطي قيمة كبرى بأنه على القيادات الإسلامية من حكام وعلماء ودعاة أن يتحلوا بسعة الصدر، وحسن الاستماع للرأي الاخر، وإعطاء المجال لكل ذي رأي أن يعبر عن رأيه بما يخدم المصلحة العامة، لا أن يفتح السجون ويكمم الأفواه، إن النبيﷺ في صلح الحديبية بين أن حرية إبداء الرأي مكفولة في المجتمع الإسلامي، وأن للفرد في المجتمع المسلم الحرية في التعبير عن رأيه، ولو كان هذا الرأي نقداً لموقف حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء؛ فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره في جو من الأمن والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر، وإذا كان هذا موقف رسول الله ﷺ مع عمر؛ فمن باب أولى معارضة رئيس الدولة، في رأي من الاراء، وموقف من المواقف، ليست بحد ذاتها جريمة تستوجب العقاب، ويغيب صاحبها في غياهب السجون[1].

كما أن الهدي النبوي الكريم يعلمنا كيف يربي أصحابه من خلال الأحداث. ولقد نال علي رضي الله عنه في الحديبية مع من حضر من أصحاب رسول الله ؛ رضا الله عز وجل، ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18]، وقال رسول الله ﷺ : «لن يدخل أحد النار بايع تحت الشجرة»[2]، وقد نال علي رضي الله عنه وإخوانه مثل أبي بكر وعمر وغيرهم من قبل في بدر وساماً عظيماً وشرفاً عالياً، فقد قال رسول الله في أهل بدر: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[3].

رابعاً: عمرة القضاء: 7 هـ، وعلي رضي الله عنه وحضانة ابنة حمزة رضي الله عنه:

لقد تغيرت النفوس والعقول بتأثير الإسلام تغيراً عظيماً، فعادت البنت - التي كان يتعيَّر بها أشراف العرب، وجرت عادة وأدها في بعض القبائل فراراً من العار، وزهداً في البنات - حبيبة يتنافس في تربيتها المسلمون، وكانوا سواسية، لا يرجع بعضهم على بعض إلا بفضل أو حق[4]، فلما أراد النبيﷺ الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة تنادي: يا عمّ، فتناولها علي، فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها: دونك ابنة عمك، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، قال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: هي ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبيﷺ لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم، وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: «أشبهت خَلْقي وخُلْقي»، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا».

---

(1) غزوة الحديبية لأبي فارس ، ص 134 ، 135.
(2) البخاري ، رقم 4840؛ مسلم 1856.
(3) البخاري ، رقم 3983؛ مسلم 2494.
(4) السيرة النبوية للندوي ، ص321.

وقال علي لرسول الله ﷺ : ألا تتزوج بنت حمزة. قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة[1].

وفي هذه القصة دروس وعبر وأحكام وفوائد منها:

1- الخالة بمنزلة الأم.

2- الخالة تقدم على غيرها في الحضانة إذا لم يوجد الأبوان.

3- تزكية رسول الله ﷺ لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ووصفه له بقوله: «أشبهت خَلْقي وخُلُقي».

4- منقبة زيد بن حارثة: يقول له الرسـول ﷺ : «أنت أخونا ومولانا»، لأنه كان أخاً لحمزة بن عبد المطلب، فقد اخى الرسـول ﷺ بينهما، وهو باجتهاده يريد أن يكون عليه ما على الأخ الشـقيق من واجبات، والواجب أن يكون ولياً على بنت حمزة رضي الله عنه.

5- زواج المرأة لا يسـقط حقها من الحضـانة: لقد حكم النبيﷺ إلى زوجة جعفر بالحضـانة وعمتها صـفية بنت عبد المطلب حية موجودة.

6- لا بد من موافقة الزوج على حضـانة زوجته لابنة أختها؛ لأن الزوجة محتبسـه لمصـلحته ومنفعته، والحضـانة قد تفوِّت هذه المصلحة جزئياً، فلا بد من استئذانه، ونلاحظ هنا أن جعفر بن أبي طالب قد طالب بحضانة بنت عمه حمزة لخالتها وهي زوجة له، فدلَّ على رضاه بذلك.

7- إن الطفل إذا رضـع مع عمه يصبح أخاً له في الرضـاعة، وتصـبح بناته كلهن بنات أخيه من الرضـاعة، فيحرم عليه نكاحهن[2].

خامساً: علي رضي الله عنه في غزوة خيبر 7 هـ:

ذكر ابن إسحاق[3]، أنها كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وذكر الواقدي[4]، أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد[5]، إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال

---

(1) البخاري ، رقم 4251.

(2) زاد المعاد (374/2، 375)؛ صلح الحديبية لأبي فارس ، ص286، 287.

(3) السيرة النبوية لابن هشام ، (455/3).

(4) المغازي (634/2).

(5) الطبقات (106/2).

الإمامان الزهري ومالك: إنها في محرم من السنة السادسة[1]، وقد رجح ابن حجر[2] قول ابن اسحاق على قول الواقدي[3].

وفي هذه الغزوة تجلت فيها بطولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومكانته عند الله وعند رسوله، وما قدر الله من فتح هذه المستعمرة اليهودية، ذات الأهمية العسكرية الاستراتيجية على يده في مظهر جلي رائع[4]، فقد كانت خيبر مستعمرة يهودية تتضمن قلاعاً حصينة، وقاعدة حربية لليهود، اخر معقل من معاقلهم في جزيرة العرب، وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتامرون مع يهود المدينة وخارجها لغزو المدينة، فأراد رسول الله ﷺ أن يستريح منهم، ويأمن من جهتهم، وكانت في الشمال الشرقي للمدينة على بعد سبعين ميلاً منها[5]، توجه رسول الله ﷺ بجيشه إلى خيبر، وكانوا ألفاً وأربعمئة، ونازل حصون خيبر، وبدأ يفتحها حصناً حصناً.

واستعصى حصن الغموص على المسلمين، وكان علي بن أبي طالب رمداً [6]، فقال رسول الله ﷺ : «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس يدوكون[7] ليلتهم أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه، فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمُر النَّعَم»[8]. فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر.

وكان من صور بطولته فيها أن خرج له مرحب ملكهم وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحبُ ... شاكي السلاحِ بطلٌ مُجرَّبُ
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

---

[1] تاريخ دمشق (33/1).
[2] الفتح (41/16)؛ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص500.
[3] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص500.
[4] المرتضى للندوي ، ص52.
[5] المرتضى للندوي ، ص52.
[6] المصدر السابق نفسه ، ص53.
[7] أي: بات الناس في اختلاط واختلاف.
[8] مسلم ، رقم 3406.

فقال علي:

أنا الــذي سمَّــتــني أمِّــي حــيــدره كــلــيــثِ غــاباتٍ كــريــهِ المــنــظــره
أُوفــيــهــم بالصـــاع كــيــل الســـنــدره

فضرب رأس مِرحب، فقتله، ثم كان الفتح على يديه[1].

وفي موقف علي في غزوة خيبر دروس وعبر وفوائد؛ منها:

1- فضيلة عظيمة ومنقبة ظاهرة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

حيث شهد له النبيﷺ بالمحبة في قوله: «يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله». وقال ابن حجر: في معنى أن علياً يحب الله ورسوله؛ أراد بذلك وجود المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة، وفي هذا الحديث تلميح بقوله تعالى:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:31]. فكأنه أشار إلى أن علياً تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصف بصفة محبة الله له[2].

2- بركة دعائه ﷺ :

حيث استجاب الله لدعاء رسول ﷺ، وقد قال علي رضي الله عنه: ما رَمِدْتُ منذ تفل النبيﷺ في عيني[3]، كما أن علياً رضي الله عنه مرض مرة، فأتاه النبيﷺ وهو يقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخراً فارفعني، وإن كان البلاء فصبرني، فقال له رسول الله ﷺ : «ما قلت؟» فأعاد عليه، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم اشفه، اللهم عافه»، ثم قال: «قم». فقمت، فما عاد لي ذلك الوجع بعده[4].

3- لا علاقة بين هذا الحديث وإمامة علي رضي الله عنه:

ذهب الروافض إلى أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة بعد النبيﷺ، واستدلوا بمجموعة من الأحاديث تدل على فضله ولا تدل على إمامته؛ منها هذا الحديث، وزادوا فيه زيادات باطلة لا تصح عند علماء الحديث، كما أنه لا ملازمة بين كونه

---

(1) مسلم (1441/3) ، رقم 1807.
(2) فتح الباري (72/7).
(3) مسند أحمد الموسوعة الحديثية ، رقم 579 ، إسناده حسن.
(4) مسند أحمد (151/2) ، صححه أحمد شاكر.

محباً لله ورسوله ومحبوباً لهما، وبين كونه إماماً بلا فصل أصلاً على أنه لا يلزم من إثباتهما له نفيهما عن غيره، كيف وقد قال الله تعالى في حق أبي بكر ورفقائه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54]، وقال في حق أهل بدر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4]، ولا شك أن من يحبه الله يحبه رسوله، ومن يحب الله من المؤمنين يحب رسوله.

وقال في شأن أهل مسجد قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: 108]. ولما سئل: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة» قيل: ومن الرجال ؟ قال: «أبوها»[1]. وإنما نص على المحبة والمحبوبية في حق علي مع وجودهما في غيره لنكتة دقيقة تحصل من ضمن قوله: «يفتح الله على يديه»[2]. وهي أنه لو ذكر مجرد الفتح لربما توهم أن ذلك غير موجب لفضيلته لما ورد في قوله ﷺ : «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». فأزال ذلك التوهم بإثبات هاتين الصفتين له، فصار المقصود منه تخصيص مضمون؛ يفتح الله على يديه، وما ذكر من الصفات لإزالة ذلك التوهم[3].

4- وهناك مجموعة من الفوائد من حديث فضل علي في فتح خيبر:

- منها: فضل الصحابة في انشغالهم تلك الليلة، وشغلهم عن بشارة الفتح، لأنهم انشغلوا عن بشارة الفتح بالتماسهم معرفة من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، والإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسمع لها ومنعها عمن سعى؛ لأنَّ الصحابة غدوا على رسول الله مبكرين كلهم يرجو أن يُعطاها، ولم يعطوها، وعلي بن أبي طالب مريض ولم يسع لها، ومع ذلك أعطي الراية.

- الأدب في قوله: على رسلك. ووجهه: أنه أمره بالتمهل وعدم التسرع، الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

- الدعوة بالحكمة، تؤخذ من قوله: أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، لأن من الحكمة أن تتم الدعوة، وذلك بأن تأمره بالإسلام أولاً، ثم تخبره بما يجب عليه من حق الله، ولا يكفي أن تأمره بالإسلام لأنه قد يطبِّق هذا الإسلام الذي أمرته به، وقد لا يطبقه، بل لا بد من تعاهده حتى لا يرجع إلى الكفر.

- المعرفة بحق الله في الإسلام تؤخذ من قوله ﷺ : «وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه».

- ثواب من اهتدي على يديه رجل واحد، لقوله ﷺ : «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» أي:

---

(1) البخاري ، فتح الباري (22/7).

(2) مسلم ، رقم 3406.

(3) مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص70.

خير لك من كل ما يستحسن في الدنيا، وليس المعنى كما قال بعضهم: خير لك من أن تتصدق بنعم حمر.

الحلف على الفتيا لقوله ﷺ : «فو الله لأن يهدي الله... إلخ»، فأقسم النبيﷺ، وهو لم يُستقسم، والفائدة: هي حثه على أن يهدي الله به والتوكيد عليه. وقد أمر الله رسوله بالحلف في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: 53]، وفي قوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: 7]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: 3]. فإذا كان هناك في القَسَم مصلحة ابتداء، أو جواباً لسؤال جاز، وربما يكون مطلوباً [1].

سادساً: علي رضي الله عنه في فتح مكة وغزوة حنين 8 هـ:

نقضت قريش صلحها مع رسول الله ﷺ بمساندتها بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين، ودعمتهم بالخيل والسلاح والرجال. فقال رسول الله ﷺ «نصرت يا عمرو بن سالم، لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب» ولما عرض السحاب من السماء قال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»[2].

وقد جاء عمرو بن سالم إلى المدينة وأنشد قصيدة بين يدي رسول الله ﷺ جاء فيها:

يا ربِّ إني ناشدٌ محمدا	حلفَ أبينا وأبيهِ الأتلاد
قد كنتُم وُلداً، وكنّا والدا	ثُمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصرْ هداك اللهُ نصراً أعتدا	وادعُ عبادَ الله يأتوا مَدَدا
فيهم رسولُ اللهِ قد تجَرَّدا	إن سيم خسفاً وجهه تربدا

إلى أن قال:

وزعموا أنْ لستُ أدعو أحدا	وهم أذلُّ وأقلُّ عددا
هم بيَّتُونا بالوتيرِ هجّدا	وقتلونا رُكَّعاً وسجدا

وبعثت قريش أبا سفيان إلى المدينة لتمكين الصلح وإطالة أمده، وعندما وصل إلى المدينة ودخل على رسول الله ﷺ يعرض حاجته، أعرض عنه النبيﷺ ولم يجبه، فاستعان بكبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي حتى يتوسطوا

(1) القول المفيد على كتاب التوحيد ، لمحمد صالح (141/1، 142).
(2) البداية والنهاية (278/4).

بينه وبين رسول الله ﷺ، فأبوا جميعاً، فعاد أبو سفيان إلى مكة من غير أن يحظى بأي اتفاق أو عهد[1].

وكانت لعلي رضي الله عنه في فتح مكة مواقف متعددة، منها:

1- إحباط محاولة تجسس لصالح قريش:

عن حســن بن محمد بن علي عن عبيد الله بن أبي رافع: أنه سمع علياً يقول: بعثني رســول الله ﷺ - يقول -: أنا والزبير والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضـة خاخٍ، فإنَّ بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها». فانطلقنا تَعادى بنا خيْلُنا حتى أتينا الروضـــة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب. قلنا: لتُخرجنَّ الكتاب أو لنُلقينَّ[2] الثياب، قال: فأخرجتِ الكتاب من عِقاصِــها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رســول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشــركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رســول الله ﷺ، فقال رســول الله: «يا حاطب ما هذا؟» قال: لا تعجل عليّ، إني كنت امرأً مُلْصَــقاً في قريش، ولم أكن من أنفُســها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النَّسب فيهم أن أتَّخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رِضـاً بالكفر بعد الإسـلام. فقال رسـول الله ﷺ : «إنه قد صـدقكم». فقال عمر: دَعْني أضـرب عُنُق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلَعَ إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»[3].

2- أجرنا من أجرت يا أم هانئ:

قالت أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي رضي الله عنهما: لما نزل رسـول الله ﷺ بأعلى مكة فر إليَّ رجلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عنده هبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل عليَّ علي بن أبي طالب أخي، فقال:

والله لاقتتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسـول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسـل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه، فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف إليَّ فقال: «مرحباً وأهلاً يا أم هانئ ما جاء بك؟» فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال: «قد أجرنا من أجرتِ وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما»[4]، وبناء على ما تقدم، فإنَّ تأمين المســلم للكافر من أهل الحرب يجعله في أمان، ومن ثمّ، فلا

---

(1) التاريخ السياسي والعسكري ، د.علي معطي ،ص 365.

(2) في رواية: أو لنقلبن.

(3) إسناده صحيح ، الموسوعة الحديثية ، مسند أحمد ، رقم 600.

(4) صحيح السيرة ، ص 527.

يجوز للمسلمين أن يتعرَّضوا له بشيء.. وحتى يُصَانَ حقُّ التأمين هذا من أي ضرر يمكن أن يلحق بالمسلمين من جرَّائه؛ فقد شرط الفقهاء لصحَّته أن يتجرَّد مُعطْي الأمان من التُّهمَة، ويَخْلُو ذلك الأمان الممنوح من أيَّة مَفْسَدَة[1]، أو يرفع الأمر إلى ولي الأمر ليرى رأيه فيه.

3- مقتل الحويرث بن نقيذ بن وهب:

في هذا الفتح العظيم، كان النبيﷺ قد عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دمَ نفر سمَّاهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم الحويرث بن نقيذ بن وهب، كان ممن يؤذي النبيﷺ بمكة، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم، نخس[2]بهما الحويرث الجَمل الذي هما عليه فسقطتا على الأرض، فلما أهدر دمُه وظفر به عليٌّ قتله[3].

4- علي رضي الله عنه في مهمة إصلاحية:

أرسله الرسول ﷺ إلى بني جذيمة، ليتلافى خطأ خالد بن الوليد في قتل بعضهم، وذلك أن الرسول ﷺ بعث خالداً في السنة الثامنة للهجرة عقب فتح مكة، إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، وقالوا: صبأنا، فأخذ خالد يقتل منهم ويأسر... فلما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خالد، رفع يديه فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع»، مرتين[4]، فبعث الرسول ﷺ علياً إليهم، لينظر في أمرهم، وبعث معه بمال، فقام علي بمهمته خير قيام، فودَى لهم وعوضهم عما أصيب في الدماء والأموال، حتى إنه ليدي ميلغة[5] الكلب، ولما انتهى من ذلك كله، سألهم: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يؤدَّ إليكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطياً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل، ولما رجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره بالخبر قال: «أصبت وأحسنت»[6]وبهذه المهمة الجليلة الموفقة، أزال عليّ رضي الله عنه هما وحملاً أثقل الرسول ﷺ [7]، وبهذا الهدي النبوي الحكيم واسى النبيﷺ بني جذيمة، وأزال ما في

---

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (1051/3).

(2) نخس الدابة: هيجها.

(3) فتح الباري (11/8) ، السيرة النبوية لابن هشام (58/4، 59).

(4) البخاري ، رقم 4339.

(5) ميلغة: اسم آلة ، والفعل "يلغ" بمعنى يشرب ، ويطلق على الكلمة.

(6) السيرة النبوية لابن هشام (72/4-73) إسناده ضعيف وله شواهد.

(7) خلافة علي بن أبي طالب ، ص 46.

نفوسهم من أسى وحزن[1]، وكان قتل خالد لبني جذيمة تأوّلاً منه واجتهاداً خاطئاً، وذلك بدليل: أن الرسول ﷺ لم يعاقبه على فعله[2]، ولم يعزله.

5- علي رضي الله عنه في غزوة حنين:

من أعماله الجهادية التي تتسم بالشجاعة وتدل على الخبرة في القتال؛ ما كان في غزوة حنين في العام الثامن من الهجرة، فقد ثبت مع الرسول ﷺ، ومع من ثبت معه من المهاجرين والأنصار، وكان في جيش هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فأدرك علي بعبقريته الحربية، وتجربته الطويلة، أن لهذا الرجل عاملاً مؤثراً في حماس هوازن وشدتها، فاتجه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجل من الأنصار نحوه واستطاعا إسقاطه من على جمله وقتله، فما كانت إلا ساعة حتى انهزموا وولوا الأدبار وانتصر المسلمون[3].

6- سرية علي رضي الله عنه لهدم الصنم الفلس في بلاط طيِّئ:

بعد أن طهَّر النبيﷺ البيت الحرام من الأوثان التي كانت فيه، كان لابد من هدم البيوت التي كانت معالم للجاهلية ردحاً طويلاً من الزمن[4]، فكانت سرايا رسول الله ﷺ تترى لتطهير الجزيرة منها، فكانت من نصيب علي رضي الله عنه صنم الفلس في بلاد طيئ، ففي ربيع الاخر خرجت سرية علي بن أبي طالب إلى الفلس صنم لطيئ ليهدمه، وكان تعدادها خمسين ومئة رجل من الأنصار، على مئة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة ال حاتم - حاتم الطائي الذي ضرب المثل بجوده - مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه، وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام[5].

---

[1] السيرة النبوية لأبي شهبة (465/2).
[2] السيرة النبوية في ضوء المصادر ، ص 579.
[3] مسند أبي يعلى (388/3) ، حسن الإسناد؛ الصحيح المسند للعدوي ، ص141.
[4] معين السيرة ، ص294.
[5] تاريخ الإسلام للذهبي ، ص624.



سابعاً: استخلاف النبيﷺ لعلي على المدينة في غزوة تبوك 9 هـ:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحققت منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام[1]، واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة علياً، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس عما بداخلهم من حقد ونفاق، فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيئ إليه، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله عليه، وهذا العمل والقول السيئ منهم في حقه، علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح: أن علياً رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق[2]. عند ذلك أدرك علي الجيش، وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله ! أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله ﷺ : «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»[3].

ثامناً: علي رضي الله عنه ودوره الإعلامي في حجة أبي بكر بالناس 9 هـ:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عهد النبيﷺ مستمرة على كل الأصعدة والمجالات العقائدية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، والتعبدية، وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية.

فحجة عام 8 هـ بعد الفتح كلف بها عتاب بن أسيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشركين[4]، فلما حلَّ موسم الحج أراد ﷺ الحج، ولكنه قال: «إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أحج» وكان ذلك سنة 9 هـ، فخرج أبو بكر ومعه عدد كبير من الصحابة[5]، وساقوا معهم الهدي[6]، فلما خرج الصديق بركب الحجيج نزلت سورة براءة، فدعا النبيﷺ علياً رضي الله عنه وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك الصديق أبا بكر بذي الحليفة، فلما راه الصديق قال له: أمير أم مأمور ؟ فقال: بل مأمور، ثم سارا، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجة كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة، لا في شهر ذي القعدة كما قيل.

---

(1) المرتضى للندوي ، ص 55.
(2) مسلم ، رقم 78.
(3) البخاري ، رقم 2404.
(4) السيرة النبوية لأبي شهبة (536/2)؛ دراسات في عهد النبوة ، ص22.
(5) نظرة النعيم (98/1)؛ الطبقات الكبرى (168/2).
(6) فتح الباري (82/8).

وقد خطب الصـديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول، فكان يعرف الناس مناسـكهم: في وقوفهم، وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات... إلخ، وعلي يخلفه في كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سـورة براءة، ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة: لا يدخل في الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبيﷺ عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج المشـركون والمسـلمون بعد عامهم هذا[1]، وقد أمر الصـديق رهطاً اخر من الصحابة لمساعدة علي بن أبي طالب في إنجاز مهمته[2].

إن نزول صدر سورة براءة يمثل مفاصلة نهائية مع الوثنية، واتباعها، حيث منعت حجهم وأعلنت الحرب عليهم[3].

قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 1 – 3].

وقد أمهل المعاهدون لأجل معلوم منهم إلى انتهاء مدتهم، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4].

كما أمهل من لا عهد له من المشـركين إلى انسـلاخ الأشـهر الحرم، حيث يصبحون بعدها في حالة حرب مع المسـلمين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 5].

وقد كلف النبيﷺ علياً بإعلان نقض العهود على مسـامع المشـركين في موسـم الحج، مراعاة لما تعارف عليه العرب فيما بينهم في عقد العهود ونقضها. أن لا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس فيه منافاة للإسلام، فلذلك تدارك النبيﷺ الأمر وأرسـل علياً بذلك، فهذا هو السـبب في تكليف علي بتبليغ صـدر سـورة براءة، لا ما زعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة إلى أن علياً أحق بالخلافة من أبي بكر.

وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرى وهي حجة الوداع، لقد أعلن في حجة أبي بكر أن عهد الأصـنام قد انقضـى، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما على الناس إلا أن يسـتجيبوا لشـرع الله تعالى، فبعد هذا الإعلان الذي انتشـر بين قبائل العرب في الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضـى فعلاً، فأخذت ترسـل وفودها معلنة إسلامها ودخولها في التوحيد[4].

---

[1] مسند الإمام أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم 594 ، حديث صحيح.
[2] السيرة النبوية لأبي شهبة (537/2).
[3] نضرة النعيم (399/1).
[4] قراءة سياسية للسيرة النبوية ، ص 283.

تاسعاً: علي رضي الله عنه ووفد نصارى نجران، واية المباهلة 9 هـ:

كتب رسول الله ﷺ إلى نجران[1] كتاباً قال فيه: «أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية. فإن أبيتم آذنتكم بحرب. والسلام»[2] فلما أتى الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأي فيه؟ فقرروا أن يرسلوا إليه وفداً يتكون من أربعة عشر من أشرافهم، وقيلَ: ستين راكباً، منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن رأيه، والسيد، وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارث، أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم[3].

ولما جاء وفد نصارى نجران إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من الحبرة، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف «رضي الله عنهما» وكانا معرفة لهم، كانا يخرجان العير في الجاهلية إلى نجران، فيشتري لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان، ويا عبد الرحمن ! إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه، فلم يرد علينا سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أنعود؟.

فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك، فوضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فرد سلامهم، ثم سألهم وسألوه فلم تزل بهم وبه المسألة[4]، وقالوا لرسول الله ﷺ : كنا مسلمين قبلكم، فقال النبيﷺ : «يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً»[5].

وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبيﷺ يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا وتقول: إنه عبد الله، فقال: «أجل ! إنه عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فإن كنت صادقاً فأرِ مثله؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: 59 -60].

([1]) نجران: بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن.

([2]) البداية والنهاية (48/5).

([3]) المصدر السابق نفسه؛ السيرة النبوية لأبي شهبة (547/2).

([4]) زاد المعاد (629/3-638).

([5]) المصدر السابق نفسه (633/3).

فكانت حجة دامغة شبَّه فيها الغريب بما هو أغرب منه[1]، فلما لم تُجدِ معهم المجادلةَ بالحكمة والموعظة الحسنة، دعاهم إلى المباهلة[2]، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61]. وخرج النبيﷺ ومعه علي والحسن والحسين وفاطمة وقال: «وإذا أنا دعوت فأمِّنوا»[3]، فائتمروا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقاً، وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، وألف في صفر[4].

عاشراً: علي رضي الله عنه داعياً وقاضياً في اليمن 10 هـ:

بعد فتح مكة استجابت القبائل العربية بالجزيرة إلى الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يرسل الدعاة إلى القبائل التي لم تستجب بعد، فأرسل علياً رضي الله عنه إلى همدان باليمن، وهذا البراء بن عازب رضي الله عنه يحدثنا عمّا حدث في ذهابه مع علي رضي الله عنه لليمن فيقول: .. فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلى علي بنا الفجر، فلما فرغ، صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما قرأ كتابه خرَّ ساجداً، وقال: «السلام على همدان، السلام على همدان»[5].

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على الجبهة الجنوبية للدولة، وأن تدخل قبائل اليمن في الإسلام، وظهر هذا الاهتمام في النتائج الباهرة التي حققتها الدعوة في كثرة عدد الوفود التي كانت تنساب من كل أطراف اليمن متجهة إلى المدينة، مما يدل على أن نشاط المبعوثين إلى اليمن كان متصلاً وبعيد المدى، وكانت سرايا رسول الله ﷺ تساند هذا النشاط الدعوي السلمي، حيث بعث خالد بن الوليد ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فقد كان ﷺ يركز على مفاصل القوى، ومراكز التأثير في المجتمعات وبناء الدول ومارس هذا الفقه العظيم في حياته[6].

---

(1) المصدر السابق نفسه.
(2) السيرة النبوية لأبي شهبة (547/2).
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) المصدر السابق نفسه.
(5) زاد المعاد (622/3) إسناده صحيح.
(6) السيرة النبوية للصلابي (596/2)؛ الفقه السياسي للوثائق ، ص231.

هذا وقد أمر رسول الله ﷺ علياً بأن يقضي بين الناس في اليمن، وهذا علي رضي الله يحدثنا بنفسه حيث قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت له: يا رسول الله ! تبعثني إلى قوم أسن مني، وأنا حدث لا أبصر القضاء، قال: فوضع يده على صدري، وقال: «اللهم ثبّت لسانه وَاهد قلبه، يا علي إذا جلس إليك[1] الخصمان فلا تقضي بينهما حتى تسمع من الاخر، ما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء»، قال: فما اختلف علي قضاء بعد، أو ما أشكل علي قضاء بعد[2]. لقد احتاج اليمنيون بعد انتشار الإسلام في بلادهم من يفقههم في أمور دينهم، ويعلمهم ويقضي بينهم بحكم الله عز وجل، فبعث رسول الله ﷺ عدداً من الصحابة إلى أرجاء اليمن؛ منهم: معاذ وأبو موسى الأشعري، وكان من أفضلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد حفظت لنا كتب التاريخ والحديث والفقه مجموعة من القضايا التي حكم فيها علي رضي الله عنه وهو باليمن، منها:

1- قضاؤه في الأربعة الذين تدافعوا عند زبية[3] للأسد:

عن حنش، عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فانتهينا إلى قوم قد بنوا زُبْيَة[4] للأسد، فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل فتعلق باخر، ثم تعلق رجل باخر، حتى[5] صاروا فيه أربعة، فَدَرجَهم الأسد، فانتدب له رجل بِحَرْبة فقتله، وماتوا من جراحتهم كلهم، فقام أولياء الأول إلى أولياء الاخر، فأخرجوا السلاح ليقتتلوا، فأتاهم علي على تفيئة[6] ذلك، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله ﷺ حي ؟! إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجز بعضكم عن بعض، حتى تأتوا النبيﷺ فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عَدا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة، فللأول الربع لأنه أهلك من فوقه، وللثاني ثلث الدية، وللثالث نصف الدية. فأبوا أن يرضوا، فأتوا النبيﷺ وهو عند مقام إبراهيم، فقصُّوا عليه القصة، فقال: «أنا أقضي بينكم» واحتبى فقال رجل من القوم: إن علياً قضى فينا، فقصُّوا عليه، فأجازه رسول الله ﷺ [7].

---

[1] أي: جلس الخصمان.
[2] فضائل الصحابة (871/2) ، إسناده حسن ، رقم 1995.
[3] الزبية: حفرة تحفر للأسد ، ولا تحفر إلى في مكان عالٍ من الأرض.
[4] الحفرة في الأرض. القاموس (340/4)؛ تاج العروس (16/10).
[5] فضائل الصحابة (900/2) ، رقم 1239 ، إسناده حسن.
[6] تفيئة ذلك: أي أثره. النهاية (483/3).
[7] فضائل الصحابة ، رقم 1239 ، إسناده صحيح.

2- ثلاثة وقعوا على امرأة في طهر:

عن زيد بن أرقم أنه قال: أتي علي بثلاثة وهو باليمن وقعوا على امرأة في طهر واحد، فسأل اثنين: أتقرآن لهذا بالولد؟ قالا: لا ؛ حتى سألهم جميعاً، فجعل كلما سأل اثنين، قالا: لا، فأقرع بينهم، فألحق الولد بالذي صارت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثي الدية[1]، قال: فذكر ذلك لنبي الله ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه[2]. وكان ضحك رسول الله ﷺ فرحاً ومسروراً بتوفيق الله تعالى علياً للصواب؛ ولذلك أقرّه على ذلك[3]، ويحتمل أن ما حصل من أولئك النفر إنما كان قبل إسلامهم، لأن فعلهم محرم في دين الله تعالى[4].

الحادي عشر: علي رضي الله عنه في حجة الوداع:

أدرك عليٌّ رضي الله عنه رسول الله ﷺ في حجة الوداع، ونحر رسول الله ﷺ ثلاثاً وستين بدنة بيده، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سنيّ عمره، ثم أمسك، وأمر علياً أن ينحر ما بقي من المئة، ففعل وأكمل العدد.

وقد وصف لنا علي رضي الله عنه بعض المناسك في حجته مع رسول الله ﷺ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن النبيﷺ وقف بعرفة وهو مُرْدِف أسامة بن زيد، فقال: «هذا الموقف وكل عرفة موقف»، ثم دفع يسير العَنَقَ، وجعل الناس يضربون يميناً وشمالاً، وهو يلتفت ويقول: «السكينة أيها الناس، السكينة أيها الناس» حتى جاء المزدلفة، وجمع بين الصلاتين، ثم وقف بالمزدلفة، فوقف على قُزَحَ، وأردف الفضل بن عبّاس، وقال: «هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف»، ثم دفع وجعل يسير العَنَقَ، والناس يضربون يميناً وشمالاً، وهو يلتفت ويقول: «السّكينة، السَّكينة، أيُّها الناس» حتى جاء مُحسِّراً، فقرع راحلته فخبَّت، حتى خرج، ثم عاد لسَيْره الأول، حتى رمى الجمرة، ثم جاء المَنْحَر فقال: هذا المَنْحَر، وكلُّ مِنى مَنْحَر.

ثم جاءت امرأة شابة من خَثْعَمَ، فقالت: إنْ أبي شيخ كبير، وقد أفنَد، وأدركته فريضة الله في الحَجِّ، ولا يستطيع أداءها، فيُجزئ عنه أن أؤديها عنه؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم»، وجعل يصرف وجه الفضل بن العباس عنها.

ثم أتاه رجل فقال: إني رميت الجمرة، وأفضت، ولبست ولم أحْلِقْ . قال: «فلا حرج، فاحْلِق». ثم أتاه رجل اخر، فقال:

---

[1] منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص 87.

[2] نواجذه: جمع ناجذ: آخر الأضراس ، وللإنسان أربعة نواجذ. وهناك رواية أخرى في فضائل الصحابة ، رقم 1095، إسناده حسن لغيره.

[3] سنن النسائي (182/6) حاشية السندي.

[4] منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص 88.



إني رميت وحلقت ولبست ولم أنحر. فقال: «لا حرج فانحر». ثم أفاض رسول الله ﷺ، فدعا بسَجْلٍ من ماء زمزم، فشربَ منه وتوضأ، ثم قال: «انزعوا[1] يا بني عبد المطلب، فلولا أن تُغْلَبُوا عليها لنَزَعْتُ». قال العباس: يا رسول الله، إني رأيتك تصرف وجه ابن أخيك؟ قال: «إني رأيتُ غلاماً شاباً، وجارية شابة، فخشيت عليهما الشيطان»[2].

وقد كان علي رضي الله عنه يعلن على الناس ما أمره به النبيﷺ، فعن عمرو بن سُليم عن أمه قالت: بينما نحن بمنى إذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه أيام أكل وشرب، فلا يصومها أحد» واتَّبعَ الناس على جمله يصرخ بذلك[3].

الثاني عشر: تشرفه بغسل النبيﷺ ودفنه:

لما توفي النبيﷺ كان علي ممن باشر غسله مع الفضل بن العباس وأسامة بن زيد[4]، وقال علي رضي الله عنه: غسلت رسول الله ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً[5]، وقال: بأبي الطيب، طبت حياً وطبت ميتاً[6].

وكان علي رضي الله عنه من ضمن من نزل في قبر رسول الله ﷺ وباشروا دفنه هو والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقرآن مولى رسول الله ﷺ [7].

لقد كان نبأ وفاة رسول الله على الصحابة الكرام كالصاعقة لشدة حبهم له وما تعوّدوه من العيش في كنفه، عيش الأبناء في حجر الآباء، بل أكثر من ذلك، وكان حظ أهل البيت والأسرة الهاشمية – وعلى رأسها فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب – أوفر وأكثر بطبيعة الحال، وبحكم الفطرة السليمة والقرابة القريبة، وما يمتازون به من رقة الشعور، وقوة العاطفة، وشدة الحب، ولكن احتملوه بقوة إيمانهم والرضا بقضاء الله والاستسلام لأمره[8].

---

(1) المرتضى للندوي ، ص 57. وقد جاء في رواية البخاري : أن النبي ﷺ نحر سبع بدن بيده قياماً ، برقم 1712. وكلف علي بالإشراف على قسمتها وهي مئة، رقم 1718 . النزع: استخراج الماء من زمزم لسقي الحجيج.

(2) مسند أحمد (9/2)؛ الموسوعة الحديثية ، رقم 564 ، إسناده حسن.

(3) المصدر السابق نفسه ، رقم 567 ، إسناده صحيح.

(4) أبو داود (213/3) ، عن الشعبي مرسلاً ، رقم 3209؛ صححه الألباني في أحكام الجنائز ، ص51.

(5) سنن ابن ماجه (362/1) ، رقم 1467 ؛صححه الألباني في أحكام الجنائز ، ص50.

(6) السيرة النبوية لابن هشام (321/4).

(7) المصدر السابق نفسه (321/4).

(8) المرتضى للندوي ، ص59.

الثالث عشر: قصة الكتاب الذي همّ النبيﷺ بكتابته في مرض موته:

ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –: أنه قال: لما حُضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبيﷺ : «هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده»، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ : «قوموا».

قال عبد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب الكتاب لاختلافهم ولغطهم[1]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول اللهﷺ وجعه فقال: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي نزاع، فقالوا: ما شأنه؟ أهجر، اسْتَفْهِمُوه، فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه، وأوصاهم بثلاث، قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم»، وسكت عن الثالث، أو قال: فنسيها[2]. وليس فيما ثبت في هذا الحديث ورواياته الصحيحة أي مطعن على أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، وأما ما ذكره الروافض من مطاعن فباطلة معلومة الفساد. وقد أجاب العلماء قديماً عن بعضها؛ ومن هذه الردود:

1- إن اختلاف الصحابة ثابت، وكان سبب اختلافهم في فهم قول الرسول ﷺ ومراده لا عصيانه، قال القرطبي صاحب المفهم: وسبب ذلك أن ذلك كله إنما حمل عليه الاجتهاد المسوغ، والقصد الصالح، وكل مجتهد مصيب، أو أحدهما مصيب، والاخر غير مأثوم بل مأجور كما قررناه في الأصول[3]. ثم ذكر أن النبيﷺ لم يعنفهم ولا ذمهم بل قال للجميع: «دعوني فالذي أنا فيه خير»[4].

وهذا نحو ما جرى لهم يوم الأحزاب حيث قال لهم الرسول ﷺ : «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»[5]، فتخوف ناس فوات الوقت، فصلوا دون بني قريظة، وقال اخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ ؛ فما عنَّف أحد الفريقين[6].

---

(1) البخاري ، رقم 4432.
(2) البخاري ، رقم 4431.
(3) المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم (559/4).
(4) البخاري ، رقم 4431.
(5) البخاري ، رقم 4119.
(6) المفهم (559/4).

2- وأما ما ادعاه الروافض من أن اختلاف الصحابة وما ترتب عليه من عدم كتابة النبيﷺ لهم ذلك الكتاب هو الذي حرم الأمة من العصمة، فهذا باطل لأنه يعني أن الرسول ﷺ قد ترك تبليغ أمته ما فيه عصمتها من الضلال، ولم يبلغ شرع ربه لمجرد اختلاف أصحابه عنده حتى مات على ذلك، وأنه بهذا مخالف لأمر ربه في قوله: ﴿يأيها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67].

وإذا كان الرسول ﷺ مبرأ من ذلك ومنزهاً بتزكية ربه له في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، فوصفه بالحرص على أمته، أي: على هدايتهم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي لهم، ذكره ابن كثير في تفسيره[1]، وإذا كان هذا الأمر معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام عند الخاص والعام، لا يشك فيه من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، أن هذا الرسول الكريم قد بلغ كل ما أمر به، وكان أحرص ما يكون على أمته، بما هو متواتر من جهاده وتضحيته، وأخباره الدالة على ذلك، علمنا علماً يقيناً لا يشوبه أدنى شك، أنه لو كان الأمر كما يذكر الروافض من الوصف لهذا الكتاب من أن به عصمة الأمة من الضلال في دينها، ورفع الفرقة والاختلاف فيما بينها، إلى أن تقوم الساعة، لما ساغ في دين ولا عقل أن يؤخر رسول الله ﷺ كتابه إلى ذلك الوقت الضيّق، ولو أخّره ما كان ليتركه لمجرد اختلاف أصحابه عنده[2]. ولا يتصور أن النبيﷺ يترك أمر ربه، ولو قدر أنه تركه في ذلك الوقت لتنازعهم عنده لمصلحة راها فما الذي يمنعه من أن يكتب بعد ذلك، وقد ثبت أنه عاش بعد ذلك عدة أيام، فقد كانت وفاته - عليه الصلاة والسلام - يوم الإثنين على ما جاء مصرحاً به في رواية أنس في الصحيحين[3]، وحادثة الكتاب يوم الخميس بالاتفاق[4]، وقد ثبت باتفاق السنة والرافضة، أن رسول الله لم يكتب ذلك الكتاب حتى مات، علمنا أنه ليس من الدين الذي أمر بتبليغه لما دلَّ عليه القرآن من أن الله قد أكمل له ولأمته الدين، فأنزل عليه قبل ذلك في حجة الوداع: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة: 3].

قال ابن تيمية: ولم تكن كتابة الكتاب مما أوجبه الله عليه أن يكتبه أو يبلغه في ذلك الوقت، إذ لو كان كذلك لما ترك صلى الله عليه وسلم ما أمره الله به، لكن ذلك مما راه مصلحة لدفع النزاع في خلافة أبي بكر، ورأى أن الخلاف لابد أن يقع[5].

---

[1] تفسير ابن كثير (404/2).
[2] مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص 251؛ الانتصار للصحب والآل ، ص228، 229.
[3] البخاري ، رقم 4448؛ ومسلم ، رقم 419.
[4] الانتصار للصحب والآل ، ص229.
[5] منهاج السنة (316/6).

وقال في موضوع اخر: وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله ﷺ يريد أن يكتبه، فقد جاء مبيناً كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول، قائلاً: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[1].

إلى أن قال بعد ذكر روايات الحديث: والنبيﷺ قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع، علم أن الكتاب لا يرفع الشك، فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه كما قال: ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر[2].

وأما قوله في الحديث: «لن تضلوا بعدي» فيقول الدهلوي في توجيهه: فإن قيل لو لم يكن ما يكتب أمراً دينياً فلم قال: «لن تضلوا بعدي؟» قلنا: للضلال معانٍ، والمراد به هنا عدم الخطأ في تدبير الملك، وهو إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزه، وتجهيز جيش أسامة منه، لا الضلالة والغواية عن الدين وهو ما فعله أبو بكر والصحابة من بعده[3].

3- وأما معنى قول ابن عباس: إن الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب[4]، فكما قال ابن تيمية في معناه: يقتضي أن الحائل كان رزية، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق، واشتبه عليه الأمر، فإنه لو كان هناك كتاب لزال الشك، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه ولله الحمد[5].

ويوضِّح ذلك أن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ما قال ذلك إلا بعد ظهور أهل الأهواء والبدع، من الخوارج والروافض، نص على هذا ابن تيمية[6]، وابن حجر[7].

4- وأما ادعاؤهم أن النبيﷺ أراد بذلك الكتاب أن ينص على خلافة علي ــ رضي الله عنه ــ، وزعم بعض الروافض أنه ليس هناك تفسير معقول غيره، وهذا الادعاء باطل؛ قال ابن تيمية: ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضالٌّ باتفاق عامة الناس، من علماء السنة والشيعة، أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأن علي كان مستحقاً للإمامة فيقولون: إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصاً جلياً ظاهراً معروفاً، وحينئذ فلم يكن

---

(1) مسلم ، رقم(2387).
(2) منهاج السنة (23/6، 25).
(3) مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص251.
(4) البخاري ، رقم (4432).
(5) منهاج السنة (25/6).
(6) منهاج السنة (316/6).
(7) فتح الباري (209/1).

يحتاج إلى الكتاب[1].

5- وأما طعن الروافض على عمر رضـي الله عنه، وزعمهم بأنه قد اتهم رسـول الله ﷺ بأنه لا يعي ما يقول، وقال: «إنه يهجر» ولم يمتثل قوله، وقال: «عندكم كتاب الله»، «حسـبنا كتاب الله»؛ فجوابه: أن ما ادعاه أولاً بأن عمر اتهم رسـول الله ﷺ بالهجر وأنه لا يعي ما يقول فهذا باطل، وذلك أن هذه اللفظة (أهجر) لا تثبت عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أصلاً، وإنما قالها بعض من حضـر الحادثة من غير أن تعين الروايات الواردة في الصـحيحين قائلها، وإنما الثابت فيها: «فقالوا: ما شـأنه ؟ أهجر»[2] هكذا بصـيغة الجمع دون الإفراد، ولهذا أنكر بعض العلماء أن تكون هذه اللفظة من كلام عمر، قال ابن حجر: ويظهر لي ترجيح ثالث الاحتمالات التي ذكرها القرطبي، ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام، وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع، قد يشتغل به عن تحرير ما يريد[3].

وقال الدهلوي: من أين يثبت أن قائل هذا القول هو عمر مع أنه وقع في أكثر الروايات: (قالوا) بصيغة الجمع[4].

إن الثابت الصحيح من هذه اللفظة أنها وردت بصيغة الاستفهام هكذا (أهجر؟)، وهذا بخلاف ما جاء في بعض الروايات بلفظ: (هجر، ويهجر)؛ فإنه مرجوح على ما حقق ذلك المحدثون وشـراح الحديث، منهم القاضـي عياض[5]، والقرطبي[6]، والنووي[7]، وابن حجر[8]، فقد نصوا أن الاستفهام جاء على سبيل الإنكار ـــ على من قال: لا تكتبوا[9]، قال القرطبي بعد أن ذكر الأدلة على عصـــمة النبي ﷺ من الخطأ في التبليغ في كل أحواله، وتقرر ذلك عند الصـــحابة: وعلى هذا يسـتحيل أن يكون قولهم: (أهجر)، لشـك عرض لهم في صـحة قوله، زمن مرضـه، وإنما كان ذلك من بعضـهم على وجه الإنكار على من توقف في إحضـــار الكتاب والدواة، وتلكأ عنه، فكأنه يقول لمن توقف: كيف تتوقف ؟ أتظن أنه قال: هذياناً، فدع التوقف وقرب الكتاب، فإنه يقول الحق لا الهجر، وهذا أحسن ما يحمل عليه[10].

وهذا يدل على اتفاق الصحابة على استحالة الهجر على الرسول ﷺ، حيث إن قائليها أوردوها على سبيل الإنكار الملزم،

---

(1) منهاج السنة (25/6)؛ الانتصار للصحب والآل ، ص (281، 282، 283).
(2) البخاري ، رقم (4431).
(3) فتح الباري (133/8).
(4) مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص250.
(5) الشفا (886/2).
(6) المفهم (559/4).
(7) شرح صحيح مسلم (93/11).
(8) فتح الباري (133/8).
(9) الانتصار للصحب والآل ، ص228.
(10) المفهم (559/4).

الذي لا يشك فيه المخالف، وبه تبطل دعوى الروافض من أصلها[1].

6- أما ادعاؤهم من معارضة عمر لرسول الله ﷺ بقوله: عندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله، وأنه لم يتمثل أمر رسول الله ﷺ فيما أراد من كتابة الكتاب، فالرّدّ على هذه الشـــبهة الواهية: أن عمر – رضـــي الله عنه – ومن كان على رأيه من الصحابة، ظهر لهم، أن أمر الرسول بكتابة الكتاب ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح، وقد نبه على هذا القاضي عياض[2]، والقرطبي[3]، والنووي[4]، وابن حجر[5]. ثم إنه قد ثبت بعد هذا صحة اجتهاد عمر – رضي الله عنه – وذلك بترك الرسول ﷺ كتابة الكتاب، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف، ولهذا عدّ هذا من موافقات عمر[6]، كما أن قول عمر – رضـي الله عنه –: حسـبنا كتاب الله، رد على من نازعه لا على أمر النبيﷺ، وهذا ظاهر من قوله: عندكم كتاب الله، فإن المخاطب جمع؛ وهم المخالفون لعمر ـ رضي الله عنه ـ في رأيه، كما أن عمر ـ رضي الله عنه ـ كان بعيد النظر، ثاقب البصيرة، سديد الرأي، وقد رأى أن الأولى ترك كتابة الكتاب ـ بعد أن تقرر عنده أن الأمر به ليس على الوجوب ـــ وذلك لمصلحة شرعية راجحة للعلماء في توجيهها أقوال؛ منها: شفقته على رسـول الله ﷺ مما يلحقه من كتابة الكتاب مع شـدة المرض، ويشـهد لهذا قوله: إن رسـول الله ﷺ قد غلبة الوجع، فكره أن يتكلف رســـول الله ﷺ ما يشـــق ويثقل عليه[7]، مع اســـتحضـــار قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[الأنعام: 38]، وقوله تعالى: ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89].

قال النووي: وأما كلام عمر ـ رضي الله عنه ـ فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث، على أنه من دلائل فقه عمر، وفضائله ودقيق نظره[8].

كما أن عمر رضـــي الله عنه كان مجتهداً في موقفه من كتابة الكتاب، والمجتهد في الدين معذور على كل حال، بل مأجور لقول النبيﷺ : «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أ صـاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[9]، فكيف وقد كان اجتهاد عمر بحضـــور رســـول الله ﷺ فلم يؤثمه ولم يذمه به، بل وافقه على ما أراد من ترك الكتاب ؟!.وبهذا يظهر بطلان طعن الروافض على الصحابة في هذه الحادثة، وينكشف زيف ما قالوه في حقهم[10].

---

(1) الانتصار للصحب والآل ، ص289. وهذا المرجع من أحسن ما اطلعت عليه في الرد على هذه الشبهة.
(2) الشفا (887/2).
(3) المفهم (559/2).
(4) شرح النووي (91/11).
(5) فتح الباري (209/1).
(6) المصدر السابق نفسه .
(7) الشفا (888/2).
(8) شرح النووي على صحيح مسلم (90/11)؛ الانتصار للصحب والآل ، ص289، 290، 291، 292.
(9) البخاري ، رقم (7352).
(10) الانتصار للصحب والآل ، ص294، 295.

الفصل الثاني :علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الأول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الصديق

أولاً: مبايعة علي لأبي بكر بالخلافة رضي الله عنهما:

وردت أخبار كثيرة في شـأن تأخُّر علي عن مبايعة الصـديق، وكذا تأخُّر الزبير بن العوام، وجُلّ هذه الأخبار ليست بصحيحة، وقد جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن علياً والزبير رضي الله عنهما بايعا الصديق في أول الأمر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار.. فذكر بيعة السقيفة[1]، ثم قال: ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير علي، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به. فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايعه ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاؤوا به، فقال: ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعاه[2].

ومما يدل على أهمية حديث أبي سعيد الخدري الصحيح: أن الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الجامع الصحيح الذي هو أصح الكتب الحديثية بعد صحيح البخاري ذهب إلى شيخه الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة صاحب صحيح ابن خزيمة، فسأله عن هذا الحديث، فكتب له ابن خزيمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لشيخه ابن خزيمة: هذا الحديث يساوي بدنة، فقال ابن خزيمة: هذا الحديث لا يساوي بدنة[3] فقط، إنه يساوي بدرة مال[4].

وعلق على هذا الحديث ابن كثير رحمه الله فقال: هذا إسناد صحيح محفوظ، وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة علي بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه[5]. وفي رواية حبيب بن أبي ثابت، حيث قال: كان علي بن أبي طالب في بيته، فأتاه رجل، فقال له: قد جلس أبو بكر للبيعة، فخرج علي إلى المسجد في قميص له، ما عليه إزار ولا رداء، وهو

---

(1) مجمع الزوائد (183/5) رجاله رجال الصحيح؛ البداية والنهاية (281/5) ، قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح محفوظ.
(2) المستدرك (76/3)؛ السنن الكبرى (143/8) ، بإسنادين صحيحين .
(3) البدنة: ناقة أو بقرة تنحر بمكة ، ولعظمها وضخامتها سمين بدنة.
(4) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار. والمعنى: أنه كنز ثمين.
(5) البداية والنهاية (239/5).



متعجِّل، كراهة أن يبطئ عن البيعة، فبايع أبا بكر، ثم جلس، وبعث إلى ردائه فجاؤوه به، فلبسه فوق قميصه[1].

وقد سأل عمرو بن حريث سعيد بن زيد رضي الله عنه، فقال له: أشهِدْتَ وفاة رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، قال له: متى بويع أبو بكر؟ قال سعيد: يوم مات رسول الله ﷺ، كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة.

قال: هل خالف أحد أبا بكر؟

قال سعيد: لا. لم يخالف إلا مرتد، أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه. قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟ قال سعيد: لا، لقد تتابع المهاجرون على بيعته[2].

وكان مما قال علي رضي الله عنه لابن الكواء وقيس بن عباد، حينما قدم البصرة وسألاه عن مسيره قال: «لو كان عندي من النبيﷺ عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره، ولقاتلتهما ولو لم أجد إلا بردي هذا، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس، وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب، وقال: «أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر يصلِّ بالناس» فلما قبض الله نبيه ونظرنا في أمورنا، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله لديننا، وكانت الصلاة أصل الإسلام، وهي أعظم الأمور وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر، وكان لذلك أهلاً، ولم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع منه البراءة، فأديت إلى أبي بكر حقه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه في جنوده، وكنت اخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي[3].

وكان مما قال في خطبته على منبر الكوفة في ثنائه على أبي بكر وعمر: فأعطى المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا[4].

وجاءت روايات أشارت الى مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما في أول الأمر وإن لم تصرح بذلك، فعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: إن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. ثم قام أبو بكر فخطب الناس، واعتذر إليهم، وقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغباً، ولا سألتها الله عز وجل في سر ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمراً عظيماً ما لي به من

(1) الطبري (207/3). والأثر المرسل ، وفي الإسناد سيف بن عمر متروك ، وعبد العزيز بن سياه صدوق يتبع؛ تقريب (357).
(2) تاريخ الطبري (207/3) ، إسناد الخبر ضعيف ؛ انظر: خلافة أبي بكر الصديق ، عبد العزيز سليمان ، ص66.
(3) تاريخ الإسلام ، عهد الخلافة الراشدة ، ص389 ، إسناده ضعيف ؛ خلافة أبي بكر الصديق ، عبد العزيز سليمان ، ص65.
(4) أسد الغابة (166/4، 67) ، خلافة أبي بكر ، ص66.



طاقة، ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم. فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به، قال علي رضي الله عنه والزبير: ما غضبنا إلا لأنا قد أخرنا عن المشاورة، وأنّا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ ؛ إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنّا لنعلم بشرفه، وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي[1].

وعن قيس العبدي قال: شهدت خطبة علي يوم البصرة، قال: فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبيﷺ وما عالج من الناس، ثم قبضه الله عز وجل إليه، ثم رأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه، فبايعوا وعاهدوا وسلموا، وبايعت وعاهدت وسلمت، ورضوا ورضيت، وفعل من الخير وجاهد حتى قبضه الله عز وجل رحمة الله عليه[2].

إن علياً رضي الله عنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات، وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين. ويرى ابن كثير ومجموعة من أهل العلم أن علياً جدد بيعته بعد ستة أشهر من البيعة الأولى؛ أي: بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، وجاءت في هذه البيعة روايات صحيحة[3]. ولكن لما وقعت البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن علياً لم يبايع قبلها، فنفى ذلك، والمثبت مقدم على النافي[4]. وهناك كتاب اسمه (الإمام علي جدل الحقيقة والمسلمين، الوصية والشورى) لمحمود محمد العلي، زعم صاحبه بأنه يبحث ويناشد الحقيقة، ولكن صاحبه لم يتخلص من المنهج الشيعي الرافضي في الطرح، ووضع السم في العسل، ولذلك وجب التنبيه، وقد تعرض لبيعة علي رضي الله عنه، وزعم بأن أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة قائمة على الوصية.

ثانياً: علي رضي الله عنه ومساندته لأبي بكر في حروب الردة:

كان علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه عيبة[5] نصح له، مرجحاً لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء اخر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين، وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة، واجتماع شمل المسلمين؛ ما جاء من موقفه من توجه أبي بكر رضي الله عنه بنفسه الى ذي القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي[6].

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: لما برز أبو بكر الى ذي القصة، واستوى على راحلته؛ أخذ علي بن أبي طالب رضي الله

---

(1) البداية والنهاية (341/6) ، إسناده جيد؛ خلافة أبي بكر ، ص67.
(2) السنة ، عبد الله بن أحمد (563/2) ، رجال الإسناد ثقات.
(3) البداية والنهاية (49/5).
(4) البداية والنهاية (49/5).
(5) العيبة: وعاء من خوص ونحوه ، ينقل فيه الزرع المحصور إلى الجرين ، ووعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع.
(6) المرتضى للندوي ، ص97.



عنه بزمامها، وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع الى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً» فرجع[1]. فلو كان علي رضي الله عنه – أعاذه الله من ذلك – لم ينشرح صدره لأبي بكر وقد بايعه على رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علي، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجوُّ له، وإذا كان فوق ذلك حاشاه الله من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، أغرى به أحداً يغتاله، كما يفعل الرجال السياسيون بمنافسيهم وأعدائهم[2]، وقد كان رأي علي رضي الله عنه مقاتلة المرتدين، وقال لأبي بكر لما قال لعلي: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال أقول: إنك إن تركت شيئاً مما كان أخذه منهم رسول الله؛ فأنت على خلاف سنة الرسول ﷺ، فقال: أما لئن قلت ذاك لأقاتلنهم، وإن منعوني عقالاً[3].

ثالثاً: تقديم علي رضي الله عنه لأبي بكر:

تواترت الأخبار عن علي رضي الله عنه في تفضيله وتقديمه لأبي بكر رضي الله عنه، فمن ذلك:

1- عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[4].

2- عن علي رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها ؟ أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر ؟ عمر[5].

3- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[6].

4- وقال علي رضي الله عنه: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[7].

5- وقال علي لأبي سفيان رضي الله عنهما: إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً.

---

(1) البداية والنهاية (314/6-315).

(2) المرتضى للندوي ، ص97.

(3) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري ، ص48 ؛ الرياض النضرة ، ص670.

(4) البخاري.

(5) مسند أحمد (106/1، 110، 127) ، صحح أحمد شاكر معظم طرق هذه الأحاديث.

(6) المستدرك (79/3) ، صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

(7) فضائل الصحابة (83/1) ، في سنده ضعف.

وهناك آثار يستأنس بها في إيضاح العلاقة الطيبة بين علي وأبي بكر؛ منها:

(أ) عن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبيﷺ بليال، وعلي يمشي الى جنبه، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي

قال: وعلي يضحك[1].

(ب) وعن علي رضي الله عنه قال: من فارق الجماعة شبراً، فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه[2]، فهل كان علي يفعل ذلك؟ كان رضي الله عنه يكره الاختلاف ويحرص على الجماعة.

قال القرطبي: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الاتفاق؛ عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الاخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحياناً، لكن الديانة ترد ذلك، والله الموفق[3].

وأما ما قيل من تخلف الزبير بن العوام عن البيعة لأبي بكر، فإنه لم يرد من طريق صحيح، بل ورد ما ينفي هذا القول، ويثبت مبايعته في أول الأمر، وذلك في أثر أبي سعيد السابق الصحيح وغيره من الاثار[4].

(ج) قال ابن تيمية: وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خير الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر. وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة قيل: أنها تبلغ ثمانين طريقاً. وعنه أنه كان يقول: لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[5]. وقال أيضاً: ولم يقل أحد قط أني أحق بهذا ـ أي الخلافة ـ من أبي بكر، ولا قاله أحد في أحد بعينه أن فلاناً أحق بهذا الأمر من أبي بكر. وإنما قال من فيه أثر الجاهلية عربية أو فارسية: إن بيت الرسول أحق بالولاية؛ لأن العرب في جاهليتها كانت تقدم أهل الرؤساء، وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك، فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به الى هذا[6].

(د) تسمية أبي بكر بالصديق وشهادة علي له بالسباق والشجاعة: عن يحيى حكيم بن سعد قال: سمعت علياً رضي الله

(1) مسند أحمد (170/1) ، إسناده صحيح ، تحقيق أحمد شاكر .
(2) مصنف ابن أبي شيبة (24/15) من مرسل أبي طارق الأزدي ، وهو صدوق ، ورجال الإسناد ثقات؛ خلافة أبي بكر الصديق ، ص80.
(3) فتح الباري (495/7).
(4) خلافة أبي بكر الصديق ، عبد العزيز سليمان ، ص81.
(5) منهاج السنة (162/3).
(6) منهاج السنة (269/3)؛ مرويات أبي مخنف ، ص309.

عنه يحلف بالله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق[1]. وعن صلة بن زفر العبسي قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند علي قال: السباق تذكرون، والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر[2].

وعن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: خطبنا علي فقال: أيها الناس ! من أشجع الناس؟ قلنا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: ذاك أبو بكر الصديق، إنه لما كان في يوم بدر وضعنا لرسول الله ﷺ العريش[3]، فقلنا: من يقيم عنده لا يدنو إليه أحد من المشركين؟ فما قام عليه إلا أبو بكر، وإنه كان شاهراً السيف على رأسه كلما دنا إليه أحد هوى إليه أبو بكر بالسيف، ولقد رأيت رسول الله وأخذته قريش عند الكعبة؛ فجعلوا يتعتعونه ويترترونه[4]، ويقول: أنت الذي جعلت الالهة إلهاً واحداً، فوالله ما دنا إليه إلا أبو بكر، ولأبي بكر يومئذ ضفرتان[5]، فأقبل يجأ[6] هذا ويدفع هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم.. وقطعت إحدى ضفيرتي أبي بكر، فقال علي لأصحابه: ناشدتكم الله أي الرجلين خير، مؤمن ال فرعون أو أبو بكر؟ فأمسك القوم، فقال علي: والله ليوم من أبي بكر خير من مؤمن ال فرعون، ذلك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه، وهذا أبو بكر بذل نفسه ودمه لله[7].

رابعاً: اقتداء علي بالصديق في الصلوات وقبول الهدايا منه:

إن علياً رضي الله عنه كان راضياً بخلافة الصديق ومشاركاً له في معاملاته وقضاياه، قابلاً منه الهدايا، رافعاً إليه الشكاوى، مصلياً خلفه، محباً له، مبغضاً من بغضه[8]، وشهد بذلك أكبر خصوم الخلفاء الراشدين وأصحاب النبيﷺ ومن تبعهم بهديهم، وسلك بمسلكهم، ونهج بمنهجهم[9]، فهذا اليعقوبي الشيعي الغالي في تاريخه يذكر أيام خلافة الصديق فيقول: وأراد أبو بكر أن يغزو الروم، فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، فقدموا وأخروا فاستشار علي بن أبي طالب فأشار أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت؟ فقال: بشرت بخير، فقام أبو بكر في الناس خطيباً، وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم، وفي رواية: سأل الصديق علياً كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبيﷺ حيث سمعته يبشر بتلك البشارة، فقال أبو

---

(1) المعجم الكبير للطبراني (55/1) ، رجاله ثقات ، له الحافظ في الفتح.
(2) الطبراني في الأوسط (207/7، 208) ، إسناده ضعيف.
(3) العريش: ما يستظل به ، وجمعه عروش وعُرُش.
(4) يترترونه: الترترة : تحريك الشيء.
(5) ضفرتان: عقيصتان.
(6) يجأ: الوجء: اللكز.
(7) المستدرك (67/3) ، صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.
(8) الشيعة وأهل البيت ، إحسان إلهي ظهير ، ص69.
(9) الشيعة وأهل البيت ، ص69.

بكر: سررتني بما أسمعتني من رسول الله ﷺ يا أبا الحسن سرك الله[1].

ويقول اليعقوبي أيضاً: وكان مما يؤخذ عنه الفقه في أيام أبي بكر علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود[2]، فقدم علياً على جميع أصحابه، وهذا دليل واضح على تعاملهم مع بعضهم وتقديمهم علياً في المشورة[3] والقضاء، فعندما كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر بقوله له: إنه وجد رجلاً في بعض نواحي العرب يُنكح كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ ؛ ومنهم علي، فقال علي: إن هذا ذنب لم يعمل به إلا أمة واحدة[4]، ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يحرق بالنار، فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار[5].

وكان علي رضي الله عنه يمتثل أوامر الصديق؛ فعندما جاء وفد من الكفار الى المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفاً وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستيصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة، وأحس منهم الصديق خطراً على عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا كذلك حتى أمنوا منهم[6]. وللتعامل الموجود بينهم، وللتعاطف والتوادد والوئام الكامل؛ كان علي وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول صلوات الله وسلامه عليه يتقبل الهدايا والتحف دأب الأخوة المتشاورين ما بينهم والمتحابين، كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية[7]، وأيضاً منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع من أسر في حرب اليمامة، وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد بن الحنفية، وكانت خولة من سبي أهل الردة وبها يعرف ابنها، ونسب إليها محمد بن الحنفية[8].

يقول الإمام الجويني عن بيعة الصحابة لأبي بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر رضي الله عنه، وكان علي رضي الله عنه سامعاً لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض الى غزو بني حنيفة[9].

ووردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية والخمس وأموال الفيء من الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وكان

(1) تاريخ اليعقوبي (2/132-133)؛ نقلاً عن الشيعة وأهل البيت ، ص70.
(2) تاريخ اليعقوبي (2/138) ، نقلاً عن الشيعة وأهل البيت ، ص70.
(3) الشيعة وأهل البيت ، ص70.
(4) ألا وهي أمة لوط عليه السلام.
(5) المغني والشرح الكبير (12/220)؛ المختصر من كتاب الموافقة ، ص51.
(6) تاريخ الطبري (4/64) ، الشيعة وأهل البيت ، ص71.
(7) الطبقات (3/20)؛ البداية والنهاية (7/331-333).
(8) الطبقات (3/20) المصدر نفسه.
(9) الإرشاد للجويني ، ص428 ، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية للقفاري (1/85).

علي هو القاسم والمتولي في عهده على الخمس والفيء، وكانت هذه الأموال بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن[1].

وكان علي رضي الله عنه يؤدي الصلوات الخمسة في المسجد خلف الصديق، راضياً بإمامته، ومظهراً للناس اتفاقه ووئامه معه[2].وكان علي رضي الله عنه يروي عن أبي بكر بعض أحاديث رسول الله ﷺ، فعن أسماء بن الحكم الفزاري قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ علماً نفعني الله به، وكان إذا حدثني عنه غيري استحلفته، فاذا حلف صدقته، وحدثني أبو بكر – وصدق أبو بكر – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له»[3].

ولما قبض رسول الله ﷺ اختلف أصحابه فقالوا: ادفنوه في البقيع[4]، وقال اخرون: ادفنوه في موضع الجنائز، وقال اخرون: ادفنوه في مقابل أصحابه، فقال أبو بكر: أخِّروا فإنه لا ينبغي رفع الصوت عند النبيﷺ حياً ولا ميتاً، فقال علي رضي الله عنه: أبو بكر مؤتمن على ما جاء به، قال أبو بكر: عهد إليّ رسول الله ﷺ أنه ليس من نبي يموت إلا دفن حيث يقبض[5].

وشهد علي رضي الله عنه للصديق عن عظيم أجره في المصاحف، فعن عبد خير قال: سمعت علياً يقول: أعظم الناس أجراً في المصاحف: أبو بكر الصديق، هو أول من جمع بين اللوحين[6].

خامساً: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبيﷺ :

قالت عائشة رضي الله عنها: إن فاطمة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبا بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل ال محمد ﷺ من هذا المال»[7]. وفي رواية: قال أبو بكر رضي الله عنه: ... لست تاركاً

---

(1) الشيعة وأهل البيت ، ص72.
(2) المصدر السابق نفسه .
(3) مسند أحمد ، رقم47.
(4) البقيع: مقبرة أهل المدينة ، وهي داخل المدينة.
(5) مسند أحمد (8/1) ، إسناده ضعيف قاله أحمد شاكر. وقال ابن حجر في الفتح (631/1): إسناده صحيح ، لكنه موقوف.
(6) المختصر من كتاب الموافقة ، ص44.
(7) البخاري ، رقم 6726.

شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أزواج النبيﷺ، حين توفي رسول الله ﷺ، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر، ليسألنه ميراثهن من النبيﷺ، فقالت عائشة رضي الله عنها لهن: أليس قد قال رسول الله ﷺ : «لا نورث ما تركنا صدقة»[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»[3].

وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها امتثالاً لقوله ﷺ، لذلك قال الصديق: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به[4] وقال: والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته[5].

وقد تركت فاطمة رضي الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ﷺ، قال ابن قتيبة[6]: وأما منازعة فاطمة أبا بكر رضي الله عنهما في ميراث النبيﷺ فليس بمنكر، لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله ﷺ، وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد اباءهم، فلما أخبرها بقوله كَفَّت[7].

وقد غلا الرافضة في قصة ميراث النبيﷺ غلواً مفرطاً مجانبين الحق والصواب، معرضين متجاهلين ما ورد من نصوص صحيحة في أنه ﷺ لا يورث، وجعلوا ذلك من أصول الخلاف بين الصحابة وال البيت رضي الله عنهم أجمعين، وامتداداً لأمر الخلافة، فاتهموا الصحابة رضوان الله عليهم بإيقاع الظلم والجور على ال البيت، ولا سيما أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما اللذين غصبا الخلافة من ال البيت كما في زعمهم، وأضافوا إلى ذلك غصب أموال ال البيت، وغصب ما فرض الله لهم من حقوق مالية، ويعتبر الرافضة قضية فدك، ومنع فاطمة من إرثها من أهم القضايا، التي تواطأ عليها الصحابة بعد غصب الصديق رضي الله عنه للخلافة منهم على حد تعبيرهم، وذلك حتى لا يميل الناس إلى ال البيت بسبب هذا المال فيجتمعوا عليه ويخلعوه من الخلافة[8].

والمتتبع لكتب الرافضة في هذه المسألة يجد أنها تنصب على إنكار حديث رسول الله ﷺ : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث،

---

(1) مسلم ، رقم 1759.
(2) البخاري ، رقم 6730؛ مسلم ، رقم 1758.
(3) البخاري ، رقم 6729.
(4) مسلم ، رقم 1758.
(5) البخاري ، رقم 6726.
(6) شذرات الذهب (169/2).
(7) تأويل مختلف الحديث ، ص 1/19.
(8) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ، ص435.

ما تركناه صدقة»[1] واستقطاب الأدلة لمحاولة إبطاله؛ فمن ذلك:

1- زعمهم أن هذا الحديث وضعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي ذلك يقول الحلي: إن فاطمة لم تقبل بحديث اخترعه أبو بكر من قوله: «ما تركناه صدقة» وقال أيضاً: والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها[2]، وقال المجلسي، بعد أن نص على أن أبا بكر وعمر أخذا فدكاً: ولأجل ذلك وضعوا تلك الرواية الخبيثة المفتراة: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[3]. ويقول الخميني في ذلك: نقول بأن الحديث المنسوب إلى النبي لا صحة له، وأنه قيل من أجل استئصال ذرية النبي[4]. ويجاب على ذلك: بأن هذا القول كذب محض، وافتراء واضح، إذ هذه الرواية لم ينفرد بها أبو بكر رضي الله عنه، بل إن قوله صلى الله عليه وسلم: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة». رواه عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة، والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس ابن عبد المطلب، وأزواج النبيﷺ، وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم أجمعين[5]. وفي ذلك يقول ابن تيمية: والرواية عن هؤلاء ثابتة في الصحاح والمسانيد، مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث، فقول القائل: إن أبا بكر انفرد بالرواية؛ يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب[6].

وقال ابن كثير؛ بعد ذكره لمن روى الحديث وأن هذا الزعم من الرافضة باطل: ولو تفرد بروايته الصديق رضي الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك[7]، وقد قال الدكتور سليمان بن رجاء السحيمي صاحب الكتاب القيم (العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط): ويؤيد هذا ما جاء من كتب الرافضة عن الإمام جعفر الصادق الإمام الخامس المعصوم عندهم فيما رواه الكليني والصفار والمفيد: أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، والعلماء أمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر. وأن العلماء ورثة الأنبياء، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر»[8]. وفي رواية: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما

---

(1) مسلم ، رقم 6726.
(2) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة (193/4) ، نقلاً عن العقيدة في أهل البيت.
(3) حق اليقين ، ص191 ، نقلاً عن العقيدة في أهل البيت ، ص443.
(4) كشف الأسرار للخميني ، ص13-133 ، نقلاً عن العقيدة في أهل البيت.
(5) العقيدة في أهل البيت ، ص444.
(6) منهج السنة (199/4).
(7) البداية والنهاية (250/5).
(8) الكافي للكليني (32/1-34).

أورثوا أحاديث من أحاديثهم»[1]. وما أرث منك يا رسول الله؟ قال: «ما أورث النبيون».

2- زعمهم أن هذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء:11]، وقالوا: لم يجعل الله ذلك خاصاً بالأمة دونه ﷺ [2].

والحقيقة: أن الخطاب شامل للمقصودين بالخطاب، وليس فيه ما يوجب كون النبيﷺ من المخاطبين بها[3]. فهو ﷺ لا يقاس بأحد من البشر، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ ولأن الله حرم عليه صدقة الفرض والتطوع، وخص بأشياء لم يخص بها أحد غيره ﷺ، ومما خصه الله به، هو وإخوانه من الأنبياء عليهم السلام كونهم لا يورثون، وذلك صيانة من الله لهم لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلفوها لورثتهم، أما بقية البشر فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك، كما صان الله تعالى نبينا ﷺ عن الخط والشعر صيانة لنبوته عن الشبهة، وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة[4]. وقال ابن كثير في رده على استدلال الرافضة بالآية: إن رسول الله ﷺ قد خُصّ من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها.. فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون وليس الأمر كذلك، لكان ما رواه الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر مبيناً لتخصيصه بهذا الحكم دون من سواه[5]، وبهذا يتبين بطلان استدلالهم بمخالفة الحديث.

3- زعمهم أن منع الإرث والاستدلال بهذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: 16]. ومخالف لما حكاه الله عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: 5 – 6].

حيث قالوا: إن الميراث يقتضي الأموال وما في معناه، وليس لأحد أن يقول: إن المراد بالآية العلم دون المال[6].

ويجاب على ذلك بما يلي: إن الإرث اسم جنس يدخل تحته أنواع، فيستعمل في إرث العلم والنبوة، والملك، وغير ذلك من أنواع الانتقال. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 32].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 10 – 11]، وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الشأن، وإذا كان كذلك فقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾، وقوله: إنما يدل على جنس ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ

---

(1) المصدر السابق نفسه (1/32-34)؛ وبصائر الدرجات للصفار (10-11)؛ والاختصاص للمفيد ، ص4. وانظر: علم اليقين للكاشاني (2/747-748) ، نقلاً عن العقيدة لأهل البيت ، ص444.

(2) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة (4/194).

(3) منهاج السنة (4/194-195) العقيدة في أهل البيت، ص445.

(4) منهاج السنة (4/194-195) العقيدة في أهل البيت، ص445.

(5) البداية والنهاية (5/254)؛ العقيدة في أهل البيت، ص446.

(6) منهاج الكرامة ، ص109 نقلاً عن العقيدة في أهل البيت وغيرها من الكتب؛ كالطرائف لابن أووس، ص347.

مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، ولا يدل على إرث المال، وذلك أن داوود عليه السلام كان له أولاد كثيرون غير سليمان، فلا يختص سليمان بماله، فدل على أن المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك لا إرث المال، والآية سيقت في بيان مدح سليمان وما خصه الله به من النعمة، وحصر الإرث في المال لا مدح فيه، إذ إن إرث المال من الأمور العادية المشتركة بين الناس، وكذلك قوله تعالى: ليس المراد به إرث المال؛ لأنه ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ يرث ال يعقوب شيئاً من أموالهم، وإنما يرث ذلك منهم أولادهم وسائر ورثتهم لو ورثوا[1].

كما أن قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ يدل على أن الإرث إرث مال، لأن زكريا لم يخف أن يأخذوا ماله من بعده إذا مات، فإن هذا ليس بمخوف، وزكريا عليه السلام لم يعرف له مال، بل كان نجاراً يأكل من كسب يده كما في صحيح مسلم[2]، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولداً يرث عنه ماله، فدل على أن المراد بالوراثة في هاتين الايتين وراثة النبوة، والقيام مقامه[3].

يقول القرطبي في تفسيره للاية: وعليه فلم يسأل من يرث ماله، لأن الأنبياء لا تورث، وهذا هو الصحيح من القولين في تأويل الآية، وأنه عليه الصلاة والسلام أراد وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال، لما ثبت عن النبيﷺ أنه قال: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»[4]، وهذا الحديث يدخل في التفسير المسند لقوله تعالى:﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُود﴾ وعبارة عن قول زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ، وتخصيص للعموم في ذلك، وأن سليمان لم يرث من داود مالاً خلّفه داود بعده، وإنما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من ال يعقوب، وهكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض[5].

ومما تجدر الإشارة إليه: أن الرافضة خالفوا ما استدلوا به على وجوب الميراث، وذلك أنهم حصروا ميراثه ﷺ في فاطمة رضي الله عنها، فزعموا أنه لم يرث النبيﷺ، إلا هي، فأخرجوا أزواجه وعصبته مخالفين عموم الآيات التي استدلوا بها، فقد روى الصدوق بسنده عن أبي جعفر الباقر قوله: لا والله ما ورث رسول الله ﷺ العباس ولا علي، ولا ورثته إلا فاطمة عليها السلام، وما كان اخذ علي عليه السلام السلاح وغيره إلا أنه قضي عنه دينه[6]. وورث الكليني والصدوق والطوسي

---

(1) منهاج السنة (4/222–224).

(2) مسلم ، رقم 2379.

(3) منهاج السنة (4/225)؛ البداية والنهاية (5/253)؛ العقيدة في أهل البيت ، ص448.

(4) مسلم ، رقم 1758.

(5) تفسير القرطبي (11/35–45).

(6) من لا يحضره الفقيه (4/190–191)؛ العقيدة في أهل البيت ، ص451.

بأسانيدهم إلى الباقر أيضاً قوله: وورث علي عليه السلام من رسول الله ﷺ علمه، وورثت فاطمة عليها السلام تركته[1]، بل وأخرجوا حتى فاطمة من ذلك، حيث زعموا أن النســاء لا يرثن العقار، فقد بوب الكليني في كتابه الكافي باباً بعنوان: إن النساء لا يرثن من العقار شيئاً، وساق تحته روايات منها: عن أبي جعفر الصادق أنه قال: النساء لا يرثن من الأرض، ولا من العقار شيئاً[2].

روى الصدوق بسنده إلى ميسر قال: سألته – يقصد الصادق – عن النساء ما لهن في الميراث ؟ فقال: أما الأرض والعقارات فلا ميراث لهن فيه[3]، وبهذا يتبين عدم استحقاق فاطمة رضي الله عنها شيئاً من الميراث، بدون الاستدلال بحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»[4]. فما دامت المرأة لا ترث العقار والأرض، فكيف كان لفاطمة أن تسأل فدك على حسب قولهم وهي عقار لا ريب فيه[5]، وهذا دليل كذبهم وتناقضهم فضلاً عن جهلهم[6].

وأما ما زعموه من كون الصديق رضي الله عنه سأل فاطمة أن تحضر شهوداً، فأحضرت علياً وأم أيمن؛ فلم يقبل شهادتهما؛ فهو من الكذب البين الواضح، قال حماد بن إسحاق: فأما ما يحكيه قوم أن فاطمة عليها السلام طلبت فدك، وذكرت أن رسول الله ﷺ أقطعها إياها، وشهد لها علي عليه السلام فلم يقبل أبو بكر شهادته لأنه زوجها؛ فهذا أمر لا أصل له ولا تثبت به رواية أنها ادعت ذلك، وإنما هو أمر مفتعل لا ثبت فيه[7].

4– أن السنة والإجماع قد دلا على أن النبي لا يورث:

قال ابن تيمية: كون النبيﷺ لا يورث ثبت بالسنة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة، وكل منهما دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عموماً فهو مخصوص، لأن ذلك لو كان دليلاً لما كان إلا ظنياً، فلا يعارض القطعي، إذ الظني لا يعارض القطعي، وذلك أن هذا الخبر رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره بل كلهم تلقاه بالقبول والتصديق، ولهذا لم يصر أحد من أزواجه على طلب الميراث، ولا أصرّ العمّ على طلب الميراث، بل من طلب من ذلك شيئاً فأخبر بقول النبيﷺ رجع عن طلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى علي،

---

(1) الكافي للكليني (259/2)؛ العقيدة في أهل البيت ، ص451.
(2) الكافي للكليني (137/7)؛ العقيدة في أهل البيت ، ص451.
(3) الشيعة وأهل البيت ، ص89.
(4) مسلم ، رقم 1768.
(5) الشيعة وأهل البيت ، ص98.
(6) العقيدة في أهل البيت ، ص452.
(7) منهاج السنة (236/4-238).

فلم يغير من ذلك شيئاً، ولا قسم له تركة[1].

قال ابن تيمية: قد تولى الخلافة (عليٌّ) بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعطِ منها شيئاً لأحد من أولاد فاطمة، ولا من زوجات النبيﷺ، ولا ولد العباس، فلو كان ظلماً وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشــه، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشــر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير؟! [2].

وبإجماع الخلفاء الراشدين على ذلك احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض مناظريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزي في (تلبيس إبليس) قال: وقد روينا عن الســفاح: أنه خطب يوماً، فقام رجل من ال علي رضــي الله عنه قال: أنا من أولاد علي رضـي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أَعِنِّي على من ظلمني، قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي رضـي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضـي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، ومن قام بعده؟ قال: عمر رضـي الله عنه، قال: ودام على ظلمكم. قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال عثمان رضـي الله عنه: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب منه[3].

وبتصـويب أبي بكر رضـي الله عنه في اجتهاده صـرح بعض أولاد علي من فاطمة رضـي الله عنهما على ما روى البيهقي بســنده عن فضــيل بن مرزوق قال: قال زيد بن علي بن الحســين بن علي بن أبي طالب: أما لو كنت مكان أبي بكر، لحكمت بما حكم به أبو بكر في فدك[4].

كما نقل أبو العباس القرطبي اتفاق أهل البيت؛ بدأ بعلي رضـي الله عنه ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العباس الذين كانت بأيديهم صـدقة رسـول الله ﷺ، أنهم ما كانوا يرون تملكها، وإنما كانوا ينفقونها في سـبيل الله، قال رحمه الله: إن علياً لما ولي الخلافة ولم يغيرها عما عمل فيها في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقســمة شـيء منها، بل كان يصـرفها في الوجوه التي كان من قبله يصـرفها فيها، ثم كانت بيد حسـن بن علي، ثم بيد حسـين بن علي، ثم بيد علي بن الحسين، ثم بيد الحسين بن الحسن، ثم بيد زيد بن الحسين، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم تولاها بنو العباس على ما ذكره أبو بكر البرقاني في صـحيحه، وهؤلاء كبراء أهل البيت رضي الله عنهم وهم معتمدون عند الشيعة وأئمتهم، لم يُروَ عن واحد منهم أنه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه، فلو كان ما يقوله الشــيعة حقاً لأخذها علي أو أحد من أهل بيته لما

---

(1) منهاج السنة (220/4).
(2) منهاج السنة (347/6).
(3) تلبيس إبليس ، ص135.
(4) تاريخ المدينة لابن شبة (200/1)؛ البداية والنهاية (253/5).



ظفروا بها، ولم لا!؟ [1].

وقال ابن تيمية: قد تولى الخلافة ـــ علي ـــ بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئاً لأحد من أولاد فاطمة، ولا من زوجات النبيﷺ ولا ولد العباس، فلو كان ظلماً، وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جري في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير[2]؟!

وقال ابن كثير: وقد تكلمت الرافضـــة في هذا المقام بجهل، وتكلفوا ما لا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، وأدخلوا أنفســهم فيما لا يعنيهم[3]، فلو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصــديق فضــله، وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل واحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، يتمســكون بالمتشــابه، ويتركون الأمور المقدرة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتبرين في سائر الأعصار والأمصار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين[4].

5- تسامح السيدة فاطمة مع أبي بكر:

وقد ثبت عن فاطمة رضـي الله عنها: أنها رضـيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي راضـية عنه، على ما روى البيهقي بسنده عن الشعبي أنه قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها، فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك؟ فقالت: أتحب أن اذن له؟ قال: نعم، فأذنت له، فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، ألا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت[5]. قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي، والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي[6].

وبهذا تندحض مطاعن الرافضة على أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلئن كانت غضبت على أبي بكر في بداية الأمر، فقد رضيت عنه بعد ذلك، وماتت وهي راضية عنه، ولا يسع أحد صادق في محبته لها، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه[7]، ولا يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة: إنما يأكل ال محمد ﷺ من هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً

---

(1) المفهم القرطبي (564/3).
(2) منهاج السنة (347/6).
(3) البداية والنهاية (253/5).
(4) المصدر السابق نفسه (251/5).
(5) السسن الكبرى للبيهقي (301/6).
(6) البداية والنهاية (253/5).
(7) الانتصار للصحب والآل ، ص434.



من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت[1]، فإن هذا بحسب علم عائشة رضي الله عنها راوية الحديث، وفي حديث الشعبي زيادة علم، وثبوت زيارة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة رضي الله عنها نفت والشعبي أثبت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافي، لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافي، خصوصاً في مثل هذه المسألة، فإن عيادة أبي بكر لفاطمة رضي الله عنها ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هي من الأمور العادية التي تخفى على من لم يشهدها، والتي لا يعبأ بنقلها لعدم الحاجة لذكرها. على أن الذي ذكره العلماء أن فاطمة رضي الله عنها لم تتعمد هجر أبي بكر رضي الله عنه أصلاً، ومثلها ينزه عن ذلك لنهي النبيﷺ عن الهجر فوق ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك[2]، قال القرطبي صاحب (المفهم) في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم إنها (أي فاطمة) لم تلتق بأبي بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله ﷺ ولملازمتها بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ : «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[3] وهي أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ، كيف لا يكون كذلك وهي بضعة من رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة ؟! [4].

وقال النووي: وأما ما ذكر من هجران فاطمة أبا بكر رضي الله عنه فمعناه انقباضها عن لقائه، وليس هذا من الهجران المحرم، الذي هو ترك السلام والإعراض عند اللقاء، وقوله في هذا الحديث: (فلم تكلمه) يعني في هذا الأمر، أو لانقباضها لم تطلب منه حاجة ولا اضطرت إلى لقائه فتكلمه، ولم ينقل قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته[5]، لقد انشغلت فاطمة رضي الله عنها عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهي مصيبة تزري بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذي ألزمها الفراش عن أية مشاركة في أي شأن من الشؤون فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول لكل لحظة من لحظاته بشؤون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها ؛ فقد أخبرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله[6]، ومن كان في مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذي نقله

(1) البخاري ، رقم 4240 ، رقم 175.
(2) الانتصار للصحب والآل ، ص434.
(3) البخاري ، رقم 6077.
(4) المفهم (568/3).
(5) شرح صحيح مسلم (73/12).
(6) مسلم ، رقم 2450.

العيني: ولم يروِ أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم، وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران[1].

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبي بكر أسماء بنت عميس هي التي كانت تمرض فاطمة بنت النبيﷺ ورضـــي الله عنها في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة، وشـــاركت في غسلها وترحيلها الى مثواها، وكان علي رضي الله عنه يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وقد وصَّتها بوصايا في كفنها ودفنها وتشييع جنازتها.

فعملت أسماء بها[2]، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ﷺ ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، به تعرف المرأة من الرجال[3]، وعن ابن عبد البر: فاطمة رضي الله عنها أول من غطي نعشها في الإسلام، ثم زينب بنت جحش. وكان الصديق دائم الاتصال بعلي من ناحية ليسأله عن أحوال بنت النبيﷺ خلاف ما يزعمه القوم، فمرضت (أي فاطمة رضي الله عنها) وكان علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله ﷺ ؟ ومن ناحية أخرى من زوجه أسماء؛ حيث كانت هي المشرفة والممرضة الحقيقية لها، ولما قبضت فاطمة من يومها فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان علياً ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله ﷺ [4].

وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فلما وضعت ليصلى عليها، قال علي: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر رضي الله عنه: وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم، فوالله لا يصلي عليها غيرك، فصلى عليها أبو بكر رضي الله عنه، ودفنت ليلاً، وجاء في رواية: صلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكبر عليها أربعاً [5]، وفي رواية مسلم: صلى عليها علي بن أبي

---

(1) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص108.
(2) الشيعة وأهل البيت ، ص77.
(3) الاستيعاب (378/4).
(4) الشيعة وأهل البيت ، ص77 ؛ كتاب سليم بن قيس ، ص255.
(5) المختصر من كتاب الموافقة ، ص68 في سنده ضعف.

طالب وهي الرواية الراجحة[1].

ولقد أجاد وأفاد محمد إقبال في قصيدته العصماء (فاطمة الزهراء) فقال:

نســـبُ المســـيحِ بَنَى لمـريم ســـيرةً ... بـقـيـتْ عـلـى طـولِ المـدى ذكـراهـا
والمجـد يشـــرف مـن ثـلاثِ مـطـالـع ... في مـهـدِ فـاطـمـةَ فـمـا أعـلاهـا
هـي بـنـتُ مَـنْ هـي زَوْجُ مَـنْ هِـيَ أم مَـنْ ... مـن ذا يـداني في الـفـخـار أباهـا
هـي ومضـــةٌ مِـنْ نـورِ عـينِ المصـطـفـى ... هـادي الشـعـوبِ إذا تـرومُ هُـداهـا
مـن أيـقـظَ الـفِـطْـرَ الـنـيـامَ بـروحِـهِ ... كـأنـه بـعـد الـبِـلـى أحـيـاهـا
وأعــاد تاريــخَ الحــيــاةِ جــديــدةً ... مـثـل الـعـرائـسِ في جـديـدِ حُـلاهـا
هـــي أســـوةٌ لـلأمــهــات وقــدوةٌ ... يـترسَّـمُ الـقَـمَـرُ المـنـيرُ خـطـاهـا
جـعـلـتْ مـن الصـبرِ الجـمـيـلِ غـذاءَهـا ... ورأتْ رضـا الـزوجِ الـكـريمِ رِضَـاهـا

إلى أن قال:

لـولا وُقـوفي عـنـدَ شَـرعِ المصـطـفـى ... وحـدودِ شـرعـتـهِ ونحـنُ فِـداهـا
لمضـيـتُ لـلـتـطـوافِ حـولَ ضـريحِـهـا ... وغـمـرتُ بالـقـبـلاتِ طـيـبَ ثَـرَاهـا[2]

سادساً: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت، وتسمية أهل البيت بعض أبنائهم باسم أبي بكر:

كانت صلة سيدنا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل البيت، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، كانت هذه المودة والثقة متبادلة، وكانت من المتانة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف؛ مهما نسج المسامرون الأساطير والأباطيل، فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبي بكر كانت زوجة النبيﷺ، ومن أحب الناس إليه مهما احترق الحساد ونقم المخالفون، فإنها حقيقة ثابتة، وهي طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون، ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولداً سماه محمداً الذي ولاه علي مصر، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب، فولدت له ولداً سماه يحيى[3].

وحفيدة الصديق كانت متزوجة من محمد الباقر الإمام الخامس عند الروافض، وحفيد علي رضي الله عنه.

---

(1) مسلم ، رقم 1759.

(2) الدوحة النبوية الشريفة ، ص62، 63.

(3) خلافة علي بن أبي طالب ترتيب وتهذيب ، كتاب البداية والنهاية للسلمي، ص22.

وقد نقل الأستاذ إحسان إلهي ظهير من كتب الروافض ما يثبت التلاحم والمصاهرة بين بيت النبوة وبيت الصديق؛ فقد أثبت بأن قاسم بن محمد بن أبي بكر حفيد أبي بكر، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حفيد علي كانا ابني خالة؛ فأم قاسم بن محمد وعلي بن الحسين هما بنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى اللتين كانتا من سبايا الفرس في عهد عمر رضي الله عنه. وتوسع احسان الهي ظهير في إثبات المصاهرات وعلاقات المودة والتراحم والاحترام المتبادل بين أهل البيت وبيت الصديق[1].

وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادد ما بينهم أنهم سموا أبنائهم بأسماء أبي بكر رضي الله عنه، فأولهم علي بن أبي طالب حيث سمى أحد أبنائه بأبي بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام وتقدير علي للصديق رضي الله عنهما، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة، بل وبعد وفاته كما هو معروف بداهة، وهل يوجد في الشيعة اليوم المتزعمين حب علي وأولاده رجل يسمى بهذا الاسم، وهل هم موالون له أم مخالفون؟ وعلي رضي الله عنه لم يسم بهذا الاسم ابنه إلا متيمناً بالصديق، وإظهاراً له المحبة والوفاء وحتى بعد وفاته، وإلا فلا يوجد في بني هاشم رجل قبل علي سمى ابنه بهذا الاسم، ثم لم يقتصر علي بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق، بل بعده بنوه أيضاً مشوا مشيه ونهجوا منهجه، فالحسن والحسين، سميا كل واحد منهما أحد أولادهما بأبي بكر، فقد ذكر ذلك اليعقوبي والمسعودي وهما من مؤرخي الروافض[2]، واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر، فقد سمي ابن أخ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب فإنه سمى أحد أبنائه باسم أبي بكر، وهذا من إحدى علائم الحب والود بين القوم، خلاف ما يزعمه الروافض اليوم من العداوة والبغضاء والقتال الشديد والجدال الدائم بينهم[3].

وقد كان جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الذي يلقب بالصادق عند الشيعة الروافض يقول: ولدني أبو بكر مرتين[4]، فأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، والقاسم بن محمد بن أبي بكر كان أحد فقهاء المدينة السبعة تربى في حجر أم المؤمنين عائشة، وأما أمها فهي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وكان جعفر يغضب من الرافضة ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر، فكيف يرضى من يدعي محبة جعفر وال البيت أن يلعن جد جعفر؟!

وعن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف؟ فقال: لا بأس به، قد حَلَّى أبو بكر

---

(1) الشيعة وأهل البيت، ص78 إلى 83.

(2) تاريخ اليعقوبي (228/2)؛ التنبيه والأشراف، ص82.

(3) الشيعة وأهل البيت، ص83؛ الدّر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة، السيد علاء الدين المدرّس، ص 38إلى 44؛ رحماء بينهم، صالح بن عبد الله الدرويش.

(4) سير أعلام النبلاء (254/6).

الصديق سيفه، قال: قلت: وتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة، ثم قال: نعم الصدّيق، نعم الصدّيق، من لم يقل له الصديق فلا صَدَّق الله له قولاً في الدّنيا والاخرة[1].

سابعاً: علي رضي الله عنه في وفاة الصديق:

كان علي رضي الله عنه من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولى الخلافة بعده، وكان رأي علي أن يتولَّى الخلافة بعد الصدّيق الفاروق[2]، ولما حان الرحيل ونزل الموت بأبي بكر، كان اخر ما تكلم به الصدّيق في هذه الدنيا قول الله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101]. وارتجت المدينة لوفاة أبي بكر الصِّدّيق، ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول ﷺ يوماً، أكثر باكياً وباكية من ذلك المساء الحزين.

وأقبل علي بن أبي طالب مسرعاً، باكياً، مسترجعاً، ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم يقيناً، وأشدهم لله يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الل ﷺ هدياً وسمتاً، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام أفضل الجزاء. صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله صديقاً، فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: 33]، واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله، وأمته أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ وهنوا، وكنت كما قال رسول الله ﷺ : ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله تعالى، جليلاً في أعين الناس، كبيراً في أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل، وأتقاهم... شأنك الحق والصدق، والرفق، قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين، وقوي بك الإيمان، وظهر أمر الله، فسبقت والله سبقاً بعيداً، وأتعبت من بعدك إتعاباً شديداً، وفزت بالخير فوزاً مبيناً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله عز وجل قضاءه، وسلمنا له أمره،

---

(1) صفة الصفوة (2/109-110) مختصر الاثني عشرية ، ص34.

(2) الكامل لابن الأثير (2/79)؛ المختصر من كتاب الموافقة للزمخشري ، ص70إلى 100.

والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً، كنت للدين عزاً، وحرزاً وكهفاً، فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك.

فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت[1].

وجاء في رواية: أن علياً قال عندما دخل على أبي بكر بعدما سُــجِّي: ما أحد ألقى الله بصــحيفته أحب إلي من هذا المسجَّى[2].

([1]) التبصرة لابن الجوزي (1/477-479)؛ نقلاً عن أصحاب الرسول (1/108).

([2]) تاريخ الذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص120.

المبحث الثاني : علي رضي الله عنه في عهد الفاروق

كان علي رضي الله عنه عضواً بارزاً في مجلس شورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر رضي الله عنه يعرف لعلي فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسناً، فقد ثبت قوله فيه: أقضانا علي[1].

وقال ابن الجوزي: كان أبو بكر وعمر يشاورانه، وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن[2].

وقال مسروق: كان الناس يأخذون عن ستة، عمر وعلي وعبد الله وأبي موسى وزيد بن ثابت وأبي بن كعب. وقال: شاممت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى الى ستة نفر: عمر وعلي وعبد الله وأبي الدرداء وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين منهم: إلى علي، وعبد الله[3]. وقال أيضاً: انتهى العلم إلى ثلاثة، عالمٌ بالمدينة، وعالم بالشام، وعالمٌ بالعراق؛ فعالم المدينة علي بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة، ولم يسألهم[4].

فكان علي من هؤلاء المقربين، يشد من أزر أخيه، ولا يبخل عليه برأيه، ويجتهد معه في إيجاد حلول للقضايا، التي لم يرد فيها نص، وفي تنظيم أمور الدولة الفتية، والشواهد على ذلك كثيرة، نذكر منها:

أولاً: ففي الأمور القضائية:

1- امرأة تعتريها نوبات من الجنون:

عن أبي ظبيان الجنبي: أن عمر بن الخطاب أُتِيَ بامرأة قد زنت، فأمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم علي رضي الله عنه، فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها علي من أيديهم وردهم، فرجعوا الى عمر، فقال: ما ردكم؟ قالوا: ردنا علي . قال: ما فعل هذا علي إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى علي، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: مالك رددت هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبيﷺ يقول: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل»؟ قال: بلى. قال علي:. فإن هذه مبتلاة بني فلان، فلعله أتاها وهو بها. فقال عمر: لا أدري.

---

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ص1102؛ المعرفة والتاريخ (481/1).

(2) فضائل الصحابة ، رقم 1100 ، إسناده ضعيف.

(3) علل الحديث ومعرفة الرجال ، علي بن المديني ، ص42، 43 ، نقلاً عن خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص70؛ البخاري ، رقم 4481.

(4) المعرفة والتاريخ للفسوي (444/1).

قال: وأنا لا أدري ! فلم يرجمها[1]، فقد كان عمر لا يعلم بأنها مجنونة.

2- مضاعفة الحد لمن شرب الخمر:

أخذ عمر برأي علي رضي الله عنهما في مضاعفة الحد لمن شرب الخمر، وذلك لانتشار شرب الخمر وخاصة في البلاد المفتوحة، وهي حديثة العهد بالإسلام، فأشار علي على عمر رضي الله عنهما بأن يجلد فيها ثمانين، كأخف الحدود، وعلل ذلك بقوله: نراه اذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون[2].

وقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما كنت أقيم حداً على أحد، فيموت، وأجد في نفسي، إلا صاحب الخمر، فإنه لو مات وديته، وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يسنه[3].

وأوّل البيهقي قوله: (لم يسنه) زيادة على الأربعين، أو لم يسنه بالسياط، وقد سنه بالنعال وأطراف الثياب مقدار أربعين، والله أعلم[4].

وقد استنبط الفقهاء من أفعال الخلفاء الراشدين مقدار الحد في الخمر، على قول مالك والثوري وأبو حنيفة ومن تبعهم: ثمانون، لإجماع الصحابة. ومن قال: إن الحد أربعون: أبو بكر، والشافعي، وقول لأحمد، وتحمل الزيادة على ذلك من عمر رضي الله عنه، على أنها تعزير يجوز فعلها إذا راه الإمام، وهذا هو القول الصحيح للشافعي[5]، وهذا الرأي مال إليه ابن تيمية أيضاً وقال: .. فأما مع قلة الشاربين وقرب أمر الشارب، فتكفي الأربعون[6].

3- لا سلطان لك على ما في بطنها:

أتي عمر رضي الله عنه بامرأة حامل، فسألها عمر فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر ترجم، فلقيها علي فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها أمير المؤمنين أن ترجم، فردَّها علي فقال: أأمرت بها أن ترجم؟ قال: نعم اعترفت عندي بالفجور. قال: هذا

---

(1) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم 1328 ، صحيح لغيره.
(2) ارواء الغليل للألباني (8/46-47) ، قال: إسناده ضعيف ، وحقق هذا الأثر عبد الحميد علي في رسالته (خلافة علي بن أبي طالب) ، ملحق 30.
(3) فتح الباري (12/66).
(4) السنن الكبرى (8/322).
(5) المغني (8/307).
(6) الفتاوى (28/336/337)؛ منهاج السنة (6/83)؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص73.

سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها؟ قال علي: فلعلك انتهرتها[1]، أو أخفتها؟ قال: قد كان ذاك، قال: أو ما سمعت النبيﷺ يقول: «لا حد على معترف بعد بلاء» ؟ إنه من قيدت أو حبست أو تهددت فلا إقرار له، فخلى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر[2].

وقد علق ابن تيمية على هذه القصة فقال: إن هذه القصة إن كانت صحيحة، فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل، فأخبره علي بحملها، ولا ريب أن الأصل عدم العلم، والإمام إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم حامل، فعرفه بعض الناس بحالها، كان هذا من جملة إخباره بأحوال الناس... إلى أن قال عن عمر: يعطي الحقوق، ويقيم الحدود، ويحكم بين الناس كلهم، وفي زمنه انتشر الإسلام، وظهر ظهوراً لم يكن قبله مثله، وهو دائماً يقضي ويفتي، ولولا كثرة علمه لم يطق ذلك، فإذا خفيت عليه قضية من مئة ألف قضية ثم عرفها أو كان نسيها فذكرها فأي عيب في ذلك[3]. وكان رده هذا في سياق رده على الروافض.

4- ردوا الجهالات إلى السنة:

أتي عمر بامرأة أنكحت في عدتها، ففرق بينهما، وجعل صداقها في بيت المال وقال: لا أجيز مهراً أرد نكاحه، وقال: لا تجتمعان أبداً، فبلغ ذلك علياً فقال: وإن كانوا جهلوا السنة؛ لها المهر بما استحل من فرجها، ويفرق بينهما، فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب، فخطب عمر الناس فقال: ردوا الجهالات إلى السنة. ورجع عمر إلى قول علي[4].

5- هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي:

قال جعفر بن محمد: أتي عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة، فألقت صفارها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها، ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله، فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثبَّتْ في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما، فنظر علي إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد

---

(1) انتهرتها: زجرتها.

(2) سنن سعيد بن منصور (69/2) ، رقم 2083؛ المختصر من كتاب الموافقة ، ص131.

(3) منهاج السنة (42/6).

(4) المغني والشرح الكبير (66/11-67).

الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه واشتمه، وذاقه، فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت[1].

ونستخلص من هذه الواقعة بعض الدروس:

(أ) أن وسائل الإثبات كانت في القضاء الإسلامي تشمل الإقرار والشهادة واليمين والنكول.. وتتسع لتشمل الإمارات والفراسة.

(ب) اهتمام عمر بمشاورة كبار الصحابة في النوازل، وعلى الخصوص علي رضي الله عنهما الذي كانت منزلته عنده متميِّزة[2].

ثانياً: علي رضي الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية:

1- في الأمور المالية:

(أ) نفقات الخليفة:

لما ولي عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زماناً، لا يأكل من بيت المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، ولم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته، لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل الى أصحاب رسول الله ﷺ، فاستشارهم في ذلك فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر؛ فما يصلح لي فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقال عمر لعلي: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بيَّن عمر حفظه من بيت المال فقال: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف[3].

(ب) رأي علي في أرض السواد بالعراق:

لما فتحت أرض السواد بالعراق عنوة، أشار عدد من الصحابة رضوان الله عليهم على عمر بتقسيمها بين الفاتحين، ولكن لسعة الأرض وجودتها، ونظرة عمر البعيدة لمن سيأتي بعد ذلك، لم يطمئن عمر لتقسيمها، فاستشار علياً في ذلك فكان

(1) الطرق الحكيمة لابن القيم ، ص48.
(2) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ، عبد السلام السليماني ، ص145.
(3) الخلافة الراشدة ، سنده صحيح ، د.يحيى ، ص 270.

رأيه موافقاً لرأي الخليفة عمر: أن لا تقسم، فأخذ برأيه وقال: لولا اخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبيﷺ خيبر[1].

(ج) لا جرم لتقسمنّه:

أتي عمر بمال فقسمة بين المسلمين، وفضلت منه فضلة، فاستشار فيها الصحابة، فقالوا له: لو تركته لنائبة إن كانت، وفي القوم علي ساكت، فأراد عمر أن يسمع رأي علي في ذلك، فذكره علي بحديث مال البحرين حين جاء إلى النبيﷺ، وأنه قسمه كله، فقال عمر لعلي: لا جرم لتقسمنه، فقسمه علي[2]. ويبدو أن هذا كان قبل تقسيم الدواوين[3].

2- علي رضي الله عنه والأمور الإدارية:

عندما احتاج عمر رضي الله عنه أن يضع تاريخاً رسمياً ثابتاً لتنظيم أمور الدولة وضبطها، جمع الناس وسألهم: من أي يوم نكتب التاريخ؟ فقال علي رضي الله عنه: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك، ففعله عمر[4].

وقد كان عمر رضي الله عنه يراه من أفضل من يقود الناس؛ فقد ورد عنه أنه كان يناجي رجلاً من الأنصار، فقال: من تحدثون أنه يستخلف من بعدي؟ فعد الأنصاري المهاجرين ولم يذكر علياً، فقال عمر: فأين أنتم من علي؟ فوالله لو استخلفتموه، لأقامكم على الحق وإن كرهتموه[5]. وقال لابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بعد أن طعن: إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق[6].

3- استخلف عمر علياً على المدينة مراراً:

(أ) استخلافه حين خرج عمر إلى ماء صراء فعسكر فيه، وكان الروم قد حشدوا للمسلمين، فجمع عمر الناس فاستشارهم، فكلهم أشار عليه بالمسير[7].

(ب) استخلافه عند نزول عمر بالجابية:

وذلك حين نزل عمرو بن العاص بأجنادين، فكتب إليه أرطبون الروم: والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين،

---

(1) الأموال ، القاسم بن سلام ، ص57؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص75.
(2) مسند أحمد (94/1) ، إسناده ضعيف لانقطاعه.
(3) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص75.
(4) التاريخ الكبير للبخاري (9/1).
(5) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 76 ، وقيل: إن الرواية مرسلة.
(6) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، تحقيق حسين أحمد (741/3) ، صحيح الإسناد ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص76.
(7) المنتظم (192/4).

فارجع لا تغر، وإنما صـــاحب الفتح رجل اسمه على ثلاثة أحرف، فعلم عمرو أنه عمر، فكتب يعلمه أن الفتح مدخر له، فنادى له الناس، واستخلف علي بن أبي طالب[1].

(ج) استخلاف علي حين حج عمر بأزواج النبيﷺ :

وهي اخر حجة حجها بالناس كانت سـنة ثلاث وعشـرين من الهجرة، وكان مع أمهات المؤمنين أولياؤهن ممن لا يحتجبن منه، وخلف على المدينة علي بن أبي طالب[2].

ثالثاً: استشارة عمر لعلي رضي الله عنهما في أمور الجهاد وشؤون الدولة:

كان علي رضي الله عنه المستشـار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان عمر يستشـيره في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي موضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور[3].

وكان علي رضـي الله عنه طيلة حياة عمر مسـتشـاراً ناصـحاً لعمر محباً له خائفاً عليه، وكان عمر يحب علياً وكانت بينهم مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوِّروا التاريخ، ويقصُّوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشـاربهم، ليصـوروا لنا فترة الخلفاء الراشـدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالأخر الدوائر لينقضَّ عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس[4].

إن من أبرز ما يلاحظه المتأمِّل في خلافة عمر تلك الخصـوصـية في العلاقة، وذلك التعاون المتميز الصـافي، بين عمر وعلي رضي الله عنهما، فقد كان علي هو المستشار الأول لعمر في سائر القضـايا والمشكلات،وما اقترح علي على عمر رأياً إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان علي رضـي الله عنه يمحِّضـه النصـح في كل شـؤونه وأحواله[5]؛ فمثلاً عندما تجمع الفرس بنهاوند في جمع عظيم لحرب المسـلمين جمع عمر رضـي الله عنه الناس واسـتشـارهم في المسـير إليهم بنفسـه، فأشـار عليه عامة الناس بذلك.

فقام إليه علي رضي الله عنه فقال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشـخصـت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى

([1]) المنتظم (192/4).

([2]) المنتظم (327/4)؛ الفتح (87/4).

([3]) علي بن أبي طالب ، مستشار أمين للخلفاء الراشدين ، ص99.

([4]) المصدر السابق نفسه ، ص138.

([5]) فقه السيرة النبوية للبوطي ، ص 529.

ذراريهم، وإنك إن أشخصت أهل اليمن إلى ذراريهم من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة، فليتفرقوا ثلاث فرق: فرقة في حرمهم وذراريهم، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا: هذا أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشد لكلبهم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر.

فقال عمر: هذا هو الرأي؛ كنت أحب أن أتابع عليه[1].

كانت نصيحة علي نصيحة المحب لعمر، الغيور عليه والضنين، أن لا يذهب، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجه.

أرأيت لو أن رسول الله ﷺ أعلن أن الخلافة من بعده لعلي، أفكان لعلي أن يرغب عن أمر رسول الله ﷺ هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه بل لواجبه في الخلافة بمثل هذا التعاون المخلص البناء ؟! بل أفكان للصحابة رضوان الله عليهم كلهم أن يضيّعوا أمر رسول الله ﷺ ؟! بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفي مقدمتهم علي رضوان الله عليه على ذلك؟! بوسعنا أن نعلم إذاً بكل بداهة: أن المسلمين إلى هذا العهد ـ نهاية عهد عمر ـ بل إلى نهاية عهد علي كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة أو شأن من هو أحق بها[2].

إن كثرة مشاورة عمر لعلي رضي الله عنهما، وغيره من الصحابة، لا يعني هذا أنه دونهم في الفقه والعلم، فقد بيَّنت الأحاديث الصحيحة التي تدل على علو علمه، واكتمال دينه، ولكن إيمانه وحبه للشورى، وتعويده للحكام فيما بعد على المشاورة، وعدم الاستبداد بالأمر والرأي. وإلا فإن علياً رضي الله عنه كان كثيراً ما يرجع عن رأيه إلى رأي عمر[3].

فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها في معرض حديثها عن عمر قولها: وقد كان علي رضي الله عنه يتابع عمر بن الخطاب، فيما يذهب إليه ويراه، مع كثرة استشارته علياً، حتى قال علي رضي الله عنه: يشاورني عمر في كذا، فرأيت كذا، ورأى هو كذا، فلم أر إلا متابعة عمر[4].

---

(1) تاريخ الطبري (480/3)؛ تحقيق مواقف الصحابة (94/2).

(2) فقه السيرة للبوطي ، ص295.

(3) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص77.

(4) الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني ، ص295.

رابعاً: علي رضي الله عنه وأولاده وعلاقتهم بعمر رضي الله عنهم:

كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لال رسول الله ﷺ وإيثارهم على أبنائه وأسرته، نذكر من ذلك بعض المواقف:

1- أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر: جاء فيما رواه الحسين بن علي رضي الله عنه: أن عمر قال لي ذات يوم: أي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يوماً وهو خالٍ بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد، فقال: يا بني لم أرك أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خالٍ بمعاوية، فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت في رؤوسنا ما ترى: الله، ثم أنتم، ووضع يده على رأسه[1].

2- والله ما هنأ لي ما كسوتكم: روى ابن سعد: عن جعفر بن محمد الباقر، عن أبيه علي بن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليها من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب ما بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما[2].

3- تقديم بني هاشم في العطاء: عن أبي جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناساً من أصحاب النبيﷺ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بني هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى الى بني عدي بن كعب، فكتب: من شهد بدراً من بني هاشم، ثم شهد بدراً من بني أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله ﷺ[3].

4- كساني هذا الثوب أخي وخليلي: خرج علي وعليه برد عدني فقال: كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفيّي وصديقي أمير المؤمنين عمر[4]. وفي رواية عن أبي السفر قال: رؤي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه برد كان يكثر لبسه، قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب رضي الله

---

(1) المرتضى، ص118؛ كنز العمال (105/7)؛ الإصابة (133/1).

(2) المرتضى، ص118؛ الإصابة (106/1).

(3) الخراج لأبي يوسف، ص24، 25؛ المرتضى، ص118.

(4) المختصر من كتاب الموافقة، ص140.

عنه، ناصح الله فنصحه. ثم بكى[1].

5- إقطاع ينبع: أقطع عمر بن الخطاب علياً ينبع، ثم اشـــترى علي إلى قطيعة عمر أشـــياء فحفر فيها عيناً، فبينما هم يعملون فيها إذ تفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء، فأتي علي وبشِّر فتصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه، ليصرف الله تعالى بها وجهه عن النار ويصرف النار عن وجهه، وكتب في صدقته: هذا ما أمر به علي بن أبي طالب وقضـى في ماله: إني تصـدقت بينبع ووادي القرى والأذنية وراعة في سـبيل الله ووجهه، أبتغي مرضـات الله، ينفق منها في كل منفعة في سـبيل الله ووجهه، وفي الحرب والسـلم والجنود، وذوي الرحم القريب والبعيد، لا يباع ولا يوهب ولا يورث حياً أنا أو ميتاً، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، ولا أبتغي إلا الله عز وجل، فإنه يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، فذلك الذي قضيت فيها بيني وبين الله عز وجل[2].

6- لتقولن يا أبا الحســن: اجتمع عند عمر جماعة من قريش فيهم علي، فتذكروا الشـرف، وعلي سـاكت. فقال عمر: مالك يا أبا الحسن ساكتاً ؟ فكأن علياً كره الكلام، فقال عمر: لتقولن يا أبا الحسن، فقال علي:

في كـلِّ معـتركٍ تـزيـلُ سـيـوفُـنـا ... فـيـهـا الجـمـاجِـمَ عـن فـراخِ الهَـامِ[3]

الله أكـرَمَـنَـا بـنـصـرِ نـبـيِّـهِ ... وبـنـا أعـزَّ شـرائـعَ الإسـلامِ

ويـزورُنا جـبريـلُ في أبـيـاتِـنَـا ... بـفـرائـضِ الإسـلامِ والأحـكـامِ[4]

7- حوار بين أمير المؤمنين عمر وعلي حول الرؤيا:

قال عمر بن الخطاب رضـي الله عنه لعلي بن أبي طالب رضـي الله عنه: أعجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيرى الشـيء لم يخطر له على بال، فتكون رؤياه كأخذ اليد، ويرى الرجل الشـيء، فلا تكون رؤياه شـيئاً. فقال علي بن أبي طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقول[5]: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾ **[الزمر: 42]**.

---

(1) المصنف لابن أبي شيبة (29/12) ، رقم 12047؛ نقلاً عن الشريعة للآجري (2327/5) ، إسناده حسن.

(2) المحلى (180/6)؛ مصنف عبد الرزاق (375/10)؛ فقه علي ، قلعجي ، ص626.

(3) فراخ الهام: فراخ الرأس على التشبيه.

(4) المختصر من كتاب الموافقة ، ص138.

(5) الفتاوى (270/5، 271).

خامساً: زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب:

زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته من فاطمة بنت النبيﷺ من الفاروق حينما سأله زواجها منه؛ رضا بما يطلب، وثقة فيه، وإقراراً لفضله ومناقبه، واعترافاً بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهاراً بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم[1]؛ فقد كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولما أوصى به رسول الله ﷺ من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة علي وفاطمة رضوان الله عليهم، وتودد إليه في ذلك قائلاً: فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصد، فقال علي: قد فعلت، فأقبل عمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلاً: رفئوني... ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبيﷺ : «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي»، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب[2].

ولقد أقر بهذا الزواج كافة أهل التاريخ والأنساب، وجميع محدثي الشيعة وفقهائهم ومكابريهم ومجادليهم، وأئمتهم المعصومين حسب زعمهم، ولقد أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير روايات بخصوص ذلك في كتابه (الشيعة والسنة)[3].

ولقد ذكر هذا الزواج علماء أهل السنة في التاريخ، وأجمعت مصادرهم عليه، ومن العلماء الذين ذكروا هذا الزواج: الطبري[4]، وابن كثير[5]، والذهبي[6]، وابن الجوزي[7]، والديار بكري[8]، وقد ذكر هذا[9] الزواج كتب التراجم، كابن حجر[10]، وابن سعد[11]، وأسد الغابة.

وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلي في كتابه (زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله

---

(1) الشيعة وأهل البيت ، ص105.

(2) إسناده حسن ، أخرجه الحاكم في المستدرك (142/3) ، صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي متعقباً: منقطع ، وأورده الهيثمي في (مجمع الزوائد 173/9)؛ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار– ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة ، وهناك من ضعفه.

(3) الشيعة وأهل البيت ، 105.

(4) تاريخ الطبري (28/5).

(5) البداية والنهاية (220/5).

(6) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص166.

(7) المنتظم (131/4).

(8) تاريخ الخميس ، نقلاً عن زواج عمر من أم كلثوم لأبي معاذ ، ص19.

(9) الإصابة لابن حجر ، ص276 ، كتاب الكنى وكتاب النساء.

(10) المصدر السابق نفسه.

(11) أسد الغابة (425/7).

عنهما حقيقة وليس افتراء) بتتبع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج، ورد على الشبهات التي ألصقت بهذا الزواج الميمون، وقد ذكرت شيئاً من سيرتها ومواقفها في حياتها في عهد الفاروق في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره). هذا وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر رضي الله عنه ابنة سميت (رقية)، وولداً سمته زيداً، وقد روى الأصحاب: أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من بني عدي بن كعب ليلاً، فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشياً عليها من الحزن، فماتت من ساعتها، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر في وقت واحد، وصلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن بن علي بن أبي طالب وصلى خلفه[1].

سادساً: يا بنت رسول الله ! ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك:

عن أسلم العدوي قال: لما بويع لأبي بكر بعد النبيﷺ ؛ كان علي والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر، فدخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ! ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك. وكلَّمها، فدخل علي والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعا إليها حتى بايعا[2]، وهذا هو الثابت الصحيح، والذي مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له، وقد زاد الروافض في هذه الرواية واختلقوا إفكاً وبهتاناً وزوراً، وقالوا بأن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلاء النفر أن أحرق عليهم هذا البيت، لأنهم أرادوا شق عصا المسلمين بتأخرهم عن البيعة، ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاءني وحلف بالله لأن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وايم الله إنه ليصدقن فيما حلف عليه، فانصرفوا عني فلا ترجعوا إلي، ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا[3].

وهذه القصة لم تثبت عن عمر رضي الله عنه، ودعوى أن عمر رضي الله عنه همَّ بإحراق بيت فاطمة، من أكاذيب الرافضة، أعداء صحابة رسول الله ﷺ، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبرسي في كتابه (دلائل الإمامة)[4]؛ عن جابر

---

(1) المصدر السابق نفسه (425/7)؛ ونساء أهل البيت ، منصور عبد الحكيم ، ص185، 186.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة ؛ المصنف (567/14) ، إسناده صحيح.

(3) عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (140/1).

(4) دلائل الإمامة ، ص26 ؛ نقلاً عن عقائد الثلاثة والسبعين (140/1).

الجعفي؛ وهو رافضي كذاب باتفاق أئمة الحديث كما في الميزان[1] للذهبي وتهذيب التهذيب[2].

وزعم بعض الروافض أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسناً وهو في بطنها، وهذه من الأكاذيب الرافضية التي لا أساس لها من الصحة، وما علموا أنهم يطعنون في علي رضي الله عنه وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر وهو من أشجع أصحاب النبيﷺ[3]، بل إن بعض كتب الروافض أنكر صحة هذا الهذيان والزور[4]. علماً بأن محسناً ولد في حياة النبيﷺ كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة.

سابعاً: الخلاف بين العباس وعلي وحكم عمر رضي الله عنهم بينهم:

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار[5]، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلق معه حتى دخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال[6] سرير ليس بينه وبينه فراش، متكئ على وسادة من أدم، فسلمت عليه، ثم جلست، فقال: يا مالك ! إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيري، قال: اقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص، يستأذنونه؟ قال: نعم فأذن لهم، فدخلوا فسلموا وجلسوا، ثم جلس يرفأ يسيراً، ثم قال: لك في علي، وعباس؟ قال نعم: فأذن لهما، فدخلا فسلما فجلسا.

فقال عباس: يا أمير المؤمنين ! اقضي بيني وبين هذا. وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من مال بني النضير، فقال الرهط عثمان وأصحابه: يا أمير المؤمنين ! اقض بينهما وأرح أحدهما من الاخر. قال عمر: تيدكم[7]، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ، قال: «لا نورث ما تركنا صدقة»، يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي، وعباس، فقال: أنشدكما بالله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، أن الله قد خص رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، ثم قرأ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى

---

(1) الميزان للذهبي (279/1).
(2) تهذيب التهذيب (47/2).
(3) حقبة من التاريخ ، ص224.
(4) مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص252.
(5) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.
(6) المراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف ، ولم يكن.
(7) التيد: الرفق ، يقال: تيدك هذا ، أي: اتئل.



مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6]. فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ، و والله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها، وبثَّها فيكم، حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم بالله، هل تعلمان ذلك؟ قال عمر: ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، والله يعلم إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا وليَّ أبي بكر، فقبضتها سنتين من إمارتي، أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم إني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة وأمركم واحد، جئتني يا عباس، تسألني نصيبك من ابن اخيك، وجاءني هذا (يريد علياً) يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما؟ قلت: إن شئتما دفعتها إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ وما عمل أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على عليٍّ وعباس فقال: أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان مني قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليَّ، فإني أكفيكماها[1].

ثامناً: ترشيح عمر علي للخلافة مع أهل الشورى وما قاله علي في عمر بعد استشهاده:

1- ترشيح علي مع أهل الشورى: لما طُعِن عمر رضي الله عنه، وظنَّ أنه سيفارق الحياة، وأخذ المسلمون يدخلون عليه، ويقولون له: أوصي يا أمير المؤمنين، استخلف، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ فسمَّى علياً، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعداً، وعبد الرحمن[2]، ثم دعا خاصتهم وهم عبد الرحمن، وعثمان، وعلي؛ فوعظهم[3]. إن عمر ـ رضي الله عنه ـ إمام وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين، فاجتهد في ذلك، ورأى أن الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض أحق من غيرهم، وهو كما رأى، فإنه لم يقل أحد غيرهم أحق منهم، وجعل التعيين إليهم خوفاً أن يعين واحداً منهم، ويكون غيره أصلح لهم، فإن الذي ظهر له رجحان الستة دون رجحان التعيين، وقال: الأمر في التعيين إلى الستة يعينون واحداً منهم. وهذا اجتهاد إمام عادل ناصح لا هوى له

([1]) البخاري، رقم 3094؛ مسلم، رقم 1757، واللفظ للبخاري.

([2]) البداية والنهاية (142/7).

([3]) البخاري، رقم 3700.

رضـي الله عنه، وهو نموذج واقعي لتطبيق قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]، وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، فكان ما فعله من الشورى مصلحة[1].

إن الفاروق رضـي الله عنه رأى الأمر في الستة متقارباً؛ فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض، فلذلك المفضول مزية أخرى ليست للاخر، ورأى أنه إذا عين واحداً فقد يحصل بولايته نوع من الخلل فيكون منسوباً إليه، فترك التعيين خوفاً من الله تعالى، وعلم أنه ليس واحداً أحق بهذا الأمر منهم، فجمع بين المصلحتين؛ بين تعيينهم إذ لا أحق منهم، وترك تعيين واحد منهم لما تخوفه من التقصير، والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان، فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة[2].

ولا يقال: إنه بجعله الأمر شورى بين الستة قد خالف به من تقدمه كما هو زعم الشيعة الرافضة، لأن الخلاف نوعان، خلاف تضاد، وخلاف تنوع؛ وما فعله عمر رضـي الله عنه من النوع التالي[3]، وقد أقره على اجتهاده كل الصحابة، ولم نسمع أحداً عارضه، وقد بسطت ما ابتكره عمر من طريقة جديدة في اختيار الخليفة من بعده في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره)، فمن أراد التوسع فليرجع إليه مشكوراً.

2- ما قاله علي في عمر بعد استشهاده: قال ابن عباس كما في صحيح البخاري: وُضِع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل اخذ منكبي، إذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيراً ما أسمع النبيﷺ يقول: «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»[4].

3- قول علي في عمر: إن عمر كان رشيد الأمر، وحرصه على عدم مخالفته بعد وفاته: عن عبد خير قال: كنت قريباً من علي حيث جاء أهل نجران؛ قال: قلت: فإن كان راداً على عمر شيئاً فاليوم، قال: فسلموا واصطفوا بين يديه، قال: ثم أدخل بعضهم يده في كمه فأخرج كتاباً فوضعه في يد علي، قالوا: يا أمير المؤمنين، خطك بيمينك وإملاء رسول الله ﷺ عليك، قال: فرأيت علياً وقد جرت الدموع على خده، قال: ثم رفع رأسه إليهم فقال: يا أهل نجران، إن هذا لاخر كتاب كتبته بين يدي رسول الله ﷺ، قالوا: فأعطنا ما فيه، قال: سأخبركم عن ذاك: أن الذي أخذه عمر لم يأخذه لنفسه، إنما

---

[1] منهاج السنة (3/162-164) ؛ المنتقى ، ص 362-364.
[2] منهاج السنة (3/162-164) ؛ المنتقى ، ص 362-364.
[3] عقيدة أهل السنة ، (3/1042).
[4] البخاري ، رقم 3685.

أخذه بجماعة من المسلمين، وكان الذي أخذه منكم خيراً مما أعطاكم، والله لا أرد شيئاً مما صنعه عمر، أن عمر كان رشيد الأمر[1]. وهذه الحادثة أصَّل الفقهاء عليها قولهم: لا يرد القاضي اجتهاد قضاء من قبله عند علي[2]، وروي عنه أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون حتى تكونوا جماعة، فإني أخشى الاختلاف[3]، وهو قول جمهور الفقهاء[4]، وقد قال علي: ما كنت لأحل عقدة شدَّها عمر[5]

4- إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك: لما فرغ علي من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الإثنين، لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك ! فنزل في الرحبة وصلَّى في الجامع الأعظم ركعتين[6].

5- حب أهل البيت لعمر رضي الله عنه: إن من دلالة محبة أهل البيت للفاروق رضي الله عنه تسمية أبنائهم باسمه، حباً وإعجاباً بشخصيته، وتقديراً لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدَّم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقراراً بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمَّى ابنه باسمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سمَّى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية عمر[7].

وقد جاء في كتاب صاحب الفصول، تحت ذكر: أولاد علي بن أبي طالب: وعمر من التغلبية، وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذي أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمَّر عمر هذا حتى بلغ خمساً وثمانين سنة، فحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه، وذلك أن جميع إخوانه وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضي الله عنه، يعني أنه لم يقتل معهم بالطف فورثهم[8].

هذا وتبعه حسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فسمى أحد أبنائه عمر أيضاً[9]، وكذلك الحسين بن علي سمَّى عمر، ومن بعد الحسين ابنه علي الملقب بزين العابدين سمَّى أحد أبنائه باسم عمر[10]، وكذلك موسى بن جعفر

---

(1) معجم البلدان (269/5) ؛ المختصر من كتاب الموافقة ، ص139 ؛ فقه الإمام علي (813/2) نقل عن السنن للبيهقي ، إسناده مرسل ؛ الآجري (1777/4) ، إسناده مرسل.

(2) فقه الإمام علي (813/2).

(3) مصنف عبد الرزاق (329/10) ؛ نقلاً عن فقه الإمام علي (813/2).

(4) فقه الإمام علي (813/2).

(5) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة ، ص140 ، إسناده منقطع ؛ ابن أبي شيبة في المصنف (33/12) ، رقم 12054.

(6) تاريخ الخلافة الراشدة ، محمد كنعان ، ص383.

(7) تاريخ اليعقوبي (213/2) ؛ الشيعة وأهل البيت ، ص133.

(8) الفصول المهمة ، ص143 ؛ الشيعة وأهل البيت ، ص133.

(9) الشيعة وأهل البيت ، ص133.

(10) المصدر السابق نفسه ، ص134.

الملقب بالكاظم سمَّى أحد أبنائه باسم عمر[1].

فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدي النبيﷺ ومعالم منهج أهل السنة والجماعة؛ بسيرتهم العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسم، وكذلك أبو بكر وعثمان في ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق، وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا، ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة؛ فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن، وعائشة، وأم سلمة، ونحن ندعو الشيعة اليوم، للاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من ال البيت، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين[2]. نرجو ذلك.

6- عمر بن الخطاب جعله الله سبباً في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب:

أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحسين بن علي رضي الله عنهم من غنائم الفرس ابنة يزدجرد ملك الفرس، فولدت له زين العابدين علي بن الحسين الذي لم يبق من أبناء الحسين غيره، وكل ذرية الحسين تناسلوا منه وينسبون إليه[3]، فليحذر الذين يسبُّون عمر بن الخطاب ممن ينتسبون الى الحسين، فلولاه بعد الله لما كان لهم وجود[4]، كما أن عمر رضي الله عنه أعطى أختها لمحمد بن أبي بكر فكان عديلاً للحسين، وأنجبت له القاسم بن محمد بن أبي بكر، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعلي بن الحسين زين العابدين ابن خالته[5].

7- قول عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر[6]:

عن حفص بن قيس، قال: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخُفَّين، فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فقلت: إنما أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجَزُ لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي، فعمر كان خيراً مني ومن ملء الأرض. فقلت: يا أبا محمد، فإن ناساً يزعمون أن هذا منكم تقية، قال: فقال لي ونحن بين القبر والمنبر: اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعن عَلَيَّ قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن علياً رضي الله عنه كان مقهوراً، وأن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه؟! وكفى بإزراء على علي ومنقصة أن يزعم أن رسول الله ﷺ

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص135.

(2) اذهبوا فأنتم الرافضة ، عبد العزيز الزبيري ، ص 230.

(3) عمدة الطالب في أنساب أبي طالب ، الفصل الثاني عنوان (عقب الحسين) ، نقلاً عن: اذهبوا فأنتم الرافضة ، ص232.

(4) اذهبوا فأنتم الرافضة ، ص232.

(5) سير أعلام النبلاء ، (254/6).

(6) هو عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد الهاشمي ، كان ذا هيبة ولسان وشرف ، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز ، توفي سنة 145 هـ . الأعلام للزركلي (207/4) ؛ تاريخ بغداد (431/9).



أمره بأمر ولم ينفذه[1].

(1) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، لمحمد عبد الواحد المقدسي ، ص57.

المبحث الثالث : علي رضي الله عنه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

أولاً: بيعة علي لعثمان رضي الله عنه:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقيل: إنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين بعد وفاة عمر، وقد تكلم القوم وبسطوا اراءهم، واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين[1].

وقد أشرف على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وحقق رضي الله عنه أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يتحمل أعباء الخلافة ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدبير ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى[2]، وقاد ركب الشورى بمهارة وتجرُّد، مما يستحق أعظم التقدير[3].

قال الذهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابياً فيها لأخذ لنفسه، أو لولَّاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص[4]، وقد تم الاتفاق على بيعة عثمان بعد صلاة صبح يوم البيعة اليوم الأخير من شهر ذي الحجة 13هـ/6 نوفمبر 644م.

وكان صهيب الرومي الإمام؛ إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتم بالعمامة التي عمَّمه بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبوه إلى المدينة[5].
وجاء في رواية البخاري: فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من

([1]) عثمان بن عفان ، لصادق عرجون ، ص62، 63.
([2]) المصدر السابق نفسه ، ص70، 71.
([3]) مجلة البحوث الإسلامية ، العدد10 ، ص255.
([4]) سير أعلام النبلاء (86/1).
([5]) شهيد الدار ، ص37.

المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا؛ تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل على نفسك سبيلاً. فقال[1]: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون[2]. وجاء في رواية صاحب التمهيد والبيان: أن علي بن أبي طالب أول من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف[3].

ثانياً: أباطيل رافضية دُسَّتْ في قضية الشورى:

هناك أباطيل رافضية دست في التاريخ الإسلامي؛ منها في قصة الشورى وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين والمحدثين، ولم يمحصوا الروايات ويحققوا في سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة، ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتباً خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه[4].

ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ توليه للخلافة[5]، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر وحصره للشورى في الستة ووصيته لكل من علي وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب في هذا الأمر[6].

وقد نقل البلاذري خبر الشورى وبيعة عثمان عن أبي مخنف[7]، وعن هشام الكلبي منها ما نقله عن أبي مخنف ومنها ما تفرد به[8]، وعن الواقدي[9]، وعن عبيد الله بن موسى[10].

([1]) قوله: فقال: أي عبد الرحمن مخاطباً عثمان.
([2]) البخاري ، كتاب الأحكام ، رقم 7207.
([3]) التمهيد والبيان ، ص26.
([4]) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (246/14).
([5]) الطبقات الكبرى (63/3) ، (67/3).
([6]) المصدر السابق نفسه.
([7]) أنساب الأشراف (18/5، 19).
([8]) المصدر السابق نفسه.
([9]) المصدر السابق نفسه.
([10]) المصدر السابق نفسه (6/5).



واعتمد الطبري في هذه القصة على عدة روايات؛ منها رواية أبي مخنف[1]. ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري[2]، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشورى) للواقدي[3].

وقد تضمنت الروايات الشيعية الرافضية عدة أمور مدسوسة ليس لها دليل من الصحة، وهي:

1- اتّهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين:

اتهمت الروايات الشيعية الرافضية الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا علي بأن يقوم عبد الرحمن باختيار الخليفة، فقد ورد عند أبي مخنف وهشام الكلبي عن أبيه وأحمد الجوهري: أن عمر جعل ترجيح الكفتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأن علياً أحس بأن الخلافة قد ذهبت منه، لأن عبد الرحمن سيقدم عثمان للمصاهرة التي بينهما[4].

وقد نفى ابن تيمية أي ارتباط في النسب القريب بين عثمان وعبد الرحمن فقال: فإن عبد الرحمن ليس أخاً لعثمان ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أمية، فإن بني زهرة أخوال النبيﷺ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبيﷺ : هذا خالي، فليريني امرؤ خاله [5] فإن النبيﷺ لم يؤاخِ بين مهاجري ومهاجري، ولا بين أنصاري وأنصاري، وإنما اخى بين المهاجرين والأنصار؛ فاخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري[6]، وحديثه مشهور ثابت في الصحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك[7].

وقد بنت الروايات الشيعية الرافضية محاباة عبد الرحمن لعثمان للمصاهرة التي كانت بينهما، متناسية أن قوة النسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأول، وأنها لا تقوم على نسب ولا مصاهرة، وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبد الرحمن وعثمان فهي أن عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد[8].

---

[1] أثر التشيع على الروايات التاريخية ، ص321.
[2] شرح نهج البلاغة (49/9، 5، 58).
[3] شرح نهج البلاغة (15/9).
[4] أثر التشيع على الروايات التاريخية ، ص322.
[5] صحيح سنن الترمذي (220/3) ، رقم 4018.
[6] البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، رقم 3780.
[7] منهاج السنة النبوية (271/6-272).
[8] الطبقات الكبرى (127/3).



2- حزب أموي وحزب هاشمي:

أشــارت رواية أبي مخنف إلى وقوع مشــادة بين بني هاشــم وبني أمية أثناء المبايعة، وهذا غير صــحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة[1].

وقد انساق بعض المؤرخين خلف الروايات الشيعية الرافضية - لحاجة في نفوسهم - مع بطلانها سنداً ومتناً من جهة، وثبوت روايات صحيحة تناقض ما ذهبوا إليه من جهة أخرى، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الروايات؛ فصوروا تشاور أصحاب الرسول ﷺ في تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائري، وأن الناس قد انقسموا إلى حزبين: حزب أموي وحزب هاشمي، وهو تصور موهوم واستنتاج مردود لا دليل عليه، إذ ليس نابعاً من ذلك الجو الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله ﷺ حينما كان يقف المهاجري مع الأنصاري ضد أبيه وأخيه وابن عمه وبني عشيرته، وليس نابعاً من تصور هؤلاء الصحب وهم يضحُّون بكل شيء من حطام الدنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشــــرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت أن هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقة في معالجة أمورهم، فليست القضية قضية تمثيل عائلي أو عشائري، فهم أهل شورى لمكانتهم في الإسلام[2].

3- أكاذيب نسبت زوراً وبهتاناً لعلي رضي الله عنه:

قال ابن كثير: وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن: خدعتني، وإنك إنما وليته لأنه صــهرك، وليشــاورك كل يوم في شــأنه، وأنه تلكأ حتى قال عبد الرحمن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِــهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَــيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10]. إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح، فهي مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم. والمظنون من الصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها[3].

ثالثاً: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما:

الذي عليه أهل السنة: أن من قدم علياً على أبي بكر وعمر فإنه ضالّ مبتدع، ومن قدم علياً على عثمان فإنه مخطئ ولا

---

(1) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص177، 178.
(2) الخلفاء الراشدين ، أمين القضاة ، ص78، 79.
(3) البداية والنهاية (152/7).

يضللونه، ولا يبدعونه[1]، وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم علياً على عثمان بأنه قال: من قدم علياً على عثمان فقد زعم أن أصحاب رسول الله ﷺ خانوا الأمانة؛ حيث اختاروا عثمان على علي رضي الله عنه[2].

وقد قال ابن تيمية: استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة – مسألة عثمان وعلي – ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسـول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله[3].

وذكر أقوال أهل العلم في مسألة تفضيل علي على عثمان: فقال: فيها روايات: إحداها، لا يسوغ ذلك، فمن فضل علياً على عثمان خرج من السـنة إلى البدعة، لمخالفته لإجماع الصـحابة، ولهذا قيل: من قدم علياً على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، يروى ذلك عن غير واحد، منهم أيوب السختياني، وأحمد بن حنبل، والدار قطني. والثانية: لا يبدع من قدم علياً، لتقارب حال عثمان وعلي[4].

رابعاً: علي رضي الله عنه يقيم الحدود ويستشار في شؤون دولة عثمان رضي الله عنه:

1- إقامة علي للحدود في عهد عثمان رضي الله عنهما:

عن حصين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفان، وأتي بالوليد فشهد عليه رجلان أحدهما: حمران؛ أنه شرب الخمر، وشهد اخر أنّه لم يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال: الحسـن ولِّ حارّها من تولى قارّها[5]، فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلي يعد، حتى بلغ أربعين فقال: أمسـك، ثم قال: جلد النبيﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلٌّ سـنة، وهذا أحب إليّ[6]، ويؤخذ من هذا الحديث بأن علياً رضي الله عنه كان قريباً من عثمان ومعيناً له على طاعة الله، وكان علي رضي الله عنه يقول في معرض دفاعه عن عثمان رداً على من يعيب على عثمان بالفعل المنسـوب للوليد: إنكم ما تعيرون به عثمان

---

(1) مجموعة الفتاوى (3/101، 102).
(2) حقبة من التاريخ لعثمان الخميس ، ص66.
(3) مجموع الفتاوى (3/101، 201).
(4) مجموع الفتاوى (4/267).
(5) أي: ولِّ بشدتها وأوساخها من تولى هنيئها ولذاتها.
(6) شرح النووي على صحيح مسلم ، كتاب الحدود (11/216).

كالطاعن نفسه ليقتل رِدْأَهُ[1]، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا؟! [2].

2- استشارة عثمان لعلي وكبار الصحابة في فتح إفريقية:

جاء في رياض النفوس: أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جاءه من واليه على مصر (عبد الله بن سعد): أن المسلمين يُغِيرون على أطراف إفريقية، فيصيبون من عدوهم، وأنهم قريبون من حَوز المسلمين، فأعرب عثمان بن عفان رضي الله عنه على إثر ذلك للمسور بن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو إفريقية. جاء في هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يابن مخرمة؟ قلت: اغزهم. قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته.. اِيتِ علياً، وطلحة، والزبير، والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحدَ منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور (سعيد بن زيد) فقال له عثمان: لم كرهت يا أبا الأعور من بعثة الجيوش إلى إفريقية؟ فقال له: سمعت (عمر) يقول: لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيناي الماء. فلا أرى لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما نخافهم، وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو إلى إفريقية، فخرج بعض الصحابة منهم: عبد الله بن الزبير، وأبو ذر الغفاري[3].

3- رأي علي في جمع عثمان الناس على قراءة واحدة:

جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار، وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيان الصحابة وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، وظهر للناس في أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عُرف عند أحدٍ نكير.

وليس شأن القرآن الذي يخفى على احاد الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين[4] أن عثمان رضي الله عنه لم يبتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلى ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه، إنما فعله عن مشورة للصحابة رضي الله عنهم، وأعجبهم هذا الفعل وقالوا: نِعْم ما رأيت، وقالوا أيضاً: قد أحسن؛ أي: في فعله في

---

(1) الرِّدْء: هو العون. تاريخ الطبري (278/5).

(2) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (421/1).

(3) رياض النفوس (8/1-9)؛ الجهاد والقتال ، هيكل (556/1).

(4) عثمان بن عفان ، صادق عرجون ، ص 175.

المصاحف[1].

وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبيﷺ حين مشق[2] عثمان المصاحف، فراهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه[3].

وكان علي رضي الله عنه ينهى من يعيب على عثمان رضي الله عنه بذلك ويقول: يا أيها الناس ! لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً ـ أو قولوا خيراً ـ فوالله ما فعل الذي فعل ـ أي في المصاحف ـ إلا عن ملأ منا جميعاً ـ أي الصحابة ـ... والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[4].

وجاء في رواية أخرى عن علي قوله: لما اختلف الناس في القرآن وبلغ ذلك عثمان جمعنا أصحاب رسول الله واستشارنا في جمع الناس على قراءة، فأجمع رأينا مع رأيه على ذلك، وقال بعد ذلك: لو وليت الذي ولى، لصنعت مثل الذي صنع[5].

خامساً: موقف علي رضي الله عنه في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه:

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، كالرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتامر الحاقدين، والتدبير المحكم لإشارة المأخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السبئية في أحداث الفتنة، وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان شخصيته وعصره).

لقد استخدم أعداء الإسلام في فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف؛ حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيراً، والتحريض، والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة رضي الله عنهم، عائشة وعلي وطلحة والزبير، والإشاعة بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأحق بالخلافة، وأنه الوصي بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر أربع فرق من كل مصر، مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاؤوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتى وصل إلى القتل[6].

---

(1) فتنة مقتل عثمان (78/1).

(2) مشق: حرق (لسان العرب 344/10).

(3) التاريخ الصغير للبخاري (94/1) ، إسناده حسن لغيره.

(4) فتح الباري (18/9) ، إسناده صحيح.

(5) سنن أبي داود ، كتاب المصاحف ، ص29-30 ، إسناده صحيح. خلافة علي بن أبي طالب ، علي عبد الحميد ، ص80.

(6) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، ص401.

وإلى جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات منها: التكبير، ومنها: أن جهادهم هذا ضد المظالم، ومنها: أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها: المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا، بل سارعوا إلى قتل الخليفة وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزاد حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتشوق الى قتله بأي وسيلة[1].

كان التنظيم السبئي بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودي خلف تلك الأحداث والتي بعدها، وسيأتي الحديث عنه بإذن الله، وعن عثمان الذي هز مقتله العالم الإسلامي وأثر في كثير من الأحداث إلى يومنا هذا.

1– موقف علي رضي الله عنه في بداية الفتنة:

استمر علي رضي الله عنه في طريقته المعهودة مع الخلفاء، وهي السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان، والتزام أمره، ولو كان شاقاً بقوله: لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت[2].

وعندما نزل المتمردون في ذي المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهراً ونصفاً، أرسل إليهم عثمان علياً ورجلاً اخر لم تسمِّه الروايات، والتقى بهم علي رضي الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتم ؟ فوافقوا على ذلك[3]، وفي رواية: أنهم شادُّوه وشادهم مرتين أو ثلاثاً، ثم قالوا: ابن عم رسول الله ﷺ، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله، فقبلوا[4]، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفي يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في كتاب، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة[5] .

وهكذا اصطلح عثمان رضي الله عنه مع كل وفد على حدة، ثم انصرفت الوفود إلى ديارها[6]، وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعاً راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطاً اخر يذكي الفتنة ويحييها، يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رضي الله عنه، وبرز ذلك فيما يأتي:

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص402.
(2) مصنف ابن أبي شيبة (225/15) ، سنده صحيح.
(3) تاريخ دمشق ، ترجمة ، ص328؛ تاريخ خليفة ، ص169.
(4) فتنة مقتل عثمان (129/1).
(5) المصدر السابق نفسه (129/1).
(6) المصدر السابق نفسه (329/1).

في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكباً على جمل قال: يتعرض لهم، ويفارقهم فكأنه يقول: خذوني، فقبضوا عليه، وقالوا له: ما لك؟ أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله، فتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها[1]، ونفى عثمان رضي الله عنه أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت، ولا أمللت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه[2] وهو الصادق البار لغاية في نفوسهم.

وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين؛ هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان، وذلك لعدة أمور؛ منها[3] : كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم مسافة شاسعة، فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعاً في ان واحد، كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوَّروا الكتاب واستأجروا راكباً ليحمله ويمثل الدور في البويب أمام المصريين، قد استأجروا راكباً اخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتاباً بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا[4] ؟! بل إن علياً يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة[5].

إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوِّره هؤلاء المجرمون، بل زوَّروا كتباً على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان علي وطلحة والزبير، فهذه عائشة رضي الله عنها تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان، فتنفي وتقول: لا والذي امن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا[6]. ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[7].

ويتهم الوافدون علياً بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتاباً[8].

---

(1) تاريخ الطبري (379/5).

(2) فتنة مقتل عثمان (132/5)؛ البداية والنهاية (191/7).

(3) تيسير الكريم المنّان في سير عثمان بن عفان للصلابي ، ص410.

(4) تاريخ الطبري (359/5).

(5) تاريخ الطبري (359/5).

(6) تحقيق مواقف الصحابة (334/1).

(7) تاريخ خليفة بن خياط ، ص169.

(8) تحقيق مواقف الصحابة (335/1)؛ البداية والنهاية (191/7).



كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمروهم بالقدوم إليهم، فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة[1]. ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً : وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كُتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج – قتلة عثمان – كُتُبٌ مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زُوّر هذا الكتاب على عثمان أيضـاً، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به[2]. ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار كبار الصحابة . علي وعائشة والزبير . أنفسهم لهذه الكتب في أصح الروايات[3].

إن الأيدي المجرمة التي زوّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زوَّرت وروّجت على عثمان تلك الأباطيل، وإنه فعل وفعل، ولقنتها للناس، حتى قبلها الرعاع، ثم زوَّرت على لسان عثمان ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيداً سعيداً، ولم يكن عثمان الشهيد هو المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنياً عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوّه المحرَّف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوَّهاً هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين .. أما ان للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟! بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره[4] .

2- موقف علي رضي الله عنه أثناء الحصار:

اشتد الحصار على عثمان رضي الله عنه، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابراً على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله ﷺ بذلك، وكان مع إيمانه القوي بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وأنه لا يحل سفكه إلا بحقه، وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام، ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم[5] وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الاخرة ؟! وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند

([1]) تحقيق مواقف الصحابة (335/1)؛ البداية والنهاية (175/7).
([2]) البداية والنهاية (175/7).
([3]) تحقيق مواقف الصحابة (335/1).
([4]) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر ، ص228، 229.
([5]) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص85.

الله، وهو الذي تربى على عين النبيﷺ والذي شهد له وزكاه، وكذلك أفاضل الصحابة، أهكذا تكون معاملته؟!

واشتدت سيطرة الثوار على المدينة حتى إنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات[1]، وحينها أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمده عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه[2] .

وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان رضي الله عنه، ومن هؤلاء الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعبد الله بن الزبير، حيث تذكر بعض الروايات: أن الحسن حمل جريحاً من الدار يوم الدار[3]، كما جرح غير الحسن، عبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن علي وابن عمر رضي الله عنهما[4].

وقد كان علي من أدفع الناس عن عثمان رضي الله عنه، وشهد له بذلك مروان بن الحكم[5]، أقرب الناس إلى عثمان رضي الله عنه، وألصقهم به في تلك المحنة القاسية الأليمة، وقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن علياً أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمئة دارع، فأذن لي، فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيئاً يستحل به دمك، فقال: جزيت خيراً، ما أحب أن يهرق دم في سببي[6].

وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان رضي الله عنهما، أثناء الحصار فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشاً، فأرسل علي رضي الله عنه إليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت[7].

ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه رضي الله عنه وأرضاه، ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال علي لأبنائه وأبناء إخوانه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح[8]، وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله وهو يقول: تباً لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت أو مالأت على قتله[9].

---

(1) سير أعلام النبلاء (515/3).

(2) فتنة مقتل عثمان (167/1)؛ المسند (396/1) تحقيق أحمد شاكر.

(3) الطبقات لابن سعد (128/8) ، بسند صحيح.

(4) تاريخ خليفة ، ص174.

(5) تاريخ الإسلام للذهبي الخلفاء الراشدين ، ص460-461 ، إسناده قوي.

(6) تاريخ دمشق ، ص403.

(7) أنساب الأشراف للبلاذري (67/5).

(8) ابن أبي عاصم ، الآحاد والثماني (125/1)؛ نقلاً عن خلافة علي ، ص87.

(9) مصنف ابن أبي شيبة (209/15) ، إسناده صحيح.

وهكذا كان موقف علي رضي الله عنه، نصح وشورى، سمع وطاعة، وقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته؛ إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بالشهادة[1].

3- المصاهرات بين آل علي وآل عثمان رضي الله عنهم:

لم يكن بين بني هاشم وبني أمية من المباغضة والعداوة والمنافرة التي اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين، ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد اتضح لكل منصف أن بني أمية مع بني هاشم علاقتهم فيما بينهم علاقة أبناء العمومة والإخوان والخلان؛ فهم من أقرب الناس فيما بينهم، يتبادلون الحب والتقدير والاحترام، ويتقاسمون الهموم والآلام والأحزان، فبنو أمية وبنو هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وكلهم استقوا من عين واحدة ومنبع صاف واحد، وأخذوا الثمار من دين الله الحنيف الذي جاء به رسول الله الصادق الأمين، المعلم، المربي، خاتم الأنبياء والمرسلين.

ولقد كان بين أبي سفيان وبين العباس صداقة يضرب بها الأمثال[2]، كما كانت بينهم المصاهرات قبل الإسلام وبعده، فلقد زوج رسول الله ﷺ بناته الثلاثة من الأربعة من بني أمية: من أبي العاص بن الربيع وهو من بني أمية، ومن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وهو مع ذلك ابن بنت عمة رسول الله ﷺ التي ولدت مع والد رسول الله عليه الصلاة والسلام عبد الله بن عبد المطلب توأمين: أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس، وهي أم عثمان، وأمها أم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبيﷺ .

هذا ولقد تزوج بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه من بني هاشم ابنه أبان بن عثمان، وكانت عنده أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر (الطيار) بن أبي طالب شقيق علي رضي الله عنهما[3]، وحفيدة علي وبنت الحسين سكينة كانت متزوجة من حفيد عثمان زيد بن عمرو بن عثمان رضي الله عنهم أجمعين، وحفيدة علي الثانية وابنة الحسين فاطمة كانت متزوجة من حفيد عثمان الاخر؛ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان سيد بني أمية متزوجة من سيد بني هاشم وسيد ولد ادم رسول الله الصادق الأمين كما هو معروف، كما أن هند بنت أبي سفيان كانت

(1) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص 87.
(2) الشيعة وأهل البيت ، ص141.
(3) المعارف للدينوري ، ص86؛ الشيعة وأهل البيت ، ص141.

متزوجة من الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم فولدت له ابنه محمد[1].

وتزوجت لبابة بنت عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، العباس بن علي بن أبي طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة(ابن أخ معاوية) ابن أبي سفيان[2]، وتزوجت رملة بنت محمد بن جعفر الطيار بن أبي طالب سليمان بن هشام بن عبد الملك (الأموي)، ثم أبا القاسم بن وليد بن عتبة بن أبي سفيان[3]، وكذلك تزوجت ابنة علي بن أبي طالب رملة من ابن مروان بن الحكم[4] بن أبي العاص بن أمية، فقد كانت رملة بنت علي عند أبي الهياج.. ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن أبي العاص[5]، وتزوجت حفيدة علي بن أبي طالب من حفيد مروان بن الحكم، فنفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب تزوجها وليد بن عبد الملك بن مروان، فتوفيت عنده، وأمها لبابة بنت عبد الله بن عباس[6]. وقد اكتفيت ببيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتبصر[7].

سادساً: من أقوال علي في الخلفاء الراشدين:

إن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قد أجمع على صحتها وانعقادها الصحابة الكرام، ومن طعن في أحد منهم فقد خالف قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 115]، وقول النبيﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ» فهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن اتبعهم بإحسان[8]، وما أحسن ما قاله أيوب السختياني في هذا المقام؛ حيث قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله عز وجل، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحاب محمد فقد برأ من النفاق[9]، قال الشاعر:

إنّي رضيتُ علياً قدوةً علماً ... كما رضيتُ عتيقاً صاحبَ الغار
وَقَدْ رضيت أبا حفصٍ وشِيعتِهِ ... وما رضيتُ بقتلِ الشيخِ في الدارِ

(1) طبقات ابن سعد (15/5) ، الإصابة (58/3، 59).
(2) نسب قريش ، ص133؛ الشيعة وأهل البيت ، ص143.
(3) الشيعة وأهل البيت ، ص143.
(4) المصدر السابق نفسه ، ص143.
(5) جمهرة أنساب العرب ، ص87 ؛ نسب قريش ، ص45.
(6) طبقات ابن سعد (234/5).
(7) الشيعة وأهل البيت ، ص144.
(8) الشريعة للآجري (1768/4).
(9) المصدر السابق نفسه (1772/4، 1773).

كـلُّ الصـــحـابـةِ عـنـدي قـدوةٌ عَـلَـمٌ فـهـل عـلـيَّ بهـذا الـقـولِ مـن عـارِ
إن كـنـتَ تـعـلـمُ أني لا أحـبـهـم إلا لـوجـهـك أعـتـقـني مِـنَ الـنَّـارِ[1]

هذا وقد جاءت الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة في العلاقة المتميزة بين علي والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وقد تم توضيح ذلك في الصفحات الماضية وهذه بعض الأدلة نضيفها إلى ما سبق من براهين ساطعة على مكانة الخلفاء الراشدين عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

1- سيدا كهول أهل الجنة وشبابها:

عن علي رضي الله عنه قال: كنت عند النبيﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: «يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة، وشبابها، بعد النبيين والمرسلين»[2].

2- ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه:

عن سويد بن غفلة، قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر، فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من أصحابك انفاً يتناولون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له من هذه الأمة أهل، فلولا أنك تُضْمِرُ على مثل ما أعلنوا عليه ما تجرَّؤوا على ذلك. فقال علي: ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المِضيَّ عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل. ثم نهض دامع العين يبكي، قابضاً على يدي حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وجلس عليه متمكناً قابضاً على لحيته ينظر فيها وهي بيضاء، حتى اجتمع له الناس، ثم قام فخطب خطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بال قوم يذكرون سَيِّدَي قريش وأبوي المسلمين؟! أنا مما قالوا برأي وعلى ما قالوا مُعاقِبٌ، ألا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر ردي، صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله ﷺ، ولا كان رسول الله ﷺ يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحداً، قضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله ﷺ أبا بكر لصلاة المؤمنين فصلَّى بهم تسعة أيام[3]في حياة رسول الله ﷺ، فلما قبض الله تعالى نبيه ﷺ واختار له ما عنده، ولاَّه المؤمنون أمرهم، وقضوا إليه الزكاة، لأنهما مقرونتان، ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين، أنا أول من سَنَّ ذلك من بني عبد المطلب، وهو لذلك كاره يود أن أحدنا كفاه ذلك،

([1]) الشريعة (2536/5).

([2]) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم 602 ، حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن.

([3]) في الأصل سبعة ، وورد تصويبها في الهامش.

وكان والله خير من بقي، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعاً، وأقدمه سناً وإسلاماً.. فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك، ثم ولي عمر الأمر من بعده، فمنهم من رضي، ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كرهه، فأقام الأمر على منهاج النبيﷺ وصاحبه، يتبع اثارهما كاتباع الفصيل[1] أمه، وكان والله رفيقاً رحيماً، وللمظلومين عوناً راحماً وناصراً، لا يخاف في الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى كنا نظن أن ملكاً ينطق على لسانه، أعز الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قواماً، ألقى الله تعالى له في قلوب المنافقين الرهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبة.

إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما – رحمة الله عليهما – ورزقنا المضيَّ على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع اثارهما والحب لهما، ألا فمن أحبَّني فليحبَّهما، ومن لم يحبَّهما فقد أبغضني، وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما؛ لعاقبت على هذا أشد العقوبة، ولكن لا ينبغي أن أعاقب قبل التقدم، ألا فمن أُتيت به يقول هذا بعد اليوم، فإنّ عليه ما على المفْتَري، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر وعمر، ولو شئت سمّيت الثالث، وأستغفر الله لي ولكم[2].

3- هذا عثمان بن علي سميته بعثمان بن عفان:

عن أبي سعيد الخدري: نظرت إلى غلام أيفع[3]، له ذؤابة[4] وجمة[5]، والله يعلم إني منه حينئذ لفي شك، ما أدري غلام هو أو جارية، فمررنا بأحسن منه وهو جالس إلى جنب علي، فقلت: عافاك الله، من هذا الفتى إلى جانبك؟ قال: هذا عثمان بن علي سميته بعثمان بن عفان، وقد سميت بعمر بن الخطاب، وسميت بعباس عم رسول الله ﷺ، وقد سميت بخير البرية محمد، فأما حسن وحسين ومحسن[6]، فإنما سماهم رسول الله ﷺ وعقّ عنهم وحلق رؤوسهم[7]، وتصدق وزنها وأمر بهم فسموا وختنوا[8]، فقد ولدوا في عهده عليه الصلاة والسلام، ورسول الله هو الذي سماهم وعق عنهم.

---

(1) الفصيل: ولد الناقة إذا فُصل عن أمه.

(2) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، ص 43؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي ، رقم 4456.

(3) أيفع: شارف الاحتلام.

(4) الذؤابة: هي الشعر المضفور من شعر الرأس.

(5) الجمة من شعر الرأس : ما سقط على المنكبين.

(6) مسند أحمد (115/2) ، رقم 769 ، قال أحمد شاكر : إسناده صحيح.

(7) المختصر من كتاب الموافقة ، ص141.

(8) وختنوا: الختن للرجال ، والخفض للنساء. المختصر من كتاب الموافقة ، ص141.

4- أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبيﷺ اختصاص عظيم:

قد عرف بالتواتر الذي لا يخفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبيﷺ اختصاص عظيم، وكانوا من أعظم الناس اختصاصاً به، وصحبة له وقربة إليه، وقد صاهرهم كلهم، وكان يحبهم ويثني عليهم، وحينئذ فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهراً وباطناً في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته، أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمرين لازم، إما عدم علمه بأحوالهم، أو مداهنته لهم، وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول ﷺ كما قيل:

فإن كنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنتَ تدري فالمصيبةُ أعظمُ

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته، وأكابر أصحابه، ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟! فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول ﷺ كما قال الإمام مالك وغيره: إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ﷺ ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة[1].

5- ما يترتب عليه في مذهب الرافضة من تكفير الصحابة:

إن مذهب الرافضة في تكفير الصحابة يترتب عليه تكفير أمير المؤمنين لتخلِّيه عن القيام بأمر الله، ويلزم عليه إسقاط تواتر الشريعة، بل بطلانها ما دام نقلتها مرتدين، ويؤدي إلى القدح في القرآن العظيم، لأنه وصلنا عن طريق أبي بكر وعمر وعثمان وإخوانهم، وهذا هو هدف واضع هذه المقالة، ولذلك قال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[2]، ولذلك اعترفت كتب الشيعة أن الذي وضع هذه المقالة هو ابن سبأ فقالت: إنه أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن علياً عليه السلام أمره بذلك[3].

6- قرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين علي والخلفاء الراشدين:

قامت القرائن العملية والأدلة الواقعية من سيرة أمير المؤمنين علي في علاقته مع إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان مما اشتهر

---

(1) منهاج السنة (123/4)؛ أصول مذهب الشيعة (931/2).

(2) الكفاية ، ص49.

(3) المقالات والفرق للقمي ، ص20؛ نقلاً عن أصول مذهب الشيعة (933/2).



وذاع نقله، وقد نقلنا منه الكثير فيما مضى ما يثبت المحبة الصادقة والإخاء الحميم بين هذه الطليعة المختارة، والصفوة من جيل الصحابة رضوان الله عليهم، وتأتي في مقدمة هذه الأدلة والقرائن تزويج أمير المؤمنين علي ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر[1].

فإذا كان عمر فاروق هذه الأمة قد صار عند الشيعة الروافض أشد كفراً من إبليس، أفلا يرجعون إلى عقولهم ويتدبروا فساد ما ينتهي إليه مذهبم؟!

إذ لو كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما كافرين كما يفترون لكان علي بتزويجه ابنته أم كلثوم الكبرى من عمر رضي الله عنه كافراً أو فاسقاً معرضاً بنته للزنى، لأن وطء الكافر للمسلمة زنى محض[2]!

والعاقل المنصف البريء من الغرض، الصادق في محبته للنبي ﷺ وأهل بيته واتباعه لهم؛ لا يملك إلا الإذعان لهذه الحقيقة، حقيقة الولاء والحب بين الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولذلك لما قيل لمعز الدولة أحمد بن بويه – وكان رافضياً يشتم صحابة رسول الله –: إن علياً رضي الله عنه زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتاب وتصدق بأكثر ماله، وأعتق مماليكه، ورد كثيراً من المظالم وبكى حتى غشي عليه[3]، لشعوره بعظم جرمه فيما سلف من عمره، الذي أمضاه ينهش في أعراض هؤلاء الأطهار، مغتراً بشبهات الروافض[4].

وقد حاول شيوخ الشيعة الروافض إبطال مفعول هذا الدليل؛ فوضعوا روايات مكذوبة عن لسان الأئمة تقول: ذلك فرج غصبناه[5]، فزادوا الطين بلة، حتى صوروا أمير المؤمنين في صورة (الديوث) الذي لا ينافح عن عرضه، ويقر الفاحشة في أهله، وهل يتصور مثل هذا في حق أمير المؤمنين علي بطل الإسلام؟ إن أدنى العرب ليبذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمه، فضلاً عن بني هاشم الذين هم سادات العرب وأعلاها نسباً، وأعظمها مروءة وحمية، فكيف يثبتون لأمير المؤمنين وابنته حفيدة رسول الله ﷺ مثل هذه المنقصة الشنيعة، وهو الشجاع الصنديد، ليث بني غالب، أسد الله في المشارق والمغارب[6].

ويبدو أن بعضهم لم يعجبه هذا التوجيه، فرام التخلص من هذا الدليل بمنطق أغرب وأعجب؛ حيث زعم أن أم كلثوم لم

---

[1] أصول مذهب الشيعة (932/2).
[2] المصدر السابق نفسه(932/2).
[3] المنتظم (38/7، 39).
[4] أصول مذهب الشيعة (937/2).
[5] فروع الكافي (10/2)؛ أصول مذهب الشيعة (937/2).
[6] مؤتمر النجف للسويدي ، ص86 ، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة (937/2).

تكن بنت علي ولكنها جنية تصورت بصورتها[1]. فأتوا بما يستخف به أصحاب العقول، ويستطيع كل من أراد أن يدّعي على من يكرهه بأنه جني أو جنية، وهكذا يعيش الناس في الخرافات وتضيع الحقيقة.

ومن القرائن أيضاً: علاقات القربى القائمة بينهم، ووشائج الصلة، وكذلك مظاهر المحبة، حتى إن علياً والحسن والحسين – كما مرّ معنا – يسمون بعض أولادهم باسم أبي بكر وعمر، وهل يطيق أحد أن يسمي أولاده بأسماء أشد أعدائه كفراً وكرهاً له؟! وهل يطيق أن يسمع أسماء أعدائه تتردد في أرجاء بيته يردِّدها مع أهله في يومه مرات وكرات[2].

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا يحفظ عنه الصحابة ومن تبعهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلا محبة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في حياتهم، وفي خلافتهم، وبعد وفاتهم، فأما في خلافتهم فسامع لهم مطيع، يحبهم ويحبونه، ويعظم قدرهم ويعظمون قدره، صادق في محبتهم، مخلص في الطاعة لهم، يجاهد من يجاهدون، ويحب ما يحبون، ويكره ما يكرهون، يستشيرونه في النوازل فيشير مشورة ناصح مشفق محب، فكثير من سيرتهم بمشورته جرت[3]، وهم يبادلونه نفس الشعور ويقال: إنه لا يجتمع حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلا في قلوب أتقياء هذه الأمة[4]. وقال سفيان الثوري: لا يجتمع حب عثمان وعلي رضي الله عنهما إلا في قلوب نبلاء الرجال[5]. وقال أنس بن مالك: قالوا: إن حب عثمان وعلي رضي الله عنهما لا يجتمعان في قلب مؤمن، كذبوا. فقد جمع الله عز وجل حبهما بحمد الله في قلوبنا[6].

سابعاً: وصف لأصحاب النبيﷺ في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29]. ومن المناسب أن أختم هذا الفصل بهذه الآية الكريمة لتكون دليلاً على ما ذكرته من المحبة والرحمة والتعاون بين

([1]) الأنوار النعمانية (1/83-84)؛ نقلاً عن أصول مذهب الشيعة (2/938).
([2]) أصول مذهب الشيعة (2/938).
([3]) الشريعة للآجري (5/2312).
([4]) المصدر السابق نفسه .
([5]) حلية الأولياء (7/32).
([6]) الشريعة للآجري (5/2312) ، إسناده صحيح.

الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، فهذه الآية تضمَّنت ذكر منزلة الرسول ﷺ بالثناء، ثم ثنى الله تعالى فيها بالثناء على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فذكر تعالى أن صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، ووصفهم بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة: إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوان، كما بيَّن سبحانه أن اثار ذلك يظهر على وجوههم والسيما ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، وقد قيل فيها: بياض يكون في الوجوه يوم القيامة، قاله الحسن وسعيد بن جبير، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية أخرى عنه وعن مجاهد: السيماء في الدنيا هو السمت الحسن: (عن مجاهد أيضاً: هو الخشوع والتواضع[1]).

وهذه الأقوال لا منافاة بينها؛ إذ يمكن أن يكون في الدنيا هو السمت الذي ينشأ عن التواضع والخشوع، وفي الاخرة يكون في جباههم نور[2]؛ قال ابن كثير: فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم، وحسنت أعمالهم؛ فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم، وقال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوَّه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال سبحانه هاهنا: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي: فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي: شده وقواه ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: شب وطال ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ ؛ آزروه وأيدوه ونصروه؛ فهم معه كالشطء مع الزرع : ومن هذه الآية انتزع الإمام ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ رحمة الله عليه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم؛ قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك..

ثم قال تبارك وتعالى: أي: ثواباً جزيلاً ورزقاً ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾، ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل[3].

وفي قوله سبحانه في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم: أخطر حكم وأغلظ تهديد وأشد وعيد في حق من غيظ

---

(1) تفسير الطبري (26/110-111)؛ تفسير القرطبي (16/293-294).

(2) تفسير الطبري (26/112).

(3) تفسير ابن كثير (6/365).

بأصحاب ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ الله ﷺ، أو كان في قلبه غلٌّ لهم[1].

وأما قوله تعالى في ختام الآية: فيها وعد من الله تعالى لجميع الصحابة ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وكذلك كل من امن وعمل الصالحات من أمة الإجابة، إذ هذا الوعد عامّ لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة[2]، وكلمة (منهم) في الآية السابقة: (من) لبيان الجنس وليست للتبعيض. قال ابن تيمية: ولا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات؛ وهو الشدة على الكفار، والرحمة بينهم، والركوع والسجود، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، والسيماء في وجوههم من أثر السجود، وأنهم يبتدئون من ضعف الى كمال القوة والاعتدال؛ كالزرع، والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات، بل على الإيمان والعمل الصالح، فذكر ما به يستحقون الوعد وإن كانوا كلهم بهذه الصفة، ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنهم بمجرد ما ذكر يستحقون المغفرة والأجر العظيم، ولم يكن فيه بيان سبب الجزاء، بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح؛ فإن الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم[3].

إن ما ذكرته في هذا الفصل ينسجم كلياً مع حديث القرآن الكريم عن الرحمة بين الصحابة والشدة على الكفار، وخصوصاً بين الخلفاء الراشدين؛ فهم السادة الكرام، وعلية القوم، وقادة الأمة بعد وفاة نبيها، فالحذر كل الحذر من الروايات الضعيفة والقصص الموضوعة التي اختلقها أعداء الأمة ليشوهوا بها تاريخ صدر الإسلام؛ أنصدق الروايات الكاذبة والقصص الواهية التي تصور العداء بين الخلفاء الراشدين، أم نصدق كتاب ربنا وما جاء في حقهم على لسان نبينا وما يوافقه مما دونه العلماء الثقات من أهل السنة والجماعة ؟!

قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63]، فهذا وصف القرآن الكريم لحقيقة الألفة بين قلوب الصحابة؛ فهي منحة ربانية، ونعمة إلهية أعطاها الله لذلك الجيل الطاهر، لا دخل لبشر فيها. وبيّن القرآن الكريم أن الألفة بين الصحابة نعمة من الله تعالى امتن بها على رسوله ﷺ، وهذا التصوير القرآني لحقيقة الصحابة ينسجم مع الروايات الصحيحة التي تبين محبة الصحابة والمودة بينهم، وبذلك يفتضح أمر الذين وضعوا الروايات المكذوبة والموضوعة، والآية تشمل كل من سار على هدي القرآن الكريم وسنة سيد

---

(1) قبس من هدي الإسلام ، عبد المحسن العباد ، ص86.

(2) عقيدة أهل السنة من الصحابة ، (76/1).

(3) منهاج السنة (158/1).

المرسلين؛ قال ابن عباس: قرابة الرحم تقطع، ومنة المنعم تكفر، ولم نر مثل تقارب القلوب[1].

قال الشاعر:

ولقد صحبتُ الناسَ ثم خَبِرْتُهُم ... وبلوتُ ما وَصَلُوا من الأسبابِ
فإذا القرابةُ لا تقرِّبُ قاطعاً ... وإذا المودَّةُ أقربُ الأسبابِ[2]

..

(1) الدر المنثور في تفسير المأثور (100/4).
(2) المصدر السابق نفسه.

الفصل الثالث : بيعة علي رضي الله عنه وأهم صفاته، وحياته في المجتمع

المبحث الأول : بيعة علي رضي الله عنه

أولاً: كيف تمت بيعة علي رضي الله عنه:

تمت بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة بطريقة الاختيار، وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه على أيدي الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاؤوا من الافاق ومن أمصار مختلفة، وقبائل متباينة، لا سابقة لهم، ولا أثر خير في الدين، فبعد أن قتلوه رضي الله عنه ظلماً وزوراً وعدواناً، يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[1]؛ قام كل من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ بمبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة، وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق في ذلك الوقت، فلم يدَّعِ الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان رضي الله عنه، ولم يكن أبو السبطين رضي الله عنه حريصاً عليها، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقي من الصحابة بالمدينة، وخوفاً من ازدياد الفتن وانتشارها، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال إثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التي أوقد نارها وأنشبها الحاقدون على الإسلام كابن سبأ وأتباعه الذين استخفَّهم فأطاعوه لفسقهم، ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدى.

وقد روى الكيفية التي تم بها اختيار علي رضي الله عنه للخلافة بعض أهل العلم[2]، فقد روى أبو بكر الخلال بإسناده إلى محمد بن الحنفية قال: كنت مع علي رحمه الله وعثمان محاصر، قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام علي رحمه الله: قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفاً عليه، فقال: خلِّ لا أم لك، قال: فأتى علي الدار وقد قتل الرجل رحمه الله، فأتى داره فدخلها فأغلق بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا قد قتل، ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال لهم علي: لا تريدوني فإني لكم وزير، خير مني لكم أمير، فقالوا: لا والله لا نعلم أحداً أحق بها منك، قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سراً، ولكن أخرج إلى المسجد، فبايعه الناس[3].

وفي رواية أخرى: عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية: فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام، ولا نجد أحداً أحق بها منك أقدم مشاهد، ولا أقرب من رسول الله ﷺ، فقال علي: لا تفعلوا فإني

---

(1) الطبقات لابن سعد (31/3).

(2) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (677/2).

(3) كتاب السنة لأبي بكر الخلال ، ص415.

وزير، خير مني أمير، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المســـجد، فإنه لا ينبغي لبيعتي أن تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضــا المســلمين، قال: فقال ســالم بن أبي الجعد: فقال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد كراهية أن يشغب عليه، وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس[1].

ومن هذه الآثار الصحيحة بعض الدروس والعبر والفوائد، منها:

1- نصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه، ودفاعه عنه، وهذا متواتر عن علي رضي الله عنه، بل كان أكثر الناس دفاعاً عن عثمان رضي الله عنه؛ جاء ذلك بأسانيد كثيرة، وشهد بذلك مروان بن الحكم حيث قال: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم – يعني علياً – عن عثمان[2].

2- زهد علي رضي الله عنه في الخلافة وعدم طلبه لها أو طمعه فيها، واعتزاله في بيته حتى جاءه الصحابة يطلبون البيعة.

3- إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار والناس عامة في المدينة على بيعته، ويدخل في هؤلاء أهل الحل والعقد ـــ وهم الذين قصــــدوا علياً وطلبوا منه أن يوافق على البيعة، وألحّوا عليه حتى قبلها، وليس للغوغاء وقتلة عثمان كما في بعض الروايات الضعيفة والموضوعة.

4- إن علياً كان أحق الناس بالخلافة يومئذ، ويدلُّ على ذلك قصد الصحابة له، وإلحاحهم عليه، ليقبل البيعة، وتصريحهم بأنهم لا يعلمون أحق منه بالخلافة يومئذ.

5- أهمية الخلافة، ولذلك رأينا أن الصحابة أسرعوا في تولية علي، وكان علي يقول: لولا الخشية على دين الله لم أجبهم[3].

6- إن الشبهة التي أدخلوها على بيعة علي: كون الخوارج الذين حاصروا عثمان، وشارك بعضهم في قتله، كانوا في المدينة، وأنهم أول من بدؤوا بالبيعة، وأن طلحة والزبير بايعا مكرهين، وهذه أقاويل المؤرخين، لا تقوم على أساس وليس لها مسند صحيح، والصحيح: أنه لم يجد الناس بعد أبي بكر وعمر وعثمان، كالرابع قدراً وعلماً، وتقى وديناً، وسبقاً وجهاداً، فعزم عليه المهاجرون والأنصــار، ورأى ذلك فرضــاً عليه، فانقاد إليه، ولولا الإســـراع بعقد البيعة لعلي، لأدى ذلك إلى فتن واختلافات في جميع الأقطار الإسلامية، فكان من مصلحة المسلمين أن يقبل علي البيعة مهما كانت الظروف المحيطة بها، ولم يتخلف عن علي أحد من الصــحابة الذين كانوا بالمدينة، وقد خلط الناس بين تخلف الصــحابة عن المسير معه إلى

---

[1] رواه الخلال في السنة ، ص416 ، رجال الإسناد ثقات.

[2] بيعة علي بن أبي طالب ، أم مالك الخالدي ، ص2 ، نقلاً عن تاريخ الذهبي عهد الخلفاء الراشدين ، ص 460 ، إسناده قوي.

[3] فتح الباري (75/13) ، إسناده صحيح؛ بيعة علي ، ص105.

البصرة وبين البيعة: أما البيعة فلم يتخلَّف عنها، وأما المسير معه تخلفوا عنه لأنها كانت مسألة اجتهادية[1]، كما أن علياً لم يلزمهم بالخروج معه كما سيأتي التفصيل بإذن الله عند حديثنا عن الجمل.

7- لا بد من الحذر من مبالغات الإخباريين التي تزعم أن المدينة بقيت خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه[2]، وتزعم أن الغوغاء من مصر عرضت الأمر على علي فرفضه، وأن خوارج الكوفة عرضوا الخلافة على الزبير، فلا يجدونه، ومن جاء من البصرة عرضوا على طلحة البيعة؛ فهذا لا يثبت أمام الروايات الصحيحة، ولا يصح إسناده[3].

كما أن من المعروف تمكن الصحابة من المدينة وقدرتهم على القضاء على الغوغاء لولا طلب عثمان رضي الله عنه بالكف عن استخدام القوة ضدهم، وقد فصلت ذلك في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان)، والصحيح أن بيعة علي كانت عن طواعية واختيار من المسلمين، وليس لأهل الفتنة دور في مبايعة علي، وإنما كل من كان من الصحابة في المدينة[4] هم الذين اختاروا أمير المؤمنين علي.

8- بلغت الروايات الصحيحة والشواهد في بيعة علي إحدى عشرة رواية[5]، كما سيأتي تفصيل بعضها بإذن الله.

ثانيا: أحقّية علي بالخلافة:

إن أحقَّ الناس بالخلافة بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا ما يجب على المسلم اعتقاده والديانة لله به في شأنه ترتيب الخلافة الراشدة.

وقد ورد الإيماء إلى أحقية خلافة علي رضي الله عنه في كثير من النصوص الشرعية منها:

1- قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ليستحلفنهم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾ [النور: 55]. ووجه الاستدلال بها على أحقية خلافة علي رضي الله عنه: أنه أحد المستخلفين في الأرض الذين مكن الله لهم دينهم.

---

(1) المدينة النبوية ، محمد شرّاب ،(311/2).

(2) تاريخ الطبري (432/4).

(3) استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، د.خالد الغيث ، ص136 إلى 140.

(4) استشهاد عثمان ، ص240.

(5) بيعة علي بن أبي طالب ، ص122.

2- قوله ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ»[1]. ووجه الدلالة في هذا الحديث على أحقية خلافة علي رضـي الله عنه: أنه أحد الخلفاء الراشـدين المهديين الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وحافظوا على حدود الله، وأقاموا الصلاة، واتوا الزكاة، وساروا بسيرة رسول الله ﷺ في العدل وإقامة الحق.

3- قوله ﷺ : «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء»[2]. وفي هذا الحديث إشارة إلى أحقية علي رضي الله عنه؛ حيث إن خلافته كانت اخر الثلاثين من مدة خلافة النبوة التي حددها النبيﷺ في هذا الحديث، وبموجب هذا قال أهل العلم[3]، قال أحمد بن حنبل: حديث سـفينة في الخلافة صـحيح، وإليه أذهب في الخلفاء[4]، وقال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: إن قوماً يقولون: إنه ليس بخليفة ! قال: هذا قول سـوء رديء، فقال: أصـحاب رسـول الله ﷺ كانوا يقولون له: يا أمير المؤمنين، أفنكذبهم وقد حج وقطع ورجم؛ أفيكون هذا إلا خليفة ؟! [5].

وقال ابن تيمية في حديث سفينة: وهو حديث مشهور من رواية حماد بن سلمة وعبد الوارث بن سعيد والعوام بن

حوشب عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ، رواه أهل السنن كأبي داود وغيره، واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشـــدين الأربعة، وثبته أحمد واســتدل به على من توقف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه، حتى قال أحمد: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضلُّ من حمار أهله، ونهى عن مناكحته[6].

وقال شـارح الطحاوية: ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضـي الله عنهما، لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صـار إماماً حقاً واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سـفينة أنه قال: قال رسـول الله ﷺ : «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»[7].

4- عن عكرمة: قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سـعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا ... حتى أتى على ذكر بناء المسجد، فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين، فراه النبيﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: «ويح[8] عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال:

---

(1) سنن أبي داود (201/4)؛ الترمذي (44/5) حسن صحيح.

(2) صحيح ابن حبان ، رقم 6657؛ الطبراني في الكبير ، رقم 6442؛ السلسلة الصحيحة للألباني (742/1-749).

(3) عقيدة أهل السنة والجماعة (686/2).

(4) السنة لعبد الله بن حنبل ، ص235.

(5) المصدر السابق نفسه؛ عقيدة أهل السنة في الصحابة (686/2).

(6) هذه الرسالة بالمكتبة الظاهرية بخطه في مسودته ، نقلاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة (286/2).

(7) شارح الطحاوية ، ص545؛ السلسلة الصحيحة (742/1-749).

(8) ويح: كلمة رحمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها: الويل فويح والويح: ترحم ، غريب الحديث لابن الجوزي (486/2)؛ لطائف في غريب

يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[1]. وفي رواية مسلم: عن أبي سعيد قال لعمار حين جعل يحفر الخندق، وجعل يمسح رأسه ويقول: «بؤسى[2] ابن سمية، تقتلك فئة باغية»[3].

قال ابن تيمية: بعد ذكره لقوله ﷺ : «تقتل عمار الفئة الباغية»[4]: وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار وإن كان متأولاً، أو باغٍ بلا تأويل، وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين، وعندما أنكر يحيى بن معين على الشافعي استدلاله بسيرة علي في قتال البغاة المتأولين قال: أيجعل طلحة والزبير معاً بغاة؟! رد عليه الإمام أحمد فقال: ويحك وأي شيء يسعه أن يصنع في هذه المقام ؟ يعني: إن لم يقتدِ بسيرة

علي في ذلك لم يكن معه سنة من الخلفاء الراشدين في قتال البغاة – إلى أن قال: ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة في أنه غير علي أولى بالحق منه[5]، فلو قال قائل: إن قتل عمار كان بصفين، وهو مع علي، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة؛ فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار، فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها؛ وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكونهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم[6].

قال النووي بعد قوله ﷺ : «بؤسى ابن سمية تقتلك فئة باغية»[7] قال العلماء: هذا الحديث حجة ظاهرة في أن علياً رضي الله عنه كان محقاً مصيباً، والطائفة الأخرى بغاة، لكنهم مجتهدون فلا إثم عليهم لذلك.. وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه: منها: أن عماراً يموت قتيلاً، وأنه يقتله مسلمون، وأنهم بغاة، وأن الصحابة: يقاتلون، وأنهم يكونون فرقتين باغية وغيرها، وكل هذا وقع مثل فلق الصبح صلى الله وسلم على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى[8].

الحديث (85/4)؛ النهاية في غريب الحديث (235/5).

(1) البخاري ، رقم 447.

(2) كأنه ترحم له من الشدة التي يقع فيها.

(3) مسلم ، رقم 2235.

(4) مسلم ، رقم 2235.

(5) مجموع الفتاوى (437/4-438).

(6) فتح الباري (542/1).

(7) مسلم ، رقم 2235.

(8) شرح النووي على صحيح مسلم (40/18-41).



5- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق». وفيه أيضاً: أنه قال: «تكون في أمتي فرقتان، فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق»، وفي لفظ: قال: «تمرق مارقة في فرقة من الناس، فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق». وجاء بلفظ: «يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق»[1]، فقوله ﷺ : «على حين فرقة» - بضم الفاء - أي: في وقت افتراق الناس، أي: افتراق يقع بين المسلمين، وهو الافتراق الذي كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما[2]، والمراد بالفرقة المارقة؛ هم أهل النهروان، كانوا في عسكر علي رضي الله عنه في حرب صفين، فلما اتفق علي ومعاوية على تحكيم الحكمين خرجوا وقالوا: إن علياً ومعاوية استبقا إلى الكفر كفرسي رهان، فكفر معاوية بقتال علي، ثم كفر علي بتحكيم الحكمين. وكفَّروا طلحة والزبير، فقتلتهم الطائفة الذين كانوا مع علي، وقد شهد النبيﷺ أن الطائفة التي تقتلهم أقرب إلى الحق، وهذا شهادة من النبيﷺ لعلي وأصحابه بالحق، وهذا من معجزات النبيﷺ لكونه أخبر بما يكون، فكان على ما قال، وفيه دلالة واضحة على صحة خلافة علي رضي الله عنه، وخطأ من خالفه[3].

ثالثاً: بيعة طلحة والزبير رضي الله عنهما:

عن أبي بشير العابدي قال: كنت بالمدينة حين قُتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار وفيهم طلحة والزبير، فأتوا علياً، فقالوا: يا أبا الحسن هلمّ نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به.. فاختاروا والله فقالوا: ما نختار غيرك[4].. إلخ الرواية، وفيها تمام البيعة لعلي ـ رضي الله عنه ـ، والروايات في هذا كثيرة ذكر بعضها ابن جرير في تاريخه[5]، وهي دالة على مبايعة الصحابة - رضي الله عنهم - لعلي - رضي الله عنه - واتفاقهم على بيعته بما فيهم طلحة والزبير، كما جاء مصرحاً به في الرواية السابقة.

وأما ما جاء في بعض الروايات من أن طلحة، والزبير؛ بايعا مكرهين، فهذا لا يثبت بنقل صحيح، والروايات الصحيحة على خلافه[6]، فقد روى الطبري عن عوف بن أبي جميلة قال: أما أنا فأشهد أني سمعت محمد بن سيرين يقول: إن علياً جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك. فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، فبسط علي

---

(1) هذه الأحاديث في صحيح مسلم (2/745-746).

(2) شرح النووي على صحيح مسلم (7/166).

(3) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين لابن قدامة ، ص75-76؛ نقلاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة (2/683).

(4) تاريخ الطبري (5/449) ، إسناد الرواية حسن لغيره؛ حملة رسالة الإسلام الأولون ، محب الدين الخطيب ، ص57.

(5) انظر: تاريخ الطبري (5/448-450)، وقد قام بجمع هذه الروايات ودرسها الدكتور محمد أمحزون: تحقيق مواقف الصحابة (2/59-75).

(6) الانتصار للصحب والآل ، ص236.

يده فبايعه[1]، وعن عبد خير الخيواني: أنه قام إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى، هل كان هذان الرجلان ـــ يعني طلحة والزبير ـ ممن بايع علياً ؟ قال: نعم[2].

كما نص على بطلان ما يُدّعى من أنهما بايعا مكرهين، الإمام المحقق ابن العربي وذكر: أن هذا مما لا يليق بهما، ولا بعلي؛ قال – رحمه الله – : فإن قيل: بايعا مكرهين (أي: طلحة والزبير)، قلنا: حاشا الله أن يكرها، لهما ولمن بايعهما، ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك، لأن واحد واثنين تنعقد البيعة بهما وتتم، وهذا اجتهاد مردود، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعاً، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا في بيعة الإمام، وأما من قال: يد شلاء وأمر لا يتم[3]، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع، ولم يكن كذلك، فإن قيل: فقد قال طلحة: بايعت واللج على قفي؛ قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في (القفا) لغة (قفي)، كما يجعل في (الهوى) (هوي) وتلك لغة هذيل لا قريش[4]، فكانت كذبة لم تدبر، وأما قولهم: (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يداً شلت في وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه[5].

إن الروايات التي تقول بأن طلحة والزبير أكرهوا على البيعة باطلة[6]، وهناك روايات صحيحة أشارت كما ذكرت إلى بيعتهما لعلي رضي الله عنهما، وهناك رواية صحيحة أوردها ابن حجر[7]، من طريق الأحنف بن قيس، وفيها: أن عائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم قد أمروا الأحنف بمبايعة علي رضي الله عنه بعدما استشارهم في من يبايع بعد عثمان رضي الله عنه[8].

إن سابقة علي – رضي الله عنه – وفضله، والتزامه بأحكام الكتاب والسنة، وتمسكه الشديد بالعمل بهما، وتعهده في خطبه بتطبيق الأوامر والنواهي الشرعية، ما كان ليفتح لأحد باب الطعن في ولايته على المسلمين.

ويمكن القول: إن علياً كان أقوى المرشحين للإمامة بعد مقتل عمر رضي الله عنه؛ فالفاروق عيَّنه في الستة الذين أشار

---

(1) تاريخ الطبري (456/5)؛ الانتصار للصحب والآل ، ص236.

(2) تاريخ الطبري (517/5).

(3) إشارة إلى ما جاء في بعض الروايات: أن أول من بايع علياً طلحة–رضي الله عنه–، وكان بيده اليمنى شلل ، لما وقى رسول الله ﷺ يوم أحد ، فقال رجل في القوم : أول يد بايعت أمير المؤمنين شلاء ، لا يتم هذا الأمر ، تاريخ الطبري (457/5)؛ البداية والنهاية (237/7).

(4) وقيل: لغة طي. ذكره ابن الأثير في النهاية (94/4) ، وكذلك اللج ليس من لغة قريش ، بل من لغة طي ، قال ابن الأثير: هو بالضم: السيف بلغة طي النهاية (234/4) ، وقيل: هو السيف بلغة هذيل وطوائف من اليمن؛ لسان العرب (354/2).

(5) العواصم من القواصم ، ص148–149.

(6) استشهاد عثمان ، ص141.

(7) فتح الباري (38/13).

(8) استشهاد عثمان ، ص141؛ المصنف لابن أبي شيبة (118/11) ، ورجاله رجال الصحيح عدا عمر بن جاوان مقبول؛ وصححه ابن حجر في فتح الباري (34/13–57).

بهم، وهو واحد منهم، على أن الأربعة من رجال الشورى، وهم عبد الرحمن، وسعد، وطلحة، والزبير بتنازلهم عن حقهم فيها له ولعثمان تركوا المجال مفتوحاً أمام الإثنين، فلم يبقَ إلا هو وعثمان، وهذا إجماع من أهل الشورى على أنه لولا عثمان لكانت لعلي، وبعد موت عثمان، وقد قدمه ورجحه أهل دار الهجرة صار مستحقاً للخلافة، على أنه لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الموجودين في ذلك الحين أحق بالخلافة منه – رضي الله عنه – ؛ فهو من السابقين والمهاجرين الأولين، وابن عم رسول الله ﷺ، وصهره، بالإضافة إلى ذلك له من القدرة والكفاءة ما لا ينكر، وله من الشجاعة، والإقدام والذكاء والعقلية القضائية النادرة، والحزم في المواقف، والصلابة في الحق، وبعد نظره في تصريف الأمور، فكل هذه العوامل تجعله بلا منازع المرشح الوحيد لإمامة المسلمين في تلك الفترة الحساسة من حياتهم[1]، ومع هذا كله فإن خلافته صحت بعدما انعقد إجماع المهاجرين والأنصار عليه ومبايعتهم له.

رابعاً: انعقاد الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه:

انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن علياً رضي الله عنه كان متعيناً للخلافة بعد عثمان رضي الله عنه، لبيعة المهاجرين والأنصار له لما رأوا لفضله على من بقي من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلاماً، وأوفرهم علماً، وأقربهم بالنبيﷺ نسباً، وأشجعهم نفساً، وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشرفهم منزلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً، فكان رضي الله متعيناً للخلافة دون غيره، وقد قام من بقي من أصحاب النبيﷺ بالمدينة بعقد البيعة به بالخلافة بالإجماع، فكان حينئذ إماماً حقاً وجب على سائر الناس طاعته، وحرم الخروج عليه ومخالفته.

وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم:

1- نقل محمد بن سعد إجماع من له قدم صدق وسابقة في الدين ممن بقي من أصحاب النبيﷺ بالمدينة على بيعة علي رضي الله عنه؛ حيث قال: وبويع لعلي بن أبي طالب رحمه الله بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة؛ بايعه طلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله

---

(1) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (2/91-92).

وغيرهم[1].

2- وذكر ابن قدامة رحمه الله: أن الإمام أحمد رحمه الله روى بإسناده عن عبد الرزاق، عن محمد بن راشد، عن عوف قال: كنت عند الحسن؛ فكأن رجلاً انتقص أبا موسى باتباعه علياً، فغضب الحسن ثم قال: سبحان الله قتل أمير المؤمنين عثمان فاجتمع الناس على خيرهم فبايعوه، أفيلام أبو موسى باتباعه[2]؟!.

3- وقال أبو الحسن الأشعري: ونثبت إمامة علي بعد عثمان رضي الله عنه بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد؛ لأنه لم يدعُ أحد من أهل الشورى غيره في وقته، وقد اجتمع على فضله وعدله، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقاً لعلمه أن ذلك وقت قيامه، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد، كما مضى من قبله من الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم، هؤلاء الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم[3].

4- وقال أبو نعيم الأصبهاني: فلما اختلف الصحابة كان على الذين سبقوا إلى الهجرة والسابقة والنصرة والغيرة في الإسلام، الذين اتفقت الأمة على تقديمهم لفضلهم في أمر دينهم ودنياهم لا يتنازعون فيهم، ولا يختلفون فيمن أولى بالأمر من الجماعة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة في العشرة ممن توفي وهو عنهم راضٍ، فسلم من بقي من العشرة الأمر لعلي رضي الله عنه، ولم ينكر أنه من أكمل الأمة ذكراً، وأرفعهم قدراً، لقديم سابقته وتقدمه في الفضل والعلم، وشهوده المشاهد الكريمة، يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، ويحبه المؤمنون، ويبغضه المنافقون، لم يضع منه تقديم من تقدمه من أصحاب رسول الله ﷺ، بل ازداد به ارتفاعاً لمعرفته بفضل من قدمه على نفسه، إذ كان ذلك موجوداً في الأنبياء والرسل عليهم السلام قال تعالى: إلى قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: 253]. فلم يكن تفضيل بعضهم على بعض بالذي يضع ممن هو دونه؛ فكل الرسل صفوة الله عز وجل وخيرته من خلقه، فتولَّى أمر المسلمين عادلاً زاهداً اخذاً في سيرته بمنهاج الرسول عليه الصلاة والسلام، وأصحابه رضي الله عنهم، حتى قبضه الله عز وجل شهيداً هادياً

---

(1) الطبقات الكبرى (31/3).

(2) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين ، ص77-78؛ نقلاً عن عقيدة أهل السنة في الصحابة (689/2).

(3) الإبانة عن أصول الديانة ، ص78؛ مقالات الإسلاميين (346/1).

مهدياً، سلك بهم السبيل المستبين والصراط المستقيم[1].

5- وقال أبو منصور البغدادي: أجمع أهل الحق والعدل على صحة إمامة علي رضي الله عنه وقت انتصابه لها بعد قتل عثمان رضي الله عنه[2].

6- وقال الزهري:.. وكان قد وفى بعهد عثمان حتى قتل، وكان أفضل من بقي من الصحابة فلم يكن أحد أحق بالخلافة منه، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتى جرت له بيعة، وبايعه مع سائر الناس من بقي من أصحاب الشورى[3].

7- وقال عبد الملك الجويني: وأما عمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم؛ فسبيل إثبات إمامتهم وإجماعهم لشرائط الإمامة كسبيل إثبات إمامة أبي بكر، ومرجع كل قاطع في الإمامة إلى الخبر المتواتر والإجماع.. ولا اكتراث بقول من يقول: لم يحصل إجماع على إمامة علي رضي الله عنه؛ فإن الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت الفتن لأمور أُخر[4].

8- وقال أبو عبد الله بن بطة: كانت بيعة علي رحمه الله بيعة اجتماع ورحمة، لم يدع إلى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيفه، ولم يغلبهم بعشيرته، ولقد شرف الخلافة بنفسه، وزانها بشرفه، وكساها حلة البهاء بعدله، ورفعها بعلو قدره، ولقد أباها فأجبروه، وتقاعس عنها فأكرهوه[5].

9- وقال الغزالي: وقد أجمعوا على تقديم أبي بكر، ثم نص أبو بكر على عمر، ثم أجمعوا بعده على عثمان، ثم على علي رضي الله عنهم، وليس يظن منهم الخيانة في دين الله تعالى لغرض من الأغراض، وكان إجماعهم على ذلك من أحسن ما يستدل به على مراتبهم في الفضل، ومن هذا اعتقد أهل السنة هذا الترتيب في الفضل، ثم بحثوا عن الأخبار، فوجدوا فيها ما عرف مستند الصحابة وأهل الإجماع في هذا الترتيب[6].

10- قال أبو بكر بن العربي: فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى في قدره ما مضى؛ علم أن الحق لا يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدراً وعلماً، وتقى وديناً فانعقدت له البيعة، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي لجرى على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقه، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضاً عليه فانقاد إليه[7].

---

(1) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ، ص360-361.

(2) كتاب أصول الدين ، ص286-287.

(3) الاعتقاد ، ص193.

(4) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، ص362-363 بقصد القصاص من قتلة عثمان.

(5) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (346/2)؛ عقيدة أهل السنة (692/2).

(6) الاقتصاد في الاعتقاد ، ص154.

(7) العواصم من القواصم ، ص142.

11- وقال ابن تيمية: واتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة عثمان بعد عمر، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»[1]. فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه اخر الخلفاء الراشدين المهديين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي[2].

12- وقال ابن حجر: وكانت بيعة علي بالخلافة عقب قتل عثمان في أوائل ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر، وكتب بيعته إلى الافاق، فأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام، فكان بينهم بعد ما كان[3].

والذي نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة علي رضي الله عنه محل إجماع على أحقيتها، وصحتها في وقت زمانها، وذلك بعد قتل عثمان رضي الله عنه حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه رضي الله عنه، فقد جاءته رضي الله عنه على قدر في وقتها ومحلها[4] .

وقد اعترض بعض الناس على الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه من وجوه:

(1) تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم: سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر، وأسامة بن زيد، وسواهم من نظرائهم[5].

(2) إنما بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان[6].

(3) أن أهل الشام: معاوية ومن معه؛ لم يبايعوه بل قاتلوه[7].

وهذه الاعتراضات لا تأثير لها على الإجماع المذكور، ولا توجب معارضته وذلك أنها مردودة من وجوه:

الوجه الأول: أن دعوى أن جماعة من الصحابة تخلفوا عن بيعته دعوى غير صحيحة؛ إذ إن بيعته لم يَتخلَّف عنها أحد وأما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكر لأنها كانت مسألة اجتهادية، فاجتهد كل واحد، وأعمل نظره، وأصاب

---

(1) سنن أبي داود (201/4)؛ الترمذي (44/5) ، حسن صحيح.
(2) الوصية الكبرى ، ص23.
(3) فتح الباري (72/7).
(4) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (693/2).
(5) العواصم من القواصم ، ص146-147.
(6) المصدر السابق نفسه ، ص145.
(7) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (695/2).



قدره[1]، وأما ما قاله ابن خلدون: إن الناس كانوا عند مقتل عثمان مفترقين في الأمصار، فلم يشهدوا بيعة علي، والذين شهدوا؛ فمنهم من بايع، ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على إمام كسعد وسعيد وابن عمر..إلخ[2]، ما ذكر؛ فهذا مبالغة من ابن خلدون رحمه الله، أما سعد بن أبي وقاص فقد نقل بيعته ابن سعد، وابن حبان، والذهبي[3]، وغيرهم، وكذلك البقية قد بايعوا كما ذكرنا الإجماع في ذلك في من حضر من الصحابة في المدينة، على أن ابن خلدون نفسه نقل اتفاق أهل العصر الثاني من بعد الصحابة في المدينة، على انعقاد بيعة علي ولزومها للمسلمين أجمعين، وقد نقلت ما قاله ابن خلدون لأن كثيراً من الكتاب والباحثين اعتمدوا عليه فيما بعد.

الوجه الثاني: أن عقد الخلافة ونصب إمام واجب لا بد منه، ووقف ذلك على حضور جميع الأمة واتفاقهم مستحيل متعذر؛ فلا يجوز اشتراطه؛ لإفضاء ذلك إلى انتفاء الواجب ووقوع الفساد اللازم من انتفائه[4].

الوجه الثالث: أن الإجماع حصل على بيعة أبي بكر بمبايعة الفاروق وأبي عبيدة ومن حضرهم من الأنصار مع غيبة علي وعثمان وغيرهما من الصحابة، وكذلك حصل الإجماع على خلافة علي بمبايعة سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد وعمار، ومن حضر من البدريين وغيرهم من الصحابة، ولا يضر هذا الإجماع من غاب عن البيعة أولم يبايعه من غيرهم رضي الله عنهم جميعاً، قال الحسن البصري: والله ما كانت بيعة علي إلا كبيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم[5].

الوجه الرابع: دعوى أنه إنما بويع على أن يقتل قتلة عثمان: هذا لا يصح في شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق؛ وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب، وتقع الدعوى، ويكون الجواب، وتقوم البينة، ويقع الحكم[6]، بعد ذلك. وأما الروايات التي تزعم أن طلحة والزبير وبعض الصحابة رضوان الله عليهم قد اشترطوا في بيعتهم لعلي إقامة الحدود، فهذا الخبر على ضعف سنده فإن في متنه مقالاً[7]، وفي ذلك يقول ابن العربي: فإن قيل: بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان، قلنا: هذا لا يصح في شرط البيعة[8].

---

(1) التمهيد للباقلاني ، ص233-234؛ العواصم من القواصم ، ص147.

(2) المقدمة ، ص214.

(3) الطبقات (31/3)؛ الثقات (268/2)؛ دول الإسلام (14/1)؛ عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ، ص171-172.

(4) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين ، ص76-77 نقلاً عن عقيدة أهل السنة.

(5) عقيدة أهل السنة في الصحابة (696/2).

(6) المصدر السابق نفسه.

(7) تاريخ الطبري (459/5-460).

(8) العواصم من القواصم ، ص150.

الوجه الخامس: أن معاوية رضـي الله عنه لم يقاتل علياً على الخلافة، ولم ينكر إمامته، وإنما كان يقاتل من أجل إقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان، مع ظنه أنه مصيب في اجتهاده، ولكنه كان مخطئاً في اجتهاده ذلك، فله أجر الاجتهاد فقط[1].

وقد ثبت بالروايات الصحيحة أن خلافه مع علي – رضي الله عنه – كان في قتل قتلة عثمان، ولم ينازعه في الخلافة، بل كان يقر له بذلك، فعن أبي مسلم الخولاني أنه جاء أناس معه إلى معاوية وقالوا: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه والطالب بدمه فأتوه، فقولوا له فليدفع إليَّ قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا علياً فكلموه فلم يدفعهم إليه[2] .

ويروي ابن كثير من طرق ابن ديزيل بسنده إلى أبي الدرداء وأبي أمامة ــ رضي الله عنهما ــ: أنهما دخلاً على معاوية فقالا له: يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ، وأحق بهذا الأمر منك، فقال: أقاتله على دم عثمان، وإنه اوى قتلته، فاذهبا إليه فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان، ثم أنا أول من أبايعه من أهل الشام[3].

والروايات في ذلك كثيرة مشهورة بين العلماء[4]، وهي دالة على عدم منازعة معاوية لعلي رضي الله عنهما في الخلافة، ولهذا نص المحققون من أهل العلم على هذه المسألة وقرروها[5].

يقول إمام الحرمين الجويني: إن معاوية وإن قاتل علياً فإنه لا ينكر إمامته، ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظناً منه أنه مصيب، وكان مخطئاً[6].

ويقول ابن حجر الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة: أن ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من الحروب فلم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة، للإجماع على أحقيتها لعلي كما مر، فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم، لكون معاوية ابن عمه، فامتنع علي[7]، وسوف نبين موقف

---

(1) عقيدة أهل السنة في الصحابة (696/2).

(2) البداية والنهاية (265/7)؛ تحقيق مواقف الصحابة (147/2).

(3) البداية والنهاية (270/7)؛ الانتصار للصحب والآل ، ص239.

(4) البداية والنهاية لابن كثير (268/7–270) ، وقد جمع هذه الروايات الدكتور محمد أمحزون في كتابه: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (146/2–150).

(5) الانتصار للصحب والآل ، ص239.

(6) لمعة الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة ، ص115.

(7) الصواعق المحرقة نقلاً عن الانتصار للصحب والآل ، ص239.

علي رضي الله عنه من عدم تسليم قتلة عثمان في حينه، وإنما الشاهد هنا هو إثبات عدم مبايعة معاوية ليس اعتراضاً على شخص علي.

ويقول ابن تيمية: ومعاوية لم يَدَّعِ الخلافة، ولم يُبَايَعْ له بها حين قاتل علياً، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه.. وكل فرقة من المتشيعين[1] مقرة مع ذلك بأنه ليس معاوية كفؤاً لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي – رضي الله عنه – فإن فضل علي وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة[2].

فثبت بهذا أنه لم ينازع علياً ـــ رضي الله عنه ـــ أحداً في الخلافة لا من الذين خالفوه ولا من غيرهم[3]، فهذه الأقوال عن هؤلاء العلماء كلها في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في ترتيب الخلافة الراشدة، فلا بد من الذود عنها والتبشير وتربية الأجيال عليها، والاعتزاز والافتخار في الانتساب إليها.

خامساً: شروط أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في بيعته وأول خطبة خطبها رضي الله عنه:

جاء في بعض الروايات: أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه اشترط في بيعته أموراً؛ منها: أن تكون البيعة في ملأ وليس في خفية، وفي المسجد وعن رضا المسلمين، وأنه يدير أمرهم كما يراه ويعلمه، فوافقوه وتواعدوا صباح اليوم التالي في المسجد للبيعة[4]، وكان يوماً حافلاً وحاسماً، فقد خرج أمير المؤمنين وقد لبس ملابسه كاملة... ثم بعد الحمد والثناء على الله بيّن للناس المحاولات التي بذلت معه وقال: إني كنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح ما لكم معي، ألا وإنه ليس لي أن اخذ منه درهماً دونكم[5].

ثم قال: يا أيها الناس: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد، ثم رفع صوته قائلاً: رضيتم؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد عليهم. وأقبل الناس يبايعونه[6]. وبعد أداء البيعة قال أمير المؤمنين: أيها الناس ! إنكم بايعتموني على ما بيعتم عليه أصحابي، فإذا بايعتموني فلا خيار لكم

---

(1) أي: المتشيعين لعثمان أو علي–رضي الله عنهما– ، وقد كان المطالبون بدم عثمان– رضي الله عنه– قد انضموا إلى معاوية وما كانوا يفضلونه على علي–رضي الله عنه–.

(2) مجموع الفتاوى (35/72–73).

(3) الانتصار للصحب والآل ، ص241.

(4) تاريخ الطبري (5/448)؛ دراسات في عهد النبوة ، ص281.

(5) تاريخ الطبري (5/449).

(6) تاريخ الطبري (5/449).



علي، وعلى الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم، وهذه بيعة عامة... إلخ[1].

ومما مضى دروس وعبر وفوائد منها:

1- مبدأ الشورى:

إن البيعة للخليفة الرابع علي رضـي الله عنه لم تختلف من حيث مبدأ الشـورى عن مثيلتها السـابقة بالرغم من الأزمة التي ألمت بالأمة، والأحوال المدلهمة والمشـكلات المتتابعة، فلم تتم البيعة على أسـاس عشـائري، أو أسـري أو قبلي، أو على أسـاس عهد ووصـية من رسـول الله ﷺ، ولو وجد شـيء من هذا القبيل لما حصـل هذا الحوار الطويل، ولما رفض أمير المؤمنين ولكان أول من يطالب بحقه. بينما كان الناس هم الذين يدفعونه إلى البيعة دفعاً، ويلحّون عليه في الطلب إلحاحاً، وهو يروغ منهم متخلصـاً لعله يحدث ما يمنعه من ذلك، إلى أن قبل على كره منه، ولم يطالبوه بهذا على أسـاس وصـية من رسول الله ﷺ له - ولو وجدوا شيئاً من ذلك لما ترددوا في تنفيذه - ولا على أساس أنه من عبد مناف، أو لأنه من قريش فحسـب، بل لأنه من السـابقين ومن العشـرة المبشـرين بالجنة، ولأنه الثاني بعد عثمان في اختيار الناس لهما عند تطبيق عملية الشـورى بعد مقتل عمر بن الخطاب، فكان عبد الرحمن بن عوف لا يشـير عليه أحد بتنصـيب عثمان خليفة بعد عمر إلا سأله: لو لم يكن عثمان موجوداً فمن تختار؟ فيقول: علي رضي الله عنه[2].

2- أهل الحل والعقد في عهد أمير المؤمنين علي:

كان أهل الحل والعقد عند استخلاف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بقية العشرة المبشرين ورؤساء بطون الأوس والخزرج، وكان هؤلاء من أهل المدينة، لأنهم هم السابقون الراسخون في العلم والإيمان[3]، وكان علي رضي الله عنه يرى أن أمر اختيار الخلافة لمن كان باقياً في المدينة من المهاجرين والأنصـار، وأهل الحل والعقد من أهل بدر، وأصـحاب الشـورى، إلا أن الحسـن بن علي رضـي الله عنه كان يرى ضـرورة مراعاة الأمور المستجدة في تركيبة المجتمع الإسـلامي، وقد بدا ذلك في هذا الحوار بين الحسن بن علي وأبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال الحسن: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك ما زلت تحن حنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا

---

(1) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، ص282.
(2) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، ص282.
(3) الخلافة بين التنظير والتطبيق ، محمود المرداوي ، ص288.

تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر[1].. وكان جواب علي رضي الله عنه: وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار؛ فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر[2].

على أن علياً رضي الله عنه، كان يرى أن البيعة تجوز في غير أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، ولكنه كان يكره أن يتحول ذلك عنهم إلى غيرهم أو أن يشركهم فيه غيرهم تقىً وورعاً إن يحدث بعد رسول الله ﷺ وخلفائه شيئاً يبتعد به عن نهجهم وسبيلهم، أو أنه كان يرى أن الوقت ما زال مبكراً على إشراك غير المهاجرين والأنصار في أمور اختيار الحاكم المسلم، ولذلك فإنه كان يكره أن يضيع هذا الأمر من المهاجرين والأنصار[3]، والدليل على ذلك أنه رضي الله عنه عرض عليه أهل الكوفة بيعة الحسن، قال: لا أنهاكم ولا امركم، وهذا فيه تجويز لغير أهل المدينة في اختيار الحاكم.

ونستفيد من الحوار الذي حدث بين الحسن بن علي وأبيه رضي الله عنهما أموراً منها:

أ- احترام الرأي في النقاش من الجانبين.

ب- لطف المعاملة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لولده.

ج- صراحة الولد مع والده، وإبداء كل ما يراه صواباً في موضوع النقاش.

د- حسن الاستماع للطرف الثاني، حيث استمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من ابنه الحسن جميع ما عنده من الحجج.

هـ- تفنيد الحجج واحدة بعد الأخرى تفنيداً علمياً[4].

3- الحرص على أن لا يظل منصب الخليفة شاغراً:

لقد عزم المهاجرون والأنصار بالمدينة على علي رضي الله عنه أن يقبل الخلافة رغماً عنه، تداركاً لخطر فساد أمر الأمة واختلاف الناس، فقبل، وحرص على زحزحة الغوغاء خطوة أخرى إلى الوراء، بأن اشترط أن تكون البيعة له علانية في المسجد، وبذلك يظل أهل الحل والعقد هم الذين يعقدون الإمامة، أما العامة فموضعهم هو: البيعة العلنية العامة[5]،

([1]) البداية والنهاية (245/7).
([2]) المصدر السابق نفسه.
([3]) الخلافة بين التنظير والتطبيق، ص293-294.
([4]) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، ص427-428.
([5]) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر، ص72.

وحرص على تأكيد هذا المبدأ من فوق المنبر، بقوله: أيها الناس ! إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم[1].

4- الرد على بعض الكتب المعاصرة التي تحدثت عن بيعة علي رضي الله عنه:

يقول العقاد – وهو يتكلم عن اختيار الخليفة بعد مقتل عثمان –: وهذا الخبر على وجازته قد حصر لنا أسماء جميع المرشحين للخلافة بالمدينة بعد مقتل عثمان، وربما كان أشدهم طلباً لها طلحة والزبير اللذان أعلنا الحرب على علي بعد ذلك، فقد كانا يمهِّدان لها في حياة عثمان، ويحسبان أن قريشاً قد أجمعت أمرها ألا يتولاها هاشمي، وأن علياً وشيك أن يذاد عنها بعد عثمان كما ذيد عنها قبله، وكانت السيدة عائشة تؤثر أن تؤول الخلافة إلى واحد من هذين، أو إلى عبد الله بن الزبير، لأن طلحة من قبيلة تيم، والزبير زوج أختها أسماء، وفي تأييد السيدة عائشة لواحد منهم مدعاة أمل كبير في النجاح[2]. وقال في موضع اخر: فمما لا شك فيه أن الإمام أنكر إجحافاً أصابه في تخطيه بالبيعة إلى غيره بعد وفاة ابن عمه صلوات الله عليه، وأنه كان يرى أن قرابته من النبي مزية ترشحه للخلافة بعده، لأنها فرع من النبوة على اعتقاده، وهم شجرة النبوة ومحط الرسالة، كما قال[3].

وقال: فمن المعلوم أن علياً كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأنه لم يزل مدفوعاً عن حقه هذا منذ انتقل النبي عليه السلام إلى الرفيق الأعلى[4].

وغير ذلك من الطامات والأكاذيب والإفك المبين التي تورط فيها العقاد بسبب الروايات الموضوعة. وسار على منهجه خالد محمد خالد في كتابه (خلفاء الرسول) ونقل عن علي كلاماً مفترى، ذكر فيه أن أبا بكر وعمر قد اغتصبا الخلافة من علي[5].

وجانب الصواب خالد البيطار في كتابه (علي بن أبي طالب)، عندما علق على موقف السيدة فاطمة من ميراث أبيها[6] وموقف علي من خلافة أبي بكر، وهذا مثال لفيلق طويل لا ينتهي خاض هذه المعمعة وخبط فيها، والتي تدعي أن علياً – رضي الله عنه – ذيد عن الخلافة بعد عثمان كما ذيد عنها قبله، وأن الصحابة كانوا يتامرون لنيل الخلافة بدافع العصبية

---

(1) تاريخ الطبري (449/5).

(2) عبقرية علي ، ص84.

(3) المصدر السابق نفسه ، ص148.

(4) عبقرية علي ، ص181.

(5) خلفاء الرسول ، ص526-527.

(6) علي بن أبي طالب ، خالد البيطار ، ص84.

ضد بني هاشم، أو لمطامع دنيوية، وأن علياً أنكر إجحافاً أصابه في تخطيه بالبيعة إلى غيره بعد وفاة النبيﷺ، وأنه كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأن النبيﷺ مهّد لخلافته وحبَّبه للناس بما أمَّره حيناً واستخلفه حيناً آخر، وأن ليس ثمة علاقة حميمة بين الإمام وبين الصحابة، وأنه غفر للشيخين تعديهما عليه بأخذ الخلافة، وأنه بايع الصديق بعد وفاة فاطمة. وكل هذا بهتان وزورٌ، وكذب وافتراء، يأباه الحق والعدل والإنصاف، وينكره التاريخ الصحيح، ويكذبه الكلام الصريح الذي صدر عن علي نفسه الذي سبق ذكره.

فقد اعترف علي بأفضلية الخلفاء، حينما كان هو الخليفة، فكان يعلن ذلك على المنبر ويتوعد من يفضله عليهم بالعقاب، وهذا ثابت بالأسانيد الصحيحة، وكان لهم ناصراً ومعيناً، وعلاقته بهم وطيدة وشيجة لا تؤثر في رسوخها العواصف الهوج[1] التي يثيرها من تورط في الروايات الضعيفة والأخبار الموضوعة من الكتَّاب الذين ذكرنا بعض نقولهم على سبيل المثال لا الحصر، والسبب الذي أسقطهم في هذه الهوة هو جهلهم بمنهج أهل السنة والجماعة في كتابة التاريخ، وبعدهم عن التمييز بين المصادر الصحيحة والمصادر الساقطة، وعدم تفريقهم بين الروايات الصحيحة والروايات الضعيفة والموضوعة، والاعتماد على الموضوعات في تحليلاتهم.

5- أول خطبة خطبها علي رضي الله عنه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في أول خطبة خطبها حين تولى الخلافة: إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً، بيّن فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله (سبحانه) يؤدِّكم إلى الجنة، إن الله حرَّم حُرَماً غير مجهولة، وفضَّل حرمة المسلم على الحُرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، خاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإن من خلفكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [2] [الأنفال: 26].

ولـمَّا كانت بيعة علي جاءت بعد فتنة عمياء ذهب ضحيتها خليفة المسلمين السابق، فقد دعا المسلمين إلى الخير ونبذ الشرّ، وبيّن لهم أن حرمة المسلم فوق كل الحرمات، فلا يجوز أذاه في حال من الأحوال، ثم ذكرهم بالموت والاخرة، وحثّهم

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص130.

(2) تاريخ الطبري (5/458-459).

على التقوى والطاعة والعمل الصـــالح[1]، وقد جاءت محاور الخطبة حول جانب العقيدة، والعبادة، والأخلاق، واهتمت ببعض مقاصد الشريعة، ولو شئنا أن نلخص خطته التي يريد أن يرسمها للناس لقلنا: يريد أن يقول لهم: ارجعوا إلى العهد الذي كنتم عليه أيام رسول الله ﷺ[2]، والخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وقد أشار أمير المؤمنين في حكمة وبلاغة إلى النهج الذي سيقبلون به عهد الخلافة الجديد بقوله: إذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه. وختم بالآية الكريمة التي كانوا في حاجة إلى استحضارها، ليقارنوا بها بين ما كانوا عليه قبل الإسلام وبعد الإسلام – إلى أمد بعيد – من القلة والضعف والضَّعة والخمول حتى كانوا كقطعة لحم على كف يختطفها الطير، ثم ما صاروا إليه من القوة والسعة والأمن والسَّلام، والرخاء والثراء، وما أكرمهم به عليهم من النِّعَم، فطنّت حصاتهم، وخفقت راياتهم، ودان لهم العباد والبلاد[3].

6- الترادف بين ألفاظ: الإمام والخليفة وأمير المؤمنين:

قال النووي: يجوز أن يقال للإمام: الخليفة والإمام وأمير المؤمنين[4]. وقال ابن خلدون: وإذ قد بيَّنا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة، والقائم به خليفة وإمام[5]، ويعرف ابن منظور الخلافة بأنها الإمارة[6].

ويفسر أبو زهرة الترادف بين لفظي الخلافة وهي الإمامة الكبرى، وسميت خلافة لأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبيﷺ في إدارة شؤونهم، وتسمى إمامة، لأن الخليفة كان يسمى إماماً، ولأن طاعته واجبة، ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم[7]. كما فسر الأستاذ محمد المبارك سبب اختيار هذه الألفاظ، الإمام والخليفة وأمير المؤمنين بأنه: ابتعاد بالمفهوم الإسلامي للدولة ورياستها عن النظام الملكي بمفهومه القديم عند الأمم الأخرى من الفرس والرومان المختلف اختلافاً أساسياً عن المفهوم الإسلامي الجديد[8].

هذا وقد كان الخلفاء الأول يُلقبون بالخلفاء كما يلقبون بالأئمة، ومنذ خلافة عمر بن الخطاب رضـــي الله تعالى عنه استعمل المسلمون لقب (أمير المؤمنين)، ولقد ورد لفظ (إمام) في القرآن الكريم في أكثر من موضع بمعنى الزعيم أو الدليل

([1]) الأدي الإسلامي ، نايف معروف ، ص57.
([2]) الخلفاء الراشدون للنجار ، ص378.
([3]) المرتضى للندوي ، ص140-141.
([4]) روضة الطالبين (49/10).
([5]) المقدمة ، ص190.
([6]) لسان العرب (83/9).
([7]) تاريخ المذاهب لأبي زهرة ، ص21.
([8]) نظام السلام (الحكم والدولة) ، ص61.

أو الرئيس قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]. أي: جاعلك قدوة يؤتم به[1]، وقال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74]، أي: يقتدون بنا في أمر الدين، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: 71]، أي: بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين، وقيل: بكتاب أعمالهم التي قدموها[2]، وورد لفظ الإمام في مواطن كثيرة من السنة النبوية؛ منها قول رسول الله ﷺ : من بايع إماماً، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء اخر ينازعه فاضربوا عنق الاخر[3]، وقوله ﷺ : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم[4]، وقوله: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل[5].

ومن الملاحظ أن لفظ (الإمامة) يغلب استعماله عند أهل السنة في مباحثهم العقدية والفقهية بينما الغالب استعمالهم لفظ (الخلافة) في كتاباتهم التاريخية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه المباحث – خاصة العقدية – قد كتبت للرد على المبتدعة في هذا الباب كالشيعة الروافض والخوارج[6].

فالشيعة الروافض يستخدمون لفظ الإمام دون الخلافة، ويعتبرونها إحدى أركان الإيمان عندهم، ويفرقون بين الإمامة والخلافة، فهم يعتبرون الإمامة رئاسة دين، والخلافة رئاسة دولة[7]، ويريدون من ذلك إثبات أن علياً رضي الله عنه كان إماماً زمن خلافة الثلاثة الذين سبقوه[8]، وقال ابن خلدون: إن الشيعة خصوا علياً باسم الإمام نعتاً له بالإمامة التي هي أخت الخلافة، وتعريضاً بمذهبهم في أنه أحق بإمامة الصلاة من أبي بكر[9].

إن هذه الألقاب: الخليفة، الإمام، أمير المؤمنين، ليست من الأمور التعبدية، وإنما هي مصطلحات وجدت بعد وفاة الرسول ﷺ، واصطلح الناس عليها، وقد أطلق المسلمون غير هذه الألقاب في وقت لاحق كلقب الأمير، كما كان الحال في الأندلس، وكذلك لقب السلطان، كما تسمى بذلك الحكام في الدولة الإسلامية، لقب من هذه الألقاب، إذ إن المهم في هذا المجال أن يكون المسلمون ورئيسهم خاضعين للتشريع الإسلامي عقيدة وشريعة؛ بغض النظر عن الألقاب التي يمكن أن تطلق على هذا الرئيس، سواء كان لقبه الخليفة أم أمير المؤمنين أم رئيس الدولة أم رئيس الجمهورية، فيمكن

(1) نظام الحكم في الإسلام ، عارف خليل ، ص80.
(2) المصدر السابق نفسه ، ص81.
(3) صحيح مسلم بشرح النووي (233/12).
(4) المصدر السابق نفسه ، (237/12).
(5) فتح الباري (293/3).
(6) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة للدميجي ، ص36.
(7) المصدر السابق نفسه.
(8) المصدر السابق نفسه.
(9) نظام الحكم ، عارف خليل ، ص81.

إطلاق أحد هذه الألقاب أو غيرها، وهذا يرجع إلى ما يتعارف عليه الناس، وإن كان الأفضل الالتزام بالألقاب السابقة، لما لها من مفهوم سياسي متميز عن المفاهيم المختلفة عند الأمم الأخرى، ولما لها من معانٍ دونت عبر التاريخ على أنها رمز للحضارة الإسلامية[1].

7- أيهما أصح عند ذكر أمير المؤمنين علي هل نقول رضي الله عنه أم كرّم الله وجهه أم عليه السلام:

إن الأصل عند ذكر الصحابة الترضي عنهم جميعاً، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18]. لذلك اصطلح أهل السنة على الترضي على كل صحابي يجري ذكره أو يروى عنه حديث، فيقال مثلاً: عن أبي بكر - رضي الله عنه -، ولم يستعمل السلام - فيما أعلم - عند ذكر أحد منهم، مع أن السلام تحية المسلمين فيما بينهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً﴾ [النور: 61]، وعلى هذا فالترضي أفضل من السلام، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72]، وأخبر النبيﷺ أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: «أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً»[2].

ولكن اصطلح العلماء على أن السلام يختص بالأنبياء لقوله تعالى: ﴿وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 181]. ولقوله: ﴿وَسَلاَمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم: 15]. ولما ورد في حق علي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»[3]، أخذ الغلاة كالرافضة يستعملون في حق أمير المؤمنين علي: عليه السلام، أو كرم الله وجهه، ولا شك أنه أهل لذلك، لكن يشركه في ذلك جميع الصحابة[4]، وقد وقع هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب، ومن بعض علماء أهل السنة أن يفرد علي - رضي الله عنه - بأن يقال: عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحاً لكن ينبغي أن يساوى بين الصحابة في ذلك[5].

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص82.

(2) مشكاة المصابيح للبغوي (88/3).

(3) البخاري ، رقم 2404.

(4) فتاوى في التوحيد ، عبد الله بن جبرين ، ص37.

(5) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية ، ص26 في الحاشية من تعليق المحقق أحمد التويجري.

المبحث الثاني : شيء من فضائله، وأهم صفاته، وقواعد نظام حكمه

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي[1].

وقال الحافظ، ابن حجر: وكان السبب في ذلك أنه تأخر، أي اخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه، فكل ذلك سبباً لانتشار مناقبه من كثرة من كان بيَّنها من الصحابة ردَّاً على من خالفه، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، فكثر الناقل لذلك، وإلا فالذي في نفس الأمر أنّ لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلاً [2].

وقال ابن كثير: من فضائله: أنّه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة إلى رسول الله ﷺ نسباً [3].

وقد ذكرت كثيراً من فضائله فيما مضى من البحث كلاًّ في موضعه، وإتماماً للفائدة نشير إلى مزيد من الفضائل لعلي رضي الله عنه منها:

* عن زر رضي الله عنه قال: قال علي: والذي فلق الحبة، وبرأ النَّسَمَة؛ إنه لعهد النبي الأُمِّيُّ ﷺ إليَّ: أن لا يُحبني إلا مؤمن ولا يُبغضني إلا منافق[4].

* عن أبي إسحاق: سأل رجل البراء وأنا أَسْمَعُ قال: أشَهِدَ عليٌّ بدراً ؟ قال: بارز وظاهر[5].

* عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ : «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[6].

* قال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن اسمي العاشر»[7].

---

(1) فتح الباري (71/7).
(2) المراد: ترتيبهم في الفضل هو حسب ترتيبهم في الخلافة ، فتح الباري (71/7).
(3) البداية والنهاية (29/11).
(4) الصحيح المسند في فضائل الصحابة ، ص111.
(5) ظاهر: أي لبس درعاً على درع. الصحيح المسند ، ص112.
(6) الصحيح المسند في فضائل الصحابة ، ص117.
(7) الصحيح المسند ، ص117.

* قالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سب علياً فقد سبني»[1].

* جاء رجل إلى ابن عمر فسـأله عن عثمان، فذكر محاسـن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسـوؤك؟ قال: نعم.. قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علي، فذكر محاسن عمله، قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبيﷺ، ثم قال: لعلَّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفِك، انطلق فاجهد على جَهدك[2].

هذه بعض الفضائل الثابتة لعلي رضي الله عنه، وأما صفاته رضي الله عنه، فقد كانت صفات القائد الرباني المضحِّي في سبيل الله وكتابه وسنة نبيه، ونجملها في أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات: سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة، والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضـع والحلم والصـبر، وعلو الهمة والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للباحث في الفترة المكية في صحبته للنبي ﷺ، وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله ﷺ وحياته في المجتمع، وظهر البعض الاخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدية وأصبح أمير المؤمنين رضي الله عنه.

ومن أهم هذه الصفات:

أولاً: العلم والفقه في الدين:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من علماء الصحابة الكبار، وقد تميَّز رضي الله عنه بجده في التحصيل، والتحري في قبول العلم، والسؤال في طلبه، واستخدام وسائل ضبط العلوم في زمنه، من كتابة، وتعهد، ولزوم النبيﷺ، حيث يقول رضي الله عنه في جمعه للقرآن الكريم: اليت بيمين أن لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن[3].

وقال: ما دخل نوم عيني، ولا غمض رأسي على عهد رسول الله ﷺ حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل رضي الله عنه، من حلال، أو سنة، أو كتاب، أو أمر، أو نهي، وفيمن نزل[4].

وكان رضي الله عنه يتلقى النص من رسول الله ﷺ مباشرة، ولكن عندما يبلغه الحديث من غيره فإنه شديد التحرّي في قبوله، خشية أن ينسب لرسول الله ﷺ قولاً لم يقله، ومما يدل على هذا المنهج قوله ﷺ : كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال:

---

(1) الصحيح المسند ، ص121.
(2) الصحيح المسند من فضائل الصحابة ، ص140.
(3) الطبقات (338/2).
(4) مسند الإمام زيد ، ص343 ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب في الدعوة.

وحدثني أبو بكر – وصدق أبو بكر – رضي الله عنه: أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله؛ إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: 135] إلى آخر الآية[1].

نعم، علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستحلف أصحاب رسول الله ﷺ وهم الثقاة العدول، ما هذا إلا دليل على شدة تحرِّيه في تلقي الحديث الذي يتلقاه من غير رسول الله ﷺ[2].

وكان رضي الله عنه صاحب لسان سؤول، وقلب عقول، فقد قال: ... إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً[3].

وعلّل رضي الله عنه كثرة علمه بطلبه إياه من رسول الله ﷺ بالسؤال، بقوله: كنت إذا سألت أعطيت، وإذا سكت ابتديت[4].

وعندما يكون عائق الحياء بينه وبين رسول الله ﷺ، يتغلَّب عليه بطلبه من أحد الصحابة بسؤال رسول الله ﷺ، فعن محمد بن الحنفية قال: قال علي: كنت رجلاً مذاء [5]، فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: «فيه الوضوء»[6].

وكان رضي الله عنه يحذِّر الناس من ترك العلم بسبب الحياء، فقد قال: ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم[7]، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم.

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من بين القلة من المسلمين الذين كانوا يعرفون الكتابة في صدر الإسلام، وفوق هذا فقد كان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وقد ساعدته هذه المهارة في القراءة والكتابة على التبحر في العلوم الشرعية، وكان رضي الله عنه يرى أن تكون كتابة النصوص بخطٍّ بيِّن مع التفريج بين السطور، والتقريب بين الحروف، فعن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: الخط علامة، فكلما كان أبين كان أحسن[8]. وقد

---

(1) صحيح سنن الترمذي (128/1)؛ مشكاة المصابيح (416/1).
(2) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة ، ص52.
(3) الطبقات (338/2)؛ الحلية (67/1).
(4) فضائل الصحابة (647/2) ، إسناده صحيح.
(5) أي: كثير المذي؛ وهو ما يخرج عند الملاعبة.
(6) مسلم ، كتاب (247/1).
(7) مصنف بن أبي شيبة (284/13).
(8) الجامع لأخلاق الراوي (262/1).

أمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع بقوله: ألف دواتك، وأطل سِنَّ قلمك، وافرج بين السطور، وقرمط[1] بين الحروف[2]. وعن أبي حكيمة العبدي قال: كنا نكتب المصاحف بالكوفة، فيمر علينا علي ونحن نكتب فيقول: أَجِلَّ قلمك[3]، قال: فقططت منه، ثم كتبت. فقال: هكذا نوروا ما نور الله[4].

وكان رضي الله عنه يتعهد ما تعلمه بالعمل وتطبيقه، وكان من أحرص الناس على تطبيق ما سمعه من رسول الله ﷺ ولو كان ذلك في أصعب الظروف، كما مرّ معنا في تعليم رسول الله ﷺ له والسيدة فاطمة رضي الله عنهما الأذكار، فقد قال أمير المؤمنين: ما تركته منذ سمعته من النبيﷺ، قيل له: ولا ليلة صفين، قال: ولا ليلة صفين[5].

وقد أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ضبط النص بالعمل به بقوله: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله[6].

وكان يرى أن العالم لا يسمى عالماً إلا إذا كان عاملاً بعلمه، لذا يقول مخاطباً حملة العلم: يا حملة العلم، اعملوا به؛ فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عَمَلهُ[7]. وقال رضي الله عنه: هتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل[8].

وكان علي رضي الله عنه من المكثرين من الفتيا في أصحاب رسول الله ﷺ، قال ابن القيم: الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مئة ونيف وثلاثون نفساً، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة، عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر[9].

وقد عد ابن حزم علياً رضي الله عنه في المرتبة الثالثة من بين الصحابة رضي الله عنهم في كثرة الفتيا. وسيأتي الحديث بإذن الله تعالى عن المسائل القضائية، وكثيراً من اجتهاداته الفقهية، عند حديثنا عن المؤسسة القضائية.

وكان رضي الله عنه يحث على التزاور والمدارسة، حيث يقول: تزاوروا وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدرس[10]. وفي رواية:

---

(1) قرمط بين الحروف: أي قرّب بينها.

(2) الجامع لأخلاق الراوي (262/1).

(3) أي: عظم قلمك ، وهو كناية عن تكبير الخط.

(4) الجامع لأخلاق الراوي (260/1).

(5) مسلم (2091/4، 2092).

(6) البداية والنهاية (6/8).

(7) بيان العلم وفضله ، ص285.

(8) منهج علي بن أبي طالب ، ص63.

(9) إعلام الموقعين.

(10) الجامع لأخلاق الراوي (236/1).

تزاوروا وتحدثوا، فإن لم تفعلوا فإنه يدرس[1].

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحث على لزوم الشيخ، والحرص على الأخذ منه، ويقول: ولا تشبع من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء[2].

وقد تهيأ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ملازمة رسول الله ﷺ صغيراً حين تربى في حجره، وكبيراً حينما كان صهره ووالد سبطيه، فكان بذلك قريباً من رسول الله ﷺ، يأخذ عنه ويتعلم منه. وقد شهدت السيدة عائشة لعلي بلزومه لرسول الله ﷺ، فعن المقدام بن شريح، عن أبيه قال: سألت عائشة فقلت: أخبريني برجل من أصحاب النبي ﷺ أسأله عن المسح على الخفين، فقالت: ائت علياً فسله، فإنه كان يلزم النبي ﷺ، قال: فأتيت علياً فسألته، فقال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمسح على خفافنا إذا سافرنا[3].

وكان رضي الله عنه يرى الانتقاء في العلوم؛ فقد قال: العلم أكثر من أن يحفظ، فخذوا من كل علم محاسنه[4].

وقد وصل من العلم مرتبة جعلته يقول للناس وهو في العراق: سلوني، فعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني؛ غير علي بن أبي طالب[5] رضي الله عنه.

وقد وثق الناس بعلمه سواء الصحابة أو التابعين، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به[6].

وعنه أيضاً قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها[7]. وعن سويد بن غفلة أنه جاءه رجل يسأله عن فريضة رجل ترك ابنته وامرأته، قال: أنا أنبئك قضاء علي. قال: حسبي قضاء علي. قال: قضى علي لامرأته الثمن، ولابنته النصف، ثم رد البقية على ابنته[8].

وقد أثنى الناس عليه في علمه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أما إنه أعلم الناس بالسنة[9]. وكان معاوية رضي الله عنه

---

(1) شرف أصحاب الحديث للبغدادي ، ص93.
(2) تذكرة السامع ، ص100.
(3) مسند أحمد (195/2) ، إسناده صحيح ، تحقيق: أحمد شاكر.
(4) تاريخ اليعقوبي (5/2).
(5) الاستيعاب ، ص1103.
(6) المصدر السابق نفسه ، ص1104.
(7) الطبقات (338/2).
(8) سنن الدرامي (375/2).
(9) الاستيعاب ، ص1104.



يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب[1]. وعن الحسن بن علي، أنه خطب الناس بعد وفاة علي رضي الله عنه فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الاخرون[2] وعن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وقد سئل عن علي فقال: كان لله، والله ما شاء من ضرس قاطع، والسطة[3] في النسب، وقرابته من رسول الله ﷺ ومصاهرته، والسابقة في الإسلام، والعلم بالقرآن والفقه بالسنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون[4]. وعن مسروق قال: انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى عمر، وعلي، وابن مسعود، وعبد الله رضي الله عنهم[5].

وقد ترك أمير المؤمنين رضي الله عنه نصائح وإرشادات لطلاب العلم والعلماء والفقهاء، تستحق أن تحفظ ويعمل بها؛ ومن هذه النصائح:

1- الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق:

روى الحافظ أبو نعيم عن كُميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي، فأخرجني إلى ناحية الجبَّان – يعني الصحراء –، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية؛ فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهَمَجٌ رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق[6]، إن هذه الوصية البليغة قد اشتملت على دُرر المواعظ وغُرَر الحِكَم، فقد قسم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس إلى ثلاثة أقسام:

(أ) العلماء الربانيون: والمقصود بالعلماء علماء الدين، والربانيون الذين يجمعون بين الفقه والحكمة، كما جاء في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: قال: حكماء فقهاء. أخرجه الإمام البخاري. وبذلك فسره ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ الله بن مسعود رضي الله عنه[7]، فالذين يجمعون بين الحكمة والفقه هم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها، لأن الحكمة: وضع الشيء في موضعه المناسب، ومن ذلك التوفيق إلى تطبيق الحكم الشرعي على واقع الناس، وذلك يقتضي فهماً دقيقاً لواقع المجتمع الإسلامي، ومن الحكمة: القيام بتربية الأمة بهذا الدين، وذلك يقتضي الجمع بين تعليم الدين

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص1108.
(2) فضائل الصحابة (595/2) ، إسناده صحيح.
(3) السطة: التوسط ، والوسط في النسب: هو أكرمه وأشرفه.
(4) ذخائر العقبى للمحب الطبري ، ص79.
(5) تاريخ السيوطي ، ص196.
(6) حلية الأولياء (75/1)؛ صفة الصفوة (329/1).
(7) التاريخ الإسلامي للحميدي (11، 438/12).



والتربية على التقوى ومكارم الأخلاق، وأما الفقه: فهو فهم الأحكام الدينية من مصادرها الشرعية، ولذلك كان العلماء الربانيون هم أفضل الأمة، لأنهم جمعوا بين فضيلتين: تلقِّي العلم، والتعليم مع التربية، فهم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها[1]، وقد عرّف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الربانيين بأنهم هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها[2].

(ب) طلاب العلم الذين أخلصوا نياتهم في طلب العلم، ليكون وسيلة إلى نجاتهم من المسؤولية أمام الله تعالى، وقد عبر علي رضي الله عنه عن هذا القسم بقوله: ومتعلم على سبيل نجاة؛ وهذا لا يختص بالدارسين الذين تفرغوا لطلب العلم، وإنما يشمل كل من حمل مسؤولية تطبيق هذا الدين، وأهمَّه أمر نجاته في الاخرة، فاستفتى في أمور دينه العلماء الربانيين، ليعبد الله على بصيرة وليستقيم في معاملته مع الناس على منهج الله، فهذا يعتبر من المتعلمين على سبيل نجاة وإن لم يجلس في حلقات العلم[3]. إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرينا أهمية إخلاص النية لله في طلب العلم، ويدعوهم لتقديم ما عند الله والدار الاخرة على حطام الدنيا وشهوات النفس، والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق والصبر على ذلك.

(ج) الذين هجروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين في معرفة أمور دينهم، وقد عبر عنهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله: وهَمَجٌ رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم.
تحدث أمير المؤمنين عن صنف الهمج الرعاع أتباع كل ناعق الذين يميلون مع كل ريح وليس لهم نور يستضيئون به، وحذر من هذا الصنف الإمَّعي، وكأنه رضي الله عنه يدعو الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه، وبأن يعمروا الدنيا والآخرة بطاعة الله، وأن يستضيئوا بنور الله ويجعلوا الدنيا مطية للاخرة.

2- المقارنة بين العلم والمال:

وجاء في وصية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لكميل بن زياد: ... العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصنعة المال تزول بزواله، ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يُكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة[4]. عقد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مقارنة بين العلم والمال، باعتبار أن العلم الشرعي هو عماد أهل الاخرة، ومعقد عزهم وشرفهم في الدنيا والاخرة، والمقصود بالمال هنا الذي يجمعه

---

(1) التاريخ الإسلامي (11، 438/12).
(2) الفتاوى (49/1).
(3) التاريخ الإسلامي للحميدي (11، 438/12).
(4) حلية الأولياء (75/1)؛ صفة الصفوة (329/1).

صاحبه لذاته ولا يتوجه فيه بالطاعات وفق شرع ربه، وقد سوَّغ هذا الحكم بعدة أمور:

(أ) أن العلم يحرس صاحبه بينما صاحب المال هو الذي يحرسه، فأما حراسة العلم صاحبه فإن العلم الإلهي يقي صاحبه من المهالك في الدنيا والاخرة، فأما أمر الاخرة فظاهر معلوم، حيث إن هذا العلم يقود صاحبه إلى رضوان الله تعالى والجنة، ويجنبه طريق النار، وما أعظمها من مطالب، وما أبلغها من مكاسب، وأما الوقاية من مهالك الدنيا فإن السعادة الروحية الحقة لا تكون إلا باليقين الذي تتضاءل أمامه الحياة الدنيا، فتصبح جميع ماسيها ونكباتها برداً وسلاماً على أصحاب اليقين؛ لأنهم لا يلقون لها بالاً، ولا يعيرونها اهتماماً بينما تتحول هذه الماسي والنكبات إلى حياة جحيمية على أهل الدنيا الذين يعتبرون الحياة الدنيا هي رأس المال والمكسب، وأما حراسة صاحب المال ماله فأمرها ظاهر، فكم تململ أصحابها من الهم والخوف عليها تململ المريض، وباتوا يحرسون أموالهم بالهم والقلق والحزن المنهك[1]. والعلم ينور بصيرة صاحبه في الاختيار الأفضل وفي استخلاص العبر من الأمم الماضية، والعيش بها في الحياة، والعلم يفتح افاقاً واسعة في فقه الخلاف، ومعرفة المصالح والمفاسد، والمقاصد، وترتيب الأولويات، فيسير صاحبه بنور بين الناس.

(ب) أن العلم ينمو ويترسخ بالعمل، لأن العمل تطبيق للعلم، فهو بذلك يزيده عمقاً في الذاكرة؛ بخلاف المال فإن الإنفاق منه ينقصه، ولا يغيبنَّ عن البال أن المقصود هنا أموال أهل الدنيا التي ينفقون منها من أجل الدنيا، أما أموال أهل الاخرة فإنها محكومة بالعمل الشرعي، فالإنفاق منها يزيدها نمواً كما جاء في قول الرسول ﷺ : ما نقص مال عبد من صدقة[2].

(ج) أن العلم الشرعي حاكم لأنه به تنتظم به شؤون الحياة، وعلى منهاجه يجب أن تقرر جميع الأنظمة التي تحكم الناس، فهو الحاكم الحقيقي، أما المال فإنه محكوم عليه؛ لأن إصداره وإيراده يخضع للأنظمة الحاكمة سواء كانت شرعية أو غير شرعية[3].

(د) أن العلاقات الاجتماعية التي تقوم على المصالح المالية المشتركة تزول بزوال المال؛ لأنه هو الذي عقد تلك العلاقات بناء على تبادل المصلحة بوجوده، فإذا زال زالت تلك المصالح، أما العلاقات الأخوية التي تقوم على تبادل العلم الشرعي بين العالم ومحبيه؛ فإنها باقية خالدة في الدنيا والاخرة، قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67].

(هـ) أن العلم الشرعي يكسب صاحبه ولاء المسلمين وطاعتهم لأهله اختياراً منهم من غير أن تفرض عليهم هذه الطاعة،

---

(1) التاريخ الإسلامي للحميدي (442/12).

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) التاريخ الإسلامي للحميدي (442/12).

وذلك على امتداد حياتهم، كما يكسبهم الذكر الحسن بعد مماتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث لا يفقد الناس إلا صورهم وأشكالهم، وإننا لو استعرضنا التاريخ إلى عصرنا هذا لوجدنا العلماء من عهد الصحابة رضي الله عنهم تتردد أسماؤهم، ويذكر التاريخ حياتهم في الكتب والخطب والدروس العلمية، بينما اندرست أسماء كبار أهل الدنيا بانقضاء حياتهم، وأحياناً يشاهدون انطفاء سمعتهم وهم أحياء[1].

3- من هو الفقيه الحقيقي؟

إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنِّط الناس من رحمة الله، ولا يُؤَمِّنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها[2].

في هذا النص يبين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن من الفقه في الدين التزام صفة الاتزان والاعتدال في عرض أمور الدين ومحاولة إصلاح الناس، وذلك بأن يسير الداعية في خط وسط بين مقامي الخوف والرجاء، فلا ينطلق في تخويف الناس إلى الحدِّ الذي يجعلهم يقنطون من رحمة الله، ولا ينطلق في ترغيب الناس إلى الحدِّ الذي يجعلهم يأمنون من عذاب الله تعالى.

ونجد علياً رضي الله عنه في هذا النص يبين أن من مظاهر الفقه في الدين ألا يهوِّن العالم من شأن المعاصي فيجرئ الناس على ارتكابها، وأن يحافظ على مستوى الإيمان والتقوى لدى الناس مع محاولة رفعهم نحو الكمال في ذلك، كما يبين أن من الفقه أن يحاول العالم ربط المسلمين بكتاب الله تعالى، وهنا يبين علي رضي الله عنه أهمية القرآن الكريم وتفضيله المطلق على كل ما سواه، وفيه تبيين أو تعليم للطريقة التي نتعامل بها مع القرآن الكريم. وأن لا يتجاوزه إلى غيره رغبة عنه؛ لأنه مصدر الهداية الأول. ومن المعلوم أن السنة النبوية بيان تفصيلي للقرآن الكريم، فالتوجيه إلى القرآن يعتبر توجيهاً إلى السنة.

ثم يبين أن من أهم شروط العبادة الشرعية المقبولة: أن تكون صادرة عن علم بالكتاب والسنة، وأن العلم لا يكون نافعاً إلا إذا رافقه الفهم الصحيح.

ويختم وصيته النافعة ببيان أهمية تدبُّر معاني كتاب الله تعالى حال التلاوة؛ لأن الخير كل الخير في فهم مقاصد القرآن الكريم للعمل بأحكامه، والتوجه الكامل لله بالقلب والعقل والروح والجوارح عند قراءتنا لكتابه، وبذل كل ما نستطيع لفهم مراد

---

(1) التاريخ الإسلامي للحميدي (443/12).

(2) حلية الأولياء (77/1)؛ صفة الصفوة (325/1).

الله، والعمل بأوامره واجتناب نواهيه، والتخلص من كل العوائق التي تحول بيننا وبين كتاب الله، فهذا يدعونا للتجرد لله بالكلية، وإخلاص الدين له، وتحري مراد الله ورسوله ودين الحق ولو أدى إلى مفارقة الأهل والمال والولد والوجاهة الدنيوية، فإن ما عند الله خير وأبقى. والاتعاظ بمواعظه وتنمية الإيمان بتذكر معاني هذا الكتاب العظيم(1).

4- ما أبردها على الكبد:

عن الشعبي، عن علي رضي الله عنه: أنه خرج عليهم وهو يقول: ما أبردها على الكبد ! فقيل له: وما ذلك؟ قال: أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم(2).

5- أهل العلم وتعليم الناس:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلِّموا(3).

6- الخير في كثرة العلم لا المال والولد:

قال علي رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا أحد رجلين، رجل أذنب ذنباً فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقلُّ عمل في تقوى، وكيف يقل ما يتقبل(4).

7- العلم والجهل:

قال رضي الله عنه: كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نُسب إليه، وكفى بالجهل ضَعَةً أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه(5).

8- سبب زهد الناس في العلم:

قال رضي الله عنه: إنما زهد الناس في طلب العلم، لما يرون من قلة انتفاع من عَلِم بما عَلِم(6). وهذا فيه تحذير لعلماء السوء الذين يصدون عن سبيل الله، ودعوة للعلماء بالعمل بعلمهم، ودعوة الناس إليه والصبر على أذاهم في سبيل الله تعالى.

---

(1) التاريخ الإسلامي (12/431 إلى 433).
(2) جامع بيان العلم وفضله (2/66).
(3) فوائد الكلام ، ص361.
(4) حلية الأولياء ، ص75.
(5) فوائد الكلام ، ص366.
(6) أدب الدين والدنيا ، ص82، 85.

9- من حقوق العلماء على أمتهم:

قال أمير المؤمنين علي رضـــي الله عنه: من حق العالم: أن لا تكثر عليه بالســـؤال، ولا تعنته بالجواب، ولا تحلّ عليه إذا كســـل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشـــين له ســـراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تطلبن عثرته، وإن زلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته[1].

10- مكانة العلماء العاملين عند الله:

قال أمير المؤمنين علي رضـــي الله عنه: من عَلِمَ وعَمِلَ دُعِيَ في ملكوت الســـموات عظيماً[2]. وهذه دعوة للعلم والعمل، وحث للسعي للمقامات العالية التي يكرم الله بها من علم وعمل ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى.

11- الاشتغال بالعلم أولى من الاشتغال بالعبادات التطوعية:

قال أمير المؤمنين علي رضـــي الله عنه: العالم أفضـــل من الصـــائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإســـلام ثلمة لا يسدها إلا خلف مثله[3].

وهذا التوجيه فيه دلالة على فقه ترتيب الأولويات عند أمير المؤمنين علي، فهو يرى العمل المتعدي لخير الناس – وهو العلم – أولى بالتقديم من العمل التعبدي الذي ترجع فائدته على الشخص نفسه.

هذه بعض التوجيهات النافعة والإرشادات الصالحة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لطلاب العلم.

ثانياً: زهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وورعه:

فهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من خلال معايشـته للقرآن الكريم وملازمته للنبي الأمين ﷺ ومصـاحبته للصـحابة الكرام، ومن تفكره في هذه الحياة بأن الدنيا دار اختبار وابتلاء، فقد تربى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على كتاب الله، واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا، وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، والآيات التي رغبت في الاخرة، وأخبرت بشـرفها ودوامها كقوله تعالى: ﴿وَاضْـرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّـمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِـيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ مُقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّـالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: 45 – 46].

---

(1) جامع بيان العلم وفضله (519/1).
(2) المصدر السابق نفسه (497/1).
(3) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي، ص13.



وتربى على يدي النبيﷺ الذي كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل ﷺ : «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»[1]، وقال رسول الله ﷺ : «ما الدنيا في الاخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ فلينظر بما ترجع»[2]، وقال رسول الله ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[3].

وقد تأثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النماذج التي زكتها تربية النبي عليه الصلاة والسلام، قال الله فيها: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ **[البقرة: 151]**، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في الزهد؛ وهذه بعض المواقف المدهشة في هذا الباب:

1- يا صفراء، ويا بيضاء غُرّي غيري:

عن علي بن ربيعة الوالبي: أن علي بن أبي طالب جاءه ابن النباح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر، فقام متوكئاً على ابن النباح، حتى قام على بيت مال المسلمين فقال:

هذا جَنَايَ خياره فيه ... وكلُّ جانٍ يده إلى فيهِ

يابن النباح عليَّ بأشياع الكوفة، قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غُرِّي غيري، ها، ها، حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين. وفي رواية أخرى لأبي نعيم من خبر مجمع التيمي قال: كان علي يكنس بيت المال ويصلي فيه ويتخذه مسجداً؛ رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

ففي هذا مثل بليغ في الترفُّع عن متاع الدنيا الزائل، فبيت المال قد امتلأ من الذهب والفضة، ولا ينظر إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نظرة إعجاب وغرور، بل كان جوابه حينما أبلغه المسؤول المالي عن ذلك أن قال: الله أكبر، فإذا كان بعض الناس يكبرون الدنيا ويعظمونها؛ فالله تعالى أكبر منها ومن كل شيء، وما دام المسلم يشعر حقاً بأن الله أكبر فلماذا يجعل قلبه مستسلماً لما هو أصغر ؟! إنه فقه عظيم من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؛ حينما تذكَّر هوان الدنيا وحقارتها فكبَّر الله تعالى، ولسان حاله يؤنِّب من انخدع بمتاع الدنيا الزائد، ونسي أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء، وإنه لميزان دقيق يحسه المؤمن الذي نَوَّر الله سبحانه بصيرته، فكلما كان الله تعالى أعظم وأكبر من كل شيء في قلبه كانت الدنيا وما فيها أهون شيء عليه، وأصبح يُسَخِّر المال الحلال في طاعة الله جل وعلا، وكلما عظمت الدنيا في قلبه كان ذلك على حساب نقص تعظيمه لله تعالى.

---

(1) سنن الترمذي ، رقم 4110 ، صحيح غريب.

(2) مسلم ، رقم 2858.

(3) مسلم ، رقم 2856.

ونجد أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه يُحَلِّق في افاق العظمة وهو يخاطب الدنيا بقوله: يا صفراء يا بيضاء غُرِّي غيري.. مما يدل على الوجدان الحيّ والحسِّ المرهف الذي يصوِّر الدنيا كخصم يخاتل ويراوغ خصمه.. وهو بهذا يعلن انتصاره على جموح النفس وجنوح العواطف، ويُحَكِّم عقله الذي يعطي الدنيا حجمها المناسب لزمنها المحدود في شقائها ونعيمها، ويعطي الاخرة حجمها المناسب لخلودها وعظمة نعيمها وهول جحيمها، ونجده رضي الله عنه يصل إلى قمة المعالي حينما صلى في بيت المال ركعتين؛ لتكونا شاهدتين له يوم القيامة بأنه عدل في حكمه واستقام في أمره، ولعل في اتخاذ بيت المال مسجداً رمزاً لعلو الاخرة على الدنيا، وهو مكمِّل للسلوك العالي الذي مارسه في تصريف ذلك المال في وجوهه المشروعة[1].

2- والله ما أرزؤكم من مالكم شيئاً:

ومن مواقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الزهد والورع: ما رواه هارون ابن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخَوْرنَق[2]، وهو يُرعَد[3] تحت سمل قطيفة[4]، فقلت: يا أمير المؤمنين ! إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع، فقال: والله ما أرزؤكم من مالكم شيئاً، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي . أو قال: من المدينة[5].

وهنا نتساءل فنقول: ما الذي حمل أمير المؤمنين علياً على أن يعيش عيشة الفقراء، وأن يتحمل البرد القارس وهو قادر على أن يشتري أفخر ما يوجد في الأرض من الملابس وأكثرها دفئاً؟! إنه مثال للزهد الحقيقي؛ حيث يرغب عن متاع الدنيا مع القدرة على تحصيله، إنه تلميذ المدرسة النبوية التي تربى فيها على الزهد في متاع الدنيا الزائل، والتنافس على نعيم الاخرة الخالد، فلقد عاش رسول الله ﷺ عيشة الفقراء، وهو يستطيع أن يكون كأفضل الأغنياء[6].

3- باعني رضاي وأخذه رضاه:

عن أبي مطر عمر بن عبد الله الجهني قال: رأيت عليّاً عليه السلام متَّزراً بإزار مرتدياً برداء ومعه الدِّرَّة[7]، كأنه أعرابي بدوي، ثم ذكر دخوله إلى السوق ومساومته أحد التجار في ثوب بثلاث دراهم، وأن التاجر عرفه، قال: فلما عرفه لم يشتر

---

(1) التاريخ الإسلامي للحميدي (427/12).

(2) موضع بالكوفة.

(3) يرعد: من شدة البرد.

(4) سمل قطيفة: يعني قطيفة قديمة.

(5) حلية الأولياء (82/1)؛ صفة الصفوة (316/1).

(6) التاريخ الإسلامي (428/12).

(7) الدرة: بكسر الدال وتشديدها: العصا.

منه شيئاً، فأتى اخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخبره، فأخذ أبوه درهماً ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن القميص درهمين، فقال: باعني رضاي وأخذ رضاه[1].

فهذا مثل في الزهد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلقد كان مظهره في لباسه يوحي بأنه رجل أعرابي لخشونة ملابسه، وحينما اشترى له ثوباً اختار نوعاً متواضعاً رخيص الثمن، مع أنه كان آنذاك أعلى مسؤول في العالم، حيث كان خليفة المسلمين، وهذا يدل على تواضعه وزهده في الدنيا، على الرغم من أن له حقه من الفيء ومن بيت المال وغيرها من مصادر الدولة كشخص مفرغ خليفة وحاكم لمراعاة مصالح المسلمين.

ومثل اخر في الورع والاحتياط للدين حينما امتنع من الشراء ممن يعرفونه حتى لا يراعوه في الثمن لمنصبه، فهو لا يريد أن يستثمر منصبه الكبير لمصالحه الخاصة، وهذا فهم دقيق لمجالات الورع والتقوى، فالخلافة عنده وعند أمثاله عمل صالح، والخليفة إذا صاحبه العدل كان أول السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم القيامة؛ فهو لا يريد أن يدنس هذا العمل الصالح بمصالح دنيوية فيتحول العمل إلى مَجْلبَة للوزر بدلاً من الأجر، فكان بهذا السلوك العالي قدوة حسنة لمن أتوا بعده[2].

4- يخشع القلب ويقتدي به المؤمن:

قال عمر بن قيس: قيل لعلي رضي الله عنه: لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن[3]. فهذا مثل من زهده رضي الله عنه وحرصه على تربية المسلمين على حياة الزهد والتقشف، فقد لاحظ في لبس الثوب المرقوع ملحظين: الأول أنه وسيلة إلى خشوع القلب وتواضع النفس والبعد عن أسباب العجب والكبرياء، والثاني أنه يعتبر بذلك قدوة للمسلمين، فإذا راه الناس – وهو في أعلى منصب – يلبس الثوب المرقوع؛ فإن نفوسهم تتواضع ويبتعدون عن التنافس في شراء الملابس الغالية الثمن، ويتقوّى بذلك الزاهدون الذين يتعرضون لملامة الناس على سلوكهم حياة الزهد[4].

5- لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان:

عن عبد الله بن زُرَير الغافقي قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه – فقرب إلينا خزيرة[5]، فقلت: أصلحك

---

(1) الزهد ، ص130.
(2) التاريخ الإسلامي للحميدي (429/12).
(3) تاريخ الإسلام للذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص647.
(4) التاريخ الإسلامي للحميدي (430/12).
(5) الخزيرة: لحم يقطع ويطبخ بالماء ويذر عليه الدقيق.

الله لو قربت إلينا من هذا البط – يعني الوزّ – فإن الله عز وجل قد أكثر الخير، فقال: يابن زرير ! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين يدي الناس»[1].

فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يضرب مثلاً عالياً في الورع والزهد في متاع الدنيا الزائل من طعام وشراب، فلقد كان بإمكانه أن يأخذ من بيت المال ما شاء من الأموال مما لا يلفت النظر إليه، حيث يؤَمِّن له معيشة مساوية لأغنياء المسلمين، ولكنه رضي بخشونة العيش إيثاراً للاجلة على العاجلة، واحتياطاً لأمر دينه، وإبرازاً للقدوة الصالحة، لأنه إذا كان أعلى رجل في الدولة يعيش هذا المستوى من العيش؛ فإن في ذلك عزاء للفقراء ليصبروا ويرضوا بقضاء الله تعالى وقدره، وعظاً للأغنياء ليشكروا الله تعالى، فيخفضوا من اندفاعهم نحو الترف والإسراف[2].

6- لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول: لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم[3]، وقال سفيان: إن علياً لم يبنِ اجُرّة على اجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة وإن كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب[4].

7- إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم:

يروي عدي بن ثابت، وحبة بن جوين: أنه أتى بطست خوان فالوذج[5] إلى عليٍّ؛ فلم يأكل، فقال علي: إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده[6].

8- أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب:

قال الحسن بن صالح بن حيّ: تذاكروا الزُّهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب[7]. وقد ذكر الذهبي أن علياً ركب حماراً ودلَّى برجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا (وفعله هنا من باب التربية عملياً على الزهد والتقوى والترفع على الدنيا، وليس على سبيل الخيلاء)[8].

وأخرج أبو عبيد في الأموال عن علي رضي الله عنه: أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان،

---

(1) مسند أحمد (78/1) ، إسناده صحيح قاله أحمد شاكر وهناك من ضعفه.
(2) التاريخ الإسلامي (431/12).
(3) الكامل في التاريخ (443/2).
(4) المصدر السابق نفسه.
(5) الطست خوان: عبارة عن طست كبير يوضع وسط المائدة.
(6) الحلية (81/1)؛ صحيح التوثيق ، ص74.
(7) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص645.
(8) تاريخ الإسلام للذهبي ، ص645.

فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لســـت بخازنكم، فأخذها قوم وردَّها قوم[1]، وخطب علي الناس فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما رزأت من ما لكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه، وأخرج قارورة من كم قميصــه فيها طيب، فقال: أهدى إلي دهقان، وقال: ثم أتى بيت المال وقال: خذوا، وأنشأ يقول:

أفلــح مــن كــانــتْ لــه قُــوصـــــرة[2] يأكــلُ مــنــهــا كــلَّ يــومٍ تمــرة[3]

لقد كان الزهد من الصفات البارزة في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان زهده رضي الله عنه مع توافر أسباب الرخاء والثراء وثقة الناس وتوقيرهم وإجلالهم له الذي يمنع من النقد والحسبة والمؤاخذة[4]، ولم يكن رضي الله عنه مع زهده وورعه وتصــلُّبه في دينه، على شــيء من الفظاظة والخشــونة والعبوس والكلوح، ولم يكن ثقيل الظل، بل كان ودوداً بشــوشــاً فيه دعابة ملحوظة. وقد جاء في وصــفه: كان حســن الوجه، ضــحوك الســنِّ، خفيف المشــي على الأرض[5].

وقد عرّف علي رضي الله عنه الزهادة فقال: أيها الناس ! الزهادة: قصـر الأمل، والشـكر عند النعم، والتورع عن المحارم[6]. وقصر الأمل ضد طول الأمل الذي ينسي الإنسان الاخرة، وأما قصره فيجعله يجمع بين الدنيا والاخرة ابتغاء مرضات الله، وأما الشـكر عند النعم فهي صـفات المسـلم الرباني الذي يسـتشـعر نعم الله عليه المادية والمعنوية ما ظهر منها وما بطن، ويقابلها بالشـــكر للعزيز الوهاب، وأما التورع عن المحرمات فهو يبتعد عن الاقتراب خوفاً من الله عز وجل، فتعريف أمير المؤمنين يبين حقيقة الزهد.

ولا شك أن زهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قد أثر في من حوله، وأصبح مدرسة مؤثرة في تاريخ الأمة، وقد ربط أبو الحسن الندوي بين الزهد والتجديد في المجتمع الإسلامي فقال: ولقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين في تاريخ الإسلام، فلا نعرف أحداً ممن قلب التيار، وغير مجرى التاريخ، ونفخ روحاً جديدة في المجتمع الإســلامي، أو فتح عهداً جديداً في تاريخ الإسلام، وخلف تراثاً خالداً في العلم والفكر والدين، وظل قروناً يؤثر في الأفكار والاراء، ويسيطر على العلم والأدب، إلا وله نزعة في الزهد، وتغلُّب على الشهوات، وسيطرة على المادة ورجالها، ولعل السر في ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة

(1) كنز العمال (320/2).

(2) القوصرة: وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه.

(3) المرتضى للندوي ، ص212.

(4) المصدر السابق نفسه ، ص210.

(5) المصدر السابق نفسه ، ص213.

(6) علي بن أبي طالب ، محمد رشيد رضا ، ص304.

المقاومة، والاعتداد بالشخصية والعقيدة، والاستهانة برجال المادة، وبصرعى الشهوات، وأسرى المعدة[1].

ثالثاً: تواضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

من الأخلاق القرآنية التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خلق التواضع، قال تعالى:

﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ [الإسراء: 37]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 18 – 19].

وفي اية الإسراء دعوة واضحة إلى التحلي بمكارم الأخلاق؛ من التواضع واللين، ومعرفة قدر النفس؛ لأن النهي الصريح عن رعونات النفس من الكبر والبطر والأشر والاحتقار للناس، والأمر بضده وهو التواضع والقصد من الأمور صراحة بعد أن علم بالمفهوم من النهي السابق، وذيل الله تعالى النهي والأمر بما ذيل به النهي السابق من عدم رضاه وشدة سخطه على من اتصف بتلك الصفات فقال سبحانه: فعدم محبته لمن كان ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، يعني بغضه له، كما دلت عليه الآية السابقة، وفي هذا من الحث على التواضع ما فيه الكفاية للمؤمن[2]، غير أن القرآن الكريم لم يقتصر على ذلك، بل نوه بالمتواضعين أيما تنويه حيث قال الله جل ذكره: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾ [الفرقان: 63].

وهذا تنويه عظيم بالمتواضعين حيث وصفهم بالعبودية له، وذلك أعظم تشريف لهم، لأن العبودية له سبحانه، هي أشرف الأوصاف ومن أعلى مراتب المحبين، وبذلك يتفاخرون ولذلك يقول الشاعر:

ومما زادني شرفاً وتيهاً	وكدْتُ بأخمَصِي أطأُ الثُّريّا
دخولي تحتَ قولِك يا عبادي	وأن صيَّرتَ أحمدَ لي نبيا[3]

وكان نبينا محمد ﷺ في ذروة الذُّرا من هذا الخلق العظيم في كل صوره وأشكاله، ولا غرابة في ذلك فهو الذي أدبه ربه

([1]) رجال الفكر والدعوة في حديثه عن الإمام أحمد (105/1).

([2]) أخلاق النبي في القرآن والسنة ، د.أحمد الحداد (454/1).

([3]) المصدر السابق نفسه (455/1) ، ينسب للمصدر الأصلي.

فأحســـن تأديبه، وكان مما أدبه الله تعالى به في هذا الخلق قوله ســـبحانه وتعالى: ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88]. وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215]. وخفض الجناح كناية عن التواضع لهم والرفق بهم[1]، وقد قام النبيﷺ بذلك حق القيام، وظهر أثر هذا التواضع في كل أحواله الذاتية والاجتماعية والأسرية، وفي كل زمان ومكان بحيث لا يخلو حال من أحواله ﷺ عن التواضع لله تعالى والمؤمنين[2].

وقد تأثر أمير المؤمنين علي رضـــي الله عنه بالتربية القرآنية الكريمة، والتربية النبوية الرشـــيدة، فكانت هذه الصـــفة متجسدة في شخصيته الفذة؛ وإليك بعض المواقف:

(أ) أنا الذي أهنت الدنيا:

عن صالح بن أبي الأسود عمن حدثه: أنه رأى علياً قد ركب حماراً ودلَّى رجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا[3]. وهكذا يشعر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالفرح لانتصاره على نفسه، وظهوره بمظهر التواضع أمام الناس وهو خليفة المســـلمين، إن مناصـــب الدنيا خداعة غرارة، وإن فتنة الجاه بها أعظم من فتنة المال، فلطالما رأى الناس مسؤولين كانوا متواضعين قبل أن يلوا، فلما تولوا مناصب كبيرة بدأ التعاظم في نفوسهم شيئاً فشيئاً، حتى يكون من الصعب في اخر الأمر مخاطبتهم واللقاء معهم، لكن أولياء الله المتقين كلما ازدادوا رفعة في المناصب الدنيوية زادوا تواضعاً للناس، وشعروا بالسرور وهم يقومون بمظاهر التواضع التي تنفي عنهم صفة التجبر والكبرياء[4].

(ب) أبو العيال أحق أن يحمل:

روي عن علي رضـــي الله عنه: أنه اشـــترى تمراً بدرهم فحمله في ملحفة، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل[5]، فهذا مثل من تواضعه حيث حمل متاعه بنفســـه مع كونه أمير المؤمنين ومع كبر سـنه، فلم ير في

([1]) روح المعاني للآلوسي (80/5).
([2]) أخلاق النبي في القرآن والسنة (459/1).
([3]) البداية والنهاية (5/8).
([4]) التاريخ الإسلامي للحميدي (63/17).
([5]) الزهد للإمام أحمد ، ص133.

ذلك مسوغاً لقبول خدمة الناس له، وهو بهذا يجعل من نفسه قدوة حسنة للمسلمين في التواضع، فلو نازعت أحد الكبراء نفسه في تصور العيب من حمل المتاع فإنه بتذكره لموقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يزول ما في نفسه من ذلك، ولو اعترض على أحد المتواضعين معترض فإن له من الاقتداء بأكبر أمير على وجه الأرض ما يرد هذا الاعتراض[1].

(ج) معاملته لعمه العباس رضي الله عنهما:

عن صهيب مولى العباس، قال: رأيت علياً يقبل يد العباس ورجله ويقول: يا عم، ارض عني[2]. ولنتأمل ما ورد في وصف ضرار الصدائي لعلي رضي الله عنه حيث يقول: يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا تنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له[3].

ومن أقوال أمير المؤمنين في التواضع: تواضع المرء يكرمه[4]. إن العبد كلما رسخ في العلم بالكتاب والسنة وعمل بهما، وعرف حقيقة نفسه ازداد تواضعاً لله ولخلقه، كما إن علة من أعجب بنفسه من بعض دعاة اليوم إنما هي من قلة العلم والفهم، إضافة إلى انصراف نظر الداعي إلى كثرة من حوله من الأتباع، وغفلته عن النظر إلى من عند الله، ثم إلى من فوقه من العلماء الربانيين، وهذا من مداخل الشيطان الخفية على طلاب العلم والمحسوبين على حقل الدعوة، وقد قيل من منشور الحكم: إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء[5].

ونختم هذه الصفة بقول أمير المؤمنين علي: ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل[6]. والتيه المقصود به: الاستغناء بالله عن ما في أيدي الأغنياء، ولا يعني أبداً التكبر والغرور.

رابعاً: كرمه وجوده:

من الأخلاق القرآنية الكريمة التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، خلق الكرم والجود،

---

(1) التاريخ الإسلامي (64/17).

(2) أصحاب الرسول (224/1)؛ السير للذهبي (94/2) ، إسناده صحيح.

(3) الاستيعاب (1108/3).

(4) منهج أمير المؤمنين علي في الدعوة ، ص523.

(5) هداية المرشدين علي محفوظ ، ص105.

(6) موعظة المؤمنين (344/2)؛ فرائد الكلام ، ص339.

وقد كان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيماً، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة:، ثم وصفهم بقوله: ﴿الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *أُولَئِكَ عَلَى هُدَىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 1 – 5].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ *سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 22 – 24]، وقد كان رسول الله ﷺ قد بلغ مبلغ الكمال والعظمة في كافة الأخلاق ولا سيما خلق الكرم، وقد وصفته خديجة رضي الله عنها بقولها: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[1]، فهي تصفه بهذه الصفات البالغة عظمة وخطورة التي كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمته، ولا قد أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله ؟! لا جرم أن كرمه ﷺ بعد ذلك سيكون بالغاً ذروة الذرى في كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة[2] .

وقد تأثر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالتربية القرآنية والنبوية، وترك لنا اثاراً بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم في شخصيته العظيمة، فقد ذكر الحافظ ابن كثير من خبر الأصبغ بن نباتة: أن رجلاً جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة، فرفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علي: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني محتاج، فقال علي: علي بحلة، فأتى بها، فأخذها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول:

كسوتني حُلَّةً تبلى محاسنُها	فسوفَ أكسُوك من حسنِ الثَّنا حُلَلا
إن نلتَ حسنَ ثنائي نلتَ مكرُمةً	ولستُ أبغي بما قد قلتُه بَدَلا
إنَّ الثَّنا ليحيي ذكرَ صاحبه	كالغيثِ يحيي نداه السهلَ والجبلا
لا تزهد الدهر في خيرٍ تواقِعُهُ	فكل عبد سيُجْزى بالذي عَمِلا

فقال علي: علي بالدنانير، فأتي بمئة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: يا أمير المؤمنين، حلة ومئة دينار ؟! قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنزلوا الناس منازلهم»، وهذه منزلة هذا الرجل عندي[3]، فهذا موقف جليل لأمير المؤمنين

([1]) السيرة النبوية (116/1).
([2]) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (648/2).
([3]) البداية والنهاية (9/8).

علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الوقوف عند حاجات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مشاعرهم.

وإن أروع ما في هذا الخبر قوله: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكم يعاني المحتاجون من الذل بين يدي من يعرضون عليهم حوائجهم، وقد يتلعثمون فلا يستطيعون النطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتاج عظيمة حينما واجهه أمير المؤمنين علي بهذه المعاملة السامية، ولقد صاغ هذه المشاعر بالأبيات المذكورة[1].

وقد كان رضي الله عنه يفرح بقدوم الضيف، ويكرم إخوانه في الله ويتفقدهم، فعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام ! أخاف أن يكون الله قد أهانني[2].

وقال: لعشرون درهماً أعطيها أخي في الله أحب إلي من أن أتصدق بمئة درهم على المساكين[3]. وعندما سئل عن السخاء، قال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان من مسألة فحياء وتكرم[4]، وقد جعل في حياته أوقافاً لله تعالى، حيث جعل أرضه بينبع وقفاً وكتب فيها كتاباً: هذا ما أمر به علي بن أبي طالب، وقضى في ماله: إني تصدقت بينبع ووادي القرى الأذينة وراعة في سبيل الله وذي الرحم القريب والبعيد، ولا يوهب ولا يورث، حياً أنا أو ميتاً[5].

وقد قال عن صدقته: لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة الاف دينار[6].

ولم يرد بقوله أربعة الاف دينار زكاة ماله، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقة، كان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يدخر مالاً، ودليل ذلك[7]: ما قاله ابنه الحسن بعد مقتله: لقد فارقكم رجل ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمئة درهم، بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً، يعني علياً[8] رضي الله عنه.

وكان يحث الناس على إكرام العشيرة فيقول: أكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، فإنك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعد سقيمهم، وأشركهم في أمورك، ويسر عن معسرهم[9].

---

(1) التاريخ الإسلامي للحميدي (127/17).

(2) فرائد الكلام ، ص402؛ موعظة المؤمنين (252/2).

(3) موعظة المؤمنين (139/1).

(4) تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص204.

(5) تاريخ الخلفاء الراشدين ، ص517.

(6) أسد الغابة (7/4).

(7) صحيح التوثيق ، ص77.

(8) الطبقات (38/3).

(9) فوائد الكلام ، ص348.

خامساً: الحياء من الله تعالى:

الحياء من أجلِّ مكارم الأخلاق، لأنه يدل على طهارة النفس، وحياة الضمير، ويقظة الوازع الديني، ومراقبة الله تعالى، إذ من لم يكن ذا حياء لم يُقْرِ الضيف، ولم يفِئ بالوعد، ولم يؤدِّ الأمانة، ولم يقضِ لأحد حاجة، ولا تحرّى الجميل فاثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئاً

من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقاً، ولم يصل له رحماً، ولا برّ له والداً؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني – وهو رجاء عاقبتها الحميدة – وإما دنيوي علوي وهو حياء فاعلها من الخلق، وقد تبين أنه لولا الحياء – إما من الخالق، وإما من الخلائق – لم يفعلها صاحبها[1].

وعلى حسب حياة القلب تكون قوة خلق الحياء، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتمّ، وقلة الحياء من موت القلب والروح[2]، وهو من شعب الإيمان، لأنه يكون باعثاً على أفعال البر، ومانعاً من المعاصي[3]؛ ولهذا كان من الأخلاق العليا التي كان للقرآن الكريم بها عناية عظيمة[4]، فقد تحدث القرآن الكريم عن الحياء في الجانب النبوي في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: 53]، فترى كيف حمله الحياء على عدم مواجهة أصحابه بما كان يرغب فيه من خروجهم، ولم يستطع مشافهتهم بما يودُّه منهم[5]، لأنه ﷺ كان أشد من العذراء في خدرها[6]، وقد قال رسول الله ﷺ : «الحياء لا يأتي إلا بخير»[7].

وقد تجسد هذا الخلق في شخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد حدثنا عن هذا الخلق، فقال: إني لأستحيي من الله أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أعظم من حلمي، أو عورة لا يواريها ستري، أو خلة لا يسدها جودي[8]. فهذه أربع صفات من النقص قابلهن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأربع صفات من الكمال، فالحياء من الله عز وجل يقتضي من الإنسان أن يتصف بالعفو عند المقدرة، وذلك فيما إذا لم يكن الذنب فيه

---

(1) مفتاح دار االسعادة (377/1).
(2) مدارج السالكين (259/2).
(3) شرح مسلم للنووي (5/3).
(4) أخلاق القرآن الكريم (478/1).
(5) أخلاق النبي في القرآن والسنة (478/1).
(6) مسلم ، رقم 2320.
(7) مسلم ، رقم 37.
(8) تاريخ دمشق (517/42) ، نقلاً عن التاريخ الإسلامي للحميدي (274/20).



حد من حدود الله تعالى، وأن يتصف بالعلم الذي يحتوي جهل الجاهلين، وأن يكون ستاراً لعيوب الناس، وأن يتسع كرمه لسد حاجة من احتاج إليه، ومما أعطى هذه الحكم وزنها الراجح أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه ربطها بالحياء من الله تعالى، فهذه الصفات الأربع تعتبر من صفات الكمال عند العقلاء، لكان كثيراً من العقلاء يتصف بها لكسب السمعة الدنيوية وسياسة الأمور بكسب الناس ورضاهم، أما أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فإنه ربطها بالحياء من الله تعالى؛ لأن هدفه الأعلى ابتغاء مرضات الله جل وعلا، ولا شك أن مَنْ هذا هدفه سيكون تمثيله لهذه الصفات أقوى بكثير ممن كان هدفه دنيوياً[1].

سادساً: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى:

مارس علي رضي الله عنه مفهوم العبادة الشامل في حياته، وتميز بقيامه بالليل، وأصبح من أهل التهجّد الذين قال الله فيهم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: 16]، وقال تعالى فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: 16 – 18]، وقال تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: 63 – 64].

وهذا ضرار بن ضمرة الكناني يصف علي بن أبي طالب لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم: كان يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه؛ يتميل في محرابه، قابضاً لحيته، يتململ تململ السليم[2]، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الان وهو يقول: يا ربنا يا ربنا ! يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: أبي تغررت أم إلي تشوفت ؟! هيهات هيهات، غري غيري، قد بنتك[3] ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير[4]، اه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق. فوكفت[5] دموع معاوية على لحيته، ما يملكها، وجعل ينشفها بكُمِّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وجدُكَ عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح واحدها في حجرها، لا يرقأ[6] دمعها، ولا يسكن حزنها. ثم قام فخرج[7].

ودخل الأشتر النخعي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو قائم يصلي بالليل، فقال له: يا أمير المؤمنين: صومٌ

---

(1) التاريخ الإسلامي للحميدي (275/20).

(2) السليم: الملدوغ.

(3) بنتك: أي طلقتك.

(4) خطر: بمعنى القدر والمنزلة.

(5) فوكفت: أي سالت.

(6) يرقأ: لا يسكن ولا يجف.

(7) حلية الأولياء (1/84-85)؛ الرقة والبكاء ، ص198.

بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك، فلما فرغ – علي – من صلاته قال له: سفر الاخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل[1].

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحث الناس على تقوى الله ومراقبته، وخشيته، فقد قال: أيها الناس، اتقوا الذي إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم[2].

وكان يقول: يا أيها الناس خذوا عني هؤلاء الكلمات، فلو ركبتم المطِيَّ حتى تُنضوها – يعني: تهزلوها – ما أصبتم مثلها: لا يَرْجُوَنَّ عبدٌ إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي إذا لم يعلم أن يتعلم، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا اعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له[3].

ففي هذه الوصية الجمع بين تصحيح التوحيد، والإرشاد إلى اداب العلم، حيث يوصي رضي الله عنه بتصحيح الاتجاه في مقامي الخوف والرجاء، فالمؤمن الحق لا يرجو إلا الله؛ لأنه وحده المنعم بسائر النعم، والذي تجري على أيديهم النعم من المخلوقين إنما هم وسائط وأسباب في وصول تلك النعم، أما منشئ النعم وموجدها فهو الله سبحانه وتعالى، والمؤمن الحق لا يخاف إلا من الله تعالى؛ لأنه هو الذي يملك ضره ونفعه، والمخلوقون الذين يتوهم الناس أنهم مصدر خوف إنما هم وجميع الخلق في قبضة الله تعالى، وإذا كان الله تعالى وحده هو الرازق وهو الخالق وحده، وهو المالك وحده القادر على كل شيء، فلم يرجو المؤمن سواه أو يخاف من غيره.

ولقد عبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن الخوف من الله تعالى بالخوف من الذنوب؛ لأن المراد هو الخوف من عاقبتها وهو عذاب الله تعالى، فهو إرشاد لأهم السبل الموصلة إلى تحقيق مقام الخوف من الله تعالى.

ثم بين شيئاً من اداب التعلم؛ لأن أمور الدين إنما تؤخذ بالعلم، فيذكر من اداب المتعلم: أن لا يمنعه الحياء من التعلم حتى لو كان كبير السن، أو القدر.

ويذكر من اداب المعلِّم: أن لا يمنعه الحياء من أن يقول: لا أعلم فيما لا علم له به؛ لأن ذلك يحفظ عليه دينه ودين من سأله.

ثم يختم وصيته النافعة ببيان أصل من أصول الإيمان؛ ألا وهو الصبر، حيث يعتبره من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وذلك

---

[1] لطائف المعارف لابن رجب ، التحمس لقيام الليل ، محمد صالح ، ص93.

[2] أدب الدنيا والدين ، ص123 ؛ فرائد الكلام ، ص369.

[3] حلية الأولياء (75/1)؛ صفة الصفوة (326/1).

أن نجاح الأمور كلها يقوم على الصبر سواء في أمور الدنيا أو الآخرة[1]، وقد مارس أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مقام الصبر في حياته منذ نعومة أظافره، وإسلامه سراً مع رسول الله ﷺ مروراً بما لاقاه في المغازي والسرايا وعهد الخلفاء الراشدين، وما صحبها من أحداث جسام، ومن ثم ما واجهه من صنوف الفتن في خلافته، إلى أن انتهى الأمر بقتله، كل هذه المراحل في حياته فيها الدروس البليغة لدعاة اليوم، والتنبيه لهم لما تحتاجه الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من الصبر والتحمل ودفع الثمن[2] ابتغاء مرضاة الله تعالى.

وكان رضي الله عنه يحثُّ أصحابه على مقام الصبر، فقد قال رضي الله عنه للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور[3]. وقال رضي الله عنه: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له[4]. وقال: الصبر مطية لا تكبو، والصبر له مكانته المعروفة في دين الله، فقد ذكر الله تعالى الصبر في ايات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]، وقد جاء ذكر فضائله في أحاديث كثيرة، والصبر له ثلاثة أقسام: وهي الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على البلاء.

وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حريصاً على أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى، عاملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:29]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: 14]، وقوله جل شأنه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: 65]، فقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد تعلم من رسول الله ﷺ أن الأعمال لا تقبل إلا إذا خلصت النية، فمعنى ذلك أن الإخلاص ركن أساسي في العبادة، وأن العبادة التي يفقد منها الإخلاص تردّ على صاحبها؛ كما جاء في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء على الشرك؛ من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه»[5]، فقد كان علي رضي الله عنه محارباً للشرك بجميع أشكاله وأنواعه؛ سواء شرك الربوبية أو شرك الألوهية، وكان حريصاً في سكناته وحركاته أن تكون أعماله خالصةً لوجه الله تعالى، وكان يحث الناس خصوصاً طلاب العلم في البعد عن الرياء، فقد قال رضي الله عنه:

---

(1) التاريخ الإسلامي (434/12).

(2) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص525.

(3) أدب الدنيا والدين ، ص 278 ؛ فرائد الكلام ، ص 371.

(4) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ، ص153.

(5) مسلم ، كتاب الزهد ، رقم 5985.

يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم،

ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقاً، فيباهي بعضهم بعضاً، حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل[1].

وقد أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى إحدى الأمراض الخطيرة عند بعض من يجلس للتعليم للمباهاة والسمعة، ويغضب على طلابه لو تركوه وذهبوا لغيره، ولو كان هذا الذهاب فيه مصلحة لهم، فليست مصلحة طلابه عنده هي المهمة، بل المهم عنده مكانته وسمعته، وإن لم يقل ذلك بلسان المقال، فإنه يتبين من حكاية الحال[2]، لأن من إخلاص الداعي إلى الله: أن يكون همه أن يتبع الناس الحق ولو خالفوا رأيه، وهذه حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي[3]، وكان ذلك في رأي راه في عدم جواز بيع أم الولد، وكان عمر يرى رأيه هذا، ثم رجع علي عن رأيه الأول فرأى أنهن يبعن[4]، وهذا تعليم للدعاة وطلاب العلم: أن الخلاف في الرأي المشروع أمر طبيعي يجب أن لا تضيق به الصدور، ولا يؤثر على وحدة الصف، إن دعاة اليوم في أشد الحاجة أن يرجعوا أنفسهم في هذا الخلق، وأين هم منه ؟! وأن يتضرعوا إلى الله أن يمدهم بهذه الصفة الجميلة حتى ينالوا ثواب الله بعد مماتهم، وتثمر دعوتهم إلى الله في دنياهم.

لقد كانت عبادة علي رضي الله عنه قائمة على كمال الإخلاص لله تعالى، واتباع هدي النبيﷺ، فالله هو المستحق للعبادة وحده، فقد كانت حياته كلها عبادة، ينتقل فيها من نوع إلى نوع، ومن حال إلى حال، يمتثل قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162 – 163]، لقد كانت العبادة عاملاً مهماً في تزكية الأخلاق، والاستقامة على شرع الله تعالى، ولذلك عرّف أمير المؤمنين الاستقامة في تفسيره لمعنى استقاموا فقال: أدوا الفرائض[5].

---

(1) سنن الدرامي في المقدمة (106/1)؛ الجامع لأخلاق الراوي (90/1).

(2) منهج علي بن أبي طالب ، ص513.

(3) البخاري ، كتاب فضائل الصحابة (23/3).

(4) فتح الباري (73/7).

(5) زاد المسير (254/7).

سابعاً: شكره لله:

والشـــكر هو صـــرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله[1]، يعني من نعمه الظاهرة والباطنة في النفس والمال، فيصرف ذلك كله إلى عبادة ربه بما يليق بكل جارحة على الوجه الأكمل، وإذا ما فعل ذلك كان قد أظهر نعم الله عليه، وأدى واجب شكرها[2].

يعتبر الشكر من أَجَلِّ الأخلاق السلوكية الإيمانية التي على المؤمن أن يتحلى بها في كل أحواله، لما فيه من الاعتراف بالنعم لمسديها، وقد دلَّ على عظم مكانته انضواء جُل الأخلاق الإيمانية تحته؛ من محبة ورضا وتوكل، لأن الشكر لا يتم إلا بعد التحلي بها، ولا يكون إلا عند استشعارها[3].

ولقد كانت عناية القرآن الكريم بهذا الخلق عظيمة كعظم مكانتـــه في الأخلاق، فقد ورد ذكره في نحو من سبعين اية، أمراً به، وحثاً عليه، وثناء على أهله، ووعداً لهم بحسن جزائه، ونهياً عن ضده، مما يدل على أن أمر هذا الخلق عظيم الشأن[4]، فقد قرن الله سبحانه في كتابه الذكر بالشكر، فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]، وقرن سبحانه العبادة بالشكر، قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17]. مما يدل على تلازم العبودية بالشكر تلازماً وثيقاً[5].

وكان رسول الله ﷺ صاحب القدح المعلى في كل الأخلاق الحميدة؛ ومنها هذا الخلق، وربَّى أصحابه ومنهم علي بن أبي طالب على هذا الخلق، فكان لا يشعر بنعمة إلا شكر الله عليها، وكان إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده، وقال: «يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها»[6].

وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال لرجل من أهل همدان: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلِّق بالمزيد،

---

(1) التوقيف علي مهمات التعاريف ، ص435.
(2) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ، ص185.
(3) مدارج السالكين (249/2).
(4) أخلاق النبي في القرآن والسنة (186/1).
(5) المصدر السابق نفسه (187/1).
(6) عدة الصابرين ، ص122؛ علو الهمة (481/5).



وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله عز وجل حتى ينقطع الشكر من العبد[1]. وكان رضي الله عنه يرى أن من شكر النعمة العفو عن الخصم، فقد قال رضي الله عنه: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للمقدرة عليه[2].

ثامناً: الدعاء لله:

فالدعاء باب عظيم، فإذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات، وانهالت عليه البركات، ولذلك حرص أمير المؤمنين على حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

وقد لازم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه رسول الله ﷺ، ورأى كيف كان رسول الله ﷺ يستغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه، وقد حرص أمير المؤمنين على أن يتعلم هذه العبادة من رسول الله ﷺ، وأن يكون دعاؤه وتسبيحه على الصيغة التي يأمر بها رسول الله ﷺ ويرتضيها، إذ ليس للمسلم أن يفضل على الصيغة المأثورة في الدعاء والتسبيح والصلاة على النبيﷺ صيغاً أخرى مهما كانت في ظاهرها حسنة اللفظ، جيدة المعنى، لأن رسول الله ﷺ وهو معلم الخير والهادي إلى الصراط المستقيم، وهو أعرف بالأفضل والأكمل.

وقد نسب أقوام من الدعاء والذكر المبتدع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كذباً وزوراً وبهتاناً، فمن كان محباً لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فعليه أن يتبع هديه ومنهجه، فقد أرشدنا لمتابعة النبيﷺ في الأقوال والأفعال.

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه صاحب دعوة مستجابة، فعن زاذان أبي عمر: أن رجلاً حدث علياً بحديث فقال: ما أراك إلا قد كذبتني، قال: لم أفعل، قال: أدعو عليك إن كنت كذبت، قال: ادع. فدعا فما برح حتى عمي[3].

وكان رضي الله عنه يقول عندما يثنى عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما

---

(1) الشكر لابن أبي الدنيا ، نقلاً عن علو الهمة (5/481).
(2) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ، ص30.
(3) البداية والنهاية (6/8).

يظنون[1].

ويروي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليرد عليه من حوله: يرحمك الله، وليرد عليهم يهديكم الله، ويصلح بالكم»[2]، وفي هذا الفعل من حسن الخلق تأدب مع الله سبحانه وتعالى بحمده والثناء عليه في مناسبة أمر فيها العبد بذلك.

قال الحليمي: العطاس يدفع الأذى من الدماغ، الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب، التي هي معدن الحس، وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بذلك أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله، لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع[3].

وبيّن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أدباً من اداب المسافر فيما يرويه عن رسول الله ﷺ بقوله: كان النبيﷺ إذا أراد سفراً قال: «بك اللهم أصول، وبك أجول، وبك أسير»[4].

وبيَّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أدباً اخر من اداب المسافر، وذلك لما أراد سفراً ووضع رجله في الركاب قال: «بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد الله ثلاثاً، وكبر ثلاثاً، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، قال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبيﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله ؟ قال: عجبت للعبد، إذا قال: لاإله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت؛ يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو[5]، وعن ابن أعبد قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يابن أعبد، هل تدري ما حق الطعام؟ قال: قلت: وما حقه يابن أبي طالب؟ قال: تقول: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ، قال: وتدري ما شكره إذا فرغت ؟ قال: قلت: وما شكره؟ قال: تقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا[6].

وكان رضي الله عنه إذا رأى الهلال قال: اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وفتحه ونصره وبركته ورزقه ونوره وطهوره وهداه،

---

(1) فرائد الكلام ، موعظة المؤمنين (228/2).

(2) سنن ابن ماجه (1224/2)؛ صحيح سنن ابن ماجه للألباني (303/2).

(3) فتح الباري (602/10).

(4) مسند أحمد (83/2) ، إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

(5) مسند أحمد (183/2) ، إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

(6) مسند أحمد (329/2) ، قال المحقق: إسناده حسن.

وأعوذ بك من شره وشرّ ما فيه وشر ما بعده[1]، وكان يقول في السجود: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي[2]، وكان يقول بين السجدتين: اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني[3].

وكان يُعَلِّمُ من دخل السوق هذا الدعاء فيقول: إذا دخلت السوق فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة، وصفقة خاسرة، ومن شر ما أحاطت به هذه السوق[4].

وكان يقول: ما من كلمات أحب إلى الله من أن يقول العبد: الله لا إله إلا أنت، اللهم لا أعبد إلا إياك، اللهم لا أشرك بك شيئاً، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت[5].

وكان يقول: اللهم ثبتنا على كلمة العدل بالرضا والصواب، وقوام الكتاب، هادين مهديين، راضين مرضيين، غير ضالين، ولا مضلين[6].

ومن أدعيته رضي الله عنه: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبجبروتك الذي غلبت به كل شيء، وبعظمتك التي غلبت بها كل شيء، وسلطانك الذي ملأت به كل شيء، وبقوتك التي لا يقوم لها شيء، وبنورك الذي أضاء له كل شيء، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء، وباسمك الذي تبيد له كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء، يا الله يا رحمن يا رحيم، اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، والذنوب التي تورث الندم، واغفر لي الذنوب التي تحبس القسم، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، وتديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء، وترد الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تردني إلى النار[7]. وهذا الدعاء يبين افتقار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ربه، وخوفه من ذنوبه، ويعلمنا كيفية التعامل مع أسماء الله الحسنى، ودعاء الله بها سبحانه وتعالى، وهذا الدعاء يسلط الأضواء على عبودية أمير المؤمنين لله عز وجل.

وعن علي رضي الله عنه قال لقّنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات، وأمرني إن نزل بي كربة أو شدة أن أقولها: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانه، تبارك الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين[8]. وكان عبد الله بن جعفر يلقنها الميت،

---

(1) كنز العمال ، رقم 24310؛ فقه علي بن أبي طالب، قلعجي ، ص251.
(2) فقه علي بن أبي طالب، قلعجي ، ص251
(3) المصدر السابق نفسه .
(4) المصدر السابق نفسه .
(5) مصنف بن أبي شيبة (149/2).
(6) فقه علي بن أبي طالب ، ص252.
(7) فقه علي بن أبي طالب ، ص252.
(8) سنن البيهقي (129/7)؛ معرفة الصحابة لأبي نعيم ، رقم 352.

وينفث بها على الموعوك[1]، ويعلمها المغترب من بناته[2].

هذه بعض صفاته التي كانت ثماراً لتوحيده وإيمانه بالله واستعداده للقدوم على الله تعالى، وسوف يلاحظ القارئ الكريم كثيراً من صفاته بإذن الله تعالى، كالشجاعة والحلم والفصاحة والبلاغة وغيرها من الصفات، من خلال الأحداث التي يمرّ بها في هذا الكتاب.

تاسعاً: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

كانت المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والاقتداء بالشيخين في هديهم.

1- فالمصدر الأول هو كتاب الله: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: 105]، فكتاب الله تعالى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشؤون الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ....الزموا دينكم، واهتدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه[3].

2- المصدر الثاني: السنة المطهرة: التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله، ومن خلاله يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن الكريم[4]، فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن[5].

3- الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه: قال رسول الله ﷺ : «اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر»[6]. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما...: والذي خلق الحبة، وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر رديّ، صحبا رسول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان، وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله ﷺ، ولا كان رسول الله ﷺ يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحداً، قضى رسول الله ﷺ

---

(1) الموعوك: من الوعك؛ وهو الحمى. وقيل: ألمها.
(2) فضائل الصحابة (820/2) ، إسناده حسن.
(3) البداية والنهاية (246/7).
(4) فقه التمكين في القرآن الكريم للصلابي ، ص432.
(5) البداية والنهاية (319/7).
(6) صحيح سنن الترمذي (200/3).

وهو عنهما راضٍ، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون ... واستمر في حديثه إلى أن قال في أبي بكر: وكان والله خير من بقي، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعاً، وأقدمه سناً وإسلاماً، فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك، ثم ولى عمر الأمر من بعده... فأقام الأمر على منهاج النبيﷺ وصاحبه، يتبع اثارهما كاتباع الفصيل[1] أمه... إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما، ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع اثارهما والحب لهما، ألا من أحبني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه برأي[2].

وكان رضي الله عنه يدافع عن اجتهادات عثمان بن عفان ويقول: يا أيها الناس! لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً، أو قولوا خيراً فوالله ما فعل الذي فعل – أي في المصاحف – إلا عن ملأ منا جميعاً أي الصحابة.. ووالله لو وليت لفعلت

مثل الذي فعل[3]، وكان يقول: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[4].

عاشراً: حق الأمة في الرقابة على الحكام:

إن للأمة الحق في مراقبة الحكام وتقويمهم؛ قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ **[آل عمران: 104]**. وكان أول ما قاله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إثر توليه.. إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، إلا أنه ليس لي أمر دونكم[5]. وهذا نفس ما قاله أبو بكر عندما تولى ؛ حيث قال: فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني[6]. وما قاله عمر: أحب الناس إلي من رفع إلي عيوبي[7]. وقال: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تهيباً مني[8]. وما قاله عثمان: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد

---

[1] الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

[2] شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للآلكائي ، رقم 4456.

[3] فتح الباري (8/9) ، إسناده صحيح.

[4] المختصر من كتاب الموافقة ، ص 140؛ إسناده منقطع ابن أبي شيبة المصنف رقم 120.

[5] تاريخ الطبري (449/5، 457).

[6] البداية والنهاية (305/6).

[7] الشيخان أبي بكر وعمر من رواية البلاذري ، ص231.

[8] المصدر السابق نفسه؛ نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ، ص198.

فضعوا رجلي في القيد[1].

وبذلك يكون قد جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام، ولم ينكره أحد، فدل ذلك على الإجماع[2]، كما أن إجماع الصحابة – حكاماً ومحكومين – في عهد الخلافة الراشدة ليس له إلا معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة، فهم الذين عاصروا عهد تنزيل الكتاب، وعاشوا طريقة النبيﷺ في إقامة حياة الناس عليه، فهم أفهم الناس لروح الدين، وأعرف الناس بمقاصد الشرع، وأقدر الناس على التمييز بين الحق والباطل، ومن المستبعد – بل من المحال – أن يجتمعوا على باطل، لقول النبيﷺ : «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة»[3]، ولهذا كان إجماعهم حجة يسوغ أن تراعى وتوضع ضمن مصادر الدستور الإسلامي، وإجماع الأمة قد يكون على فهم نص، ويجوز أن ينعقد الإجماع عن اجتهاد وقياس، ويكون حجة[4].

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كان يحث الناس في خلافته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد خطب ذات يوم

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار، فأخذتهم العقوبات، فَمُرُوا بالمعروف وانْهُوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرب أجلاً[5].

الحادي عشر: الشورى:

إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين، والنزول على رضاهم ورأيهم، وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: 38]. لقد قرنت الآية الكريمة

---

(1) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم 524.
(2) الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي ، فتحي عبد الكريم ، ص 378.
(3) سنن ابن ماجه (264/2) رقم 4014.
(4) روضة الناظر وجنة المناظر (385/1).
(5) تفسير ابن أبي حاتم (15/3)؛ تفسير ابن كثير (603/2).

حكم الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدلَّ ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة واجبة شرعاً، فكذلك الشورى واجبة شرعاً[1]، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حريصاً على التزام منهج الشورى في تصرفاته وأعماله وقراراته، فمن ذلك أنه حينما وصل إليه كتاب من قائده معقل بن قيس الرياحي المكلف بمحاربة الخريث بن راشد الخارجي جمع أصحابه وقرأ عليهم كتابه، واستشارهم وطلب منهم الرأي؛ حيث اجتمع رأي عامتهم على قول واحد وهو: نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس فيتبع أثر الفاسق، فلا يزال في طلبه حتى يقتله أو ينفيه، فإنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس[2].

ومما روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الشورى قوله: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه[3].

وقوله: نعم المؤازرة المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد[4]. وقوله: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام[5].

ومما أوصى به أمير المؤمنين علي مالك بن الحارث الأشتر حين بعثه إلى مصر في الشورى قوله: لا تدخلن في مشورتك بخيلاً فيعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً فيضعفك عن الأمور، ولا حريصاً فيزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله[6].

وكان علي رضي الله عنه يعلم أن الحاكم إذا لم يكن له مستشارون فلا يعلم محاسن دولته ولا عيوبها، وسوف يغيب عنه الكثير من شؤون الدولة وقضايا الحكم، وكان يعلم أن الشورى تعرفه ما يجهله، وتضع أصابعه على ما لا يعرفه، وتزيل شكوكه في كل الأمور التي يقدم عليها، فها هو يقول للأشتر النخعي عندما ولاه مصر: انظر في أمور عمالك الذين تستعملهم، فليكن استعمالك إياهم اختياراً ولا يكن محاباة ولا إيثاراً، فإن الأثرة بالأعمال – أي: الاستبداد بلا مشورة – والمحاباة بها جماع من شعب الجور، والخيانة لله، وإدخال الضرر على الناس، وليست تصلح أمور الناس ولا أمور الولاة إلا بإصلاح من يستعينون به على أمورهم، ويختارونه لكفاية ما غاب عنهم، فاصطفِ لولاية أعمالك أهل الورع والعفة، والعلم والسياسة، والصق بذوي التجربة والعقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة، وأهل الدين والورع، فإنهم أكرم أخلاقاً وأشد لأنفسهم صوناً وإصلاحاً، وأقل في المطامع إسرافاً، وأحسن في عواقب الأمور نظراً من غيرهم؛ فليكونوا عمالك

---

(1) النظام السياسي في الإسلام لأبي فارس، ص9.

(2) تاريخ الطبري (39/6).

(3) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص 89، 291؛ الإدارة العسكرية (279/1).

(4) نهاية الأرب (69/6)، نقلاً عن الإدارة العسكرية (279/1).

(5) المصدر السابق نفسه (75/6)، المصدر السابق نفسه.

(6) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (279/1).

وأعوانك[1].

الثاني عشر: العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامي: الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد: العدل والمساواة، وقد قام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بإقامة العدل بين الناس، وقد تضافرت كل الخصال الحميدة والمعطيات العلمية والفقهية التي جعلته مؤهلاً للقيام بدوره هذا على أكمل وجه، حتى إن الرسول ﷺ لثقته به وبقدراته بعثه قاضياً إلى اليمن[2]، وقد دعا له رسول الله ﷺ بهذا الدعاء العظيم: «اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه»[3]، لذلك كان من الطبيعي أن يقيم حكمه على العدل الشامل، وأن يجعله على رأس غايات وأهداف الحكم؛ لأنه به تستقيم الأمور، وتظهر المودة بين الرعية[4].

ولا شك أن العدل في فكر أمير المؤمنين علي هو عدل الإسلام الذي هو الدعامة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي، فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل، لقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدوة في عدله أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل في نظره الذي يسعى لتطبيقه في الحكم هو أحد أهم ركائز الخلافة الراشدة، دعوة عملية للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول ﷺ، فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس.

فعن شريح قال: لما توجه علي رضي الله عنه إلى حرب معاوية رضي الله عنه، افتقد درعاً له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة، أصاب الدرع في يد يهودي يبيعها في السوق، فقال له: يا يهودي، هذا الدرع درعي، لم أبع ولم أهب. فقال اليهودي: درعي وفي يدي. فقال علي: نصير إلى القاضي، فتقدما إلى شريح، فجلس علي إلى جنب شريح، وجلس اليهودي بين يديه. فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم، أقول: إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب. فقال شريح: يا أمير المؤمنين ! بينة، قال: نعم؛ قنبر[5]والحسن والحسين يشهدون أن الدرع درعي، قال: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحسن والحسين سيدا

(1) نهاية الأرب (21/6) ، في الحكم الإسلامي ، ص151 ؛ الشورى بين الأصالة والمعاصرة ، عز الدين التميمي ، ص102.
(2) نظام الحكم في العهد الراشدي ، حمد العمد ، ص141.
(3) فضائل الصحابة (871/2) ، إسناده حسن ، رقم 1195.
(4) نظام الحكم في العهد الراشدي ، ص141.
(5) مولى لعلي رضي الله عنه.

شباب أهل الجنة»[1]. فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه؟ أشهد أن هذا لحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الدرع درعك، كنت راكباً على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين، فوقعت منك ليلاً، فأخذتها. قال: أما إذ قلتها فهي لك: وحمله على فرس، فرأيته وقد خرج فقاتل مع علي الشراة بالنهروان[2].

ومن أمثلة عدله في الحكم: عن ناحية القرشي، عن أبيه قال: كنا قياماً على باب القصر، إذ خرج علي علينا، فلما رأيناه تنحينا عن وجهه هيبة له، فلما جاز صرنا خلفه، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل: يا غوثاً بالله، فإذا رجلان يقتتلان، فلكز صدر هذا وصدر هذا، ثم قال لهما: تنحيا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين! إن هذا اشترى مني شاة وقد شرطت عليه أن لا يعطيني مغموزاً ولا محذقاً - يعني الدراهم المعيبة - فأعطاني درهماً مغموزاً، فرددته عليه، فلطمني، فقال للأخر: ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين ! قال: فأعطه شرطه، ثم قال للاّطم: اجلس، وقال للملطوم: اقتص، قال: أو عفو يا أمير المؤمنين. قال: ذلك إليك، قال: فلما جاز الرجل؛ قال علي: يا معشر المسلمين خذوه، قال: فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشرة درة، ثم قال: هذا نكال لما انتهكت من حرمته، وفي رواية أنه قال: هذا حق السلطان[3].

هذا وإن هذا الخبر ليعتبر مثلاً عالياً للتواضع؛ حيث يخرج أمير المؤمنين من بيته إلى السوق يتفقد أحوال الناس، ويقوم بنفسه في حل مشكلاتهم، وهو نوع من السلوك العالي الذي يبرز وجود الولاة في واقع حياة الرعية؛ سواء قام بذلك الوالي الأكبر أو من دونه، ولا يلزم تكرر هذا الوجود كل يوم، إذ يكفي شعور الناس بأن الولاة معهم في مشكلاتهم ليطمئن صاحب الحق على بقاء حقه في حوزته، وعودته إليه فيما لو اعتُدي عليه، وليرتدع من تسوّل له نفسه الاعتداء على حقوق الناس، وقبل ذلك وأهم منه: أن يرتدع كل من يحدث نفسه بالاعتداء على حق الله تعالى.

وهذا الوجود المتلاحم بين الوالي والرعية يظهر بصور متعددة تتناسب مع أنماط الحياة في كل عصر، فلا يقولن قائل بأن ما قام به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعتبر سائغاً في عصره، ولكنه بعيد التصور في هذا العصر، فإنه لا عبرة بالأشكال والصور، وإنما العبرة بالأهداف والمقاصد التي بها تتحقق الحياة السعيدة للمسلمين، وذلك برعاية حق الله أولاً ثم حقوق الناس العامة والخاصة.

وفيما أمر به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من إجراء العقوبة على المعتدي مع تنازل صاحب الحق دلالة على إدراكه رضي الله عنه لمقاصد الإسلام من حفظ الأمن، وإشاعة السلام بين المؤمنين، وذلك سيردع من تميل نفسه إلى الاعتداء

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة ، رقم 12225؛ المستدرك (166/3) ، حديث صحيح من أوجه كثيرة.

(2) الشراة: الخوارج. النهروان: بين واسط وبغداد.

(3) تاريخ الطبري (72/6-73).

على غيره إذا عرف بأن العقوبة ستجرى عليه ولو عفا عنه خصمه[1].

ومن مواقف عدله رضي الله عنه: ما رواه عاصم بن كليب عن أبيه قال: قدم على علي بن أبي طالب مال من أصبهان[2]، فقسمه سبعة أسباع، فوجد فيه رغيفاً، فقسمه سبع كسر، وجعل على كل جزء كسرة، ثم أقرع بينهم، أيهم يعطى أول[3]، وأما ما مبدأ المساواة الذي اعتمده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في دولته، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام، قال تعالى: ﴿يأيها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، وجاءت ممارسة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لهذا المبدأ خير شاهد.

ومن هذه المواقف: حرصه على تقسيم المال فور وروده إليه على الناس بالتساوي، بعد أن يحتجز منه ما ينبغي أن يأخذ من على المرافق العامة، ولم يكن يستبيح لنفسه أن يأخذ من هذا المال إلا مثلما يأخذ غيره من الناس، كما أنه كان يعطي معارضيه من الخوارج من العطاء مثلما يعطي غيرهم، وهذا قبل سفكهم للدماء، واعتدائهم على الناس[4].

وكان رضي الله عنه يساوي في العطايا بين الناس، وذلك يكون اقتداء بالصديق في هذا الباب، وكان رضي الله عنه لا يفضل شارفاً على مشروف، ولا عربياً على أعجمي، فقد دفع مرة طعاماً ودراهم بالتساوي إلى امرأتين إحداهما عربية، والثانية أعجمية ، فاحتجت الأولى قائلة: إني والله امرأة من العرب، وهذه من العجم، فأجابها علي: إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق.

وكذلك لما طلب إليه تفضيل أشراف العرب وقريش على الموالي والعجم، قال: لا والله، لو كان المال لي لساويت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم[5]؟

وعن يحيى بن سلمة قال: استعمل علي عمرو بن سلمة على أصبهان، فقدم ومعه ماله وزقاق فيها عسل وسمن، فأرسلت أم كلثوم بنت علي إلى عمرو تطلب منه سمناً وعسلاً، فأرسل إليها ظرف عسل وظرف سمن، فلما كان الغد خرج علي وأحضر المال والعسل والسمن ليقسم، فعد الزقاق فنقصت زقين، فسأله عنهما، فكتمه وقال: نحن نحضرهما، فعزم عليه إلا ذكرها له، فأخبره، فأرسل إلى أم كلثوم فأخذ الزقين منها، فراهما قد نقصا، فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة

---

(1) التاريخ الإسلامي للحميدي (433/12، 423).

(2) أصبهان: مدينة عظيمة في بلاد فارس.

(3) الكامل في التاريخ (442/2).

(4) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ، ص216.

(5) تراث الخلفاء الراشدين ، ص101.

دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها، ثم قسم الجميع[1].

وعن أبي رافع وقد كان خازناً لعلي رضـــي الله عنه على بيت المال، قال: دخل يوماً وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفها، فقال: من أين لها هذه؟ لله علي أن أقطع يدها، قال: فلما رأيت جده في ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخي، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطِها، فسكت[2].

الثالث عشر: الحريات:

مبدأ الحرية من المبادئ الأساسية التي قام عليها الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضـمن حدود الشـريعة الإسـلامية وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسـلام لحرية الناس - جميع الناس - دعوة واسعة عريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة في التاريخ، وكانت أول دعوة أطلقها في هذا المجال هي دعوته الناس في العديد من الآيات القرآنية لتوحيد الله، والتوجه له بالعبادة وحده دون ســـائر الكائنات والمخلوقات، وفي دعوة التوحيد هذه كل معاني الحرية والاستقلال لبني الإنسـان، أضف إلى ذلك أن الإسلام عرف الحرية بكل معانيها ومدلولاتها ومفاهيمها، فتارة تكون فعلاً إيجابياً كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتارة فعلاً ســـلبياً كالامتناع عن إكراه أحد في الدخول في الدين، وفي أحيان كثيرة يختلط معناها بمعنى الرحمة، والعدل والشـورى والمسـاواة، لأن كل مبدأ من هذه المبادئ التي نادى بها الإسـلام لا يستقيم أمره ولا يمكن تحقيقه إلا بوجود الحرية، وقد أسـهم مبدأ الحرية مساهمة فعالة إبان حكم الخلفاء الراشدين خاصة بانتشار الدين الإسلامي، وبتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم، لأن الإسـلام كرم الإنسـان وكفل حرياته على أوسع نطاق، ولأن النظم السياسية الأخرى السـائدة آنذاك في دولة الروم والفرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية، وفئوية قاسى بسببها الرعايا - وبصورة خاصة المناوئون السياسيون والأقليات الدينية - أشد درجات الكبت والاضطهاد والظلم.

وأما في الإسـلام في عهد النبيﷺ والخلفاء الراشـدين، فقد كانت الحريات العامة المعروفة في أيامنا معلومة ومصونة تماماً[3]، وقد كان لأمير المؤمنين علي رضـي الله عنه أقوال تدافع عن الحريات، ومواقف تدعم هذا المبدأ في المجتمع الإسـلامي. فمن أقواله: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد[4]. وقوله الموجز هذا يدل على أن الاعتداء على الناس كافة بأي شـــكل

---

[1] الكامل في التاريخ (442/2).
[2] تاريخ الطبري (72/6).
[3] نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ، ص157-158.
[4] المصدر السابق نفسه ، ص165.

كان غير جائز في الإسلام، وذكر المعتدين بعذاب الله يوم القيامة وفي أيام عهد الراشدي.

وعرف عنه قوله: ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن[1]، وقوله هذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس من الجائز أخذ الناس بالشبهات والحكم عليهم لمجرد الظنون والشكوك، بل ينبغي أن يكون ذلك بـ (الثقة)، أي: باليقين المستند إلى أدلة دامغة وأكيدة لا تقبل الجدل حولها، وخير هذه الأدلة ما نصت عليه الشريعة[2].

وبذلك يكون المبدأ الذي أقرته التشريعات الجزائية الحديثة القائل بأن المتهم يبقى بريئاً حتى إثبات العكس قد عرفه الإسلام منذ أمد بعيد[3].

وقد تجلى مبدأ الحرية على أروع صوره ومعانيه أيام علي رضي الله عنه، فبالرغم من ظروف استثنائية (فتن، مؤامرات، وحروب)، تبرّر الحاجة إلى تقييد حرية الأفراد في ذهابهم وإيابهم وإقامتهم أو ما يسمى في العصر الحديث بقانون الطوارئ؛ إلا أن علياً لم يقيد حرية أحد، سواء كان من أتباعه أم من خصومه، ولم يكره أحداً على الإقامة والبقاء في ظل سلطانه أو على الخروج منه ولا حتى على المسير معه لمقاتلة أعدائه، ولم يصد أحداً من الناس عن اللحاق بمعاوية[4]، كما أنه لم يقيد حرية أصحاب عبد الله بن مسعود وعبيدة السلماني والربيع بن خُثَيْم، ولم يكرههم على المسير معه لمقاتلة أهل الشام عندما رفضوا ذلك، بل سمح لهم بالذهاب لبعض الثغور نزولاً عند رغبتهم[5]، وعندما ثار عليه الخوارج بعد معركة صفين بسبب قبول التحكيم، فإنه لم يكره أحداً منهم على البقاء في ظل سلطانه أو الخروج منه، بل بالعكس فقد كان يأمر عماله بعدم التعرض لهم في طريقهم طالما أنهم لا يفسدون في الأرض ولا يعتدون على الناس[6]، وقال لهم: ... إن لكم عندنا ثلاثاً، لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[7].

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) هذه الأدلة هي: البينة الخطية المنظمة وفقاً لأحكام الشريعة ، أو الثابتة بشهادة رجلين أو بشهادة رجل وامرأتين ، وأحياناً بشهادة أربعة رجال كما في حالة الزنى.

(3) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ، ص166.

(4) المصدر السابق نفسه ، ص159.

(5) المصدر السابق نفسه.

(6) المصدر السابق نفسه ، ص160.

(7) تاريخ الطبري (688/5).

المبحث الثالث : حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك:

إن حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عامرة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، وتعريف الناس معاني الإيمان، والاعتماد والتوكل على الله والخوف منه سبحانه وتعالى، والتعريف به من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومحاربته للشرك بجميع أشكاله وأنواعه، ومن خلال توجيهه وتعليمه وتربيته للناس على دعوة التوحيد ومحاربة الشرك أمور؛ منها:

1- **قوله رضي الله عنه: «لا يرجوَنَّ عبد إلا ربَّه، ولا يخافَنَّ إلا ذنبه»[1]؛**

فهذا من أحسن الكلام، وأبلغه وأتمه، فإن الرجاء يكون للخير، والخوف يكون من الشر، والعبد إنما يصيبه الشر بذنوبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30].

فالراجي يطلب حصول الخير ودفع الشر، ولا يأتي بالنعم إلا الله، ولا يذهب المصائب إلا الله ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: 107]، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: 2].

والرجاء مقرون بالتوكل، فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المنفعة ودفع المضرة، والتوكل لا يجوز إلا على الله، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: 59]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]؛ فهؤلاء قالوا: حسبنا الله، أي: كافينا الله في دفع البلاء، وأولئك أُمروا أن يقولوا: حسبنا في جلب النعماء، فهو - سبحانه - كاف عبده في إزالة الشر وفي إنالة الخير، أليس الله بكاف عبده، ومن توكل على غير الله ورجاه خذل من جهته وحرم، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: 41]. ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: 81، 82]، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾

---

[1] الفتاوى (101/8).

[الحج: 31]، ﴿لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً﴾ [الإسراء: 22].

وقال الخليل: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17]، فمن عمل لغير الله رجاء أن ينتفع بما عمل له، كانت صفقته خاسرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: 39]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: 18]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]، كما قيل في تفسيرها: كل عمل باطل إلا ما أريد به وجهه، فمن عمل لغير الله ورجاه بطل سعيه، والراجي يكون راجياً تارة بعمل يعمله لمن يرجوه، وتارة باعتماد قلبه عليه والتجائه إليه وسؤاله، فذاك نوع من العبادة له، وهذا نوع من الاستعانة به، وقد قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: 30].

ومما يوضح ذلك: أن كل خير ونعمة تنال العبد فإنما هي من الله، وكل شر ومصيبة تندفع عنه أو تكشف عنه، فإنما يمنعها الله، وإنما يكشفها الله، وإذا جرى ما جرى من أسبابها على يد خلقه، فالله – سبحانه – هو خالق الأسباب كلها سواء كانت الأسباب حركة حي باختياره وقصده، كما يحدثه تعالى بحركة الملائكة والجن والإنس والبهائم، أو حركة جماد بما جعل الله فيه من الطبع، أو بقاسر يقسره كحركة الرياح والمياه ونحو ذلك، فالله خالق ذلك كله، فإنه لا حول ولا قوة إلا به[1]، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالرجاء يجب أن يكون كله للرب، والتوكل عليه والدعاء له، فإنه إن شاء ذلك ويسره كان وتيسر ولو لم يشأ الناس، وإن لم يشاه ولم ييسره لم يكن وإن شاءه الناس[2]، هذا بعض المعاني من قول أمير المؤمنين: لا يَرْجُوَنَّ أحد إلا ربه[3].

وأما قوله: ولا يخافن أحد إلا ذنبه[4]، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: 131]. بين سبحانه أن الحسنة من الله ينعم بها على الناس، وأن السيئة إنما تصيبهم بذنوبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]، فأخبر أنه لا يعذب مستغفراً، لأن الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب، فيندفع العذاب، كما في سنن أبي داود وابن ماجه عن النبيﷺ أنه

---

(1) الفتاوى (102/8).

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) المصدر السابق نفسه (99/8).

(4) المصدر السابق نفسه (99/8).

قال: «من أكثر الاستغفار؛ جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[1].

وقال تعالى: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ *وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [يونس: 2 – 3]. فبين: أن من وحده واستغفره متعه متاعاً حسناً إلى أجل مسمى، ومن عمل بعد ذلك خيراً زاده من فضله، وفي الحديث: «يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله، والاستغفار[2]، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء؛ فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً »[3].

وقال عمر بن عبد العزيز: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 173 – 175].

فنهى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان، وأمرهم بخوفه، وخوفه يوجب فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاستغفار من الذنوب؛ وحينئذ يندفع البلاء وينتصر على الأعداء، فلهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا يخافن عبد إلا ذنبه[4]، وإن سلط عليه مخلوق فما سلط عليه إلا بذنوبه، فليخف الله، وليتب من ذنوبه التي ناله بها ما ناله[5]، كما في الأثر: «يقول الله: أنا الله، مالك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، من أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشتغلوا بسبِّ الملوك، وأطيعوني أعطف قلوبهم عليكم»[6].

2- تعريف أمير المؤمنين الناس بأسماء الله وصفاته:

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: 19]، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

وقد بين القرآن الكريم أن معرفة الأسماء الحسنى وصفاته العلى من أعظم الوسائل في زيادة الإيمان وقوته وثباته، ومعرفتها

---

(1) سنن ابن ماجه ، رقم 3819 ، سنن أبي داود ، رقم 1518.

(2) مسند أبي يعلى (123/1) ، رقم 136؛ مجمع الزوائد (210/1) ، وهو ضعيف.

(3) الفتاوى (100/8).

(4) المصدر السابق نفسه ، (99/8).

(5) المصدر السابق نفسه ، (101/8).

(6) المصدر السابق نفسه.



تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوي يقينه[1]، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: 110].

وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً – مئة إلا واحدة – من أحصاها، دخل الجنة»[2]، أي: من حفظها، وفهم معانيها، واعتقدها، وتعبد الله بها؛ دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون[3].

ولأهمية هذا العلم قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يا طالب العلم: إن للعالم ثلاث علامات: العلم بالله، وبما يحب الله، وبما يكره الله[4].

وقال في معرض وصفه للمولى سبحانه وتعالى: هو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق فأقام خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة في السموات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السموات العلى، كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تحيّره الأصوات، ولا تشغله اللغات ... مدبر بصير، عالم بالأمور، حي قيوم ... سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات[5].

وجاء يهودي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فسأله: متى كان ربنا؟ فتمعر[6] وجه علي بن أبي طالب وقال: لم يكن فكان؟ هو كان ولا كينونة، كان بلا كيف، كان ليس قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية. فأسلم اليهودي[7].

ومما يرويه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في صفات الله سبحانه وتعالى قوله: قال رسول الله ﷺ :

---

(1) الوسطية في القرآن الكريم للصَّلَّابِيّ ، ص228.
(2) البخاري ، كتاب الدعوات ، رقم 6410.
(3) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي ، ص41.
(4) تاريخ اليعقوبي (207/2)؛ منهج علي بن أبي طالب ، ص91.
(5) حلية الأولياء (73/1).
(6) تمعر: تغير. لسان العرب (181/5).
(7) تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص206.

«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[1].

إن معرفة أسماء الله وصفاته، وتأمل معانيها، والإيمان بها؛ تثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره ونهيه، كما توجب اللجوء إليه في الكربات، وسؤاله عند الحاجات، واستغاثته في الملمات وغيرها من أنواع العبادات القلبية[2].

3- تعريف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الناس بنعم الله المستوجبة لشكره:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مذكراً بالله سبحانه وتعالى وبنعمه على عباده: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقَّت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعاً تعي ما عناها، وأبصاراً لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، في تركيب صورها وما أعمرها، فإن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله، وجدوا في الطلب، بادروا بالعمل مقطع النهمات وهادم اللذات[3].

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحث الناس على القرب من الله بشكر النعم الحاصلة، ويحذرهم من الركون إليها والأمن معها، ويرغبهم فيما عند الله من المزيد في حال شكر النعم، حيث يقول: فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله ، واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكره بالزيادة[4].

ودعا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس إلى التفكر في أنفسهم فقال: من عرف نفسه فقد عرف ربه[5]، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].

4- حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على محو آثار الجاهلية:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ في جنازة، فقال: «أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع وثناً إلا كسره، ولا قبراً إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟» فقال علي رضي الله عنه: أنا أنطلق يا رسول الله، فقال: «فانطلق

---

(1) مسند أحمد (173/2). قال أحمد شاكر: إسناده حسن.

(2) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص92.

(3) الحلية (78/1) ، صفة الصفوة (328/1).

(4) البداية والنهاية (309/7).

(5) مطلوب كل طالب من شرح كلمات علي بن أبي طالب ، لمحمد عبد الجليل العمري ، مخطوط ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص96.

فانطلق»، ثم رجع فقال: يا رسول الله، لم أدع بها وثناً إلا كسرته، ولا قبراً إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها، ثم قال رسول الله ﷺ : «من عاد لصنعه شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[1].

وعندما أصبح أميراً للمؤمنين أرسل أبا الهياج الأسدي وقال له: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته[2]، فأمره بمحو التماثيل، وأن تكون القبور مدروسة معالمها.

الغرض من زيارة القبور عند أمير المؤمنين علي(3):

وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كثيراً ما يقصد المقبرة زائراً ومتعظاً، وقد أشرف على المقبرة فقال: يا أهل القبور أخبرونا بخبركم، أما خبركم قبلنا فالنساء قد تزوجن، والمال قد قسم، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو نطقوا لقالوا: لم نر خيراً من التقوى[4].

وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يسعى جاهداً في تجريد التوحيد، وقطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، ولذلك حذر من اتخاذ القبور مساجد لما تسببه من الفتنة في أهلها، وكونها ذريعة إلى عبادة الأموات، وقد وصف رضي الله عنه من فعل ذلك بأنه من شرار الناس، كما في قوله: شرار الناس من يتخذ القبور مساجد[5]، وهذا اتباع لقول رسول الله ﷺ : «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[6]، وغيره من الأحاديث التي صحت في هذا المعنى.

كما لا بد من التنبيه على أن الغرض من زيارة القبور أمران، كما هو بيّنٌ من الهدي النبوي الشريف: الاتعاظ بالموت، والدعاء للميت والترحم عليه، وليس في واحد منها ما يدل على أن الزائر يقصد القبر، ليقضي حاجته؛ فقصد القبر للانتفاع به مخالف لهدي النبيﷺ، ومخالف لأدب زيارة القبور التي نص عليها العلماء[7].

بل إن قصد القبر رجاء قضاء الحاجة هو عين ما حذر منه النبيﷺ أصحابه عندما سألوه أن يجعل لهم ذات أنواط، ففي حديث أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط؛ يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم (ذات أنواط)، فقال النبيﷺ : «سبحان الله، هذا كما

---

(1) مسند أحمد (68/2) ، قال أحمد شاكر: إسناده حسن.
(2) مسلم ، كتاب الجنائز (666/2).
(3) الغرض: الاتعاظ والدعاء للأموات . فقه علي ، قلعجي ، ص494.
(4) الاستذكار (234/1).
(5) مصنف عبد الرزاق (405/1)؛ كنز العمال ، رقم 22522.
(6) فتح الباري (376/4) ، إسناده حسن.
(7) الغلو في الدين ، د.الصادق الغرياني ، ص119.

قيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»[1].

وفي عدة المريد يقول الشيخ الزروق بعد أن ذكر الحديث المتقدم: ولا يجوز عند العلماء تعظيم مكان، أو شجر، أو بناء، أو أي شيء اخر له أصل في معتقدات الجاهلية، رجاء الشفاء أو قضاء حاجة[2]، ثم قال: في الحديث دليل على منع كل ما يستدام أو يكون له أصل في عبادة الجاهلية من خشبة أو حديدة أو حجر أو بناء ونحوه، لا يمتهن أو يكون مستهلكاً[3]. ولا شك أن القبر له أصل في عبادة الجاهلية، بل هو أصل أصولها، ولا أدل على ذلك، من أن أشهر أصنامهم التي عبدوها من دون الله، سواء في جاهليتهم اللاحقة: (اللات)، هي أسماء لرجال صالحين ماتوا فغالوا في تعظيمهم حتى عبدوهم من دون الله[4]، وهنا كان حديث النبيﷺ وفعل سيدنا علي له عمل عظيم في حماية جناب التوحيد. ويتضح لنا أن ما يفعله بعض جهلة المسلمين من تعظيم القبور والطواف حولها والتعلق بأهلها؛ أمر محرم يخالف أمر الله وسيرة أمير المؤمنين، فعلى العلماء الربانيين الذين يرجون الله واليوم الاخر أن يقتدوا بالنبيﷺ كما فعل أمير المؤمنين علي، وأن يسعوا لتعبيد الناس لربهم وجعل قلوبهم تتعلق بالله الواحد القهار، وأن يحاربوا العوائق في الطريق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

أ- الزيارة الشرعية للقبور:

إن الزيارة الشرعية للقبور سنة مجهولة عند الكثيرين، قد غفلها جمع من الناس لفشو البدع والخرافات في العالم الإسلامي، وعدم إرشاد أهل العلم الناس إلى هذه الزيارة المشروعة، وتقصير الدعاة في توضيح هذا النوع المباح، وما يقال عند الزيارة، فالزيارة الشرعية الغرض منها: تذكر الموت ومكان الإنسان ونهايته، وأنه سيأتي اليوم الذي يكون هذا موضعه ومضجعه الذي يزوره الآن، مما يعين على الثبات على الطاعة، وحث النفس والأخذ بزمامها نحو العبادة، خاصة إذا أصابها فتور وتقاعس عن العبادة، كما يشرع فيها السلام على الأموات والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة، ومن الأدلة على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يخرج من اخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»، وفي رواية عنها رضي الله عنها في قصة جبريل، حين جاء النبيﷺ وأخبره أن الله تعالى يأمره أن يستغفر لأهل بقيع الغرقد، قالت عائشة رضي الله عنها: كيف أقول لهم يا رسول

---

(1) سنن الترمذي ، رقم 2180 ، حسن صحيح.
(2) عدة المريد ، ص 206 ، الغلو في الدين للغرياني ، ص 119.
(3) عدة المريد ، ص 206 ، المصدر السابق نفسه ، ص 119.
(4) الغلو في الدين للغرياني ، ص 119.

الله؟ فقال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[1].

وقد بيَّن العلماء عدم جواز البناء على القبور، كما بيّنوا اداب زيارة الرسول ﷺ، ودعاء العبد لربه، وأنه ليس بين العبد وربه واسطة:

* قال الكاساني الحنفي في كتابه بدائع الصنائع: «وكره أبو حنيفة البناء على القبر، والكراهة إذا أطلقت فهي للتحريم، وقد صرح بالتحريم ابن مالك من الأحناف»[2].

* قال الطحاوي الحنفي: «ولا يستلم القبر ولا يقبله؛ فإنه من عادة أهل الكتاب، ولم يعهد الاستلام إلا للحجر والركن اليماني خاصة»[3].

* قال القاضي عياض عن مالك: «لا أرى أن يقف عند قبر النبيﷺ، ولكن يسلم ويمضي. وروى ابن وهب عنه: أنه قال: ويدنو ويسلم ولا يمس القبر»[4].

* وقال رزوق المالكي: «من البدع: اتخاذ المساجد على قبور الصالحين ... والتمسح بالقبر عند الزيارة، وهو فعل النصارى، وحمل تراب القبر تبركاً به، وكل ذلك ممنوع بل يحرم»[5].

* وقال الشافعي: «ولم أرَ قبور المهاجرين والأنصار مجصصة». وقال أيضاً رحمه الله: «وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها، فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك»[6].

* وقال النووي: «ويكره مسحه – قبر النبيﷺ – باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هذا هو الصواب الذي قال العلماء وأطبقوا عليه»[7].

وقال السبكي في فتواه: «ولا يمس القبر ولا يقرب منه ولا يطوف به»[8].

---

(1) بدائع الصنائع (32/1).
(2) مسلم (671/1) ، رقم 974.
(3) حاشيته على مراقي الفلاح ، ص 340.
(4) كتاب شرح الشفاء (152/2).
(5) شرح رسالة القيرواني (244/1).
(6) الأم (916/11).
(7) الزواجر عن اقتراف الكبائر (244/1).
(8) فتاوى السبكي (289/1).



ب- تاريخ الاحتفال بالمزارات في الأضرحة:

يذكر أن أول من أحدث الاحتفال بالمزارات السنوية في الأضرحة هم العبيديون (الفاطميون) في القرن الرابع، ذكر ذلك المقريزي أحمد بن علي قال: كانت لهم ستة موالد، مولد النبيﷺ، ومولد علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وفاطمة رضي الله عنهم، ومولد الخليفة، وكانوا ينحرون عند قبر الحسين الإبل والبقر والغنم[1]، ولم يكن المسلمون قبل هذا التاريخ في القرون الثلاثة الأولى يقيمون الأضرحة، ولا يحتفلون بها، ولا أدل على ذلك من أن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم دفنوا خارج البقيع في مصر والشام والعراق، لا تعرف قبورهم، ومن عرف قبره منهم؛ فمختلف فيه بين المؤرخين، وكُتّاب السير، فكيف خفيت قبورهم عن أهل السير، وهم الصلحاء والعلماء وأعلام الهدى، الذين حملوا راية الدين والعلم، والجهاد والعبادة ؟! لو كان للأضرحة في زمانهم وزمان تابعيهم ذكر لما خفي مكانها، ولما اختلف المؤرخون فيها، وفعل الناس لهذا الأمر بعد القرون الأولى خير القرون لا يكسبه مشروعية بحال، كيف وقد نهى النبيﷺ عن اتخاذ قبره عيداً، فمن يفعل ذلك من الناس فإنما يفعل عين ما حذر منه النبيﷺ، ويحتج بعمله، وعمل شيخه، ويقدمه على هدي رسول الله ﷺ وأصحابه، والله تعالى يقول: ﴿لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1]، ويقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

ج- ارتباط المزارات بالتخُّلف والجهل:

ارتفع شأن القباب والتوابيت - المضروبة على القبور - خلافاً لأمر رسول الله ﷺ بتسويتها كما بيَّن لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتفنن الناس في زخرفتها بالألوان الزاهية، ونصبت عليها ستائر الحرير كستائر الكعبة، وحرست بالأبواب الفاخرة، وزودت بخزائن الحديد الثقيلة، لجمع ما يجود به الزائرون، وما ينفقونه على أصحاب الأضرحة من نذور، لتقضى حوائجهم وتتحقق امالهم، وازدهرت الحياة للمتعيشين على خدمة الضريح وحراسته، رواة الكرامات، ورواة التحذير الصارم بسوء عاقبة كل من يحاول أن يشكك في سلامة ما يجري.

ومن المعروف أن التبجيل على هذا النحو للأضرحة لم يزدهر إلا يوم أن تخلف المسلمون، وضعفت هممهم، في عصور الانحطاط العلمي، والجمود الفكري، يوم أن حوَّلوا نور الرسالة المحمدية، التي استطاعت في الأربعين سنة الأولى من عمرها أن تجعل أهل الأرض من فارس إلى المغرب يدينون بها، حوَّلوا هذه الرسالة الحضارية المشرقة الى دروشة وخمول، وبطالة

---

[1] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (427/1، 490)؛ الغلو في الدين للغرياني ، ص 103.

وتعلق بالأوهام، وقصروا همهم على أمور ما كان سلفنا الصالح، الذي ملأ الدنيا علماً وعملاً صالحاً يقف عندها، ولا يلتفت إليها، ألا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا: هل وجد شيء من هذا على عهد الصحابة فعلوه لقبر رسول الله ﷺ وهو أفضل قبر على وجه الأرض ؟ أو لقبورهم، وهم أفضل أمته ؟ أو وجد شيء منه حتى عهد الأئمة الذين يقتدى بهم، كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد رحمهم الله ؟ أليس عدم وجود شيء من ذلك عندهم دليل على أن ما يجري لا صلة له بالدين، ولا بالعبادة، ولا بالولاية ؟ وإنما هي مظاهر التخلف والجهل، استغلها من لهم مصلحة باسم الدين، أياً كانت المصلحة، لتخدير العامة والاستيلاء على عقولهم، وجيوبهم، وأكل أموالهم وشدهم إلى الوراء؟

لقد ظل الإسلام قروناً عديدة يتزعَّم العالم قوة ومعرفة، وحضارة، وتشريعاً، وأخلاقاً، ورحمة بالإنسانية، وتطلعاً إلى الابتكار، ومعالي الأمور، ذلك كان حال المسلمين يوم أن كان تعلقهم بحقيقة الإسلام، فلما أعرضوا عن ذلك، واستبدلوا ما عندهم من العلم والهداية، بمفاهيم مغلوطة تعتمد على التواكل والبطالة والدروشة والتعلق بالغيبيات، التي لم يقم عليها دليل، ولم يأمرنا الله بها، وسموا كل ذلك (بركة)، تسمية للشيء بضده، وأحرى بمن يعرض عن الهداية وأسبابها أن يكون من الضالين، وعن البركة من المبعدين[1].

د- الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة:

كان للحملات الغربية الاستعمارية مواقف في تشجيع المسلمين أن ينحو هذا المنحى ليبتعدوا عن جوهر الدين، ذكرت صحيفة التايمز الإنجليزية قول أحد رجال الاستعمار البريطاني يحض على تشجيع البدع والأوهام بين المسلمين؛ يقول: فإن ذلك كفيل بإبعادهم عن الإسلام. يقول الشيخ أحمد الباقوري: إن أحد كبار الشرقيين حدثه عن بعض أساليب الاستعمار في آسية، أن الضرورة كانت تقضي بتحويل القوافل الاتية من الهند إلى بغداد، عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جديد، للمستعمر فيه غاية، ولم تُجْدِ الوسائل في جعل القوافل تختاره، وأخيرا اهتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة في هذا الطريق، وما هو إلا أن تناقل الناس الإشاعات بما فيها من الأولياء، وبما شوهد من كراماتهم، حتى صارت تلك الطريق مأهولة، ومقصودة عامرة[2].

وقد اهتمت الحكومة الإنجليزية بالحالة الدينية في مصر، وهي ترصد التحرك الشيوعي في المنطقة، فكان مما طمأنها على تدين المصريين: أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا في ذلك العام، يقول أحد العلماء الذين أوفدوا من

---

(1) الغلو في الدين للغرياني ، ص105.

(2) انظر: ليس من الإسلام ، لمحمد الغزالي ، ص 224.



وزارة الأوقاف لوعظهم: لقد كنت أشهد من أعمالهم ما يستدعي الجلد بالسياط لا ما يستدعى الزجر بالكلام، ولو دعوا إلى واجب ديني صحيح لفروا نافرين، وحسبك معرفة حالهم أنهم جاؤوا الضريح المذكور للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء[1].

هـ- هل المزارات من الإحداث في الدين؟

مات رسول الله ﷺ وهو أكرم الخلق على الله تعالى وأتقاهم لله، وأخشاهم لله، وتوقير أصحابه له غير خافٍ، ومحبتهم إياه لا تقدر، وقُبر ﷺ في بيته، ومكان قبره الشريف معروف لدى أصحابه غير مجهول، وهو أفضل قبر في الدنيا، فلم يقيموا عليه مشهداً، ولا بناء، ولا قباباً، ولم يجتمع عند قبره الخلفاء الراشدون إحياء لذكراه في يوم من السنة معلوم في (مزار)، ولا غيرهم من أصحابه الأخيار، اغتناماً للذكر والعبادة، بل كانوا إذا مروا بقبره الشريف يصلون ويسلمون عليه كما أمرهم ربهم، وكانوا يطيعون أمره ويتبعون سننه، ويهتدون بهديه، ويقفون عند أمره ونهيه، حياً وميتاً، امتثالاً لأمر ربهم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]، وخلفاؤه هم القدوة الحسنة الذين أمرنا رسول الله باتباع سنتهم والعض عليها بالنواجذ، ولم ينقل أحد من أهل الإسلام أن أصحابه اجتمعوا ليلة في السنة عند قبره للذكر والعبادة، رجاء البركة، وهم أولياء الله، وحزب الهدى، وأنصار الحق، وكتائب الدين، وأعلم منا بما يحبه رسول الله ﷺ، وأحرص على الطاعة، وتعظيم رسول الله ﷺ في قلوبهم وتوقيره، بالمكان الذي لا يخفى، ولا يختلف عليه، لأن الذي نطق به القرآن، وأجمع على تعظيمهم له، ومحبته وتوقيرهم إياه أهل الإسلام، ولو كان هذا العيد السنوي عند قبره مما يقرب إلى الله، ولا يخاف منه فساد في الدين لكانوا أسبق إليه، ولم يأمرهم رسول الله ﷺ في حياته بشيء من هذا، ولا وجد في سنته بفعل ولا تقرير ما يدل على مشروعيته عند قبر النبي ﷺ بعد موته، أو عند أحد من قبور أصحابه الذين ماتوا، ومرت عليهم السنون في حياته، فلم يتعبد هو ولا أصحابه بشيء من هذا، وهو أكمل الخلق عبودية لله، وأكملهم علماً بما يُرضي الله تعالى، ونصحه لأمته، وحرصه على ما ينفعهم نزل به القرآن ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

وقد نهانا النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً، فقال رسول الله ﷺ : «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[2]، ومعنى عيد: من العود، وهو الرجوع والمعاودة، لأنه يتكرر مرة بعد مرة، أي: لا تجعلوا لزيارة قبري أياماً معلومة، وأوقاتاً مخصوصة، كل شهر، أو كل سنة، أو غير ذلك، في اجتماع عام يتكرر بصفة ثابتة

---

(1) الغلو في الدين للغرياني ، ص105.

(2) فتح الباري (376/4) ، إسناده حسن.



كالعيد، ولا تتخذوه منسكاً ترحلون إليه كالحج، ولا تشبهوا باليهود والنصارى، فإنهم يفعلون ذلك، وقد أدى بهم الأمر إلى الغلو والمبالغة في الإطراء، حتى جعلوا المسيح عليه السلام إلهاً، وقد حذر النبيﷺ أصحابه من ذلك فقال ﷺ : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[1].

فإذا كان الحال من النهي في التعلق بقبر النبيﷺ، وهو أكرم الخلق على الله، وهو سيد الأولين، والاخرين، وأفضل الخلق أجمعين، وأرجى الشفاء عند الله يوم الدين، فما بالك بقبور الأموات من دونه من الأولياء والصالحين، فتكون مخالفة نهيه في ذلك باتخاذ قبورهم أعياداً، داخلة في الشق الثاني من الحديث، وهو ما يقرب إلى من يخالف نبيه في قوله عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

فهذا هو هدي خير القرون، فمن خالفهم زاعماً أنه أتى بطاعة وقربه، فلا يخلو حاله من أمرين: إما أنه جاء ببدعة ظلماً، وإما أن يكون مدعياً أنه فاقهم فضلاً وعلماً.

بل كان الإمام مالك رحمه الله تعالى يقول: من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول اللهﷺ خان الدين، لأن الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3]، فما لم يكن يومئذ ديناً، لا يكون اليوم ديناً[2]. وكان يقول: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق[3].

إن إقامة (المزارات) عبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا أصحابه، بل نهى عنها، ومخالفته من الإحداث في الدين الذي

ينتهي بصاحبه إلى الضلال كما أخبر النبيﷺ، فقد كان مما يخطب به في كل جمعة محذراً: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[4]، وقال رسول الله ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[5].

إن جمع الناس في يوم معين على الدوم، في مكان ما، تشد إليه الرحال من كل حدب وصوب للعبادة، لا يجوز إلا فيما شرعه الله تعالى من إقامة النُّسك في مكة، وعرفة، ومنى، والمزدلفة، وفي صلوات الأعياد والجمعة والجماعة، وهي الشعائر التي أمر الله تعالى بتعظيمها، وإقامتها، وأثنى على أهلها بقوله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى

(1) البخاري ، رقم 3345.
(2) الاعتصام للشاطبي (53/2).
(3) الغلو في الدين للغرياني ، ص 109.
(4) مسلم ، رقم 867.
(5) البخاري ، رقم 2697.

الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32] وإحداث مشــهد اخر غير ما ذكر، في يوم من الســنة، من الإحداث في الدين، لأنه إحداث عبادة ونسـك لم يشـرعها الله تعالى، فإن هذه المزارات صـارت عند العامة كالنسـك، يجتمع إليها الناس في يوم من السـنة معلوم للذبح والعبادة، وتشــد إليها الرحال، وهذا في ذاته أمر مذموم، فإن الطاعات المطلقة المندوب إليها في كل وقت، إذا خصـص شـيء منها بليلة معينة، أو يوم معين، أو مكان معين، لم يخصـصـه الشـرع به، واعتقد أن لفعلها في ذلك الوقت المعين، أو المكان المعين، أثراً خاصــاً في البركة، أو رفع الدرجات، أو قبول العمل، أو تعظيم الأجر، تحولت تلك الأعمال التي هي من جنس الطاعات إلى بدعة بالاتفاق، لأن ترتيب الثواب على الأعمال، أمر توقيفي لا يكون إلا من الشــارع، وقد جرَّ هذا إلى مفاسـد عظام، منها: اعتقاد العامة في أصـحابها الذين بنيت عليهم القباب خلافاً لنهي رسـول الله ﷺ، فاعتقدوا فيها الضــر والنفع، وقضــاء الحوائج، وتقربوا إليه بالذبائح والقرابين في يوم معلوم من الســنة، عند إقامة المزار، وتودَّدوا إليها بعد ما أشـاعوا حولها أن من سـاق إليها الحيوان ليذبح في ذلك اليوم، وكانت له حاجة يرجوها من ربه، مثل ولد إن كان لا يلد، أو شـفاء مرض إن كان مريضـاً – لا يرجع إلا بها، فصـارت ملجأ لنجاح المطالب، وسـألوا منها ما سأله العباد من ربهم واستغاثوا بها، وأن حوائجهم تقضى لهم من ربهم بواسطتها وعن طريقها، حتى صاروا يذبحون عندها، لاستنزال المطر إذا تأخر المطر، معرضين عن كتاب الله وهدي رسول الله ﷺ الذي أمر بالتوبة والاستغفار والدعاء والصلاة طلباً للســقيا، وقد ينزل المطر بعد ذبحهم، اســتدراجاً وابتلاء، ولكن عملهم لا يزال من أعمال الشــياطين، ومعتقدات الجاهلية[1]، فإلى الله المشتكى.

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضــي الله عنه دعا للتوحيد وحارب الشــرك وأســبابه، فعلى محبّيه ومتبعيه أن يأخذوا بأقواله وأفعاله التي ترشـدنا للتمسـك بالقرآن الكريم وهدي النبي عليه الصـلاة والسـلام، وما أحسـن كلامه عندما قال: لا يرجون أحد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه[2]. وقوله لأبي الهياج الأسـدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسـول الله ﷺ : أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته[3].

ز- حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على بطلان الاعتقاد بالكواكب:

لما أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسـافر لقتال الخوارج، عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين! لا تسافر، فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك – أو كما قال –، فقال علي: بل أسافر

([1]) الغلو في الدين، ص 111-112.

([2]) الفتاوى (101/8).

([3]) مسلم، كتاب الجنائز (666/2).



ثقة بالله وتوكلاً على الله وتكذيباً لك، فسافر فبورك له في ذلك السفر فقتل عامة الخوارج[1]. وجاء في رواية: ... فلما فرغ من النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر[2].. انظر إلى حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على سلامة عقيدة أصحابه مما ادعاه المنجم من ذلك الاعتقاد الفاسد، فعلي رضي الله عنه مع ما كان فيه من الأمر المهم من قتال الخوارج، وانشغاله بنتيجة المعركة، فإنه لم ينسى تلك الكلمة التي قالها ذلك المنجم له في بداية مسيره، فكان منه بيان فساد ذلك المعتقد في الوقت المناسب بعد انتهاء قتاله للخوارج وانتصاره عليهم[3].

ح- إحراق أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية:

عن عبد الله بن شريك العامري، عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم، ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء الله، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا؛ فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر، فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك. فلما كان اليوم الثالث، قال: لئن قلتم ذلك لا قتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فأدخلهم أخدوداً بين المسجد والقصر، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا[4] قال:

إني إذا رأيت الأمر أمراً منكراً، أوقدت ناري ودعوت قنبرا[5]

كما أخرج البخاري في صحيحه خبر الإحراق من حديث عكرمة، قال: أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ حيث قال: «لا تعذبوا بعذاب الله»، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه»[6]. وقال ابن تيمية: وثبت عنه أنه حرق غالبية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية[7]. لم ير ابن عباس رضي الله عنهما، رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إحراق السبئية، حيث يقول: لو

([1]) مجموع الفتاوى (179/35) ، البداية والنهاية (288/7).
([2]) البداية والنهاية (288/7).
([3]) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص 329.
([4]) فتح الباري (270/12) ، سنده حسن.
([5]) المصدر السابق نفسه ، سنده حسن.
([6]) البخاري ، كتاب المرتدين (279/4).
([7]) الفتاوى (474/28)؛ منهاج السنة (12/5).

كنت أنا لم أحرقهم محتجاً عليه بنهي رسـول الله ﷺ : «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقوله ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه»[1].

قال ابن حجر: وهذا يحتمل أن ابن عباس سمعه من رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون سمعه من بعض الصحابة.

وفي رواية أبي داود: فبلغ ذلك علياً، فقال: ويح أم ابن عباس[2] ! وهذا يحتمل أنه لم يرض بما اعترض به ورأى أن النهي للتنزيه[3]. وقال ابن حجر أيضـــا: (ويح) كلمة رحمة، فتوجع له لكونه حمل النهي على ظاهره، فاعتقد التحريم مطلقاً، فأنكره، ويحتمل أن يكون قالها رضـاً بما قال، وأنه حفظ ما نسـيه بناء على أحد ما قيل في تفسـير (ويح)، أنها تقال بمعنى المدح والتعجب[4]، وقال: واختلف السـلف في التحريق، فكره ذلك عمر، وابن عباس، وغيرهما مطلقاً سـواء كان ذلك بسبب كفر، أو في حال مقاتلة، أو كان قصـاصـاً، وأجازه علي، وخالد بن الوليد وغيرهما، وقال المهلب: ليس هذا النهي على التحريم، بل على سبيل التواضع.

ويدل على جواز التحريق فعل الصـحابة، فقد سمل النبيﷺ أعين العرنيين بالحديد المحمى، وقد حرق أبو بكر البغاة بالنار بحضـرة الصـحابة، وحرق خالد بن الوليد بالنار ناسـاً من أهل الردة، وأكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصـون والمراكب على أهليها، قاله الثوري، والأوزاعي. وقال ابن المنير وغيره: لا حجة فيما ذكر للجواز، لأن قصـــة العرنيين كانت إما قصاصاً أو منسوخة كما تقدم، وتجويز الصحابي معارض بمنع صحابي اخر، وقصة الحصون والمراكب مقيدة بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقاً للعدو[5].

وقال ابن القيم: وحرق أبو بكر رضـي الله عنه اللوطية وأذاقهم حر النار في الدنيا قبل الاخرة، وكذلك قال أصـحابنا: إذا رأى الإمام تحريق اللوطي فله ذلك، فإن خالد بن الوليد رضـي الله عنه كتب إلى أبي بكر الصـديق رضـي الله عنه أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلاً ينكح كما تنكح المرأة، فاستشار الصديق أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم علي بن أبي طالب وكان أشـدهم قولاً، فقال: إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم، إلا واحدة فصـنع الله بهم ما قد علمتم، أرى أن يحرق بالنار. فكتب أبو بكر إلى خالد أن يحرقوا فحرقهم، ثم حرقهم عبد الله بن الزبير في خلافته، ثم حرقهم هشـــام بن عبد الملك[6].

---

(1) البخاري ، كتاب المرتدين (279/4).
(2) سنن أبي داود ، كتاب الحدود (520/4) صححه الألباني.
(3) فتح الباري (271/12).
(4) المصدر السابق نفسه ، (272/12).
(5) فتح الباري (150/6).
(6) الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، ص22-23.



ط- كيفية بداية الإيمان في القلب عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتعريفه للتقوى:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد العبد إيماناً ازداد القلب بياضاً، وكلما ازداد العبد نفاقاً ازداد القلب سواداً، حتى إذا استكمل العبد النفاق اسود القلب، وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسود[1].

وقد بيَّن علماء أهل السنة حقيقة الإيمان فقالوا بأن الإيمان هو التصديق بالقلب، والنطق بالشهادتين، والعمل بالجوارح والأركان؛ أي هو: اعتقاد وقول وعمل، فهذه الثلاثة كلها مندرجة فيه وتمثل أجزاء من حقيقته، وقد تواترت أقوال العلماء ومن بعدهم على هذه الحقيقة، واستدلوا بأدلة كثيرة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على صحة هذا القول في حقيقة الإيمان[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 2 – 4].

فقد جمعت هذه الآيات – وهي تعرض صفات المؤمنين – بين عمل القلب وعمل الجوارح، واعتبرت هذا كله إيماناً، وقصرت الإيمان عليه بأداة القصر والحصر (إنما)، وعرفت المؤمنين بتلك الصفات مجتمعة، عندما ضمنتها بعبارة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ وأعمال الجوارح في هذه الصفات هي: إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله[3].

وقال رسول الله ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[4]. والشاهد في الحديث ما ذكره رسول الله ﷺ، فالشهادة قول، وإماطة الأذى عن الطريق عمل، والحياء خلق وسلوك، وجعل الثلاثة من الإيمان دليل على حقيقته، ومعظم شعب الإيمان هي أعمال[5]. وقال الإمام البخاري في صحيحه: هو قول وفعل يزيد وينقص، والحب في الله والبغض في الله من الإيمان.

وقال عمر بن عبد العزيز: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص[6].

---

(1) الفتاوى (191/7).

(2) في ظلال الإيمان للخالدي ، ص23.

(3) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين ، ص 188.

(4) مسلم ، كتاب الإيمان (63/1) ، رقم 57.

(5) في ظلال الإيمان ، ص30.

(6) البخاري ، كتاب الإيمان (9/1).

وما قاله أمير المؤمنين في الإيمان لما سئل عنه: الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شعب: على الشوق، والشفق، والزهد، والترقب؛ فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات، واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الأولين. فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة، ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين. والعدل منها على أربع شعب: على غائض الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم، ورساخة الحلم، فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش بين الناس حميداً. والجهاد منها على أربع شعب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنئان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شناي الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة[1].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تعريفه للتقوى: ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة[2]. وقال فيها: التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل[3]، ففي اهتمام أمير المؤمنين في حث الناس على التقوى ثمرات واثارٌ في جانب الفرد والمجتمع؛ منها: محبة الله له: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4]، معية الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، الانتفاع بالقرآن: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، الحفظ من الشيطان ووساوسه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]، انتفاء الخوف والحزن: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: 35]، قبول العمل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]، اليسر بعد العسر، والمخرج بعد الضيق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2]. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]. الفراسة والحكمة والنور: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ [الأنفال: 29]. دخول الجنة: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]. النجاة من النار: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 72]. المنزلة العالية يوم القيامة[4]: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: 212].

---

(1) نهج البلاغة ، ص 667-668.

(2) تفسير الرازي (21/2).

(3) فرائد الكلام ، ص 334.

(4) سورة الحجرات ، دراسة تحليلية موضوعية للعمري ، ص236-237.

ي- القضاء والقدر عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلانه، حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خلَّيا بينه وبين قدره، وإن عليَّ من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[1].

وقال رضـي الله عنه: إن الأمر ينزل من السـماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصـان في نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصاً في نفسه أو أهله أو ماله، ورأى لغيره عثرة فلا يكونن ذلك له فتنة، فإن المسلم ما لم يعش دنياه يظهر تخشـعاً لها إذا ذكرت، ويغري به لئام الناس؛ كالبائس العالم ينتزر أول فورة من قداحة توجب له المغنم، وتدفع عنه المغرم، فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسنيين، إذا ما دعا الله، فما عند الله خير له، وإما أن يرزقه الله مالاً، فإذا هو ذو أهل ومال، ومعه حسبه ودينه، وإما أن يعطيه الله في الاخرة، فالاخرة خير وأبقى، الحرث حرثان: فحرث الدنيا والمال والتقوى، وحرث الاخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعها الله تعالى لأقوام[2].

ك- كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟

قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـي الله عنه: كيف يحاسـب الله العباد على كثرة عددهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرة عددهم[3].

ثانياً: خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتحليلها:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومي، وخصـوصـاً يوم الجمعة حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر الهامة في توجيه الأمة وترشـيدها، وقد حفظ التاريخ لأمير المؤمنين علي كثيراً من خطبه، وهذه إشارات عبرت عن خطبة، وإليك هذا النموذج الفريد العجيب من خطبه حيث قال:

---

(1) حياة الصحابة (614/2)؛ فرائد الكلام ، ص 348.

(2) البداية والنهاية (8/8)؛ فرائد الكلام ، ص 343.

(3) أدب الدنيا والدين ، ص 26؛ فرائد الكلام ، ص339.



أما بعد؛ فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت[1] بوداع، وإن الاخرة قد أقبلت وأشـــرفت باطلاع، وإن المضــــمار[2] اليوم، وغداً السباق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله، ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة، وإنه لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها، وإنه من لم ينفعه الحق ضـــره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودللتم على الزاد، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضــر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الاخرة وعد صـــادق يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشـــيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم: أيها الناس، أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عصـاه، إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسـيرها، ولا يجبر كسـيرها، حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد[3].

ولو تأملنا في المقطع السابق لوجدنا أن عوامل التأثير في المدعوين تتمثل فيما يلي:

1- صـدق اللهجة النابعة من إيمانه بما يدعو إليه، مما يجعل كلماته كأنها قبس من نفسـه المشـتعلة، وصـورة من عواطفه المنفعلة، فهو لا يكاد ينطق بالجملة حتى تكون أسماعهم قد تلقفتها، وقلوبهم قد وعتها.

2- تمتاز الألفاظ بالقوة، مع سهولتها وعذوبتها وسلاستها، كما أن عبارتها واضحة، وجملتها قصيرة، ولعل ذلك يسعف السامعين بإدراك المعنى المراد.

3- المقابلة بين المعاني المتضادة مما يزيد المعنى وضوحاً، والسامع تأثراً، ومن ذلك مثلاً: قوله: فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع .. وإن الاخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وقوله: وإنه لم أر كالجنة نام طالبها.. ولا كالنار نام هاربها.

4- الاقتباس من القرآن الكريم، كما في قوله: ألا إن الشـــيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشـــاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم، ذلك مقتبس[4]، من قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 268].

5- لقد كانت عناصـر الخطبة المذكورة تتمثل في التأثر الشـديد بالقرآن الكريم، وبكلام الرسـول ﷺ، وواقعيتها واتصـالها الحميم بالحياة البشـرية، وعمق المعاني وسموها وشمولها، والإجادة في تخير الألفاظ وبناء العبارة، والإيجاز، والتعبير عن المعاني

---

(1) أذنت: أعلمت.

(2) المضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل للسباق.

(3) البداية والنهاية (7/8).

(4) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله.

والألفاظ بالصور، واعتماد الوسائل البديعية، وغاية القول، فإن هذه الخطبة تكتسب أهمية خاصة لما تتكشف عنه من مزايا دينية وأدبية وشخصية، فهي عميقة الدلالة على شخصية صاحبها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تنبئ عن إدراكه السليم للمفاهيم والآراء الإسلامية السديدة التي تتناول طبيعة الدنيا، وغاية الوجود البشري، والمصير الذي ينتهي إليه، وتوضع النتائج التي توصَّل إليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا الخصوص، وتدلنا على ما كان يتحلَّى به من حكمة نافذة، ورؤيا معمقة يرفدها صفاء ذهنه وطهارة روحه، إلى غير ذلك من المزايا العقلية والروحية العالية التي أفاضها عليه إيمانه وتقاه، وتمسكه بعرى الإسلام، واعتصامه بربه، ورضاه بقضائه، إن هذا كله قد ساعده في الوصول بالنثر الفني إلى هذا المستوى الرفيع، فكان بحق في عالم الأدب فارس الكلمة وقائدها وإمامها، تماماً كما كان في الناس إماماً عادلاً زاهداً، وقائداً حكيماً مجرباً، وفارس حرب لا يبارى[1].

هذا وقد اهتم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بانتهاز المناسبات في وعظ الناس وتذكيرهم، ولم يكتفِ بخطب الجمعة فقط، فعندما شيع جنازة ووضعت في لحدها، وعجَّ[2] أهلها وبكوا، قال: ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم، لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم. وإن له فيهم لعودة ثم عودة، ثم لا يبقي منهم أحداً .. فاتقوا الله عباد الله، وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسند مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالآيات والأثر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمَّكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور وسياقة المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار، لكل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: 69].

فارتجت لذلك اليوم البلاد، وناد المناد، وكان يوم التلاق، وكشف عن ساق، وكسفت الشمس، وحشرت الوحوش، مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار، وارتجت الأفئدة[3].

ونستنتج من هذه الموعظة بعض عوامل التأثير منها:

1- وقوع الموعظة في مناسبتها، فإن الموعظة كانت بمناسبة تشييع جنازة، والنفوس في هذه الحال تكون مستعدة لتلقي ما تذكر به في الموت والدار الاخرة.

---

(1) الأدب العربي ، حبيب يوسف مغنية ، ص 354 إلى 363.

(2) العج: رفع الصوت. الصحاح للجوهري (327/1).

(3) حلية الأولياء لأبي نعيم (78/1)؛ صفة الصفوة (328/1).

2- الصياغة البلاغية للموعظة، فمواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تتميز بأسلوبها البلاغي المؤثر في نفوس المدعوين، فمن الجوانب البلاغية في النموذج المذكور ما يلي:

أ- الاستعارة؛ مثل قوله: فكأن قد علقتم مخالب المنية. تشبيه الموت (المنية) بحيوان مفترس، له مخالب، فحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وصفاته وهو المخالب.

ب- السجع العفوي غير المتكلف مثل قوله: فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسند مائل.

ج- الصيغ الإنشائية[1]، وهي مبثوثة في الخطبة كلها منها: (ما تبكون؟) استفهام.. (اتعظوا عباد الله بالعبر) نداء.. (اتعظوا، اعتبروا، وازدجروا، وانتفعوا ...) كل هذا على سبيل الأمر.

د- جزالة الألفاظ، لعل أي جزء من الخطبة يكون شاهداً عليها، لأن الخطبة كلها لا خلل فيها ولا ضعف.

3- اعتماد المضمون على القرآن الكريم وانتهاجها منهجه في الإرشاد والإقناع، كقوله: «كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21] ».

4- الترهيب بذكر أهوال يوم القيامة، كقوله: «ودهتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة المحشر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار».

5- الإقناع؛ ومن ذلك قوله: كم مرضت بيديك وعللت بكفيك، ممن تطلب له الشفاء وتستوصف له الأطباء.. للإقناع بحصول الموت، والارتحال عن الدنيا والقدوم على الاخرة، وأنه لا مهرب ولا فكاك.

6- استحضار الصورة، وذلك لتعبيره بالفعل الماضي عما سيحدث في المستقبل، حتى يتصور السامع هذا الأمر الذي ينتظره، ومن ذلك قوله: فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور.

7- لطف العبارة بحيث تستهوي السامعين ولا تنفرهم[2].

فهذه بعض النماذج من خطب ومواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والتي انتشرت بين الناس، وساهمت في تربيتهم، وتهذيب نفوسهم، وتطهير قلوبهم، وكان مفعولها سارياً في جيله والأجيال التي بعده إلى يومنا هذا.

---

(1) وهي: الكلام الذي لا يحتمل التصديق والتكذيب.

(2) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص145.

ثالثاً: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والشعر:

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية في عهد الخلفاء الراشدين كانت نشطة، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد في الأسانيد على الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين بإحسان ما عدا بعض الأراجيز التي كانت تردد في العهد النبوي وروتها كتب الحديث الشريف[1].

فالمراجع فيما يتعلق بالشعر، والشعراء في عهد أمير المؤمنين علي؛ هي كتب الأدب والأدباء، فهي غنية في هذا الجانب، ولا يختلف موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من الشعر عن مواقف الراشدين الذين سبقوه إلى سدة الخلافة، فكلهم يستقون من كتاب الله وسنة رسوله، فهو يستمع إلى الشعراء ينشدون بين يديه ما يطلب له أن يسمعه من صادق القول ورفيع المعاني، وكان يعطي على الشعر إذا استساغه وأعجبه، كما مر معنا عندما قال الأعرابي:

كسوتني حُلَّةً تبلَى محاسِنُها ... فسوف أكْسُوكَ من حسنِ الثَّنا حُلَلا[2]

ولعلي اراء نقدية راقية في الشعر، ما زالت معايير يعتمدها النقاد في عصرنا الحاضر، فهو يقول: الشعر ميزان القول[3]، أي: أن للشعر خصائص فنية يعرف بها صحيح القول من سقيمه في مقاييس أهل هذا الفن الكلامي، وإن خالف في أغراضه قيم قوم اخرين[4].

وأما أمير المؤمنين الشاعر، فقد اختلف في كثير مما ينسب إليه من شعر، وهذا الاختلاف لا يقلل من شاعريته المتمثلة فيما رجحت نسبته إليه، ولا يقدم ولا يؤخر في إمامته اللغوية والأدبية، ولكن يبدو للباحث أن الشعر لم يكن غاية عنده، كما أن سيرته السياسية وما رافقها من أحداث جسام لم تكن لتسمح له بالالتفات إلى صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعاني الجميلة واختيار القوافي الرنانة المؤثرة، ومع ذلك فقد اشتهر له شعر كثير، ونسب إليه ديوان شعر يشتمل على العديد من القصائد والمقطوعات، فيه الكثير من الأقوال المرتجلة والآراء السديدة السامية، وكان أول من شكك في نسبة بعض القصائد إليه ابن هشام، فقد روى أن علياً كان يرتجز في أثناء بناء مسجد الرسول في المدينة:

لا يستوي من يعمر المسجدا ... يدأب فيه قائماً وقاعدا

---

[1] المدينة النبوية فجر الإسلام (98/2).
[2] العمدة لابن رشيق (16/1).
[3] العمدة لابن رشيق (14/1).
[4] الأدب الإسلامي ، نايف معروف ، ص192.

ومــن يُــرى عــن الــغــبــار حــائــدا[1]

ويعقب ابن هشام قائلاً: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به، ثم يقول: فلا يدرى أهو قائله أم غيره[2].

وفي موضع اخر يقول ابن هشام: وقد روى ابن إسحاق ثلاث قصائد منسوبة لعلي، ولم تصح له، ويرجح أنها قيلت في المعارك الإسلامية من قبل أحد المسلمين، وقد نظروا إلى معانيها الدينية فرأى الرواة أنها تناسب علياً، فنسبوها له.

وأما الديوان الذي نسب إليه فيرى الدكتور نايف معروف أن أمير المؤمنين علياً بفصاحته المعهودة وبلاغته المشهودة، هو أرفع مستوى من مجموع هذا الديوان، ويغلب على الظن أنه خليط لشعراء من مستويات متفاوتة قام بجمعها بعض محبيه الذين عز عليهم ألا يكون شاعراً، ظناً منهم أن ذلك يرفع من قدره عند الناس، علماً أن علياً لم يكن بين شعراء الرسول الذين تولوا الرد على الحملة الدعائية التي شنها شعراء المشركين على الإسلام والمسلمين[3]، ولكن الأمر لم يصل إلى حد الرواية التي نقلها ياقوت الحموي عن أبي عثمان المازني، حينما يزعم أنه لم يصحَّ أن علياً تكلم من الشعر بشيء غير بيتين[4]، فهناك روايات عديدة جاءت تخالف هذا القول، إذ أثبت له الرواة عدداً من المقطوعات التي صحت نسبتها إليه عندهم[5].

ومن الأشعار التي نسبت إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

1- في الفرج والشدة:

إذا اشــتــمــلــتْ عــلــى الــنــاسِ الــقــلــوبُ ... وضــاقَ بمــا بِــهِ الصَّــدْرُ الــرَّحــيــبُ

وأوطــنــتِ المــكــارِهُ واطــمــأنَّــتْ ... وأرسَــتْ في أمــاكــنــهــا الخــطــوبُ[6]

ولم تــرَ لانــكــشــافِ الضُّــرِّ وجــهــاً ... ولا أغــنــى بحــيــلــتِــهِ الأريــبُ[7]

أتاكَ عــلــى قــنــوطٍ مــنــك غــوثٌ ... يمــنُّ بــه الــقــريــبُ المســتــجــيــبُ[8]

---

[1] سيرة ابن هشام (497/1).

[2] السيرة النبوية ابن هشام (497/1).

[3] الأدب في الإسلام ، د.نايف معروف ، ص195.

[4] معجم الأدباء ، ياقوت(263/5).

[5] الأدب في الإسلام ، ص195.

[6] الخطوب: الأمور العظيمة.

[7] الأريب: العاقل.

[8] البداية والنهاية (10/8).

وكــلُّ الحــادثات إذا تــنــاهَــتْ فــمــوصــولٌ بهـا الـفـرجُ الـقـريـبُ[1]

2- في الصبر:

ألا فـاصـبرْ عـلـى الحَـدَثِ الجـلـيـلِ وداو جَـوَاك بالصَّـبْرِ الجَـمِـيـلِ[2]

ولا تجـزعْ فـإنْ أُعْسِـرْتَ يـومـاً فَـقَـدْ أُيْسِـرتَ في الـدَّهْـرِ الـطَّـويـلِ

ولا تَـظْـنُـنْ بـربِّـك ظـنَّ سـوءٍ فـإنَّ اللهَ أولَى بالجَـمـيـلِ

فـإنَّ الـعُسْـر يَـتْـبـعُـهُ يَسَـارٌ وقـولُ اللهِ أصـدُق كـلِّ قـيـلِ

فـلـو أنَّ الـعـقـولَ تجـرُّ رزقـاً لـكـانَ الـرِّزْقُ عـنـدَ ذَوِي الـعُـقُـولِ

فَـكَـمْ مِـنْ مُـؤْمِـنٍ قَـدْ جـاعَ يـومـاً سَـيُرْوَى مـنْ رَحِـيـقِ السَّـلْسَـبِـيـلِ[3]

3- في حرص الناس على الدنيا:

لـلـنـاسِ حـرصٌ عـلـى الـدُّنـيـا وتـدبـيرُ وفي مـرادِ الهَـوَى عَـقْـلٌ وتَشْـمِـيْرُ

وإنْ أَتَـوا طـاعـةَ اللهِ ربِّهِـمْ فـالعقـلُ منهم على الطَّـاعَـاتِ مَـأْسُـورُ

لأجـلِ هـذَا وذاكَ الحِـرْصُ قَـدْ مَـزَجَـتْ صـفـاءَ عَـيْشَـاتِهَـا هَـمٌّ وتَـكْـدِيـرُ

لم يـرزقـوهـا بـعـقـلٍ عِـنْـدَمـا قُسِـمَـتْ لـكـنَّـهُـمْ رُزِقُـوهـا بالمِـقَـادِيـرِ

كَـمْ مِـنْ أديـبٍ لـبـيـبٍ لا تسـاعِـدُهُ ومـائـقٍ نالَ دُنْـيـاهُ بـتـقـصـيرِ

لـو كـان عَـنْ قـوَّةٍ أَوْ عـن مـغـالـبـةٍ طـارَ الـبُـزاةُ بأرزاقِ الـعصـافـيرِ[4]

4- في الصداقة:

فـلا تصـحبْ أَخَـا الجَهْـلِ وإيَّـاك وإيـاهُ

فَكَـمْ مِـنْ جَاهِـلٍ أَرْدَى حَليمـاً حـينَ اخَـاهُ

يقـاسُ المـرءُ بالمـرءِ إذا مـا هـو مـا شَـاهُ

وللشَّـيءِ مـن الشـيءِ مقـاييسٌ وأشـباهُ

قيـاسُ النَّعْـلِ بالنعـلِ إذا مـا هـو حـاذاهُ

وللقلـبِ علـى القلـبِ دليـلٌ حـين يلقـاهُ[5]

5- في التواضع والقناعة:

([1]) المصدر السابق نفسه (10/8).

([2]) الجوى: الشوق.

([3]) البداية والنهاية (11/8).

([4]) البداية والنهاية (11/8).

([5]) المصدر السابق نفسه (12/8).

حــقــيــقٌ بالــتــواضُـــع مــن يمــوتُ ويــكــفــي المــرءَ مِــنْ دُنْــيــاه قــوتُ
فــمــا لــلــمــرءِ يُصْـــبــحُ ذا هـمــومٍ وحــرصٍ لــيــسَ تُــدْرِكُــهُ الــنــعــوتُ
صـــنــيــعُ مـلــيــكِــنــا حَسَـــنٌ جـمـيـلٌ ومـــا أرزاقُـــهُ عَـــنَّـــا تـــفـــوتُ
فــيــا هــذا سَـــتَرْحَــلُ عــن قــلــيــلٍ إلى قــومٍ كــلامُــهُــمُ الســـكــوتُ [1]

6- في السر وكتمانه:

ولا تُــفْــشِ ســـرَّك إلا إلــيــك فــإن لــكــلِّ نصــيــح نصــيــحــا
فـــإني رأيـــتُ غُـــواةَ الـــرجـــالِ لا يــتركــونَ أديمــاً صـــحــيــحــا [2]

رابعاً: من حكم أمير المؤمنين علي التي سارت بين الناس:

تهيأ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مجموعة من الأسباب: من سرعة البديهة، وذلاقة اللسان، ورجحان العقل، وطهارة القلب، وصفاء النفس، وعمق الإيمان، والتضلع في الدين، والقرب من رسول الله ﷺ، وتلقي الوحي عنه، ما مكنه من فصاحة اللسان، وجودة البيان، فأصبحت كلماته درراً، وجمله حكماً أعجبت ذوي العقول، فهي لأهل البلاغة مطلب، ولأهل الهداية مغنم، ففيها حثٌّ لهم على فضائل الأعمال، وجميل الخصال، وأصبحت حكمه الجميلة مادة قيمة في مجال دعوة الناس وتعليمهم، وتهذيب نفوسهم، وتنوير عقولهم، وإحياء قلوبهم، لما فيها من جودة التعبير، ووضوح المعاني، وعمق التفكير، وفوق ذلك فهي تنبع من قلب تقي، وصدر نقي[3]، ومن هذه الحكم على سبيل المثال ما يلي:

1- صلاة الليل بهاء في النهار[4]: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: 64]، وقال أيضاً في قيام الليل: نور المؤمن من قيام الليل[5].

2- صلاح الدين من الورع، وفساده من الطمع[6].

---

(1) المصدر السابق نفسه (12/8).
(2) عيون الأخبار لابن قتيبة (97/1).
(3) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص275.
(4) نثر اللآلي ، مخطوطة ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ، ص276.
(5) المرجع السابق نفسه ، ص276.
(6) المرجع السابق نفسه .

3- طوبى لمن عمل بعلمه[1].

4- الفرصة تمرُّ مرَّ السحاب[2].

5- قسوة القلب من الشبع[3].

6- الشرف بالفضل والأدب، لا بالأصل والنسب[4].

7- جمال الخُلُقِ أبهى من جمال الخَلْق[5].

8- في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق[6].

9- المعروف كنز من أفضل الكنوز[7].

اجتمع عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه جماعة فتذاكروا المعروف، فانتهز أمير المؤمنين هذا الحديث لترغيبهم فيه وحثهم عليه؛ فقال: المعروف كنز من أفضل الكنوز، وزرع من أزكى الزروع، فلا يزهدنكم في المعروف كفر من كفره، وجحد من جحده، فإن من يشكرك عليه ممن لم يصل إليه منه شيء أعظم مما ناله أهله منه، فلا تلتمس من غيرك ما أسديت إلى نفسك، إن المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال: تصغيره، وستره، وتعجيله، فإذا أصغرته فقط عظمته، وإذا سترته فقد أتممته، وإذا عجلته فقد هنأته[8].

10- لا شرف مع سوء الأدب[9].

11- لا راحة لحسود[10].

12- الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له[11].

---

(1) المرجع السابق نفسه ، ص277.

(2) المرجع السابق نفسه ، ص277.

(3) المرجع السابق نفسه ، ص278.

(4) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ، ص30 ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ، ص226.

(5) نثر اللآلي ، مخطوطة ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ، ص228.

(6) نثر اللآلي ، مخطوطة ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ، ص228.

(7) تاريخ اليعقوبي (210/2)؛ منهج علي بن أبي طالب ، ص230.

(8) المصدر السابق نفسه (210/2) المصدر السابق نفسه ، ص230.

(9) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ، ص 28.

(10) مطلوب كل طالب من كلمات علي بن أبي طالب ، مخطوطة ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ، ص234.

(11) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ، ص 29 ، منهج علي بن أبي طالب ، ص235.

13- ويل للباغين من أحكم الحاكمين[1].

14- من سل سيف البغي قتل به[2].

15- للظالم البادي غداً بكفه عظة[3].

وهذا الترهيب مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: 27].

16- إخفاء الشدائد من المروءة[4]

17- أحسن إلى المسيء تسده[5].

18- الإحسان يقطع اللسان[6].

19- من عذب لسانه كثر إخوانه[7].

20- من قلَّ صدقه، قلَّ صديقه[8].

21- لسانك يقتضيك ما عودته[9].

22- من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه[10].

23- صاحب الأخيار تأمن الأشرار[11].

24- جليس الخير غنيمة[12].

25- صحبة الأحمق نقصان في الدنيا، وحسرة في الاخرة[13].

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص 35 ، المصدر السابق نفسه ، ص235.
(2) منهج علي بن أبي طالب ، ص235.
(3) المصدر السابق نفسه ، ص236.
(4) المروءة: هي كمال الرجولة. منهج علي بن أبي طالب ، ص243.
(5) نثر اللآلي من كلام علي بن أبي طالب ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ، ص245.
(6) مطلوب كل طالب في شرح كلمات علي بن أبي طالب ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ، ص246.
(7) المصدر السابق نفسه ، ص247.
(8) المصدر السابق نفسه ، ص247.
(9) المصدر السابق نفسه ، ص248.
(10) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ، ص 29 ، المرجع السابق نفسه ، ص249.
(11) نثر اللآلي من كلام علي بن أبي طالب؛ المرجع السابق نفسه ، ص249.
(12) نثر اللآلي من كلام علي بن أبي طالب؛ المرجع السابق نفسه ، ص249.
(13) المرجع السابق نفسه ، ص249.

26- كفى أدباً لنفسك ما كرهته لغيرك[1].

27- لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال[2].

28- خير الناس من ينفع الناس[3].

29- المرء مخبوء تحت لسانه[4].

30- اللسان معيار أطاشه الجهل، وأرجحه العقل[5].

31- أخوك من واساك في الشدة[6].

32- قيمة كل امرئ ما يحسنه.

33- احذر صولة الكريم إذا جاع، وصولة اللئيم إذا شبع.

34- النفس مؤثرة للهوى، اخذة بالهوينى، جامعة إلى اللهو، أمارة بالسوء، مستوطنة للفجور، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أرديتها[7].

35- العجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جنة.

36- لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرّاً.

37- إياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النّوكى[8].

38- الناس نيام، إذا ماتوا انتبهوا.

39- الناس أعداء ما جهلوا.

40- ما هلك امرؤ عرف قدره.

41- رب كلمة سلبت نعمة.

42- الاداب حلل مجددة، والفكر مراة صافية.

---

(1) المرجع السابق نفسه ، ص250.

(2) المرجع السابق نفسه .

(3) المصدر السابق نفسه ، ص251.

(4) المصدر السابق نفسه ، ص252.

(5) أدب الدنيا والدين ، ص265.

(6) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص 253.

(7) المرتضى للندوي ، ص 201.

(8) النوكى: الحمق.

43- الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقلّ غريب في بلدته.

44- إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه[1].

45- اجمعوا هذه القلوب، والتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تملّ كما تملّ الأبدان[2].

46- بشاشة الوجه عطية ثانية[3].

47- العفو عند المقدرة شكر للمقدرة[4].

48- إعادة الاعتذار تذكير للذنب[5].

49- أبلغ العظات النظر إلى الأموات[6].

50- ذكر الموت جلاء القلوب[7].

فهذه بعض الحكم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه التي سارت بين الناس، والتي لخصت كثيراً من تجاربه في الحياة في عبارات موجزة، غزيرة المعاني، والغايات والأهداف والمقاصـــد، كان لها تأثير في حياة المجتمع الذي عاش فيه، والمجتمعات المتلاحقة من بعده إلى يومنا هذا، لقد كانت الحكم والخطب والأشعار والمواعظ من وسائل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في توجيه وترشيد وتعليم المجتمع الإسلامي.

خامســاً: حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن صـــفات خيار العباد، وعن تطوع النبيﷺ، ووصف الصحابة الكرام.

1- صفات خيار العباد:

سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـي الله عنه عن خيار العباد، فقال: الذين إذا أحسـنوا استبشـروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا[8].

---

(1) المرتضى للندوي ، ص 202.

(2) المرتضى للندوي ، ص 201.

(3) نثر اللآلي في كلام علي بن أبي طالب ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ، ص238.

(4) مطلوب كل طالب ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ، ص23.

(5) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ، ص 29؛ نقلاً عن علي بن أبي طالب ، ص 239.

(6) نثر اللآلي للثعالبي ، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ، ص148.

(7) منهج علي بن أبي طالب ، ص149.

(8) مروج الذهب (431/2).

وقال: ألا وإن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وأهل النار في النار معذبين.. شـــرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياماً قليلة لعقبى راحة طويلة، إذا رأيتهم في الليل، رأيتهم صافِّين أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم، وأما نهارهم فعلماء حلماء بررة أتقياء، كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيقول، مرض وما بهم من مرض، وخولطوا، ولقد خالط القوم أمر عظيم[1].

وقال: ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة[2].

وقال: طوبى لكل عبـــد نومـــه[3]، عرف الناس، ولم يعرفـــه الناس، عرف الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه ليسوا بالمذاييع[4]، البذر[5]، ولا الجفاة[6] المرائين[7]، وكلام أمير المؤمنين علي فيه تأثر واضح بقول رسول الله ﷺ : «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[8].

2- إجابته لمن سأل عن تطوع النبيﷺ:

عن عاصم بن ضمرة قال: سألنا علياً عن تطوع النبيﷺ بالنهار، فقال: إنكم لا تطيقونه. قال: قلنا: ما أطقنا. قال: كان النبيﷺ إذا صلى الفجر أمهل، حتى إذا كانت الشمس من هاهنا - يعني: من قبل المشرق - مقدارها من صلاة العصر من هاهنا من قبل المغرب؛ قام فصـــلى ركعتين، ثم يمهل حتى إذا كانت الشـــمس من هاهنا - يعني: من قبل المشـــرق - مقدارها من صـــلاة الظهر من هاهنا - يعني: من قبل المغرب - قام فصـــلى أربعاً، وأربعاً قبل الظهر إذا زالت الشـــمس، وركعتين بعدها، وأربعاً قبل العصر، يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين، والنبيين، ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين. قال: قال علي: تلك ست عشرة ركعة تطوع النبيﷺ بالنهار، وقل من يداوم عليها[9].

وقد بيَّن أمير المؤمنين في موضـــع اخر هدي رســـول الله ﷺ في الوتر، فقال: أوتر رســـول الله ﷺ من أول الليل واخره وأوسطه، فانتهى وتره إلى السحر[10].

---

(1) البداية والنهاية (6/8).

(2) مروج الذهب (434/2).

(3) الخامل الذكر الذي لا يؤبه له ، وقيل: الغامض في الناس الذي لايعرف الشر وأهله.

(4) المذاييع: جمع مذياع ، من أذاع الشيء: إذا أمشاه ، والمذايع: الذي لا يكتم السر.

(5) البذر: جمع بذور؛ وهو الذي يفشي الكلام بين الناس.

(6) الجفاء: غلظ الطبع.

(7) صفة الصفوة (325/1).

(8) المسند (168/1) ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح؛ مسلم (2277/4).

(9) مسند أحمد ، (62/2) ، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(10) المصدر السابق نفسه ، (64/2) ، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.



وفي بيان هدي النبيﷺ بعد صلاته، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: كان النبيﷺ إذا سلم من الصلاة قال: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»[1].

3- وصف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للصحابة الكرام:

لما أحس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أصحابه شيئاً من الغفلة وقلة النشاط في الطاعة؛ ذكرهم بشيء من سيرة أسلافهم أصحاب رسول الله ﷺ، فيما رواه أبو أراكة بقوله: صليت مع علي صلاة الفجر، فلما انفلت عن يمينه مكث كأن عليه كأبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين، ثم قلب يده فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً، بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح.

وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رؤي بعد ذلك مفتراً يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق[2].

4- تنبيه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أصحابه على فضائل الأعمال:

مما ورد له في خطبه قوله: أوصيكم بتقوى الله؛ فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها منسأة في الأجل، ومحبة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقي مصارع الهول، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر[3].

5- معايدة المريض:

عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه قال: أخذ علي بيدي، قال: انطلق بنا إلى أبي الحسن نعوده، فوجدنا عنده أبا موسى فقال علي (رضي الله عنه): أعائداً جئت يا أبا موسى أم زائراً ؟ قال: لا بل عائداً، فقال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما

---

(1) صحيح سنن أبي داود (283/1) للألباني.
(2) حلية الأولياء (76/1).
(3) البداية والنهاية (319/7).

من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك، حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح[1].

6- تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة:

قال أمير المؤمنين علي لابنه الحسن يوماً: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إني أستحيي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي حيث لا يراه الحسن ثم قام الحسن في الناس خطيباً، وعلي يسمع، فأدى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف جعل علي يقول: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

7- إني لست كما تقول:

قال عمرو بن مُرَّة: عن أبي البختري قال: جاء رجل إلى علي، فأثنى عليه، وكان قد بلغه عنه أمر، فقال: إنّي لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك[3].

8- التحذير من الانقياد للشهوات:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها ذميم، واجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوّفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت[4].

9- إدخال السرور على المسلم:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم[5].

10- أشد الأعمال ثلاثة:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال[6].

سادساً: التحذير من الأمراض الخطيرة التي حذر منها أمير المؤمنين:

---

(1) صحيح سنن الترمذي للألباني (286/1).
(2) البداية والنهاية (37/8).
(3) تاريخ الذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص646.
(4) أدب الدين والدنيا ، ص26.
(5) تنبيه الغافلين ، ص245.
(6) حلية الأولياء (85/1).

1- جزاء المعصية:

قال أمير المؤمنين علي رضـي الله عنه: جزاء المعصـية: الوهن في العبادة، والضـيق في المعيشـة، والنقص في اللذة. قيل: وما النقص في اللذة ؟ قال: لا ينال شـهوة حلال إلا جاءها ما ينغصه إياها[1]. ومع هذا الترهيب والتخويف من المعصية فإن أمير المؤمنين علي رضـي الله عنه لا يغفل عن الترغيب في تركها، حيث قال: من كان يريد العزَّ بلا عشـيرة، والنسـل بلا كثرة، والغنا بلا مال، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة[2].

وقال: إذا رغبت في المكارم، فاجتنب المحارم[3].

2- طول الأمل واتباع الهوى:

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـي الله عنه على منبر الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الاخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة والاخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الاخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل[4].

فقد أشـار أمير المؤمنين علي رضـي الله عنه في هذه الخطبة إلى أمرين خطيرين لهما تأثير كبير في حياة الناس؛ وهما: طول الأمل بالبقاء على قيد الحياة، فإنه يخدع الإنسـان فيشـغله بمشـاريعه وطموحاته الدنيوية، ويمنّيه بتأجيل الأعمال الصـالحة، وينسيه الحياة الاخرة، فيتضخم عمله للدنيا، ويتضاءل عمله للأخرة، ولو أن كل إنسان وضع في مخيلته أنه معرض للموت في كل ساعة لأصبح العمل للدنيا قليلاً بقدر الضرورة، ولأصبح العمل للأخرة كثيراً لأنه هو الذي سيبقى، بعد الموت.

وأما اتباع الهوى فإنه يغير اتجاه صـاحبه، ويجعل الهدف الأعلى في فكره هو تحقيق هوى نفسـه، وهوى من يعمل تحت إدارتهم، وينسـى الهدف الإسـلامي الأعلى الذي هو ابتغاء رضـوان الله تعالى وفضـله في الجنة، وبناء على تغير، الأهداف فإن مناهج العمل تتغير، فتصـبح مناهج دنيوية يُراد بها تحقيق أهداف لا تتجاوز الحياة الدنيا، كما تتغير العلاقات والروابط، فتصبح الأخوة قائمـة على المصالح الدنيويـة بـدلاً من الإيمان والتقوى، إلى غير ذلك مما يترتب على تغير

---

(1) تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص204.
(2) تاريخ اليعقوبي (206/2).
(3) منهج علي في الدعوة إلى الله ، ص307 ، نقلاً عن سجع الحمام في حكم الإمام ، ص57.
(4) حلية الأولياء (76/1)؛ صفة الصفوة (321/1).

الأهداف[1].

3- الرياء:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا تعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا تتركه حياء[2].

وقال رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به[3].

وقد جاءت نصوص الشرع بتسمية الرياء شركاً أصغرَ، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء؛ يقول الله تعالى يوم القيامة، إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[4]. وعن شداد بن أوس، قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر[5].

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حذر من مرض القلب الخطير المتعلق بإرادة الإنسان وقصده، وحث الناس على إفراد الله سبحانه وتعالى بالقصد والطاعة، والالتزام بالسير على هدي السنة النبوية، فقد ثبت عنه أنه قال: لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة[6].

وروي عن الفضيل بن عياض: أنه تلا قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: 2]، فقال: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً، لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة[7].

إن صور الرياء متعددة؛ منها: ما يكون بالأعمال، كمن يصلي فيطيل القيام ويطيل الركوع والسجود ويظهر الخشوع عند رؤية الناس له. ومنها: ما يكون من جهة القول، كالرياء بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار والاثار لأجل المحاورة وإظهار

---

(1) التاريخ الإسلامي للحميدي (276/20).
(2) أدب الدنيا والدين ، ص110.
(3) الكبائر للذهبي ، ص 145؛ فرائد الكلام ، ص 338.
(4) مسند أحمد (428/5، 429) ، إسناده حسن.
(5) الحاكم (329/4)؛ صححه الألباني في صحيح الترغيب (18/1).
(6) الشريعة للآجري (638/2) ، إسناده فيه ضعف.
(7) مدارج السالكين (89/2).

غزارة العلم، وتحريك الشفتين في محضر الناس، ويتغافل عنه في منزله. أو يكون الرياء من جهة الزي، كإبقاء أثر السجود على جبهته، ولبس الغليظ من الثياب وخشنها مع تشميرها كثيراً ليقال: عابد زاهد. أو ارتداء نوع معين من الزي ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء ليقال: عالم. أو يكون الرياء بالأصحاب والزائرين، كالذي يتكلف أن يستزير عالماً أو عابداً ليقال: إن فلاناً قد زار فلاناً. ودعوة الناس لزيارته كي يقال: إن أهل الخير يترددون عليه. وكذلك من يرائي بكثرة الشيوخ ليقال: لقي فلان شيوخاً كثيرين واستفاد منهم؛ ليباهي بذلك.

أو يكون الرياء لأهل الدنيا، كمن يتبختر ويختال في مشيته، أو يصعِّر خده أو يلفّ عباءته، أو يحرك سيارته حركة خاصة. أو يكون الرياء من جهة البدن، كأن يرائي بإظهار النحول والصفار ليوهم الناس أنه جادٌّ في العبادة، كثير الخوف والحزن، وغير ذلك من الصور التي يرائي بها المراؤون، يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد[1].

وبالجملة: فإن المحافظة على أعمال الخير والإكثار من ذكر الله وعبادته وخشيته وحده، وعدم خشية الناس في ذات الله ومحبة الصالحين وغيرها كل هذا من الأعمال الصالحة الحسنة المطلوبة، ولكن لا بد أن تكون كلها لله؛ لأن الرياء هو عمل العمل الصالح لغير الله، فيجب على المؤمن تصحيح نيته لله لا أن يترك العمل الصالح خوفاً من الرياء، فليحذر تلك الأصناف من خطورة مرض الرياء، وليتذكروا قول رسول الله ﷺ : «من طلب العلم ليماري به الفقهاء، أو يجاري به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه؛ أدخله الله النار»[2].

إن أمير المؤمنين علي حذّر من الرياء، وبيَّن أن الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وقد حثَّ رضي الله عنه على التمسك بالسنة في مناسبات عديدة، فقد قال: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن[3].

4- العجب:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: الإعجاب افة الألباب[4]. إن العجب من الآفات التي تفسد الأعمال، وتهلك العباد، والعجب أحد العوارض التي تعرض للعاملين أثناء سيرهم إلى الله تعالى، والعجب داء ينافي الإخلاص ويضادّه،

---

(1) انظر: مختصر منهاج القاصدين ، ص215-217؛ الشرك في القديم والحديث ، أبو بكر محمد زكريا (171/1، 172).

(2) مسلم ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة (1513/2).

(3) البداية والنهاية (319/7).

(4) جامع بيان العلم وفضله (571/1).

ويجافي الذلّ والافتقار لله تعالى، فهو سوء أدب مع الله جل جلاله، كما أن العجب يجانب محاسبة النفس، ويُعمي عن معرفة أدواء النفس وعيوبها، ومع كل ذلك فالحديث عن تلك الافة قليل مع شدة خطرها، وعظيم ضررها، وكثرة انتشارها.

قال عبدالله بن المبارك: العجب أن ترى عندك شيئاً ليس عند غيرك[1]. وفرق ابن تيمية بين الرياء والعجب فقال: والعجب قرين الرياء، لكن الرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فمن حقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خرج من الرياء، ومن حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب[2].

وقال الغزالي: أعلم أن افات العجب كثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبر، فيتولد عن العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، والعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، وأما العبادات فإنه يستعظمها ويتبجَّح بها، ويمنُّ على الله بفعلها، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، والمعجب يغترُّ بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان.. ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكِّيها[3].

وقال القرافي: وسر تحريم العجب أنه سوء أدب مع الله تعالى؛ فإن العبد لا ينبغي له أن يستعظم ما يتقرب به إلى سيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده، لا سيما عظمة الله تعالى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[الزمر: 67]، أي: ما عظَّموه حق تعظيمه، فمن أعجب بنفسه وعبادته فقد هلك مع ربه، وهو مطلع عليه، وعرض نفسه لمقت الله تعالى وسخطه[4].

ويمكن القول ابتداء: إن سبب العجب أمران:

(أ) الجهل بحق الله تعالى، وعدم تقدير الله تعالى حق قدره، وقلة العلم بأسماء الله وصفاته، وضعف التعبد بهذه الأسماء والصفات.

(ب) الغفلة عن حقيقة النفس، وقلة العلم بطبيعتها، والجهل بعيوبها وأدوائها، وإهمال محاسبة النفس ومراقبتها[5].

ومن ثم فإن العلاج هو: التعرف على الله تعالى، وتحقيق تعظيمه، وتقديره حق قدره، والقيام بالعبودية له من خلال العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وتعبد المولى عز وجل بها، فالخير كله بيديه، ورحمته تعالى وسعت كل شيء ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ

---

(1) سير أعلام النبلاء (407/8).

(2) مجموع الفتاوى (277/10).

(3) الإحياء (370/3) باختصار.

(4) الفروق (227/4).

(5) معالم في السلوك وتزكية النفوس ، عبد العزيزالعبد اللطيف ، ص 98.

نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: 53].

قال الإمام الشافعي: إذا خفت على عملك العُجْب، فاذكر رضا من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله[1].

وقال النووي: وطريقه في نفي الإعجاب: أن يعلم أن العلم فضل من الله تعالى، ومنّة عارية، فإن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغي أن لا يعجب بشيء لم يخترعه، وليس مالكاً له، ولا على يقين من دوامه[2].

قال ابن القيم: اعلم أن العبد إذا شرع في قول أو عمل يبتغي به مرضاة الله، مطالعاً فيه منة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله لا بنفسه، ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته، بل هو الذي أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن، والذي منّ عليه بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته ونظر قلبه؛ لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه، وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه[3].

وأما العلاج الاخر للعجب فهو معرفة النفس ومحاسبتها، قال ابن الجوزي: من تلمح خصال نفسه وذنوبها، علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير، وهو من حال غيره، في شك، فالذي يُحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤية التقدم في أعمال الاخرة، والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه. وقد قيل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إن مت ندفنك في حجرة رسول الله ﷺ، فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إلي من أن أرى نفسي أهلاً لذلك[4]

وقال ابن حزم: من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه، فإن أعجب بفضائله، فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنيئة، فإن خفيت عليه جملة حتى لا يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن مصيبته إلى الأبد، وأنه أتمّ الناس نقصاً، وأعظمهم عيوباً، وأضعفهم تمييزاً، وأول ذلك أنه ضعيف العقل، جاهل، ولا عيب أشد من هذين، لأن العاقل هو من ميّز عيوب نفسه فغالبها وسعى في قمعها، والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه، وإن أعجبت بأرائك، فتفكر في سقطاتك واحفظها ولا تنسها، وفي كلّ رأي قدّرته صواباً فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت، وإن أعجبت بعملك، فاعلم أنه لا حصة لك فيه، وأنه موهبة من الله مجردة، وهبك إياها ربك تعالى، فلا تقابلها بما يسخطه، فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها، تولّد عليك نسيان ما علمت وحفظت، وإن أعجبت بمدح إخوانك لك، ففكر في ذمّ أعدائك إياك، فحينئذ

---

(1) سير أعلام النبلاء (42/10).
(2) المجموع (55/1).
(3) الفوائد ، ص 144.
(4) صيد الخاطر ، ص250، 251.

ينجلي عنك العجب، فإن لم يكن لك عدو، فلا خير فيك، ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدوَّ له، فليست إلا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها – عافانا الله –، فإن استحقرت عيوبك، ففكر فيها لو ظهرت إلى الناس، وتمثل اطلاعهم عليها، فحينئذ تخجل وتعرف نقصك[1].

ويقول ابن القيم أثناء حديثه عن الحكم والأسرار في قضاء السيئات وتقدير المعاصي: ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد بعبده خيراً أنساه رؤية طاعاته، ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلي بذنب جعله نصب عينيه، ونسي طاعته وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه، إن قام أو قعد، أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه، كلما ذكرها بكى وندم وتاب واستغفر وتضرّع وأناب إلى الله، وذلّ له وانكسر وعمل لها أعمالاً فتكون سبب الرحمة في حقّه، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يمنّ بها، ويراها، ويعتدّ بها على ربه وعلى الخلق، ويتكبر بها ويتعجب من الناس؛ كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويجلونه عليها ؟! فلا تزال هذه الأمور به حتى تقوى عليه اثارها فتدخله النار[2].

هذا شرح موجز وسريع لقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: الإعجاب افة الألباب[3].

سابعاً: اهتمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بترشيد الأسواق، ومواقف متنوعة مع الناس:

حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على تفقد أحوال المتعاملين في السوق، وحملهم على التعامل بالشرع الحنيف، وقد ثبت أن علياً رضي الله عنه كان شديد العناية بالاحتساب في مجال السوق؛ فعن الحر بن جرموز المرادي عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج من القصر وعليه قطريتان، إزاره إلى نصف الساق، ورداؤه مشمّر قريباً منه، ومعه الدرة يمشي في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع، ويقول: أوفوا الكيل والميزان ولا تنقحوا[4]اللحم[5].

وعن أبي مطر قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك، فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً. فمشيت خلفه، وهو مؤتزر بإزار، مرتدٍ برداء، ومعه الدرة، كأنه أعرابي بدوي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً في هذا البلد، فقلت: أجل من أهل البصرة. فقال: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. حتى

---

(1) الأخلاق والسير ، ص 66–71 باختصار.

(2) مفتاح دار السعادة (297/1، 298)؛ مدارج السالكين (177/1).

(3) جامع البيان والعلم وفضله (57/1).

(4) في بعض الروايات: (ولا تنفحوا) كما في الطبقات(28/3) ؛ ومصنف ابن أبي شيبة (308/7).

(5) تنقيح العظم: استخراج مخه. وتنقيح شحم الناقة: أي قل. ونقح الشيء: أي قشره؛ والمراد –والله أعلم– لا تخرجوا مخ العظام المكسو باللحم. لسان العرب (624/2)؛ فضائل الصحابة (688/2) ، إسناده صحيح ، رقم 938.

انتهى إلى دار ابن أبي معيط وهو يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين تنفق السلعة، وتمحق البركة، ثم أتى أصحاب التمر، فإذا خادمة تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم، فرده مواليّ فأبى أن يقبله. فقال له علي: خذ تمرك وأعطها درهماً، فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال: لا. فقلت: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. فوهبها تمرها، وأعطاها درهماً. ثم قال الرجل: أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين. قال: ما أرضاني عنك، إذا وفيت الناس حقوقهم. ثم مر مجتازاً بأصحاب التمر، فقال: يا أصحاب التمر، أطعموا المساكين، يَرْبُ كسبكم، ثم مر مجتازاً – ومعه المسلمون – حتى انتهى إلى أصحاب السمك، فقال: لا يباع في سوقنا طافي. ثم أتى دار فرات وهي سوق الكرابيس[1].

وعن زاذان قال: كان علي يمشي في الأسواق وحده؛ يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال، فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا﴾ [القصص: 83]، ثم يقول: نزلت هذه الآية بأهل العدل والتواضع من الولاة، وأهل القدرة من سائر الناس[2]. وأخرج الخلال بسنده عن أبي سعيد قال: كان علي أتى السوق فقال: يا أهل السوق، اتقوا الله وإياكم والحلف، فإن الحلف ينفق السلعة، ويمحق البركة، وإن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم. ثم ينصرف، ثم يعود إليهم فيقول لهم مثل مقالته[3].

وعن أبي الصهباء قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه بشط الكلأ يسأل عن الأسعار[4].

فهذا الإشراف المباشر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تضمن أموراً؛ منها:

(أ) لم تقتصر الجولات على الإشراف والتوجيه، بل تعدَّت ذلك إلى خدمة الناس في شؤونهم، كإرشاد الضالّ، وإعانة الضعيف، فمن كانت هذه حاله كانت كلماته وتوجيهاته أقرب للناس، وأبلغ في نفوس السامعين.

(ب) تضمَّن التوجيه النصح بتقوى الله سبحانه وتعالى وحسن البيع، وربما وعظهم بالقرآن الكريم، فإن من اتقى الله سبحانه وتعالى أحسن معاملته للناس في النفع لهم، والبعد عن مخادعتهم وغشهم.

(ج) منع الظلم في المعاملات، وإعادة الحق إلى أهله، لأن موالي الجارية التي اشترت التمر لم يجيزوا هذا الشراء، وهي في نفسها ليس لها أمر.

---

(1) البداية والنهاية (4/8) اسمه سوق الكرابيس.

(2) الدر المنثور للسيوطي (444/6) ، البداية والنهاية (5/8).

(3) السنة ، تحقيق د.عطية الزهراني ، ص 352.

(4) الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ص 690.شط الكلأ: مكان ، وبالبصرة سوق الكلأ.

(د) النهي عن أصناف الغش التي تحصل في الأسواق، كنهيه عن تنقيح اللحم، وفي رواية: (نفخ اللحم).

(هـ) بيان بعض الأحكام والآداب المتعلقة في معاملات الناس ومنها:

- النهي عن الحلف في البيع، وتعليل ذلك بأن اليمين تنفق السلعة، وتمحق البركة، كما ورد عن رسول الله ﷺ : الحلف مَنْفَقة للسلعة، مَمْحَقةُ للبركة[1].

- الحث على إطعام المساكين وترغيبهم فيه، لأنه زيادة في الكسب.

- النهي عن بيع السمك الطافي[2]، ولعل ذلك حتى لا يختلط مع المصيد الطري.

كان أمير المؤمنين يتفقد أمور التجار في حضرته، ويأمر ولاته بذلك في الولايات، ويثني على المحسن منهم، أما من يقترف خطيئة بعد النهي، فينكل به، ويعاقبه من غير إسراف[3].

وكانت له بعض الإرشادات النافعة والنواهي الزاجرة التي تحث الناس على مكارم الأخلاق، والالتزام بأحكام الشريعة وإليك بعض منها:

1 - إنكاره على مزاحمة النساء الرجال في الأسواق:

أنكر أمير المؤمنين علي على أناس لا يمنعون نساءهم من الخروج إلى الأسواق مزاحمات الكفار، فقال لهم: ألا تستحيون أو تغارون؟! فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج[4].

2- لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره:

كان علي رضي الله عنه يدخل السوق وبيده الدرة، وعليه عباء ويقول: يا أيها التجار، خذوا الحق، وأعطوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره. ونظر إلى رجل يقص، فقال له: أتقص ونحن قريب عهد برسول الله ﷺ، لا سألنك فإن أجبتني وإلا جعفتك[5] بهذه الدرة، ما ثبات الدين وما زواله؟ قال: أما ثباته فالورع، وأما زواله فالطمع، قال: أحسنت؛ قص فمثلك من يقص[6].

---

[1] البخاري، كتاب البيوع (85/2).

[2] الطافي: هو الذي يعلو الماء ولا يرسب.

[3] الدور السياسي للصفوة في ذدر الإسلام ، ص 202.

[4] العلوج: جمع علج ، وهو الواحد من كفار العجم. مسند أحمد (254/2، 255) ، قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

[5] جعفه: صرعه وضرب به الأرض.

[6] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (70/5).

3- خطورة التجارة قبل التفقه في أحكامها:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه: من اتجر قبل أن يتفقه في الدين فقد ارتطم في الربا ثم ارتطم ثم ارتطم[1].

وقد كان الفاروق رضي الله عنه يضرب بالدرة من يقعد في السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربا[2]. وكان يقول: لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا شاء أو أبى[3].

فكل شؤون الحكم كانت محل اهتمام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لا يطغى جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدي الحاكم، فقد كانوا يقعّدون للتجارة القواعد التي تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار، فلا غبن، ولا غش، ولا احتكار، ولا أســواق ســوداء ولا زرقاء، ولا جهل بما يجوز وما لا يجوز في عالم التجارة، ويمكن اليوم تفقيه التجار من خلال دورات في المساجد خصوصاً التي في قلب الأسواق، ولا بد من توجيه الخطاب للتجار من خلال كتيبات خاصة بهم، والأشرطة الصوتية المختصرة التي تبين أحكام التجارة، وتبسط المسائل المتعلقة بها والتي تبرز ما يلي:

* نماذج مختارة من التجار المسلمين المخلصين لدينهم الذين نصروا الله ورسوله بأموالهم.

* بيان أهمية الاخرة بالنسبة لهم؛ لكي يجمعوا بين خيري الدنيا والاخرة.

وعلى العلماء وطلاب العلم واجب كبير في تفقيه هذه الشـــريحة الكبيرة في المجتمعات، وعلى الحركات الإســـلامية أن لا تنسى واجبها في تعليم أبنائها من التجار وغيرهم هذا الفقه العزيز.

4- من سبق إلى موضع فهو أحق به:

أثيرت قضية المحلّ التجاري في السوق، وقضى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سوق الكوفة: أن من سبق إلى موضع فهو أحق به ما دام فيه ذلك اليوم، فإذا انتقل عنه، فهو لمن حلَّ فيه، قال الأصـــبع بن نباتة: خرجت مع علي بن أبي طالب إلى الســـوق، فرأى أهل الســوق قد حازوا أمكنتهم، فقال علي: ما هذا؟ فقالوا: أهل الســـوق قد حازوا أمكنتهم، فقال: ليس ذلك لهم، سوق المسلمين كَمصلَّى المسلمين، من سبق إلى شيء فهو له يومه حتى يدعه، وظلَّت هذه القاعدة متَّبعة حتى ولاية المغيرة بن شعبة، فلمّا كانت ولاية زياد بن أبيه عليها عام 49 هـ جعل من قعد في مكان فهو أحق به ما

(1) ارتطم: وقع. بستان العارفين ، ص 350.
(2) نظام الحكومة الإسلامية للكتاني (17/2).
(3) المصدر السابق نفسه.

دام فيه[1].

5- المحتكر عاصٍ ملعون:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه في احتكار الطعام: جالب الطعام مرزوق، والمحتكر عاصٍ ملعون[2].

وقد أمر أمير المؤمنين بتحريق الطعام المحتكر، فقد أخرج الحافظ ابن أبي شـــيبة عن الحكم قال: أخبر علي برجل احتكر طعاماً بمئة ألف، فأمر به أن يحرق[3].

وقد ذهب ابن قدامة أن الاحتكار المحرم ما اجتمعت فيه شروط ثلاثة هي:

(أ) أن يشـتري؛ فلو جلب شـيئاً، أو أدخل من غلته شـيئاً فادخره؛ لم يكن محتكراً، وهذا واضـح من قول علي رضـي الله عنه.

(ب) أن يكون المشترى قوتاً[4].

(ج) أن يضيق على الناس بشرائه.

وترهيب أمير المؤمنين علي من الاحتكار مبني على قول رسول الله ﷺ : «لا يحتكر إلا خاطئ»[5].

6- الخسارة على المال والربح على ما اصطلحوا عليه:

بيّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شـيئاً من أحكام المضــاربة وهي: نوع من أنواع المعاملات بين الناس، وهي دفع مال معلوم لمن يتَّجر به ببعض ربحه، فقال رضـي الله عنه: الوضـيعة على المال، والربح على ما اصـطلحوا عليه[6]. والوضـيعة: تعني الخسـران في الشـركة وهي على المال، أي: على كل واعد بقدر ماله، فإن كان مالهما متسـاوياً في القدر[7] فالخسـران بينهما نصفين، وإن كان أثلاثاً فالوضيعة أثلاثاً.

---

(1) الأموال لأبي عبيد ، ص 123؛ الحياة الاقتصادية ، د.بطاينة ، ص 115.

(2) فقه علي ، قلعجي ، ص 27؛ مصنف عبد الرزاق (204/8)؛ مسند زيد ، ص 245.

(3) المصنف ، رقم 433(103/6)؛ الحسبة في العصر النبوي ، ص 34.

(4) وقيل: لا فرق بين القوت وغيره.

(5) مسلم ، كتاب المساقاة (1228/3). والخاطئ: العاصي الآثم.

(6) مصنف ابن أبي شيبة (4/6)؛ مصنف عبد الرزاق (248/8).

(7) المغني (31/5).

7- تحريقه قرية كانت تباع فيها الخمر:

كان رضـي الله عنه شـديد الإنكار على من باع خمراً، فقد أمر بتحريق قرية كانت تباع فيها الخمر، فقد روى الإمام أبو عبيد القاسـم بن سـلام: أن علياً بن أبي طالب رضـي الله عنه نظر إلى زرارة[1]، فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة، يلحم فيها، تباع فيها الخمر، فقام يمشـي حتى أتاها، فقال: عليَّ بالنيران، اضـرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً، قال (الراوي): فاحترقت من غربيها حتى بلغت بستان خواستا بن جبرونا[2].

8- احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة:

عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادي خلفي: ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لك، وخذ من شعرك إن كنت مسلماً[3].

9- حبسه أهل الشر والفساد:

كان رضي الله عنه يلاحق أهل الشر والفساد، فإذا وجد أحداً منهم حبسه، فقد روى القاضي أبو يوسف عن عبد الملك بن عمير، قال: كان علي بن أبي طالب رضـي الله عنه؛ إذا كان في القبيلة أو القوم الرجل الداعر حبسـه، فإن كان له مال أنفق عليه من ماله، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسـلمين. وقال: يحبس عنهم شـره ويُنفق عليه من بيت مالهم[4].

10- الترهيب من عدم الإنفاق:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: بشـر مال البخيل بحادث أو وارث[5]، وقال: البخيل مسـتعجل الفقر، يعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في العقبى حساب الأغنياء[6].

11- مناداته للصلاة:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه شديد الاهتمام بأمر الصلاة؛ فقد كان يمر في الطريق منادياً: الصلاة، الصلاة، كان يوقظ بذلك الناس لصلاة الفجر، يحدثنا الحسـن رضـي الله عنه عن خروجه في اليوم الذي طُعِن فيه من بيته حيث يقول:

---

(1) زرارة: محلة في الكوفة ، سميت باسم بانيها زرارة بن زيد.
(2) الأموال ، ص 97، 98؛ الحسبة لابن تيمية ، ص 60.
(3) البداية والنهاية (4/8).
(4) الخراج لأبي يوسف ، ص150.
(5) نثر اللآلي نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ، ص 183.
(6) منهج علي في الدعوة إلى الله ، ص 183.

فلما خرج من الباب نادى: أيها الناس! الصلاة، الصلاة. وكذلك كان يصنع كل يوم، ومعه درته، فاعترضه الرجلان، فضربه ابن ملجم على دماغه[1].

12- الاهتمام بالطرق العامة:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يأمر بالمثاعب[2]، والكنف[3]، تقطع من طريق المسلمين[4]

13- ظهور بدعة القصص ومحاربة أمير المؤمنين علي لها:

حدثت بدعة القُصَّاص في عهد علي رضي الله عنه، فأنكرها الصحابة والتابعون، فقد أخرج محمد بن وضّاح عن موسى بن معاوية قال: حدثنا ابن مهدي عن سفيان، عن عبيد الله بن نافع قال: لم يقص على عهد النبيﷺ، ولا أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان، وأول ما كان القصص حين كانت الفتنة[5]، والقصاص هم: الوعاظ الذين يعقدون مجالس للوعظ تضاهي مجالس العلم، يعظون الناس فيها بالحكايات والإسرائيليات ونحوها، مما لا أصل له أو موضوع، أو مما لا تدركه عقول العامة، وقد منعهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنهم أخذوا يحدثون الناس بالغرائب والمتشابهات، وما لا تدركه عقولهم وما لا يعرفون[6]. وأذن أمير المؤمنين لمن كان متمكناً من العلم الشرعي بأن يقصَّ على الناس.

كانت حياة أمير المؤمنين في المجتمع دعوة للتوحيد ومحاربة للشرك، وكان حريصاً على تعليم الناس أسماء الله وصفاته وربط قلوبهم به وحده، وتذكيرهم بنعم الله وحضهم على شكرها، وقد كان رضي الله عنه مثابراً على محو اثار الجاهلية، متخذاً كافة الوسائل الدعوية من خطابة ووعظ، وشعر وحكم، ولم يعش رضي الله عنه بعيداً عن الناس، بل عاش بينهم بأخلاقه وسمته وعلمه رضي الله عنه.

ثامناً: ولاية الشرطة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عندما تولى علي رضي الله عنه أمر الخلافة؛ كانت وظيفة الشرطة إحدى الوظائف المهمّة المعروفة في الدولة، والقصص

(1) البداية والنهاية (339/7).
(2) المثاعب: مفردها الثعب: مسيل الماء في الوادي.
(3) والكنف: جمع كنف وهو المرحاض. المصباح المنير ، ص 542.
(4) مصنف عبد الرزاق (72/10).
(5) البدع والنهي عنها ، ص 20.
(6) دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ص 239.

والاثار التي تحدثت عن دور الشرطة في عهد علي رضي الله عنه كثيرة؛ منها:

ما رواه أصبغ بن نباتة: أن شاباً شكا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفراً، فقال: إن هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر، فعادوا ولم يعد أبي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله: فقالوا: ما ترك شيئاً، وكان معه مال كثير، وترافعنا إلى شريح، فاستحلفهم وخلّى سبيلهم، فدعا علي بالشرطة، فوكّل بكل رجل رجلين، وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم يدنو من بعض، ولا يمكنوا أحداً يكلمهم، ودعا كاتبه، ودعا أحدهم، فقال: أخبرني عن أب هذا الفتى، أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمَّن غسله ودفنه، ومن تولّى الصلاة عليه، وأين دفن، ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبّر عليّ، وكبّر الحاضرون والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنّوا أن صاحبهم قد أقر عليهم، ثم دعا اخر بعد أن غيَّب الأول عن مجلسه، فسأله كما سأل صاحبه، ثم الاخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد منهم يخبر بضدِّ ما أخبر به صاحبه، ثم أمر بردِّ الأول فقال: يا عدو الله، قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبّر وكبّر معه الحاضرون، فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقر عليهم فدعا اخر منهم، فهدَّده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارهاً لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقرّوا بالقصة، واستدعى الذي في السجن وقيل له: قد أقرّ أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقرّ بكل ما أقرّ به القوم، فأغرمهم المال، وأقاد منهم القتيل[1]. فهذه القصة تحوي معاني ودلالات كثيرة تفيد المحققين، وتدل في الوقت نفسه على وجود السجن، ورجال الشرطة[2].

هذا وقد بنى أمير المؤمنين سجناً في الكوفة سمّاه «نافعاً» لم يكن مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه، فهدمه وبنى بدلاً منه سجناً اخر سمّاه مخيّساً[3]، وقد أجرى على أهل السجون ما يقوتهم من طعامهم وأدمهم وكسوتهم في الشتاء والصيف[4]. وكان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أصحاب شرطة؛ منهم: أبو الهياج الأسدي، وقيس بن سعد بن عبادة، ومعقل بن قيس الرياحي، ومالك بن خبيب اليربوعي، والأصبغ بن نباتة المشاجعي، وسعيد بن سارية بن مرة الخزاعي. وكان من ضمن الوظيفة الاجتماعية للشرطة: مساعدة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وإرشاد التائه، وإطعام المساكين، وتقديم العون، وإظهار الرفق، وغير ذلك من المساعدات الإنسانية التي يراد بها وجه الله تعالى. ومن هنا يظهر لنا: أن الأمن في العصر الراشدي كان يقوم بدور حضاري في تقديم خدمات عامة للمجتمع، ولم يقتصر دوره فقط على الجانب

---

(1) الطرق الحكيمة ، ص 49.

(2) ولاية الشرطة في الإسلام ، د.نمر الحميداني ، ص 107.

(3) وهذه التسمية ليست اعتباطاً بل لها غرض ، فإن النافع من النفع وهو ضد الضرر ، والمخيس وهو التذليل والتهذيب ، التسميتان تحققان أغراض السجن.

(4) ولاية الشرطة ، ص108.

الأمني وإن كان للجانب الأمني الأهمية الكبرى.



الفصل الرابع : المؤسسة المالية والقضائية في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبعض اجتهاداته الفقهية

المبحث الأول : المؤسسة المالية

في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يحدث تغير يذكر في السياسة المالية للدولة الإسلامية، إلا أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رجع إلى ما كان عليه أبو بكر الصديق في التسوية في العطاء[1]؛ فلم يفضل أحداً على أحد، فأعطى الموالي كما أعطى السادة[2].

وكان الخراج في بعض الأمصار موكولاً إلى الولاة أنفسهم، ففي مصر كان قيس بن سعد بن عبادة – الوالي العامّ – مسؤولاً عن الخراج فيها، وكذلك حينما بعث علي رضي الله عنه الأشتر النخعي على مصر كان خطابه له ما يوحي أنه مع ولايته العامة كان مسؤولاً عن الخراج بما يصلح أهله، فإن صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك يدرك بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة، أضر بالبلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم.. فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما إعوازها أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر[3]، فقد كانت نظرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الخراج بما يتعدى الجباية إلى المسألة الاقتصادية برمتها، حيث يشكل الخراج المصدر الأساسي لها في ذلك الوقت، وقد اشتهر عن علي رضي الله عنه تشديده في مراقبة عماله في جميع النواحي، وكان الخراج والشؤون المالية من الأمور المهمة التي كان يدقق فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان يبعث العيون والأرصاد ليعلم أحوالهم[4].

وقد كان لولاة البلدان صلاحيات عامة في المصروفات من ولاياتهم وبيوت أموالها، فالولاة الذين كانوا يباشرون بيت المال

---

(1) الاستيعاب (11/3).

(2) علي بن أبي طالب ، د. علي شرفي ، ص66.

(3) الولاية على البلدان (153/2 إلى 163).

(4) الولاية على البلدان (98/2) ، النظريات المالية في الإسلام ، ص 155.

وعمال الخراج بأنفسهم في عهد الخلفاء عموماً كانوا ينفقون من الأموال التي لديهم في الأوجه الشرعية في مصالح الولاية، فكانوا يستخدمون هذه الأموال في شؤون الجهاد والفتوح؛ من إعداد للسلاح والدواب ومرتبات الجند، وغير ذلك من أوجه الجهاد، كما كان الولاة يقومون بصرف نفقات العمال والموظفين في الولاية[1] كافة، إلى أنهم كانوا يقومون ببعض الإصلاحات من بناء للجسور وحفر للقنوات والعيون والأنهار، وكان ذلك يستدعي الصرف مما يجبونه من ولاياتهم[2].

وفي الأوقات التي تعزل فيها ولاية الخراج أو بيت المال عن الولاية العامة؛ فإن الولاة بحكم إشرافهم العام على الولاية يطلبون من عمال الخراج الإنفاق على هذه الإصلاحات، أو يقوم الولاة بتعيين عمال خاصين بهذه المشاريع، وتصرف نفقات العمل أو التجهيز من دخل الولاية عن طريق عمال الخراج إذا كانوا مستقلين، وهكذا فإنه حتى لو عزلت مهمة (الجباية) عن الوالي –كما عبّر عنها بعض الباحثين[3] – فإن النفقات مع ذلك كانت تأخذ طريقها بواسطة الولاة في كثير من الأحيان، سواء للجهاد أو التعمير.

ولقد نبه بعض الفقهاء إلى أن على الولاة إنفاق الأموال في مصالح المسلمين، وعدم تجميدها، إذ إن تجميد الأموال التي أخذت بحقها وعدم صرفها في مصالح المسلمين يوازي الظلم في جمعها، فعدوا التجميد للأموال العامة من باب الظلم والتقصير من جانب الولاة[4].

وقد كانت الأمصار والولايات أحق بأموالها وجباياتها من غيرها، فكان الولاة لا يعملون على ترحيل الأموال عن مناطقهم إلى العاصمة في المدينة أو الكوفة فيما بعد، إلا بعد أن يسددوا حاجة ولاياتهم من النفقات[5].

ولاشك أن ما قام به الخلفاء الراشدون خصوصاً في عهد عمر من تنظيم دقيق للشؤون المالية في الولايات بما فيها من جباية مصادر الدخل أو الواردات العامة للدولة، إضافة إلى النفقات العامة؛ يعتبر تنظيماً جديداً، ولم يمنعهم ذلك من الاستفادة من خبرات من سبقوهم؛ حيث استحدثوا الدواوين، وضبطوا أمورهم المالية في مختلف جوانبها، وقد تحدثت عن المؤسسة المالية في عهد الفاروق رضي الله عنه بنوع من التفصيل، فمن أراد المزيد فليرجع إليها في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب).

وقد حاول بعض المستشرقين وفيهم فيليب حتي في موسوعته عن تاريخ العرب أن يقلل من شأن ما قام به الخلفاء

---

(1) التراتيب الإدارية للكتاني ، (393/1).

(2) الولاية على البلدان (98/2).

(3) النظم المالية في الإسلام ، ص 157 ؛ الولاية على البلدان (99/2).

(4) أصول الفكر السياسي الإسلامي ، فتحي عثمان ، ص 43.

(5) السياسة المالية لعثمان بن عفان ، قطب ، ص 99.

الراشـــدون من تنظيم للأموال في الدولة عموماً، فقال: والحقيقة أن الأخبار تعزو إلى عمر كثيراً مما أحدثته الســـنون التي لحقت عهده من إنشـــاءات دعت إليها التجارب والأحوال الجديدة، وأن ما جاء به الخلفاء وعمال الأمصـــار الأول في صـدد الخراج والجزية، وأصـول جبايتها وسـياسـة أموال الدولة لم يكن بالشـيء الخطير، فلقد أبقى الإسـلام أسـاس الحكم وأنظمة الإدارة البيزنطية على ما كانت عليه في سورية ومصر، ولم يفكر أرباب الأمر في الأمصار الفارسية أن يبدلوا أصول الحكومة المحلية، ولم يأخذ الفاتحون الضـرائب إلا طبقاً لطبيعة البلاد، وبمقتضـى الأصـول المرعية في العهد المنقرض، سـواء أكان بيزنطياً أو فارسياً، ولم يعتبروا في ذلك إذا كانت قد دانت لهم صلحاً أو أنهم فتحوها عنوة، ولا اهتدوا بتشريع أوجده عمر[1].

والكاتب هنا قد تجاهل النصـوص التي وردت في اسـتنباط عمر للخراج على الأراضـي المفتوحة عنوة، وكيف أن النظام قد لقي مجادلة ومعارضة من بعض الصحابة إلى أن استقر الأمر عليه، واتفق الجميع على تنفيذه[2].

وقد تولى محمد ضياء الدين الريس الرد على هؤلاء المستشرقين فيما قالوه من خلال نصوص تاريخية موثقة، يخلص منها إلى أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة، وأن المسلمين وفقهاءهم كانوا يفرقون بين ما أحدثه عمر، وما أحدثه غيره، بل ويفصلون تفصيلاً دقيقاً في قضايا الخراج في عهد عمر[3].

وهذه عادة المستشرقين وأذنابهم من الطعن والتنقص في عظماء الإسلام، ولكن المشكلة أنهم يجدون من الأمة من ينظر لهم بإجلال وتقدير. وبسـبب الحروب والنزاعات الداخلية تأثرت دولة الخلافة في عهد علي في مؤسـسـاتها المتعددة، كالمالية، والعسكرية، ومنصب الخلافة؛ مما ساهم في زوال الخلافة الراشدة، وسيأتي تفصيل ذلك في محلِّه بإذن الله .

([1]) تاريخ العرب ، فيليب حتي (228/1).

([2]) الولاية على البلدان (100/2).

([3]) الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ص 131 . 136 ، نقلاً عن الولاية على البلدان (100/2).

المبحث الثاني : المؤسسة القضائية

ولي الخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه، واقترنت توليته التي نجمت عن قتل عثمان، وما تبعها من أحداث شقت صف المسلمين، وفرقت كلمتهم، وأصبحت مواجهة تلك الأحداث لرأب الصدع شغله الشاغل، ولم يكن هذا الصراع الدامي في عهد علي رضي الله عنه مانعاً له من أن يعطي للقضاء نصيباً من الاهتمام به وتنظيمه، ويدل على هذا رسالته التي[1] أرسلها إلى الأشتر النخعي واليه على مصر، حين كانت تابعة لحكمه، وفيها يقول:

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تحكمه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصــر في الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تســتشــرف نفســه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصــاه، أوقَفُهُمْ في الشبهات، وآخَذُهم بالحجج، وأقَلُّهم تبرماً بمراجعة الخصوم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرمهم على اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل، ثم أكثر من تعاهد قضائه، وأفسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك[2].

في هذه الرسالة أيضاً: أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تَظْلِم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً، حتى ينزِع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد[3].

ونلاحظ: أن هذا العهد تضـمن صـفات القاضـي، كما تضـمن حقوقه وواجباته، والذي يتأمل في الذي كتبه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لواليه على مصر، يعجب لهذا العهد الذي كتب عام 40 هــــ، أو حولها، في وقت لم يكن للعرب فيه أي اتصـال بالحضـارات الأخرى بعد، وكيف كان العقل المسـلم الذي ينظر بنور الله قادراً على تفتيق المعاني، ووضـع أمور الدولة في نصابها، على خير ما نرى اليوم في الدساتير والقوانين[4]، وهذه النظرات من أمير المؤمنين علي في إنصاف الرعية، وتجنب ظلمها؛ كانت فيما بعد عماداً في تنظيم ولاية المظالم[5].

([1]) وقائع ندوة النظم الإسلامية (379/1).

([2]) شرح نهج البلاغة ، نقلاً عن نظام الحكم للقاسمي (103/2).

([3]) المصدر السابق نفسه (559/2).

([4]) المصدر السابق نفسه (104/2).

([5]) المصدر ا لسابق نفسه (560/2).

أولاً: الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد:

قُصِد بهذه الخطة: الطريقة التي سلكها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام وهم يبحثون عن الأحكام الشرعية لما يحدث لهم من وقائع وقضايا في حياتهم العملية، وهي طريقة هدتهم إليها صحبتهم للرسول الكريم ﷺ، وتدريبهم على يديه، لذلك كان اتباع هذه الطريقة حقاً على من جاء بعدهم، لاحظنا من خلال دراستنا لعهد الخلفاء الراشدين في كتبنا عن أبي بكر وعمر وعثمان، ودراستنا الحالية لعهد علي رضي الله عنهم، أنهم كانوا كلما عرض لهم حادث، أو قضاء لجؤوا إلى كتاب الله أولاً، فإن وجدوا فيه الحكم الشرعي للنازلة حسم الأمر، وإلا رجعوا إلى سنة رسول الله ﷺ، حتى إذا لم يجدوا فيها حلاً انتقلوا إلى الرأي بمعناه الواسع، وقد لاحظنا أن هذا الرأي كان في أول الأمر جماعياً في غالب الأحيان، خصوصاً إذا انصبَّ موضوعه على أمر من أمور الدولة ذات الصبغة العامة.

وقد ساعد على ذلك أن كبار الصحابة كانوا ما زالوا مستقرين بالمدينة يسهل جمعهم وأخذ رأيهم، وقد انبثق عن رأيهم الجماعي ما اصطلح على تسميته فيما بعد (الإجماع)، وقد كانوا يستعملون القياس، والمصلحة هي مناط التشريع، وخير دليل على هذه الخطة ما قاله ميمون بن مهران؛ حيث قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها، فإن أعياه أن يجد فيها سنة عن رسول الله ﷺ ؛ جمع رؤوس الناس وخيرهم، فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به، وكان عمر يفعل ذلك؛ فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر: هل كان فيه لأبي بكر قضاء، فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين، فإن أجمعوا على شيء قضى به[1].

وعن ابن مسعود قال: فمن عرض عليه قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ ؛ فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ ولا قضى به الصالحون؛ فليجتهد رأيه، ولا يقل: إني أرى وإني أخاف، فإن الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبين ذلك مشتبهات؛ فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك[2].

([1]) سنن الدارمي (58/1) ، رجال إسناده ثقات غير جعفر بن برقان صدوق ؛ السنن الكبرى للبيهقي (114/10) ، وصحح إسناده ابن حجر ؛ فتح الباري (3/13).
([2]) إعلام الموقعين (62/1).



وقد بينا في حديثنا عن المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حرصه على السير على نفس المنهج.

ويتبين من هذه الآثار أن الصحابة كانوا يعتمدون في خطتهم التشريعية والقضائية على الكتاب والسنة قبل الانتقال إلى الرأي بمعناه الواسع[1].

ونحب أن نقف عند هذه الآثار لنستخلص منها بعض النتائج:

1- اتفاق الصحابة حول هذه الخطة؛ إذ كانوا يرتبون مراحل اجتهادهم وفقههم مبتدئين بكتاب الله أولاً، ثم الانتقال إلى سنة رسول الله ﷺ قبل استخدام الرأي الجماعي، ثم القياس.

2- كان للسابقة القضائية دور هام في هذه الخطة، وهو دور جعلها تلي النصوص مباشرة.

3- ومما يلفت النظر في هذه الخطة: أن أبا بكر وعمر على الخصوص، لم يكونا يستشيران إلا من كان موجوداً من الصحابة بالمدينة، ولم نطلع على نص يدل على أنهما كانا يستدعيان من كان غائباً من الصحابة قصد استشارته في أمر من الأمور الاجتهادية، مما يدل على أن الإجماع كان ينعقد باتفاق من حضر من الصحابة بصرف النظر عن رأي من كان غائباً[2].

ويتّضح لنا من خلال ما سبق من خطة الخلفاء الراشدين والصحابة في التشريع والقضاء: أنهم كانوا كلما حزبهم أمر، أو عرضت عليهم قضية بادروا إلى القرآن أولاً، حتى إذا لم يجدوا فيه حلاً رجعوا إلى السنة، فإذا لم يجدوا الحل، استعملوا الرأي بمعناه الواسع، سواء كان جماعياً أو فردياً، وقد انبثق عن آرائهم الجماعية ما سمي بالإجماع، وهو مصدر طارئ لم يكن له وجود في عصر الرسالة، وقد صُنِّف هذا المصدر ثالث المصادر بعد الكتاب والسنة.

وبما أنه لم يكن من الميسور دائماً جمع الصحابة بقصد التشاور والاتفاق على حكم معين لأسباب كثيرة، فقد لجأ الصحابة لأستعمال الرأي بصورة فردية في الفتوى والقضاء، وقد اعتمدوا الكتاب والسنة في آرائهم الفردية والجماعية، وعلى الفهم العميق لمقاصد الشريعة الهادفة إلى دفع المفاسد وجلب المصالح، واستوحوا الأحكام للحوادث التي لا نص فيها من روح النصوص، ولم يقضوا مع ظواهرها.

وقد استعملوا القياس منذ عهد الرسول ﷺ ؛ وهو المصدر الرابع من مصادر التشريع يأتي بعد الإجماع في المرتبة، وإن كان

---

(1) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ، ص 53.

(2) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ، ص 153.

سابقاً عليه في الوجود[1].

وهذه هي المصادر التي اعتمدها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام:

1- القرآن الكريم: وهو العمدة والأساس، وينبوع الحكمة، واية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وإنه لا طريق إلى الله سواه.

2- السنة: وتطلق على ما جاء منقولاً عن النبيﷺ بطرق صحيحة.

3- الإجماع: ولا بد أن يكون مستنداً إلى نص من كتاب أو سنة أو قياس.

4- القياس.

وكان الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام يشرعون أحكاماً لحوادث بناء على المصلحة الواجب مراعاتها، أو دفع المفسدة، فكان اجتهادهم فيما لا نص فيه فسيحاً مجاله، يتسع لحاجات الناس ومصالحهم[2].

ثانياً: ميزات القضاء في العهد الراشدي:

إن القضاء في العهد الراشدي يمثل الدرجة الثانية بعد القضاء في العهد النبوي الذي يمثل الجذور والأساس، وجاء القضاء في العهد الراشدي يمثل البناء الكامل، والتنظيم الشامل من جهة، ويعطي الصورة البراقة للقضاء الإسلامي من جهة ثانية، ويعتبر أنموذجاً ومثلاً وقدوة، وتحت محط الأنظار طوال العهود التالية.

ويمكننا أن نشير باختصار وإيجاز إلى أهم ميزات القضاء في العهد الراشدي، وهي:

1- كان القضاء في العهد الراشدي امتداداً لصورة القضاء في العهد النبوي، بالالتزام به، والتأسي بمنهجه، وانتشار التربية الدينية، والارتباط بالإيمان والعقيدة، والاعتماد على الوازع الديني، والبساطة في سير الدعوى، واختصار الإجراءات القضائية، وقلة الدعاوى والخصومات إذا قورنت باتساع الدولة، وتعدد الشعوب والأمصار، وحسن اختيار القضاة، وتوفر الشروط الكاملة فيهم.

2- يعتبر القضاء في العهد الراشدي صورة صحيحة وصادقة وسليمة للقضاء الإسلامي، ولذلك صار موئل الباحثين، ومحط الأنظار للفقهاء، وصارت الأحكام القضائية والتنظيم القضائي في العهد الراشدي مصدراً للأحكام الشرعية،

(1) المصدر السابق نفسه، ص 154.

(2) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله، ص 159.

والاجتهادات القضـــائية، والآراء الفقهية في مختلف العصـــور، وهذا بالاتفاق ولو أدبياً، عند جميع العلماء والمذاهب، مع وجود الاختلاف في التدقيق والجزئيات والتفاصيل، ومن ذلك اختلاف الأئمة في حجية قول الصحابي وعدم حجيته، كما هو مقرر في علم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وتاريخ التشريع، وسيأتي الحديث عن ذلك بإذن الله.

3- مارس الخلفاء الراشـدون وبعض ولاة الأمصـار، النظر في المنازعات وتولي القضـاء بجانب الولاية، كما أولوا الاهتمام الكامل لتولي قضاء المظالم وقضاء الحسبة[1].

4- عين الخلفاء الراشدون في أكثر المدن والأقطار الإسلامية قضاة لممارسة القضاء خاصة، دون بقية السلطات، وظهر بشكل مبدئي – ولأول مرة – فصل السلطة القضائية عن بقية السلطات، وأن الولاة لا سلطان لهم على القضاة في المدن الكبرى التي تم فيها تعيين القضاة بجانب الولاة، بينما يتولى الولاة في بقية المدن والأمصار القضاء والولاية معاً، وهم تحت بصر ومحاسبة الخليفة الراشد.

5- كان القضاة في العهد الراشدي مجتهدين، فينظرون في نصوص القرآن والسنة مباشرة، ويعملون فيها بما يؤدي إليه اجتهادهم، فإن لم يجدوا فيها حكم الواقعة اجتهدوا رأيهم بعد الاستئناس بما قضى به أسلافهم، واستشارة العلماء المعاصرين لهم، ثم أصدروا الحكم الذي وصل إليه اجتهادهم.

6- ظهرت مصادر جديدة للقضاء في العهد الراشدي نتيجة للمنهج السابق الذي التزموه، وصارت الأحكام القضائية هي: القرآن، والسنة الشريفة، الإجماع، القياس، السوابق القضائية، الرأي الاجتهادي، مع المشورة.

7- تم التنظيم الإداري الدقيق للقضاء في العهد الراشدي، وأرسل عمر وعلي رضي الله عنهما الرسائل الخالدة والمشهورة إلى القضاة والولاة، لتنظيم شؤون القضاء، وبيان الدستور والمنهج، وتبع ذلك متابعة الخلفاء للقضاة، ومراقبتهم، وتبادل الرأي معهم، والسؤال عن أخبارهم وأقضيتهم، وطلب مراجعتهم في القضايا المهمة والمعضلة والخطيرة، وكانت هذه الميزة في أوجها في عهد عمر رضي الله عنه، وخفَّت قليلاً في عهد عثمان، وضعفت في عهد علي لاضطراب الأمور، وكثرة الفتن، ونشوب الحروب الداخلية، وظهور بذرة الاستقلال الذاتي في الشام وما يتبعها مع تعدد السلطة.

8- كانت اختصاصات القاضي في الغالب عامة وشاملة لجميع الوقائع، وكانت صلاحية القاضي واسعة، ولـــه الحرية الكاملة في الإجراءات ولكن ظهر في هـــذا العهد نواة الاختصاص الموضوعي والنوعي للقضـــاة، وتم تعيين قضاة للنظر في القضايا الصغيرة والبسيطة، كما تم تعيين قضاة للأحداث الجسيمة والوقائع الكبيرة، وبقي معظم الخلفاءِ – غالباً – يتولون

---

(1) تاريخ القضاء في الإسلام ، ص 158.

النظر في الجنايات والحدود، وقام بهذا الشأن بعض الولاة أيضاً، كما ظهر في هذا العهد تعدد القضاة في وقت واحد في المدن الكبرى والأقطار الواسعة كالمدينة المنورة، والكوفة، والبصرة، واليمن، كما ظهر قاضٍ للعسكر لأول مرة.

9- تأكد في هذا العهد ما كان في العهد النبوي من مراقبة الأحكام القضائية، وإقرار ما وافق القرآن والسنة، وما صدر عن الرأي والاجتهاد، لأن الاجتهاد لا ينقض بمثله، وينقض ما خالف القرآن والسنة[1].

10- استحدث في العهد الراشدي رواتب القضاة بشكل منظم، مع التوسعة على القضاة، وأقيمت دار للقضاء، وأنشئ السجن للحبس، كما ظهرَ ولأول مرةً امتناع كبار الصحابة عن القضاء، كابن عمر الذي طلبه عثمان فامتنع، وكعب بن يسار بن ضَنَّة الذي طلبه عمر لتوليته القضاء بمصر فأبى أن يقبل، وقيل: قبله أياماً، ثم اعتزل[2].

11- كانت إجراءات التقاضي في العهد الراشدي بسيطة وسهلة وقليلة، بدءاً من سماع الدعوى، إلى إقامة البينة والإثبات والحجج، إلى إصدار الحكم فيها، إلى التنفيذ، وكانت اداب القضاء مرعية في حماية الضعيف، ونصرة المظلوم، والمساواة بين الخصوم، وإقامة الحق والشرع على جميع الناس، ولو كان الحكم على الخليفة أو الأمير أو الوالي، وكان القاضي في الغالب يتولى تنفيذ الأحكام، إن لم ينفذها الأطراف طوعاً واختياراً، وكان التنفيذ عقب صدور الحكم فوراً، ولكن ظهرت في العهد الراشدي أمور تنظيمية جديدة، فوجد كاتب للقاضي في عهد عمر، وظهرت الشرطة والأعوان لمساعدة القاضي والوالي في عهد عثمان، وتطور التحقيق الجنائي على عهد سيدنا علي رضي الله عنه، وفرق بين الشهود للوصول إلى الحق وكشف الواقع حتى صار مضرب المثل[3].

ثالثاً: أشهر قضاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أقرَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعض القضاة الذين ثبتت جدارتهم، وكانوا على القضاء قبله، وعين قضاة وولاة اخرين[4] ؛ منهم:

1- شريح بن الحارث: الذي كان على قضاء الكوفة، وأقره علي عليها، وكان يرزقه كل شهر خمسمئة درهم[5].

([1]) تاريخ القضاء في الإسلام ، ص 159.

([2]) المصدر السابق نفسه ، ص 160.

([3]) تاريخ القضاء في الإسلام ، ص 160.

([4]) القضاء في صدر الإسلام ، جبر محمود ، ص 239.

([5]) أخبار القضاة (227/2).

2- أبو موسى الأشعري: الذي ولاه عثمان القضاء بالكوفة، فأقره علي، ثم عزله[1].

3- عبيد الله بن مسعود: الوالي والقاضي باليمن.

4- عثمان بن حنيف: على البصرة.

5- قيس بن سعد: على مصر، وكان شهد فتح مصر، واختطَّ بها داراً، ووليها لعلي، ثم عزله بمحمد بن أبي بكر[2].

6- عمارة بن شهاب: على الكوفة.

7- قثم بن العباس: على المدينة المنورة، سنة 37 هـ على مكة والطائف[3].

8- جعدة بن هبيرة المخزومي، ثم خليد بن قرة اليربوعي: على خراسان[4].

9- عبد الله بن عباس: كان والياً لعلي على البصرة، وكان أبو الأسود الدؤلي على قضائها، وفي قول: ولَّى عبد الله بن عباس على القضاء في البصرة عبد الرحمن بن يزيد الحُدّاني، وكان أخا المهلب بن أبي صفرة لأمه، وبقي قاضياً عليها أيام علي بن أبي طالب، وطائفة من عمل معاوية حتى قدم زياد فعزله[5]، وقال أبو عبيدة: كان ابن عباس يفتي الناس ويحكم بينهم[6]، وإذا خرج ابن عباس عن البصرة استخلف أبا الأسود، فكان هو المفتي، والقاضي يومئذ يدعى المفتي، فلم يزل كذلك حتى قتل علي سنة أربعين، ونقل عن أبي الأسود أقضية طريفة، لما خرج أمير المؤمنين علي من المدينة إلى البصرة ولّى عليها عبد الله بن عباس[7].

10- سعيد بن نمران الهمذاني: الذي عينه علي لما قدم الكوفة، ثم عزله، ثم استقضاه مصعب بن الزبير على الكوفة، فقضى ثلاث سنوات، ثم عين ابن الزبير عبد الله بن عتبة بن مسعود[8].

11- عبيدة السلماني: محمد بن حمزة الذي عينه علي على قضاء الكوفة بعد عزل سعيد الهمذاني، وقال له: اقضوا كما كنتم تقضون، ثم عزله وعين شريحاً، وقال الشعبي: كان شريح أعلم الناس بالقضاء، وكان عبيدة يوازي شريحاً في القضاء،

---

(1) تاريخ القضاء في الإسلام ، ص 149.
(2) تاريخ الطبري (589/5).
(3) تاريخ الطبري (71/6).
(4) تاريخ القضاء في الإسلام ، ص 151.
(5) أخبار القضاة (288/1 ، 289).
(6) المصدر السابق نفسه ، (288/1).
(7) تاريخ القضاء في الإسلام ، ص 151.
(8) أخبار القضاة (396/2 ، 397).

وله أقضية طريفة، وكان من علماء الكوفة المشهورين، وكان شريح يستشيره ويرجع إليه[1].

12- محمد بن يزيد بن خليدة الشيباني: عينه علي قاضياً على الكوفة، وله أقضية فيها[2].

وقد كان قضاة علي في الأمصار هم ولاته على البلدان المختلفة؛ لأن ولايتهم كانت عامة تشمل الحكم والإدارة وإقامة الحدود والإمامة والقضاء وجباية الصدقات وغيرها[3]، وكان علي رضي الله عنه يطلب من ولاته التحري في تعيين القضاة، مما يدل على أنه خوَّل لهم تعيين القضاة في البلدان التابعة لولاياتهم، مع أن الولاةَ - في الغالب - هم قضاة الأمصار التي يقيمون فيها، إلا أنه ورد ذكر أسماء عدد من قضاة الأمصار في عهد علي كما مر معنا، ويبدو أن ولاة الأمصار كان لهم الحق في النظر في المظالم التي يرفعها الناس ضد أحكام القضاء، وبالدرجة الأولى التي حكم فيها قضاة ولوا من قبلهم وليس من قبل الخليفة، كما كان لهم النظر في المظالم الأخرى من قبل قضاة البلدان المعينين من قبل الخليفة بحكم عموم ولايتهم[4]،إلا أنهم كانوا يرجعون إلى الخليفة في مثل هذه القضايا، ومن المعروف أن الخلفاء كانوا يفتحون أبوابهم لمن يجأر بالشكوى؛ سواء كانت الشكوى ضد الولاة أو ضد القضاة أو عمال الخراج أو غيرهم[5].

رابعاً: الأسلوب القضائي عند أمير المؤمنين علي، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء، ومكانة ومجانية الحصول على الحكم:

1- إبقاؤه على أسلوب القضاء:

يظهر أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه كان ينوي إدخال بعض التعديلات في أسلوب القضاء وأصول المحاكمات بما يتناسب مع التطورات الجديدة التي طرأت على المجتمع، إلا أنه أرجأ ذلك إلى أن تستقر الأمور، فقد أثر عنه أنه رضي الله

---

(1) طبقات ابن سعد (10/6)؛ أخبار القضاة (399/2 ، 401).

(2) أخبار القضاة (395/1).

(3) قضاء أمير المؤمنين ، عبد الله بن عثمان ، ص 290.

(4) الأحكام السلطانية للماوردي ، ص 77.

(5) الولاية على البلدان (93/2).

عنه قال: اقضوا كما تقضون حتى تكونوا جماعة، فإني أخشى الاختلاف[1].

2- عدم نقضه الأحكام الصادرة قبله:

وحرصاً على استقرار الأمور؛ فإن أمير المؤمنين كان يرى بأنه لا يحق للقاضي أن ينقض حكماً أصدره قاض اخر، وقد كان هو رضـــي الله عنه كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبيﷺ، فكثروا في عهد عمر حتى خافهم على الناس، فوقع بينهم الاختلاف، فأتوا عمر، فسألوه البدل، فأبدلهم، ثم ندموا، ووضع عليهم شيئاً فأبوه، فاستقالوه، فأبى أن يقيلهم، فلما ولي علي أتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين! شـفاعتك بلسـانك، وخطك بيمينك، فقال علي: وَيْحَكُم إن عمر كان رشـيد الأمر[2]، ولن أرد قضاءً قضى به عمر[3].

3- الأهلية للقضاء:

القضـاء من الولايات العامة، ولذلك يشـترط في القاضـي ما يشـترط فيمن تكون له ولاية عامة على المسـلمين من العقل والبلوغ والإسلام، ويشـترط في القاضي أن يكون عفيفاً عما في أيدي الناس، حليماً لا تثيره الكلمة، ولا يغضبه التصـرف النابي، عالماً بأحكام الشريعة، وبناسـخها ومنسوخها، فقد قال علي بن أبي طالب لقاضٍ: هل تعلم الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت[4]، وإنما سأله علي عن الناسخ والمنسوخ لأن معرفته ليس بالأمر السهل في ذلك العصر، ويشترط فيه أن يكون عالماً بما قضى به القضاة السابقون، حتى لا يخرج عن خطهم في القضاء، حسماً لفوضى الأحكام، وأن يكون متواضـعاً لا يرى غضـاضـة في اسـتشـارة ذوي العلم والعقل الراجح، لأن هذه الشـورى تبعده عن الخطأ في الأحكام، وأن يكون جريئاً في الحق لا يتأخر عن النطق بالحكم به ولو أغضـب ذوي السـلطان، وقد جمع ذلك كله قول علي رضـي الله عنه: لا ينبغي أن يكون القاضـي قاضـياً حتى تكون فيه خمس خصـال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الألباب، لا يخاف في الله لومة لائم[5].

4- مكان القضاء:

على القاضـي أن يختار مكان جلوسـه بين المتخاصـمين في وسـط المدينة؛ بحيث لا يشـق على أحد الوصـول إليه، ولذلك

---

(1) مصنف عبد الرزاق (329/11).
(2) سنن البيهقي (120/10).
(3) المغني (57/9).
(4) سنن البيهقي (117/10).
(5) المغني (43/9).



كان علي رضي الله عنه يأمر شريحاً القاضي بالجلوس في المسجد الأعظم[1]، لتيسير الوصول إليه[2].

5- مجانية الحصول على الحكم:

لما كان إقامة العدل بين الناس من أهداف الدولة الإسلامية، فإن الفقه الإسلامي يقضي بأن لا يقام أي حائل بين صاحب الحق وبين الحصول على حقه، ولذلك فإن المتقاضيين لا يدفعان للقاضي ولا للدولة شيئاً من المال للحصول على الحكم الذي يفصم الخلاف بينهما، بل الدولة الإسلامية هي التي تتكفل بنفقات الحاكم والمحكمة، وقد كان علي رضي الله عنه يعطي شريحاً على القضاء رزقاً، وقد رزقه حين ولاه القضاء في الكوفة كل شهر خمسمئة درهم[3].

6- بذور المحاماة:

في العهد الراشدي ظهرت بذور المحاماة، فكان علي رضي الله عنه يوكل أخاه عقيلاً في المخاصمة، ولما أسن عقيل، وكّل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إمام القضاء، وكان يقول: ما قضي لوكيلي فلي، وما قضي على وكيلي فعلي[4].

خامساً: ما يجب على القاضي:

لكي يحقق القاضي العدل في الأحكام لا بد له من مراعاة ما يلي:

1- دراسة القضية المعروضة عليه دراسة واعية: ولا يجوز له أن يتسرَّع في إصدار الحكم قبل الانتهاء من الدراسة، والاطمئنان إلى الحكم، ولذلك قال علي لشريح: لسانك عبدك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت فأنت عبده، فانظر ما تقضي وفيم تقضي وكيف تقضي[5].

2- المساواة بين الخصوم: فقد نزل على علي ضيف، فكان عنده أياماً، فأتى في خصومة، فقال له علي: أخصم أنت؟ قال: نعم، قال: فارتحل عنا، فإنا نهينا أن ننزل خصماً إلا مع خصمه[6].

3- عدم الصياح بالمتخاصمين: ولَّى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الأسود الدؤلي القضاء، ثم عزله، فقال: لم عزلتني

---

(1) مسند زيد (137/4) ؛ موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص 506.
(2) موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص 506.
(3) موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص 506.
(4) أصول المحاكمات الشرعية ، ص 70 ؛ تاريخ القضاء في الإسلام ، ص 132.
(5) كنز العمال ، رقم 14433.
(6) كنز العمال ، برقم 14429 ؛ مصنف عبد الرزاق (300/8).

وما خنت ولا جنيت؟ فقال: إنما رأيتك يعلو كلامك على الخصمين[1].

4- الابتعاد عن المؤثرات ومجاهدة النفس: سواء كانت هذه المؤثرات قرابة، أو مالاً، أو بغضاً، أو ... فقد جاء جعدة بن هبيرة إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من نفسه، والاخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا على هذا؟ قال: فلمزه علي وقال: هذا شيء لو كان لي لفعلت، ولكن إنما ذلك شيء لله[2].

5- الشورى: وعلى القاضي أن يستشير ذوي العلم والرأي لئلا يفلت منه حق، وقد كان علي رضي الله عنه أحد أعضاء الشورى الذين يحرص الخلفاء على استشارتهم عندما تعرض عليهم مشكلة، فقد روى الخصاف في أدب القاضي أن عثمان بن عفان كان إذا جاءه الخصمان قال لهذا: ادع علياً، وقال لهذا: ادع طلحة والزبير ونفراً من أصحاب رسول الله، فإذا جاؤوا إليه قال لهما: تكلما، فإذا تكلما يقبل عليهم فيقول: ماذا تقولون؟ فإن قالوا ما يوافق قوله قضى عليهما ولا ينظرهم بعد[3].

([1]) المغني (104/9).

([2]) فقه علي بن أبي طالب ، قلعجي ، ص 508.

([3]) شرح أدب القاضي للخصاف (305/1)؛ موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص 508.

المبحث الثالث : من فقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

أولاً: في العبادات:

لم يألُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه جهداً في بيان أحكام العبادات للناس، لما يتمتع به من غزارة في العلم وفقه في الدين، وما بينه للناس من أحكام العبادات يحتاج إلى سـفر ضـخم[1]، ولكن نشـير إلى مجموعة في الأحكام في هذا الكتاب على النحو التالي:

أحكام في الطهارة:

1- يغسل بول الجارية وينضح من بول الغلام ما لم يطعم:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يغسل من بول الجارية، وينضح من بول الغلام ما لم يطعم[2]. والدليل على ذلك: لما بال الحسين بن علي في حجر النبيﷺ، قالت لبابة بنت الحارث: يا رسول الله! أعطني ثوبك، والبس ثوباً غيره. فقال: إنما ينضح من بول الذكر، ويغسل من بول الأنثى[3].

2- نوم الجالس وحكمه في نقض الوضوء:

أخرج عبد الرزاق في مصـــنفه بســـنده: أن علياً، وابن مســـعود، والشـــعبي قالوا في الرجل ينام وهو جالس: ليس عليه الوضوء[4]. ودلَّ على ذلك حديث رسول الله ﷺ : «العين وكاء السه، فمن نام فليتوضأ»[5].

3- غسل المذي والوضوء منه:

قال أمير المؤمنين علي رضـــي الله عنه: كنت رجلاً مذاء فأمرت رجلاً[6]، أن يســـأل النبيﷺ لمكان ابنته فســـأله، فقال: «توضأ، واغسل ذكرك»[7].

---

(1) انظر على سبيل المثال: موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، محمد قلعجي ؛ فقه الإمام علي ، أحمد طه.
(2) صحيح سنن أبي داود للألباني (75/1) ، صحيح موقوف.
(3) صحيح سنن ابن ماجه (85/1) ، حسن صحيح.
(4) المصنف (131/1).
(5) صحيح سنن أبي داود للألباني (41/1).
(6) الرجل: هو المقداد كما في رواية البخاري.
(7) مسلم ،كتاب الحيض (247/1).

4- قراءة القرآن من دون مسِّ المصحف على كل حال ما لم يكن جنباً:

قال علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه: كان رســـول الله ﷺ يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً[1]، وعن عامر الشـعبي قال: سمعت أبا الغريف الهمداني يقول: شـــهدت علي بن أبي طالب بال ثم قال: اقرؤوا القرآن ما لم يكن أحدكم جنباً، فإذا كان جنباً فلا، ولا حرفاً واحداً[2].

5- وطء الحائض: سـأل عمر رضـي الله عنه علياً: ما ترى في رجل وقع على امرأته وهي حائض؟ قال: ليس عليه كفارة إلا أنه يتوب[3]، وقد أجمعت الأمة على حرمة وطء الحائض دون خلاف[4]، لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيْضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 222].

6- مباشرة الحائض: فقد سئل علي رضي الله عنه: مالك من امرأتك إذا كانت حائضاً؟ قال: ما فوق الإزار[5]، ودليله في ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً أمرها رسول الله ﷺ فتأتزر بإزار، ثم يباشرها[6].

أحكام في الصلاة:

1- لا يقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نهاني رسول الله ﷺ عن قراءة القرآن وأنا راكع أو ساجد[7].

2- من لم يصلِّ فهو كافر:

سـئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـي الله عنه: يا أمير المؤمنين! ما ترى في امرأة لا تصـلي؟ قال: من لم يصـل فهو كافر[8]. قال عبد الله بن شـقيق: لم يكن أصـحاب رسـول الله ﷺ يرون شـيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصـلاة، ولأنها عبادة يدخل بها في الإســلام، فيخرج بتركها منه كالشــهادة[9]، ويؤيد هذا الحكم، قول رســول الله ﷺ : «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[10].

---

[1] مسند أحمد (51/2) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
[2] مصنف عبد الرزاق (336/1).
[3] مصنف ابن أبي شيبة (59/1).
[4] بداية المجتهد (57/1) ؛ المجموع (359/2).
[5] فقه الإمام علي بن أبي طالب(155/1).
[6] مسلم (166/1).
[7] مسلم (349/1).
[8] مصنف ابن أبي شيبة (47/11) ؛ كنز العمال (13/8).
[9] المغني (44/2).
[10] مسلم ، كتاب الإيمان (88/1).

قال الإمام النووي: تارك الصلاة إن كان منكراً لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين، خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلاً مع اعتقاد وجوبها- كما هو حال كثير من الناس - فقد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعي (رحمهما الله) والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر، بل يفسق، ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حداً، كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل (رحمه الله)، وبه قال عبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة، والمزني صاحب الشافعي أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر، ويحبس حتى يصلي[1].

3- إعادة الصلاة في الوقت:

إذا أعاد المصلي صلاته في الوقت لفضيلة الجماعة؛ فإن [2] الأولى فرضه، والمعادة نافلة عند علي، نقل ذلك عن ابن قدامة، وعن الحارث عن علي في الذي يصلي وحده ثم يصلي في الجماعة، قال: صلاته الأولى[3]، أي: الثانية نافلة له، ودليله: ما رواه أبو ذر حيث قال: قال لي رسول الله ﷺ : «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميتون الصلاة أو يؤخرون الصلاة عن وقتها، فإن أدركتها معهم فصلِّ فإنها لك نافلة»[4]، وجه الدلالة: أنه سمى التي يصليها جماعة نافلة[5]، وإذا أعاد المغرب شفعها بركعة عند علي، فعن الحارث عن علي إذا أعاد المغرب شفع بركعة[6].

4- قضاء الفوائت:

من فاتته صلاة فيجب عليه قضاؤها، ويستحبُّ أن يقضيها على الفور عند علي، وقد قال علي: إذا نام الرجل عن صلاة أو نسي فليصلِّ إذا استيقظ أو ذكر[7]، وعلى هذا إجماع المسلمين دون خلاف[8]، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ

---

(1) شرح صحيح مسلم (70/2) ؛ المغني (442/2 . 447).
(2) المغني (113/2).
(3) مصنف ابن أبي شيبة (276/2)؛ كنز العمال ، رقم 22833.
(4) مسلم ، كتاب المساجد ، رقم 240.
(5) فقه الإمام علي بن أبي طالب (177/1).
(6) مصنف ابن أبي شيبة (276/2).
(7) المصدر السابق نفسه ، (64/2).
(8) فقه الإمام علي بن أبي طالب (181/1).

: إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلِّها إذا ذكرها، فإن الله يقول: أقم الصلاة لذكري[1].

5- صلاة التراويح:

عن أبي عبد الرحمن السلمي: أن علياً قام بهم في رمضان[2]، وعن إسماعيل بن زياد قال: مرَّ علي على المساجد وفيها القناديل في شهر رمضان، فقال: نور الله على عمر قبره، كما نور علينا مساجدنا[3]. وعلى هذا إجماع مذاهب أهل السنة[4].

والحجة في ذلك: ما رواه أبو هريرة: أن النبيﷺ قال: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[5]. وجه الدلالة: أن التراويح من القيام فهو سنة[6]، والجماعة في التراويح أفضل عند علي، وكان هو يصليها جماعة[7]، ويجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً، فعن عرفجة الثقفي قال: كان علي بن أبي طالب يأمر الناس بقيام شهر رمضان، ويجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً، قال عرفجة: فكنت أنا إمام النساء[8]، وصلاة التراويح لها دليل في أصلها من هدي النبيﷺ، فعن عروة بن الزبير: أن عائشة رضي الله عنها أخبرته: أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون، فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى الناس بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فقال: «إنه لم يخْفَ علي مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها»، فتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك[9].

6- صلاة العيد في المسجد بالشيوخ والضعفاء:

لما تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة وصار بالكوفة، وكان الخلق بها كثيراً، قالوا: يا أمير المؤمنين، إن بالمدينة شيوخاً وضعفاء يشق عليهم الخروج إلى الصحراء، فاستخلف علي بن أبي طالب رجلاً يصلي بالناس العيد في المسجد،

---

(1) مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (477/1) ، رقم 684.
(2) المغني (169/2) ؛ مصنف ابن أبي شيبة (395/2).
(3) المغني (169/2).
(4) بداية المجتهد (214/1) ؛ المغني (165/2).
(5) مسلم ، رقم 759.
(6) فقه الإمام علي بن أبي طالب (285/1).
(7) المغني (168/2).
(8) المجموع (34/4) ؛ مصنف ابن أبي شيبة (222/2).
(9) البخاري ، رقم 2012.

وهو يصـــلي بالناس خارج الصـــحراء، ولم يكن هذا يفعل قبل ذلك، وعلي من الخلفاء الراشـــدين، وقد قال النبيﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي[1]، فمن تمسك بسنة الخلفاء الراشدين فقد أطاع الله ورسوله»[2].

7- تغسيل الرجل زوجته:

يجوز للرجل أن يغســـل جنازة زوجته عند علي؛ إذ إنه غســـل زوجته فاطمة رضـــي الله عنهما[3]. وعن أسماء بنت عميس قالت: أوصـــت فاطمة إذا ماتت ألا يغســـلها إلا أنا وعلي، قالت: فغســـلتها أنا وعلي[4]، وحكي إجماع الصـــحابة على ذلك؛ لأن ذلك اشتهر فيهم ولم ينكروه[5]، وبه قال جمهور العلماء، والحجة لهم: لقول رسول الله ﷺ لعائشة: «ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك»[6].

8- الكفن من مال الميت:

يحسب تكاليف تكفين الميت من رأس ماله إن كان له مال عند علي[7]، فعن عبد الله بن ضمرة، عن أبيه، عن جده، عن علي رضـــي الله عنه أنه قال: الكفن من رأس المال[8]. والحجة في ذلك: أن مصـــعب بن عمير قتل يوم أحد ولم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ : «ضعوها مما يلي رأسه، واجعلوا على رجليه الأذخر»[9]. وجه الدلالة: أنه لو كان واجباً على المسلمين لأخذ له من المسلمين الحاضرين ما يتم به كفنه[10].

---

(1) سنن الترمذي في العلم ، رقم 2676 ، حسن صحيح.
(2) الفتاوى (113/24).
(3) السيل الجرار؛ (344/1) ؛ المبسوط (71/2).
(4) مصنف عبد الرزاق (410/3) المحلى (175/5).
(5) المغني (252/2) ؛ نيل الأوطار (58/4).
(6) سنن ابن ماجه ، رقم 1464 ، إسناده صحيح.
(7) فقه الإمام علي بن أبي طالب (305/1).
(8) الطبراني في الأوسط (67/4) ، إسناده ضعيف.
(9) مسلم (649/2) ، رقم 940.
(10) فقه الإمام علي بن أبي طالب (306/1).



9- كفن الرجل والمرأة وعدم المغالاة فيه:

يسن أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب، والمرأة في خمسة أثواب، عند علي، نقل ذلك عنه الكاساني وغيره[1]، ويكره المغالاة في الكفن؛ وهو الزيادة على الثلاثة للرجل والخمسة للمرأة عند علي[2]، فقد قال أمير المؤمنين علي: كفن المرأة خمسة أثواب، وكفن الرجل ثلاثة، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[3].

10- غسل الشهيد وكفنه:

لا يغسل الشهيد ولا يكفن عند علي، فقد نقل ذلك عنه الكاساني وغيره[4]، وروي عنه: أنه لم يغسل من قتل معه في قتال مع مخالفيه ولم يأمر بتكفينهم، بل دفن عماراً ولم يغسله[5]، وهذا قول جمهور أهل العلم إلا الحسن البصري وسعيد بن المسيب لقولهما: إن الميت يجنب[6].

أحكام متعلقة بالزكاة:

1- لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول:

بين أمير المؤمنين علي أن حولان الحول شرط في وجوب الزكاة، لما ورد عنه رضي الله عنه قال: ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول[7]. والحول شرط لوجوب الزكاة في النقود والمواشي، وأموال التجارة، وليس بشرط في الزرع، وذلك إجماع لا خلاف فيه[8].

2- نصاب الذهب والفضة ومقدار الزكاة فيهما:

بيَّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن نصاب الذهب عشرون مثقالاً، وليس فيما دونه زكاة، وما زاد

---

(1) البدائع (766/2)؛ المبسوط (72/2).
(2) فقه الإمام علي بن أبي طالب (307/1).
(3) البدائع (766/2)؛ المبسوط (72/2).
(4) البدائع (287/2) ؛ فقه الإمام علي بن أبي طالب (306/1).
(5) المغني (534/2) ؛ فقه الإمام علي (306/1).
(6) البدائع (806/2) ؛ المغني (529/2).
(7) مسند أحمد (311/2) ، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(8) موسوعة فقه الإمام علي ، قلعجي ، ص 295.

فبحسابه، حيث يقول: ليس فيما دون عشرين ديناراً شيء، وفي عشرين نصف دينار، وفي أربعين دينار، فما زاد بالحساب[1]. وقال عن نصاب الفضة: ليس في أقل من مئتي درهم زكاة[2]. وقال: فإذا بلغ مئتي درهم ففيه خمسة دراهم، وإن نقص من المئتين فليس فيه شيء، وإن زاد على المئتين فبحسابه[3].

3- نصاب الإبل ومقدار الزكاة فيها:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: في خمس من الإبل شاة إلى تسع، فإن زادت واحدة ففيها شاتان إلى أربع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها ثلاث شياه إلى تسع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها أربع شياه إلى أربع وعشرين، فإن زادت واحدة ففيها خمس شياه[4]، فإن زادت واحدة ففيها بنت مخاض أو لبون (ذكر أكبر منها بعام) إلى خمس وثلاثين، فإن زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى خمس وأربعين، فإن زادت واحدة ففيها حقة (طروقة الفحل) إلى ستين، فإن زادت واحدة ففيها بنتا لبون إلى تسعين، فإذا كثرت الإبل ففي كل خمسين من الإبل حقة، ولا يجمع بين مفترق، ولا يفرق بين مجتمع[5].

4- الأصناف التي تجب فيها الزكاة من الزروع:

الأصناف التي تجب فيها الزكاة عند علي؛ هي: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره[6]. وقد قال علي: الصدقة عن أربع: من البر فإن لم يكن بر فتمر، فإن لم يكن تمر فزبيب، فإن لم يكن زبيب فشعير[7].

5- عدم الزكاة في الخضراوات والفواكه والعسل:

قال أمير المؤمنين علي: ليس في الخضر صدقة[8]، وفي رواية: ليس في الخضر والبقول صدقة[9]، وهو قول جمهور

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (119/3).
(2) المصدر السابق نفسه (117/3).
(3) المحلى (61/6 ، 59) ؛ المجموع (16/6).
(4) عند ابن قدامة في المغني (579/2) من 24 إلى 35 فيها بنت مخاض.
(5) مصنف ابن أبي شيبة (122/3).
(6) المحلى (212/5)؛ فقه الإمام علي (346/1).
(7) مصنف ابن أبي شيبة (438/3).
(8) مصنف عبد الرزاق ، رقم 7188؛ جمع الجوامع (157/2).
(9) سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (347/1).



العلماء[1]، ولا زكاة في الفواكه عند علي ؛ فعن أبي إسحاق عن علي قال: ليس في التفاح وما أشبهه صدقة[2]. وعن عاصم بن ضمرة عن علي قال: ليس في الخضر صدقة؛ البقل والتفاح والقثاء[3]. وهو قول كل من قال باقتصار وجوب الزكاة على الأصناف الأربعة، والحجة لهم: لدخولها تحت حكم الخضروات لاشتراكها معها في عدم البقاء والادِّخار[4]، وأما زكاة العسل فهي غير واجبة عند علي حيث قال: ليس في العسل زكاة[5].

6- صرف الزكاة لصنف واحد:

يجوز إعطاء الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية، أو لشخص واحد يغنون بها عند علي، فقد قال: لا بأس أن يبعث الرجل الصدقة في صنف واحد[6]، وروى عنه: أنه أتي بصدقة فبعثها إلى أهل بيت واحد[7].

7- إعطاء الزكاة للأصول والفروع:

قال أمير المؤمنين علي: ليس لولد ولا لوالد حق في صدقة مفروضة، ومن كان له ولد أو والد فلم يصله فهو عاق[8]. وحكي إجماع العلماء على هذا، وحمل من خالفه على صدقة التطوع، والحجة لهم: لأن منفعتها تعود على دافع الزكاة لأنها تغنيهم عن النفقة فلا يدفعها إليهم، وقد يتخذ ذلك حيلة للتخلص من دفع الزكاة، ثم إن الزكاة والنفقة واجبان مستقلان لا يحل أحدهما مكان الاخر، كالصلاة والصوم، وأن الزكاة حق لله تعالى فهي عبادة، وأما النفقة فهي حق العباد، وهي صلة القرابة[9].

أحكام متعلقة بالصيام:

1- ثبوت صيام رمضان برؤية الواحد العدل:

---

(1) فقه الإمام علي (347/1).
(2) جمع الجوامع (95/2)؛ فقه الإمام علي (348/1).
(3) مصنف عبد الرزاق ، رقم 7188؛ فقه الإمام علي (348/1).
(4) فقه الإمام علي بن أبي طالب (345/1).
(5) جمع الجوامع (2/ 157)؛ فقه الإمام علي (345/1).
(6) فقه الإمام علي (352/1) نقلاً عن سنن البيهقي.
(7) البدائع (104/2)؛ فقه الإمام علي (352/1).
(8) سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (355/1).
(9) فقه الإمام علي بن أبي طالب (355/1).

يثبت دخول شهر رمضان عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بخبر الواحد العدل، ويلزم الناس بصيامه، فعن فاطمة بنت الحسين أن رجلاً شهد عند علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على رؤية هلال رمضان فصام، وأحسبه قال: وأمر الناس بالصيام[1]. وهذا الحكم مبني على ما ثبت عن رسول الله ﷺ : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً»[2]، قال النووي: المراد رؤية بعض المسلمين، ولا يشترط رؤية كل إنسان، بل يكفي جميع الناس رؤية عدلين، وكذا عدل على الأصح، وأما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء، إلا أبا ثور فجوزه بعدل[3].

2- صيام الجنب:

يجوز أن يصوم المجنب؛ أي: يؤخر الغسل حتى يصبح ثم يغتسل ويتم صومه عند علي، نقل ذلك عنه ابن قدامة. وعن الحارث عن علي قال: إذا أصبح الرجل وهو جنب فأراد أن يصوم فليصم إن شاء[4]. والدليل على ذلك: ما ورد عن عائشة وأم سلمة: أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم[5].

3- الإفطار للشيخ الكبير:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في تفسيره قول الله تعالى: قال: الشيخ الكبير الذي ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ يستطيع الصوم يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكيناً[6].

4- مكان الاعتكاف:

عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال: لا اعتكاف إلا في مسجد جماعة[7]. وفي لفظ: لا اعتكاف إلا في مصر

---

(1) المجموع (315/6)؛ المغني (90/3) موسوعة فقه الإمام علي ، ص 420.

(2) مسلم (2/ 759).

(3) شرح صحيح مسلم (190/7).

(4) مصنف ابن أبي شيبة (81/3)؛ المغني (137/1).

(5) البخاري (232/2).

(6) تفسير الطبري (81/2).

(7) مصنف عبد الرزاق ، رقم 8009.

جامع[1]، ولعله قصد بذلك أن الاعتكاف لا يقام إلا في مسجد المصر الجامع الذي تقام فيه الجمعة[2].

5- ما يجوز للمعتكف:

قال علي: إذا اعتكف الرجل فليشهد الجمعة، وليعد المريض، وليشهد الجنازة، وليأتي أهله، وليأمرهم بالحاجة وهو قائم[3].

من أحكام الحج:

1- تقبيل المحرم امرأته:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: من قبَّل امرأته وهو محرم فليهرق دماً[4].

2- قتل المحرم للحيوان الصائل:

عن مجاهد عن علي؛ في الضبع إذا عدا على المحرم: فليقتله؛ فإن قتله قبل أن يعدو عليه فعليه شاة[5]، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 173]؛ لأنه إن لم يقتله قَتَلَهُ فيتحقق منه الاضطرار، ثم أنه انقلب بذلك حيواناً شريراً، فيلحق بالمؤذيات التي يجوز قتلها[6].

3- قتل الغراب:

يجوز للمحرم قتل الغراب عند علي، فقد قال: يقتل المحرم الغراب[7]، ودليل ذلك: قول رسول الله ﷺ : «خمس فواسق يقتلن في الحرم: الفأرة، والعقرب، والغراب، والحدأة، والكلب العقور»[8].

4- الشك في الطواف:

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (91/3).

(2) فقه الإمام علي بن أبي طالب (386/1).

(3) مصنف ابن أبي شيبة (87/3)؛ جمع الجوامع (140/2).

(4) فتح العزيز، شرح الوجيز للرافعي الهامش المجموع (480/7).

(5) مصنف ابن أبي شيبة (6/4).

(6) فقه الإمام علي بن أبي طالب (403/1).

(7) مصنف ابن أبي شيبة (94/4).

(8) سنن الترمذي (166/1) ، حسن صحيح.

قال أمير المؤمنين: إذا طفت في البيت فلم تدرِ أتممت أو لم تتم؛ فأت ما شككت، فإن الله لا يعذب على الزيادة[1].

5- النسيان في الطواف:

إذا نسي الرجل فطاف أشواطاً زائدة على المسنون؛ يضيف إليها ما يبلغه مجموع أشواط طوافين عند علي، قال علي في الرجل ينسى فيطوف ثمانية؛ فليرد عليها ستة حتى تكون أربعة عشر يصلي أربع ركعات[2].

6- النيابة للحج:

من استطاع بماله الحج ولم يستطع ببدنه لشيخوخة أو مرض يجب عليه أن ينيب عنه غيره عند علي، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره[3] ؛ فقد قال في الشيخ الكبير: إنه يجهز رجلاً بنفقته فيحج عنه[4]. ودليل ذلك: ما روى ابن عباس: أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله! إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره، فقال النبيﷺ : «فحجي عنه»[5]، وهذا يدل على أن الاستطاعة بالمال كافية لوجوب الحج على المكلف عند علي ومن معه، أما الاستطاعة بالبدن فيكفي أن يستطيع بغيره إذا وجد سواء أكان بمؤنة أو إجارة أو غيرهما[6].

7- الشك في عدد الرميات:

إذا شك الحاج في عدد رمي الجمرات يعيد ما شك فيه عند علي، فعن أبي مجلز: أن رجلاً يسأل ابن عمر فقال: إني رميت الجمرة ولم أدرِ رميت ستاً أو سبعاً، قال: أنت وذاك الرجل - يريد علياً، فذهب فسأله فقال: أما أنا لو فعلت في صلاتي لأعدت الصلاة، فجاء فأخبره بذلك، فقال: صدق، أو أحسن، قال الشيخ: وكأنه أراد - والله أعلم - لأعدت المشكوك في فعله، كذلك في الرمي يعيد المشكوك في رميه[7].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (96/4).
(2) مصنف عبد الرزاق ، رقم 9814.
(3) المحلى (61/7)؛ المغني (228/3).
(4) المصدر السابق نفسه.
(5) مسلم (974/2) ، رقم 1335.
(6) فقه الإمام علي بن أبي طالب (420/1).
(7) سنن البيهقي (149/5)؛ نقلاً عن فقه الإمام علي (418/1).

بعض الأحكام ألحقت بالعبادات:

1- إدراك الميتة قبل موتها:

إذا أدرك الحيوان الآيل إلى الموت قبل موته بوقت قصير فذبح جاز أكله، وعلامة حياته قبل ذبحه أن يتحرك منه عضو بعد ذبحه عند علي[1]، فقد قال: إذا وجد الموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أصاب السبع؛ فوجدت تحريك يد أو رجل؛ فذكِّها وَكُلْ[2]. ودليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: 3]. ووجه الدلالة: أن قوله تعالى: استثناء مما ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، أي: إلا ما أدركتم زكاته فيحل أكله[3].

2- ذبائح نصارى العرب:

لا يحل أكل ذبائح نصارى العرب استثناء من عموم النصارى عند علي، نقل ذلك عن الطبري وغيره[4]، وعن عبيدة السلماني قال: لا تؤكل ذبائح نصارى العرب؛ فإنهم لا يتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر[5]. وفي رواية: لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب؛ فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر[6]. وقد استدل على ذلك بعدم التزامهم بتعاليم النصرانية في تحليل ما حللوا وتحريم ما حرموا فلا يعدون منهم، ولكن الله تعالى حين أحل ذبائحهم أحلها في وقت كان النصارى منحرفين عن أصل تعاليم النصرانية سواء في عقيدتها، أو في أحكامها؛ فلم يمنع ذلك من تحليل ذبائحهم، فهذا ما عليه جمهور الصحابة والفقهاء[7].

3- ذبيحة الفخر:

يحرم أكل ما ذبح فخراً عند علي رضي الله عنه، ففي الجارود بن أبي سبرة قال: كان رجل من بني رياح يقال له: ابن وشيل، وهو سحيمُ قال: وكان شاعراً نافراً، غالبه أبا فرزدق الشاعر بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مئة من إبله وهذا مئة من إبله اذا وردت، فلما وردت الإبل الماء قاما إليها بالسيوف فجعلا يكسعان عراقيبهما، فخرج الناس على

---

(1) فقه الإمام علي بن أبي طالب (456/1).
(2) المحلى (458/7).
(3) فقه الإمام علي بن أبي طالب (456/1).
(4) تفسير الطبري (56/6)؛ تفسير القرطبي (78/6).
(5) مصنف عبد الرزاق ، رقم 10035؛ تفسير الطبري (65/6).
(6) مصنف عبد الرزاق ، رقم 10034؛كنز العمال ، رقم 15651.
(7) تفسير الطبري (65/5) ، بداية المجتهد (465/1).

الحمرات[1] يريدون اللحم، وعلي بالكوفة، فخرج على بغلة رسول الله ﷺ، وهو ينادي: أيها الناس! لا تأكلوا من لحومها؛ فإنها أُهِلَّ بها لغير الله.

عن علي قال: أن رســـول الله قال: «لعن الله من ذبح لغير الله»[2]، وجه الدلالة: أن الذبح لأجل الفخر مما أهل به لغير الله، فيشمله الحديث[3].

4- نجاسة البيضة داخل الدجاجة الميتة:

البيضة في بطن الدجاجة الميتة نجسة عند علي لا يجوز أكلها سواء أصلبت قشرتها أم لا، نقل ذلك عنه ابن قدامة[4].

5- طعام المشركين والمجوس غير الذبائح:

لا بأس بأكل طعام المجوس والمشـــركين اذا لم يكن فيها من ذبائحهم؛ لأن التحريم خاص بالذبائح، فقد قال أمير المؤمنين علي: لا بأس بطعام المجوس إنما نهي عن ذبائحهم[5]. وفي رواية: لا بأس بأكل خبز المجوس إنما نهي عن ذبائحهم[6] وهو قول جمهور الفقهاء[7]

6- ترك الشيب أبيض:

يجوز ترك الشـــيب أبيض دون تغييره بحناء أو غيره عند علي نقل ذلك عنه ابن حجر وغيره [8]، وعن الشـعبي قال: رأيت علياً أبيض الرأس واللحية قد ملأت ما بين منكبيه[9]. وعن أبي إسحاق: رأيت علياً أصلع أبيض الرأس واللحية[10]، وعن ابن الحنفية: أن علياً اختضب بالحناء مرة ثم ترك[11].

7- اللعب بالنرد والشطرنج:

لعب النرد حرام عند أمير المؤمنين علي حيث قال: لأن أقلب جمرتين أحب إليّ من أن أقلب كعبين[12]، وكان لا يســـلم

---

(1) فقه الإمام علي (467/1).
(2) مسلم ،كتاب الأضاحي ، باب تحريم الذبح لغير الله (1567/3).
(3) فقه الإمام علي بن أبي طالب (468/1).
(4) المغني (75/1) ؛ المجموع (245/1).
(5) كنز العمال ، رقم 2576 ، فقه الإمام علي بن أبي طالب (476/1).
(6) المغني (296/4).
(7) فقه الإمام علي (477/1).
(8) المنتقى (270/7)؛ فقه الإمام علي (495/1).
(9) فقه الإمام علي (495/1).
(10) مصنف ابن أبي شيبة (427/9).
(11) المصدر السابق نفسه.
(12) المصدر السابق نفسه (738/8).

على أصحاب النردشير[1]، ودليل تحريمه: قول رسول الله ﷺ : «من لعب النردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه»[2]. والشطرنج محرم عند علي أيضاً؛ نقله عنه ابن قدامة[3]. وكان يقول في الشطرنج: هو ميسر الأعاجم[4]. وفي رواية: هو من الميسر[5]. وعن ميسرة بن حبيب قال: مر علي بن أبي طالب على قوم يلعبون بالشطرنج، فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؛ لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفأ خير له من أن يمسها[6]. وعن عمار بن أبي عمار قال: مر علي بمجلس من مجالس تيم الله وهم يلعبون بالشطرنج، فوقف عليهم فقال: أما والله لغير هذا خلقتهم، أما والله لولا أن تكون سنة لضربت بها وجوهكم[7]. والحجة في هذا التحريم بين المتلاعبين وهو علة الميسر المحرم بنص الكتاب فيقاس عليه[8].

8- نكاح المتعة:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: نسخ رمضان كل صوم، ونسخ المتعة الطلاق والعدة والميراث[9]. وحجة علي ما رواه عن النبيﷺ بأنه نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر[10].

9- النكاح بدون ولي:

عن أبي قيس الأودي: أن علياً كان يقول: إذا تزوج بغير إذن ولي ثم دخل بها لم يفرق بينهما، وإن لم يصبها فرق بينهما[11].

10- العيوب الجسدية في المرأة:

إذا وجد الرجل فيمن تزوجها عيباً يصعب المقام معه، قال أمير المؤمنين علي: إنه إذا دخل بها وجب المهر وخيِّر بين الطلاق والإمساك، وإن لم يدخل بها فرق بينهما بدون مهر[12].

---

(1) إعلاء السنن للتهانوي (464/17).
(2) مسلم (1770/4) ، رقم 2260.
(3) المغني (212/10).
(4) إعلاء السنن للتهانوي (464/17) ؛ فقه الإمام علي (501/1).
(5) المصدر السابق نفسه (464/17)؛ فقه الإمام علي (501/1).
(6) المغني (17/9).
(7) سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (502/1).
(8) فقه الإمام علي (502/1).
(9) المصدر السابق نفسه (509/2).
(10) مسلم، كتاب النكاح (1027/2) ، رقم 1407.
(11) مصنف عبد الرزاق (196/6).
(12) كنز العمال ، رقم 45664؛ مصنف عبد الرزاق ، رقم 10677؛ فقه الإمام علي (535/2).

11- نكاح الخصي:

قال أمير المؤمنين علي: لا يحل للخصي أن يتزوج، فإن تزوج ولم تعلم المرأة، فرق بينهما عند علي، فقد قال: لا يحل للخصي أن يتزوج امرأة مسلمة عفيفة[1]، ودليل ذلك: أن الخصاء من العيوب المنفرة التي يصعب معه الجماع أو ينعدم، فقيس على غيره من العيوب التي جاز بها التفريق[2].

12- من تزوج أختان جهلاً بأنهما أختان:

من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى، فظهر أنهما أختان؛ يفارق التي تأخَّر زواجها عند علي، فعن ابن جريج قال: أخبرت عن علي: أنه قال في رجل تزوج امرأة فأصابها، ثم انطلق الى أرض أخرى فتزوج امرأة فأصابها، فإذا هي أختها؛ فقضى أنه يفارق الاخرة ويراجع الأولى، غير أنه لا يراجع الأولى حتى تقضي هذه عدتها[3]. وهو قول جمهور فقهاء المذاهب[4]. والحجة لهم: أن نكاحَ الأول وقع صحيحاً دون الثانية، فإنه باطل لا ينعقد[5].

13- تحريم وطء الزوجة في دبرها:

وطء الزوجة في دبرها حرام عند علي، نقل ذلك عنه ابن قدامة[6]؛ فعن أبي المعتمر قال: نادى علي على المنبر فقال: سلوني، فقال رجل: أتؤتى النساء في أدبارهن؟ فقال: سفلت سفل الله بك! ألم تر أن الله تعالى يقول: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 80]، وروي ذلك عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة، وبه قال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد والمالكية والظاهرية[7]، ودليل التحريم: قول رسول الله ﷺ : «ملعون من أتى امرأته في دبرها»[8]. وجه الدلالة: أن النهي عن الشيء وترتيب اللعن عليه يدل على التحريم[9].

14- عدة الحامل المتوفى عنها زوجها:

إذا كانت المرأة حاملاً وتوفي زوجها، فوضعت قبل أن تنقضي عدتها؛ فعند علي أنها تعتد أبعد الأجلين؛ أي: عدة الحمل

---

(1) مصنف عبد الرزاق ، رقم 10719.
(2) فقه الإمام علي بن أبي طالب (536/2).
(3) مصنف عبد الرزاق ، رقم 10517.
(4) المدونة (280/2) ؛ المغني (2581/6).
(5) فقه الإمام علي بن أبي طالب (562/2).
(6) المغني (22/7).
(7) المصدر السابق نفسه ؛ المحلى (69/7) ؛ تفسير القرطبي (93/3).
(8) سنن أبي داود (256/2) ؛ الجامع الصغير (539/2).
(9) فقه الإمام علي بن أبي طالب (568/2).

إذا لم تضع قبل عدة المتوفى عنها زوجها، فإن وضعت قبل ذلك تعتد أربعة أشهر وعشراً، نقل ذلك عن ابن رشد وغيره[1].

وعن عبد الرحمن بن معقل قال: شـــهدت علياً ســـأله رجل عن امرأة توفي عنها زوجها وهي حامل، قال: تتربص أبعد الأجلين[2]. وعن الشـعبي كان يقول: أجل كل حامل تتربص اخر الأجلين[3]، وقد جمع أمير المؤمنين علي رضــي الله عنه بين قول الله تعالى: ﴿وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 4]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: 234] إذ بينهما عمومٌ وخصـوص فلا يترجح العمل بأحدهما دون الاخر، فيعمل بالاثنين للخروج من الظن إلى اليقين والتخلص من التعارض[4].

والراجح: أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين؛ فقد صح عن عبد الله بن عتبة: أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سـعد بن خولة، وكان ممن شـهد بدراً، فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل؛ فلم تنشـب أن وضـعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاســها تجمّلت للخطاب، فدخل عليها أبو الســنابل بن بعكك، فقال لها: مالي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟! إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشــهر وعشــر، قالت ســبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت عليّ ثيابي حين أمسـيت، فأتيت رسـول الله ﷺ فسـألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضـعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي[5]، وهذا قول جمهور علماء المسلمين. وقيل: حصل الإجماع على ذلك بعد سماع هذا الحديث[6].

وقال الشعبي: ما أصدق أن علي بن أبي طالب كان يقول: عدة المتوفى عنها زوجها اخر الأجلين[7]، ولعل علياً قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة، وإلا فلا يخالف علي الصحيح الثابت عن النبي ﷺ[8].

بعض الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية:

1- جوائز السلطان:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا بأس بجوائز السلطان؛ ما يعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام[9]. وقال

---

(1) بداية المجتهد (95/2)؛ نيل الأوطار (77/8).
(2) مصنف ابن أبي شيبة (300/4).
(3) المصدر السابق نفسه (298/4).
(4) سبل السلام للصنعاني (198/3).
(5) البخاري ، رقم 5318؛ مسلم ، رقم 1484.
(6) المغني (473/7)؛ فقه الإمام علي (716/2).
(7) سبل السلام (198/3).
(8) فقه الإمام علي بن أبي طالب (617/2).
(9) المغني (444/6)؛ فقه الإمام علي (716/2).

أيضاً: لا تسأل السلطان شيئاً، فإن أعطاك فخذ فإن ما في بيت المال من الحلال أكثر مما فيه من الحرام[1].

2- الهدية لرفع الظلم وأخذ الحق:

من نصر شخصاً في حق أو دفع عنه ظلماً لا يجوز له أن يقبل هدية من نصره أو رفع عنه الظلم عند علي، نقل ذلك عنه ابن حزم[2].

3- عدم ضمان العارية:

لا يضمن المستعير العارية إذا تَلِفَتْ بدون تعدٍّ عند علي[3]، فقد قال علي: ليست العارية مضمونة، إنما هو معروف، إلا أن يخالف فيضمن [4].

4- عدم ضمان الوديعة:

الوديعة أمانة بيد المودع عنده، فإذا تلفت عنده من غير جناية فلا ضمان عليه عند علي، فقد قال رضي الله عنه: لا يضمن صاحب العارية، ولا الوديعة[5].

5- بيع الغنيمة للكفار:

لا يجوز بيع ما غنمه المسلمون من أموال الكفار في الحرب إلى الكفار أنفسهم عند علي رضي الله عنه؛ فعن أم موسى قالت: أتي علي بن أبي طالب بانية مخصوصة بالذهب من انية العجم، فأراد أن يكسرها ويقسمها بين المسلمين، فقال ناس من الدهاقين: إن كسرت هذه كسرت ثمنها، ونحن نغلي لك بها، فقال علي: لم أكن لأرد لكم ملكاً نزعه الله منكم، فكسرها وقسمها بين الناس[6]. وقد فعل أمير المؤمنين ذلك حتى لا تذكرهم بأمجادهم، أو تعود بالنفع عليهم.

6- تضمين الصناع:

وذلك حفظاً لأموال الناس من الضياع، قال الشاطبي: إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يصلح الناس إلا ذاك[7]، وفي هذا مقصد من مقاصد الشريعة وهو حفظ الأموال من الضياع[8]، وفي

---

(1) المغني (444/6).
(2) المحلى (129/9).
(3) فقه الإمام علي بن أبي طالب (721/2).
(4) مصنف عبد الرزاق ، رقم 4788.
(5) مصنف عبد الرزاق ، رقم 14786.
(6) فقه الإمام علي بن أبي طالب (752/2).
(7) الاعتصام (119/2).
(8) مقاصد الشريعة الإسلامية، اليوبي ، ص 602.

مصنف عبد الرزاق: أن علياً رضي الله عنه ضمن الخياط والصباغ، وأشباه ذلك احتياطاً للناس[1].

7- عقد الذمة وعدم التشديد في الجباية عليهم:

قال أمير المؤمنين علي: لا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف، أما مشركو العجم فتؤخذ منهم الجزية، وأما أهل الكتاب من العرب والعجم فإن أبوا أن يسلموا، وسألونا أن يكونوا أهل ذمة؛ قَبِلنا منهم الجزية[2]. وعن علي: أنه قال: إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا[3]. وكان رضي الله عنه يستعمل الرفق في طريقة أخذها واليسر في مقدارها، فعن عبد الملك بن عمير قال: أخبرني رجل من ثقيف، قال: استعملني علي بن أبي طالب، فقال: لا تضربن رجلاً سوطاً في جباية درهم، ولا تبيعن لهم رزقاً، ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا دية يعملون عليها، ولا تقم رجلاً قائماً في طلب درهم، قال: قلت: يا أمير المؤمنين! إذاً أرجع إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت كما ذهبت ويحك إنما أمرنا أن تأخذ منهم العفو؛ يعني الفضل[4].

ثانياً: في الحدود:

1- عقوبة المرتد:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يستتاب المرتد ثلاثاً، فإن عاد وإلا قتل[5]. وحجة قتله: ما روى ابن عباس عن النبيﷺ قال: «من بدل دينه فاقتلوه»[6]، وأما دليل استتابته: فما روى عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ استتاب رجلاً ارتد عن الإسلام أربع مرات[7].

وروي عن علي في استتابة الزنديق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر قولان هما:

أ- لا فرق في الاستتابة بين من أظهر الردة، وبين الزنديق الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر، وقامت عليه البينة بذلك[8].

فقد روى عبد الرزاق: أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي عن مسلمين تزندقاً، فكتب إليه: إن تابا وإلا فاضرب

---

(1) مصنف عبد الرزاق (217/8)؛ موسوعة علي بن أبي طالب ، ص 22.
(2) فقه الإمام علي (756/2).
(3) المغني (375/8)؛ فقه الإمام علي (756/2).
(4) كنز العمال ، رقم 14346؛ المغني (537/8).
(5) مصنف ابن أبي شيبة (138/10).
(6) البخاري ، رقم 3017.
(7) مجمع الزوائد (262/6) ، فيه ضعف.
(8) المغني (126/8)؛ موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص 273.

أعناقهما[1].

ب- يستتاب من أظهر الردة ولا يستتاب الزنديق، فقد روى الأثرم بإسناده إلى علي (رضي الله عنه) أنه أتي برجل عربي قد تنصَّر، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فقتله. وأتي برهط يصلون وهم زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول، فجحدوا وقالوا: ليس لنا دين إلا الإسلام، فقتلهم ولم يستتبهم، قال: أتدرون لم استتبت النصراني؟ استتبته لأنه أظهر دينه، فأما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة فإنما قتلتهم لأنهم جحدوا، وقد قامت عليهم البينة[2].

وأما المرأة المرتدة فقد ورد فيها عن علي قولان:

أ- لا فرق بينها وبين الرجل في حكم القتل، وقد روي هذا القول أيضاً عن أبي بكر (رضي الله عنه)، وقال به الحسن والزهري والنخعي ومكحول وحماد ومالك والليث والأوزاعي والشافعي وإسحاق[3].

ب- المرأة تسترق ولا تقتل، وهذا القول قال به الحسن وقتادة؛ لأن أبا بكر استرقَّ نساء بني حنيفة وذراريهم، وأعطى علياً منهم امرأة فولدت محمد بن الحنفية، وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر، فكان إجماعاً[4]، كما أن قصة بعث علي إلى بني ناجية دليل على هذا الرأي، وسيأتي الحديث عنها لاحقاً؛ وفيها: وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم[5].

وقد قتل أمير المؤمنين علي المرتدين بطرق مختلفة حسب حال كل منهم على النحو التالي:

أ- ضرب العنق بالسيف، كما في جواب علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمحمد بن أبي بكر عندما سأله عن مسلمين تزندقا، فقال: فأما اللذين تزندقا، فإن تابا، وإلا فاضرب أعناقهما[6].

ب- الضرب حتى الموت، ففي مصنف ابن أبي شيبة: أن علياً أتي برجل نصراني أسلم ثم تنصَّر، فسأله عن كلمة، فقال له، فقام إليه علي فرفسه برجله، فقام الناس إليه فضربوه حتى قتلوه[7].

ج- الإحراق بعد القتل، كما في قصة المستورد العجلي؛ حيث أسلم ثم ارتد، فإن علياً رضي الله عنه أحرقه بعد أن قتله، ولعل علياً رضي الله عنه أحرقه لما خاف أن ينبش قومه جثته، بعد أن رفض علي تسليمها مقابل مبلغ من المال بذلوه له[8].

([1]) المصنف (342/7) (170/10).
([2]) المغني (4141/8)؛ موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص 273.
([3]) المغني (123/8).
([4]) المغني (123/8)؛ فتح الباري (268/12).
([5]) مصنف ابن أبي شيبة (144/10).
([6]) مصنف عبد الرزاق (395/8).
([7]) المحلى لابن حزم (190/11).
([8]) موسوعة فقه علي بن أبي طالب؛ ص 275.

د- القتل بالإحراق، كما في قصة علي (رضي الله عنه) مع السبئية كما سبق بيانه[1].

وقتل المرتد فيه حفظ لأهل الدين؛ ومن مقاصد الشريعة الغراء حفظ الدين، فقد لاحظنا حرص الخلفاء الراشدين على تنفيذ أحكام الله في أهل الأهواء والخارجين عن الدين، وإنزال العقوبة المناسبة بهم، ومن أعظمها قتل المرتدين وقتالهم، كما فعل الخلفاء الراشدون، وهذا تنفيذ لقول رسول الله ﷺ : «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[2]. وقال ابن تيمية: فإنه لو لم يقتل ذلك - يعني المرتد - لكان الداخل في الدين يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين، والدين، فإن ذلك يمنع من النقص، ويمنعهم من الخروج عنه[3].

2- حد الزنى:

أ- قصة رجم:

قال الشعبي: كان لشراحة زوج غائب بالشام، وإنها حملت، فجاء بها مولاها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: إن هذه زنت واعترفت، فجلدها يوم الخميس مئة جلدة، ورجمها يوم الجمعة، وحفر لها إلى السرة، وأنا شاهد، ثم قال: إن الرجم سنة سنها رسول الله ﷺ، ولو كان شهد على هذا أحد لكان أول من يرمي الشاهد بشهادته، ثم يتبع شهادته حجره، ولكنها أقرت، فأنا أول من يرميها، فرماها بحجر، ثم رمى الناس وأنا منهم، فكنت والله فيمن قتلها.

وفي لفظ لأحمد والبخاري: أن علياً قال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ[4]. وهذا الحكم القضائي اجتهاد لعلي، وهو مختلف فيه بين الفقهاء، وقال الجمهور بعدم الجمع بين الجلد والرجم[5]، وجاء في رواية: فحفر لها حفرة بالسوق فدار الناس عليها، أو قال: بها، فضربهم بالدرة، ثم قال: ليس هكذا الرجم؛ إنكم إن تفعلوا هذا يفتك بعضكم بعضاً، ولكن صفوا كصفوفكم للصلاة، ثم قال: أيها الناس، إن أول الناس يرجم الزاني الإمام، إذا كان الاعتراف، وإذا شهد أربعة شهداء على الزنى أول الناس يرجم الشهود بشهادتهم عليه، ثم الإمام، ثم الناس، ثم رماها بحجر وكبر، ثم أمر الصف الأول فقال: ارموا، ثم قال: انصرفوا، وكذلك صفاً صفاً حتى قتلوها[6].

---

(1) منهج علي بن أبي طالب ، ص 275.

(2) البخاري ، رقم 6878.

(3) مجموع الفتاوى (102/20).

(4) البخاري ، كتاب الحدود (253/4).

(5) تاريخ القضاء في الإسلام ، ص 152.

(6) مصنف عبد الرزاق ، رقم 13335؛ فقه الإمام علي (782/2).

ب- تأجيل رجم الحامل: المرأة الحامل إذا ثبت عليها الزنى لا يقام عليها الحد حتى تضع حملها عند علي[1]، فعنه رضي الله عنه قال: إن خادماً للنبي ﷺ فجرت، فأمرني أن أقيم عليها الحد، فوجدتها لم تجف من دمها، فأتيته فذكرت له، فقال: «إذا جفت من دمها فأقم عليها الحد، أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم»[2]، وقد قام بهذا الحكم في خلافته.

ج- المستكرهة على الزنى:

لا حد على المستكرهة على الزنى عند علي، ولها مهر المثل بذلك[3]، فقد قال: «في البكر تستكره نفسها أن للبكر مثل صداق إحدى نسائها، وللثيب مثل صداق[4] مثلها».

د- زنى المضطرة:

إذا اضطرت امرأة على الزنى لإنقاذ حياتها من الموت، فلم يدفع إلا بها، سقط عنها الحد عند علي[5]، فقد جاء في رواية: أن امرأة أتت عمر فقالت: إني زنيت فارجمني، فرددها حتى شهدت أربع شهادات، فأمر برجمها، فقال علي: يا أمير المؤمنين: ردها فاسألها ما زناها لعل لها عذراً؟ فردَّها فقال: ما زناكِ؟ قالت: كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي فكان لنا خليط[6]، فخرج في إبله فحملت معي ماء ولم يكن في إبلي لبن، وحمل الخليط ماء وكان في إبله لبن، فنفذ مائي فاستسقيت فأبى أن يسقيني، حتى أمكنه من نفسي، فأبيت حتى كادت نفسي تخرج أعطيته، فقال علي: الله أكبر، فمن اضطر غير باغ ولا عاد، أرى لها عذراً[7]، وزيد في رواية: فأعطاها عمر شيئاً وتركها[8].

وقد ذكر الفقهاء هذه الحادثة ضمن الإكراه على الزنى، فلم يختلفوا في سقوط الحد بالإكراه[9]، ولكن الإكراه غير

---

(1) فقه الإمام علي (783/2).
(2) مسند الإمام أحمد ، رقم 1137 ، صحيح لغيره.
(3) فقه الإمام علي (786/2).
(4) مصنف عبد الرزاق ، رقم 13607.
(5) فقه الإمام علي (788/2).
(6) خليط: الشريك الذي يخلط ماله بمال غيره.
(7) كنز العمال ، رقم 13596 ؛ مغني المحتاج (145/4).
(8) المغني (187/8).
(9) إعلاء السنن (671/11)؛ المغني (187/8).

الاضطرار؛ لأن الاضطرار فيه الإقدام على الفعل اختياراً أمام الإكراه فلا إقدام فيه، وإنما يساق إلى الفعل جبراً، بدليل أن الله تعالى ذكر الإكراه مستقلاً عن الاضطرار كما في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: 106]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: 33]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة: 173].

وقد استدل علي رضي الله عنه بالآية الأخيرة، ووجه الدلالة: أن الاضطرار لإنقاذ الحياة يرفع العقوبة الأخروية عن المضطر، فهو يسقط العقوبة الدنيوية من باب أولى في حقوق الله تعالى، ويؤخذ من هذه المسألة: عمل علي بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات[1].

هـ- درء الحدود بالشبهات:

تدرأ الحدود بالشبهات عند علي، فعن الضحاك بن مزاحم عن علي قال: إذا بلغ في الحدود لعل وعسى؛ فالحد معطل[2]. وعن علي أن امرأة أتته فقالت: إني زنيت، فقال: لعلك أتيت وأنت نائمة في فراشك أو أكرهت؟ قالت: أتيت طائعة غير مكرهة، قال: لعلك غصبت على نفسك، قالت: ما غصبت، فحبسها فلما ولدت وشب ابنها جَلَدَها[3]، لأنها لم تكن متزوجة ولذلك جلدت.

و- زنى النصرانية:

إذا زنت النصرانية فلا تحدّ بل تدفع إلى أهل دينها يقيمون عليها حسب دينهم عند علي[4]، فعن قابوس بن مخارق: أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي يسأله عن مسلم زنى بنصرانية، فكتب إليه علي: أما المسلم فأقم عليه الحد وادفع النصرانية إلى أهل دينها[5]، إن حد الزنى أمر تعبدي فيه التطهير من الإثم وذلك لا يناسب الخارج عن ملة الإسلام.

ز- الحد كفارة لذنب من أقيم عليه عند علي: فعن أبي ليلى عن رجل من هذيل قال وعداده من قريش: سمعت علياً يقول: من عمل سوءاً فأقيم عليه الحد فهو كفارة[6]، وفي رواية عنه أيضاً: كنت مع علي حين رجم شراحة، فقلت: لقد

---

(1) فقه الإمام علي (789/2).
(2) مصنف عبد الرزاق ، رقم 13727 ؛ المغني (211/8).
(3) فقه الإمام علي (761/2).
(4) فقه الإمام علي بن أبي طالب (799/2).
(5) مصنف عبد الرزاق ، رقم 13419.
(6) مصنف عبد الرزاق ، رقم 13355.

ماتت هذه على شر حالها، فضربني بقضيب أو بسوط كان في يده حتى أوجعني فقلت: لقد أوجعتني، قال: وإن أوجعتك، قال: فقال: إنها لن تسأل عن ذنبها هذا أبداً كالدين[1]. ودليل ما ذهب إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: حديث عبادة بن الصامت حيث قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس فقال: «ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه، فأمرهُ إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»[2].

إن من مقاصد الشريعة حفظ العرض والنسب، فعدم حفظه يترتب عليه مفاسد حاصلة بسبب إهماله؛ منها: انتهاكه ومعلوم ما يحصل من جراء ذلك من الحروب والتقاتل والفساد، واختلاط الأنساب، وقطع النسل؛ لأن الزاني ليس له قصد في الولد، وإنما قصده اللذة الحاضرة، فلو لم تحفظ الفرج لعزف الناس عن النكاح، وانتشار الفساد الخلقي وظهور جريمة الزنى، وما ينشأ عنها من مفاسد خلقية وصحية، ونزول المصائب وحلول الكوارث والمحن، ولو لم يرد في ذلك إلا قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: 32] لكان كافياً[3]. لذلك جاءت الشريعة الغراء بالتشريعات اللازمة لحفظ الأعراض والأنساب وقام الخلفاء الراشدون بتنفيذها.

3- حد الخمر:

أ- شرب الخمر في رمضان:

عن عطاء عن أبيه: أن علياً ضرب النجاشي الحارثي الشاعر، شرب الخمر في رمضان، فضربه ثمانين، ثم حبسه، فأخرجه الغد فضربه العشرين، ثم قال له: إنما جلدتك هذه العشرين بجرأتك على الله تعالى، وإفطارك في رمضان[4].

ب- حكم الموت بإقامة حد الخمر:

عن علي، قال: ما من رجل أقمت عليه حداً، فمات فأجد في نفسي إلا الخمر، فإنه لو مات لوديته، لأن النبيﷺ لم يَسُنَّه[5].

وقد جاءت الأحكام الشرعية بالمحافظة على العقل الذي ميز الله به الإنسان وكرمه، فحرمت الخمر التي تذهب بالعقل وتغيبه، كما قال تعالى: إلى قوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

---

(1) المصدر السابق نفسه، رقم 13353.

(2) مسلم، كتاب الحدود، رقم 709 (1333/3).

(3) مقاصد الشريعة لليوبي، ص 255.

(4) كنز العمال، رقم 13687؛ فقه الإمام علي (807/2).

(5) مسند أحمد، رقم 1024، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

فَاجْتَنِبُوهُ ... فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: 90 – 91]. وقال رسول الله ﷺ : «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»[1]، ولذلك شرع إقامة الحد على السكران، وحرمَ المخدرات والمفَتِّرات التي تؤثر على سلامة العقل[2].

إن حفظ العقل مقصود في الشرع لما يترتب عليه من حفظ باقي الضرورات، ولما يترتب على إهماله من مفاسد لا تعد ولا تحصى[3].

4– حد السرقة:

أ– اشتراط الحرز:

يشترط لقطع يد السارق أن يسرق المال من حرز مثله عند علي؛ فعن ضمرة قال: قال علي: لا يقطع السارق حتى يخرج المتاع من البيت[4].

ب– سرقة ما فيه شبهة ملك:

لا تقطع يد سارق سرق من مال له فيه شبهة ملك؛ كأن يكون له نصيب فيه عند علي[5]، فعن زيد بن دثار قال: أتي علي برجل سرق من الخمس، فقال: له فيه نصيب، فلم يقطعه، وعن الشعبي عن علي: أنه كان يقول: ليس على من سرق من بيت المال قطع[6].

ج– سرقة الحر:

من سرق حراً صغيراً فإنه تقطع يده عند علي، فعن ابن جريج: أن علياً قطع البائع – بائع الحر – وقال: لا يكون الحر عبداً[7]، لأن الإنسان أقوم وأثمن من المال، فهو الأولى أن يقطع فيه[8].

د– سرقة العبد مولاه:

---

(1) البخاري ، رقم 5585.
(2) الحكم ،التحاكم في خطاب الوحي (467/1).
(3) مقاصد الشريعة لليوبي ، ص 243.
(4) كنز العمال ، رقم 13911؛ فقه الإمام علي (810/2).
(5) فقه الإمام علي (811/2).
(6) مصنف عبد الرزاق ، رقم 18871.
(7) مصنف عبد الرزاق ، رقم 18806.
(8) فقه الإمام علي (814/2).



لا تقطع يد عبد سرق من سيده عن علي، فعن الحكم: أن علياً قال: إذا سرق عبد من مالي لم أقطعه[1].

هـ- إثبات السرقة:

تثبت السرقة عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بشهادة شاهدين، أو الاعتراف مرتين، نقل ذلك عنه ابن قدامة[2]، وعن عكرمة بن خالد قال: كان علي لا يقطع سارقاً حتى يأتي بالشهداء فيوقفهم عليه ويسجنه؛ فإن شهدوا عليه قطعه، وإن نكلوا تركه، فأتي مرة بسارق فسجنه، حتى إذا كان الغد دعا به وبالشاهدين فقيل: تغيب أحد الشاهدين، فخلى سبيل السارق ولم يقطعه[3]، وعن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه: أن رَجلاً أتى إلى علي فقال: إني سرقت، فانتهره وسبه فقال: إني سرقت، فقال علي: اقطعوا قد شهد على نفسه مرتين، فلقد رأيتها في عنقه[4].

و- كشف السارق قبل أن يسرق:

لا تقطع يد السارق عند كشفه قبل أن يخرج المتاع من الحرز عند علي، فعن الحارث عن علي قال: أتي برجل قد نقب فأخذ على تلك الحال فلم يقطعه[5]، وفي لفظ بزيادة: وعزره أسواطاً[6].

ز- تكرار السرقة:

من سرق قطعت يده اليمنى، ثم إن سرق مرة ثانية قطعت رجله اليسرى، فإن سرق ثالثة ورابعة يعزر ولا تقطع يده الأخرى أو رجله الثانية عند علي، نقل ذلك عنه ابن المنذر وغيره[7]، وعن عبد الله بن سلمة: أن علياً أتي بسارق فقطع يده، ثم أتي به فقطع رجله، ثم أتي به فقال: أقطع يده؟ فبأي شيء يتمسح وبأي شيء يأكل؟ ثم قال: أقطع رجله؟ على أي شيء يمشي؟ إني لأستحيي من الله، قال: ثم ضربه وخلده السجن[8]، وعن المغيرة والشعبي قالا: كان علي يقول: إذا سرق السارق مراراً قطعت يده ورجله، ثم إن عاد استودعته السجن[9]، وعن الشعبي قال: كان علي لا يقطع إلا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل، وأنه كان يقول: إني لأستحيي من الله أن لا أدع له يداً يأكل بها ويستنجي[10].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (202/10).
(2) المغني (279/8).
(3) مصنف عبد الرزاق ، رقم 18779 ؛كنز العمال ، رقم 13908.
(4) مصنف عبد الرزاق ، رقم 18784 ؛ المغني (280/8).
(5) مصنف ابن أبي شيبة (477/9).
(6) كنز العمال ، رقم 13911 ؛ فقه الإمام علي (817/2).
(7) المحلى (354/3) ؛ المغني (264/8).
(8) البدائع (4273/9) ؛ المغني فقه الإمام علي (818/2).
(9) مصنف ابن أبي شيبة (509/9).
(10) مصنف عبد الرزاق ، رقم 18764.

ح- قطع اليد وتعليقها:

يستحب أن يحسم اليد ويعلق المقطوع في عنق المحدود عند علي[1]، فعن حجية بن عدي: كان علي يقطع ويحسم ويحبس، فإذا برؤوا أرسل إليهم فأخرجهم، ثم قال: ارفعوا أيديكم إلى الله فيرفعونها، فيقول: من قطعكم؟ فيقولون: علي، فيقول: ولم؟ فيقولون: سرقنا، فيقول: اللهم اشهد، اللهم اشهد[2]. وحسم اليد، فلكي لا ينزف الدم ويسرع البرء إليها ومخافة سريان الجرح إلى الجسم وتلفه[3].

إن من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ أموال الناس التي هي قوام حياتهم، وقد حرم الإسلام كل وسيلة لأخذ المال بغير حق شرعي، وحرم السرقة وأوجب الحد على من ثبتت عليه تلك الجريمة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: 38]، وقام الخلفاء الراشدون بالإشراف على تنفيذ تلك الأحكام.

ثالثاً: في القصاص والجنايات:

جاءت شريعة الإسلام بأحكام القصاص للمحافظة على النفس ودرء المفاسد الناشئة عن شيوع القتل وسفك الدماء المحرمة، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: 178]، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الألباب: 179]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: 33]، وهذه بعض المسائل المتعلقة بأحكام القتل والقصاص والجنايات.

أ- الاشتراك في القتل العمد:

إذا اجتمع جماعة على قتل شخص عمداً؛ فإنهم يقتلون به جميعاً عند علي[4]، وقد روى عنه أنه قتل ثلاثة قتلوا رجلاً[5].

ب- من أمر عبده بالقتل:

إذا أمر السيد عبده أن يقتل رجلاً فقتله؛ يقتل السيد عند علي، ويحبس العبد، نقل ذلك عن ابن المنذر وغيره[6]، وعن

---

(1) فقه الإمام علي (821/2).
(2) كنز العمال ، رقم 1326.
(3) فقه الإمام علي (821/2).
(4) فقه الإمام علي بن أبي طالب (826/2).
(5) المغني (672/7).
(6) المغني (757/7).



خلاس عن علي في رجل أمر عبده أن يقتل رجلاً قال: إنما هو بمنزلة سوطه أو سيفه[1]، وفي رواية: إذا أمر الرجل عبده أن يقتل رجلاً فإنما هو كسيفه أو كسوطه، يقتل المولى ويحبس العبد[2].

ج- المقتول في الزحام:

من قتل في الزحام ولم يعلم قاتله؛ فإن ديته على بيت مال المسلمين عند علي[3]، وعن يزيد بن مذكور الهمداني: أن رجلاً قتل يوم الجمعة في المسجد في الزحام، فجعل علي ديته من بيت المال[4].

د- جناية السائق والقائد والراكب:

في المسألة روايتان فعن علي: الرواية الأولى: سائق الدابة وقائدها وراكبها ضامنون إذا وطئت الدابة، أو ضربت برجلها أحداً، أو شيئاً عند علي لنسبة التقصير وعدم التحرز والتثبت إليهم[5]، فعن خلاس عن علي: أنه كان يضمن القائد والسائق والراكب[6]، والحجة في ذلك: أن الراكب مباشر للقتل لأن الدابة كالآلة في يده، أما السائق، القائد فهما متسببان، يضمنون لعدم تحرزهم من الوقوع في الجناية، وعدم تثبتهم من السوق والقود والركوب بصورة تمنع وقوع الجناية[7]، والرواية الثانية: لا ضمان عليهم إذا ثبت عدم التقصير منهم عند علي، إذ روى عنه أنه قال: إذا قال: الطريق؛ فأسمع فلا ضمان عليه[8]، وعن علي أنه قال: إذا كان الطريق واسعاً فلا ضمان عليه[9]. والحجة: أن وسع الطريق وتنبيه المارة هو التحرز والتثبت، فإذا لم يبال المارة فهو تقصيرهم، فإن أصيبوا فقد جنوا على أنفسهم؛ فلا ضمان لهم، ولا منافاة بين الروايتين ؛ لأن الأولى مع ثبوت التقصير، والثانية مع عدمه[10]، وثبوت التقصير على المارة.

هـ- ما أنشئت بتعدٍّ فأحدثت تلفاً:

من حفر بئراً أو وضع شيئاً أو بناه في مكان لا حق له فيه فسببت تلف إنسان، كأن يقع في البئر أو يعثر بما وضعه فيموت فهو ضامن عند علي[11]، فقد قال رضي الله عنه: من حفر بئراً أو عرض عوداً فأصاب إنساناً فهو ضامن[12].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (371/9).
(2) فقه الإمام علي بن أبي طالب (836/2).
(3) فقه الإمام علي (838/2).
(4) الخلافة الراشدة ، يحيى اليحيى ، ص 502.
(5) فقه الإمام علي (841/2).
(6) مصنف ابن أبي شيبة (259/9).
(7) فقه الإمام علي (841/2).
(8) المصدر السابق نفسه (842/2).
(9) مصنف ابن أبي شيبة (559/9).
(10) فقه الإمام علي (842/2).
(11) فقه الإمام علي (842/2).
(12) مصنف عبد الرزاق ، رقم 8400.



و- الخطأ في الشهادة:

الخطأ في الشهادة يوجب الضمان عند علي؛ فمن شهد على غيره خطأ في حد أو قصاص فأدى إلى تلف عضو أو نفس؛ ضمن الدية عنده[1]. فقد روي عن علي من طرق متعددة: أنه شهد رجلان بسرقة على رجل، فقطعَّ علي يده، ثم جاء الغد برجل فقال: أخطأنا بالأول، هو هذا الاخر، فأبطل شهادتهما على الاخر، وأغرمهما دية الأول[2]، وفي رواية فقال: لو كنتما تعمدتماه لقطعتكما، فأبطل شهادتهما عن الاخر وأغرمهما دية الأول[3]، والحجة في ذلك: أنهم تسببوا في الإتلاف، والتسبب موجب للضمان كحافر البئر في الطريق[4].

ز- اشتراك جماعة في قتل بعضهم بعضاً خطأ:

إذا اشترك جماعة في قتل بعضهم بعضاً خطأ؛ توزعت المسؤولية الجنائية على جميعهم كل واحد بقدر فعله مطروحاً منه ما جناه الميت على نفسه[5]، فعن خلاس قال: استأجر رجل أربعة رجال ليحفروا له بئراً، فحفروها، فانخسفت بهم البئر فمات أحدهم، فرفع ذلك إلى علي بن أبي طالب، فضمن الثلاثة ثلاثة أرباع الدية،وطرح عنه ربع الدية[6].

ح- من استخدم صغيراً أو عبداً بغير إذن:

من استخدم صغيراً بغير إذن وليه، أو عبداً بغير إذن مولاه في عمل، أو حمله على دابة فمات إثر ذلك؛ فهو ضامن عند علي، فعن الحكم قال: قال علي: من استعمل مملوك قوم صغيراً أو كبيراً فهو ضامن[7]، وقال علي: من استعان صغيراً حراً.. فهو ضامن، ومن استعان كبيراً لم يضمن[8].

ط- الفعل المعنوي:

الفعل المعنوي كالإخافة والترويع وما شابهها إذا سبب قتل إنسان أو عطبه توجب المسؤولية الجنائية عند علي[9]، فعن ابن جريج قال: قلت لعطاء: رجل نادى صبياً على جدار أن استأخر؛ فخرَّ فمات؟ قال: يروون عن علي أنه قال: يغرمه

---

(1) فقه الإمام علي بن أبي طالب (843/2).
(2) مصنف ابن أبي شيبة (409/9).
(3) مصنف عبد الرزاق ، رقم 18461.
(4) فقه الإمام علي (844/2).
(5) فقه الإمام علي (844/2).
(6) المحلى (505/10) ؛ فقه الإمام علي (844/2).
(7) مصنف ابن أبي شيبة (377/9).
(8) المصدر السابق نفسه.
(9) فقه الإمام علي بن أبي طالب (846/2).

ويقول: أفزعه[1]، وإيجاب المسؤولية على الفعل المعنوي إجمالاً هو قول جمهور العلماء[2].

ي- جناية الطبيب:

إذا خالف الطبيب أو البيطري شروط المعالجة، فعطب الإنسان أو الحيوان فهو ضامن[3]، فعن الضحاك بن مزاحم قال: خطب علي الناس فقال: يا معشر الأطباء البياطرة والمطببين! من عالج منكم إنساناً أو دابة فليأخذ لنفسه البراءة، فإنه إن عالج شيئاً ولم يأخذ لنفسه البراءة فعطب فهو ضامن[4]، وعن مجاهد: أن علياً قال في الطبيب: إن لم يشهد على ما يعالج فلا يلومن إلا نفسه، يقول: يضمن[5].

ك- الميت من القصاص والحد:

إذا أقيم حد أو قصاص على مستحق فمات؛ فلا ضمان على المقتص عند علي[6]، فقد قال رضي الله عنه: من مات بقصاص بكتاب الله فلا دية له[7]، وقال: من مات في حد فإنما قتله الحد، فلا عقل له مات في حد من حدود الله[8]، وقال أيضاً: اذا أقيم على الرجل الحد في الزنى، أو السرقة، أو قذف، فمات فلا دية له[9]، والحجة في ذلك، أن القصاص واجب والواجب غير مشروط بالسلامة فيه، فلا ضمان في أدائه إذا لم يحصل فيه تقصير أو إهمال[10].

ل- قاطع طريق ألقي القبض عليه:

إذا لم يأخذ مالاً ولم يقتل نفساً حبس حتى يتوب، وإذا أخذ مالاً ولم يقتل نفساً قطعت يداه، ورجلاه من خلاف، إذا قتل وأخذ المال قطعت يداه ورجلاه من خلاف، ثم صلب حتى يموت، وإن تاب قبل أن يؤخذ؛ ضمن الأموال واقتص منه ولم يحد[11]. وقد تاب الحارث بن بدر قبل القدرة عليه، وكان قاطعاً للطريق، فقبل علي توبته وأسقط حد الحرابة عنه؛ لأنه تاب قبل القدرة عليه[12].

---

[1] كنز العمال ، رقم 4086.
[2] فقه الإمام علي (846/2).
[3] المصدر السابق نفسه (847/2).
[4] مصنف عبد الرزاق ، رقم 18047.
[5] مصنف عبد الرزاق ، رقم 18046.
[6] فقه الإمام علي (847/2).
[7] المصدر السابق نفسه (848/2).
[8] المصدر السابق نفسه.
[9] مصنف ابن أبي شيبة (342/9).
[10] فقه الإمام علي (848/2).
[11] المحلى ، رقم 252 ؛ عصر الخلافة الراشدة للعمري ، ص 151.
[12] عصر الخلافة الراشدة ، ص 151.

م- قاتل اعترف بالقتل لدفع التهمة عن متهم بريء:

أتي برجل إلى أمير المؤمنين علي من خربة بيده سكين ملطخة بدم، وبين يديه قتيل يتشحط في دمه، فسأله، فقال: أنا قتلته، قال: اذهبوا به فاقتلوه، فلما ذهب به أقبل رجل مسرعاً، فقال: يا قوم لا تعجلوا ردوه إلى علي، فردوه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه، أنا قتلته، فقال علي للأول: ما حملك على أن قلت: أنا قاتله، ولم تقتله؟ قال: يا أمير المؤمنين، وما أستطيع أن أصنع، وقد وقف العسس على الرجل يتشخط في دمه، وأنا واقف بين يدي سكين، وفيها أثر الدم، وقد أخذت في الخربة، فخفت ألا يقبل مني، وأن يكون قسامة، فأعترف بما لم أصنع، وأحتسبت نفسي عند الله، فقال علي: بئس ما صنعت، فكيف كان حديثك؟ قال: إني رجل قصاب، خرجت إلى حانوتي في الغلس، فذبحت البقرة وسلختها، فبينما أنا أسلخها، والسكين في يدي أخذني البول، فأتيت خربة كانت بقربي، فدخلتها لقضاء حاجتي، وعدت أريد حانوتي، فإذا أنا بهذا المقتول يتشخط في دمه، فراعني أمره، ووقفت أنظر إليه، والسكين في يدي، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا علي، فأخذوني، فقال الناس: هذا قتل هذا، ما له من قاتل سواه، فأيقنت أنك لا تترك قولهم بقولي، فأعترفت بما لم أجنه. فقال علي للمقر الثاني: فأنت كيف كانت قصتك، فقال: أغواني إبليس فقتلت الرجل طمعاً في ماله، ثم سمعت حس العسس فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصفها، فاستترت منه ببعض الخربة، حتى أتى العسس فأخذوه وأتوك به، فلما أمرت بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضاً، فاعترفت بالحق، فقال علي للحسن: ما الحكمُ في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفساً فقد أحيا نفساً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، فخلى علي عنهما، وأخرج دية القتيل من بيت المال[1]، ولعله فعل ذلك بعد إسقاط أولياء القتيل حقهم بالقصاص[2].

ن- امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها:

حدث في عهد علي رضي الله عنه: أن امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها، فكانت العقوبة القتل قصاصاً[3] من الجناة.

س- بدل الإبل في دفع الدية، وكيف تدفع الدية؟

الأبل أصل في الدية، ويجوز دفع بدلها إذا لم يتوافر الإبل عند علي، فعن عامر عن علي وعبد الله وزيد قالوا: الدية مئة من

---

(1) الطرق الحكمية ، ص 56 ؛ القضاء في الإسلام ، ص 154.

(2) القضاء في الإسلام ، ص 154.

(3) المغني (362/9 ، 376)؛ الطرق الحكمية ، ص 50؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص 153.

بعير[1]، وعن الحسن: أن علياً قضى بالدية اثني عشر ألفاً[2]، أي درهم من الفضة، وأما كيفية دفع الدية، فدية الخطأ وشبه العمد على العاقلة تدفعها مقسطاً على ثلاث سنين عند علي[3]، والحجة في ذلك: ما روي عن المغيرة في شعبة قال: قضى رسول الله ﷺ بالدية على العاقلة[4]، وأما تقسيطها، فلأنها كثيرة يصعب أداؤها حالاً فقسمت على ثلاث سنين بناء على التيسير الذي أمر به الإسلام[5].

ع- دية الكتابي:

دية الكتابي من اليهود والنصارى مثل دية المسلم[6]، فعن الحكم بن عتيبة أن علياً قال: دية اليهودي والنصراني وكل ذمي مثل دية المسلم[7].

ف- دية الصُّلب:

دية العمود الفقري دية كاملة عند علي إذا كسر وفقد صاحبه القوة على الجماع، فقد قال علي رضي الله عنه إذا كسر الصلب ومنع الجماع ففيه الدية[8].

ص- عين الأعور:

إذا فقأ إنسان عين الأعور؛ فإن فيها الدية كاملة أو يقتص الأعور لنفسه فيفقأ عيناً للجاني ويأخذ نصف الدية عند علي. نقل ذلك ابن قدامة[9]؛ لأن عين الأعور تعادل عيني البصير في منفعة البصر، لذلك فيها الدية كاملة[10].

ق- دية الأصابع:

دية كل أصبع من الأصابع عشر دية النفس عند علي؛ أي: عشر من الإبل، فعن عاصم بن ضمرة عن علي قال: في الأصبع عشر الدية[11]، وفي رواية: في الأصبع عشر العشر[12].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (128/9).
(2) الأم (177/7).
(3) فقه الإمام علي (853/2).
(4) سنن ابن ماجه ، رقم 3633.
(5) فقه الإمام علي ، (854/2).
(6) المصدر السابق نفسه (855/2).
(7) مصنف عبد الرزاق ، رقم 18494.
(8) مصنف ابن أبي شيبة (231/9).
(9) المغني (5/8).
(10) فقه الإمام علي (860/2).
(11) مصنف ابن أبي شيبة (319/9).
(12) مصنف عبد الرزاق ، رقم 17693.

رابعاً: في التعزير:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضـــي الله عنه) يؤدب العاصـــي ويردعه عن معصـــيته بالتعزير إذا لم يترتب على معصيته حد، ولما كانت عقوبة التعزير على المعصية غير محددة، فإن أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) يذهب إلى الملاءمة بين العقوبة والمعصية فكلما تعاظمت المعصية كانت العقوبة أعظم، ولقد تعددت وسائل التعزير عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حسب نوع المعصية وحال العاصي[1]، ومنها على سبيل المثال:

1- الضرب باليد:

ومثال ذلك: لما كان عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه يطوف بالبيت، وعلي رضـــي الله عنه، يطوف معه، إذ عرض رجل لعمر فقال: يا أمير المؤمنين خذ حقي من علي بن أبي طالب، فقال: وما باله؟ قال: لطم عيني، فوقف عمر، حتى لحق به علي فقال: ألطمت عين هذا يا أبا الحســـن؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: ولم؟ قال: لأني رأيته يتأمل حرم المؤمنين في الطواف، فقال عمر: أحسنت يا أبا الحسن[2].

2- الجلد دون الحد:

وكان أكثر ما يعزر به، ومن ذلك جلده للنجاشـي الشـاعر الذي شـرب الخمر، وأفطر في رمضـان، فقال له: إنما جلدتك هذه العشرين لجرأتك على الله، وإفطارك في رمضان[3].

3- التشهير:

لجأ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إلى التشهير بالعاصي وتعريف الناس به، كما فعل بشاهد الزور، وفي ذلك مصلحة للمجتمع، لئلا يستشهد فتضيع الحقوق، عن علي بن الحسين قال: كان علي إذا أخذ شاهد زور بعثه إلى عشيرته فقال: إن هذا شاهد زور، فاعرفوه، وعرفوه، ثم خلى سبيله[4]. وعن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أخذ شاهد الزور فعزره، وطاف به في حيه وشهره، ونهى أن يستشهد به[5].

4- الحبس:

كان أمير المؤمنين علي رضـي الله عنه يعاقب بالحبس أحياناً، ومن ذلك حبسـه للنجاشـي الشـاعر، الذي يشـرب الخمر، وأفطر في رمضان[6].

---

(1) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة ، ص 321.
(2) الرياض النضرة في مناقب العشرة (165/2).
(3) موسوعة فقه علي بن أبي طالب قلعجي ، ص 153.
(4) موسوعة فقه علي ، ص 149.
(5) المصدر السابق نفسه ، ص 148.
(6) مصنف ابن أبي شيبة (36/10).

5- التقييد في الحبس:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه يقيد الدعار[1]، بالحبس بقيود لها أقفال، ويوكل بهم من يحلّها لهم وقت الصلاة من أحد الجانبين[2].

6- الغمس في الأقذار:

وجد رجل تحت فراش امرأة، فأتي به علي، فقال رضـــي الله عنه: اذهبوا به فقلبوه ظهراً لبطن في مكان منتن، فإنه كان في مكان شر منه[3].

7- القتل:

قد يصـــل التعزير عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه إلى القتل، إذا كانت الجريمة قد تعاظمت، وكان لها أثرها البالغ الأهمية، كوضع الأحاديث على لسان رسول الله ﷺ، لأن هذا العمل يؤدي إلى إدخال شيء في الدين ما ليس منه، وانحراف الناس عن دينهم الذي ارتضى الله لهم[4]، لذا فقد كان يقول: من كذب على النبيﷺ يضرب عنقه[5].

8- إتلاف أداة الجريمة وما يتبعها:

فقد ورد عن ربيعة بن زكار قال: نظر علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه إلى قرية فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة[6]، يلحم فيها ويباع فيها الخمر، فأتاها بالنيران فقال: أضـرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضـه بعضاً، فاحترقت[7]، فقد أحرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه في هذه القرية الخمر وما يتبعه من مواد وأدوات تســـتخدم لصناعته[8].

لقد أثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في المؤسسة القضائية باجتهاداته في مجال القصاص والحدود والجنائيات والتعزير، كما أنه رضي الله عنه ساهم في تطوير المدارس الفقهية الإسلامية باجتهاداته الدالة على سعة اطلاعه وغزارة علمه وعمق فقهه وفهمه، واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء.

---

(1) جمع داعر ، والدعارة: هي الفسق والخبث.

(2) موسوعة علي ، قلعجي ، ص 156.

(3) موسوعة فقه علي ، قلعجي ، ص 154.

(4) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص 324.

(5) موسوعة فقه علي ، ص 154.

(6) محلة بالكوفة سميت بزرارة بن يزيد بن عمر من بني بكار.

(7) كنز العمال ، رقم 13744 ، أبو عبيد الأموال ، ص 103.

(8) منهج علي في الدعوة إلى الله ، ص 325.

المبحث الرابع : حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين

تحدث الأصـوليون عن مذهب الصـحابي، وقالوا بأنه من الأدلة المختلف فيها عند الكثير منهم، وحكى ابن القيم إجماع الأئمة الأربعة على الاحتجاج به[1].

إن أصحاب النبيﷺ وخصوصاً ساداتهم تبوؤوا مكانة عالية في الفهم والإدراك؛ كما قال عنهم ابن مسعود رضي الله عنه: فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسـنها حالاً، قوم اختارهم الله لصـحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا اثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[2].

والشـاهد من كلامه قوله: «أعمقها علماً» فهم أعمق الأمة علماً، وأكثرهم فهماً وإدراكاً، ونسـبة علم من بعدهم إلى علمهم كنسبة فضلهم إلى فضلهم[3]. وإذا كان هذا من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج إلى حجة وبرهان فإنا نشير إلى بيان الأسباب التي بَوَّأهم الله بها هذه المكانة وهي:

1- تلقيهم المباشر من النبيﷺ:

وهذا له أثره في الفهم من عدة نواح:

أ- صفاء المورد: إذ بتلقيهم من النبيﷺ يتلقون الوحي غضاً كما أنزل، ويسمعون كلام النبيﷺ منه مباشرة، فليس علمهم مشـوباً بما يكدره، بل هو محض الكتاب والسـنة لم يختلط به اراء الرجال، ولا غيره من العلوم التي فتح بابها من بعد على المسلمين كعلوم الفلسفة وغيرها.

ب- دقة الفهم؛ حيث إن معلمهم رسول الله ﷺ أفصح الناس لساناً: وأبلغهم بياناً، وأقدرهم تفهماً، فكيف إذا صادف ذلك اذاناً صاغية، وقلوباً واعية، وسليقة مواتية، تنشد الحق، وتتلهف لسماعه، ولاشك أن ذلـك يجعلهم يفهمون ما يلقى إليهم فهماً دقيقاً مطابقـاً لمراد الله ورسوله، وهذا الأمر في غاية الوضوح إذ الناس في حياتهم وطلبة العلم في طلبهم يبحثون إبان تلقيهم عن أفضل العلماء علماً، وأحسنهم تصويراً للمسائل، وأقدرهم تفهيماً، وكم من تلميذ سطع نجمه، وعلا كعبه في العلم بفضل الله ثم بفضل حسن تعليم معلمـه، ونحن نعلم أن أحـداً لن يبلغ معشار ما بلغ إليه النبيﷺ في حسن

---

(1) إعلام الموقعين (120/4).

(2) شرح السنة للبغوي (214/1 ، 215).

(3) إعلام الموقعين (147/4).

التعليم، ولا أقل من ذلك، وبهذا شهد معاوية بن الحكم رضي الله عنه في حسن التعليم، حيث قال: فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه[1].

ج- ما يحصل لهم من يقين بما سمعوا وفهموا، فعلومهم يقينيّة: وعلوم من بعدهم يداخلها الظن في كثير من أحوالها.

د- ما يحصل لهم من اطلاع على أسباب النزول وأسباب ورود الأحاديث ومعرفة الناسخ والمنسوخ؛ مما يعينهم على فهم المراد وإدراك المقاصد.

هـ- ما يحصل لهم من مشاهدة أفعال النبيﷺ التي تفسر أقواله، وتشرحها، وتبين آيات القرآن وتوضحها، ويوقف بها على المراد.

و- إمكانية السؤال عما أشكل عليهم، الحصول على الجواب.

2- سليقتهم العربية:

فهم يفهمون اي القرآن، وأحاديث النبيﷺ بسليقتهم، ويعرفون وجوه دلالتها على معانيها، فلا يحتاجون إلى ما يحتاج إليه من بعدهم من دراسة قواعد اللغة وقواعد الأصول.

3- إخلاصهم لله وتقواهم:

فببركة إخلاصهم نالوا العلوم الكثيرة النافعة، في أوقات قليلة كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[البقرة: 282].

فإذا تقرر هذا فكلُّ هذه الأسباب شكلت فقهاً قوياً متماسكاً لدى أصحاب النبيﷺ، قال ابن القيم: بعد أن ذكر مدارك اختصوا بها – كسماعهم من النبيﷺ وسماعهم من بعضهم، وعلمهم بالعربية على أكمل الوجوه[2]، قال: أما المدارك التي شاركتهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة، فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوباً وأعمق علماً، وأقل تكلفاً، وأقرب إلى أن يوفقوا فيها لما لم نوفق له نحن، لما خصهم الله تعالى به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن المقصد، وتقوى الرب تعالى؛ فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل غنوا في ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران:

---

[1] مسلم، كتاب المساجد، رقم 33.

[2] مقاصد الشريعة لليوبي، ص 600.

أحدهما: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا.

والثاني: معناه كذا وكذا.

وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما، فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما، وأما المتأخرون فقواهم متفرقة وهممهم متشعبة، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة، وعلم الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة، وفكرهم في كلام مصنفهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة، إلى غير ذلك من الأمور؛ فإذا وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلَّت من السير في غيرها، وأوهن قواهم مواصلة السير في سواها، فأدركوا من النصوص ومعانيها بحسب القوة[1].

وبما تقدم يتقرر أن أصحاب النبيﷺ أدق فهماً وعلماً بما هيأ الله لهم من الأسباب المعينة على الفهم والعلم، فبناء على ذلك فهم أعلم بمقاصد الشريعة ومراميها من غيرهم، ولكون من أهم الطرق المحصلة لمقاصد الشريعة: العلم بالكتاب والسنة وطرق الاستنباط منها، وهذا متوفر لدى الصحابة بلا شك على أكمل الوجوه وأحسنها[2]. قال الشاطبي: السلف أعلم الناس بمقاصد القرآن[3]، وقال عن الصحابة: هم القدوة في فهم الشريعة والجري على مقاصدها[4]. هذا وقد تنوعت مذاهب العلماء في حجية قول الصحابي، وانقسمت إلى خمسة أقوال مشهورة، وقبل أن نذكر أقوال المذاهب نحرر محل النزاع فنقول:

1- اتفق الكل على أن مذهب الصحابي في مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصحابة إماماً كان أو حاكماً أو مفتياً.

2- إذا قال الصحابي قولاً ووافقه الباقون؛ فليس داخلاً في محل النزاع لكونه إجماعاً حينئذ.

3- إذا قال قولاً وانتشر ولم يخالف أحداً؛ فهذا له حكم الإجماع السكوتي.

4- اتفقوا على أن قول الصحابي ليس بحجة إذا خالفه صحابي اخر.

5- اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع إلى الكتاب أو السنة أو الإجماع فإن الحجة حينئذ فيما رجع إليه.

---

(1) إعلام الموقعين (149/4).

(2) مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي ، ص 601.

(3) الموافقات (409/3).

(4) المصدر السابق نفسه (130/4).

6- اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع عنه فليس بحجة، ومحل الخلاف إذا قال الصحابي قولاً في مسألة اجتهادية تكليفية ولا ظهر له مخالف ولا موافق، ولا ندري انتشر أم لا؟ خالف أحد أم لا[1]؟.

واختلف العلماء في ذلك على أقوال:

القول الأول: إنه حجة؛ وهو قول مالك والشافعي في القديم، وأحمد في رواية عنه، وعليه أكثر الأصوليين والفقهاء من الحنفية، وابن عقيل من الحنابلة، والعلائي[2]، والخطيب البغدادي من الشافعية، واختاره ابن القيم في إعلام الموقعين، والشاطبي في الموافقات، وابن تيمية[3].

القول الثاني: إنه ليس بحجة؛ وهو قول الشافعي في أحد قوليه، اختارها الامدي والرازي والغزالي وأحمد في رواية[4].

القول الثالث: إنه حجة إن كان مما لا مجال للرأي فيه فقط، وهو قول جماعة من الأحناف[5].

القول الرابع: قول أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - حجة دون غيرهما[6].

القول الخامس: قول الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم حجة دون غيرهم[7].

والراجح والله أعلم هو القول الأول وأدلة الترجيح في ذلك.

أولاً: من كتاب الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ **[التوبة: 100]**.

روى الحافظ ابن جرير في تفسيره لهذه الآية بسنده عن محمد بن كعب القرظي قال: مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أبي بن كعب، قال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه، فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا.. قال:

---

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 596 ، 597.

(2) حقيقة البدعة وأحكامها (320/1).

(3) مجموعة الفتاوى (413/5) ؛ إعلام الموقعين (120/4).

(4) مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 597.

(5) حقيقة البدعة وأحكامها (321/1).

(6) الإحكام للامدي (130/4) ؛ حجية قول الصحابي ، ص 40.

(7) حجية قول الصحابي ، ص 40.

نعم. قال: أنت سمعتها من رسـول الله ﷺ قال: نعم. قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أبي: تصديق هذه الآية من أول سورة الجمعة: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: 3]، وفي سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر: 10]، وفي الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: 75]، وسبب سؤال عمر أنه كان يقرأ هذه الآية برفع الأنصار، وبعدم إلحاق الواو في الذين كما أورد ذلك ابن جرير[1]، ثم لما تبين له من أبي بن كعب الخفض وإلحاق الواو قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، يقصد المهاجرين. وهذا القول منه – رضي الله عنه – يؤيد ما ذهب إليه أصحاب القول الأول القائلين بحجية أقوال الصحابة من غير تخصيص لبعضهم، إذ اشترك الجميع في وصف الثناء عليهم بكونهم سبقوا في كل علم وفضل وجهاد وعمل. وهذه الآية احتج بها ابن القيم وجعلها من الأدلة الدالة على وجوب اتباع الصحابة[2]، وحكي احتجاج الإمام مالك بها في هذا المعنى[3]، وذكر أن الآية تتضمن مدح الصحابة والثناء عليهم، واستحقاقهم أن يكونوا أئمة متبوعين يقتدى بهم، وتؤخذ أقوالهم، وأنها اقتضت المدح لمن اتبعهم كلهم، أو اتبع كل واحد منهم مالم يخالف نصاً[4].

ومن الأدلة: قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: 110]، روى ابن جرير بسنده عند تفسيره لهذه الآية عن الضحاك، قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ[5]. قال ابن جرير بعد إيراده لهذا الأثر مبيناً معناه: يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم[6]، واستشهد بالآية الشاطبي حين قرر أن: سنة الصحابة – رضي الله عنهم – سنة يعمل عليها ويرجع إليها[7]، فقال: في الآية إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضي باستقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة[8].

وقد أفاض الإمام ابن القيم الجوزية في الاستدلال على حجية قول الصحابة بالآيات الكريمة ووجه استدلاله، فأجاد وأفاد[9].

---

(1) تفسير الطبري (438/14).
(2) إعلام الموقعين (123/4).
(3) المرجع السابق نفسه.
(4) المرجع السابق نفسه (123/4 . 129).
(5) تفسير الطبري (102/7).
(6) المصدر السابق نفسه.
(7) الموافقات (74/4).
(8) المصدر السابق نفسه.
(9) إعلام الموقعين (123/4 . 135).

ثانياً: أما الأدلة من السنة فهي كثيرة منها:

قوله ﷺ : «خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث»[1]، فإخباره ﷺ بذلك يقتضي تقديمها في كل باب من أبواب الخير، ولا سيما في ظفرهم بالصواب[2]، فهم أفضل من غيرهم في كل فضيلة، من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم من الدين بالضرورة من دين الإسلام[3].

وعن عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ : «ما من نبي بعثه الله عز وجل إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره[4]»، وقد استشهد البيهقي بهذا الحديث على أفضليتهم ومنزلتهم[5]العالية في كل علم وعمل وقصد[6].

ثالثاً: الأدلة من الاثار منها:

ما روي عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنهما – أنه قال: يا معشر القراء خذوا الطريق ممن كان قبلكم، فو الله لئن استقمتم لقد سبقتم بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً[7]. روى الخطيب بسنده عن عامر الشعبي أنه قال: ما حدثوك عن أصحاب محمد ﷺ فخذه[8].

رابعاً: من أقوال الأئمة والعلماء في حجية قول الصحابي:

1– قول الشافعي: ما كان الكتاب والسنة موجودين فالعذر عمن سمعهما مقطوع، إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ أو واحد منهم[9]. وقال أيضاً: لا يكون لك أن تقول إلا عن أصل، أو قياس على أصل، والأصل: كتاب، أو سنة، أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ، أو إجماع الناس[10].

2– وقال أحمد: لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبيﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد، الرجل فيه مخيّر[11].

---

(1) مسلم (1965/2).

(2) إعلام الموقعين (136/4).

(3) مجموع الفتاوى (158/4).

(4) مسلم كتاب الإيمان (69/1).

(5) الاعتقاد للبيهقي ، ص 319.

(6) حقيقة البدعة وأحكامها (328/1).

(7) حلية الأولياء (280/10) ؛ البدع لابن وضاح ، ص 10.

(8) حقيقة البدعة وأحكامها (329/1).

(9) الأم للشافعي (265/7).

(10) مناقب الشافعي ، ص 367.

(11) مسائل الإمام أحمد لأبي داود ، ص 276.

3- وقول الإمام مالك: ومذهبه في ترجيح عمل أهل المدينة مشـــهور ومعلوم، بيد أنه قد ذهب إلى أبعد من ذلك، حين اعتبر قول الصحابة، ولا سيما ولاة الأمر بعده محلّ احتجاج[1].

4- قال ابن تيمية: ومن قال من العلماء: إن قول الصــحابي حجة، فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصــحابة، ولا عرف نصــاً يخالفه، ثم إذا اشــتهر ولم ينكروه، كان إقراراً على القول، فقد يقال: هذا إجماع إقراري إذا عرف أنهم أقروه، ولم ينكره أحد منهم وهم لا يقرون على باطل[2]، أما إذا لم يشتهر فهذا إن عرف أنه خالفه فليس بحجة بالاتفاق[3].

5- قال الشــاطبي: عند شــرحه لقول النبيﷺ : «ما أنا عليه وأصــحابي[4]»: فكأنه راجع إلى ما قالوه وما ســنُّوه، وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق، وبشهادة رسول الله ﷺ لهم بذلك خصوصاً... إلى أن قالَ: فإذا كل ما سنّوه فهو سنة، من غير نظير فيه بخلاف غيرهم[5]. وقال في الموافقات: ســنة الصــحابة - رضــي الله عنهم - ســنة يعمل عليها ويرجع إليها[6]

(1) إعلام الموقعين (123/4) ، ترتيب المدارك (64/1).

(2) مجموع الفتاوى (283/1).

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) السلسلة الصحيحة (12/1 ، 25) (480/3).

(5) الاعتصام (263/2).

(6) الموافقات (74/4).



الفصل الخامس : مؤسسة الولاة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

المبحث الأول : أقاليم الدولة

أولا: مكة المكرمة:

توفي عثمان رضي الله عنه وعلى مكة خالد بن سعيد بن العاص، فأصدر علي رضي الله عنه قراراً بعزله وعين أبا قتادة الأنصاري والياً على مكة[1]، ويبدو أن فترة ولايته قصيرة؛ إذ إن علياً رضي الله عنه عندما أراد الخروج من المدينة إلى العراق بعث قثم بن العباس[2]، والياً على مكة، وعزل أبا قتادة الأنصاري[3]، وبهذا فإن ولاية أبي قتادة استمرت قرابة الشهرين، ولم ترد عنها أخبار تذكر، ومعظم المصادر التي تحدثت عن ولاية قثم بن العباس على مكة ذكرت أن علياً ولاّه على مكة والطائف وأعمالها في وقت واحد[4]، ونقل الأخبار عن مكة في عهد خلافة علي رضي الله عنه سوى ما يتعلق بموسم الحج ومن كان والياً عليه، فعلي بن أبي طالب لم يرد أنه شهد الحج أثناء خلافته بسبب انشغاله بالفتن التي قامت في أنحاء الدولة الإسلامية، حيث لم تستقر الأوضاع فيها، وكان خلال موسم الحج يبعث من يقود الحجيج.

ويبدو أن قثم بن العباس أقام الحج بالناس سنة 37 هـ فقط، بينما بعث علي رضي الله عنه على الحج عبد الله بن العباس سنة 36 هـ، وعبيد الله بن العباس سنة 38 هـ[5]، مع وجود اختلاف بين المصادر في سنة حج كل منها، وأما سنة 39 هـ فقد بعث معاوية أحد قواد الشام مع حجاج الشام وأمره أن يقيم الحج بالناس، فلما وصل إلى مكة تنازع مع (قثم بن عباس)، وكاد أن يقع بينهما قتال لولا أن عمل بعض الصحابة بينهما بالصلح على أن يقيم الحج بالناس أحد بني شيبة، وانتهى الحج بسلام ولم يقع قتال[6].

وقد استمر قثم بن العباس في ولايته على مكة إلى أن قدم جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطاة فخرج منها قثم هارباً خائفاً على نفسه، وبذلك انتهت ولاية قثم، وخرجت مكة من ولاية علي بن أبي طالب، وقد بعث علي بعض أجناده لاستعادة

---

(1) الولاية على البلدان (3/2) ؛ تاريخ ابن خياط ، ص 201.
(2) سير أعلام النبلاء (440/3).
(3) تاريخ اليعقوبي (179/2).
(4) الكامل في التاريخ (398/3)؛ الولاية على البلدان (4/2).
(5) تاريخ خليفة ، ص 191 ، 192 ، 198 ؛ الولاية على البلدان (4/2).
(6) الولاية على البلدان (4/2) ؛ تاريخ الطبري (79/6).

مكة إلا أن استشهاد علي رضي الله عنه حال دون إتمام المهمة[1].

ثانياً: المدينة النبوية:

كانت المدينة المنورة طيلة عهد رسـول الله ﷺ وخلفائه الثلاثة من بعده عاصـمة الدولة الإسـلامية، ويقيم فيها الخليفة، ويتولى شؤونها بنفسه أثناء وجوده، أما في حالة السفر فإنه ينيب عليها من يتولى شؤونها، وقد اختلف الوضع بعد مبايعة علي رضـي الله عنه بالخلافة، إذ دعته الحالة العامة والارتباك الذي حدث بعد مقتل عثمان إلى مغادرة المدينة المنورة خصوصاً بعد خروج طلحة والزبير وعائشة باتجاه العراق قبل موقعة الجمل[2]، وقد استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري كما تقول بعض الروايات[3].

ولا نعلم المدة التي بقي فيها ابن حنيف والياً على المدينة، والذي يبدو أن ولايته قد اسـتمرت أكثر من سـنة، فقد ورد أنه كان على المدينة سنة 37 هـ[4]، ثم ولى علي تمام بن العباس على المدينة بعد أن عزل سهل بن حنيف، وقد ولى علي بن أبي طالب على المدينة بعد ذلك أبا أيوب الأنصاري الذي استمر والياً عليها إلى سنة 40 هـ، حيث قدم المدينة جيش من الشـام من قبل معاوية بقيادة بسـر بن أرطاة[5]، ففر أبو أيوب من المدينة، وتوجه إلى علي في الكوفة[6]، وبذلك خرجت المدينة من حكم علي بن أبي طالب رضـي الله عنه ودخلت في حكم معاوية، وهكذا تحولت المدينة في عهد علي من قاعدة للخلافة إلى ولاية من الولايات، وأخذت الأحداث السـياسـية تدور بعيداً عنها، لذلك نجد المصـادر التاريخية تكاد تهملها خلال تلك الفترة إلى أن استطاع جيش معاوية الاستيلاء عليها[7].

ثالثاً: ولاية البحرين وعمان:

كانت البحرين حين توفي عثمان رضـي الله عنه تابعة لإمارة البصـرة، وكان ابن عامر يولي عليها من عماله، وفي عهد علي

(1) تاريخ الطبري (80/6)؛ الولاية على البلدان (5/2).
(2) تاريخ خليفة بن خياط ، ص (8)؛ الولاية على البلدان (2/2).
(3) تاريخ ابن خياط ، ص 181 ، 201 ؛ الولاية على البلدان (2/2).
(4) تاريخ الطبري (53/6) ؛ الولاية على البلدان (2/2).
(5) سير أعلام النبلاء (409/3)؛ الولاية على البلدان (2/2).
(6) تاريخ الطبري (80/6) ؛ الكامل (373/3).
(7) الولاية على البلدان (3/2).

رضـي الله عنه عيّن علي على ولاية البحرين مجموعة من الأمراء كان من أهمهم عمر بن أبي سـلمة[1] الذي خرج مع علي من المدينة أثناء سفره إلى العراق، ثم بعثه علي والياً على البحرين[2]، لفترة من الوقت، ثم استدعاه علي لمصاحبته في العراق بعد ذلك، كما كان من عمال علي في البحرين قدامة بن العجلان الأنصـاري[3]، والنعمان بن العجلان الأنصـاري[4]، وكذلك ذكر من ولاته على البحرين عبيد الله بن العباس[5]، ويلاحظ أن عبيد الله بن عباس كان والي اليمن، فلعل البحرين ونجد كانتا تابعتين له في تلك الفترة، وهذا يوحي به تعبير الطبراني، كما أن تعبير خليفة بن خياط يوحي بعدم معرفته لترتيب معين لهؤلاء الولاة[6]، وقد أوردت المصادر أسماء بعض العمال الذين وجههم علي إلى عمان؛ أحدهم والي، والاخر قائد جند لإخماد إحدى الثورات التي قامت ضـد علي في عمان[7]، وكذلك كان هنالك عامل على اليمامة[8]، ولعله خاضع لإشراف والي البحرين[9].

رابعاً: ولاية اليمن:

لما استشـهد عثمان وبويع علي بالخلافة ولى على اليمن عبيد الله بن العباس رضـي الله عنهما[10]، وقد خرج ولاة عثمان من اليمن قبل وصول عبيد الله بن عباس إليها، واشترك بعضهم في جيش الجمل مع طلحة والزبير، وكان لهم دور في تجهيز الجيش[11]، وقد كان عبيد الله بن عباس على صـنعاء وأعمالها كما كان معه في الولاية سـعيد بن سـعد بن عبادة الأنصاري[12]، على الجند ومخاليفها[13]، وكان مقتل عثمان له أثر بالغ على المسلمين في اليمن، وأحسَّ القوم بالامتعاض والتبرُّم من هذا الجرم، وبقي بعض اليمنيين لم يبايع ويرغب في قتل قتلة عثمان رضـي الله عنه، ولما تأخر هذا راسلوا معاوية بعد التحكيم، فأرسل بسر بن أبي أرطاة، فاستطاع أن يستولي على اليمن بفضل مساعدتهم، ولكن لفترة وجيزة[14]، حيث

---

(1) تهذيب التهذيب (456/7).
(2) الكامل (222/3)؛ الولاية على البلدان (5/2).
(3) الولاية على البلدان (5/2).
(4) الإصابة (562/3)؛ الولاية على البلدان (5/2).
(5) تاريخ الطبري (90/6).
(6) الولاية على البلدان (6/2).
(7) تاريخ اليعقوبي (95/2)؛ الولاية على البلدان (6/2).
(8) الولاية على البلدان (6/2).
(9) المصدر السابق نفسه.
(10) تاريخ خليفة بن خياط ، ص 6.
(11) مروج الذهب للمسعودي (357/2)؛ الولاية على البلدان (6/2).
(12) الاستبصار لابن قدامة المقدسي ، ص 99؛ الولاية على البلدان (6/2).
(13) الولاية على البلدان (6/2).
(14) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص 109.



استطاع علي استرجاعها من جيش معاوية، فأعاد عبيد الله بن عباس إلى ولايتها مرة أخرى، واستمر والياً عليها إلى أن استشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

وقد روي أن بسراً قتل ابنين لعبيد الله بن عباس وبعض أنصار علي هناك، ثم رجع إلى الشام، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامة السعدي؛ قيل: ففعل مثلما فعل بسر وقتل بعض محبي عثمان في اليمن[2]، قال ابن كثير: وهذا الخبر مشهور عند أهل السير وفي صحته عندي نظر[3]، ولا شك أن قتل الأبرياء لم يحصل في تلك المرحلة حتى في أيام البصرة وصفين عندما قامت الحرب بين الطرفين، فكيف يقتل الأطفال والأبرياء في مرحلة الهدنة؟! لذلك لا يمكن قبول هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم[4].

خامساً: ولاية الشام:

كان معاوية رضي الله عنه والياً على الشام في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولما تولى علي الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر، فأبى عليه عبد الله بن عمر قبول ولاية الشام، واعتذر في ذلك وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهم[5]، ولم يلزمه أمير المؤمنين علي، وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وأما الروايات التي تزعم أن علياً قام بالتهجم على عبد الله بن عمر رضي الله عنه لاعتزاله وعدم وقوفه إلى جانبه، ففي ذلك الخبر تحريف وكذب[6]، وأقصى ما وصل إليه الأمر في قضية عبد الله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبي من طريق سفيان بن عيينة، عن عمر بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر قال: بعث إليَّ علي قال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمَّرتك عليهم، فقلت: أذكر الله وقرابتي من رسول الله ﷺ وصحبتي إياه، إلا ما أعفيتني، فأبى عليَّ، فاستعنت بحفصة فأبى، فخرجت ليلاً إلى مكة[7]، وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمر، ودخوله في الطاعة، إذ كيف يوليه علي وهو لم يبايع، وفي الاستيعاب لابن عبد البر؟ من طريق أبي بكر بن أبي الجهم عن ابن عمر: أنه قال حين احتضر: ما اسى على شيء إلا تركي قتال الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه[8]، وهذا مما يدل أيضاً على مبايعته لعلي، وإنه إنما ندم على عدم خروجه مع علي للقتال،

---

(1) تاريخ الطبري (6/80، 81) ؛ الولاية على البلدان (7/2).

(2) تاريخ الطبري (55/6).

(3) البداية والنهاية (334/7).

(4) الإنصاف ، د. حامد خليفة ، ص 575.

(5) المصنف لابن أبي شيبة (472/7) إسناده صحيح.

(6) استشهاد عثمان ووقعة الجمل ؛ خالد الغيث ، ص 160.

(7) سير أعلام النبلاء (224/3) ، رجاله ثقات.

(8) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (83/3).

فإنه كان ممن اعتزل الفتنة، فلم يقاتل مع أحد، ولو كان قد ترك البيعة لكان ندمه على ذلك أكبر وأعظم ولصرح به، فإن لزوم البيعة والدخول فيما دخل الناس فيه واجب، والتخلف عنه متوعد عليه برواية ابن عمر نفسه: أن النبيﷺ قال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[1] وهذا بخلاف الخروج للقتال مع علي، فإنه مختلف فيه بين الصحابة، وقد اعتزله بعض الصحابة، فكيف يتصور أن يندم ابن عمر على ترك هذا القتال، ولا يندم على ترك البيعة لو كان تاركاً لها، مع ما فيه من الوعيد الشديد، وبهذا يظهر بطلان قول بعض المؤرخين في زعمهم؛ من ترك ابن عمر البيعة لعلي – رضي الله عنهما –، حيث ثبت أنه كان من المبايعين له بل من المقربين منه، الذين كان يحرص على توليتهم، والاستعانة بهم، لما رأى فيه من صدق الولاء والنصح له[2].

وبعد اعتذار ابن عمر من قبول ولاية الشام، أرسل أمير المؤمنين علي سهل بن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع[3]، وكانت بلاد الشام تغلي غضباً على مقتل عثمان ظلماً وعدواناً، فقد وصلهم قميصه مخضباً بدمائه، وبأصابع نائلة زوجه، التي قطعت أصابعها وهي تدافع عنه، وكانت قصة استشهادة أليمة فظيعة اهتزت لها المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها الدموع، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها، وهروب بني أمية إلى مكة، كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام، وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه، فقد كان يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه فهو ولي دمه، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: 33]، لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل ظلماً وعدواناً على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقرّبها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم[4].

وهناك حديث اخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان، ومنشطاً ودافعاً قوياً للتصميم على تحقيق الهدف، وهو عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان، فجاء فأقبل عليه رسول

([1]) مسلم ، كتاب الإمارة ، رقم 1851.

([2]) الانتصار للصحب والال ، ص 507.

([3]) تهذيب تاريخ دمشق (39/4) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص 110.

([4]) صحيح سنن ابن ماجه (24/1).



الله ﷺ، فكان من اخر كلمة أن ضرب منكبه فقال: «يا عثمان! إن الله عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني – ثلاث»، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتبت إلى أم المؤمنين أن اكتبي إليّ به، فكتبت إليه به كتاب[1].

كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي، في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب بالخلافة، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق؛ إذ كان يدرك إدراكاً تاماً أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى، وأن علياً أفضل منه وأولى بالأمر[2]، ودليل ذلك: ما أخرجه يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً، أم أنت مثله؟! فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه، فقولوا له: فليدفع إليّ قتلة عثمان، وأسلم له، فأتوا علياً، فكلّموه، فلم يدفعهم إليه[3]. وفي رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إلي، فامتنع معاوية[4]، وأما الروايات التي تصور معاوية في خروجه عن طاعة علي بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية، وبسبب العداء والتنافس الجاهلي القديم بين بني هاشم وبني أمية، وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله ﷺ، مما أعتمد عليها الكتاب المعاصرين كالعقاد في عبقرية علي، وعبد العزيز الدوري في مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، وبنوا عليها تحليلاتهم الباطلة، فهي روايات متروكة مطعون في رواتها عدلاً وضبطاً[5].

وقد استمرت ولاية الشام تابعة لنفوذ معاوية بن أبي سفيان طيلة خلافة علي رضي الله عنه، ولم يتمكّن علي من السيطرة عليها أو تعيين العمال والأمراء فيها، وقد وقعت إلى الشرق من بلاد الشام بعض المناوشات بين جند علي وجند معاوية، كان أهمها موقعة (صفين) والتي شهدها علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة 37 هـ، ولم تمنع هذه المعارك من استمرار سيطرة معاوية على الشام[6].

---

(1) مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، رقم 24045 ، حديث صحيح.

(2) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص 112.

(3) فتح الباري (92/13) ؛ البداية والنهاية (129/8).

(4) فتح الباري (92/13) ؛ استشهاد عثمان ، ص 160.

(5) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص 112.

(6) الولاية على البلدان (8/2).

سادساً: ولاية الجزيرة:

كانت الجزيرة إحدى الولايات التابعة للشام أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبعد استشهاده كانت الشام بيد معاوية، والعراق بيد علي، مما جعل الجزيرة محل تنازع بين الفريقين، نظراً لموقعها الجغرافي واتصالها بالشام من جهة، وبالعراق من جهة أخرى[1]، وبالتالي سهولة السيطرة عليها من كلا الجانبين، وقد وقعت في الجزيرة العديد من المعارك بين أجناد علي وأجناد معاوية في محاولة من كلا الطرفين للسيطرة عليها، ويبدو أن علياً استطاع السيطرة عليها[2]، لفترة من الوقت وعين عليها (الأشتر)، وهو أشهر ولاة علي في الجزيرة[3]، حيث ولاه عليها لأكثر من مرة فاستطاع أن يرتب أمورها، ثم اضطر علي رضي الله عنه لنقله لولاية مصر وذلك في سنة 38 هـ[4]، فعاد الاضطراب مرة أخرى إلى الجزيرة، ونشط أتباع معاوية في الاستيلاء عليها بعد ذلك فوقعت فيها العديد من المعارك[5]، ويبدو أن معاوية استطاع في أواخر سنة 39 هـ أن يسيطر إلى حد ما على الجزيرة[6]، وقد كانت الجزيرة ملجأ لبعض المعتزلين للحرب بين علي ومعاوية، وهم الذين لم يبايعوا أيامها أثناء النزاع الناشب بينهما[7]، ولعل موقعها في المنتصف بين الطرفين هو الذي دفعهم لاختيارها، وقد وردت أسماء بعض من ولي الجزيرة لعلي ومنهم شبيب بن عامر[8]، وكميل بن زياد، وكان لهما دور في مقاومة جيوش الشام التي هاجمت الجزيرة، بل إنهما استطاعا الهجوم على الشام من قبل الجزيرة[9].

سابعاً: ولاية مصر:

استشهد عثمان رضي الله عنه وعلى مصر محمد بن أبي حذيفة مغتصباً للولاية فيها، ولم يقره عثمان عليها، وبعد وفاة عثمان أقره علي على مصر فترة من الوقت لم تطل، حيث وجه معاوية جيشاً إلى نواحي مصر فظفر بمحمد بن أبي حذيفة، فقبض عليه، ثم سجن وقتل[10]، وقد ذكر أن علياً لم يعين محمد بن أبي حذيفة على مصر، وإنما تركه على حاله،

---

(1) معجم البلدان (135/2).
(2) الأخبار الطوال للدينوري ، ص 154 ؛ الولاية على البلدان (8/2).
(3) تاريخ خليفة بن خياط ، ص 200.
(4) تاريخ الطبري (54/6).
(5) الفتوح لابن أعثم الكوفي (45/4) ؛ الكامل (379/3).
(6) الكامل (380/3).
(7) سير أعلام النبلاء (414/3).
(8) الولاية على البلدان (9/2).
(9) الفتوح لابن أعثم الكوفي (50/4 . 52)؛ تاريخ الطبري (19/6).
(10) ولاة مصر للكندي ص 42 ، 43 ؛ الولاية على البلدان (9/2).

حتى إذا قُتل، عيَّن عليٌّ قيس بن سعد الأنصاري على ولاية مصر[1]، فقال له: سر إلى مصر وليتكها، واخرج الى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب، وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن[2]، وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه في العديد من المواقف، فإنه حين توجه إلى مصر كان فيها مجموعة ممن غضبوا لمقتل عثمان، ومجموعة ممن اشتركوا في قتله، ولقد لقيته خيل من مصر قبل دخوله إليها فقالوا: من أنت؟ قال: من فألة[3] عثمان فأنا أطلب من أوى إليه فأنتصر به لله، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امضِ، فمضى حتى دخل[4] مصر، وهذا الموقف الذي لِقَيْس هو الذي مكنه من دخول مصر، ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير، وربما لو أنه أعلن لهؤلاء الأجناد أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلاً، كما حدث لمن وجهه علي إلى الشام فمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علموا أنه قد بُعث أميراً على الشام[5].

وحينما وصل قيس بن سعد إلى الفسطاط صعد المنبر وخطب في أهل مصر، وقرأ عليهم كتاباً من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلب البيعة لعلي[6]، وهنا انقسم أهل مصر إلى فريقين: فريق دخل في بيعة علي وبايعوا قيساً، وفريق توقف واعتزل، وكان قيس بن سعد حكيماً مع الذين بايعوا والذين امتنعوا، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهم في حالهم[7]، ولم يكتف بذلك، بل إنه بعث لهؤلاء أعطياتهم في مكان اعتزالهم، ووفد عليه قوم منهم فأكرمهم وأحسن إليهم[8]، فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتالي ساعدته على هدوء الأوضاع بمصر، حتى استطاع قيس أن ينظم الأمور فيها، فوزع الأمراء، ونظّم أمور الخراج، وعين رجالات على الشرطة[9]، وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصر، وأن يسترضي جميع الأطراف فيها[10]. وأصبح قيس بن سعد في هذا الموقع يشكل ثقلاً سياسياً وخطراً عسكرياً على معاوية بن أبي سفيان في الشام، نظراً لقرب مصر من الشام، ولترتيب قيس لها وتنظيمها، وما اشتهر عن قيس من حزم، وخوف معاوية من حركات عسكرية مناوئة له تخرج من مصر، ولذلك فإنه أخذ يراسل قيس بن سعد في

---

(1) ولاة مصر ، ص 44 ؛ النجوم الزاهرة (94/1).
(2) الكامل في التاريخ (354/2).
(3) الفألة: الجماعة المنهزمون ؛ لسان العرب (531/11).
(4) الولاية على البلدان (10/2) نقلاً عن نهاية الأرب في تاريخ العرب للنويري.
(5) تهذيب تاريخ دمشق (39/4).
(6) الكامل في التاريخ (354/2).
(7) ولاة مصر ، ص 44 ؛ الكامل في التاريخ (354/2).
(8) ولاة مصر ، ص 44.
(9) الولاية على البلدان (11/2)؛ النجوم الزاهرة (98/1).
(10) الولاية على البلدان (11/2).

مصر مهدداً له، وفي الوقت نفسه يحاول إغراءه بالانضمام إليه، وكانت إجابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكية بحيث لم يستطع معاوية أن يفهم موقف قيس وما ينوي عمله، وقد تعددت بينهما الرسائل[1]، وقد انتشرت الروايات الرافضية من الرسائل بين معاوية وقيس بن سعد التي ذكرها أبو مخنف في كتب التاريخ، وهي باطلة لا تصح، فقد انفرد بها هذا الرافضي التالف الذي ضعفه رجال الجرح والتعديل بها، وفي متن تلك الرواية غرائب من أبرزها ما يلي:

1- خطاب علي إلى أهل مصر مع قيس بن سعد وفيه: ثم ولي بعدهما والٍ، فأحدث أحداثاً، فوجدت عليه الأمة مقالاً فقالوا، ثم نقموا عليه فغيروا، وهذا يعني أن الذين قاموا على عثمان (رضي الله عنه) رجال الأمة، وأن الأمة قد غيرت هذا المنكر بقتل عثمان، وعلي رضي الله عنه بريء من هذا القول، وهو يعلم أن الذين قتلوا عثمان هم أوباش الناس، وأن قتله ظلم وفجور، وأقواله تدل على ذلك؛ ومنها:

ما رواه ابن عساكر: أن محمد بن الحنفية قال: ما سمعت علياً ذاكراً عثمان بسوء قط[2]. وأخرج الحاكم وابن عساكر: أن علياً رضي الله عنه قال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ : «ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة» وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس يسألونني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلما قالوا: أمير المؤمنين؛ فكأن صدع قلبي، وانسكب[3] بعبرة، وأقواله في هذا المعنى كثيرة[4]، وقد جمعتها في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان)[5].

2- قول قيس بن سعد: أيها الناس إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا ﷺ .. وهذا مردود، إذ إن الثابت تفضيل أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، على علي رضي الله عنه كما صح عن علي نفسه: أنه صرح بذلك، وهذا لا يشك فيه أحد في ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم، وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعد رضي الله عنه ولا لغيره من الصحابة والتابعين، ولم يشتهر هذا إلا عند الشيعة الروافض المتأخرين[6]. قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متفقون

---

(1) الكامل (355/2) ؛ الولاية على البلدان (11/2).
(2) تاريخ ابن عساكر ، ترجمة عثمان ، ص 395.
(3) المستدرك (95/3و 103) ، صحيح على شرط الشيخين.
(4) مرويات أبي مخنف ، د. يحيى اليحيى ، ص 211.
(5) عثمان بن عفان للصلابي ، ص 407 ، 409.
(6) مرويات أبي مخنف ، ص 211.

على تفضيل أبي بكر وعمر[1]. والأدلة في تفضل أبي بكر وعمر كثيرة؛ منها: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبيﷺ ؛ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان[2]. والأحاديث في ذلك كثيرة[3] ومشهورة، وحقيقة الأمر كما مر معنا في الروايات الصحيحة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان، ولم يتهم أمير المؤمنين علي به.

3- رسالة معاوية إلى قيس بن سعد: وإشارته فيها إلى كون علي طرفاً في قتل عثمان... وهذا لا يصح صدوره من معاوية، ذلك أن الأمر واضح فيه براءة علي (رضي الله عنه) كما مر في الفقرة السابقة، وهذا لا يجهله معاوية (رضي الله عنه) فضلاً أن يُقِرَّه لقيس بن سعد (رضي الله عنهما).

وهذا محمد بن سيرين من كبار التابعين، ومن الذين عاصروا ذلك المجتمع يقول: لقد قتل عثمان وما أعلم أحداً يتهم علياً في قتله[4]. ويقول أيضاً: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصة، فيهم عبد الله بن عمر، وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم أن لا يقاتلوا[5]، وأخرج ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد بن الحنفية أن علياً قال: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل، والبر والبحر[6]. والنصوص في هذا المعنى كثيرة جداً[7]، مما يؤكد اشتهار كراهية علي رضي الله عنه لقتل عثمان[8].

4- وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار في دم عثمان فهذا لا يصح من معاوية، وهو يعلم أن الذي قام بالدفاع جميعاً هم الأنصار، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح أن زيد بن ثابت رضي الله عنه جاء إلى عثمان رضي الله عنه وهو محصور، فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا[9].

5- ما ذكره من اختلاق معاوية كتاباً على لسان قيس بن سعد ؛ فهذا من الكذب الذي لا يعقل صدوره من معاوية، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التي يتنزه عنها الرجال الكرام، وهذه قصة أبي سفيان وهو يومئذ على الشرك فيما أخرجه البخاري في قصة سؤال هرقل عن رسول الله ﷺ، يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا

---

(1) منهاج السنة (4/1 ، 9111).
(2) البخاري ، رقم 3697.
(3) مرويات أبي مخنف ، ص 212.
(4) تاريخ ابن عساكر ، ترجمة عثمان ، ص 395 ؛ مرويات أبي مخنف ، ص 212.
(5) تاريخ ابن عساكر ، ترجمة عثمان ، ص 350.
(6) المصنف (268/15).
(7) نقل ابن عساكر نصوص كثيرة تبين نصرة علي لعثمان ، ترجمة عثمان ، ص 395.
(8) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 213.
(9) الطبقات (70/3) سنده صحيح.



علي كذباً لكذبت عنه[1]، فهذه منزلة الكذب عند العرب، وعند المسلمين أشد وأخزى، ولا يقول قائل: هذه خدعة، والحرب خدعة، فإن الخدعة ليس معناها الكذب كما هو معلوم من كلام العرب، ومعاوية رضي الله عنه أحذق من أن يفعل هذا[2].

6- رواية هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاوية وعلي رضي الله عنهم بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئ لجهالة المطلع والناقل لها[3].

يقول الدكتور يحيى اليحيى: إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما على مصر من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر مجمع عليه[4]، وكل من ترجم لقيس لم يذكر هذه التفاصيل[5]، أي: التي ذكرها أبو مخنف في روايته - وحتى مؤرخو مصر المعتبرون لم يذكروا ذلك[6]، هذا وقد نقل رواية أبي مخنف من الطبري بعد حذف واختصار كل من: ابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، وابن تغري بردي[7]، وقد أخرج الكندي أيضاً عن عبد الكريم بن الحارث قال: لما ثقل مكان قيس على معاوية كتب إلى بعض بني أمية بالمدينة: أن جزى الله قيس بن سعد خيراً واكتموا ذلك، فإني أخاف أن يعزله علي إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا، حتى بلغ علياً فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بدّل قيس وتحوّل، فقال علي: ويحكم، إنه لم يفعل، فدعوني، قالوا: لتعزلنه فإنه قد بدّل، فلم يزالوا به حتى كتب إليه: إني قد احتجت إلى قربك، فاستخلف على عملك وأقدم[8]، وقد رجّح هذه الرواية الدكتور اليحيى في كتابه القيم (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري) قال:

1- إنها من رواية مصري ثقة، وهو أعلم بقطره من غيره.

2- أخرجها مؤرخ مصري.

3- خلوها من الغرائب.

4- متنها مما يتفق مع سيرة أولئك الرجال.

---

(1) البخاري ، رقم 7.

(2) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 214.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) تاريخ خليفة، ص 201 ؛ فتوح مصر ، ص 274 ، ولاة ، ص 440 ؛ سير أعلام النبلاء (13/3).

(5) طبقات ابن سعد (52/6)؛ تاريخ بغداد (177/1) ؛ سير أعلام النبلاء (102/3).

(6) كفتوح مصر ، وولاة مصر ، مرويات أبي مخنف ، ص 207.

(7) تاريخ ابن خلدون (1092/4) ؛ النجوم الزاهرة (97/1)؛ البداية والنهاية (251/7).

(8) ولاة مصر ، ص 45 . 46؛ وفيها المدائني وهو صدوق ، وبقية رجالها ثقات إلا أنها مرسلة.

5- بينت تردد علي في عزل قيس، حتى ألح عليه الناس فاستبقاه عنده، وهكذا القائد لا يفرط بالقيادات الحاذقة وقت المحن[1].

- تعيين محمد بن أبي بكر على ولاية مصر:

تدخل بعض الناس للإفساد بين علي وقيس بن سعد لكي يعزله، وفي نهاية المطاف طلب بعض مستشاري علي منه أن يعزل قيساً، وصدقوا تلك الإشاعات التي قيلت فيه، وألحُّوا في عزله، فكتب إليه علي: إني قد احتجت إلى قربك فاستخلف على عملك واقدم[2]. وكان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عين علي مكانه الأشتر النخعي[3]، على أكثر الأقوال، وقد التقى علي بالأشتر قبل سفره إلى مصر، فحدثه حديث أهل مصر وخبَّره خبر أهلها، وقال: ليس لها غيرك، أخرج رحمك الله فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما أهمك، فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ، واعزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة[4]، وقد توجه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه إلا أنه حينما وصل إلى أطراف (بحر القلزم) - البحر الأحمر - مات قبل أن يدخل مصر، وقد قيل: إنه سقي شربة مسمومة من عسل فمات منها، وقد اتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاوية[5]، والتهمة الموجهة إلى معاوية في قتل الأشتر بالسم لا تثبت من طريق صحيح، واستبعد ذلك ابن كثير[6]، وابن خلدون[7]. وسار على نهجهم الدكتور يحيى اليحيى[8]، وملتُ إلى هذا القول.

هذا وقد مات الأشتر قبل أن يباشر عمله في مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلي بن أبي طالب، وقد ولي بعده على مصر محمد بن أبي بكر[9].

وقد سبق لمحمد بن أبي بكر أن عاش في مصر في عهد عثمان، وتدل الروايات على أن محمد بن أبي بكر قد وصل إلى مصر قبل أن يغادرها الوالي الأول قيس بن سعد، وقد دارت محاورة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبي بكر قدَّم فيها قيس عدة نصائح لمحمد، خصوصاً فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان، والذين لم يبايعوا علياً بعده، وقد قال قيس: يا أبا

---

(1) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 210.
(2) ولاة مصر ، ص 45 . 46.
(3) فتوح البلدان ص 229 ، الولاية على البلدان (12/2).
(4) النجوم الزاهرة (103/1).
(5) النجوم الزاهرة (104/1) ، سير أعلام النبلاء (34/4).
(6) البداية والنهاية (303/8).
(7) تاريخ ابن خلدون (1125/4).
(8) مرويات أبي مخنف ، ص 224.
(9) النجوم الزاهرة (106/1).

القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين، وليس عزله إياي بمانعي أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم - يقصد الذين لم يبايعوا علياً ولا غيره - على ما هم عليه، فإن أتوك فاقبلهم، وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم، وأنزل الناس على قدر منازلهم وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل؛ فإن هذا لا ينقصك[1]. وقد حمل محمد معه عهداً من علي رضي الله عنه فقرأه على أهل مصر وخطبهم[2]، وقد كتب أمير المؤمنين علي لمحمد بن أبي بكر كتاباً جاء عندما ولاه على مصر، ولم يكن هذا الكتاب مقتصراً على سياسة الولاية، بل يحوي دعوة محمد بن أبي بكر الصديق إلى الله، ومما جاء في هذا الكتاب: واعلم يا محمد! أنك وإن كنت محتاجاً إلى نصيبك من الدنيا، إلا أنك إلى نصيبك من الاخرة أحوج، فإن عرض لك أمران: أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فابدأ بأمر الآخرة، ولتعظم رغبتك في الخير، ولتحسن فيه نيتك، فإن الله عز وجل يعطي العبد على قدر نيته، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان - إن شاء الله - كمن عمله، فإن رسول الله ﷺ قال حين رجع من تبوك: «إن بالمدينة لأقواماً ما سرتم من مسير، ولا هبطتم من وادٍ إلا كانوا معكم، ما حبسهم إلا المرض» يقول: «كانت لهم نية»[3]، ثم اعلم يا محمد أني قد وليتك أعظم أجنادي: أهل مصر، ووليتك ما وليتك من أمر الناس، فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك، وتحذر فيه على دينك، ولو كان ساعة من نهار، فإن استطعت أن لا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه منه، فاشتد على الظالم، وَلِنْ لأهل الخير وقربهم إليك واجعلهم بطانتك، وإخوانك والسلام[4].

وبدأ محمد بن أبي بكر يمارس ولايته، وقد مضى الشهر الأول من ولايته بسلام، إلا أن الأمور بدأت تتغير بعد ذلك، فلم يعمل محمد بنصيحة قيس بن سعد، وبدأ يتحرَّش بأولئك الأقوام الذين لم يبايعوا علياً، فكتب إليهم يدعوهم إلى المبايعة، فلم يجيبوه، فبعث رجالاً إلى بعض دورهم فهدموها ونهب أموالهم وسجن بعض ذراريهم فعملوا على محاربته[5].

ثم أن معاوية أعدَّ جيشاً بقيادة عمرو بن العاص فغزا به مصر، وتحالف مع من قاتلهم محمد بن أبي بكر، وكانت قوتهم كبيرة تصل إلى عشرة الاف مقاتل وفيهم مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج[6]، ووقعت بينهم وبين محمد بن أبي بكر معارك قوية انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء أجناد معاوية على مصر، وبذلك خرجت مصر من حكم علي بن

([1]) ولاة مصر ، ص 50 ؛ الولاية على البلدان (13/2).
([2]) الكامل في التاريخ (356/2).
([3]) له أصل في صحيح مسلم ، كتاب الإمارة (1518/3).
([4]) تاريخ الطبري ، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص 282.
([5]) الكامل في التاريخ (357/2) ؛ الولاية على البلدان (13/2).
([6]) تاريخ الطبري (11/6).

أبي طالب رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين للهجرة[1].

وقد انفرد أبو مخنف الشيعي الرافضي برواية مفصلة ذكرها الطبري[2]؛ شوهت كثيراً من حقائق التاريخ والتي لم يخرجها غيره، ثم ذكرها بعض المؤرخين على النحو التالي:

اليعقوبي: ذكر قتال عمرو بن العاص لمحمد بن أبي بكر، وأن معاوية بن حديج أخذه وقتله ثم وضعه في جيفة حمار فأحرقه[3].

وأما المسعودي[4]، وابن حبان[5]، فقد أشارا إلى قتل محمد بن أبي بكر، ولم يذكرا التفاصيل[6].

ونقل ابن الأثير[7]، رواية أبي مخنف في الطبري باختصار بعدما حذف منها كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر، ونص المكاتبات بين علي وابن أبي بكر، وحذف رد ابن أبي بكر على معاوية وعمرو بن العاص، من رواية أبي مخنف في الطبري.

وقد ذكر النويري نحواً مما ذكره ابن الأثير[8]، وذكر ابن كثير، قريباً مما ذكره ابن الأثير والنويري، وأما ابن خلدون فأشار إلى معنى روايات أبي مخنف[9]، واختصر ابن تغري بردي روايات أبي مخنف[10]، وكل هذه الروايات جاءت من طريق أبي مخنف وساهمت في تشويه التاريخ الإسلامي لتلك الحقبة، وتناقلها الكتَّاب المعاصرون دون تمحيص، وساهموا في نشرها واستقرت كثيراً من تلك الأكاذيب في أذهان بعض المثقفين، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من ضمن سلسلة المفاهيم المغلوطة التي نشروها بين الناس.

هذا وإن قتل معاوية بن حديج لمحمد بن أبي بكر قد ثبت من طريق صحيح فيما أخرجه أبو عوانة عن عبد الرحمن بن شماسة قال: دخلت على عائشة أم المؤمنين، فقالت لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل مصر، قالت: كيف وجدتم ابن حديج في غزاتكم هذه؟ فقلت: وجدناه خير أمير، ما مات لرجل منا عبد إلا أعطاه عبداً، ولا بعيراً إلا أعطاه بعيراً، ولا فرس إلا أعطاه فرساً، قالت: أما إنه لا يمنعني قتله أخي أن أحدث ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «من ولي من أمر أمتي شيئاً

---

[1] تاريخ خليفة بن خياط ، ص 19 ؛ تاريخ الطبري (5/6).
[2] تاريخ الطبري (7/6 إلى 18).
[3] تاريخ اليعقوبي (194/2).
[4] مروج الذهب (420/2).
[5] الثقات (297/2).
[6] مرويات أبي مخنف ، ص 241.
[7] الكامل (409/2 إلى 414).
[8] نهاية الأرب (107/20 . 112).
[9] تاريخ ابن خلدون (1126/4 . 1128).
[10] النجوم الزاهرة (107/1 . 112).



فرفق بهم، فارفق به، ومن شق عليهم، فشق عليه»[1].

وقد اشتملت روايات أبي مخنف في تاريخ الطبري حول ولاية محمد بن أبي بكر لمصر ومقتله على جملة من الغرائب أبرزها ما يأتي:

1- ما ذكره من مبايعة أهل الشام لمعاوية بالخلافة بعد التحكيم ؛ فهذا غير صحيح، فقد نقل ابن عساكر بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي أعلم الناس بأمر الشام[2]، أنه قال: كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين[3]. فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي، وإلى هذا ذهب الطبري، فقد قال في اخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيليا[4]، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين؛ لأنه لم يبق له عندهم منازع[5]، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفئاً لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه، فإن فضل علي وسابقته وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان، وغيرهم رضي الله عنهم[6]، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخر منهما»[7]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة، ومن المحال أن يقدم الصحابة على مخالفة ذلك[8].

2- قوله: إن عمرو بن العاص صالح معاوية على أن له مصر طعمة ما بقي، فهذه القصة أخرجها ابن عساكر بسند فيه مجهول[9]، وذكرها الذهبي بصيغة التمريض، وبالتالي تصبح ساقطة لا اعتبار لها.

3- اتهام محمد بن أبي بكر بقتل عثمان رضي الله عنه بمشاقصه، فهذا باطل، وقد جاءت روايات ضعيفة في ذلك، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري[10]، وقد ذكر الدكتور يحيى اليحيى عدة

---

(1) مسند أبي عوانة (113/40) ؛ مسلم (1458/3) مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(2) قال الحاكم: هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة. تهذيب التهذيب (60/4).
(3) تاريخ دمشق (360/16).
(4) تاريخ الطبري (76/6).
(5) البداية والنهاية (16/8).
(6) فتاوى ابن تيمية (73/35).
(7) صحيح مسلم (1480/3).
(8) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص 412.
(9) تاريخ دمشق (261/13).
(10) فتنة مقتل عثمان (209/1).

أسباب ترجّح براءة محمد بن أبي بكر من دم عثمان؛ منها:

أ- أن عائشة رضي الله عنها خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان، ولو كان أخوها منهم ما حزنت عليه لما قتل.

ب- لعن علي رضي الله عنه لقتلة عثمان رضي الله عنه وتبرؤه منهم، يقتضي عدم تقريبهم وتوليهم، وقد ولى محمد بن أبي بكر مصر، فلو كان منهم ما فعل ذلك.

ج- ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حيي قال: شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة، قالت: هل أندى محمد بن أبي بكر شيء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يا بن أخي لست بصاحبي، فخرج، ولم يند من دمه بشيء[1]، ويشهد لهذا ما أخرجه خليفة بن خياط والطبري بإسناد رجاله ثقات عن الحسن البصري، وكان ممن حضر يوم الدار[2]، أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذاً، أو قعدت مني مقعداً ما كان أبوك ليقعده، فخرج وتركه[3]. وبهذا يتبين لنا براءة محمد بن أبي بكر الصديق من دم عثمان، براءة الذئب من دم يوسف، كما تبين أن سبب تهمته هو دخوله قبل القتل[4]، وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - أنه لما كلمه عثمان رضي الله استحيى، ورجع، وتندم، وغطى وجهه وحاجز دونه فلم تفد محاجزته[5].

د- ما ورد من تخويف معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) لمحمد بن أبي بكر بالمثلة، وما ذكر من جعل محمد بن أبي بكر في جيفة حمار وإحراقه، كل هذا لا يستقيم مع أحكام الشرع في القتلى، فقد ورد الزجر عن التمثيل بالكفار؛ فكيف بالمسلمين؟! أخرج مسلم في صحيحه: أن رسول الله ﷺ : كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً[6].

وقال الشافعي: وإذا أسر المسلمون المشركين فأرادوا قتلهم، قتلوهم بضرب الأعناق ولم يجاوزوا ذلك إلى أن يمثلوا بقطع يد ولا رجل ولا عضو ولا مفصل، ولا بقر بطن، ولا تحريق، ولا تغريق، ولا شيء يعدو ما وصفت، لأن رسول الله ﷺ نهى

---

(1) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 243.
(2) المصدر السابق نفسه ، ص 244 ؛ تهذيب الكمال (97/6).
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) فتنة مقتل عثمان (209/1).
(5) البداية والنهاية (193/7).
(6) صحيح مسلم (1357/3).

عن المثلة[1]، وهل يظن بالصحابة الكرام مخالفة هذا؟! وهم كما وصفهم ابن مسعود: خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ، كانوا على الهدى المستقيم ورب الكعبة[2]. وقال عنهم ابن أبي حاتم: ندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على مناهجهم، والسلوك لسبيلهم، والاقتداء بهم قال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[3] [النساء: 115].

وأصح رواية جاءت في إحراقه ما أخرجه الطبراني عن الحسن البصري قال: أخذ هذا الفاسق محمد بن أبي بكر في شعب من شعاب مصر فأدخل في جوف حمار فأحرق[4]، وهذا الرواية مرسلة؛ إذ إن الحسن لم يشهد الحادثة ولم يسمِّ لنا من نقل عنه، إضافة إلى أن النص لم يذكر من قام بإحراقه، وأيضاً ما كان الحسن أن يرميه بالفسق وهو يعلم ثناء علي رضي الله عنه عليه وتفضيله له[5].

هـ- ما ذكره من قول علي - رضي الله عنه - : الفاجر بن الفاجر؛ يقصد معاوية، فهذا يستبعد صدوره من علي - رضي الله عنه -؛ إذ إن الخلاف مع معاوية دون أبيه، وأبو سفيان رضي الله عنه قد أسلم وحسن إسلامه، ومات قبل مقتل عثمان رضي الله عنه فلم يدرك الفتنة[6]، والله تعالى يقول: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: 18]، والصحابة أعلم الناس بكتاب الله، وأشدهم وقوفاً عند حدوده، فكيف ينسب لهم مثل هذا الفعل[7].

و- ما ذكره من قول معاوية بن حديج - رضي الله عنه - لعمرو بن العاص لما طلب ابن أبي بكر، وتلاوته لهذه الآية: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ فهذا يعني تكفير محمد بن أبي بكر وغيره، وهذا لم يعرف من الصحابة وما كان بينهم لم يصل إلى درجة التكفير، وقد وضح سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هذا بقوله: «إن ما بيننا لم يبلغ ديننا»[8]. وأيضاً فإن معاوية بن حديج من جند عمرو بن العاص رضي الله عنه، وما كان له أن يرفض طلب قائده[9].

ز- ما أورده من قول محمد بن أبي بكر: إن عثمان عمل بالجور ونبذ حكم الكتاب؛ لم أقف له على أصل يثبت صحة

---

(1) الأم (162/4). انظر: اثار الحرب في الفقه الإسلامي ، ص 479.

(2) حلية الأولياء (305/1).

(3) مقدمة الجرح والتعديل (7/1).

(4) المعجم الكبير (84/1) ورجاله ثقات غير أمية بن خالد فهو صادق.

(5) الاستيعاب (348/3).

(6) سير أعلام النبلاء (105/2) ؛ مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 248.

(7) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 247.

(8) فضائل الصحابة (751/2) ، وسنده صحيح مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 248.

(9) مرويات أبي مخنف ، ص 248.

نسبته إلى ابن أبي بكر، أما إظهار براءة عثمان رضي الله عنه من ذلك فأشهر من أن تذكر[1]، وقد توسعت فيها في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان).

ثامناً: ولاية البصرة:

أرسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عثمان بن حنيف الأنصاري أميراً على البصرة، بدلاً من عبد الله بن عامر واليها السابق الذي تركها واتجه إلى مكة المكرمة، وقد كان عثمان بن حنيف الأنصاري صاحب خبرة في المنطقة؛ إذ سبق أن عينه عمر على مسح (السواد) وتقدير الخراج فيه[2]، وقد سار عثمان بن حنيف إلى البصرة ودخلها بسلام، إلا أن أهل البصرة انقسموا ثلاث فرق، فرقة بايعت ودخلت في الجماعة، وفرقة اعتزلت وقالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنعه، وفرقة رفضت الدخول في البيعة[3].

ولم يلبث عثمان بن حنيف طويلاً في الولاية، فقد قدم إلى البصرة جيش طلحة والزبير وعائشة قبل معركة الجمل، ومعهم ممن خرج للمطالبة بدم عثمان، وتطورت وحدث قتال، وخرج عثمان بن حنيف إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلقيه في طريقه إلى البصرة قبيل وقعة الجمل، وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حنيف.

وقد وصل علي بن أبي طالب إلى البصرة ومكث فيها بعضاً من الوقت، حدثت في أثنائه وقعة الجمل - التي سيأتي تفصيلها بإذن الله تعالى - وعندما أراد علي بن أبي طالب الخروج من البصرة ولَّى عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وقد ولَّى علي مع عبد الله ابن عباس زياد بن أبيه على الخراج، وأمر ابن عباس أن يستشيره ويأخذ برأيه نظراً لما وجد علي عنده من خبرة في العمل وفطانة في السياسة[4].

وقدم علي بعض النصائح لابن عباس منها قوله: أوصيك بتقوى الله عز وجل، والعدل على من ولاك الله أمره، اتسع للناس بوجهك وعلمك وحِلْمك وإياك والإحن[5]، فإنها تميت القلب والحق، واعلم أن ما قربك من الله بعَّدك من النار، وما قربك من النار بعَّدك من الله، واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين[6].

وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايته، وهو صحابي عرف بعلمه الواسع في الفقه والتفسير، وقد أثبت مهارة إدارية

---

(1) المصدر ا لسابق نفسه.
(2) سير أعلام النبلاء (320/2).
(3) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص 107؛ تاريخ الطبري (492/5).
(4) تاريخ الطبري (580/5).
(5) الإحن: الأحقاد.
(6) وقعة صفين للمنقري، ص 105؛ الولاية على البلدان (15/2).

بتوطيد الأمن في سجستان وهي تابعة لولاية البصرة، وفي إقليم فارس حيث عين زياد بن أبي سفيان والياً عليه، كما أنابه حين خرج من البصرة، فتمكن من ضبط الأمن فيها. ويعتبر عبد الله بن عباس من أهم رجالات أمير المؤمنين علي، وكان يرافقه في الأحداث الخطيرة، وينصح له، ويجادل عنه، وكان أمير المؤمنين علي يعتمد عليه ويستشيره.

وقد استمرت ولاية ابن عباس على البصرة حتى سنة 39 هـ، وكان يعاونه صاحب الشرطة وصاحب الخراج، وقد استمر ابن عباس في بعض الروايات على البصرة حتى مقتل علي، قال الطبري في حوادث سنة 40 هـ: وفيها خرج عبد الله ابن عباس من البصرة، ولحق بمكة، في قول عامة أهل السيرة، وقد أنكر ذلك بعضهم وزعم أنه لم يزل بالبصرة عاملاً عليها من قبل أمير المؤمنين علي عليه السلام حتى قتل، وبعد مقتل علي صالح الحسن معاوية، ثم خرج إلى مكة[1].

إن شخصية ابن عباس كانت شخصية قيادية؛ جمعت صفات القائد الرباني، من العلم والفطنة والذكاء والصبر والحزم، وغيرها من الصفات، إلا أنه اشتهر بالفقه والعلم بسبب دعاء رسول الله ﷺ له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل، وأخذه عن كبار الصحابة، وقوة اجتهاده وقدرته على الاستنباط، واهتمامه بالتفسير، ومنهجه المتميز في تعليم أصحابه، وحرصه على نشر العلم، ورحلاته وأسفاره، وتأخر وفاته وقرب منزلته من عمر رضي الله عنه[2]، فقد حظي بعناية خاصة من الفاروق عندما لمس فيه مخايل النجابة والذكاء والفطنة، فكان يدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس ما زال شاباً غلاماً، فكان لذلك الأثر البالغ في دفعه وحثه على التحصيل والتقدم، بل والإكثار في باب التفسير وغيره من أبواب العلم.

فعن عامر الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال لي أبي: يا بني إني أرى أمير المؤمنين يقرِّبك، ويخلو بك، ويستشيرك، مع أناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فاحفظ عني ثلاثاً: اتق الله ولا تفشين له سراً، ولا يجربن عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحداً[3].

وكان عمر يدخله مع أكابر الصحابة، وما ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم وجودة الفكر، ودقة الاستنباط، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان عمر يسألني مع أصحاب محمد ﷺ، فكان يقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتموني أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه[4].

---

(1) تاريخ الطبري (56/6).

(2) تفسير التابعين (374/1 . 395).

(3) الحلية (318/1)؛ تفسير التابعين (376/1).

(4) المستدرك (539/3) ، صحّح إسناده الحاكم ، ووافقه الذهبي.



وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس في مجلس فيه من هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه فيحثه، ويحرضه على الحديث تنشيطاً لنفسه، وتشجيعاً له في العلم[1].

وكان لعمر رضي الله عنه مجلس يسمع فيه الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر؛ فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السُّبحة، وفرغ، دخل مربداً له[2]، فأرسل الى فتيان قد قرؤوا القرآن منهم ابن عباس، قال: فيأتون فيقرؤون القرآن ويتدارسونه، فإذا كانت القائلة انصرفنا، قال: فمروا بهذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ و ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ **[البقرة: 206 – 207]**، فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جانبه: اقتتل الرجلان، فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى ها هنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل، وأخذته العزة بالإثم قال هذا: وأنا أشتري نفسي، فاقتتل الرجلان، فقال عمر: لله تلادك يا بن عباس[3].

وكان عمر رضي الله عنه يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غص غواص[4]. بل كان عمر إذا جاءته الأقضية المعضلة يقول لابن عباس: يا بن عباس! قد طرأت علينا أقضية عضل، وأنت لها، ولأمثالها، ثم يأخذ برأيه، وما كان يدعو لذلك أحداً سواه إذا كانت العضل[5].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحداً أحضر فهماً، ولا ألبَّ لباً، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات، ثم يقول: عندك؛ قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار[6]. وكان عمر يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول، إن له لساناً سؤولاً، وقلباً عقولاً[7]. يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحداً[8].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما كثير الملازمة لعمر، حريصاً على سؤاله والأخذ عنه، ولذا كان رضي الله عنه من أكثر

---

[1] تفسير التابعين (377/1).
[2] السبحة: الدعاء وصلاة التطوع ، المربد: المكان يجعل فيه التمر.
[3] تفسير الطبري (245/4) ؛ الدر المنثور (578/1).
[4] فضائل الصحابة لأحمد (981/1) ، رقم 1940.
[5] تفسير التابعين (379/1).
[6] طبقات ابن سعد (369/2).
[7] تفسير التابعين (379/1) ؛ فضائل الصحابة لأحمد ، رقم 1555.
[8] طبقات ابن سعد (370/2).



الصحابة نقلاً ورواية لتفسير عمر وعلمه – رضي الله عنه –، وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر رضي الله عن الجميع[1].

لقد كان اهتمام عمر به مساعداً له على المضي قدماً في طريق العلم عامة والتفسير خاصة[2]، ولذلك تشرفت المدرسة المكية في عهد التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما[3].

وكان ابن عباس في عهد عثمان من المقربين الى الخليفة، وقد كلفه بالحج بالناس في العام الذي قتل فيه[4].

هذا وقد عمل بعض المتأثرين بمدرسة الاستشراق بتشويه صورة حبر الأمة، ونسبوا إليه أباطيل وأكاذيب ألصقوها بسيرته، علماً بأن مدرسة الاستشراق فيما يتعلق بالعهد الراشدي وتاريخ صدر الإسلام امتداد لمؤرخي الرفض والشيعة الغلاة الذين اختلقوا الروايات والأخبار ولطخوا بها سيرة الصحابة الكرام، فجاء مؤرخو الاستشراق وأحيوا تلك الأخبار الكاذبة، والروايات الموضوعة، وصاغوها بأسلوب حديث ويرفعون شعار الموضوعية والبحث العلمي وكل هذا كذب وزور، وقد تأثَّر به الكثير من الباحثين والأدباء والمؤرخين ولذلك تجد في كتب التاريخ والأدب المعاصر البعيدة عن منهج أهل السنة والموغلة في مناهج المستشرقين، تشويهاً عجيباً للصحابة، فمثلاً: زعمت تلك الكتب بأن عبد الله بن عباس رضي الله عنه نهب أموال المسلمين بالبصرة، وغدر بابن عمه علي رضي الله عنه، وهرب بالأموال المسروقة إلى مكة، وتطلع للانضمام إلى معاوية[5] بعد أن كان مع علي، ذكر ذلك دون حياء صاحب كتاب الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، الدكتور طه حسين، والعبارات التي وردت على لسان طه حسين في كتابه (علي وبنوه):

1- قال: وكان لابن عباس من العلم بأمور الدين والدنيا، ومن المكانة في بني هاشم خاصة وفي قريش عامة، وفي نفوس المسلمين جميعاً، ما كان خليقاً أن يعصمه من الانحراف عن ابن عمه[6].

2- قال: رأى ابن عباس نجم ابن عمه في أفول، ونجم معاوية في صعود، فأقام في البصرة يفكر في نفسه أكثر مما يفكر في ابن عمه[7].

3- قال: ولو نسي ابن عباس ابن عمه قليلاً، ولكنه لم ينس نفسه قليلاً ولا كثيراً، ولم يضعها بحيث كان يجب عليه أن

---

(1) تفسير التابعين (370/2).

(2) المصدر السابق نفسه (506/1).

(3) فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابي ، ص 220.

(4) تاريخ الطبري (425/5 . 431).

(5) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص 191.

(6) الفتنة الكبرى (علي وبنوه) ، ص 121.

(7) المصدر السابق نفسه ، ص 122.

يضعها منذ قليل، أن يكون والياً لعلي على مصر من أمصار المسلمين[1].

وغير ذلك من الأكاذيب والترهات التي اعتمد قائلوها على الروايات الضعيفة والموضوعة. ويكفي شرفاً لابن عباس دعاء رسول الله ﷺ له: «اللهم علمه التأويل، وفقهه في الدين»[2].

هذا وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايته على البصرة بعد خروج علي من البصرة إلى الكوفة، ولحق ابن عباس بعلي قبيل صفين، واستخلف على البصرة زياد بن أبيه[3].

وفي أثناء ولاية ابن عباس على البصرة قام بالعديد من الأعمال؛ أهمها: ترتيب (سجستان) بعد أن قتل واليها على يد مجموعة من الخوارج، حيث بعث إليها ابن عباس بأمر من علي مجموعة من أجناد البصرة تمكنوا من قتل الخوارج فيها وترتيب أمورها وتأمين أهلها سنة 36 هـ[4]، كما كان لابن عباس ولأجناد البصرة دور مع علي بن أبي طالب في معركة صفين[5].

كما قام ابن عباس بتنظيم شؤون بعض الأقاليم التابعة لولايته، وعيَّن عليها الأمراء من قبله، حيث وجه إلى فارس زياد بن أبيه، فرتبها واستطاع أن ينظم أمورها ويؤدب أهلها بعد عصيانهم[6].

وفي أيامه غدر أهل اصطخر فقام بغزوهم وتأديبهم[7]، وفي سنة 38 هـ أرسل معاوية بن أبي سفيان رجلاً إلى البصرة ليدعو له بين أهلها، إلا أن زياد بن أبيه نائب ابن عباس على البصرة تمكن من مقاومته ومدافعته حتى قتل الرجل في إحدى دور البصرة[8].

وكان ابن عباس يرافق علياً في كثير من تحركاته في نواحي العراق، وإذا وقعت بعض الأشياء وابن عباس في البصرة كان علي يطلعه عليها بالكتب التي كان يرسلها إليه باستمرار، ويأخذ رأيه في كثير من القضايا عن طريق المراسلة، كما كان ابن عباس أيضاً يكتب لعلي عن شؤون ولايته، كما بعثه علي سنة 38 هـ على الحج نيابة عنه.

وقد استمر ابن عباس في ولاية البصرة إلى استشهاد علي، أخذاً برأي الطبري في ذلك، وقد وجد مجموعة من المساعدين

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) الطبراني ، رقم 10587 ، إسناده صحيح.

(3) تاريخ خليفة بن خياط ، ص 201؛ الولاية على البلدان (16/2).

(4) الكامل في التاريخ (351/2 ، 352).

(5) الولاية على البلدان (16/1) ؛ تاريخ الطبري (595/5 إلى 615).

(6) تاريخ الطبري (52/6 ، 53).

(7) الأخبار الطوال ، ص 205؛ الولاية على البلدان (16/2).

(8) الولاية على البلدان (16/2) نقلاً عن تاريخ خليفة بن خياط.

لوالي البصرة أيام علي؛ فيهم القاضي وصاحب الشرطة، وصاحب الخراج وغيرهم، كما كانت تتبع ولاية البصرة مجموعة من الأقاليم في بلاد فارس.

ومما سبق يتبين لنا أن علي بن أبي طالب بعد مبايعته بادر إلى عزل ابن عامر، والي عثمان على البصرة، وعين مكانه عثمان بن حنيف، ولكن حملة الجمل أحدثت ارتباكاً في البصرة، وبالتالي خرجت من سيطرة عثمان بن حنيف، فاضطر إلى مغادرتها حتى قدم علي، وبعد موقعة الجمل عمل علي على تنظيم أمورها[1]. كما وقعت بعض الاضطرابات في البصرة من جراء حركة الخوارج، وكذلك أثناء محاولة معاوية السيطرة عليها، إلا أن البصرة مع ذلك استمرت إحدى الولايات الإسلامية التابعة لخلافة علي طيلة عصره، ولم يتمكن خصومه من السيطرة عليها[2].

وبرزت في البصرة قدرات ابن عباس القيادية، وقد انتفع بصحبته لعلي رضي الله عنهما وتأثر به غاية التأثر، وكان أمير المؤمنين علي يتعهده بالنصح والإرشاد والموعظة بين الحين والاخر، حتى إن ابن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتب به إليّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه كتب إليّ: أما بعد؛ فإن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأسى عليه حزناً، وليكن همك فيما بعد الموت[3].

وقد كان ابن عباس من أهل القيام، فعن ابن مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلي ركعتين، فإذا ترك، قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب[4].

وقد كان رضي الله عنه غزير الدمعة حتى أثر ذلك على خديه؛ فعن أبي رجاء، قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء[5]. وكان رضي الله عنه يصوم الإثنين والخميس، فعن سعيد بن أبي سعيد، قال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل، فقال: يا بن عباس، كيف صومك؟ قال: أصوم الإثنين والخميس، قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم[6]. وكان كريماً جواداً يحفظ لأهل السبق مكانتهم ومنزلتهم، فقد تعرض أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه لأزمة مالية وأثقلته الديون، فنزل على ابن عباس، ففرغ له بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت

---

(1) الولاية على البلدان (17/2).

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) صفة الصفوة (1/.327).

(4) سير أعلام النبلاء (352/3).

(5) المصدر السابق نفسه.

(6) سير أعلام النبلاء (352/3) ، إسناده فيه ضعف ، إلا أن فعل ابن عباس ثابت عن النبي ﷺ حيث قال: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» رواه الترمذي ، رقم 747 ، حديث حسن.

برسول الله ﷺ، ثم قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفاً، فأعطاه أربعين ألفاً، وعشرين مملوكاً، وكل ما في البيت[1].

وكان من أبلغ الناس، وله قدرة عجيبة على تفهيم المستمعين؛ فعن الأعمش قال: حدثنا أبو وائل قال: خطبنا ابن عباس، وهو أمير على الموسم، فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس، والروم، والترك لأسلمت[2]، وكان رضي الله عنه من أجمل الناس وأفصح الناس، وأعلم الناس، فعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس، قلت: أجمل الناس ؛ فإذا نطق، قلت: أفصح الناس ؛ فإذا تحدث، قلت: أعلم الناس[3].

وقال القاسم بن محمد: ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلاً قط[4].

وقد أصيب رضي الله عنه ببصره قبل وفاته وقد قال في ذلك شعراً:

إنْ يأخـذِ اللهُ مِـنْ عـيـنيَّ نـورَهُمَـا ... فـفـي لِسَـاني وَقَـلْـبِي مِـنْـهُـمَـا نـورُ
قَـلْـبِي ذَكِـيٌّ وَعـقـلـي غـيرُ ذي دَخَـلٍ ... وفي فـمـي صـارمٌ كـالسَّـيـفِ مـأثـورُ[5]

وابن عباس رضي الله نموذج رائع للعالم الرباني والقائد المحنك والأمير العادل، وهو أحد المؤثرين في الأحداث في عهده، وهو باختصار من أفضل النماذج لورثة الأنبياء.

تاسعاً: ولاية الكوفة:

استشهد عثمان رضي الله عنه وواليه على الكوفة أبو موسى الأشعري، وبعد مبايعة علي بالخلافة أقر أمير المؤمنين علي أبا موسى الأشعري على ولايته، وقد أخذ له البيعة من أهلها، وكتب له بموقف أهل الكوفة من بيعته، من حيث تقبل الكثير للبيعة[6]. وعندما خرج أمير المؤمنين من المدينة للعراق كان يسأل عن أبي موسى خصوصاً، ففي أثناء الطريق إليها لقيه رجل من أهل الكوفة، فسأله علي عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح، فأبو موسى صاحب ذلك، وإن أردت القتال، فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا قال: قد أخبرتك الخبر[7]. وقد تبين فيما بعد ميل أبي موسى إلى الصلح والمسالمة وعدم القتال بين المسلمين، فقد بعث علي محمد بن أبي بكر وعمار بن

---

(1) سير أعلام النبلاء (352/3) فيه انقطاع.
(2) المصدر السابق نفسه (351/3) ؛ الحلية (324/1).
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) المصدر السابق نفسه.
(5) المصدر السابق نفسه (357/3).
(6) تاريخ الطبري (467/5).
(7) تاريخ الطبري (511/5).

ياسر والحسن بن علي وغيرهم في وفود مختلفة لاستنفار أهل الكوفة قبل موقعة الجمل – سيأتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقاً إن شاء الله تعالى –، فسأل أهل الكوفة أبا موسى عن الموقف واستشاروه في الخروج. فقال: أما سبيل الاخرة فأن تقيموا، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا وأنتم أعلم[1]، وقد اقتنع العديد من أهل الكوفة بعد ذلك بالخروج مع الحسن رضي الله عنه بعد محاورات متعددة وطويلة بينهم وبين الحسن، وقيل: إنه خرج معه قرابة تسعة الاف رجل[2]، وتميل العديد من الروايات إلى أن ولاية أبي موسى على الكوفة قد انتهت في هذه الفترة قبيل موقعة الجمل، حيث تذكر بعض الروايات: أن الأشتر (وكان أحد قواد علي) قد طرد أبا موسى وغلمانه من قصر الكوفة وتغلب عليه[3]، كما ذكرت بعض الروايات أن علياً كتب إلى أبي موسى بعزله، وعين مكانه (قرضة بن كعب الأنصاري) والياً على الكوفة[4].

ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدم الكوفة بعد موقعة الجمل، حيث أصبحت الكوفة قاعدة الخلافة، وبالتالي كان علي رضي الله عنه هو المسؤول مباشرة عن أحوال الكوفة وما يتبعها من ولايات، وأصبح لها مكانة خاصة بقية عصره، حيث كانت عاصمة الخلافة، ومنها يدير أمير المؤمنين علي مختلف أنحاء الدولة، وإليها تقدم الوفود، ومنها تخرج الأجناد، كما كان ذلك سبباً في جذب السكان إليها، ولا شك أن هذا كان له دور كبير في تنشيط الحركة التجارية والعمرانية في الكوفة طيلة خلافة علي.

وقد كان رضي الله عنه كثير الاهتمام بالكوفة ويتفقد أهلها بنفسه، كما يحرص على تعيين من ينوب عنه في ولايتها في حال غيابه، فحينما أراد علي الخروج إلى صفين ولَّى على الكوفة أبا مسعود البدري[5]، وحينما أراد التوجه لقتال الخوارج في (النهروان)[6]، ولّى على الكوفة (هاني بن هوذة النخعي)[7]، فلم يزل بالكوفة حتى استشهد علي[8]رضي الله عنه.

ومما سبق نلاحظ أن الكوفة كانت تدار من قبل الولاة، حتى إذا اتخذها علي رضي الله عنه مقراً للخلافة أصبح هو المسؤول عن ولايتها وأخذ ينيب عنه من يتولى شؤونها في غيابه، وأصبحت الكوفة ذات أهمية خاصة نظراً لإقامة أمير المؤمنين فيها[9].

---

(1) تاريخ الطبري (508/5).
(2) تاريخ الطبري (517/5).
(3) تاريخ الطبري (519/5).
(4) الاستبصار لابن قدامة ، ص 124 ؛ الولاية على البلدان (19/2).
(5) سير أعلام النبلاء (493/2).
(6) هي كورة واسعة بين بغداد وواسط ، بها العديد من القرى ، وبها وقعة أمير المؤمنين علي مع الخوارج. معجم البلدان (324/5).
(7) الولاية على البلدان (20/2)؛ تاريخ خليفة (187 ، 202).
(8) المصدر السابق نفسه (20/2).
(9) المصدر السابق نفسه.

عاشراً: ولايات الشرق:

1- فارس: تذكر المصادر أن علي بن أبي طالب ولَّى على فارس سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه، وقد استمر والياً على فارس فترة من الوقت، ثم إن أهل فارس عصوا وأخرجوا سهل بن حنيف سنة 37 هـ تقريباً، فاتصل علي رضي الله عنه بابن عباس، وتباحث معه في شأن فارس، وكان ابن عباس على البصرة، فاتفق معه بعد استشارة مجموعة من الناس على أن يبعث ابن عباس مساعده زياد بن أبي سفيان على فارس[1]، وهنا يبدو الارتباط واضحاً بين ولاية البصرة وإقليم فارس، وإحساس ابن عباس بمسؤوليته عن ذلك الإقليم من خلال مباشرته لولاية البصرة، إذ اتفق ابن عباس مع علي على بعث أحد معاونيه إلى ذلك الإقليم لضبطه وترتيب أموره.

وقد توجه زياد إلى فارس يصاحبه أربعة الاف جندي، فدوخ تلك البلاد وقضى على الفتنة فيها، وتمكن من ضبطها[2]، وقد اشتهر زياد بمقدرة سياسية فذة مكنته من إعادة الاستقرار إلى تلك البلاد بأقل الخسائر[3]، يقول الطبري: لما قدم زياد فارس؛ بعث إلى رؤسائها فوعد من نصره ومنَّاه، وخوف قوماً وتوعدهم وضرب بعضهم ببعض، ودلَّ بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة وأقامت طائفة، فقتل بعضهم بعضاً، وصفت له فارس فلم يلق فيها حمياً ولا حرباً، وفعل مثل ذلك بكرمان[4]، ثم رجع إلى فارس فسار في كورها ومناهم، فسكن الناس إلى ذلك فاستقامت له البلاد[5].

وقد قام زياد بتنظيم أمور فارس، وبنى فيها بعض الحصون، وقام بترتيب شؤون الخراج فيها، كما ضبط العديد من البلدان التابعة لولايته حتى أمنت البلاد واستقامت[6]، وقد استمر زياد والياً على فارس بقية خلافة علي رضي الله عنه.

وكان زياد أشهر ولاة علي على فارس نظراً لسياسته وتمكنه من ضبطها[7]، وقد وجدت بعض التقسيمات الإدارية داخل إقليم فارس، فقد ورد ذكر بعض الولاة المختصين ببلدان معينة داخل الإقليم، فقد ذكرت اصطخر وذكر أنه كان من ولاتها المنذر بن الجارود[8]، وجرت بينه وبين علي بعض المكاتبات[9]، كما أن زياد بن أبي سفيان سكنها وتحصن بها بعد مقتل

---

(1) تاريخ الطبري (71/6).
(2) المصدر السابق نفسه (53/6).
(3) ولاية البلدان (21/2).
(4) تاريخ الطبري (53/6).
(5) المصدر السابق نفسه (52/6).
(6) المصدر السابق نفسه (53/6).
(7) الولاية على البلدان (21/2).
(8) الطبقات الكبرى (561/5) (87/7).
(9) تاريخ اليعقوبي (203/2)؛ الولاية على البلدان (22/2).

علي رضــي الله عنه[1]، كما ذكرت من بلدان فارس أصــبهان التي تعد من أكبر كورها[2]، وقد ذكر من ولاتها لعلي محمد بن سليم[3]، كما كان من أشهر ولاة أصبهان لعلي (عمر بن سلمة)، وقد قدم بأموال وطعام من أصبهان إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[4].

وقد ضربت الدراهم زمن علي في هذه المناطق الفارسية سنة 39 هـ، ولا يزال بعض منها محفوظاً في المتحف العراقي وتحمل عبارات عربية، إضافة إلى تاريخ ضربها[5].

2- خراســان: تعتبر خراســان ولاية واســعة، وقد ارتبطت بطريقة مباشــرة أو غير مباشــرة بولاية البصــرة في عهد الخلفاء الراشــدين، وفي خلافة علي رضــي الله عنه ورد ذكر العديد من الحوادث التي وقعت في هذه الولاية خلال تلك الفترة، كما ورد بعض ولاتها، وبعض الأمراء على كورها وبلدانها. فقد ورد أن أول ولاة علي على خراســـان عبد الرحمن بن أبزى[6]، كما كان من ولاة علي إلى خراســـان جعدة بن هبيرة بن أبي وهب[7]، وقد بعثه علي رضـــي الله عنه إلى خراســـان، بعد عودته من صفين سنة 37 هــــ، وكان أهل خراسان قد ارتدوا، فحاول تأديبهم وتنظيم البلاد مرة أخرى[8]، إلا أنه على ما يبدو لم ينجح، فبعث علي أحد قواده إلى خراسـان، حتى تمكن من مصـالحة أهلها، وضـبط أمورها مرة أخرى[9]، كما تعد سـجسـتان أحد الأقاليم المجاورة لخراسـان، وكلا الإقليمين مرتبطان إلى حدٍّ ما بوالي البصـرة، وفي الغالب فإن هناك ارتباطاً إدارياً بين الإقليمين.

وقد ورد ذكر بعض ولاة سجستان في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن هؤلاء عبد الرحمن بن جزء الطائي[10]، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى سجستان بعد موقعة الجمل، فقام ثوار من صعاليك العرب بقتله، وعاثوا فساداً في البلد، فكتب علي إلى ابن عباس في البصـرة أن يوجه أميراً اخر إلى سـجسـتان؛ فوجه ربعي بن كأس العنبري، فاسـتطاع القضـاء

(1) الأخبار الطوال ، ص 219 ؛ الولاية على البلدان (22/2).
(2) معجم البلدان (207/1).
(3) الأخبار الطوال ، ص 153؛ الولاية على البلدان (22/2).
(4) الكامل في التاريخ (442/2).
(5) الدراهم الإسلامية للخلفاء الراشدين ، وداد القزاز ، ص 5.
(6) فتوح البلدان ، ص 399.
(7) تهذيب الكمال (191/1) ؛ الولاية على البلدان (23/2).
(8) فتوح البلدان ، ص 399؛ الولاية على البلدان (23/2).
(9) تاريخ خليفة بن خياط ، ص 199؛ الولاية على البلدان (23/2).
(10) الولاية على البلدان (23/2).

على ثورة الصعاليك، وقتل زعيمهم وضبط أمور البلاد، واستقر بها إلى أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

وكانت همدان: أحد الثغور الشرقية، وقد امتازت أثناء ولاية عثمان بوجود والٍ مستقل فيها، وتوفي عثمان وعليها جرير بن عبد الله البجلي، وبعد مبايعة علي بالخلافة ووصـــوله إلى العراق بعث إلى جرير بن عبد الله في همذان يأمره بأخذ البيعة له بالخلافة على من قِبَلَه من الناس والقدوم إليه[2]، وبعث بالرســـالة مع رجل يعتمد عليه وقال: إني بعثت إليك بفلان، فاسأله عن ما بدا لك، واقرأ كتابي هذا على المسلمين[3]، وقد قدم جرير إلى علي في الكوفة فبعثه إلى معاوية في الشام، ثم عاد مرة أخرى وتعرض للإهانة من قبل بعض أجناد علي، ومنهم الأشتر وغيره فلحق جرير بمعاوية في الشـام، وترك ولايته وكان ذلك قبيل موقعة صفين[4].

3- أذربيجان: كان الأشـــعث بن قيس عاملاً على أذربيجان حينما توفي عثمان بن عفان، فلما بويع علي بن أبي طالب بالخلافة كتب إلى الأشعث بن قيس أن يبايع له، وأن يأخذ له البيعة على ما قبله[5]. ويبدو أن علياً رضي الله عنه استقدم الأشعث بن قيس فلحق بعلي في الكوفة، ثم شـهد معه المشاهد حيث اشترك معه في صـفين[6]، وفي قتال الخوارج، ويبدو أن علياً رضي الله عنه ولّى على أذربيجان خلال هذه الفترة سعيد بن سارية الخزاعي، ثم أعاد الأشعث بن قيس مرة أخرى على أذربيجان، ويظهر أن علياً ضـم إليه ولاية أرمينية، كما صرح بذلك البلاذري[7]، وقد كانت للأشعث بن قيس بعض الأعمال الهامة أثناء ولاية أذربيجان لعلي ومن ذلك إنزاله مجموعة من العرب من أهل العطاء أردبيل[8]، وتمصـــيرها، وبناء مسجدها بعد أن انتشر الإسلام بين أهلها[9].

وقد وردت بعض الأسماء لولاة علي في بعض بلدان المشـــرق الأخرى، من ذلـك أسماء بعض الولاة في الأهواز، ومنهم: الخريت بن راشد، وقد كان والياً على بعض بلاد الأهواز قبـــل صفين، فلما رجـــع علي من صفين أخـــذ الخريت بجمع الجنود، ويدعو إلى خلع علي، واســتولى على بعض الأماكن، فبلغ ذلك علياً، فوجه إليه جيشــاً تمكن من القضــاء على

---

(1) فتوح البلدان ، ص 387 ؛ الأخبار الطوال ، ص 153 ؛ الولاية على البلدان (153/2).

(2) تاريخ الطبري (599/5).

(3) الفتوح لابن أعثم الكوفي (363/2)؛ الولاية على البلدان (167/2).

(4) تاريخ الطبري (600/5 ، 601).

(5) المصدر السابق نفسه (599/5).

(6) تاريخ خليفة بن خياط ، ص 193 ؛ الولاية على البلدان (24/2).

(7) فتوح البلدان ، ص 207 ؛ الولاية على البلدان (24/2).

(8) أردبيل: من أشهر مدن أذربيجان ، وهي قاعدتها قبل الإسلام ، واشتهرت بذلك في صدر الإسلام ، وتقع حالياً على بعد 64 شرق تبريز ؛ معجم البلدان (145/1).

(9) فتوح البلدان ، ص 324 ؛ الولاية على البلدان (25/2).

حركته وقتله[1]، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل بإذن الله تعالى.

ومن الأمراء لعلي في الأهواز مصقلة بن هبيرة الشيباني[2]، وقد اشترى أسرى من بعض أجناد علي فأعتقهم، ولم يتمكن من تسديد كامل ثمنهم، ثم فر إلى معاوية في الشام[3].

وقد أورد خليفة بن خياط والياً لعلي على بلاد السند، وذكر أنه جمع جمعاً أيام علي وتوجه إلى السند، بعد أن اجتمع إليه الناس، ولكنه فشل في إحدى المعارك ومن معه، ولم يبق من جيشه إلا عصابة[4] يسيرة.

كما ذكر من ولاة علي (يزيد بن حجية التميمي) وقد استعمله علي على الري بعد صفين، ثم اتهمه علي رضي الله عنه بأن أخذ من الخراج فحبسه في الكوفة، ثم فر إلى معاوية في الشام[5].

وأما المدائن فقد كان عليها سعد بن مسعود الثقفي، وقد كان له دور رئيسي في مجابهة الخوارج، ودارت بينه وبين علي وقواده العديد من المراسلات في شأنهم، حيث حاولوا الوصول إلى المدائن[6]، وقد اشتهر عن سعد توليته ابن أخيه – المختار بن أبي عبيد الثقفي – [7] على المدائن في حالة غيابه، وقد غضب علي على المختار الثقفي نتيجة تصرفه تصرفاً غير شرعي في أموال الخراج[8]، ويعتبر سعد من قواد علي المشهورين، ولعل قرب ولايته من الكوفة كان السبب الرئيسي في اشتراكه مع علي في الكثير من المواقع.

وقد أورد المؤرخ أبو حنيفة الدينوري بعض الأسماء لولاة علي في مناطق مختلفة[9].

وهكذا رأينا فيما سبق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذل جهداً كبيراً في تنظيم الولايات، وأنه عانى من الصعوبات والمشكلات الكثيرة في هذه الولاية، فقد خرجت العديد من الولايات من يده كاليمن والحجاز ومصر، كما أنه لم يفرض سيطرته ابتداء على بعض الولايات كالشام وفلسطين وما جاورها، وأما البلاد والولايات التي استمرت تحت حكمه كالعراق وفارس فقد عانى فيها من المشكلات الكثيرة؛ وعلى رأسها مشكلة الخوارج الذين ظهروا في تلك المناطق خصوصاً في السنوات الأخيرة من حكم علي، وبالتالي فإن الاستقرار في تلك المناطق لم يكن تاماً، كما أن أهل البلاد الأصليين في

---

(1) تاريخ اليعقوبي (95/2) ؛ تاريخ الطبري (27/6 . 47).

(2) الأنساب للسمعاني (438/7) ؛ الولاية على البلدان (25/2).

(3) البداية والنهاية (310/7) ؛ الولاية على البلدان (25/2).

(4) تاريخ خليفة ، ص 200 ؛ الولاية على البلدان (25/2).

(5) نهاية الأرب (197/20) ، الولاية على البلدان (26/2).

(6) تاريخ الطبري (690/5).

(7) المصدر السابق نفسه.

(8) التمهيد والبيان ، ص 186 ؛ الولاية على البلدان (26/2).

(9) الأخبار الطوال ، ص 26؛ نقلاً عن الولاية على البلدان (26/2).

بلاد المشرق كفارس وخراسان وسجستان قاموا بالعديد من الثورات التي قتل فيها بعض ولاة علي، ومن أبرز المشكلات التي واجهها علي ما وقع له من خلاف مع بعض الولاة، وبالتالي تخلَّى عن ولاياتهم، كجرير بن عبد الله في همذان، ومفضلة بن هبيرة في الأهواز وغيرهم، وهكذا يتضح أن علياً رضي الله عنه قضى مدة خلافته في جهاد داخلي مع جبهات داخلية منعته في كثير من الأحيان من تنظيم شؤون تلك البلاد كما أراد، وواجهته العديد من العقبات التي بددت طاقته، واستنفدت جهوده رضي الله عنه، وقد شغلت هذه المشكلات اهتمام المؤرخين فركزوا عليها الأضواء، وكان هذا على حساب رصدهم للشؤون التنظيمية والإدارية لهذه الولايات[1].

---

[1] الولاية على البلدان (27/2) ، جل هذا المبحث من كتاب (الولاية على البلدان) للدكتور عبد العزيز العمري ، وهو من أفضل ما اطلعت عليه في هذا الباب ، فجزاه الله خيراً.

المبحث الثاني : تعيين الولاة في عهد علي رضي الله عنه

بويع علي بالخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه،وقد وقع الاضطراب في مختلف أنحاء الدولة نتيجة مقتل عثمان، وبالتالي: فإن علياً رضي الله عنه بويع في ظروف صعبة؛ بدأت الدولة الإسلامية خلالها تفقد الشيء الكثير من استقرارها ونشاطها، وقد ظهر هذا الاضطراب واضحاً في المدينة نفسها، وقد بدأت الأمور تضطرب في مختلف أنحاء الدولة، وأحسَّ المستشارون والنصحاء بخطورة ما يقع، فتقدم بعضهم بنصائح إلى علي فيما يمكن أن يفعله من البداية، وخصوصاً فيما يتعلق بالولاة على البلدان[1].

أولاً: موقف علي من ولاة عثمان وتعيينه لأقاربه:

1- موقف علي من ولاية عثمان:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدرك إدراكاً كاملاً، أن من الأسباب الرئيسية للفتنة: عدم رضا مجموعة من الناس عن ولاة عثمان رضي الله عنه، وذلك بسبب ما أشاعه رؤوس الفتنة ضد عثمان وولاته، وليس لعجزهم أو ظلمهم، ولكن الكثير من الكتاب المعاصرين في حديثهم عن سياسة علي في تولية الولاة، يستفتحون بقولهم: إن علياً لم يكن ليرضى أن يبقى عمال عثمان على ولايتهم ساعة واحدة بعد توليه الخلافة، يمنعه من ذلك دينه وأمانته[2]! وما أفظع هذا الاتهام الموجه ضد عثمان رضي الله عنه وضد عماله، وقد نسفته في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان)، وتحدثت عن حقيقة ولاة عثمان في مبحث كامل[3]، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

لقد اعتمد من طعن في ولاة عثمان على روايات واهية ومشهورة؛ وهي:

(أ) الرواية الأولى: من طريق الواقدي: أن ابن عباس قال: دعاني عثمان فاستعملني على الحج، ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي، فأتيته في داره، فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به، فحبسني حتى خرج من عنده، فقلت: ماذا قال هذا؟ قال: قال لي قبل مرته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرّهم على أعمالهم، يبايعون لك الناس، فإنهم يهدئون البلاد ويسكنون الناس، فأبيت ذلك عليه يومئذ، وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت

---

(1) الولاية على البلدان (27/2 ، 28).

(2) الخلفاء الراشدين للنجار ، ص 374.

(3) عثمان بن عفان للصَّلاَّبي ، ص 294 إلى 323 ، طبعة دار ابن كثير ، دمشق.



فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولّى.

قال: ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يرى أنه مخطئ، ثم عاد إليّ الان فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت عليك وخالفتني فيه، ثم رأيت بعد ذلك رأياً، وأنا أرى أن تصنع الذي رأيت؛ فتنزعهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله، وهم أهون شوكة مما كان.

قال ابن عباس: فقلت لعلي: أما المرة الأولى فقد نصحك، وأما المرة الأخيرة فقد غشك، قال لي علي: ولو نصحني؟ قال ابن عباس: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يبالون بمن ولي الأمر، ومتى تعزلهم يقولون: أخذ هذا الأمر بغير شورى، وهو قتل صاحبنا، ويؤلّبون عليك، فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق، مع أني لا امن طلحة والزبير أن يكرا عليك.

فقال علي: أما ما ذكرت من إقرارهم؛ فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدنيا لإصلاحهما، وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان؛ فوالله لا أولي منهم أحدا أبداً، فإن أقبلوا فذلك خير لهم، وإن أدبروا بذلت لهم السيف.

قال ابن عباس: أطعني وادخل دارك والحق بمالك بينبع، وأغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غداً. فأبى علي، فقال لابن عباس: سر إلى الشام فقد وليتكها، فقال ابن عباس: ما هذا برأي، معاوية من بني أمية، وهو ابن عم عثمان رضي الله عنه وعامله على الشام، ولست امن أن يضرب عنقي لعثمان، أو أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم علي، فقال له علي: ولم؟ قال: لقرابة ما بيني وبينك، وإن كان ما حمل عليك حمل علي، ولكن اكتب إلى معاوية فَمَنِّه وعِدْه، فأبى علي وقال: والله لا كان هذا أبداً[1].

(ب) الرواية الثانية: وهي مثل الرواية الأولى في المعنى، وفيها زيادة واختلاف يثير الشك في صحتها، وهو: أن ابن عباس قدم مكة بعد مقتل عثمان – رضي الله عنه –، فلقي في طريقه الزبير وطلحة ومعهما فئة من قريش بالنواصف[2]، يريد مكة. وهذا يخالف الحقيقة، إذ إن علياً بويع بعد أن وصل ابن عباس من الحج، وإن الزبير وطلحة قد بايعا علياً، فإذا خرجا في هذا الوقت يكونان قد خرجا قبل البيعة، وهذا خطأ واضح جلي[3].

(ج) الرواية الثالثة: رواية أبي مخنف، رواها بدون إسناد، بأن المغيرة بن شعبة أشار على علي أن يثبت معاوية على

([1]) تاريخ الطبري (461/5 إلى 463).

([2]) تاريخ الطبري (463/5).

([3]) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص 103.

الشام، وأن يولي طلحة والزبير، البصـرة والكوفة، فاعترض ابن عباس على رأيه؛ لأن البصـرة والكوفة عين المال ومصـدره، فإذا ولاهما ضيقا على علي، وأن ولاية معاوية الشام لا تنفعه وقد تضره، فاستمع علي إلى رأي ابن عباس، ولم يقبل مشورة المغيرة بن شعبة[1].

(د) الرواية الرابعة: وردت رواية الواقدي الأولى بشـــيء من الاختصـــار عن ابن عبد البر[2]، ولكن بدل ابن عباس: الحسن[3].

إن هذه الروايات يأتي خطرها من حيث إنها الأســاس الذي بنيت عليه أهم الدراســات المعاصــرة، وخرجت منها بنتائج خطيرة تطعن في أكابر الصـــحابة أهل الشـــورى؛ في دينهم، وفي عدلهم وأمانتهم، وتصـــورهم أفراداً ماديين همّهم الثروة والسـلطان ولو على حســاب دماء المسـلمين، وما الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان، وما حرب الجمل؛ إلا بسـبب هذه الأطماع الشخصية[4].

ويظهر الاضــطراب والنكارة في متن هذه الروايات في جل فقراتها، فقوله: إن ابن عباس قدم المدينة بعد بيعة علي؛ يخالف الروايات الموثوقة في أنه جاء قبل أن يبايع بالخلافة، وقد تقدم.

وقوله: أشـــار المغيرة على علي بأن يرســـل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم يقرهم على أعمالهم.. يخالف روايات أوثق منها تفيد أن معظم هؤلاء الولاة قد تركوا ولاياتهم، واتخذوا سـبيلهم إلى مكة، فكيف يرسـل إليهم بإثباتهم وهم قد تركوا البلاد؟! قوله: إن علياً قال في هؤلاء الولاة: والله لو كانت سـاعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي ولا وليت هؤلاء، ولا أمثالهم يولى؛ يخالفه أن هؤلاء الولاة مؤهلون للإمارة والقيادة، فقد توســعت على أيديهم الدولة الإسـلامية ؛ فعبد الله بن عامر وصـلت فتوح البصـرة في ولايته إلى كابل عاصـمة أفغانسـتان، أما معاوية فلولا أنه لم يكن مؤهلاً ما ولي عشرين عاماً..

وقد بينت أن عدم رضــا مجموعة من الناس عن عمال عثمان هو بســـبب ما أشــاعه أهل الفتنة عنهم، وليس لعجزهم، والواقع التاريخي يثبت ذلك. وتصـور الرواية الواهية المغيرة بن شـعبة بالمداهنة والغش، وعدم المبالاة بمصـلحة المسـلمين، وفي هذا الوقت العصيب بالذات، وهذا لا يوافق أخلاقه وسيرته قبل الفتنة وبعدها، كما تصور – عن حسن نية – علياً رضي

(1) أنساب الأشراف (36/2).

(2) الاستيعاب (371/2) بحاشية الإصابة.

(3) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 103؛ تاريخ الإسلام للذهبي ، عهد الخلافة الراشدة ، ص 537.

(4) علي وبنوه ، طه حسين إسلاميات ، ص 850 ، 851 ، 854 ؛ عبقرية علي للعقاد ، ص 53 . 55 . 75.

الله عنه بالجاهل في هذه الأمور السياسية، وأن المغيرة وابن عباس هما العارفان بهذه الأمور[1].

وأما رواية أبي مخنف، فإن ابن عباس يشير على علي بعزل معاوية، وأن ولايته لا تنفعه «سياسياً»، بخلاف روايات الواقدي وفيها: أن الصحابيين الجليلين طلحة والزبير إذا ولاهما على مصري العراق، فسيستأثران بموارده المالية، ولن يراها[2] الخليفة! إن الروايات السابقة واهية من حيث السند، وهذا كافي في إسقاطها، ثم هي مضطربة ومنكرة من حيث المتن، وهي روايات افتراضية: إذا حدث كذا فسيحدث كذا، فهي لا تنقل الخبر التاريخي على حقيقته، ولأهواء وتدخل الراوي بشخصه وميوله الرافضية أثر في ذلك[3].

وما قام به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من تعيين ولاة جدد؛ أدعى إلى بيعة الناس في تلك البلاد البعيدة، وليجدد بهم عهد الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبقريات الجديدة أن تنطلق وتخدم دين الله تعالى[4].

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يمتلك موهبة قيادية، ومعرفة بالنفوس والأوضاع القائمة، وأنه أقال الولاة ليختار سواهم حسب ما يراه ملائماً لتحقيق الانسجام الإداري والسياسي بين الخليفة وأعوانه، وقد عزل عمر بعض ولاة أبي بكر، كما عزل عثمان بعض ولاة عمر، وبالتالي من حق علي أن يعزل من يرى أن المصلحة متحققة بعزله وتعيين غيره[5].

وقد جانب الصواب بعض المؤلفين المعاصرين في قضية عزل علي لولاة عثمان؛ فاشتطت أقلامهم في تفسير هذا الموقف، فمنهم من حمله على صلابة علي في الحق وضرورة التغيير، ومنهم من حمله على ضعف خبرة علي السياسية، وأن الأولى سياسياً إبقاء الولاة وخاصة معاوية حتى تستقر الأوضاع وتؤخذ البيعة لعلي في الأمصار، وهذه التفسيرات مدارها على روايات واهية وأخبار ضعيفة ؛ تدور حول إبداء المغيرة بن شعبة رأيين متعارضين حول الموقف من الولاية[6]، كما أن علياً – رضي الله عنه – إمام مجتهد؛ له أن يعزل جميع عمال عثمان إذا رأى المصلحة في ذلك.

وقد ولى رسول الله ﷺ وهو المعصوم خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء، وعمرو ابن العاص على عمان[7]، عزلهما الخليفة من بعده الصديق رضي الله عنه: عزل خالد وولى مكانه المهاجر بن أبي أمية وله صحبة، وعزل عمرو وولى مكانه

---

(1) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص 105.
(2) المصدر السابق نفسه ، ص 106.
(3) المصدر السابق نفسه ، ص 106.
(4) علي بن أبي طالب ، عبد الستار الشيخ ، ص 176.
(5) عصر الخلافة الراشدة ، ص 129.
(6) عصر الخلافة الراشدة ، ص 159.
(7) تاريخ خليفة بن خياط ، ص 97.

حذيفة بن محصن وله صحبة[1]، وقد ولى أبو بكر – رضي الله عنه – القائدين العظيمين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة – رضي الله عنهما –، فعزلهما عمر – رضي الله عنه – مع كفاءتهما[2] . وولى الفاروق – رضي الله عنه – علىمصر عمرو بن العاص[3]، رضي الله عنه، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه[4]، فعزلهما ذو النورين، وولى على مصر ابن أبي سرح[5]، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص[6].

فهل ينتقد عاقل الصـــديق والفاروق وذا النورين في عزلهم هؤلاء العمال الأكفاء؟! إن لكل وقت أحوالاً وظروفاً تطرأ، فيحمل اللاحق على ما لا يراه السابق من الاجتهاد، ويرى الشاهد ما لا يراه[7] الغائب.

وأما قول بعض الكتاب المعاصـــرين بأن أمير المؤمنين علي عزل جميع عمال عثمان؛ فإن العزل لم يتحقق إلا في معاوية بن أبي سـفيان في الشـام[8]، وخالد بن أبي العاص بن هشـام في مكة[9]. وأما البصـرة فخرج منها عبد الله بن عامر ولم يول عثمان عليها أحداً[10]، وفي اليمن أخذ أميرها يعلي بن منية – رضـــي الله عنه – مال جباية اليمن، وقدم مكة بعد مقتل عثمان، وانضـم إلى طلحة والزبير وحضـر معهم موقعة الجمل، ووفد ابن أبي سـرح عامل مصـر واسـتناب ابن عمه عليها، فلما رجع إليها وجد ابن أبي حذيفة تغلب عليها فطرده عنها، فذهب إلى الرملة بفلسطين ومكث بها حتى مات[11].

وهكذا فإن أمير اليمن والبصـرة عزلا أنفسـهما، وأمير مصـر عزله المتغلب عليها ابن أبي حذيفة، وأمير الكوفة أقره علي – رضي الله عنه – في منصبه، فلم يرد العزل حقيقة إلا في حق معاوية والي الشام، وخالد بن أبي العاص والي مكة.

كما أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولى أخيار الناس على المسلمين، فمن الولاة الذين ولاهم على الأقاليم:

سهل بن حنيف على الشام؛ وهو صحابي جليل شـهد بدراً وأحداً، وثبت مع النبيﷺ يـــوم أحد حين انكشـف الناس وبايعه على الموت، وجعل ينضـح بالنبل عن رسـول الله ﷺ، وشـهد أيضـاً الخندق والمشـاهد كلها مع رسـول الله ﷺ[12].

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص 123.
(2) المصدر السابق نفسه ، ص 122.
(3) المصدر السابق نفسه ، ص 155.
(4) تاريخ الطبري (467/5).
(5) سير أعلام النبلاء (33/1)؛ الولاية على البلدان (17/1/1).
(6) تاريخ الطبري (251/5).
(7) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (99/2).
(8) المعجم الكبير للطبراني (261/12)؛ مصنف ابن أبي شيبة (81/15) رجاله رجال الصحيح.
(9) تاريخ ابن خياط ، ص 201؛ الولاية على البلدان (3/2).
(10) سير أعلام النبلاء (35/3) ؛ الإصابة ، ترجمة 4711.
(11) تحقيق مواقف الصحابة (100/2).
(12) الطبقات (471/3).

وولّى عثمان بن حنيف على البصرة، وهو صحابي من الأنصار كان عاملاً لعمر على العراق[1]. كما ولّى قيس بن سعد بن عبادة على مصر[2]، وكان صاحب شرطة النبيﷺ، وكان جواداً من ذوي الرأي والذكاء[3]. وولّى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب على اليمن، له صحبة[4]، وهو أصغر من أخيه بسنة، وكان كريماً ممدوحاً نبيلاً[5].

وأما قول بعض الكتاب: إنه عزل العمال قبل أن تصل إليه بيعة أهل الأمصار ؛ فإن تولية الإمام العمال على الأمصار غير مشروطة بوصول بيعة أهلها له عند جميع المسلمين، فمتى بايع أهل الحل والعقد أي خليفة لزمت بيعته جميع البلدان النائية عن مركز خلافته شرعاً وعقلاً، ولو كانت تولية الخليفة العمال على الأمصار متوقفة على وصول بيعة أهلها له ما تمت بيعة الصديق رضي الله عنه؛ لأنه تصرف بإرسال بعث أسامة، ومحاربة المرتدين ومانعي الزكاة قبل وصول بيعة أهل مكة والطائف وجواثى في البحرين. وكذلك الفاروق رضي الله عنه؛ فإنه استهلَّ خلافته بعزل خالد بن الوليد وتولية أبي عبيدة بن الجراح قائداً عاماً على جيوش المسلمين بالشام قبل وصول بيعة أهل اليمن وجيوش المسلمين بالشام والعراق إليه، وتصرف ذو النورين رضي الله عنه في أمور المسلمين أيضاً قبل بيعة الأمصار إليه[6].

2- تعيين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعض أقاربه على الولايات:

تحدث الكتاب المعاصرون عن قضية تولية الأقارب على الولايات في خلافتي عثمان وعلي، حيث إن عثمان عيَّن عدداً من الولاة، وقد تم تبيين ذلك، وكانوا خمسة من بني أمية من ثمانية عشر والياً، وعندما توفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة؛ وهم: معاوية، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن عامر بن كريز فقط، عزل عثمان الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص، ولكنه عزلهما من أين؟ من الكوفة التي عزل منها عمر سعد بن أبي وقاص، الكوفة التي لم ترضَ بوالٍ أبداً، إذاً عزل عثمان رضي الله عنه لأولئك الولاة لا يعتبر مطعناً فيهم، بل مطعن في المدينة التي وُلُّوا عليها[7].

ثم إن الولاة الذين ولَّاهم عثمان رضي الله عنه من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة في إدارة شؤون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان، وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تقلد مهام الولاية قبل ذلك في عهد

---

(1) التاريخ الكبير للبخاري (209/2/3).

(2) النجوم الزاهرة (94/2) ؛ ولاة مصر ، ص 44.

(3) الإصابة (249/3) ؛ تحقيق مواقف الصحابة (101/2).

(4) تاريخ خليفة ، ص 200 ؛ تحقيق مواقف الصحابة (101/2).

(5) سير أعلام النبلاء (512/3).

(6) تحقيق مواقف الصحابة (101/2).

(7) حقبة من التاريخ ، ص 75 ؛ عثمان بن عفان للصلابي ، ص 265 ، هناك تحقيق موسع في المسألة.

الصديق والفاروق رضي الله عنهما[1]، وقد قام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالسير على منهج عثمان في تولية أصحاب الكفاية والمقدرة والصلاح من الأقارب على الولايات، وهم من أبناء عمه العباس بن عبد المطلب، وهم على التوالي: عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عباس، وقثم وتمام ابنا العباس، ومحمد بن أبي بكر ربيبه. والتحقيق يثبت أن كلاً من علي وعثمان عينا من يغلب على ظنهما كفاءته، وغيرهم، ولا يتصور أنهما قدما الأقارب بسبب القرابة، وكانت الظروف التي تسود الولايات تقتضي اختياراً دقيقاً للولاة من حيث القوة والأمانة، فلا تزال الفتوحات في الأقاليم الشرقية غير مستقرة، فضلاً عن مشكلات الخوارج في خلافة علي[2].

ولو تأملنا في أنساب ولاة علي لوجدنا أحد عشر والياً؛ منهم من الأنصار من بين ستة وثلاثين والياً، وسبعة منهم من قريش بينهم أربعة من أبناء العباس بن عبد المطلب، وهذه قائمة بأسماء الولاة في خلافة علي[3].

1- سهل بن حنيف الأنصاري (المدينة).

2- تمام بن العباس بن عبد المطلب (المدينة).

3- أبو أيوب الأنصاري (المدينة).

4- أبو قتادة الأنصاري (المدينة).

5- قثم بن العباس بن عبد المطلب (مكة والطائف).

6- عمر بن أبي سلمة (البحرين).

7- قدامة بن العجلان الأنصاري (البحرين).

8- النعمان بن العجلان الأنصاري (البحرين).

9- عبيد الله بن عباس (اليمن والبحرين).

10- سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري (الجند).

11- مالك بن الأشتر (الجزيرة ثم مصر).

---

(1) تحقيق مواقف الصحابة (417/1).

(2) عصر الخلافة الراشدة ، ص 129.

(3) المصدر السابق نفسه ، ص 129.

12- شبيب بن عامر (الجزيرة).

13- كميل بن زياد النخعي (الجزيرة).

14- محمد بن أبي حذيفة بن عتبة (مصر).

15- قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري (مصر).

16- محمد بن أبي بكر الصديق (مصر).

17- عثمان بن حنيف الأنصاري (البصرة).

18- عبد الله بن عباس (البصرة).

19- أبو الأسود الدؤلي (البصرة).

20- هاني بن هوذة النخعي (الكوفة).

21- أبو موسى الأشعري (الكوفة).

22- أبو مسعود البدري (الكوفة).

23- قرظة بن كعب الأنصاري (الكوفة).

24- سهل بن حنيف الأنصاري (فارس).

25- زياد بن أبي سفيان (فارس).

26- المنذر بن الجارود (اصطخر).

27- عمر بن سلمة (أصبهان).

28- محمد بن سليم (أصبهان).

29- خليد بن قرة التميمي (خراسان).

30- عبد الرحمن بن أبزى (خراسان).

31- جعدة بن هبيرة بن أبي وهب (خراسان).



32- عبد الرحمن بن جزء الطائي (سجستان).

33- ربعي بن كأس العنبري (سجستان).

34- جرير بن عبد الله البجلي (همذان).

35- الأشعث بن قيس الكندي (أذربيجان).

36- سعيد بن سارية الخزاعي (أذربيجان).

37- الخريت بن راشد الناجي (الأهواز).

38- مصقلة بن هبيرة الشيباني (الأهواز).

39- يزيد بن حجية التميمي (الري).

40- سعد بن مسعود الثقفي (المدائن).

41- الحارث بن مرة العبدي (السند)[1].

إن عثمان وعلي رضي الله عنهما خلفاء راشدون يقتدى بهما، وأفعالهما تشكِّل سوابق دستورية في هذه الأمة، فكما أن عمر سن لمن بعده التحرج من تقريب الأقربين، فإن عثمان وعلي سنّا لمن بعدهم تقريب الأقربين إذا كانوا أهل كفاءة[2].

ثانياً: مراقبة أمير المؤمنين علي لعماله وبعض توجيهاته:

دأب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مراقبة ولاته وتتبع أحوالهم في ولاياتهم والسؤال عنهم، وقد اتبع لذلك عدة أساليب؛ منها: أنه كان يبعث مفتشيه إلى هؤلاء الولاة فيسألون عنهم الناس، وقد يسأل بعض العمال عن بعض ويأمرهم بتفقد أمورهم، فقد كتب إلى كعب بن مالك: أما بعد فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم[3].

كما كان علي رضي الله عنه يعتمد على تقارير سرية يبعثها إليه مفتشوه على هذه الولايات ولا يعرف الولاة مهمتهم[4]، وقد يكون هؤلاء المراقبون من موظفي الوالي أو اخرين مجهولين، وقد يكونون مقيمين في الولاية أو متنقلين من ولاية إلى

---

[1] عصر الخلافة الراشدة ، ص 130 ، 131 ،132.

[2] الأساس في السنة وفقهها ، سعيد حوى (1675/4)؛ عثمان بن عفان للصلابي، ص 365.

[3] تاريخ اليعقوبي (204/2).

[4] الولاية على البلدان (33/2).

أخرى، ويدل على وجود هذه التقارير السـرية ما كان يكتبه علي رضـي الله عنه إلى هؤلاء الولاة، ولعل تدخل بعض الأشخاص بين أمير المؤمنين وولاته هو السبب في ترك بعضهم للولاية ورفضهم للعمل، كتدخل الأشتر بين علي وجرير بن عبد الله البجلي، وتدخل بعض الناس بين علي ومصقلة بن هبيرة[1].

وقد فتح علي رضي الله عنه الباب على مصراعيه لأي شكوى تقدم إليه ضد أحد من ولاته، وكان إذا بلغه عن أحد منهم شـكاية قال: اللهم إني لم امرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك[2]، وقد قام رضـي الله عنه بحبس أحد الولاة وتأديبه وضربه بالدرة حينما بلغته شكاية عنه[3]، وثبتت التهمة عليه.

وقد كان أمير المؤمنين علي دائم النصح لولاته، وقد نصح علي رضي الله عنه مجموعة من الولاة منهم قيس بن سعد، حين ولاه على مصـر؛ حيث أوصـاه: تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك، وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شـاء الله فأحسن إلى المحسن، واشتد على المريب، وارفق بالعامة والخاصة؛ فإن الرفق يمن[4].

ومن نصائحه إلى قيس بن سعد في إحدى رسالاته: أما بعد فأقبل على خراجك بالحق، وأحسن إلى جندك بالإنصاف، وعلم من قبلك مما علمك الله[5].

وقد كانت بعض العهود المرسلة للبلدان في تعيين الولاة تشتمل على بعض النصائح والتوجيهات، ومن ذلك عهد علي إلى محمد بن أبي بكر في ولاية مصر الذي قرأه على الناس، فقد كان يحتوي على جملة من النصائح للعامة وللوالي نفسه[6].

وكانت تجري بين علي وبين ولاته العديد من الاتصالات سواء بالمراسلة الخطية أو الشفهية أو بالاتصال المباشر، وبالدرجة الأولى أثناء قدوم هؤلاء الولاة إلى الكوفة لمقابلة أمير المؤمنين علي، أو للاشـتراك معه في قتال الخوارج وغيرهم، ولم يؤثر عن أمير المؤمنين أنه حج واتصـل بولاته في الحج بعد مبايعته، كما كان يفعل الخلفاء السـابقون، وإنما كان ينيب عنه في ذلك بعض من يثق فيهم كأبناء العباس وغيرهم.

وكان ولاة المشرق أكثر ولاة علي اتصالاً به، نظراً لقربهم من الكوفة وتكرار وفودهم إليها، وكان علي كثيراً ما يكتب أوامر تصدر على شكل نصائح تبين لهم طريقة العمل، وقد كان بعضها مكتوباً، وبعضها مشافهة، فقد جاء في أحد كتب أمير

---

(1) تاريخ الطبري (5/600 ، 601).
(2) الفتاوى (28/151).
(3) الولاية على البلدان (2/34) نقلاً عن الكامل لابن الأثير.
(4) الولاية على البلدان ، (2/36).
(5) المصدر السابق نفسه.
(6) تراث الخلفاء الراشدين ، ص 156.

المؤمنين إلى عماله: فإنكم خزان الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة، ولا تحشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن الناس في الخراج كسوة شتاء، ولا صيف، ولا دابة يعملون عليها، وعبداً، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمس مال أحد من الناس مصلٍّ ولا معاهد[1].

وتقدم بعض الدهاقين بشكوى إلى علي من أحد عماله، فكتب إلى ذلك العامل: أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة، واحتقاراً وجفوة، ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يُدنَوا لشركهم، ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله[2].

ثالثاً: الصلاحيات الممنوحة للولاة في عهد علي رضي الله عنه:

امتنع أمير المؤمنين علي عن تسليم جميع السلطات بيد شخص واحد، فكان مبدؤه توزيع السلطات وتحديد الصلاحيات، فقد نصب ابن عباس والياً على البصرة، ونصب زياد على الخراج وبيت المال، ولم يكتفِ بهذا بل أمر ابن عباس أن يسمع منه ويطيع[3]، وهذا قمة الضبط الإداري؛ فزياد يطيع ابن عباس في إطار ولايته على البصرة، وابن عباس يطيع زياد في إطار عمله في بيت المال والخراج، أما لشؤون القضاء فقد نصب أبا الأسود الدؤلي[4].

ومن خلال عهد أمير المؤمنين علي الذي كتبه لمالك بن الأشتر يمكن أن نلاحظ الصلاحيات الممنوحة للولاة ونحاول أن نجعل الصورة أكثر وضوحاً مع التفصيل:

1- تعيين الوزراء:

يقول أمير المؤمنين في عهده لمالك بن الأشتر: إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام؛ فلا يكونن لك بطانة[5]، فإنهم أعوان الأئمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف[6]، ممن له مثل ارائهم ونفاذهم، وبيين عليه مثل اصارهم وأوزارهم[7]، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا اثماً على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن

([1]) البلاغة (155/2).
([2]) نهج البلاغة (155/2).
([3]) تاريخ الطبري (580/5).
([4]) تاريخ خليفة بن خياط ، ص 200.
([5]) بطانة الرجل: خاصته. والآثمة: جمع اثم. والظلمة: جمع ظالم.
([6]) الخلف: بمعنى البدل.
([7]) الاصار: جمع إصر؛ وهو الذنب والإثم ، وكذلك الأوزار.

لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك إلفاً[1].

ففي هذا النص الذي أورده أمير المؤمنين علي بصورة نصائح أورد فيه النقاط والحقائق الاتية:

أ- تعيين الوزراء من صلاحيات الوالي.

ب- الشروط التي يجب أن يختار الوالي وزراءه بموجبها.

ج- طريقة التعامل والعلاقة المتبادلة بين الوالي والوزير.

د- وظيفة الوزير.

أما عدد الوزراء فلم يذكره أمير المؤمنين علي، بل اكتفى بلفظ الجمع، ويظهر أن عددهم يرتبط بمقدار حاجة الوالي إلى المعاونين؛ لأن عمل الوزير هو مساعدة الوالي في وظائفه، وهناك شروط حددها أمير المؤمنين علي: أن لا يكون وزيراً سابقاً للولاة الأشرار. وينتخب الوالي من مجموع وزرائه وزيراً واحداً يكون نائبه ومساعده في تمشية الأمور، ويجب أن يختاره من بين وزرائه على أساس[2] قول أمير المؤمنين: ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك[3]، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع[4]، وأما وظائفهم فهي تدخل في دائرة (المساعدة)، وأما تحديد تفاصيل هذه الدائرة فيوكل إلى الوالي الذي يقرر وظائف وزرائه حسب الحاجة إليهم، ويكون ارتباط الوزراء بالوالي بصورة مباشرة[5].

2- تشكيل مجالس الشورى:

وذلك بالاستعانة بالعلماء والحكماء؛ وهم أهل الحل والعقد، وأهل الخبرة، فقد ورد في حقهم هذا النص: وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك[6].

وفي هذا النص التأكيد على جمع العلماء والحكماء في مجالس استشارية منتظمة ويمكن أن يجري تعيينهم من قبل الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس، فليس هناك تحديد من أمير المؤمنين عن طبيعة تشكيل هذه المجالس، بل اكتفى أمير المؤمنين بالمطالبة من واليه، وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء، أما كيف تم جمعهم؟ هل اجتمعوا بأمر من الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس؟ فهذا أمر لم يبتّ فيه أمير المؤمنين علي، بل تركه متعلقاً حسب الظروف التي تتحكم في طريقة

---

(1) الإلف: الإلفة والمحبة.

(2) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، د. محسن الموسوي ، ص 261.

(3) مرارة الحق: صعوبته على نفس الوالي.

(4) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص 609.

(5) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص 261.

(6) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص 61.

تعيينهم؛ إما باختيار الوالي أو انتخاب الناس.

وأما وظيفة هذا المجلس فهو الدراسة والبحث لتحديد السياسات العامة بخصوص الأمرين:

أ- تثبيت ما صلح عليه البلاد.

ب- إقامة ما استقام عليه الناس من قبل الوالي.

وهذا يعني وضع الخطوط العريضة لكل ما يتعلق بإصلاح أوضاع البلاد والعباد، سواء كان ذلك في مصرف بيت المال، أو تعيين الإداريين، أو تقديم الخدمات للأصناف من تجّار وصنّاع ومزارعين، وهذا المجلس أشبه ما يكون بالمجالس المحلية التي تقام في الدول التي يقوم نظامها على اللامركزية[1].

وفي نص اخر يذكر أمير المؤمنين صفات هؤلاء المستشارين والمعاونين: ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف[2].

وذكر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أهمية الاهتمام بهم وتفقد أحوالهم وأمورهم؛ فقال: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به[3]، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم[4]، وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك، ولا تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمه، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه[5].

3- إنشاء الجيش وتجهيزه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمالك بن الأشتر النخعي: وليكن اثر رؤوس جندك عندك[6] من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جِدَتِهِ بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم[7]، يعطف قلوبهم عليك[8].

والذي يظهر من هذا النص:

---

(1) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص 161.

(2) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص 612.

(3) تفاقم الأمر: عظم ، فهم مستحقون لكل خير.

(4) أي: لا تعد شيئاً من تلطفك معهم حقيراً فتتركه لحقارته ، فكل تلطُّف له موقع في قلوبهم.

(5) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص 613.

(6) أي: أفضل وأعلى منزلة من واسى الجند وساعدهم.

(7) أي: على الرؤساء.

(8) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص 613.

أ- لابد من وجود قوة عسكرية تدافع عن الولاية.

ب- تشكيل هذه القوة وإعدادها من مسؤولية الوالي، ويجري الإنفاق عليها من بيت مال الولاية.

ج- تعيين رؤساء الجند من مسؤولية الوالي، وهناك شروط على الوالي العمل بموجبها عند اختيار رؤساء الجند، فلا بد من رعايتهم والاهتمام بهم حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو[1]، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك[2].

4- ترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم:

يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لواليه مالك بن الأشتر: ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا؛ فإن في الصلح دعة لجنودك[3]، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب ليتغفَّل[4]، فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة[5]، فحط عهدك بالوفاء، وارعَ ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت[6]، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت ارائهم من تعظيم الوفاء بالعهود[7]، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر[8]، فلا تغدرنّ بذمتك، ولا تخيسنّ بعهدك[9]، ولا تختلنّ عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته[10]، وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره[11]، فلا إدغال ولا مدالسة[12]، ولا خداع فيه، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل[13]، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته؛ خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبة[14]، فلا تستقبل فيها دنياك ولا

---

(1) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص 265.
(2) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص 613.
(3) الدعة: الراحة.
(4) قارب: أي تقرب منك بالصلح ليلقي عليك غفلة عنه فيغدرك فيها.
(5) الذمة: العهد.
(6) أي: الوقاية ، أي: حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.
(7) أي: أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من الوفاء بالعهود.
(8) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة ، أي: مهلكة.
(9) خاس بعهده: خانه ونقضه ، والختل: الخداع.
(10) أفضاه: هنا بمعنى أفشاه.
(11) يستفيضون: أي يفزعون إليه بسرعة.
(12) الإدخال: الإفساد ، والمدالسة: الخيانة.
(13) نهج البلاغة ، ص 627.
(14) المصدر السابق نفسه.

اخرتك[1].

واستناداً لهذا النص يقوم الوالي بـ:

1- عقد معاهدة الصلح مع الدول والأمم المجاورة.

2- أخذ الاستعداد للحرب، وأخذ الحيطة عند الضرورة، وبين هذين الأمرين تجري مفردات كثيرة من تبادل الرسائل، وتبادل الوفود، وتبادل الزيارات وعقد الحوارات[2].

3- الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها[3]، كما أن الوفاء بالعهود والمواثيق لم يكن عند أمير المؤمنين علي مجرد نظرية مكتوبة على الورق، ولكنه كان سلوكاً عملياً في حياته بالوفاء بالعهود، وحذر من نقض الإيمان بعد توكيدها في كثير من الآيات القرآنية؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: 91]، وقال جل وعلا: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: 34].

5- الحفاظ على الأمن الداخلي:

وذلك بانتهاج السياسات السلمية، كتب أمير المؤمنين إلى بعض عماله: أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء[4].

وتأتي هذه السياسية للحفاظ على الأمن الداخلي، فإذا حدث ما يعكر هذه المهمة فإن مهمة الوالي هي محاولة حل المشكل بطرق سلمية، بعيدة عن استخدام القوة، رافضاً سياسة الاستقواء على الشعب[5]. وفي رسالته إلى مالك بن الأشتر: فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله[6].

6- تشكيل الجهاز القضائي في الولاية:

يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تفيق به الأمور، ولا

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص 256.

(3) منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية ، ص 329.

(4) الولاية على البلدان (37/2) نقلاً عن شرح نهج البلاغة (230/2) طبعة أخرى غير محمد عبده.

(5) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص 257.

(6) شرح نهج البلاغة ، ص 627.

تمحكه الخصوم[1]، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه[2]، ولا تشرف نفسه على طمع[3]، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه[4]، وأوقفهم في الشبهات[5]، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند انفتاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء[6]، ولا يستميله إغراء.. وافسح له في البذل ما يزيل علته، وتقلّ معه حاجته إلى الناس، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً[7] بليغاً.

من هذا النص يظهر لنا:

أ- من مسؤولية الوالي تعيين القضاة.

ب- على الوالي الالتزام بشروط صارمة في اختيار القاضي.

ج- على الوالي رعاية القضاة رعاية كاملة حتى لا يشعروا بالحاجة إلى الاخرين[8].

7- النفقات المالية:

المصدر لتمويل النفقات في الولاية: أموال الزكاة، والصدقات، والغنائم، والفيء، والخراج، والعشور، وتوضع في بيت المال؛ وهو المحل الذي يجتمع فيه مال المسلمين، وهناك عامل في بيت المال يسجل كل ما يصله من أموال وكل ما يخرج من بيت المال، ولبيت المال وظيفة مهمة في الإدارة اللامركزية، فما يجتمع من الأموال يتم أولاً إنفاقه على شؤون الولاية من موظفين وعمال وقضاة، ومحتاجين، وإعمار... إلخ، وما تبقى يتم إرساله إلى عاصمة الخلافة.

ويعتبر بيت المال قلب الولاية الذي يوزع الدم في شرايين الأجهزة العاملة[9]، قال أمير المؤمنين علي: وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله؛ فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة[10].

وجزء من هذه الأموال مصدره الخراج -كما ذكرنا- وهو ما وضع لأخذه على الأرض المزروعة، وهو المصدر الأول

---

(1) أي: لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه.

(2) أي: لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.

(3) الإشراف على الشيء: الاطلاع عليه من فوق.

(4) لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقربه دون أن يأتي على أقصى فهم.

(5) الشبهات: ما لا يتضح الحكم فيها بالنص.

(6) أي: لا يستخفه زيادة الثناء عليه.

(7) شرح نهج البلاغة ، ص 615.

(8) الإدارة والنظام الإداري ، ص 258.

(9) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص 262.

(10) شرح نهج البلاغة ، ص 647.

لتغطية رواتب موظفي الولاية، وما زاد على ذلك يوزع على الفقراء والمساكين، يقول أمير المؤمنين علي: الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. والمقصود بالناس: عامة الموظفين والمجاهدين الذين قال عنهم أمير المؤمنين رضي الله عنه: لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله من الخراج.

وقد أرشد أمير المؤمنين علي إلى استثمار الأرض؛ أي عمارة الأرض، فقد قال: وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج لغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد[1].

فعمارة الأرض سيضيف موارد مالية جديدة يمكن الاستفادة منها في مجال الرواتب والنفقات المتنوعة، وتتم هذه النفقات باستقلالية عن الأجهزة المركزية التي لها حصة من هذه الموارد بعد أن يتم استخراج المقادير الضرورية للولاية، وبعث البقية إلى العاصمة، يقول أمير المؤمنين: وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا[2].

كما أن من الإنفاقات المهمة في الولاية: إعمار الأنهار، فقد كتب أمير المؤمنين علي لقرظة بن كعب الأنصاري: أما بعد، فإن رجالاً من أهل الذمة من عملك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وأدفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم ثم أعمر وأصلح النهر، فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا، وأن يعجزوا ويقصروا في واجب من صلاح البلاد. والسلام[3].

8- العمال التابعين للولاية ومتابعتهم:

قال أمير المؤمنين علي: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً[4]، ولا تولِّهم محاباة وأثرة، فإنها جماع شعب الجور والخيانة، وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء، أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام[5] المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً، وأقلّ في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق[6]، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك[7]، ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون[8]، من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم[9] على استعمال

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص 617.

(2) المصدر السابق نفسه ، ص 618 ؛ الإدارة والنظام ، ص 258.

(3) تاريخ اليعقوبي (203/2) ؛ الولاية على البلدان (37/2).

(4) أي: الاختبار والامتحان قبل تولية الأعمال.

(5) أي: أهلها هم الأولون.

(6) أي: أكمله ووسع لهم فيه.

(7) أي: نقصوا في أدائها أو خانوا.

(8) العيون: الرقباء.

(9) حدوة لهم: أي سَوق لهم وحثّ.

الأمانة والرفق بالرعيّة، وتحفَّظ من الأعوان، فإن أحداً منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك[1]، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة[2].

وهنا يتحدث عن الموظفين التابعين للولاية، والمحافظين على المدن والقرى، وجباة الصدقات، وعلى عاتقهم مسؤولية كبيرة؛ لأن عملهم متصل بالناس بصورة مباشرة، ويتجلى في هذا النص أهمية هؤلاء في الجهاز الإداري؛ لأنهم يمثلون السلطة التنفيذية الحقيقية، فكان لا بد من إشباع حاجاتهم حتى لا يطمعوا في مال غيرهم، ولا حقوقهم[3]، ويشير أمير المؤمنين علي إلى أهمية العيون الذين يقومون بأعمال الرقابة على الإدارات والوحدات وبيت المال، ويتم تعيينهم من قبل الوالي، ويكون ارتباطهم معه. وهناك شروط يجب أن تتوافر فيهم:

أ- أن يكونوا من أهل الصدق حتى تكون تقاريرهم واقعية صادقة.

ب- أن يكونوا من أهل الوفاء حتى يكون هدفهم هو الإخلاص للدولة.

وبعد تقديم التقارير على الوالي أن يتثبت بدقة في هذه التقارير، ولا يسرع في الحكم على الأفراد، ومن أعمال هذا الجهاز: فرض الرقابة على التجار وذوي الصناعات؛ لمنعهم من الاحتكار وإيقاع الضرر بالناس، وما قاله أمير المؤمنين في رسالته للأشتر في هذه الفقرة يشير إلى أن دولة الخلافة الراشدة تهتم بدوام المباشرة لأحوال الرعية، وتفقد أمورها، والتماس الإحاطة بجانب الخلل في أفرادها وجماعاتها.

وهذا مبدأ قرآني بينه المولى عز وجل على لسان سليمان عليه السلام: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِي لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لأَعِذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: 20 – 21]، وتفقد الطير، وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الخلافة، والاهتمام بكل جزء فيها، والرعاية لكل واحد فيها وخاصة الضعفاء، ولاشك أن القيادة تحتاج إلى لجان ومؤسسات وأجهزة حتى تستطيع أن تقوم لهذه المهمة العظيمة، إن سليمان عليه السلام كان مهتماً بمتابعة الجند وأصحاب الأعمال، وخاصة إذا راب شيء من أحوالهم، فسليمان عليه السلام، لما لم يَرَ الهدهد بادر بالسؤال: ﴿مَالِي لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ يعني: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له[4]، ثم قال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ سؤال

---

[1] أي: اجتمعت عليه أخبار الرقباء.

[2] شرح نهج البلاغة ، ص 616.

[3] الإدارة والنظام الإداري عند علي ، ص 266.

[4] تفسير الرازي (189/24).

آخر ينم عن حزم في السؤال بعد الترفق، فسليمان عليه السلام أراد أن يفهم منه أن يسأل عن الغائب لا عن شفقة فقط، ولكن عن جد وشدة، إذا لم يكن الغياب بعذر[1]، فعهد الخلافة الراشدة تطبيق عملي لمفاهيم القرآن الكريم.

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أشار إلى أهمية الأجهزة الأمنية للدولة المسلمة، التي تحرص أشد الحرص على الاهتمام بالأخبار والمعلومات حتى توظف لخدمة الدين، ونشر المبادئ السامية، والأهداف النبيلة، والمثل العليا، وتقضي على بذور الفساد في الأجهزة المتعددة التي يقوم عليها نظام الولايات.

9- أصناف طبقات المجتمع:

قال أمير المؤمنين: واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلاً قد سمى الله سهمه[2]، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه ﷺ، عهداً منه عندنا محفوظاً...

إلى أن قال: ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم[3]، ويقيمونه من أسواقهم ويكفونه من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم[4].

ثم أوصى بالتجار وأصحاب الصناعة خيراً فقال: ثم استوصي بالتجار وذوي الصناعات، وأوصي بهم خيراً: المقيم منهم، والمضطرب بماله[5]، المترفق ببدنه؛ فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلاَّبها من المباعد والمطارح في برك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتم الناس لمواضعها[6]، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته[7]، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحّاً قبيحاً[8]، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاية، فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع

---

(1) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (593/2).

(2) أي: نصيبه من الحق.

(3) شرح نهج البلاغة ، ص 611.

(4) رفدهم: مساعدتهم وصلتهم.

(5) أي: المتردد بأمواله بين البلدين.

(6) يجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق.

(7) البائقة: الداهية.

(8) الشح: البخل.

بيعاً سمحاً، بموازين عدل، وأســـعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه[1] فنكل به، وعاقب في غير إسراف[2].

ونلاحظ من كلام أمير المؤمنين علي رضـــي الله عنه: أن طبقة التجار من أهم شـــرائح المجتمع، ولذلك أرشـــد الولاة إلى الاهتمام بهم من خلال وجود دائرة تتولى رعاية هذهِ الطبقة والإشـراف على أعمالها؛ حتى لا تظهر عليها المظاهر السـلبية كالشح والاحتكار وما شابه ذلك.

وذوي الصـناعات يلمّ بهم ما يلم بالتجار من أضـرار ومشـاكل، فكان لابد من قيام جهاز لرعايتهم ومسـاعدتهم في إتمام أعمالهم[3].

ومن هذه الطبقات أهل الخراج؛ وهم العاملون على الأرض من زرّاع وحرّاث وحافرين لابار، وهم يحتاجون إلى الاهتمام، وتشكيل لجان تكون موكلة بأهل الخراج لحل المشكلات التي تعترضهم؛ لأن هذا الطريق هو السبيل إلى التنمية واستثمار الأرض.

ومن هذه الأصـــناف أهل الذمة الذين يعيشـــون في الدولة الإســـلامية، ويعملون فيها، فلا بد من رعاية الدولة لهم وتفقد شؤونهم، من خلال جهاز يتولى شؤونهم الاقتصادية منها والاجتماعية[4].

ومنها الطبقة السـفلى من المسـاكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمن، فإن في هذه الطبقة القانع[5]، والمعتر[6]، وتشـمل هذه الطبقة أهل اليتم، وذوي الرقة في السِّنِّ ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، فالدولة مسؤولة عن رعاية هؤلاء رعايةً كاملة اجتماعية واقتصـادية وتعليمية، وكان على الوالي أن يحدد وقتاً للقاء بهم ليزيل عنهم مشـاعر الحرمان، ويتفقد أمورهم بنفسه وبصورة مباشرة، وعليه أن يوفر الأجواء التي يستطيع بواسطتها هؤلاء المحرومين من التكلم أمام الوالي[7].

10- التربية بالعقاب والثواب:

قال أمير المؤمنين علي: ولا يكون المحسـن والمسيء عندك بمنزلة سـواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسـان في الإحسـان،

---

(1) قارف: خالط. حكرة: الاحتكار.

(2) شرح نهج البلاغة ، ص 620.

(3) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص 263.

(4) المصدر السابق نفسه.

(5) القانع: السائل.

(6) المعتر: المتعرض للعطاء بلا سؤال.

(7) الإدارة والنظام الإداري ، ص 264.



وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة وألزِم كلاًّ منهم ما ألزم نفسه[1]، واعلم أنه ليس بشيء أدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عنهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم[2]، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً[3]، وإنّ أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده[4].

وهذه التربية بالعقاب والثواب تحدث عنها القرآن الكريم، وتتضح معالمها جلية في قصة ذي القرنين في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: 87 – 88].

إن التربية العملية للقيادة الراشدة هي التي تجعل الحوافز المشجعة هدية للمحسن ليزداد في إحسانه، وتفجر طاقة الخير العاملة لديه على زيادة الإحسان، وتشعره بالاحترام والتقدير، وتأخذ على يد المسيء لتضرب على يده، حتى يترك الإساءة وتعمل على توسيع دوائر الخير والإحسان في أوساط المجتمع، وتضييق حلقات الشر إلى أبعد حدود وفق قانون الثواب والعقاب، وهذا ما أرشد إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

11– دور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات:

عرف المسلمون النقباء في بيعة العقبة الثانية؛ حينما عين الرسول ﷺ اثني عشر نقيباً من الأنصار على قومهم؛ ثلاثة من الأوس، وتسعة من الخزرج[5]، واستمر تنظيم النقباء والعرفاء في الأجناد الإسلامية المختلفة في عهد عمر، ومما ورد في ذلك تنظيم الناس في القادسية على يد سعد بن أبي وقاص؛ حيث اجتمعت القبائل فأمر أمراء الأجناد، وعرف العرفاء؛ فعرف على كل عشرة رجالاً، كما كانت العرافات أزمان النبي ﷺ، وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء، وأمر على الرايات رجالات من أهل السابقة، وعشر الناس وأمر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام[6].

ويعتبر عمر أول من نظم تقسيم الناس في الأمصار عموماً، ففي زمانه برز العرفاء على الناس في أمصارهم، وأصبحوا مسؤولين أمام الوالي عن قبائلهم والمجموعات المنضمَّة إليهم حسب التقسيم المتبع ذلك الوقت[7]، وقد استمر نظام العرفاء

---

(1) فإن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب والمحسن الثواب.
(2) قِبَلَهم: بكسر ففتح . أي: عندهم.
(3) النصب: التعب.
(4) البلاء هنا: الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً. انظر: نهج البلاغة ، ص 61.
(5) السيرة النبوية لابن هشام (443/2).
(6) الولاية على البلدان (106/2) ، تاريخ الطبري (87/5).
(7) النظم الإسلامية ، صبحي الصالح ؛ الولاية على البلدان (106/2).

طيلة عصر عثمان رضي الله عنه، وخلال عهد علي رضي الله عنه، فكان يجمع النقباء ويعطيهم الأموال بحصصهم فيقسمونها على من يتبعهم من الناس[1]، وقد استفاد الولاة من العرفاء في إدارة الولايات في الشؤون المختلفة المدنية منها والعسكرية، فكانوا يساعدون في توزيع العطاء على الناس، وفي السيطرة على النظام داخل الولايات، وفي البحث عن المطلوبين للقضاء وغيره، وفي سرعة تجنيد الناس حين الحاجة، وفي أخذ المشورة من الناس، كما كان للنقباء دور في معرفة من يضاف اسمه إلى العطاء، ومن يحذف اسمه، وغير ذلك من الأمور المختلفة، وهكذا كان العرفاء من أهم الموظفين للولاة في إدارة أمصارهم؛ مع أن هؤلاء في الغالب لم يكونوا متفرِّغين لهذا العمل وحده، بل كانوا مجرد مساعدين وقت الحاجة.

وكان في تقسيم العرفاء والنقباء في كثير من الأحيان شيء من التنظيم القبلي، حيث كان التقسيم أحياناً باعتبار القبيلة، إلى أن كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم وبدؤوا يستوطنون الأمصار، فبدأ هذا التقسيم يقلُّ تدريجياً[2] مع احتفاظه بقوته في معظم الأوقات خلال عهد الخلفاء الراشدين[3].

وقد كان يتبع الولاة على البلدان بعض كبار القواد الذين يتولون قيادة أقسام معينة في الجيش، ويقومون بالفتوح المختلفة بتوجيه من أمراء الولايات، كما كانوا يصحبون الوالي – وهو أمير الحرب – في غزواته المختلفة، ويساعدونه في تنظيم الجيش وقيادته[4].

وقد كان أمراء التعبئة يلون الأمير، والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الأعشار، والذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات، والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رؤوس القبائل[5]. كما أن العرفاء يرفعون ما يراه قومهم من اقتراحات أو تظلمات جماعية يوصلونها نيابة عنهم، ويتحدثون باسمهم ويدافعون عن حقوقهم أمام الوالي وغيره[6].

رابعاً: من المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

1- التأكيد على العنصر الإنساني:

كتب أمير المؤمنين إلى أحد عماله: أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة.. فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء إن

---

(1) الأموال ، القاسم بن سلام ، ص 345 ؛ الولاية على البلدان (106/2).

(2) الولاية على البلدان (107/1).

(3) المصدر السابق نفسه (107/2).

(4) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة للزبيدي ، ص 41.

(5) تاريخ الطبري ، نقلاً عن الولاية على البلدان (108/2).

(6) العرافة والنقابة للفاروقي ، ص 61 ، 80 ، 86 ؛ الولاية على البلدان (108/2).

شاء الله[1]. فكان على الرئيس ملاحظة الأوضاع النفسية لمرؤوسيه، وأن يضع استراتيجيته الإدارية على ضوء هذا الواقع، وأن يوازن بين ضرورات الضبط والتنظيم مع الضرورات الواقعية التي تفرزها الحالات الإنسانية والنفسية، فمن الخطأ أن تقوم النظرية الإدارية التنظيمية على قواعد صارمة وثابتة لا تراعي العامل الإنساني، ولا تراعي تأثيرات الظروف، وكأن التنظيم الإداري لأي مؤسسة أو منظمة أو حركة، أو حزب أو جمعية أو نادي... إلخ يتحرك في فراغ بمعزل عن التأثيرات الخارجية والداخلية[2].

2- عامل الخبرة والعلم:

في هذا النطاق يؤكد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على أهمية أن يكون المسؤول صاحب خبرة وعلم، فإذا كان كذلك فله حق الطاعة، وإلا فإنه لا طاعة له، يقول أمير المؤمنين: عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته[3]. فإذا كان جاهلاً فإنهم معذورون؛ فلا طاعة للجاهل؛ لأنه يأخذهم إلى الهلاك. ويقول أيضاً: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[4]، والجاهل غير العارف بالأمور ينتهي أمره إلى معصية الخالق[5] بأمر مخالف.

3- العلاقة بين الرئيس والمرؤوس:

هذه العلاقة لا يرسمها التسلسل التنظيمي والتدرج الرئاسي، بل ترسمها المصلحة المشتركة بين الرئيس والمرؤوسين، يقول أمير المؤمنين علي لواليه عندما بعثه إلى مصر:

ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك[6].

ونحن هنا أمام حالة أُلغِي فيها التسلسل الوظيفي إلغاء تاماً، وإذا لم يقدر الوالي على القيام بهذه المهمة؛ فإنه ينتدب بعض خلصائه لذلك، فيقول: وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم[7]، وهذا تجاوز واضح على الإدارة البيروقراطية التي ترى أن كل شيء يجب أن يتم ضمن التسلسل الإداري، ولاحقّ لأحد في إلغاء هذا التسلسل، ومن يلغي ذلك يعتبر متجاوزاً على التنظيم. ثم بيَّن

---

(1) نهج البلاغة ، ص 539.
(2) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص 217.
(3) نهج البلاغة ، ص 700.
(4) المصدر السابق نفسه ، ص 701.
(5) الإدارة والنظام الإداري ، ص 217.
(6) نهج البلاغة ، ص 623.
(7) نهج البلاغة ، ص 621.

أمير المؤمنين مضارّ التقيّد غير المسؤول بالتسلسل الوظيفي: فإنَّ احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب عنهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه؛ فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل[1]. هذه هي مضار التسلسل الإداري والتقيد الحرفي به؛ فتباطؤ الأمور بين هذه السلسلة الطويلة وانتقالها من مسؤول إلى مسؤول، ومنه إلى مسؤول ثالث فرابع وخامس حتى وصولها إلى الناس العاديين، هذه السلسلة التي تجري بعيداً عن مباشرة الرئيس الأعلى قد تغير الأمور وتقلبها رأساً على عقب، فيصبح الصغير كبيراً، والحق باطلاً، والحسن قبيحاً، والقبيح حسناً... كما يقول أمير المؤمنين رضي الله عنه، وهو ما تعاني منه التنظيمات البيروقراطية؛ لأنها تعتمد على سلسلة تنتقل عبرها المسائل والقضايا، فتنحرف عن أهدافها ومراميها.

والعلاج كما يقدمه أمير المؤمنين علي هو: أن لا يحتجب المسؤول عن أفراده فاحتجابه يتسبب في تغيير قراراته، أو تطبيقها – في أحسن الظروف – تطبيقاً متحجراً بعيداً عن الأهداف التي طمح من أجلها. ومهمة الرئيس ليست محصورة في لقاء المرؤوسين، بل عليه أن يوفر الأجواء المطمئنة التي تجعل المرؤوس قادراً على طرح مشاكله بطمأنينة وبدون خوف؛ لأن الغاية ليست هي المقابلات الفجة، بل الهدف هو أن يكون هذا اللقاء مفيداً فلا بد من خلق الأجواء المناسبة لهذه اللقاءات، يقول في ذلك: واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تُفرِّغُ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله والذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع[2].

ويبعث إلى قثم بن العباس «ابن عمه» برسالة يقول فيها: ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك، ولا حاجب إلا وجهك[3]. وهناك نصوص أخرى تؤكد على طبيعة العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين، وأنها لا تقوم عبر الوسائل ولا القيود الإدارية، بل تقوم وجهاً لوجه عندما تستدعي الحاجة لذلك[4].

4– مكافحة الجمود:

هناك بعض النظريات الإدارية واللوائح التنظيمية تسبب الجمود وإضاعة الوقت والجهد وإضاعة الحقوق، كما أن كثيراً من الأعمال لا يفكر بإنجازها أساساً؛ لأنها تستغرق وقتاً طويلاً حتى يتم إقرارها عبر السلسلة الإدارية، من هنا جاءت دعوة أمير المؤمنين رضي الله عنه: من أطاع التواني ضيع الحقوق[5].

---

(1) نهج البلاغة ، رقم 53 ، ص 624.

(2) نهج البلاغة ، ص 622.

(3) المصدر السابق نفسه ، ص 647.

(4) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص 218 ، 219.

(5) نهج البلاغة ، ص 714.

5- الرقابة الواعية:

الرقابة مهمة في كل تنظيم إداري، فقد نوه أمير المؤمنين رضـــي الله عنه إلى هذه الوظيفة فقال: وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية[1]، فالرقابة عند أمير المؤمنين هي عطف ونصرة للمراقب لمواصلـــة أداء الأمانة، كما وأن الرقابـــة لابد وأن تتمَّ عبـــر وسائط من أهل الصدق والوفاء، حتى يكون تقييمهم عادلاً لا تتلاعب فيه أهواؤهم؛ فالرقابة هنا عامل مســـاعد على التقدم، وتدفع بالأفراد إلى الحركة، والإخلاص في العمل، إن القوانين الصارمة لا وجود لها في الفكر الإداري لأمير المؤمنين رضي الله عنه عندما تعيق هذه القوانين حركة الأفراد داخل التنظيم، وتصبح سبباً لإضاعة الحقوق[2].

6- التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية:

في هذا المجال أكد أمير المؤمنين علي في عهده لواليه على مصـــر: ثم انظر في أمور عمّالك فاســـتعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة. فلا بد من إجراء الاختبارات الأولية على الشخص الذي يراد استخدامه في عمل ما، ويجب أن يبتعد الرئيس عن المعايير الشـخصـية في توظيف أو ترقية الأشـخاص إلى المناصـب العليا، ثم يقول: ثم انظر في حال كُتّابك، فولِّ على أمورك خيرهم[3]. وليس أقربهم إلى قلبك وعـائلتك، فلا مجـال للروابط والعواطف؛ فـالمعيـار هو الحق، وتتعلق هـذه الميزة بخاصية أخرى هي الأمانة[4].

7- الضبط:

ففي كتاب أمير المؤمنين علي رضـي الله عنه إلى الأشـعث بن قيس يتبين هذا المفهوم؛ حيث يقول: وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مســـترعىً لمن فوقك[5]. فقد اعتبر أمير المؤمنين العمل الإداري – في هذا النص- أمانة ويجب على المســؤول أن يرد هذه الأمانة كما هي، وأن يحافظ عليها، وأنه مســؤول أمام الله على أدائها، ومســؤول أيضــاً أمام رئيســه (من فوقه) اعترافاً بأهمية التسـلسـل الوظيفي، وهذا عامل مهم من عوامل إيجاد الضـبط الإداري الذاتي الذي يمنع مظاهر التسيُّب والانحراف[6].

---

(1) نهج البلاغة ، ص 616.
(2) الإدارة والنظام الإداري ، ص 221 ، 222.
(3) نهج البلاغة ، ص 618.
(4) الإدارة والنظام الإداري ، ص 222.
(5) نهج البلاغة ، ص 525.
(6) الإدارة والنظام الإداري ، ص 223.



8- المشاركة في صنع القرار:

إذا ما أعدنا قراءة النصوص عند أمير المؤمنين التي تحثُّ على المشاورة؛ لوجدنا أن الغاية من هذا الحث هو إيجاد مقدار من المشاركة في صنع القرار، وأن لا ينفرد رجل واحد في صنع القرار سواء كان هذا الرجل قائداً عسكرياً أو مالياً، أو مديراً أو مسؤولاً في أي ميدان من الميادين؛ فالشركة في الرأي تؤدي إلى الصواب[1]، لأنها مشاركة جمع من العقول وإضافة اراء ذوي الخبرة والتجربة، فالقرار الذي يأتي عبر مناقشة مستفيضة ستجتمع عليه الآراء، فيكون أقرب إلى الصواب[2]، أما نجاح العمل فالمشاورة تكفل هذا النجاح، يقول أمير المؤمنين علي: شاوروا؛ فالنجاح في المشاورة[3]، لم يحدد أمير المؤمنين كيفية وأسلوب المشاورة، بل وضع أمامنا قاعدة عامة وذكر لنا فوائد تطبيق هذه القاعدة، ولم يستثني ميداناً من الميادين عن المشورة، وهذا يعني أنها ضرورية لكل عمل يقوم به الإنسان، وتشتد الضرورة عندما يكون هذا العمل مناطاً بمجموعة من الأشخاص وليس فرداً واحداً، وإذا أمعنا النظر في هذا النص: صواب الرأي بإجالة الأفكار[4]، لاتَّضحت لنا أهمية المناقشات المستفيضة من ذوي الشأن للوصول إلى القرار الصائب[5].

9- حسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة:

إن حسن الاختيار يسد الطريق أمام المشاكل التي قد تطرأ نتيجة ضعف الموظف أو عدم انسجامه مع الجو العام، وإذا ما أمعنّا النظر في رسالة أمير المؤمنين علي لمالك بن الأشتر النخعي؛ لوجدنا الشروط المهمة التي يضعها أمامه عند اختياره لعماله: ثم انظر في أمور عمّالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة؛ فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أغراضاً، وأقل في المطامع إسرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً[6].

فهذه شروط متعددة غير محصورة بالكفاءة اللازمة في العمل فقط، بل لابد من ملاحظة (العامل) من النواحي النفسية والاجتماعية أيضاً، حتى لا يأخذه الطموح، ولا تتغير نواياه وأغراضه، كما لا بد من ملاحظة سلوكه الاجتماعي وقدرته على التكيف في المحيط الاجتماعي الجديد، عند ذلك تبدأ مسؤولية التوالي: ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم

---

(1) الإدارة والنظام الإداري ، ص 229.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) المصدر السابق نفسه.
(5) المصدر السابق نفسه.
(6) نهج البلاغة ، ص 616.

على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك[1].

فعندما تجتمع تلك الخصال في فرد من الأفراد ثم يقابل بالمكافأة الجيدة، فإن ذلك مدعاة له لأن يستقيم في عمله، ويواصل جهده لترقية الولاية أو المؤسسة. وفي مكان اخر يقول: وافسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك[2]. وهذه عوامل تخص الموظفين الكبار من السقوط في طريق الرشوة أو الشراهة بالمال:

أ- البذل الواسع الذي يكفل جميع حاجاته حتى يشعر بالغنى.

ب- المنزلة المرموقة حتى يشعر بالأمن والطمأنينة على وظيفته، وهذا ما يسمى بالأمن الوظيفي.

فماذا يريد الموظف بعد كل ذلك إذا كانت حياته مؤمنة، ووضعه الوظيفي مستقراً؟! وهذه الضمانات لكبار موظفي الدولة يمكن إنزالها على الشركات الكبرى والمؤسسات العملاقة وقادة الحركات الإسلامية، إنها كفالة كاملة تضمنها للموظف أفضل الأفكار الإدارية، فحتى الإدارة اليابانية لا تحيط الموظف بهذا الشكل من الرخاء الأمني والمعيشي، فالموظف يأخذ راتباً معيناً، وقد يكون هذا الراتب غير كاف لتغطية جميع نفقاته؛ فماذا سيعمل حينذاك يا ترى؟ قد تدفعه الحاجة إلى أعمال مشينة مخلة بالأخلاق، لكن المنهاج الإداري لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه يجب أن يؤمن الموظف حتى يصل حد الغنى، أي: لا يتم الاكتفاء بالراتب الشهري فقط، بل المعيار هو تأمين حاجاته، ومن ثم توفير الأمن الوظيفي له[3]: وأعطه من المنزلة ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك[4].

10- مرافقة ذوي الخبرات:

فذوو التجارب هم مصدر المعرفة الواقعية، ومن الطبيعي أن يستفيد المتعلم من أصحاب التجارب أكثر ممن يتلقى العلوم النظرية، وقد استفاد اليابانيون من هذه القاعدة عندما حوَّلوا معاملهم إلى جامعات يستفيد منها العامل الجديد، فهو يتلقى الخبرة ممن سبقه، والذي سبقه ممن سبقه، وقد جاءت هذه القاعدة على لسان أمير المؤمنين: خير من شاورت ذوو النهى والعلم وأولو التجارب والحزم[5]، وأفضل من شاورت ذوو التجارب[6]. ويقول في مصاحبة أصحاب العلم والتجربة:

---

(1) نهج البلاغة ، ص 616.

(2) شرح نهج البلاغة ، ص 615.

(3) الإدارة والنظام الإدارية ، ص 231.

(4) شرح نهج البلاغة ، ص 615.

(5) الإدارة والنظام الإداري ، ص 234.

(6) المصدر السابق نفسه ، ص 234.

خير من صاحبت ذوو العلم والحلم[1]. فهذه النصوص ما هي إلا قواعد غايتها إعداد الإنسان المسلم الناجح في الحياة، ومن ثم بناء المجتمع المتصف بالتقدم والرقي المستمر[2].

11- الإدارة الأبوية:

الوالي هو أب قبل أن يكون صاحب سلطة، وهو يتعامل مع موظفيه على أنهم أبناؤه، فمثلما يتحمل الأب تربية أبنائه كذلك يتحمل الوالي مسؤولية إعداد كبار موظفي الدولة، وهذا ما أخذت به التجربة اليابانية، والذي نجد له مصداقاً في قول أمير المؤمنين علي إلى مالك بن الأشتر فيوصيه بموظفيه: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما[3]، فيجب أن يتعامل المسؤول مع أفراده معاملة الوالد لولده: يرعى أبناءه؛ يعفو عنه عندما يسيء، وعندما يعاقبه فعقوبته هي تربية له...

هذه بعض المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص 235.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) نهج البلاغة ، ص 612 ؛ الإدارة والنظام الإداري ، ص 235.

الفصل السادس : معركتا الجمل وصفين وقضية التحكيم

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 9 – 10].

عن أنس بن مالك، قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أُبَيّ؟ قال: فانطلق إليه، وركب حماراً، وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخة[1]، فلما أتاه النبيﷺ قال: إليك عني، فو الله لقد آذاني نتنُ حمارك. قال: فقال رجل من الأنصار: والله، لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك. قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه. قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه. قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم:[2] ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9].

وعن الحسن، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله تعالى: فإن ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ سبحانه أمر النبيﷺ والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ، فحقّ على إمام المؤمنين: أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ أي: إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصح، والدعوة إلى حكم الله، والإرشاد، وإزالة الشبه وأسباب الخلاف، والتعبير بـ(إن) للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع القتال بين المسلمين، وأنه إن وقع فهو نادر قليل، والخطاب في الآية لولاة الأمور، والأمر فيها للوجوب[4]. وقد استدل البخاري وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تُخرج من الإيمان، خلافاً للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر وهو في النار.

---

[1] أرض سبخة: هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

[2] البخاري ، رقم 2691 ؛ مسلم ، رقم 1799.

[3] التفسير الصحيح ، حكمت البشير (369/4).

[4] التفسير المنير للزحيلي (237/26).

وثبت في صحيح البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ خطب يوماً، ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما، فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيّد، ولعل الله تعالى أن يُصْلِح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1].

فكان كما قال رسول الله ﷺ؛ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب التي وقعت بينهما[2].

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 9] أي: فإن اعتدت وتجاوزت الحدَّ إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تُذْعِن لحكم الله وللنصيحة، فعلى المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى حكم الله وما أمر به من عدم البغي، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، ويفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهي الفيئة، فإن تحقق المطلوب بما دون السلاح كان ذلك، وإن تعين السلاح وسيلة فعل حتى الفيئة. وفي قوله تعالى: أي: رجعت الفئة الباغية في ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحرَّوا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى، حتى لا يتجدد القتال بينهما مرة أخرى، واعدلوا أيها الوسطاء في الحكم بينهما، إن الله يحب العادلين ويجازيهم أحسن الجزاء، وهذا أمر بالعدل في كل الأمور[3].
قال رسول الله ﷺ: «المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور، على يمين العرش؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وُلُّوا»[4].

ثم أمر الله تعالى بالإصلاح في غير حال القتال ولو في أدنى اختلاف، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[الحجرات: 10]؛ فهذه الآية أصل من الأصول التي تُنَظِّم علاقة المسلم بأخيه المسلم[5]. إن الله تعالى لم ينفِ صفة الإيمان عن إحدى الطائفتين أو كليهما مع وقوع القتال بينهما، وإن أولى الناس بالدخول تحت معنى هذه الآية هم سادات المؤمنين؛ الصحابة الكرام، سواء ما وقع في معركة الجمل أو صفين.

وقد قام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بتطبيق هذه الآية؛ من حرص على الإصلاح، وقد استجاب طلحة والزبير لذلك، إلا أن أتباع عبد الله بن سبأ أنشبوا الحرب بين الطرفين، وسيأتي بيان ذلك في محله بإذن الله، وحرص أمير المؤمنين على

---

[1] البخاري ، رقم 7109.
[2] التفسير المنير (238/26).
[3] المصدر السابق نفسه (238/26).
[4] مسلم.
[5] سورة الحجرات ، د. ناصر العمر ، ص 305.

الإصلاح مع أهل الشام، وبذل ما في وسعه من طرق سلمية، وجرّد سيفه بعد فشل كل المحاولات الإصلاحية لكي يفيء معاوية رضي الله عنه إلى السمع والطاعة ووحدة الخلافة الإسلامية، إلا أن معاوية اشترط تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه، فاجتهد وأخطأ، وكان الحق مع أمير المؤمنين علي ووقع القتال.

وقال تعالى: فأثبت الإخوة الإيمانية لجميع المتقاتلين من ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ومن باب أولى ما وقع بين علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم في الجمل، وما وقع مع معاوية في صفين، ومن هنا يظهر لنا أن المتقاتلين في الجمل وصفين مؤمنين. ولا مجال للطعن في الصحابة بسبب هذه الحوادث التاريخية، أو محاولة نزع الإيمان عنهم، أو نشر العبارات المنحرفة في حقهم، ويكفي في الرد على تلك المقولات الباطلة أن هذه الآيات أثبتت لهم إخوة الإيمان، ويأتي بيان ما وقع بينهم بإذن الله تعالى بالتفصيل.

فقد ذكر تعالى أن المؤمنين إخوة في الدين، ويجمعهم أصل واحد وهو الإيمان، فيجب الإصلاح بين كل أخوين متنازعين. وزيادة في أمر العناية بالإصلاح بين الأخوين أمر الله تعالى بالتقوى، والمعنى: فأصلحوا بينهما، وليكن رائدكم في هذا الإصلاح وفي كل أموركم تقوى الله، وخشيته والخوف منه، بأن تلتزموا الحق والعدل، ولا تحيفوا ولا تميلوا لأحد الأخَوَين، فإنهم إخوانكم، والإسلام سوّى بين الجميع، فلا تفاضل بينهم ولا فوارق، ولعلكم ترحمون بسبب التقوى؛ وهي التزام الأوامر واجتناب النواهي[1].

وقد جعلت الآية الكريمة: الإصلاح بين الإخوة وتقوى الله سبب نزول رحمة الله، تعظيماً لأمر الإصلاح بين المسلمين[2].

ويلاحظ أنه قال: اتقوا الله عند تخاصم رجلين، ولم يقل ذلك عند إصلاح الطائفتين، لأنه في حالة تخاصم الرجلين يخشى اتساع الخصومة، وأما في حال تخاصم الطائفتين فإن أثر الفتنة أو المفسدة عام شامل الكلّ[3]. وكلمة (إنما) للحصر تفيد أنه لا أخوة إلا بين المؤمنين، ولا أخوة بين المؤمن والكافر، لأن الإسلام هو الرباط الجامع بين أتباعه، وتفيد أيضاً أن أمر الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الإخوة في الإسلام، لا بين الكفار، فإن كان الكافر ذمياً أو مستأمناً وجبت إعانته وحمايته ورفع الظلم عنه، كما تجب إعانة المسلم ونصرته مطلقاً إن كان خصمه حربياً[4].

وقد قال ابن العربي. هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عوّل الصحابة، وإياها عنى

---

[1] التفسير المنير (239/26).

[2] منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس للحريري ، ص 16

[3] التفسير المنير (239/26).

[4] المصدر السابق نفسه (240/26).

النبيﷺ بقوله: تقتل عماراً الفئة الباغية». أي: عمار بن ياسر.

الأمر بقتال البغاة فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ولذلك تخلف قوم من الصحابة رضي الله عنهم عن هذا الأمر، كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم، اعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله منهم[1] أمير المؤمنين علي، وهناك كثير من الأحكام سوف نراها من خلال سرد الوقائع التي حدثت بين الصحابة ــ بإذن الله تعالى.

ويعتبر نظام التحكيم وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، نظام له السبق من حيث الزمن على محاولات البشرية في هذا الطريق، وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين في كل محاولات البشرية البائسة القاصرة التي حاولتها في كل تجاربها الكسيحة، وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل المطلق، لأن الاحتكام فيه إلى الأمر الذي لا يشوبه غرض ولا هوى ولا يتعلق به نقص أو قصور[2]. ولم تنته محاولات الإصلاح منذ اندلاع القتال حتى توّج بالصلح العظيم الذي خطط له أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه.

* * *

[1] المصدر السابق نفسه (242/26) ؛ أحكام القرآن (150/4).

[2] في ظلال القرآن (3344/6).



المبحث الأول : الأحداث التي سبقت معركة الجمل

كانت فتنة مقتل عثمان رضـي الله عنه سـبباً في حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تلَتْها، وقد سـاهمت أسـباب عديدة في فتنة مقتل عثمان رضـي الله عنه؛ منها: الرخاء وأثره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهده، مجيء عثمان بعد عمر، وخروج كبار الصـحابة من المدينة، العصـبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تآمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المأخذ ضـد عثمان، اسـتخدام الأسـاليب والوسـائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة... وقد تمّ تفصـيل تلك الأسـباب في كتابي (تيسـير الكريم المنّان في سـيرة عثمان بن عفان)[1].

إن عثمان رضـي الله عنه كان الناس يحبونه حباً عظيماً، لحسـن سياسـته، ولمكانته من رسـول الله ﷺ، وأحاديثه في الثناء عليه، وزواجه من ابنتيه حتى سُمّي بذي النورين، فهو من الصحابة الكبار الذين بشروا بالجنة، ولقد تعرّض للظلم في حياته من بعض الغوغاء، وكان في اسـتطاعته أن يقضـي عليهم ولكنه امتنع خوفاً من أن يكون أول من يسـفك الدماء في أمة محمد ﷺ؛ فقد كانت سياسته في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعدل، وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء، وأحب أن يقي المسـلمين بنفسـه، ولذلك كان مقتله سـبباً لحدوث كثير من الفتن الأخرى، التي ألقت بظلالها على الأحداث المتتالية من الفتن، ولقد كان مقتله عظيماً على المسلمين، ولذلك تصدَّع المجتمع الإسلامي لهذا الحادث الجلل، وانقسم الناس.

ومما يزيد في مكانته وبراءته مما نسـب إليه؛ مواقف الصـحابة من قتله؛ فقد أجمع الجميع على براءته، واتفقوا على الأخذ بدمه، إلا أن المواقف اختلفت في الكيفية، وهذا ما سيأتي بيانه بإذن الله.

ونحب أن نسلط الأضواء على دور عبد الله بن سبأ في الفتنة عموماً:

أولاً: أثر السبئية في إحداث الفتنة:

1- السبئية حقيقة أم خيال؟ حقيقة عبد الله بن سبأ:

أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء، وخالف في ذلك قلة من المعاصـرين أكثرهم من الشـيعة، وحجة من أنكره: أنه من إبداع مخيلة سيف بن عمر التميمي، وذلك لانتقاد بعض علماء الرجال له في مجال رواية الحديث أن العلماء يعدونه حجة في الأخبار، علماً بأنه وردت روايات كثيرة عند ابن عسـاكر تذكر عن عبد الله بن سـبأ؛ ليس من بين رواتها سـيف بن

[1] عثمان بن عفان للصَّلّابي، ص 311 إلى 340.

عمر، وقد حكم الألباني على بعضها بأنها صحيحة من حيث السند[1]، وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبأ في كتب الشيعة؛ سواء في كتب الفرق أو الرجال أو الحديث عندهم، وليس فيها سيف بن عمر هذا لا من قريب ولا من بعيد.

وقد ابتدأ التشكيك في شخصية عبد الله بن سبأ[2] ووجوده، في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقد في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة، بغرض هدم النموذج السامي والصور المشرقة لهم عند المسلمين، وتابعهم على نفي وجود عبد الله بن سبأ بعض المعاصرين كلهم من الشيعة الرافضة لغاية في نفوسهم؛ وهي محاولتهم الفاشلة لتبرير أصل مذهبهم من مؤسسه الحقيقي كما أجمع القدماء جميعهم بما فيهم الشيعة، وتجدر الإشارة أن من أنكر عبد الله بن سبأ من المحسوبين على أهل السنة هم ممَّن تأثروا وتتلمذوا على أيدي المستشرقين، فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل، وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفرق، وتناقلت أفعاله الرواة، وطبقت أخباره الآفاق؟!

لقد اتفق المؤرِّخون والمحدِّثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئيَّة على وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذي ظهر في أخبار الفتنة، ودور ابن سبأ فيها، ولم تكن قصراً على تاريخ الإمام الطبري، واستناداً على روايات سيف بن عمر التميمي فيه، إنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدِّمين، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي، وآراء الفرق والنحل في تلك الفترة، إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري على غيره: أنه أغزرها مادة، وأكثر تفصيلاً لا أكثر، ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبد الله بن سبأ إلا من طريق سيف بن عمر حتى بعد ثبوت ذكره من الروايات صحيحة؛ ليس فيها سيف بن عمر كما أسلفنا؛ إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء، وتزييف الحقائق التاريخية، فمتى كانت المنهجية ضرباً من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضافرة؟! وهل تكون المنهجية في الضرب صفحاً والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟![3].

وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السنة كثيراً منها:ـ جاء ذكر السبئيَّة على لسان أعشى همدان[4] المتوفى عام 83هـ، وقد هجى المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة، بعدما فرّ مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سبئية ... وأني بكم يا شرطة الكفر عارفُ[5].

---

[1] دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي ، للعودة: ذكر فيها الطرق التي ذكرها الألباني.

[2] تحقيق مواقف الصحابة (284/1): ذكر تفاصيل مهمة؛ وكذلك: عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ، للعودة.

[3] دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي للعودة ؛ تحقيق مواقف الصحابة (70/1).

[4] هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني ، المعروف بأعشى همدان.

[5] ديوان أعشى همدان ، ص 148.

وهناك رواية عن الشعبي المتوفى عام 103هـ (721م) تفيد أن أول من كذب عبد الله بن سبأ[1].

وتحدث ابن حبيب[2] المتوفى عام 245هـ (860م) عن ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات[3].

وكما روى أبو عاصم خُشيش بن أصرم المتوفى سنة 253هـ خبر إحراق علي رضي الله عنه لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة[4].

ويعتبر الجاحظ[5] المتوفى سنة 255هـ من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ[6].

ولكن روايته ليست أقدم رواية عن ابن سبأ كما يروي الدكتور جواد علي[7]. وخبر إحراق علي بن أبي طالب رضي الله عنه لطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد[8].

ولفظ الزندقة ليس غريباً عن عبد الله بن سبأ وطائفته، يقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ[9].

ويقول الذهبي: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضالٌّ مُضِلّ[10].

ويقول ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة.. وله أتباع يقال لهم: السبئيّة معتقدون الإلهية في علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته[11].

ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل؛ يقول ابن حبان المتوفى 354هـ: وكان الكلبي ـ محمد بن السائب الأخباري سبئياً، من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا قبل الساعة.. وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها[12].

---

[1] تاريخ دمشق ، ابن عساكر (331/9).
[2] تاريخ بغداد (277/2).
[3] عبد الله بن سبأ للعودة ، ص 53 ؛ المحبر ، ابن حبيب ، ص 308.
[4] تذكرة الحفاظ (551/2) ؛ شذرات الذهب (129/2).
[5] وفيات الأعيان (470/3).
[6] البيان والتبيين (81/3).
[7] تحقيق مواقف الصحابة (290/8).
[8] عبد الله بن سبأ للعودة ، ص 53.
[9] مجموع الفتاوى (483/28).
[10] ميزان الاعتدال للذهبي (426/2).
[11] لسان الميزان لابن حجر (360/3).
[12] المجروحين من المحدثين ، أبو حاتم (253/2).

كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة السبئية، إلى عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من اليمن، كان يهودياً وأظهر الإسلام[1].

ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ؛ إذ أورد ابن عساكر في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها، وهي تثبت وجود ابن سبأ وتؤكد أخباره[2]، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، المتوفى سنة 728هـ: أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة؛ فإنه ابتداع ابن سبأ الزنديق، الذي أظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه، وادَّعى العصمة له[3].

ويشير الشاطبي[4]، المتوفى عام 790هـ: إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله ـ تعالى ـ، وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات[5].

وفي خطط المقريزي، المتوفى عام 845هـ: أن عبد الله بن سبأ قام من زمن علي مُحدثاً القوم بالوصية والرجعة والتناسخ[6].

وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سبأ، فقد روى الكشي عن محمد بن قولوية، قال: حدثني سعد بن عبد الله، قال: حدثني يعقوب بن يزيد، ومحمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب الأزدي، عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادّعى الرّبوبية في أمير المؤمنين، وكان ـ والله ـ أمير المؤمنين عبداً طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقول في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم[7]. والرواية عند الشيعة من حيث السند صحيحه[8]. على لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل[9].

وقد ذكر الدكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ؛ فهي أشبه ما تكون وثائق مسجلة تدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار عبد الله بن سبأ، أو التشكيك في أخباره،

---

[1] الأنساب (24/7).
[2] تحقيق مواقف الصحابة (298/1) ، عبد الله بن سبأ للعودة ، ص 54.
[3] مجموعة الفتاوى لابن تيمية (435/4).
[4] إبراهيم بن موسى ، محمد الغرناطي ، توفي عام 790 هـ.
[5] الاعتصام (197/2).
[6] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، المقريزي (256/2 . 257).
[7] رجال الكشي (324/1).
[8] عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيعة ، لمحمد علي المعلم ، ص 30.
[9] عبد الله بن سبأ ، سليمان العودة ، ص 62.

بحجة قلة، أو ضعف المصادر التي حكت أخباره[1].

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السنية والشيعية المتقدمة والمتأخرة على السواء، وهي كذلك أيضاً عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهاوزن[2]، وفان فولتن[3]، وليفي ديلافيدا[4]، وجولد تسهير[5]، ورينولد نكلسن[6]، وداويت رونلدس[7].. على حين يبقى ابن سبأ محلَّ شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين؛ أمثال: كيتاني وبرنارد لويس[8]، وفريد لندر المتأرجح[9]، علماً بأننا لا نعتد بهم في أحداث تاريخنا.

ومن استقرأ المصادر، سواء القديمة والمتأخرة، عند السنة والشيعة، يتأكد له بأن وجود ابن سبأ كان وجوداً تؤكِّده الروايات التاريخية، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرجال والأنساب، والأدب، واللغة، وسار على هذا النهج كثير من المحقِّقين والباحثين المحدثين، ويبدو أن أول من شكك في وجود ابن سبأ المستشرقون، ثم دعّم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المعاصرين، بل وأنكر بعضهم وجوده البتة، وبرز من الباحثين العرب المعاصرين من أعجب بآراء المستشرقين، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء جميعاً ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم إلا الشك ذاته، والاستناد إلى مجرد الهوى والظنون والفرضيات[10]. ومن أراد التوسع في معرفة المراجع والمصادر السنية والشيعية والاستشراقية التي ذكرت ابن سبأ؛ فليراجع: (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة)، للدكتور محمد أمحزون، و(عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام)، للدكتور سليمان بن حمد العودة.

2- دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة:

في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي، نتيجة عوامل التغيير التي ذكرناها، وأخذ بعض اليهود يتحيَّنون فرصة الظهور مستغلِّين عوامل الفتنة، ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ومن هؤلاء: عبد الله بن سبأ الملقَّب بابن السوداء، وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض

---

[1] المصدر السابق نفسه.
[2] الخوارج والشيعة ، يوليوس فلهاوزن ، ص 170
[3] السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ، ص 80.
[4] تحقيق مواقف الصحابة (321/1).
[5] العقيدة والشريعة الإسلامية ، جولد تسهير ص 229.
[6] تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية ، ص 235.
[7] عقائد الشيعة ، ص 58.
[8] أصول الإسماعيلية ، ص 86.
[9] تحقيق مواقف الصحابة (312/1).
[10] المصدر السابق نفسه.

المغالين في تضخيم دوره في الفتنة[1]، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبه في أحداث الفتنة، كعامل من عواملها، على أنه أبرزها وأخطرها، إذ إنّ هناك أجواء للفتنة مهّدت له، وعوامل أخرى ساعدته، وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادّعاها واخترعها من قبل نفسه، وافتعلها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروّجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه، وهو الدّسّ في المجتمع الإسلامي بغية النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة، وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدّت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وتفرُّق الأمة شيعاً وأحزاباً[2].

وخلاصة ما جاء به: أن أتى بمقدِّمات صادقة وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذج الغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية؛ لبّس فيها على من حوله حتى اجتمعوا عليه، فطرق باب القرآن بتأوّله على زعمه الفاسد؛ حيث قال: لَعجَبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآن لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: 85]. فمحمد أحق بالرجوع من عيسى[3].

كما سلك طريق القياس الفاسد من ادِّعاء إثبات الوصية لعلي رضي الله عنه؛ بقوله: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصيَّ محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء[4].

وحينما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان رضي الله عنه، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم؛ حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصيّ رسول الله ﷺ، وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها لغير حق، وهذا وصيّ رسول الله ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر[5].

وبث دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرّون غير ما يبدون، فيقول: أهل كل مصر: إنّا لفي عافية مما فيه

---

[1] مثل سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة).

[2] تحقيق مواقف الصحابة (327/1).

[3] تاريخ الطبري (347/5).

[4] المصدر السابق نفسه..

[5] المصدر السابق نفسه (348/5).

الناس[1] ويظهر في النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي، وجعل الثاني مغتصباً وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرّك الناس . خاصة في الكوفة ـ على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علماً بأنه ركّز في حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقرّاء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيّج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان؛ مثل: تحيزه لأقاربه، وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه... إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرّك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان رضي الله عنه مع براءته.

ثم إنه أخذ يحضُّ أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا يتخيَّل الناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السبئيّة، لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي[2].

هذا وقد شعر عثمان رضي الله عنه بأن شيئاً ما يحاك في الأمصار، وأن الأمة تمخض بشرٍّ فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها[3].

على أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو في مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان رضي الله عنه، ويحثّ الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة؛ بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب على وصي رسول الله ﷺ ـ يقصد[4] علياً ـ. وقد غشَّهم بكتب ادّعى أنها وردت من كبار الصحابة، حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعاً، حيث تبرؤوا مما نسب إليهم من رسائل تُؤَلِّب الناس على عثمان[5]، ووجدوا عثمان مقدراً للحقوق، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، وردّ عليهم افتراءهم وفسّر لهم صدق أعماله، حتى قال أحد زعمائهم؛ وهو مالك بن الأشتر النخعي: لعلّه مُكر به وبكم[6]؟!.

ويعتبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيّج للفتنة بمصر، وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة، ثم على أمير المؤمنين عثمان

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] الدولة الأموية ، يوسف العش ، ص 168 ؛ مواقف الصحابة (330/1).

[3] تاريخ الطبري (250/5).

[4] المصدر السابق نفسه (348/5) ؛ تحقيق مواقف الصحابة (330/1).

[5] تاريخ الطبري (348/5) ؛ تحقيق مواقف الصحابة (330/1).

[6] تحقيق مواقف الصحابة (331/1).

فيها[1].

ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان عمله ضمن شبكة من المتآمرين، وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر وتجنيد الأعراب والقراء وغيرهم. ويروي ابن كثير أن من أسـباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سـبأ وذهابه إلى مصـر، وإذاعته بين الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشرٌ كثير من أهل مصر[2].

إن المشـاهير من المؤرخين والعلماء من سـلف الأمة وخلفها يتفقون على أن ابن سـبأ ظهر بين المسـلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئيَّة، ليلفت المسـلمين عن دينهم وطاعة إمامهم، ويوقع بينهم الفرقة والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكوّنت به الطائفة السـبئيّة المعروفة التي كانت عاملاً من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وما ترتب على قتله من فتن؛ كمعركة الجمل وصـفين وغيرها... والذي يظهر من خطط السـبئيَّة أنها كانت أكثر تنظيماً، إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشـر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس، كما كانت نشيطة في تكوين فروع لها سواء في البصرة أو الكوفة أو مصر، مستغلة العصبية القبلية، ومتمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالي، عارفة بالمواضع الحساسة في حياتهم وبما يريدون[3].

ثانياً: اختلاف الصحابة في الطريقة التي يأخذها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه:

إن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين علي من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى، ثم بعد ذلك بين علي ومعاوية؛ لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون في خلافة أمير المؤمنين علي وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين، فقد كان هذا محلّ إجماع بينهم.

قال ابن حزم: ولم ينكر معاوية قط فضـل عليّ واسـتحقاقه الخلافة، ولكنّ اجتهاده أدّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان[4].

وقال ابن تيمية: ومعاوية لم يدَّع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل علياً، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقرّ بذلك لمن سـأله عنه، ولا كان معاوية وأصـحابه يرون أن يبتدئوا علياً وأصـحابه

---

[1] المصدر السابق نفسه (338/1).

[2] البداية والنهاية (168/7 ، 167).

[3] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (339/1).

[4] الفصل في الملل والأهواء والنحل (160/4).

بالقتال، ولا فعلوا[1]...

وقال أيضـاً:... وكلّ فرقة من المتشـيعين مقرّة مع ذلك بأنه ليس معاوية كفئاً لعلي بالخلافة، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي، فإنّ فضل عليّ وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم[2].

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحاً في خلافة أمير المؤمنين عليّ رضـي الله عنه، وإنما اختلافهم في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية، إذ كان أمير المؤمنين علي موافقاً من حيث المبدأ على وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان، وإنما كان رأيه أن يرجئ الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة[3].

قال النووي: واعلم أن سبب تلك الحروب: أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام:

قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغٍ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغي عليه.

وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم؛ لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه[4].

---
[1] مجموع الفتاوى (72/35).
[2] مجموع الفتاوى (72/35).
[3] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص 158.
[4] شرح النووي على صحيح مسلم (149/15).

ثالثاً: موقف المطالبين بدم عثمان كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية ومن كان على رأيهم:

1- السيدة عائشة أم المؤمنين:

لما سمعت السيدة عائشة رضي الله عنها بموت عثمان في طريق عودتها من مكة إلى المدينة رجعت إلى مكة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الحجر فتستَّرت فيه، واجتمع الناس إليها، فقالت:

أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإرب[1]، واستعمال من حدثت سنُّه، وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها، فتابعهم، ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم، فلما لم يجدوا حجة ولا غدراً خلجوا[2]، وبادروا بالعدوان، نبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، واستحلوا الشهر الحرام، والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم، فنجاة[3] من اجتماعكم عليه حتى يَنْكل بهم غيرهم[4]، ويشرَّد[5] من بعدهم. والله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً؛ لَخلُص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء[6].

وجاء في رواية: أن عائشة حين انصرفت راجعة إلى مكة، أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي ـ أمير مكة ـ فقال لها: ما ردّك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردَّني أن عثمان قُتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزّوا الإسلام[7].

وقد ثبت بالنصوص الصحيحة الصريحة ثناء السيدة عائشة على عثمان، ولعنها لمن قتله، وروت في حقه أحاديث عن رسول الله ﷺ في فضائله؛ فعن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية، عن أمها: أنها سألت عائشة، عندما أرسلها عمّها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقالت: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعداً عند نبي الله، وإن رسول الله ﷺ مسند ظهره إليَّ، وإن جبريل عليه السلام ليوحي إليه القرآن، وإنه ليقول: «أُكتب عثمان»، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله[8].

---

(1) الإرب: الحاجة والدهاء والفطنة والعقل.

(2) خلجوا: تحركوا واضطربوا.

(3) نجاة: اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم.

(4) ينكل بهم غيرهم: حتى يروعهم ويروّع بهم غيرهم.

(5) يشرّد: يفرق ويبدد جمعهم.

(6) تاريخ الطبري (473/5 ، 474).

(7) المصدر السابق نفسه (475/5).

(8) المسند (250/6 . 260) ؛ تحقيق مواقف الصحابة (378/1).



وعن مسروق، عن عائشة قالت: حين قُتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون؛ ما كتبت إليه بسوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا[1].

وقد مر معنا كذب السبئيين في كتابين عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار ونسبوها كذباً وزوراً للسيدة عائشة، وقد جاءت رواية موضوعة، وضعيفة، أسانيدها واهية من رواية الكذابين، وللأسف اتبعها بعض المعاصرين، وراجت عليهم هذه الأكاذيب، وصورت العلاقة بين عائشة وعثمان رضي الله عنهما على صورة مناقضة تماماً للروايات الصحيحة السالفة الذكر، وزعمت تلك الروايات الكاذبة بأن السيدة عائشة رضي الله عنها ألَّبت على عثمان رضي الله عنه وقالت بوجود خلاف بينهما، ونسبت إليها الاشتراك شبه الفعلي في قتله، ونقل ذلك الطبري، ونقل عن الطبري الكثير من المؤرخين، وإليك مثال على ذلك:

ما ذكره الطبري، قال: كتب إليَّ عليّ بن أحمد بن الحسن العجلي: أن الحسين بن نصر العطار، قال: حدثنا سيف بن عمر، عن محمد بن نويرة، وطلحة بن الأعلم الحنفي قال: وحدثنا عمر بن سعد، عن أسد بن عبد الله، عمن أدرك من أهل العلم: أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف[2] راجعة إلى مكة، لقيها عبد بن أم كلاب ــ وهو عبد بن أبي سلمة، ينسب لأمه ــ فقالت له: مهيم، قال: قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فمكثوا ثمانياً، قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب. فقالت: ردُّوني، ردوني، والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك.

فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟! فوالله، إن أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً[3] فقد كفر. قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت، وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب:

فمنك البَدَاء ومنكِ الغِيَر	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا: إنه قد كفر

---

[1] فتنة مقتل عثمان (391/1) ؛ وتاريخ خليفة ، ص 176. إسناده صحيح إلى عائشة.

[2] سرف: مكان بين مكة والمدينة على ستة أميال من مكة.

[3] نعثل: رجل من أهل مصر كثيف شعر اللحية ، كان يشبه عثمان.

فانصـرفت إلى مكة فنزلت على باب المسـجد فقصـدت الحجر، فتسـتَّرتْ واجتمع إليها الناس، فقالت: إن عثمان قُتل مظلوماً، ووالله لأطلبن بدمه[1].

رويت هذه الرواية كما رأينا من طريقين عند الطبري: ويكفي أن في رجال الإسناد نصر بن مزاحم العطار المجروح في كتب الرجال بالصفات الآتية: شيعي، منكر، تركوه، جلد[2]. وأما الطريق الثاني ففي إسناده عمر بن سعد وهو قائد السرية الذين قاتلوا الحسين رضي الله عنه، وهو عند رجال الحديث لا يصح حديثه، متهم بالوضع، متروك[3]؛ فالرواية غير مقبولة الإسناد في أي من طريقي روايتها[4].

وقد جاءت روايات في كتب التاريخ والأدب ضعيفة وموضوعة لا تثبت أمام النقد العلمي، سارت على النهج المظلم في تشويه السيدة عائشة رضي الله عنها[5].

إن الروايات التي جاءت في (العقد الفريد)، وفي كتاب (الأغاني)، و(تاريخ اليعقوبي)، و(تاريخ المسعودي)، و(أنساب الأشراف)، وغيرها من الكتب، وما انتهت إليه من استدلالات في شأن الدور السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها في حياة عثمان بن عفان رضي الله عنه، لا يعتدُّ بها لمخالفتها للروايات الصحيحة وقيامها على روايات واهية، فأغلبها روايات غير مسندة، والمسند مجروح الإسناد لا يحتجّ بروايته، هذا إضافة إلى فساد متونها إذا ما قورنت بالروايات الأخرى الأكثر صحة وقرباً للحقيقة[6].

وقد قامت السيدة الفاضلة والباحثة القديرة أسماء محمد أحمد زيادة بدراسة الأسانيد والمتون للروايات التي تحدثت عن الدور السياسي للسيدة عائشة في أحداث الفتنة، ونقدت الروايات القائلة بالخلاف السياسي بين عائشة وعثمان عند الطبري وغيره، وبيَّنت زيفها وكذبها، ثم قالت: وكان الأحرى بنا أن نعرض عن ذكرها جميعاً، لعدم وصولها إلينا عن طريق معتمد، بل الطرق التي وصلت منها رُمي أصحابها بالتشيع والكذب والرفض، ولكننا عرضنا لها، لشيوعها في أغلب الدراسات الحديثة، وللتدليل على سقوطها، فهي روايات ــ كما اتضح لنا حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلاً من الخلاف والتنكر بين عثمان وعائشة، وبين عثمان والصحابة جميعاً[7].

---

[1] تاريخ الطبري (485/5)
[2] المغني في الضعفاء (696/2) ؛ ميزان الاعتدال (24/7) ؛ التاريخ الكبير (105/8).
[3] سير أعلام النبلاء (349/4) ؛ الطبقات (168/5).
[4] دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء ، ص 354.
[5] المصدر السابق نفسه ص 352.
[6] دور المرأة السياسي ، ص 370.
[7] المصدر السابق نفسه.

ولو صح أن عائشة اتفقت مع المتمردين على التحريض على عثمان رضي الله عنه؛ لكان من المتوقع أن يكون عندها نوع من التماس العذر لهؤلاء المتمرِّدين، لكن لم يصح عنها رضي الله عنها شيء من هذا، وإنه لو صح شيء من هذه الروايات في وصف موقف السيدة عائشة رضي الله عنها، وعن الصحابة الذين اشتركوا معها، وهو ما لا نقبل به للخبر الصادق عن الله ورسوله في تقرير عدالتهم التي كانت كافية لدحض هذه الروايات، لكننا توقفنا أمام الروايات، تأكيداً منا على سقوط هذه الروايات ومن بعدها الاستدلالات القائمة عليها، حتى تجتمع الأدلة الدينية، والعلمية، والتاريخية في صعيد واحد يؤكد بعضها[1] بعضاً. إن الاتهامات التي وجهت إلى السيدة عائشة لا تثبت سنداً ولا تقوم أمام الأدلة العقلية أيضاً.

2- طلحة والزبير رضي الله عنهما:

طلب طلحة والزبير ومن معهم من الصحابة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تعجيل إقامة القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، فقال لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يا إخوتاه! إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟! هاهم أولاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثاب إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟، قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، إن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرَع شريعة قطّ فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً. إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق، فاهدوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا[2].

ولكن هذه السياسة الحكيمة، لم يتفهّم بها بعضهم؛ فالناس في حال غضبهم وسيرهم وراء عواطفهم لا يدركون الأمور إدراكاً واقعياً يمكنهم من التقدير الصحيح، فتنعكس في تقديرهم الأوضاع، ويظنون المستحيل ممكناً، ولذلك قالوا: نقضي الذي علينا ولا نؤخره[3]، وهم يعنون الطلب لإقامة الحدود على قتلة عثمان[4]، وأخبر علي بمقالتهم، فرغب أن يريهم أنه لا يستطيع وإياهم أن يفعلوا شيئاً في مثل تلك الظروف، فنادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتذامرت السبئيَّة والأعراب وقالوا: لنا غداً مثلها ولا نستطيع أن نحتجّ فيهم بشيء[5]. وكأن رواد الفتنة من السبئيَّة تبادر إلى أذهانهم أن

---

[1] المصدر السابق نفسه ، ص 371.
[2] تاريخ الطبري (460/5).
[3] المصدر السابق نفسه.
[4] الدور السياسي ، ص 378.
[5] تاريخ الطبري (460/5).



الخليفة يريد أن يجرّدهم من أعواتهم الذين يشدّون أزرهم، ويقضون إلى جوارهم، فعصوا ذلك الأمر، وحرّضوا الأعراب على البقاء، فأطاعوهم وبقوا في أماكنهم، ففي اليوم الثالث بعد البيعة خرج عليّ وقال لهم: أخرجوا عنكم الأعراب، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم. فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب، ثم دخل بيته ودخل عليه طلحة والزبير في عدة من أصحاب النبيﷺ، فقال: دونكم ثأركم، فقالوا: عشوا عن ذلك[1]، فقال لهم علي: هم والله بعد اليوم أعشى وابى، ثم أنشد يقول:

لو أن قومي طاوعتني سراتهم أمرتهم أمراً يديخ الأعاديا[2]

حتى هذه اللحظة فإن علياً وطلحة والزبير والصحابة جميعاً كانوا يَبْدون متفقين تماماً على ضرورة إقامة الحدود على من فرقوا أمر الجماعة وخالفوا وقتلوا الخليفة، دفعاً لضررهم عن الدين كله، وكانوا متعاونين في ذلك، وكان الأمر يبدو منطقياً تماماً من علي رضي الله عنه، واتفق معه الصحابة في ذلك، ولكن كيف يصنعون لهؤلاء الغوغاء الذين تحكَّموا في الأمور، وحركوا معهم العبيد والأعراب، وهم بين أهل المدينة يسومونهم ما شاؤوا. لم تكن هناك إذَنْ قدرة على قتالهم[3].

وتقدم طلحة والزبير بمقترح لعلي لمواجهة السبئية الموجودة حول علي، فقد قال طلحة لعلي: دعني فلآتِ البصرة، فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، وقال الزبير: دعني آتِ الكوفة، فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل[4]، ولكن علياً ـ رضي الله عنه ـ نراه يتريث ويقول لهما: حتى أنظر في ذلك[5].

ولعل علياً كان يخشى الفتنة وتحوّل الأمر إلى حرب أهلية داخل المدينة لا تحمد عقباها، ولذلك لم يجب طلحة والزبير إلى مطلبهما[6]. وكان اقتراح الزبير وطلحة على علي دليلاً على اقتناعهما في الوقت نفسه بما قال علي رضي الله عنهم جميعاً من كون هؤلاء الغوغاء متغلغلين في داخل الصف، يملكون المسلمين ولا يملكهم المسلمون، فحاولا بهذا الطلب اختصار وقت تعطيل حد من حدود الله، وتقوية جانب علي حتى يتمكن من إقامتها، على أن الصحابة قد انتظروا أن ينظر عليٌّ في ذلك، لكن علياً رضي الله عنه كان يرى أن هذا الأمر الذي وقع لا يُدرك إلا بإماتته، وإنها فتنة من النار كلما سُعّرت

---

[1] عشوا: عشا: ساء بصره ، وهنا لم يروا.
[2] تاريخ الطبري (461/5).
[3] فتح الباري (360/12).
[4] تاريخ الطبري (461/5).
[5] المصدر السابق نفسه.
[6] تحقيق مواقف الصحابة (108/2).

ازدادت واستنارت[1].

ولما رأى الزبير وطلحة ومن وافقهما من الصحابة أن أربعة أشهر قد مرت على مقتل عثمان، ولم يستطع علي أن يقيم القصاص على قتلة عثمان بسبب أن الخارجين على عثمان لهم شوكة وقوة وتغلغل في جيش علي، عندئذ قال طلحة والزبير لعلي: ائذن لنا أن نخرج من المدينة، فإما أن نكابر[2] وإما أن تدعنا، فقال: سأمسك الأمر، ما استمسك، فإذا لم أجد بُدّاً فآخر الدواء الكي[3].

فقد كان عليّ رضي الله عنه يعرف أن خروجهما من المدينة كان محاولة منهما للوصول إلى حل، فلم يمنعهما من ذلك، ربما لأنه كان يتمنى الوصول إلى حل أيضاً، بل كان يحاوله ولكن بطريقته الخاصة[4].

وقد خاض بعض الباحثين المعاصرين في تفسير النص المتعلق باستئذان طلحة والزبير في الذهاب للبصرة والكوفة والمجيء بخيل من هناك لدحر الغوغاء، وامتناع علي عن الموافقة ـ بالباطل ـ، وقالوا: إنه تخوف جانب الرجلين، ويخشى أن يعيداها عليه جذعة ويستنا به سنة أهل مصر بعثمان ويكون له معهما يوم كيوم الدار[5]، وتفسير كهذا تحميل للنص فوق ما يحتمل[6]، وفيه ظلم وتجاوز في حق صفوة الصحابة.

لقد ذهب الزبير وطلحة رضي الله عنهما إلى مكة والتقوا بكَمٍّ غفير من المسلمين المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، وسوف يأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل بإذن الله.

3– معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

شاع بين الناس قديماً وحديثاً: أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ــ كان سببه طمع معاوية في الخلافة، وأن خروج هذا الأخير على عليّ وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام، فقد جاء في كتاب (الإمامة والسياسة). المنسوب لابن قتيبة الدينوري[7] رواية تذكر أنّ معاوية ادّعى الخلافة، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: اعلم أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادعى الخلافة من

---

[1] تاريخ الطبري (467/5)، دور المرأة السياسي، ص 380.
[2] نكابر: أي نجاهد ونغالب على الأمر.
[3] تاريخ الطبري (368/5) ، دور المرأة السياسي ، ص 380.
[4] دور المرأة السياسي ، ص 380 ، 381.
[5] الخلفاء الراشدون ، ص 372.
[6] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص 118.
[7] هذا الكتاب لا يثبت لابن قتيبة ، وإنما كاتبه رافضي محترف ، وسيأتي الحديث عنه في نهاية هذا الفصل.

غير مشورة فإن صدقك فقد حلّ خلعه، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه[1]. وهذا كلام لا يثبت عن أمير المؤمنين علي، وإنما من كلام الروافض وسيأتي الحديث عن كتاب (الإمامة والسياسة) وبيان كذبه وزوره ودوره في تشويه حقائق التاريخ في موضعه بإذن الله.

وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضوعة والضعيفة، التي تزعم: أن معاوية اختلف مع علي من أجل الملك والزعامة والإمارة[2].

والصحيح: أن الخلاف بين عليّ ومعاوية ــ رضي الله عنه ــ كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فقد كان رأي معاوية ـ رضي الله عنه ـ ومن حوله من أهل الشام أن يقتصَّ عليّ ـ رضي الله عنه ـ من قتلة عثمان، ثم يدخلون بعد ذلك في البيعة[3].

ويقول القاضي ابن العربي: إن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما: فهؤلاء ـ أي: أهل العراق ـ يدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام، وهؤلاء ـ أي: أهل الشام ـ يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يؤوي القتلة[4].

ويقول إمام الحرمين الجويني في (لمع الأدلة): إن معاوية وإن قاتل علياً، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدَّعيها لنفسه. وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظناً منه أنه مصيب، وكان مخطئاً[5].

ويقول الهيتمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة: أنّ ما جرى بين معاوية وعليّ ـ رضي الله عنهما ـ من الحروب، فلم يكن لمنازعة معاوية لعليّ في الخلافة للإجماع على أحقِّيتها لعليّ.. فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ابن عمّه، فامتنع علي[6].

لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أنّ معاوية ــ رضي الله عنه ــ اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي ـ رضي الله عنه ـ إذا أقيم الحدّ على قتلة عثمان. ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي طمعاً في السلطان، فماذا سيحدث لو تمكَّن علي من إقامة الحد على قتلة عثمان؟! حتماً ستكون النتيجة خضوع

---

(1) الإمامة والسياسة (113/1).

(2) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (145/2).

(3) البداية والنهاية (129/8) ؛ فتح الباري (92/13).

(4) العواصم من القواصم ، ص 162.

(5) لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة ، ص 115.

(6) الصواعث المحرقة (622/2)، وهذا اجتهاد معاوية، وإن كان الصواب هو أن يسلم معاوية ويطالب بالدعوة.

معاوية لعلي ومبايعته له، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحدّ على قتلة عثمان، على أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع[1].

إن معاوية ــ رضي الله عنه ــ كان من كتّاب الوحي، ومن أفاضل الصحابة، وأصدقهم لهجة، وأكثرهم حلماً، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل مُلْك زائل؟! وهو القائل: والله لا أخيَّر بين أمرين، بين الله وبين غيره؛ إلا اخترت الله على ما سواه[2]، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال فيه: «اللهم اجعله هادياً مهدياً واهديه»[3]، وقال: «اللهم علمه الكتاب وقِهِ العذاب»[4].

أما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ فيظهر في رفضه أن يبايع لعليّ ـ رضي الله عنه ـ قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان، ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء وحرصهم على قتله، بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل في الطاعة، ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده[5]، وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتصّ من أحد ويأخذ حقه دون السلطان، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر، لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى[6].

ويمكن القول: إن معاوية ــ رضي الله عنه ــ كان مجتهداً متأولاً يغلب على ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكّرهم أنه ولي عثمان ـــ ابن عمه ـــ وقد قتل مظلوماً، وقرأ عليهم الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: 33]. ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفني الله أرواحهم[7].

وإذا قارنّا بين طلحة والزبير ــ رضي الله عنهما ــ ومعاوية؛ لاحظنا أن طلحة والزبير رضي الله عنهما أقرب إلى الصواب من معاوية ـ رضي الله عنه ـ من أربعة أوجه؛ كان **أولها**: مبايعتهما لعليّ طائعين مع اعترافهما بفضله، ومعاوية لم يبايعه وإن كان

---

[1] تحقيق مواقف الصحابة (150/2).
[2] سير أعلام النبلاء (151/3).
[3] صحيح سنن الترمذي للألباني ، رقم 3018 (236/3).
[4] فضائل الصحابة (913/2) إسناده حسن.
[5] تحقيق مواقف الصحابة (151/2).
[6] تفسير القرطبي (256/2).
[7] صفين لابن مزاحم ، ص 32 ؛ تحقيق مواقف الصحابة (152/2).

معترفاً بفضله[1].

والثاني: منزلتهما في الإسلام وعند المسلمين، وسابقتهما، ومعاوية لا شك دونهما فيها[2].

الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج على عثمان فقط، ولم يتعمَّدوا محاربة علي ومن معه في وقعه الجمل[3]، بينما أصـــر معاوية على حرب عليّ ومن معه في صفين[4].

والرابع: لم يتهما علياً بالهوادة في أخذ القصاص من قتلة عثمان، ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك[5].

رابعاً: موقف معتزلي الفتنة:

اعتمد كثير من الصحابة ممن اعتزلوا الفتنة ـ رضوان الله عليهم ـ، على قول رسول الله ﷺ: «ستكون فتن؛ القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرّف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً فليعذ به»[6].

قال ابن حجر: ففي الحديث تحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرّها يكون بحسب التعلق بها[7].

وقال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيراً من الجالس، والجالس فيها خيراً من القائم، والقائم خيراً من الماشي، والماشي خيراً من الساعي»، قالوا: يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال: «من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضـــه»، قالوا: فمن لم يكن له شـــيء؟ من ذلك؟ قال: «يعمد إلى سيفه فيضرب بحدّه على حرّة، ثم لينجُ ما استطاع النجاء»[8].

وقال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»[9].

وغير ذلك من الأحاديث التي تدعو صراحة إلى النهي عن الدخول في قتال الفتنة.

---

[1] البداية والنهاية (129/8) ؛ فتح الباري (92/13).

[2] كان طلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة.

[3] تحقيق مواقف الصحابة (113/2) ؛ تاريخ الطبري (475/5).

[4] تاريخ الطبري (612/5 . 615).

[5] تحقيق مواقف الصحابة (139/2) ؛ البداية والنهاية (259/7).

[6] البخاري ، كتاب الفتن ، رقم 7081.

[7] الفتح (31/13).

[8] مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة.

[9] البخاري ، كتاب الفتن ، رقم 7088.

قال الجويني: قد صار طوائف من جلة أصحاب رسول الله ﷺ إلى التخلف عن القتال في زمن علي رضي الله عنه، وإيثار السكون، والركوب إلى السلام، والتباعد عن ملتطم الغوائل، منهم: سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[1]، وكان من العشرة المبشرين بالجنة، وممن تخلف أولاً: أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو أيوب الأنصاري، وتبع هؤلاء أمم من الصحابة ولم يشتد نكير علي عليهم[2].

وقد ذهب ابن حجر رحمه الله إلى أن الصحابة الذين اعتزلوا كانوا قلة، قال: ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عدداً من الذين قاتلوا، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا[3].

وقال ابن تيمية: وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا، لا من هذا الجانب، ولا من هذا الجانب، واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبيﷺ في ترك القتال في الفتنة، وبيّنوا أن هذا قتال فتنة[4].

وقد ذهب الإمام القرطبي إلى أن العلة في توقف الصحابة عن المشاركة في القتال مع الإمام علي هو أن قتال الفئة الباغية فرض كفاية وليس فرض عين، فلذلك تخلف أمثال سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم[5]، **وإليك طرفاً من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة.**

1- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

كان سعد رضي الله عنه أفضل الصحابة بعد علي رضي الله عنه يوم صفين، ولما قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تقاتل؟ إنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك، قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان! يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد[6].

وأخرج مسلم من حديث عامر قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر، فلمّا رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الرّاكب. فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت النّاس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت. سمعت رسول الله يقول: «إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي»[7].

---

[1] من العشرة المبشرين بالجنة ، توفي 51 هـ. تهذيب التهذيب (30/4).
[2] غياث الأمم في تياث الظلم ، ص 85 . 86.
[3] فتح الباري (34/13).
[4] مجموع الفتاوى (55/35).
[5] تفسير القرطبي (319/16).
[6] مجمع الزوائد (299/7) ، رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح.
[7] مسلم (2244/4).

2- محمد بن مسلمة رضي الله عنه:

عن الحسن: أن علياً بعث إلى محمد بن مسلمة فجيء به، فقال: ما خلفك عن هذا الأمر؟ قال: دفع ابن عمك ــ يعني النبيﷺ ــ سيفاً، فقال: «قاتل به ما قوتل العدو، فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضاً، فاعمد به إلى صخرة، فاضربه بها، ثم الزم بيتك، حتى تأتيك منية قاضية، أو يد خاطئة»، قال: خلوا عنه[1].

3- أبو موسى الأشعري رضي الله عنه:

عن زيد بن وهب قال:... جاءنا قتل عثمان، فجزع الناس من ذلك، فخرجت إلى صاحب لي كنت أستريح إليه، فقلت: قد منع الناس ما ترى، وفينا رهط من أصحاب محمد ﷺ، فاذهب بنا إليهم، فدخلنا على أبي موسى، وهو أمير الكوفة، فكان قوله نهياً عن الفتنة، والأمر بالجلوس في البيوت[2].

وأخرج الطبري في قصة قدوم ابن عبّاس والأشتر إلى الكوفة لاستنفار الناس: أنّ أبا موسى قام ــ وكان يومها أميراً على الكوفة ــ فدعا الناس إلى لزوم البيوت، ووضع السيوف في أغمادها، وكان مما قاله يومئذ:... فإنها فتنة صمّاء، النّائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فاغمدوا السيوف، وأنصلوا الأسنّة واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم المضطهد، حتى يلتئم الأمر وتنجلي هذه الفتنة[3].

وقال أيضاً: إنّ الفتنة إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت تبينت، وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن، تجري بها الشمال والجنوب والصّبا والدبور، فتسكن أحياناً، فلا يدرى من أين يؤتى، تذر الحليم كابن أمس، شيموا سيوفكم، وقصّوا رماحكم، وأرسلوا سهامكم، واقطعوا أوتاركم، والزموا بيوتكم[4].

وكان أبو موسى يستدل لموقفه بما رواه عن رسول الله ﷺ من النهي عن الدخول في الفتنة والأمر بتكسير القسيّ، وتقطيع الأوتار، وضرب السيوف بالحجارة، والرضا بمنزلة ابن آدم المقتول[5]، فعن أبي موسى الأشعري: أن رسول الله ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فاكسروا قسيكم، واقطعوا أوتاركم، واضربوا بسيوفكم بالحجارة، فإن

---

[1] مسند أحمد (225/4) فيه انقطاع وله طريق اخر رواه الطبراني في الكبير (177/12 . 178) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (301/7): ورجاله ثقات.
[2] تاريخ ابن عساكر (ص 487 . 488).
[3] تاريخ الطبري (513/5). جراثيم العرب: أصل العرب.
[4] تاريخ الطبري (515/5) ، باقرة: مفرقة ، الصبا: الريح الشرقية.
[5] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص 181.

دخل ـ يعني على أحد منكم ـ فليكن كخير ابن آدم»[1].

4- عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

قالت عائشة رضي الله عنها: ما أعلم رجلاً سلمه الله من أمور الناس واستقام على طريقة من كان قبله استقامة عبد الله بن عمر[2]. وعن سعيد بن جبير قال: خرج علينا عبد الله بن عمر، فرجونا أن يُحدّثنا حديثاً حسناً، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن! حدّثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: 193]. فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمّك؟! إنمّا كان محمد يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك[3].

وعن نافع: أن رجلاً قال لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9].

فقال: لأن أعتبر بهذه الآية فلا أقاتل، أحبّ إليّ من أن أعتبر بالآية التي يقول فيها: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: 93]، ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: 193]. قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً، وكان الرّجل يفتن في دينه، إمّا أن يقتلوه، وإمّا أن يسترقّوه، حتى كثر الإسلام، فلم تكن فتنة[4].

وقد ورد أن أمير المؤمنين علي حَمِد لابن عمر وسعد بن أبي وقاص هذه المنزلة التي ارتضياها، إذ قال: لله در مقام قامه سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، إن كان براً إنّ أجره لعظيم، وإن كان إثماً إنّ خطأه ليسير[5].

وفي رواية: لله درّ منزل نزله سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، والله إن كان ذنباً إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسناً إنّه لعظيم مشكور[6].

وقال الخطابي: وكان ابن عمر من أشدِّ الصحابة حذراً من الوقوع في الفتن، وأكثرهم تحذيراً للنّاس من الدّخول فيها، وبقي إلى أيام فتنة ابن الزّبير فلم يقاتل معه، ولم يدافع عنه، إلاّ أنّه كان يشهد الصلاة معه، فإذا فاتته صلاّها مع الحجّاج، وكان

---

[1] سنن الترمذي (332/3) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
[2] مصنف ابن أبي شيبة (259/8).
[3] البخاري ، كتاب الفتن (95/8).
[4] سير أعلام النبلاء (228/3 ـ 229).
[5] مجموع الفتاوى (440/4).
[6] سير أعلام النبلاء (119/1 ـ 120)؛ مجمع الزوائد (246/7).



يقول: إذا دعونا إلى الله أجبناهم، وإذا دعونا إلى الشّيطان تركناهم[1].

قال ابن تيمية: ومن حين مات عثمان تفرق الناس، وعبد الله بن عمر الرجل الصّالح لحق بمكّة، ولم يزل معتزل الفتنة، حتى اجتمع الناس على معاوية، مع محبّته لعليّ، ورؤيته له أنّه هو المســتحق للخلافة، وتعظيماً له، وموالاته له، وذمّه لمن يطعن عليه، ولكن كان لا يرى الدّخول في القتال بين المسلمين، ولم يمتنع عن موافقة علي إلا في القتال[2].

5- سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

لما قُتل عُثمان بن عفان خرج سـلمة بن الأكوع إلى الرّبذة وتزوج هناك امرأة، وولدت له أولاداً، فلم يزل بها حتى أقبل قبل أن يموت بليال فنزل المدينة[3].

6- عمران بن حصين رضي الله عنه:

قال عنه الذهبي: كان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي[4]. وعن حميد بن هلال قال: لما هاجت الفتن، قال عمران بن حصين لحجير بن الربيع العدوي: اذهب إلى قومك فانهم عن الفتنة. قال: إني لمغمور فيهم وما أطاع؛ فأبلغهم عنّي وانهم عنها. قال: وسمعت عمران يقسم بالله: لأن أكون عبداً حبشياً أسود في أعنز حصبات، في رأس جبل أرعاهنّ حتَّى يدركني أجلي؛ أحبّ إليّ أن أرمي أحد الصفّين بسهم أخطأت أم أصبت[5].

7- سعيد بن العاص الأموي رضي الله عنه:

قال الذهبي: وقد اعتزل الفتنة فأحسـن، ولم يقاتل مع معاوية، ولما صـفا الأمر لمعاوية وفد سـعيد إليه، فاحترمه وأجازه بمال جزيل[6]. وقال ابن كثير: فلما مات عثمان اعتزل الفتنة، فلم يشـــهد الجمل ولا صـــفين، فلما اســـتقر الأمر لمعاوية وفد إليه[7]. ولم يعتزل سعيد وحده بل تابعه قوم، اعتزلوا باعتزاله، حتى مضت الجمل وصفين[8].

8- أسامة بن زيد رضي الله عنهما:

قال الذهبي: انتفع أســـامة من قول النبيﷺ، إذ يقول له: «كيف بلا إله إلا الله يا أســـامة؟!»، فكف يده، ولزم منزله،

---

[1] العزلة للخطابي ، ص 20 ، 21.
[2] منهاج السنة (285/6).
[3] البخاري ، كتاب الفتن (285/6).
[4] سير أعلام النبلاء (509/2).
[5] مصف ابن أبي شيبة (10/15) ؛ الطبراني الكبير (105/18) ، رجاله رجال الصحيح.
[6] سير أعلام النبلاء (446/3).
[7] البداية والنهاية (91/8).
[8] سير أعلام النبلاء (446/3).



فأحسن[1]. ويريد الذهبي بذلك ما رواه أسامة بن زيد؛ حيث قال: بعثني رسول الله ﷺ في سرية، فاستبقنا أنا ورجل من الأنصـــار إلى العدو، فحملت على رجل، فلما دنوت منه كبّر، وطعنته فقتلته، ورأينا أنما فعل ذلك ليحرز دمه، وذكر الحديث، وفيه: كيف؟! فقال ـ يعني النبيﷺ: «يا أسامة من لك بلا إله إلا الله؟!» فقلنا: يا رسول الله، إنما قالها تعوُّذاً من القتل. قال: «من لك يا أسامة بلا إله إلا الله؟!» فما زال يردِّدها[2] حتى قال أسامة: لوددت أنَّ ما مضى من إسلامي لم يكن، وإني أســـلمت يومئذ، ولم أقتله. ثم قال: إني أعطي لله عهداً ـــــ ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله، أبداً. فقال النبيﷺ: «بعدي يا أسامة؟» قال: بعدك[3].

وعن حرملة، أنه قال: أرسلني أسامة إلى علي، وقال: إنه سيسألك الآن، فيقول: ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شـدق الأسـد، لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره[4]. قال ابن حجر: فاعتذر بأنه لم يتخلف ضـناً منه بنفسـه عن علي، ولا كراهة له، وإنه لو كان في أشـد الأماكن هولاً لأحب أن يكون معه فيه ويواسـيه بنفسـه، ولكنه إنما تخلف لأجل كراهيته في قتال المسـلمين[5]. وفي رواية أخرى عند الذهبي: عن الزهري قال: لقي علي أسـامة بن زيد، فقال: ما كنا نعدك إلا من أنفسـنا يا أسـامة، فلم لا تدخل معنا؟ قال: يا أبا حسـن! إنك والله لو أخذت بمشـفر الأسـد، لأخذت بمشفره الآخر معك، حتى نهلك جميعاً أو نحيا جميعاً، فأما هذا الأمر الذي أنت فيه، فو الله لا أدخل فيه أبداً[6].

9- عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

فقد ورد عنه: أنه لما سُـئل عن خروجه مع معاوية وأبيه إلى صـفين، أنه لم يخرج لقتال، وإنما خرج طاعة لأبيه، فعن حنظلة بن خويلد العنبري، قال: بينما أنا عند معاوية، إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية»، فقال معاوية: يا عمرو، ألا تغني عنا مجـنونك، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «أطع أباك ما دام حياً»، فأنا معكم ولست أقاتـل[7]، وورد ما يـدل على ندمه على حضوره صفين، فقد أخرج ابن سعد بسنده عن ابن أبي

---

[1] سير أعلام النبلاء (2/500 ـ 501).
[2] مسلم، رقم 96 ؛ الحاكم في المستدرك (3/116).
[3] سير أعلام النبلاء (2/505) ، إسناده رجاله ثقات.
[4] البخاري، كتاب الفتن (8/61 ـ 67).
[5] فتح الباري (13/67).
[6] سير أعلام النبلاء (2/504).
[7] مسند أحمد (2/164) إسناده صحيح ؛ تهذيب التهذيب (3/52).

مليكة[1]، قال: قال عبد الله بن عمرو: ما لي ولصفين، ما لي ولقتال المسلمين؟! لوددت أني مت قبلها بعشر سنين ـ أما والله على ذلك ـ ما ضربت بسيفي، ولا رميت بسهم[2].

10- صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه:

قال الذهبي: وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه[3]. وعن جعفر بن برقان: أن ميمون بن مهران ذكر أصناف الناس وخلافهم في أمر عثمان وطلحة والزبير ومعاوية، وكان مما قاله: وأما من لزم؛ فمنهم سعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وأسامه بن زيد، وحبيب بن سلمة الفهري، وصهيب بن سنان، ومحمد بن مسلمة في أكثر من عشرة آلاف من أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، قالوا جميعاً: نتولى عثمان وعلياً، ولا نتبرأ منهما، ونشهد عليهما وعلى شيعتهما بالإيمان ونرجو لهم، ونخاف عليهم[4].

11- أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وخليفة بن خياط في تاريخه، وابن سعد في الطبقات عن شعبة قال: سألت الحكم: هل حضر أبو أيوب صفين؟ قال: لا، ولكن شهد يوم النهر موقعة النهروان[5].

12- أبو هريرة رضي الله عنه:

فقد ورد أنه لم يشارك في الجمل ولا صفين، وهو أحد رواة أحاديث النهي عن الدخول في الفتنة؛ فقد قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به»[6].

13- عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه:

قال الذهبي: ولي مصر لعثمان، وقيل: شهد صفين، والظاهر أنه اعتزل الفتنة وانزوى إلى الرملة[7].

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة، فلم يشاركوا فيها، بل إن بعضهم كان يحذِّر

---

(1) أبو بكر عبد الله التميمي ، روى عن العبادلة الأربعة. تهذيب التهذيب (268/5).

(2) طبقات ابن سعد (266/4) ، رجاله ثقات.

(3) سير أعلام النبلاء (18/2).

(4) دول الإسلام (29/1) ؛ تاريخ دمشق ، ص 503 ، 505.

(5) مصنف ابن أبي شيبة (303/15)؛ تاريخ خليفة ، ص 196 ؛ الطبقات (249/3).

(6) مسلم ، كتاب الفتن (2211/4 . 2212).

(7) سير أعلام النبلاء (33/3).



غيره من المشـــاركة، وهو اقتناع تكوَّن لديهم، من خلال الأحاديث التي رووها، والتي فيها النهي عن الدخول في الفتن التي تقع بين المسلمين، وقد فرّق هؤلاء الصحابة بين قتال الخوارج والقتال في الجمل وصفين، فقد شارك في قتال الخوارج كأبي برزة وأبي أيوب الأنصاري، وهما من اعتزل الفتنة بين المسلمين في الجمل وصفين. وأيضاً فإن هؤلاء الصحابة الذين اعتزلوا سرعان ما بايعوا معاوية، بعد أن تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة واجتمعت عليه كلمة الأمّة. وقال ابن حجر: وبايع معاوية كل من كان معتزلاً للقتال؛ كابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة[1].

إن الذي نفهمه من خلال هذه النصـــوص التي أوردناها أن علّة كفّ هؤلاء الصّـــحابة عن الدّخول مع أحد الطرفين، قد يكون لأن الأمور كانت مشتبهة عليهم ــ كما قال النووي ــ فلم يتبينوا المحق من المبطل، كما يظهر من كلام سعد بن أبي وقاص رضـــي الله عنه، وقد يكون أنّهم لم يكونوا يرون أن القتال هو الحلّ الوحيد لهذه المشـــكلة، لأن الصـــلح خير، ومن الصلح أن يتم التنازل عن بعض الحق، جمعاً لكلمة المسلمين، ولعلنا نلمح من كلام أسامة رضي الله عنه شيئاً من هذا التوجيه، فقد اعتذر لأمير المؤمنين علي بأنه لا يرى القتال معه في هذا السّبيل، رغم اعترافه بإمامته وفضله[2].

وقد تحدث العلماء في أعذار المعتزلين:

أ ـــــ قال القرطبي: وقيل: من توقف من الصـــحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف على عمومها، فاجتنبوا ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال[3].

ب ــ قال ابن حزم: وأما من وقف فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق، ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نبين له وجه الحق حتى يراه[4].

ت ـ وقال ابن حجر: والحق حمْل عمل كل أحد من الصحابة المذكورين على السداد، فمن لابس القتال اتَّضح له الدليل، لثبوت الأمر بقتال الفئة الباغية، وكانت له القدرة على ذلك، ومن قعد لم يتَّضح له أي الفئتين هي الباغية، وإذا لم يكن له القدرة على القتال. وقد وقع لخزيمة بن ثابت أنه كان مع علي، وكان مع ذلك لا يقاتل، فلما قتل عمار قاتل حينئذ، وحدث بحديث: «يقتل عمار الفئة الباغية». أخرجه أحمد وغيره[5].

د ــ وقال الجصاص: فإن قيل: قد جلس عن علي جماعة من أصحاب النبيﷺ، منهم: سعد، ومحمد بن مسلمة، وأسامة

---

[1] أحداث وأحاديث الفتنة ، عبد العزيز دخان ، ص 212.

[2] المصدر السابق نفسه.

[3] التذكرة (223/2).

[4] الفصل (78/3).

[5] فتح الباري (46/13).

بن زيد، وابن عمر! قيل له: لم يقعدوا عنه لأنهم لم يروا قتال الفئة الباغية، وجائز أن يكون قعودهم عنه لأنهم رأوا الإمام مكتفياً بمن معه، مستغنياً عنهم بأصحابه، فاستجازوا القعود عنه لذلك، ألا ترى أنهم قعدوا عن قتال الخوارج لا على أنهم لم يروا قتالهم واجباً، لكن لما وجدوا من كفاهم قتل الخوارج استغنوا عن مباشرة القتال[1].

خامساً: موقف المتريّثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين علي، ومن معه:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ـــ ينتظر حتى يستتبّ له الأمر، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حدّ القصاص عليهم؛ اعتذر لهم بأنهم كثير، وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور، فتؤخذ الحقوق، لأنَّ الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح، وقد ألمح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى اختيار أهون الشَّرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم ـــ قتلة عثمان ـــ وهو خير من شر منه ـ القتال والفرقة[2].

لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه، فأخَّر القصاص من أجل هذا، وهذا فيه اقتداء بالنبيﷺ في حادثة الإفك، وذلك أنه تكلم في عائشة رضي الله عنها مجموعة من الناس، وكان الذي تولى كِبره عبد الله بن أُبي ابن سلول، فصعد النبيﷺ وقال: «من يعذرني في رجل وصل أذاه إلى أهلي؟!»: يعني عبد الله بن أُبي ابن سلول فقام سعد بن معاذ وقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان منا معشر الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بقتله، فقام سعد بن عبادة فرد على سعد بن معاذ، وقام أسيد بن حضير فرد على سعد بن عبادة، فصار النبيﷺ يخفضهم[3]؛ عَلم أن الأمر عظيم، ذلك أن قبل مجيء النبيﷺ إلى المدينة كان الأوس والخزرج قد اتفقوا على أن يجعلوا عبد الله بن أُبي ابن سلول ملكاً عليهم، فهو له عندهم منزلة عظيمة، وهو الذي رجع بثلث الجيش في معركة أحُد، والنبيﷺ هنا ترك إقامة الحد على عبد الله بن أُبي ابن سلول لماذا؟ للمصلحة والمفسدة، إذ رأى أن جلده أعظم مفسدة من تركه، وكذلك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رأى أن تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله؛ لأن علياً رضي الله عنه لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلاً، لأن لهم قبائل تدافع عنهم، والأمن غير مستتب، وما زالت فتنة، وَمنْ يقول: إنهم لن يقتلوا علياً رضي الله عنه؟ وقد قتلوه بعد ذلك[4].

---

[1] أحكام القرآن (5/281).

[2] تاريخ الطبري (5/460).

[3] البخاري ، كتاب المغازي رقم 4141.

[4] حقبة من التاريخ ، ص 102.



كان أمير المؤمنين علي ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن، وتجتمع الكلمة، ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوة ويكون الجواب، وتقوم البيّنة ويجري القضاء في مجلس الحكم[1]. ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدّى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة[2].

وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ، وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه؟! فقد أجاب الإمام الطحاوي عن هذه الشبهة بقوله: وكان في عسكر علي ـ رضي الله عنه ـ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يُعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله[3]. وعلى كل حال، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم، المتبرِّئ من فعلهم، وكان راغباً في الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم، لو وجد إلى ذلك سبيلاً، وتجلى هذا في أمرين:

1- موقف أمير المؤمنين علي من قتلة عثمان رضي الله عنهما:

لقد أنكر علي رضي الله عنه قتل عثمان وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها، أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع[4]، خلافاً لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضياً بقتل عثمان رضي الله عنهما[5].

وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله رضي الله عنه: فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، فإنه كذبٌ وزور؛ فقد تواترت الأخبار بخلافه[6].

وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب على عليّ رضي الله عنه وافتراء عليه؛ فعلي رضي الله عنه لم يشارك في دم عثمان، ولا أمر ولا رضي، وقد روي عنه ذلك وهو الصادق البار[7].

وقد قال علي رضي الله عنه: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان[8].

وروى الحاكم بإسناده عن قيس بن عباد قال: سمعت علياً يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش

---

[1] تحقيق مواقف الصحابة (156/2).
[2] أحكام القرآن لابن العربي (1718/2).
[3] شرح الطحاوية، ص 546.
[4] البداية والنهاية (202/7).
[5] العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص 229.
[6] المستدرك (103/3).
[7] منهاج السنة (406/4).
[8] البداية والنهاية (202/7) إسناده حسن.



عقلي يوم قُتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ: «ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة»، وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد؛ فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى[1].

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد ابن الحنفية قال: بلغ علياً: أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد[2]، قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان؛ لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثاً[3].

وروى ابن سعد بسنده عن ابن عباس: أن علياً قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولكني نهيت، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت، قالها ثلاثاً[4].

وجاء عنه أيضاً: أنه قال رضي الله عنه: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان، والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت[5]. وكان يثني على عثمان رضي الله عنه؛ وقال فيه: كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرَّب[6].

وعن عميرة بن سعد قال: كنا مع علي على شاطئ الفرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها، فقال علي: يقول الله عز وجل: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: 24].. والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله[7]. وقال علي رضي الله عنه: إنما وهنت يوم قتل عثمان[8]. وقد اعتنى الحافظ ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي رضي الله عنه أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها: أنه لم يقتله ولا رضي بذلك، ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث[9].

2- محاولة استغنائه عن خدمات من كان منهم ضمن جيشه:

كان رضي الله عنه يعاملهم بحذر شعوراً منه بخطرهم، حتى إنه لم يولِّ أحداً منهم عند إرادة خروجه للشام، حيث دعا ولده

---

[1] المستدرك (95/3) ، حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
[2] موضع قرب البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال.
[3] فضائل الصحابة (555/1) ، رقم 733 ، إسناده صحيح.
[4] الطبقات (82/3) ؛ والبداية والنهاية (202/7).
[5] الرياض النضرة ، ص (543).
[6] صفة الصفوة (306/1).
[7] فضائل الصحابة (559/1 ، 560) ، إسناده لغيره ، رقم 379.
[8] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (61/5).
[9] البداية والنهاية (193/7).

محمد ابن الحنفية وسلمه اللواء، وجعل عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ على الميسرة، وجعل على مقدمة الجيش أبا ليلى بن عمر بن الجراح[1]، واستخلف على المدينة قُثَم بن العباس رضي الله عنهم[2]، وهذه بادرة منه ــ رضي الله عنه ــ ليعلن تبرؤه من أولئك المارقين، ويثبت قدرته على السيطرة على أمر المسلمين من غير عون منهم، فقد كان له في المسلمين الموالين له والمؤيدين لخلافته ما يغنيه عن الاستعانة بهم والتودد إليهم، وهذا أقصى ما يمكنه فعله بتلك الطائفة إذ ذاك، وهو كافٍ في عذره، لأنهم مئات ولهم قرابة وعشائر في جيشه، فما يأمن لو عاملهم بأكثر من هذا من الشدة أن يمتدّ حبل الفتنة في الأمة[3].

وحين تمّ الصلح بين أمير المؤمنين علي وطلحة والزبير وعائشة على يدي القعقاع بن عمرو ـ وسيأتي تفصيل ذلك ـ؛ خطب أمير المؤمنين علي عشية ذلك اليوم، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه ــ ﷺ ــ على الخليفة أبي بكر، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان، ثم حدث هذا الحدث الذي جرّه على الأمة أقوام ـــ قتلة عثمان ـــ؛ طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله بها عليه، وعلى الفضيلة التي منّ الله بها، وأرادوا ردّ الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره[4].

ثم قال: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ولا يرتحلنّ غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغني السفهاء عني أنفسهم[5].

ويناقش الإمام الباقلاني موضوع توقيع عقوبة القصاص على قتلة عثمان، مبدياً رأيه لموقف علي ـ رضي الله عنه ـ في تأخير إجراء القصاص إلى حين إمكانه، فيقول: وعلى أنه إذا ثبت أن عليّاً ممن يرى قتل الجماعة بالواحد، فلم يُجِزْ أن يقتل جميع قتلة عثمان إلا بأن تقوم البيّنة على القتلة بأعيانهم، وبأن يحضر أولياء الدم مجلسه، ويطلبوا بدم أبيهم ووليهم. وبأن يؤدي الإمام اجتهاده إلى أن قتل قتلة عثمان لا يؤدي إلى هرج عظيم وفساد شديد قد يكون فيه مثل قتل عثمان أو أعظم منه، وإن تأخير إقامة الحد إلى وقت إمكانه وتقصّي الحق فيه أولى وأصلح للأمة، وألمّ لشعثهم، وأنفى للفساد والتهمة عنهم[6].

ويبرِّر ابن حزم موقف علي ـ رضي الله عنه ـ في تأخير القصاص من قتلة عثمان بقوله: فنقول وبالله التوفيق: أما قولهم: إن

---

[1] تاريخ الطبري ؛ تحقيق مواقف الصحابة (158/2).
[2] تاريخ الطبري (470/5).
[3] إفادة الأخبار للتباني (52/2)؛ نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (159/2).
[4] تاريخ الطبري (525/5).
[5] المصدر السابق نفسه.
[6] التمهيد للباقلاني ، ص 231 ؛ تحقيق مواقف الصحابة (159/2).

أخذ القود من قتلة عثمان المحاربين لله تعالى ولرسوله، الساعين في الأرض بالفساد، والهاتكين حرمة الإسلام والحرم والإمامة والهجرة والخلاف والصحبة والسابقة؛ فنعم، وما خالفهم عليّ قط في ذلك ولا في البراءة منهم، ولكنهم كانوا عدداً ضخماً جمّاً لا طاعة له عليهم، فقد سقط عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ ما لا يستطيع عليه، كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق، قال الله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 289]، وقال رسول الله ﷺ: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[1]. ولو أن معاوية بايع علياً لقوي به على أخذ الحق من قتلة عثمان، فصح أن الاختلاف هو أضعف يد عليّ على إنفاذ الحق عليهم، ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذه على قتلة عبد الله بن خباب[2]، إذ قدر على مطالبة قتلته[3].

وينقل ابن العربي وجهة نظر علي بقوله: وعلي يقول: لا أمكّن طالباً من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم[4]. ثم يعقب: أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً، وأما كونه لهذا السبب، أي: بسبب الخلاف حول القصاص من قتلة عثمان؛ فمعلوم كذلك قطعاً، وأما الصواب فيه فمع عليّ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه.. وأي كلام كان يكون لعلي ــ لما تمت له البيعة ــ لو حضر عنده وليّ عثمان وقال له: إن الخليفة قد تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه، وهم معلومون، ماذا كان يقول إلاّ أثبت وخذ، وفي يوم يثبت، إلا أن يثبتوا هم أي: قتلته ـــ أن عثمان كان مستحقاً للقتل، وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبداً، وكان يكون الوقت أمكن للطلب وأرفق في الحال، وأيسر وصولاً إلى المطلوب[5].

إن علياً ـ رضي الله عنه ـ كان إماماً، وأن كل من خرج عليه باغ، وأن قتاله واجب حتى ينقاد إلى الحق، ولا شك أن ردّه على أهل الشام بدخولهم في البيعة ثم يطلبون الحق ـ أي القصاص من قتلة عثمان ـ كان في ذلك أسدَّ رأياً وأصوب قيلاً، لأنه لو اقتص من قتلة عثمان، والأمر لم يستتب له بعد لتعصّب لهؤلاء قبائلهم، فتصير حرباً ثالثة، فكان ينتظر أن يمسك بزمام الأمر ليقع الطلب من هؤلاء الجناة ويجري القضاء فيهم بالحق[6].

---

[1] البخاري ، كتاب الاعتصام (142/8).
[2] قتلته الخوارج ، وسيأتي الحديث عنه بإذن الله.
[3] الفصل في الملل والنحل (162/4).
[4] العواصم من القواصم ، ص 163.
[5] تحقيق مواقف الصحابة (161/2).
[6] أحكام القرآن لابن العربي ؛ وتحقيق مواقف الصحابة (161/2).



وذكر عبد القاهر البغدادي في كتاب (الإمامة) ما هذا نصــــه: أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث؛ والذين منهم: مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين: أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين، كما قالوا بإصابته في قتل أهل الجمل. وقالوا أيضاً: لأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم[1].

ويلخص ابن تيمية رأي علي ــ رضي الله عنه ــ في قوله: فهو يرى أنه يجب على معاوية وأصحابه طاعته ومبايعته.. وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكة رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب، فتحصل الطاعة والجماعة[2].

إنّ تأخير عليّ ـ رضي الله عنه ـ إقامة الحدّ الشرعي على قتلة عثمان كان عن ضرورة قائمة ومعلومة بالنسبة له، فلما انتقل ـ رضي الله عنه ـ من المدينة إلى العراق ليكون على مقربة من الشام، انتقل معه قتلة عثمان المندسّين في جيشه وهم كثرة، ولا سيما أهل الكوفة والبصرة منهم، فصاروا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم، فكان عليّ يرى أن إقامة الحدّ عليهم سيفتح عليه باباً ربما لا يستطيع سدّه بعد ذلك.

وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي وتحدث بها مع أم المؤمنين وطلحة والزبير، فأذعنوا له وعذروا علياً، ووافقوا على موقفه ذاك، ورأيه السديد المتمثل في دفع أدنى المفسدتين، وارتكاب أخفِّ الضررين.

إن السياسة الحكيمة تقضي ما كان ينادي به أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ من التريُّث والأناة وعدم الاستعجال، إذ إن الأمر يحتاج إلى وحدة الصف والكلمة لإيجاد موقف موحد، ومواجهة ذلك التحدي الذي يهدد مركز الخلافة؛ بيد أن الخلاف في الرأي أضعف مركز الخليفة الجديد، وقضى على كل الآمال في أخذ القصاص من قتلة عثمان[3].

وهناك أدلة قوية تبين أن علياً كان محقاً أكثر من طلحة والزبير ومعاوية (رضي الله عنهم) منها:

1- ما رواه البخاري من طريق أبي سعيد الخُدري ـ رضي الله عنه ـ، عن رسول الله ـ ﷺ قال: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية»[4].

يقول ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعليّ وعمار، وردّ على النواصب الزاعمين أن عليّاً

[1] أعلام النصر المبين ، ابن دحية ؛ تحقيق مواقف الصحابة (162/2).
[2] مجموع الفتاوى (72/35).
[3] تحقيق مواقف الصحابة (163/2).
[4] البخاري ، كتاب الجهاد (207/3).

لم يكن مصيباً في حروبه[1]. ويقول النووي: بأن الروايات ـ أي عن النبيﷺ ـ صريحة في أنّ علياً ـ رضي الله عنه ـ كان هو المصيب المحقّ، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية كانوا بغاة متأولين، وفيها التصريح بأن أصحاب الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون[2].

2- وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، قال: ذكر النبيﷺ قوماً يكونون في أمته، يخرجون في فرقة من الناس، سماهم التحالق ــ الخوارج ــ قال: «هم شر الخلق؛ يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»[3]. وفي رواية: «يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق»[4].

ففي الحديث دلالة واضحة في أن علياً ـ رضي الله عنه ـ كان أدنى إلى الحق من مخالفيه في الجمل وصفين.

سادساً: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح:

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة رضي الله عنهم جميعاً، وكان وصولهما إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريباً، أي: في ربيع الآخر من عام 36 هـ[5]، ثم بدأ التفاوض في مكة مع عائشة رضي الله عنها للخروج، وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئاً لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم، فقد اتّهموا أنفسهم بأنهم خذلوا الخليفة، وأنه لا تكفير لذنبهم هذا ــ حسب قولهم ــ إلا الخروج للمطالبة بدمه، علماً بأن عثمان هو الذي نهى عن كل من أراد أن يدافع عنه في حياته تضحية في سبيل الله.

فعائشة تقول: إن عثمان قُتل مظلوماً والله لأطالبن بدمه[6]، وطلحة يقول: إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه[7]، والزبير يقول: نُنهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يَبْطل، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبداً، إذا لم يُفْطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب[8].

فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والنفوس كان كفيلاً بأن يحرّك الناس ويخرجهم من راحتهم واستقرارهم، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلى أهوال قادمة مجهولة؛ فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مرة

---

[1] الفتح (542/1).
[2] شرح النووي على صحيح مسلم (168/7).
[3] مسلم ، رقم 1065.
[4] مسلم (746/21).
[5] تاريخ الطبري (469/5).
[6] تاريخ الطبري (485/5).
[7] سير أعلام النبلاء (34/1).
[8] تاريخ الطبري (487/5).

أخرى، تشـــيعه أولاده بالبكاء، وسمي يوم خروجهم من مكة نحو البصـــرة بيوم النحيب، فلم يُرَ يوم كان أكثر باكياً على الإسلام، أو باكياً له من ذلك اليوم[1].

لقد توفرت مجموعة من العوامل في مكة جعلتهم يفكرون في طريقة جادة لتحقيق مطلبهم؛ ومن هذه العوامل: . أن بني أمية قد هربوا من المدينة واستقروا في مكة.

ومنها: أن عبد الله بن عامر . أمير البصرة في عهد عثمان .كان في مكة وهو يحث على الخروج، ويعرض المعونة المادية.

ومنها: أن يعلى بن أمية الذي خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصـل مكة وقد قتل الخليفة، ومعه من المال والسـلاح والدواب شـيئاً لا بأس به، فعرض كل ذلك للمسـاعدة في قتل قتلة عثمان، فكان هذا كفيلاً لتشـجيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان.

وما دامت العوامل قد توفرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان؛ فمن أين يبدؤون؟ دار حوار بينهم حول الجهة التي يتوجهون إليها؛ فقال بعضـهم ـــ وعلى رأسـهم السـيدة عائشـة: إن المدينة هي وجهتهم، وظهر رأي آخر يطلب التوجه إلى الشـام ليتجمعوا معاً ضــد قتلة عثمان، وبعد نظر طويل قرَّ رأيهم على البصــرة؛ لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرون على مواجهتهم لقلتهم، ولأن الشـام صـار مضـموناً لوجود معاوية، ومن ثم يكون دخولهم البصـرة أولى في هذه الخطة؛ لأنها أقل البلدان قوة وسلطة، ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم[2].

وكانت خطتهم ومهمتهم واضـحة سـواء قبل خروجهم، وفي أثناء طريقهم، أو عند وصـولهم إلى البصـرة؛ وهي: الطلب بدم عثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]، وأن هذا المطلب هو لإقامة حدٍّ من حدود الله[4]، وإنه إذا لم يؤخذ على أيدي قتلة عثمان رضـــي الله عنه فســـيكون كل إمام معرّضـــاً للقتل من أمثال هؤلاء[5].

وأما الطريقة التي تصوروها؛ فهي الدخول إلى البصرة ثم الكوفة، والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم، ثم يدعون أهل الأمصـــار الأخرى لذلك حتى يُضـــيقوا الخناق على قاتلي عثمان الموجودين في جيش عليّ، فيأخذونهم بأقل

[1] المصدر السابق نفسه ؛ دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، للشجاع ، ص 417.
[2] تاريخ الطبري (476/5) ؛ دراسات في عهد النبوة ، ص 418.
[3] تاريخ الطبري (489/5).
[4] دراسات في عهد النبوة ، ص 419.
[5] تاريخ الطبري (487/5).

قدر ممكن من الضحايا[1].

لم يكن الخروج إلى البصرة والغضب الذي حرك الصحابة من البساطة التي ظهرت للناس كثأر لعثمان رضي الله عنه، وكأنه رجل من عوام الناس قُتِل، فخرجت الجيوش في الطلب له بثأره، رغم كونه حداً من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعي حدوث ذلك، ولكن مكانة عثمان وشخصيته ومكانته المعنوية كخليفة، وقتله بالصورة التي تمت، كان فوق ذلك، ومعه اغتيالاً لصفة شرعية هي الخلافة التي يفهمها المسلمون: نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به[2]، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع وتوهين لسلطانه، وضياع لنظام المسلمين[3].

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة ومن معهم يسعون لإيجاد رأي إسلامي عام في مواجهة الطغمة السبئية التي قتلت عثمان، وأصبحت ذات شوكة لا يستهان بها، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السبئيون والغوغاء من أهل الأمصار ونزّاع القبائل، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبيد.

فلقد بات واضحاً عند الصحابة من الفريق الذي كان يرى رأي عائشة رضي الله عنها: أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود في جيش علي، وأنه لأجل ذلك؛ فإن علياً رضي الله عنه يصعب عليه مواجهتهم، خشية منه على أهل المدينة، ومن ثم فإنه ينبغي عليهم أن يحاولوا السعي لإفهام المسلمين، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود، لتتم إقامتها بأقل الخسائر في دماء الأبرياء، وهو هدف لا نشك أن علياً كان يسعى إليه، ويحاوله، بل إن الروايات التي مرت معنا في المحاورة بين الزبير وطلحة وعلي تدل على ذلك، ثم إن هذا السلوك منهم، وهذه النية في تعريف الناس، وتوضيح الأمور لهم، دليل على وعي تام منهم بأساليب السبئيّة في اللعب بأفكار العامة، وتوجيهها على النحو الذي ينخر في الأمة حتى لا تستقر على حال، فكان لا بد من مواجهتها في ميدان الأفكار، لإبطال عملها، ولقد تبين هذا العمل واضحاً، وصريحاً في الروايات الصحيحة[4]. التي تحدثت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها عن أهداف هذا الخروج.

فروى الطبري: أن عثمان بن حنيف ـ وهو والي البصرة من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ أرسل إلى عائشة ـ رضي الله عنها ـ عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطي لبنيه الخبر؛ إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله ﷺ، وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين،

---

[1] دراسات في عهد النبوة ، ص 419.
[2] مقدمة ابن خلدون ، ص 191.
[3] دور المرأة السياسي ، ص 391.
[4] دور المرأة السياسي ، ص 394.

واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارّين مضرّين غيرَ نافعين ولا متقين. ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أُعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: 114]، فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير، والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره[1].

وروى ابن حبان أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كتبت إلى أبي موسى الأشعري وإلى علي على الكوفة: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلِحَةً بين الناس، فمرْ من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين[2].

ولما أرسل علي القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: أي أُمه! ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاح بين الناس[3].

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء علي إلى عائشة ــ رضي الله عنها ــ فقال لها: غفر الله لك، قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح[4]. فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس، وفيه رد على من طعن في عائشة رضي الله عنها من الشيعة الروافض في قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: 33]، فإن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعاً، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين عائشة في خروجها للإصلاح للمسلمين، وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير[5].

قال ابن تيمية في الرد على الرافضة في هذه المسألة: فهي ـ رضي الله عنها ـ لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبيﷺ، وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك، كما سافر في حجة الوداع بعائشة ــ رضي الله

---

[1] تاريخ الطبري (489/5).
[2] الثقات لابن حبان (282/2).
[3] تاريخ الطبري (520/5).
[4] شذرات الذهب (42/1).
[5] الانتصار للصحب والال ، ص 444.

عنها ـــ وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبيﷺ بأقل من ثلاثة أشهر، بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبيﷺ يحججن بعده كما كن يحججن معه في خلافة عمر ـ رضـي الله عنه ـــ وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سـفرهن لمصلحة جائزاً؛ فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك[1].

ويقول ابن العربي: وأما خروجها إلى حرب الجمل؛ فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صـاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء: 114]. والأمر بالإصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى، حر أو عبد[2].

وهذه بعض الأمور المهمة في خروجها:

1 – هل أُكرهت السيدة عائشة على الخروج:

زعم اليعقوبي: أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة على الخروج[3]، وقال بهذا القول صاحب (الإمامة والسياسة)[4]، وابن أبي الحديد[5]، وكذلك فعل الدينوري[6]، وألمحت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو عبد الله ابن الزبير[7] ابن أختها أسماء ــ وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين، كمحمد سيد الوكيل[8]؛ فقد زعم أن الزبير وطلحة شجعوا عائشة على الخروج، وزاهية قدورة[9] وغيرهم، وهذا غير صحيح؛ فقد قامت السيدة عائشة بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله رضـي الله عنه، وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة، ذلك أنه قد روي ــ أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة، أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردّني أن عثمان قُتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم، ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تُعِزّوا الإسلام، فكان عبد الله أول من

---

[1] منهاج السنة (317/4 . 570).
[2] أحكام القرآن (569/3 . 570).
[3] تاريخ اليعقوبي (180/2 ، 209).
[4] الإمامة والسياسة (58/1 ، 69).
[5] شرح نهج البلاغة (18/9).
[6] الأخبار الطوال ، ص 145.
[7] سير أعلام النبلاء (193/2).
[8] جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص 526.
[9] عائشة أم المؤمنين ، ص 184.

أجابها[1]، ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعدما مرَّتْ على مقتل عثمان أربعة أشهر[2].

2 – هل كانت متسلطة على من معها؟:

كان فيمن خرج معها رضي الله عنها جمع من الصحابة[3]، ولم تكن السيدة عائشة المرأة المتسلطة التي تحرك الناس حيث شــاءت كما زعم بروكلمان[4]، ولقد أكدت روايات الطبري على تأييد أمهات المؤمنين لها، ولِمَنْ معها في الســعي للإصلاح، بل وتأييد عدد غير قليل من أهل البصرة لها[5]، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يستهان بهم، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجباؤهم[6]، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم الصالحون[7].

وما كان خروج هذا العدد من الصــالحين إلا عن اعتقاد راسـخ بجدوى هذا الخروج وصـواب مقصـده، وكان أمير المؤمنين يعلم هذا، ويرد الزعم الذي زعمه البعض من أن الخارجين مع الســيدة عائشــة كانوا جموعاً من الســفهاء والغوغاء والأوباش[8]، فلقد وقف أمير المؤمنين بعد معركة الجمل بين القتلى من فريق عائشة، يترحم عليهم ويذكر فضلهم[9] وسيأتي بيان ذلك. ولم يكن هذا الخروج كخروج غوغائي، تحكمت فيه السيدة عائشة في أناس غير راشدين، بل كان خروجاً واعياً شارك فيه بعض الصحابة الكبار[10].

3 – موقف أزواج النبيﷺ من الخروج للطلب بدم عثمان:

كان أزواج النبيﷺ قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناس بمكة: أن عثمان قد قُتل؛ أقمن بمكة وكن قد خرجن منها، فرجعن إليها، وجعلوا ينتظرون ما يصنع الناس ويتحسسون الأخبار، فلما بويع عليّ خرج عدد من الصــحابة من المدينة كارهين المقام بها بســبب الغوغاء من أهل الأمصــار، فاجتمع بمكة منهم خلق كثير من الصــحابة وأمهات المؤمنين[11]، وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على السير إلى المدينة، فلما اتفق رأي عائشة، ومن معها

---

[1] تاريخ الطبري (475/5).
[2] دور المرأة السياسي ، ص 383 ؛ تاريخ الطبري (469/5).
[3] المصدر السابق نفسه ، ص 384.
[4] تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص 111 ، 114 ، 117.
[5] تاريخ الطبري (475/5).
[6] تاريخ الطبري نقلاً عن دور المرأة السياسي ، ص 385.
[7] المصدر السابق نفسه ، ص 385.
[8] انظر ما قاله صاحب (الإمامة والسياسة) (57/1).
[9] تاريخ الطبري (574/5).
[10] دور المرأة السياسي ، ص 385.
[11] البداية والنهاية (241/7).

من الصحابة على السير إلى البصرة، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة[1].

كان الخروج في أمر عثمان إذن غير مختلف عليه بين أمهات المؤمنين، لكنهن اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلى البصرة.

غير أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما وافقت عائشة على السير إلى البصرة، وإنما عزم[2] عليها أخوها عبد الله كيلا تخرج، فلم يكن عدم خروجها ناتجاً عن اقتناع منها[3]، وقالت لعائشة: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج، وأرسلت إلى عائشة بعذرها[4].

وتكاد الروايات الشائعة تبدي أن أم سلمة رضي الله عنها لم تكن ترى رأي عائشة ومن معها، في الخروج إلى البصرة، وإنها كانت ترى ما يراه علي[5]، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هي أنها أرسلت إلى علي ابنها عمر بن أبي سلمة قائلة: والله لهو أعزّ علي من نفسي، يخرج معك فيشهد مشاهدك، فخرج فلم يزل معه[6]، وهي رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعني أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين في القول بالإصلاح بين المسلمين؛ فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون علياً رضي الله عنه، أو يخرجون على خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكد لنا الأحداث، كما إننا لم نجد في الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين في أهمية السعي للإصلاح[7].

وكانت أمهات المؤمنين يعلمن ـــ أن هذا الخروج في الإصلاح بين المسلمين مما يدخل في معنى الفرض الكفائي، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس متوجهاً إلى جميع المكلفين، بل هو إلى ما فيه أهلية القيام به لا على الجميع عموماً، ولقد كانت أهلية القيام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوفرة تماماً في السيدة عائشة: مكانة وسناً وعلماً، وقدرة، وكانت عائشة أكثرهن فقهاً بإجماع جمهور المسلمين[8]، كما إنها كانت تهتم بالأمور العامة، فكانت صاحبة شخصية ثقافية واسعة، تكوَّنت منذ نشأتها في بيت أبي بكر العالم بأيام العرب وأنسابهم، ومن عيشها في بيت رسول الله الذي خرجت منه أسس سياسة الدولة

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] عزم عليها: أقسم عليها.

[3] دور المرأة السياسي ، ص 386.

[4] تاريخ الطبري (487/5).

[5] أنساب الأشراف (224/4).

[6] أسد الغابة (169/4) ؛ الإجابة (487/4)؛ دور المرأة السياسي، ص 387 ؛ المستدرك، مرويات أبي مخنف، ص 257.

[7] دور المرأة السياسي ، ص 387.

[8] سير أعلام النبلاء (183/2).

الإسلامية.

ثم هي بنت الخليفة الأول للمسلمين، وقد أكد العلماء على هذه المكانة للسيدة عائشة، فقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشِعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، لا بكذا، ولا بكذا.. ولا بقضاء، ولا بطب منها[1]. وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة؟!. وكان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة[2]. وكان الأحنف بن قيس سيد بني تميم، وأحد بلغاء العرب يقول: سمعت خطبة أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء بعدهم.. فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه في عائشة. وكان معاوية يقول مثل هذا[3].

هذا وقد خرجت أمهات المؤمنين مودعات للسيدة عائشة حين خرجت للبصرة، وفي ذلك معنى من معاني المعاونة لها و التشجيع لها على أمرها[4].

4- مرور السيدة عائشة على ماء الحَوْءَبِ:

ثبت مرور السيدة عائشة على ماء الحَوْءَبِ من طرق صحيحة؛ فعن يحيى بن سعيد بن القطان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن حازم: «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحَوْءَبِ»[5]. ومن طريق شعبة عن إسماعيل ولفظ شعبة: أن عائشة قالت لما أتت على الحَوْأَبْ: سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: «أيتكن تنبح عليها كلاب الحَوْءَبِ». فقال لها الزبير: أترجعين؟! عسى الله عز وجل أن يُصلح بك بين الناس[6].

وبهذا اللفظ أخرجه يعلى بن عبيد عن إسماعيل، وهو عند الحاكم[7]، وقال الألباني: إسناده صحيح جداً، وقال: صححه خمسة من كبار أئمة الحديث هم: ابن حبان، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر[8].

فهذه الروايات الصحيحة، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتنزه عنه مَقام الصحابة والذي زعمته

---

[1] المصدر السابق نفسه.
[2] سير أعلام النبلاء (185/2).
[3] المصدر السابق نفسه.
[4] دور المرأة السياسي ص 389.
[5] مسند أحمد (97/6).
[6] المصدر السابق نفسه.
[7] المستدرك (120/3).
[8] سلسلة الأحاديث الصحيحة (767/1) ، رقم 474.

الروايات الضعيفة[1] التي سيأتي بيانها.

إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء لا يجد في أي منها ما يدل على نهي عن شيء، أو أمر بشيء لتفعله السيدة عائشة، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتهن التي يحدث أن تمر على ماء الحَوْءَبِ؟

والروايات الدالة على النهي، والتي بها لفظة (إياك) في الأثر الوارد: «إياك أن تكوني يا حميراء»[2] لم يصححها العلماء، وإنما ضعفت، ومن هنا فإن الصحيح الذي نذهب إليه: هو أن مرور السيدة عائشة على ماء الحوءَب لم يكن له الأثر السلبي الذي افتعلته الروايات الموضوعة، ولم يكن له الأثر البعيد على نفسية السيدة عائشة نفسها، بحيث تفكر جدّيّاً في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين، وسعي لتسديد خطاهم، ولم يعد الأمر أن يكون ظناً منها في احتمال الرجوع، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت: ما أظنني إلا راجعة. وهو ظن لم يتلبس إلا يسيراً، ثم عاد بعد هدفها واضحاً بعدما ذكرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين[3].

لقد كانت ولازالت مسألة ماء الحوءَب[4] والأحاديث المذكورة فيها مجالاً خصباً للشيعة وغيرهم يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ويدينون بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي صفة الاجتهاد عنها، بدعوى مخالفتها ـ في زعمهم ـ لنهي الرسول ﷺ لها عن أن ترد ماء الحوءَب[5].

وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة؛ فقد جاءت عند الطبري في رواية طويلة، يرويها إسماعيل بن موسى الفزاري؛ قال عنه ابن عدي: أنكروا منه الغلو والتشيع[6]، ويروى الفزاري هذا الخبر عن علي بن عابس الأزرق، وهو ضعيف؛ قالها ابن حجر والنسائي[7]، وهو يروي هذا الخبر عن أبي الخطاب الهجري وهو مجهول[8]، وهذا الهجري المجهول، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان بن قبيعة الأحمسي[9]، ثم أخيراً عن شخصية أشد جهالة هي شخصية العزُني صاحب الجمل، وما هو بصاحب الجمل، وإنما صاحبه هو يعلى بن أمية[10].

---

(1) دور المرأة السياسي ، ص 405.

(2) قال الذهبي: كل حديث فيه (يا حميراء) لا يصح .

(3) سير أعلام النبلاء (167/2 ، 168).

(4) دور المرأة السياسي ، ص 406.

(5) الحوأب: من مياه العرب على طريق البصرة قريب منها على طريق مكة إليها.

(6) الكامل في ضعفاء الرجال (528/1) ؛ ميزان الاعتدال (413/1).

(7) تقريب التهذيب (697/1).

(8) تقريب التهذيب (392/2) ؛ دور المرأة السياسي ، ص 400.

(9) ميزان الاعتدال (434/3) ؛ لسان الميزان (225/3).

(10) أسد الغابة (486/5)؛ دور المرأة السياسي ، ص 400.

وفي متن هذه الرواية ما يجده القارئ من رائحة التشيع والرفض الواضحة في آخر الرواية، حيث تزعم على لسان علي أنه كان ــ رضي الله عنه ــ يرى أحقيته بالخلافة على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلاف ذلك تماماً[1].

وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة[2]، وهناك روايات أخرى وردت في هذا الموضوع، كلها باطلة سنداً ومتناً، ومغزى هذه الروايات وهدفها هو الطعن على كبار الصحابة وفضلائهم، وبيان أن مقصدهم من خروجهم هذا، ما هو إلا تحقيق مطامع دنيوية شخصية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا يتورعون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين، وتركز الروايات على الصحابيين الجليلين طلحة والزبير رضي الله عنهما[3].

كما يريد مفتري هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحابيين ومن معهما من أفراد المعسكر؛ يتجرؤون على انتهاك حرمات الله، فهم يُقْسِمون ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة: أن هذا الماء ليس ماء الحوءَب، وزيادة على ذلك أتوا بسبعين نفساً، وفي رواية: بخمسين نفساً يشهدون على صدق قولهم، فكان هذا العمل كما افترى المسعودي الشيعي الرافضي أول شهادة زور في الإسلام[4].

وتحاول هذه الروايات أن تظهر أن طلحة والزبير وأم المؤمنين رضي الله عنهم، ليسوا على شيء من صفاء القلوب والاجتماع على هدف واحد، وتحاول أن تظهر أن عائشة رضي الله عنها بجانب طلحة رضي الله عنه، وفي قرارة نفسها أن يتولى هو الخلافة، وذلك لأنه تيمي مثلها.

كما تظهر هذه الروايات أن هناك تنافساً داخلياً بين طلحة والزبير، وحرصاً من كل واحد منهما أن يتولى الإمارة. وهذه الروايات لا تخلو من ضعف قوي، فبعضها منقطع السند، أو فيها مجاهيل لا يعرفون، أو فيها كلا العيبين القادحين[5]. ولقد تأثر كثير من الكتاب والمؤرخين بهذه الروايات، واعتمدوا عليها، وساهموا في نشرها وهي لا أساس لها، كالعقاد في عبقرية علي، وطه حسين في علي وبنوه[6]، وغيرهم من الكتّاب المعاصرين.

---

[1] دور المرأة السياسي ، ص 402.

[2] تاريخ الطبري (483/5).

[3] مصنف ابن أبي شيبة (283/15) ، ضعيفة السند منقطعة.وأنساب الأشراف من (47/2) نفس الطريق ، وهذه الروايات تخالف الصحيح الثابت.

[4] مروج الذهب (367/2).

[5] تاريخ الطبري ، وفي إسنادها مجهولان ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 132.

[6] خلافة علي بن أبي طالب ، ص 132.

5 – أعمالهم في البصرة:

عندما وصل طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ومن معهم البصرة؛ نزلوا جانب الخريبة[1]، ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قتلة عثمان، كان كثير من المسلمين في البصرة وغيرها يودون ويرغبون في القود من قتلة عثمان رضي الله عنه، إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج في هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وأفقه النساء مطلقاً، ومطلبهم الشرعي لا غبار عليه ولا ينكره صحابي واحد، جعل الكثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمُّون إليهم. وأرسل الزبير إلى الأحنف بن قيس السعدي التميمي يستنصره على الطلب بدم عثمان، والأحنف من رؤساء تميم وكلمته مسموعة. يقول الأحنف واصفاً هول الموقف:... فأتاني أفظع أمر أتاني قط، فقلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ لشديد[2]. إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف ممن أطاعه من قومه، وعصاه في هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا في طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين[3].

ويذكر الزهري أن عامّة أهل البصرة تبعوهم[4]. وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصار جدد لقضيتهم التي خرجوا من أجلها. وقد حاول ابن حنيف تهدئة الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده، حتى قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا[5]، وحتى إن معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها[6]، وتذكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف رخص لحكيم بن جبلة في القتال، فهذا لا يثبت، والمصادر الصحيحة لم تثبت ذلك[7].

6 – مقتل حُكَيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء:

أقبل حُكيم بن جبلة، بعدما خطبت عائشة رضي الله عنها في أهل البصرة، فأنشب القتال، وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم رماحهم وأمسكوا ليُمسكوا، فلم ينته حكيم، ومن معه، ولم يُثنَ، وظل يقاتلهم طلحة والزبير

---

(1) موقع جانب البصرة . انظر: خطط البصرة ومنطقها العلمي ، ص 114 . 122.

(2) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 133.

(3) طبقات ابن سعد (456/5) ، له شواهد تقويه.

(4) مصنف عبد الرزاق (456/5) ، بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً.

(5) الطبقات (333/6).

(6) فتح الباري (26/13) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 137.

(7) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 137 ، 138.

وعائشة كافُّون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر[1] خيله ويركبهم بها[2]. وعلى الرغم من ذلك، فإن عائشة رضي الله عنها ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيداً عن المقاتلين، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم[3]، حتى إذا كان الصباح جاء حكيم بن جبلة وهو يبربر، وفي يده الرمح، وفي طريقه إلى حيث عائشة رضي الله عنها، ومن معها، جعل حكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله[4]، وعندئذ غضبت عبد القيس إلا من كان اغتُمر[5] منهم، فقالوا لحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم، والله لا ندعنك حتى يُقيدك الله[6]، فرجعوا وتركوه، ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحصره من نُزَّاع القبائل كلها، فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة، فاجتمعوا إليه، ووافقوا أصحاب عائشة، فاقتتلوا قتالاً شديداً[7].

وظل منادي عائشة رضي الله عنهم يناديهم ويدعوهم إلى الكفّ، فيأبون[8]، وجعلت رضي الله عنها تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم، لكن حكيم لم يُرَع[9] للمنادي، وظل يُسَعِّر القتال، عندئذ وبعدما تبينت للزبير وطلحة رضي الله عنهما طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون، وأنهم لا يتورعون، ولا ينتهون عن حرمة، وأن لهم هدفاً في إنشاب القتال، قالا: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحداً، وأقد منهم اليوم، فاقتلهم، فجادُّوهم القتال، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان رضي الله عنه فليكفف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحداً.

فاقتتلوا أشد القتال[10]، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحد، وكان منادي الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم[11].

وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء ــ كما قالت عائشة ــ قد غارُّوها في بيتها في الغَلَس ليقتلوها، وكانوا قد ذهبوا حتى سُدّة بيتها، ومعهم الدليل، إلا أن الله دفع عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها رضي الله عنها، فدارت عليهم

---

[1] تاريخ الطبري (5/494).
[2] يذمر الخيل: يحضها ويشجعها.
[3] تاريخ الطبري (5/494).
[4] المصدر السابق نفسه (5/495).
[5] اغتمر: اغتمس.
[6] يقيد الله: القود: القصاص ، وقتل القاتل بالقتيل.
[7] تاريخ الطبري (5/499).
[8] المصدر السابق نفسه.
[9] لم يرع: لم يبال.
[10] تاريخ الطبري (5/499).
[11] المصدر السابق نفسه (5/501).

الرحى وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم[1].

واستطاع الزبير وطلحة ومن معهما أن يسيطروا على البصرة، وكانوا بحاجة إلى طعام ومؤنة غذائية، وقد مرت عليهم أسابيع، وهم ليسوا في ضيافة أحد، فتوجه جيش الزبير إلى دار الإمارة، ومن ثم إلى بيت المال ليرزقوا أصحابهم، وأخلي سبيل عثمان بن حنيف، واتجه إلى علي[2]، وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين رضي الله عنهم على البصرة، وقتلوا عدداً كبيراً ممن شارك في الهجوم على المدينة، قُدِّر بسبعين رجلاً من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حكيم بن جبلة، والذي كان حريصاً على القتال وإشعال الحرب، وكان الزبير أمير القتال فقد بويع على ذلك[3].

7 – رسائل السيدة عائشة إلى الأمصار الأخرى:

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها حريصة على إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال مع أهل البصرة، فكتبت إلى أهل الشام والكوفة واليمامة، وكتبت إلى أهل المدينة أيضاً تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه، وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده في الشريف والوضيع، والكثير والقليل، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يردُّنا عن ذلك. فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونُزَّاعهم، فردُّونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتْهم بالحق وحثتهم عليه، فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين، فلم يفلت منهم إلا حُرْقوص بن زهير والله مقيده. وإنّا نناشدكم الله سبحانه في أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به، فنلقى الله عز وجل وتلقونه، وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا[4].

8 – الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة:

روى الطبري عن أبي مخنف، عن يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف، أرسلوا أبان بن عثمان بن عفان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ، قالت: ردوا أُباناً، فردُّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه، قال: لو علمتُ أنكِ تدعينني لهذا لم أرجع، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطاً، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار

---

[1] المصدر السابق نفسه (503/5).

[2] تاريخ الطبري (493/5) ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 138.

[3] أنساب الأشراف (93/2) ، بسند حسن ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 139.

[4] تاريخ الطبري (501/5).

عينيه وحبسوه[1]. وفي سند هذه الرواية أبو مخنف؛ وهو شيعي رافضي محترف وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه، والصحابة الكرام ينزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة، والذي يفهم من رواية سيف أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك، وأن طلحة والزبير رضي الله عنهما استشنعاه، واستعظماه وبعثا بالخبر إلى عائشة، فقالت: خلوا سبيله وليذهب حيث شاء[2].

وهذه الرواية عارضت تفصيلات أبي مخنف؛ فهي لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بنتف شعر وجهه، وقد اختار هذه الرواية النويري وابن كثير[3]، وذكر الذهبي أن مجاشع بن مسعود قد قتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف[4]، وحتى لو فرض عدم قتل مجاشع بن مسعود فليست إليه القيادة حتى بصدر هذه الأوامر[5].

سابعاً: خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الكوفة:

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة، فقد تبيَّن ذلك حينما همّ علي بالنهوض إلى الشام، ليزور أهلها وينظر ما هو رأي معاوية وما هو صانع[6]، فقد كان يرى أن المدينة لم تَعُدْ تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة، فقال: إن الرجال والأموال بالعراق[7].

فلما علم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجر رسول الله ﷺ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت.. فأخذ الخليفة بما أشار عليه أبو أيوب، وعزم المقامة بالمدينة، وبعث العمال على الأمصار[8].

ولكن حصلت كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريباً من أهل الشام[9]، وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة[10]، فاستنفر أهل

---

[1] تاريخ الطبري (5/497).
[2] المصدر السابق نفسه.
[3] نهاية الأرب (20/38) ؛ البداية والنهاية (7/233).
[4] تاريخ الإسلام للذهبي ؛ مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 359.
[5] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 259.
[6] الثقات لابن حبان (2/283) ؛ الأنصار في العصر الراشدي ، ص 161.
[7] المصدر السابق نفسه (2/283) ، الأنصار في العصر الراشدي ، ص 161.
[8] المصدر السابق نفسه (2/283) ، الأنصار في العصر الراشدي، ص 161.
[9] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص 183.
[10] تاريخ الطبري (5/507).

المدينة ودعاهم إلى نصـــرته، وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بســـبب وجود الغوغاء في جيش علي، وطريقة التعامل معهم، فإن كثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة لا زالت مستمرة، فلا بد من التروي حتى تنجلي الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع؟! فإن هذا الأمر لمشتبه علينا، ونحن مقيمون حتى يضأي لنا ويسفر.

وروى الطبري: أن علياً رضـــي الله عنه خرج في تعبئته التي كان تعبى بها إلى الشـــام، وخرج معه من نشـــط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمئة رجل[1].

والأدلة على تثاقل كثير من أهل المدينة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرة؛ منها: خطب الخليفة التي شـــكا فيها من هذا التثاقل[2]، وظاهرة اعتزال كثير من الصـحابة بعد مقتل عثمان كما اتضـح ذلك، كما أن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم[3].

وقد عبر أبو حميد السـاعدي الأنصـاري وهو بدري عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان فقال: اللهم إن لك علي أن لا أضـحك حتى ألقاك[4]، فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة في تلك المرحلة يقود إلى الإنزلاق في الفتنة التي يخشون عواقبها[5]، على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله ﷺ[6].

ومما سـبق ذكره لا يعني أنه لم يشـارك أحد من الصـحابة في مسـيرة الخليفة هذا لكنهم كانوا قليلاً. قال الشـعبي: لم يشـهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله ﷺ غير علي وعمار وطلحة والزبير، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب[7]. وفي رواية: من حدثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدراً أكثر من أربعة نفر فكذبه؛ كان علي وعمار في ناحية، وطلحة والزبير في ناحية[8]، وفي رواية: لم ينهض مع علي إلى البصــرة غير ســتة نفر من البدريين ليس لهم ســابع[9]، وبهذا يكون المقصـــود في الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر، وعلى كل حال فإن من شارك في الفتنة من الأنصار قليل.

قال ابن ســيرين والشــعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصــحاب النبيﷺ أكثر من عشــرة آلاف: فما يعدون من خف فيها

[1] المصدر السابق نفسه (481/5).
[2] الطبقات (237/3) ؛ الأنصار في العصر الراشدي ، ص 163.
[3] البداية والنهاية نقلاً عن الأنصار في العصر الراشدي ، ص 164.
[4] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين.
[5] الأنصار في العصر الراشدي ، ص 164.
[6] المصدر السابق نفسه.
[7] تاريخ ابن خياط ، ص 16 ؛ مصنف ابن أبي شيبة (710/8).
[8] العثمانية للجاحظ ، ص 175 ؛ الأنصار في العصر الراشدي ، ص 165.
[9] الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير ، كنعان ، ص 356.

عشرين رجلاً، فسميا حرب علي وطلحة والزبير وصفين فتنة[1].

فيتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع الخليفة علي إلى البصرة كان قليلاً، ولا يمكن الجزم بمشاركتهم في حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحى[2]. إن إحدى الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمئة رجل[3]. والذي يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجاماً مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذي كان يتراوح بين الميل للعزلة والتثاقل عن المشاركة في الأحداث[4].

1 – نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين علي:

حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله ﷺ أن يثني عزم أمير المؤمنين علي عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه، ونهاه أن يقدم على العراق قائلاً: أخشى أن يصيبك ذباب السيف، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله ﷺ، فلن يراه أبداً، كان علي يعلم هذه الأشياء من رسول الله ﷺ ـــ فقال: وايم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ، ولكن من مع علي من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلي: دعنا فلنقتله، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف في طريقهم، أو يحسون بخطره على حياتهم بالقول أو العمل أمراً هيناً لا يرون به بأساً، وفي قولهم، وتهجمهم هذا يدل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التي أمر رسول الله ﷺ الناس بعده بها، ولكن علياً رضي الله عنه نهاهم قائلاً: إن عبد الله بن سلام رجل صالح[5].

2 – نصيحة الحسن بن علي لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة، وعندما بلغ الربذة[6] عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المئتين[7]، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن رضي الله عنهما وهو باكٍ لا يخفي حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخنّ[8] خنين الجارية،

---

[1] المصدر السابق نفسه.
[2] الأنصار في العصر الراشدي ، ص 165.
[3] تاريخ الطبري (481/5).
[4] الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف ، ص 388.
[5] مسند أبو يعلى (381/1) ، قال محققه: إسناده صحيح.
[6] شرق المدينة المنورة ، تبعد 204 كيلو متر.
[7] أنساب الأشراف (45/2)؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص 143.
[8] تاريخ الطبري (482/5) ، خن: أخرج الصوت من خياشيمه.

وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان، ما فعلا؛ أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله.

قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك: حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذ وليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك؛ فكيف لي بما قد لزمني، أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب[1]، ليست هاهنا حتى يحل عرقوباها ثم تُخرجُ، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه؟! فكف عنك أي بني[2].

كان موقف أمير المؤمنين علي حازماً في هذه المشكلة وواضحاً، ولم يستطيع أحد أن يثنيه عن عزمه. وأرسل علي رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر؛ ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، إذ إن أبا موسى الأشعري والي الكوفة من قبل علي، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة، وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في الفتنة[3]، فأرسل علي بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته، لتأثير أبي موسى عليهم[4].

3. استنفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار[5]:

تحرك علي بجيشه إلى ذي قار، فعسكر بها بعد ثمان ليالٍ من خروجه من المدينة، وهو في تسعمئة رجل تقريباً[6]، فبعث للكوفة في هذه المرة عبد الله بن عباس، فأبطؤوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي، وعزل أبا موسى الأشعري، واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه[7].

وكان للقعقاع دور عظيم في إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا،

---

[1] دباب: كقطام؛ دعاء الضبع للضبع .
[2] تاريخ الطبري (482/5).
[3] تاريخ الطبري (514/5) ؛ مصنف ابن أبي شيبة (12/15) ، إسناده حسن.
[4] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 144؛ سير أعلام النبلاء (486/3).
[5] ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة. معجم البلدان (393/4).
[6] تاريخ الطبري (519/5 إلى 521).
[7] فتح الباري (53/13) ؛ التاريخ الصغير (109/1).

ولأقولن لكم قولاً هو الحق،... والقول الذي هو الحق: إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وتزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا علي يلي ما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأى و مسمع[1].

وكان للحسن بن علي أثر واضح، فقد قام خطيباً في الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى[2] أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم[3].

ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين الستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس، ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريباً[4].

وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين علي بذي قار، قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم، وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأغنيتم حوزتكم، وأعنتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما نريد، وإن يلجّوا داويناهم بالرفق، وباينّاهم حتى يبدؤونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله[5].

4 – اختلاف الرأي لا يفسد للودِّ قضية:

وهذا القول ينطبق على حال الصحابة في هذه الفتنة؛ فمع اختلافهم في الرأي، لم يدخل قلب أحد الضَّغن على أخيه، وإليك هذه القصة التي حدثت بالكوفة، فقد روى البخاري عن أبي وائل قال: دخل أبو موسى الأشعري، وأبو مسعود (عقبة بن عمرو الأنصاري) على عمّار حين بعثه عليٌّ إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمراً، أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما في هذا الأمر. وفي رواية: فقال أبو مسعود ــ وكان موسراً ــ: يا غلام هات حلتين؛ فَأَعْطَى إحداهما أبا موسى، والأخرى عمّاراً، وقال: روحا فيه إلى الجمعة[6].

فأنت ترى أبا مسعود وعماراً كانا وكلاهما يرى الآخر مخطئاً، ومع ذلك فأنت ترى أبا مسعود يكسو عماراً حلة ليشهد بها

---

[1] تاريخ الطبري (5/516).

[2] أولو النهى: أصحاب العقول.

[3] تاريخ الطبري (5/516).

[4] مصنف عبد الزراق (5/456 . 457) ، بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص 146 ، والإسناد حسن لغيره ، قاله عبد الحميد علي

[5] تاريخ الطبري (5/519).

[6] البخاري ، كتاب الفتن.

الجمعة؛ لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة في تلك الثياب، وهذا تصرُّف يدل على غاية الودِّ مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيباً، فعمار يرى إبطاء أبي موسى وأبي مسعود عن تأييد علي عيباً، وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار في تأييد أمير المؤمنين علي عيباً، وكلاهما له حجته التي اقتنع بها:

فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال في الفتنة، تمسكاً بالأحاديث الواردة في ذلك، وما في حمل السلاح على المسلم من الوعيد، وكان عمّار: على رأي علي في قتال الباغين والناكثين، والتمسك بقوله ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾، وحمل الوعيد الوارد في القتال على من كان متعدياً على صاحبه، وكلا الفريقين لم يكن حريصاً على قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأدنى سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، وفضّ الالتحام إن وقع، لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال[1].

5 – تساؤلات على الطريق:

أ ـ ما سأله به أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصاري: لما أراد الخروج من الرّبذة، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذاً، فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها، وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

دَرَاكَها دَرَاكَها قَبْلَ الفَوْتِ   وانْفِرْ بِنَا وَاسْمُ بِنَا نَحْوَ الصَوْتِ

لا وَ أَلَتْ نَفْسي إنْ هِبْتُ المَوْتِ[2]

ب ـ أهل الكوفة يسألون علي بما فيهم الأعور بن بنان المنقري: لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه في ذي قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قدومهم، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بُنان المِنْقريّ، فقال له علي رضي الله عنه: على الإصلاح وإطفاء النائرة[3]، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابوني، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم[4].

---

[1] المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (304/2).

[2] تاريخ الطبري (510/5).

[3] النائرة: العداوة.

[4] لبداية والنهاية (250/7) ؛ تاريخ الطبري (529/5).

ج ــ أبو سلامة الدّألاني، ممن سأل أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال: أترى لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم، قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إنّ الشــيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعاً، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً قال: إني لأرجو ألاّ يُقتل أحد نقيّ قلبه لله منّا ومنهم، إلا أدخله الله الجنة[1].

د ـ وسأل مالك بن حبيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصـــلاح، الكفّ عن هذا الأمر، فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصـــدع لا يلتئم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه[2].

إن هدف أمير المؤمنين الإصلاح وإطفاء الفتنة، وأن القتال ليس وارد في تدابيره، لأنّه إن حصل، فهو داء لا يُرجى شفاؤه، أما من يقتل بين الطرفين فهو مرهون بنيّته، سواء قاتل مع أمير المؤمنين أو قاتل ضده، وبذلك يقرر أمير المؤمنين:

أن المســلمين الذي خرجوا في هذا الأمر، بعد اســتشــهاد عثمان رضــي الله عنه يبتغون الإصــلاح والقضــاء على الفتنة، مجتهدون وأجرهم على قدر إخلاص نواياهم ونقاء قلوبهم[3].

ثامناً: محاولات الصلح:

قبل أن يتحرك علي رضـي الله عنه بجيشـه نحو البصـرة أقام في ذي قار أياماً، وكان غرضـه رضـي الله عنه القضـاء على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية، وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أُوتي من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير.

وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين ممن اعتزلوا الأمر؛ منهم:

1 – عمران بن حصين رضي الله عنه:

فقد أرسل في الناس يخذِّل الفريقين جميعاً، ثم أرسل إلى بني عدي ـ وهم جمع كبير انضموا للزبير ـ فجاء رسوله وقال لهم في مسجدهم: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ ينصحكم، ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبداً حبشـياً مجدعاً يرعى أعنزاً في رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمي في أحد من الفريقين بسـهم أخطأ

---

[1] المصدر السابق نفسه (250/7).

[2] تاريخ الطبري (52/5)؛ الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي ، ص 406.

[3] الإنصاف ، د. حامد ، ص 406.



أو أصاب، فأمسِكوا فدىً لكم أبي وأمي، فقال القوم: دعنا منك، فإنّا والله لا ندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء[1] أبداً.

2 – كعب بن سور:

أحد كبار التابعين ــ فقد بذل كل جهد، وكلف نفسه فوق طاقتها، وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر في محاولة الصلح إلى أن وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده، إذ قتل وهو بين الصفين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكفِّ السلاح[2].

3 – القعقاع بن عمرو التميمي:

أرسل أمير المؤمنين علي القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنهما في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير، وقال: القَ هذين الرجلين، فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظِّم عليهما الاختلاف والفرقة. ذهب القعقاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة رضي الله عنها، وقال لها: ما أقدمك يا أماه إلى البصـرة؟ قالت له: يا بني من أجل الإصـلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا، ويكلمهما في حضرتها وعلى مسمع منها.

محاورة القعقاع لطلحة والزبير:

ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما، فقالا ــ كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عَرفناه لنصلحنَّ معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا له: قتلة عثمان رضي الله عنه، ولا بد أن يُقتلوا، فإن تُركوا بدون قصاص كان هذا تركاً للقرآن، وتعطيلاً لأحكامه، وإن اقتُصَّ منهم كان هذا إحياء للقرآن.

قال القعقاع: لقد كان في البصرة ستمئة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحداً، وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بني سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقتْله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم، ووقفوا أمامكم وقفة رجل واحد، فإن تركتم حرقوصاً ولم تقتلوه، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون علياً به، وإن قاتلتم بني سعد من أجل حرقوص، وغلبوكم وهزموكم وأديلوا عليكم، فقد وقعتم في المحذور، وقوَّيْتموهم، وأصابكم ما تكرهون، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربيعة ومضر، من هذه البلاد، حيث اجتمعوا على حربكم وخذلانكم، نصرة لبني سعد، وهذا ما حصل مع علي، ووجود قتلة عثمان في جيشه.

---

[1] الطبقات لابن سعد (87/4) ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 148.

[2] الطبقات لابن سعد (92/7) ، من طريقين صحيحة الإسناد ؛ وخلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 149.

الحل عند القعقاع التأني والتسكين ثم القصاص:

تأثرت أمُّ المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع، وحجته المقبولة، فقالت له: فماذا تقول أنت يا قعقاع؟ قال: أقول: هذا أمرٌ دواؤه التسكين، ولا بد من التأني في الاقتصاص من قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات، واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرّغ لقتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم علياً[1] و اتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهاباً لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً، ولا تُعرّضونا للبلاء، فتتعَرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف أن لا يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قلَّ متاعها، ونزل بها ما نزل، فإنّ ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة.

اقتنَعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافَقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع، فإن قدم علي، وهو على مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله.

عاد القعقاع إلى علي في ذي قار وقد نجح في مهمته، وأخبر علياً بما جرى معه، فأُعجب علي بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه، ورضيه من رضيه[2].

بشائر الاتفاق بين الفريقين:

لما عاد القعقاع وأخبره بما فعل، أرسل علي رضي الله عنه رسولين[3] إلى عائشة والزبير ومن معهم يستوثق فيه مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا علياً، بأنّا على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل عليّ حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح[4]، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا؛ يقصد إلى البصرة؛ ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس[5].

---

(1) الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علي في التعامل مع قتلة عثمان.
(2) البداية والنهاية (739/7) ؛ تاريخ الطبري (521/5).
(3) تاريخ الطبري (525/5).
(4) المصدر السابق نفسه (539/5).
(5) المصدر السابق نفسه (525/5).

تاسعاً: نشوب القتال:

1 . دور السبئية في نشوب الحرب:

كان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره[1]. وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص[2].

فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان ــ رضي الله عنه ــ، فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لا يذكرون ولا ينوون إلاّ الصلح.

وبات الذين أشاعوا الفتنة بشر ليلة باتوها قط، إذ أشرفوا على الهلاك، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء. ورأي الناس فينا والله واحد، وإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا[3].

وتكلم ابن السوداء ــ عبد الله بن سبأ ــ وهو المشير فيهم؛ فقال: يا قوم إن عزّكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[4].

فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السرّ، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم، فخرج مضريّهم إلى مضريّهم، وربيعيّهم إلى ربيعيهم، ويمانيّهم إلى يمانيّهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مصر، فبعثا إلى الميمنة، وهم ربيعة يرأسها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والميسرة، يرأسها عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد وثبتا في القلب، فقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً،

---

[1] المصدر السابق نفسه (526/5).
[2] المصدر السابق نفسه (527/5)؛ تحقيق مواقف الصحابة (120/2).
[3] تاريخ الطبري (526/5).
[4] المصدر السابق نفسه (527/5).

فقالا: ما علمنا أن علياً غير منتهٍ حتى يسفك الدّماء، ويستحل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردّوهم إلى عسكرهم[1].

فسمع علي وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئيَّة رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيّتونا فرددناهم، وقال عليّ لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، والسبئية لا تفتر إنشاباً[2].

وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة إلا أن الطرفين ما لبثا يملكان الرويّة حتى تتضح الحقيقة، فعلي ومن معه يتفقون على أن لا يبدؤوا بالقتال حتى يبدؤوا طلباً للحجة واستحقاقاً على الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبراً، ولا يجهزون على جريح، ولكن السبئية لا تفتر إنشاباً[3]، وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتونه، فما زاد أن قال: أف أف، فراش نار، وذبان طمع[4]! وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية؟ بل إن محاولات الصلح لتجري حتى آخر لحظة من لحظات المعركة.

ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه السبئية في المعركة، ويتضح بما لا يدع مجالاً للشك حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإصلاح وجمع الكلمة، وهذا هو الحق الذي تثبته النصوص وتطمئن إليه النفوس[5].

وقبل الحديث عن جولات المعركة نشير إلى أن أثر السبئيَّة في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء سواء أسموهم بالمفسدين، أو بأوباش الطائفتين، أو أسماهم البعض بقتلة عثمان، أو نبزوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية[6].

وإليك بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

أ ــ جاء في (أخبار البصرة) لعمر بن شبة: أن الذي نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان[7].

---

(1) المصدر السابق نفسه (541/5).
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) تاريخ خليفة بن خياط ، ص 182.
(5) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث فتنة صدر الإسلام ، ص 192 ، 193.
(6) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ، ص 194.
(7) فتح الباري (56/13).

ب ـ قال الإمام الطحاوي: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[1].

ت ـــ وقال الباقلاني:.. وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكُّن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين، ويبدؤوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتمَّ لهم ذلك على ما دبروه، ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم دافعاً لمكروه عن نفسه، ومانعاً من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذ وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل، وبه نقول[2].

ث ـ ونقل القاضي عبد الجبار: أقوال العلماء، باتفاق رأي علي وطلحة والزبير وعائشة ـ رضوان الله عليهم ـ على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأنّ من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبّروا في إلقاء ما هو معروف، وتمّ ذلك[3].

ج . ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم عليّ على البصرة، وتدانوا ليتراؤوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجرت الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإنّ واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف[4].

ح ـــ ويقول ابن حزم:.. وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليّ، فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطاً، لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شنّ الحرب وإضرامها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحاً في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ـ ﷺ، فانصرف ومات من وقته ـ رضي الله عنه ـ، وقتل الزبير بوادي السباع . بعد انسحابه من المعركة . على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر.[5]

---

[1] شرح عقيدة الطحاوي ، ص 546.

[2] التمهيد ، ص 233.

[3] تثبيت دلائل النبوة للهمداني ، ص 299.

[4] العواصم من القواصم ، ص 156 ، 157.

[5] الفصل في الملل والنحل (157/4 ، 158).

ويقول الذهبي: كانت وقعة الجمل، أثارها سفهاء الفريقين.[1] ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين، بالنبل ونشبت نار الحرب، وثارت النفوس[2].

وفي دول الإسلام: والتحم القتال من الغوغاء وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير[3].

يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرّحة بدور السبئية في الجمل، تفسّر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية، ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول أن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه السبئية، كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين[4].

ولا ننسى أن للفتنة وأجوائها دور في الإسهام بتلك الأحداث، فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأي العين، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرى من سواهم حقيقتها ناصعة لا تحتاج إلى عناء، وكفى بسواد الفتنة حاجباً عن التروي والإبصار[5].

ولا نبعد كثيراً فهذا الأحنف بن قيس ـــ وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب، حتى لقيه أبو بكرة[6]، فقال: أين تريد يا أحنف؟ قلت: أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: يا أحنف ارجع فإني سمعته ﷺ يقول: «إذا تَوَاجَه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار» فقلت، أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان قد أراد قتل صاحبه»[7].

إن القتال مع عليّ كان حقاً وصواباً، ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران، ولكن أبا بكرة رضي الله عنه حمل حديثاً ورد في غير الحالة قاتل فيها علي على حالة قتال الباغين وهو فهم منه رضي الله عنه، ولكنه فهم في غير محله.

ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت علياً رضي الله عنه في معركته مع الآخرين؛ منها أمثال هذه الفتاوى التي

---

[1] العبر (37/1) ؛ عبد الله بن سبأ للعودة ، ص 195.

[2] تاريخ الإسلام (15/1) ؛ عبد الله بن سبأ للعودة ، ص 195.

[3] المصدران السابقان نفسهما.

[4] عبد الله بن سبأ للعودة ، ص 195.

[5] المصدر السابق نفسه ، ص 196.

هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي ، كما قال الإمام أحمد، وعزى هذا القول إلى الأكثرين ، وقيل: إنه نفيع بن مسروح وبه جزم ابن سعد؛ وقيل: اسمه مسروح ، وبه جزم ابن إسحاق ، وعلى كل فهو مشهور بكنيته أبي بكرة ، من فضلاء الصحابة ، ومن أهل الطائف ، وممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين، قيل في سبب كنيته: إنه تدلى من حصن الطائف لبكرة،

[6]فاشتهر بها ، توفي بالبصرة 52 هـ.

[7] مسلم (2213/4) ، كتاب الفتن.

هي أثر عن ورع أكثر منها أثر عن فتوى تصيب محلها[1].

هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع علي رضي الله عنهما، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين[2]، ونقترب أكثر فإذا الزبير رضي الله عنه ـــ وهو طرف أساسي في المعركة يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدّث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة و تقاتل فيها؟! قال: ويحك! إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر[3].

ويشير إلى ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً[4].

وفي الطرف الآخر يؤكد أصحاب علي رضي الله عنه على الفتنة، فيقول عمار ـــ رضي الله عنه في الكوفة عند خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم في الدنيا، والآخرة، ولكنها مما ابتليتم[5].

2 – الجولة الأولى في معركة الجمل:

زاد السبئيّون في الجيشين من جهودهم في إنشاب القتال، ومهاجمة الفريق الآخر، وإغراء كل فريق بخصمه، وتهييجه على قتاله، ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة، وهي معركة الجمل، وسميت بذلك لأنَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كانت في المعركة في الجولة الثانية وسط جيش البصرة، تركب الجمل الذي قدّمه لها يعلى بن أمية في مكة، حيث اشتراه من اليمن، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة، ثم ركبته أثناء المعركة.

وكانت المعركة يوم الجمعة في السادس عشر من جمادى الثانية، سنة ست وثلاثين، في منطقة الزابوقة قرب البصرة، حزن علي لما جرى، وناد مناديه: كُفّوا عن القتال أيها الناس، ولم يسمع نداءهُ أحد، فالكلُّ كان مشغولاً بقتال خصمه[6].

كانت معركة الجمل على جولتين: الجولة الأولى: كان قائداً جيش البصرة فيها طلحة والزبير، واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهيرة[7]، ونادى علي في جيشه، كما نادى طلحة والزبير في جيشهما لا تقتلوا مدبراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تلحقوا خارجاً من المعركة تاركاً لها[8]، وقد كان الزبير رضي الله عنه وصى ابنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم

[1] الأساس في السنة وفقهها ، السيرة النبوية (1711/4).
[2] صحيح مسلم على شرح النووي (10/18).
[3] تاريخ الطبري (506/5).
[4] المصدر السابق نفسه.
[5] المصدر السابق نفسه (516/5).
[6] المصدر السابق نفسه (541/5).
[7] المصدر السابق نفسه (541/5 ، 543)؛ الخلفاء الراشدون للخالدي ، ص 245.
[8] المصدر السابق نفسه (541/5).

إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل مظلوماً، وإن أكبر همي ديني[1]، وأثناء ذلك جاء رجل إلى الزبير، وعرض عليه أن يقتل علياً، وذلك بأن يندس مع جيشه ثم يفتك به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا؛ لا يفتك مؤمن، أو إن الإيمان قيد الفتك[2]، فالزبير رضي الله عنه ليس له غرض في قتل علي أو أي شخص آخر بريء من دم عثمان، وقد دعا أمير المؤمنين علي الزبير، فكلمه بألطف العبارة، وأجمل الحديث، وقيل: ذكره بحديث سمعه من رسول الله ﷺ يقول له ــ أي: الزبير ــ: «لتقاتلنه وأنت له ظالم»[3] وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح[4].

وبعض الروايات، ترجع السبب في انصراف الزبير رضي الله عنه قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر في الصف الآخر، وهو وإن لم يروِ عن رسول الله ﷺ: تقتل عمار الفئة الباغية[5]، فلعله سمعه من بعض إخوانه من الصحابة لشهرته[6].

وبعضها ترجع السبب في انصرافه إلى شكه في صحة موقفه[7] من هذه الفتنة، كما يسميها. وفي رواية ترجع السبب في انصرافه إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ذكّره بالقرابة القوية من علي إذ قال له: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب بن عبد المطلب[8]، فخرج الزبير من المعركة، فلقيه ابن جرموز فقتله[9] كما سيأتي تفصيله بإذن الله.

فالزبير رضي الله عنه كان على وعي لهدفه ـ وهو الإصلاح ـ ولكنه لما رأى حلول السلاح مكان الإصلاح رجع، ولم يقاتل، وقول: ابن عباس: تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب؟ فيه حذف مفهومه: أم جئت للإصلاح وجمع الشمل[10]؟. وعلى إثر هذا الحديث انصرف الزبير وترك الساحة.

وربما كانت عوامل متعددة ومتداخلة ساهمت في خروج الزبير من ساحة المعركة، وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثاني لجيش البصرة، فقد أصيب في بداية المعركة، إذ جاءه سهم غرْبُ لا يُعرفُ من رماه، فأصابه إصابة مباشرة، ونزف دمه بغزارة،

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة (279/15) ؛ الطبقات (108/3) صحيح الإسناد.
[2] مسند أحمد (19/3) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.
[3] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص 201 ، خرّج طرق الحديث وحكم عليها بالضعف.
[4] المدينة النبوية فجر الإسلام (324/2) ؛ المطالب العلية ، رقم 4468.
[5] مسند أحمد (47/1 ـ 49) ، (38/11) ، إسناده صحيح ، تحقيق: أحمد شاكر.
[6] خلافة علي بن أبي طالب ، ص 154.
[7] المصدر السابق نفسه ؛ تاريخ الطبري (506/5).
[8] الطبقات (110/3) إسناده صحيح ؛ خلافة علي ، ص 155.
[9] الطبقات (10/3) ؛ تاريخ خليفة ، ص 186.
[10] المدينة النبوية فجر الإسلام (248/2).

فقالوا له: يا أبا محمد، إنك لجريح، فاذهب وادخل البيوت لتعالج فيها، فقال طلحة لغلامه: احملني وابحث لي عن مكان مناسب، فأُدخل البصرة، ووُضع في دار فيها ليعالج، ولكنَّ جرحه ما زال ينزف حتى توفي في البيت، ثم دفن في البصرة، رضي الله عنه[1].

وأما الرواية التي تشير إلى تحريض الزبير وطلحة على القتال، ثم أن الزبير لما رأى الهزيمة على أهل البصرة ترك المعركة ومضى؛ فهذه الرواية لا تصح[2]، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح، فكيف ينسجم هذا الفعل من الزبير رضي الله عنه مع الهدف الذي خرج من مكة إلى البصرة من أجله ألا وهو الإصلاح بين الناس؟! وبالفعل فإن موقف الزبير رضي الله عنه كان السعي في الإصلاح حتى آخر لحظة، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، وفيه: أن الزبير رضي الله عنه سعى في الصلح بين الناس ولكن قامت المعركة واختلف أمر الناس، ومضى الزبير وترك القتال[3].

وكذلك طلحة، فقد جاء من أجل الإصلاح وليس من أجل إراقة الدماء، وأما عن مقتل طلحة رضي الله عنه؛ فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس[4].

ويخرج الزبير من ميدان المعركة، ويموت طلحة رضي الله عنهما، وبسقوط القتلى والجرحى من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل، وكانت الغلبة فيها لجيش علي، وكان علي رضي الله عنه يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى في الجانبين، فيتألم ويحزن، وأقبل عليٌّ على ابنه الحسن، وضمّه إلى صدره، وصار يبكي ويقول له: يا بُني: ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً. فقال الحسن: يا أبت لقد كنت نهيتك عن هذا، فقال علي: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وما طعمُ الحياة بعد هذا؟ وأيُّ خير يرُجى بعد هذا؟[5].

3 – الجولة الثانية:

وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الأزدية، ومعها كعب الذي دفعت إليه مصحفاً يدعو الناس إلى وقف الحرب، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب

---

[1] البداية والنهاية (253/7).
[2] تاريخ الطبري (540/5).
[3] المستدرك (366/3) ؛ استشهاد عثمان ، ص 200.
[4] تاريخ خليفة ، ص 185 ؛ استشهاد عثمان ، ص 202.
[5] البداية والنهاية (521/7).

الناس، فتحجز بينهم وتطفئ هذه الفتنة التي بدأت تشتعل[1].

وحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش البصرة، ونادى جيش علي قائلاً: يا قوم: أنا كعب بن سور، قاضي البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح على أساسه، وخشي السبئيون في مقدمة جيش علي أن تنجح محاولة كعب، فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فلقي وجه الله، ومات والمصحف في يده[2].

وأصابت سهام السبئيّين ونبالهم جمل عائشة وهودجها، فصارت تُنادي، وتقول: يا بني: الله، الله، اذكروا الله، ويوم الحساب، وكفّوا عن القتال، والسبئيّون لا يستجيبون لها، وهم مستمرون في ضرب جيش البصرة.

وكان علي من الخلف يأمر بالكف عن القتال، وعدم الهجوم على البصريين، لكن السبئيين في مقدمة جيشه لا يستجيبون له، ويأبون إلا إقداماً وهجوماً وقتالاً، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت: أيها الناس: العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وصارت عائشة تدعو على قتلة عثمان، وتلعنهم وضجّ أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان، وأشياعهم، ولعنهم، وسمع عليٌّ الدعاء عالياً في جيش البصرة، فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان، والناس يدعون معها. قال علي: ادعوا معي على قتلة عثمان، وأشياعهم والعنوهم، وضجّ جيش علي يلعن قتلة عثمان والدعاء عليهم[3]، وقال علي: اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل[4].

اشتدت الحرب واشتعلت، وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح، وبعد تقصف الرماح، استلوا السيوف فتضاربوا بها حتى تقصفت[5]، ودنا الناس بعضهم من بعض[6]، ووجّه السبئيّون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها، وقاتلوا أمام الجمل، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قتل، حيث كانت المعركة أمام الجمل في غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة، حتى أصبح الهودج كأنه قنفذ مما رمي فيه من النبل[7]، وقتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبني ضبة وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير[8]، وقد أصيبت عائشة بحيرة شديدة وحرج؛ فهي لا تريد القتال، ولكنه وقع رغماً عنها وأصبحت في وسط المعمعة، وصارت تنادي بالكف، فلا

---

[1] مصنف عبد الرزاق (456/5) ، بسند صحيح إلى الزهري.

[2] البداية والنهاية (253/7).

[3] البداية والنهاية (253/7).

[4] مصنف ابن أبي شيبة (268/15) بسند صحيح ؛ سنن سعيد بن منصور (236/2) بسند صحيح.

[5] مصنف ابن أبي شيبة (258/15) ، رجاله رجال الصحيح.

[6] الطبقات (92/5) ، بسند حسن.

[7] البداية والنهاية (253/7) ؛ تاريخ خليفة ، ص 190 ، بسند حسن.

[8] البداية والنهاية (254/7).

مجيب. وكان كل من أخذ بخطام الجمل قتل، فجاء محمد بن طلحة(السجاد) وأخذ بخطامه وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرين، فقالت: كن كخيري ابني آدم ـ أي كف يدك، فأغمد سيفه بعد أن سله فقتل رحمه الله[1]، كما قتل عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، الذي حاول أن يقتل الأشتر حتى لو قتل معه، وذلك أنه صارعه فسقطا على الأرض جميعاً، فقال ابن عتاب لمن حوله: اقتلوني[2] ومالكاً لحنقه عليه لما كان له من دور بارز في تحريض الناس على عثمان رضي الله عنه، ولكن الأشتر لم يكن معروفاً بمالك، ولم يك قد حان أجله، ولو قال: الأشتر؛ لابتدرته سيوف كثيرة[3].

وأما عبد الله بن الزبير، فقد قاتل قتالاً منقطع النظير، ورمى بنفسه بين السيوف، فقد استخرج من بين القتلى وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة، كان أشدها واخرها ضربة الأشتر، إذ من حنقه على ابن الزبير لم يرضَ أن يضربه وهو جالس على فرسه، بل وقف في الركابين فضربه على رأسه ظاناً أنه قتله[4]، واستحر القتل أيضاً في بني عدي وبني ضبة والأزد، وقد أبدى بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثربي الضبي برجزه:

نحنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الجَمَلْ ... نُنَازِلُ المـوْتَ إذا المـوْتُ نَزَلْ

المَوْتُ عِنْدَنَا أَحْلَى مِنَ العَسَلْ ... نَنْعِي ابْنَ عَفَّانَ بِأَطْرَافِ الأَسَلْ[5]

أدرك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، بما أوتي من حنكة وقوة، ومهارة عسكرية فذة؛ أن في بقاء الجمل استمراراً للحرب، وهلاكاً للناس، وأن أصحاب الجمل لن ينهزموا أو يكفوا عن الحرب ما بقيت أم المؤمنين في الميدان، كما أن في بقائها خطر على حياتها؛ فالهودج الذي هي فيه أصبح كالقنفذ من السهام[6]، فأمر علي نفراً من جنده منهم محمد بن أبي بكر (أخو أم المؤمنين) وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلى الساحة. أي: يضربا قوائم الجمل بالسيف ــ فعقروا الجمل[7]، واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهودج حتى وضعاه أمام علي، فأمر به علي، فأدخل في منزل عبد الله بن بديل[8]، وصدق حَدْسُ علي رضي الله عنه العسكري، فما إن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف، وأخرجت أم المؤمنين من الميدان، حتى ولوا الأدبار منهزمين. ولو لم يتخذ هذا

---

[1] نسب قريش، ص 281 ؛ التاريخ الصغير للبخاري (110/1) ، بسند صحيح.

[2] مصنف ابن أبي شيبة (228/15) ؛ مرويات أبي مخنف ، ص 268 ، إسناده صحيح.

[3] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 159.

[4] مصنف ابن أبي شيبة (228/15)؛ بسند صححه ابن حجر في الفتح (57/13 . 58).

[5] تاريخ خليفه ، ص 190 ، بسند حسن ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 159.

[6] أنساب الأشراف للبلاذري (43/2) بسند متصل.

[7] أعلام الحديث للخطابي (1611/3).

[8] مصنف ابن أبي شيبة (286/15 . 287) بسند جيد ؛ الفتح (57/13).

الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن يفنى جيش البصرة أصحاب الجمل، أو ينهزم جيش علي.

وعندما بدأت الهزيمة، نادى علي أو مناديه في جيشه أن لا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح، ولا يغنموا إلا ما حمل إلى الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونهاهم أن يدخلوا الدور، ليس هذا فحسب، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد له شيء من متاع عند أحد من أصحابه، فله أن يسترده، فجاء رجل إلى جماعة من جيش علي وهم يطبخون لحماً في قدر له، فأخذ منهم القدر وكفأ ما فيها حنقاً عليهم[1].

4 – عدد القتلى:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الروايات، وذكر المسعودي: أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة[2].

فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل عشرون ألفاً[3]، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة، لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل. أما أبو مخنف الرافضي الشيعي، فقد بالغ كثيراً بحكم ميوله، وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن؛ إذ ذكر أن العشرين ألفاً هم من أهل البصرة فقط[4]. وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي رضي الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة رضي الله عنها، وفي رواية أخرى قال: وقيل خمسة عشر ألفاً، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية[5]، والروايتان ضعيفتان للانقطاع وغيره، وفيها مبالغة أيضاً. ويذكر عمر ابن شبة بسنده: أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سنداً[6]. أما اليعقوبي، فقد جاوز هؤلاء جميعاً، إذ وضع عدد القتلى نيفاً وثلاثين ألفاً[7]، وهذه الأرقام مبالغ فيها جداً، وكان من أسباب المبالغة:

أ ـ رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم، في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حبُّ الصحابة والاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ.

ب ـــ مساهمة بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل، في تضخيم ما جرى وتكبيره، ليتناسب مع ما يصنعون من أشعار

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة (286/15 . 287) ، بسند جيد ؛ الفتح (57/13).
[2] مروج الذهب (367/2).
[3] المصدر السابق نفسه.
[4] تاريخ خليفة بن خياط ، ص 186 ، بسند مرسل.
[5] تاريخ الطبري (542/5 إلى 555).
[6] تاريخ خليفة بن خياط ، ص 186 ، إسناده منقطع ، وهو حسن إلى قتادة.
[7] مصنف ابن أبي شيبة (546/7)؛ فتح الباري (62/13).

ينسبونها إلى بعض زعمائهم وفرسانهم، فضلاً عن وجود قصاص السمر، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدَّثون عنها.

ت . إيجاد الثقة في نفوس أتباع الغوغاء والسبئية؛ لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم[1].

أما عن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلاً جداً للأسباب التالية:

- قصر مدة القتال، حيث أخرج ابن أبي شيبة، بإسناد صحيح[2]: أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.
- الطبيعة الدفاعية للقتال؛ حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.
- تحرج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة دم المسلم.
- قياساً بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك ثلاثة آلاف شهيد، ومعركة القادسية ثمانية آلاف وخمسمئة شهيد، وهي التي استمرت عدة أيام، فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جداً، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحِدّتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.
- أورد خليفة بن خياط بياناً بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل؛ فكانوا قريباً من المئة[3]، فلو فرضنا أن عددهم كان مئتين وليس مئة، فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المئتين. وهذا هو الرقم الذي ترجح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته (استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري . دراسة نقدية)[4].

5 – هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله؟:

أشارت كثير من الروايات إلى أن قاتل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مروان ابن الحكم[5]، ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتَّضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة، وذلك للأسباب التالية:

أ ـــ قال ابن كثير: ويقال: إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقد قيل: إن الذي رماه بهذا السهم غيره، وهذا

---

[1] الإنصاف ، ص 455.
[2] مصنف ابن أبي شيبة (546/7)؛ فتح الباري (62/13).
[3] تاريخ خليفة ، ص 187 ، 190.
[4] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص 215.
[5] الطبقات (223/3) ؛ تاريخ المدينة (1170/4) ؛ تاريخ خليفة ، ص 185.

عندي أقرب وإن كان الأول مشهوراً، والله أعلم[1].

ب ـ قال ابن العربي عمّن قال: إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله: ومن يعلم هذا إلا علاّم الغيوب، ولم ينقله ثبت[2].

ج ـ قال محبُّ الدين الخطيب: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يُعرف أبوه ولا صاحبه[3].

د ــ بطلان السبب الذي قيل: إن مروان قتل طلحة رضي الله عنه من أجله؛ وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان على قتل عثمان رضي الله عنه، وهذا السبب المزعوم غير صحيح؛ حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح: أن أحداً من الصحابة قد أعان على قتل عُثمان رضي الله عنه.

هـ كون مروان وطلحة رضي الله عنه من صف واحد يوم الجمل، وهو صف المنادين بالإصلاح بين الناس[4].

و ـ أن معاوية رضي الله عنه قد ولَّى مروان على المدينة ومكة، فلو صح ما بدر من مروان لما ولاه معاوية رضي الله عنه على رقاب المسلمين وفي أقدس البقاع عند الله.

ز ـ وجود رواية لمروان بن الحكم في صحيح البخاري[5]، مع ما عرف عن البخاري رحمه الله من الدقة وشدة التحري في أمر من تقبل روايته، فلو صح قيام مروان بقتل طلحة رضي الله عنه لكان هذا سبباً كافياً لرد روايته والقدح في عدالته[6].

6 – نداء أمير المؤمنين علي بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادي علي: أن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبراً، ولا يدخلوا داراً، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء. ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة: من وجد شيئاً من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه[7]، وقد ظن بعض الناس في جيش علي ـ أن علياً سيقسم بينهم السبي، فتكلموا به ونشروه بين الناس، ولكن سرعان ما فاجأهم علي رضي الله عنه، حين أعلن في ندائه: وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قُتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشراً، فقالوا مستنكرين متأوِّلين: يا أمير المؤمنين تحل لنا

---

(1) البداية والنهاية (248/7).
(2) العواصم من القواصم ، ص 157 إلى 160.
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص 202.
(5) فتح الباري (520/2)؛ استشهاد عثمان ، ص 203.
(6) استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص 202.
(7) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ؛ ص 168 ؛ مصنف ابن أبي شيبة (286/15) ، بسند صحيح.

دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟! فقال علي: كذلك السيرة في أهل القبلة. ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوا على عائشة؛ فهي رأس الأمر وقائدهم، فتفرقوا وقالوا: نستغفر الله، وتبين لهم أن قولهم وظنهم خطأ فاحش، ولكن ليرضيهم قسم عليهم رضي الله عنه من بيت المال خمسمئة خمسمئة[1].

7 – تفقده للقتلى وترحُّمه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج يتفقد القتلى مع نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة (السجاد) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شاباً صالحاً، ثم قعد كئيباً حزيناً.. ودعا للقتلى بالمغفرة، وترحم عليهم، وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح[2]. وعاد إلى منزله، فإذا امرأته وابنتاه يبكين على عثمان وقرابته، والزبير وطلحة وغيرهم من أقاربهم القرشيين. فقال لهن: إني لأرجو أن نكون الذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 47]. ثم قال: ومن هم إن لم نكن؟!... ومن هم إن لم نكن؟!... فما زال يردد ذلك حتى وددت أنه سكت[3].

8 – مبايعة أهل البصرة:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حريصاً على وحدة الصف، واحترام رعايا الدولة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ في مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره، وسأله عن أحواله وأحوال أخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس. ودفع له غلتها وقال: يا بن أخي وأتنا في الحاجة إذا كانت لك. وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه.

فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على علي رضي الله عنه يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة[4]، كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسّة، وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا علياً، فقال علي: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه[5]، كما أن مروان رحمه الله أثنى على فعال أمير المؤمنين علي فقال

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة (286/15) ، بسند صححه؛ ابن حجر (57/13).

[2] مصنف ابن أبي شيبة (261/15) ؛ المستدرك (103/3 ، 104 ، 375) والإسناد حسن لغيره ، خلافة علي بن أبي طالب ، ص 169.

[3] مصنف ابن أبي شيبة (268/15 . 269)؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 169.

[4] الطبقات (224/3) بسند حسن ؛ المستدرك (376/3 . 377).

[5] سنن سعيد بن منصور (337/2) ، بسند حسن.

لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يتبع مدبر، ولا يذف على جريح[1].

وبذلك تمت بيعة أهل البصـرة لأمير المؤمنين علي، وولى عليها ابن عمه عبد الله بن عباس رضـي الله عنهما، وولى على خراجها زياد بن أبيه، وأراد علي رضـي الله عنه: أن يمكث فيها مدة أطول، لولا أن مالكاً (الأشـتر). أعجله عن ذلك، وذلك أن الأشـتر كان يطمع في أن يلي ولاية، فلما علم بأن ابن عباس ولي إمارة البصـرة غضـب وسـار في قومه فخشـي علي رضي الله عنه منه شراً وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه على سيره، وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئاً[2].

9 – حديث أبي بكرة عن رسول الله ﷺ: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»[3].

قال القرطبي: قال علماؤنا: أليس هذا الحديث . حديث أبي بكرة . في أصحاب النبيﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[الحجرات: 9]. فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسـك المسـلمون على قتال أهل البغي لتعطلت فريضـة من فرائض الله. وهذا يدل على أن قوله: القاتل والمقتول في النار ليس في أصحاب النبيﷺ، لأنهم إنما قاتلوا على التأويل.

قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سـبيلاً إلى اسـتحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسـلمين، وسـبي نسـائهم، وسـفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسـلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها[4]. وقال النووي: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له، ويكون قتالهما عصبية ونحوها، ثم كونه في النار معناه مستحق لها، وقد يجازى بذلك وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق.. وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره. واعلم أن الدماء التي جرت بين الصـحابة رضـي الله عنهم ليسـت بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السـنة والحق إحسـان الظن بهم، والإمسـاك عما شـجر بينهم، وتأويل قتالهم أنهم مجتهدون متأولون لم يقصـدوا معصـية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضـهم مصـيباً وبعضـهم مخطئاً معذوراً في الخطأ للاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتى أن جماعة من

---

[1] كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي ، ص 111؛ فتح الباري (62/13).

[2] فتح الباري (57/13) ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 174.

[3] مسلم ، كتاب الفتن (233/4).

[4] التذكرة (232/2 . 233).

الصحابة تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب، ثم تأخروا عن مساعدتهم[1].

10 – تاريخ معركة الجمل:

اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة الجمل إلى أقوال كثيرة منها:

أ– أخرج خليفة بن خياط من طريق قتادة: أن الفريقين التقيا يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكانت الوقعة يوم الجمعة[2].

ب – أخرج عمر بن شبة: أن الوقعة كانت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثون[3].

ج – أخرج الطبري من طريق الواقدي أن الوقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[4].

د – ذكر المسعودي: أن الوقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادى الأولى[5].

غير أن أرجح الأقوال هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة حيث إن إسناد روايته يعد أصح ما في الباب.

11 – أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟:

جاء أمير المؤمنين إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأذن وسلم عليها ورحبت به، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على من قُتل، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف، فعبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع علي، فلما دخل علي قالت له صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي، فلم يرد عليها علي شيئاً، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟! فقال: ويحك إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات[6]؟!

12 – اعتذار أبي بكرة الثقفي عن إمارة البصرة:

جاء عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي إلى أمير المؤمنين فبايعه، فقال له علي: أين المريض؟ ـ يعني أباه ـ فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرتك لحريص. فقال: امشِ أمامي، فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره، وعرض

---

[1] شرح صحيح مسلم (8/227 ـ 228).
[2] تاريخ خليفة بن خياط ، ص 184 ، 185.
[3] فتح الباري (13/61).
[4] استشهاد عثمان ، ص 206 ، نقلاً عن تاريخ الطبري.
[5] مروج الذهب (2/360).
[6] البداية والنهاية (7/357).

عليه البصرة فامتنع، وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس، وأشار عليه بابن عباس، فولاه على البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد[1].

13 – موقف أمير المؤمنين علي ممن ينال من عائشة:

قال رجل: يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر علي القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مئة، وأن يخرجهما من ثيابهما[2]، وقد قام القعقاع بذلك.

14 – دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة:

عن محمد بن عريب ـ قال: قام رجل فذكر عائشة عند علي، فجاء عمار فقال: من هذا الذي يتناول زوجة نبينا؟ اسكت مقبوحاً منبوذاً مذموماً مدحوراً[3]. وجاء في رواية: اغرب مقبوحاً، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ[4]؟!. وجاء في رواية: ذكرت عائشة عند علي رضي الله عنهما، فقال: حليلة رسول الله ﷺ[5].

عاشراً: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عائشة أم المؤمنين هي الصديقة بنت الصديق أبي بكر عبد الله بن عثمان، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس، تزوجها النبي وهي بنت ست، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى، وقيل: في السنة الثانية من الهجرة، وهي المبرأة من فوق سبع سموات، وكانت أحب أزواج النبيﷺ إليه، ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، وقد توفي عنها النبيﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها رضي الله عنها في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين، ودفنت في البقيع رضي الله عنها وأرضاها[6].

ومناقبها رضي الله عنها كثيرة مشهورة، فقد وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن، منها:

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] المصدر السابق نفسه.

[3] فضائل الصحابة (110/2) ، إسناده ضعيف ؛ ضعيف سنن الترمذي ، للألباني، رقم 815.

[4] سير أعلام النبلاء (179/2) ، حديث حسن. قاله الذهبي.

[5] سير أعلام النبلاء (176/2) ، حديث حسن.

[6] سير أعلام النبلاء (135/2 . 201)؛ طبقات ابن سعد (58/8) ؛ البداية والنهاية (95/8).

1- مجيء الملك بصورتها إلى النبيﷺ في سرقة[1] من حرير قبل زواجها به ﷺ؛ فقد روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أريتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك، فإذا أنت هي، فأقول: إن يك هذا من الله يمضه»[2].

2- أحب أزواج النبيﷺ: وقد صرح بمحبتها لما سئل ﷺ عن أحب الناس إليه؛ فقد روى البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبيﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل[3]، قال: فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت: فمن الرجال؟ قال: «أبوها»[4]. قال الحافظ الذهبي: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً، وقد قال: «لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل»، فأحب أفضل رجل في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله، وحبه عليه السلام لعائشة كان أمراً مستفيضاً[5].

3 – نزول الوحي على النبيﷺ وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام، فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان، أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة؛ فإنه والله ما نزل علي الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها»[6]. وقال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها[7].

4 – أن جبريل عليه السلام أرسل إليها سلامه مع النبيﷺ: فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: «يا عائشة! هذا جبريل يقرئك السلام» فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى مالا أرى.

---

[1] أي: في قطعة من جيد الحرير. انظر: النهاية لابن الأثير (362/2).
[2] مسلم ، رقم 2438.
[3] مأخوذ من السلسل؛ وهو العذب الصافي من الماء. النهاية لابن الأثير (389/2).
[4] البخاري ، رقم 4358.
[5] سير أعلام النبلاء (143/2).
[6] البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم 3775.
[7] سير أعلام النبلاء (143/2).

تريد رسول الله ﷺ[1].

5 – بدأ النبيﷺ بتخييرها عند نزول آية التخيير: وقرن ذلك بإرشادها إلى استشارة أبويها في ذلك الشأن، لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفراقه، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فاستن بها بقية أزواجه ﷺ، فقد روى الشيخان بإسنادهما إلى عائشة رضي الله عنها قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه؛ بدأ بي فقال: «إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك» قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إن الله ــ جل ثناؤه قال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً *وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخرة فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 28، 29]» قالت: فقلت: ففي هذا أستأمر أبوي؟! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت[2].

6 – نزول آيات من كتاب الله بسببها: فمنها ما هو في شأنها خاصة، ومنها ما هو للأمة عامة، فأما الآيات الخاصة بها والتي تدل على عظم شأنها ورفعة مكانتها؛ شهادة الباري جلَّ وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان، وهو قوله تعالى: إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: 26].

قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله سبحانه وتعالى برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحي يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم. وأخبر سبحانه وتعالى أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها، ولا خافضاً من شأنها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها، وأعظم شأنها، وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبة ما أجلها! وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها، حيث قالت: لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها[3]. فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحِب رسول الله ﷺ، وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله ﷺ[4].

---

(1) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم 3768.

(2) البخاري، كتاب التفسير، رقم 4789.

(3) البخاري، رقم 4141.

(4) جلاء الأفهام، ص 124، 125.

قال ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان؛ غار الله فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تُتلى على الزمان.. وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها[1].

وأما ما نزل بسببها من الآيات وهي للأمة عامة فآية التيمم، وكانت رحمة وتسهيلاً لسائر الأمة، فقد روى البخاري، بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها: أنها استعارت من أسماء قلادة، فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة، فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبيﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم، فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خير[2].

7-كان رسول الله ﷺ يحرص على أن يمرض في بيتها: فقد كانت وفاته ﷺ بين سحرها ونحرها في يومها، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا، وأول ساعة من الآخرة، ودفن في بيتها[3]، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: «أين أنا غداً؟» حرصاً على بيت عائشة، قالت: فلما كان يومي سكن[4].

وعند مسلم عنها أيضاً: قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: «أين أنا اليوم أين أنا غداً؟» استبطاء ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري[5].

وروى البخاري أيضاً بإسناده عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «أين أنا غداً، أين أنا غداً؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه فقصمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مستند إلى صدري. وفي رواية أخرى بزيادة: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة[6].

8- إخباره ﷺ بأنها من أصحاب الجنة: فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله

---

[1] البداية والنهاية (95/8) ؛ تفسير القرآن العظيم (268/3).

[2] البخاري ، رقم 336.

[3] سير أعلام النبلاء (189/2) ؛ والبداية والنهاية (95/8).

[4] البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم 3774.

[5] مسلم ، كتاب الصحابة ، رقم 2443.

[6] البخاري ، رقم 4450 ، 4451.

مَنْ مِنْ أزواجك في الجنة؟ قال: «أما إنك منهن». قالت: فخيل إليّ أن ذاك أنه لم يتزوج بكراً غيري[1]. وروى البخاري بإسناده إلى القاسم بن محمد: أن عائشة اشتكت، فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر[2]؛ وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة رضي الله عنها، حيث قطع لها بدخول الجنة، إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف[3].

9 – فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام: ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى عبد الله بن عبد الرحمن: أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[4].

قال النووي: قال العلماء: معناه: أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة: نفعه والتشبع منه وسهولة مساغه والالتذاذ به وتيسر تناوله وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة، وغير ذلك فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيرها من الأطعمة. وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة[5].

هذه بعض الأحاديث التي أشارت إلى فضل السيدة عائشة ومكانتها وسبقها وعلو شأنها في الدين، وعظيم مكانتها، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قِبل الشيعة الرافضة ومن تأثر برواياتهم المختلفة، وآثارهم الموضوعة وجاؤوا لآثار صحاح، وأحاديث مسندة صحيحة وأوّلوها على غير حقيقتها ومرادها، كما فعل ذلك صاحب كتاب (ثم اهتديت) وهو لم يأتِ بجديد، وإنما سار على منهج أسلافه ممن سبقوه من الشيعة الروافض، وطعن في أم المؤمنين عائشة بقول عمار: والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي[6]. وليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة ـ رضي الله عنها ـ، بل فيه أعظم فضيلة لها، وهي أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فأي فضل أعظم من هذا؟! وأي شرف أسمى من هذا؟! فإن غاية كل مؤمن رضا

---

[1] المستدرك (13/4) ، صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.
[2] البخاري ، رقم 3771.
[3] فتح الباري (108/7) ؛ العقيدة في أهل البيت ، ص 95.
[4] البخاري ، رقم 3770.
[5] شرح صحيح مسلم (208/15 . 209).
[6] البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم 3772.

الله والجنة، وعائشة ـ رضي الله عنها ـ قد تحقق لها ذلك بشهادة عمار ـ رضي الله عنه ـ الذي كان مُخالفاً لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة رسول الله ﷺ[1]، وبهذا قد جاء الحديث الصحيح ــ المرفوع للنبي ﷺ على ما روى الحاكم في المستدرك من حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ: أن النبيﷺ قال لها: «أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والاخرة»؟ قالت: بلى والله، قال: «فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة»[2]، فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة ـ رضي الله عنها ـ، ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة رضي الله عنها[3].

وأما قوله في الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[4]؛ فليس بمطعن على أم المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ـ وبيان ذلك من وجوه:

أ ــ أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة ــ رضي الله عنها ــ ترى خلاف ذلك، وأن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر[5].

ب ـ أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذموماً حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة، ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة؛ فقد يكون ناسياً أو متأولاً فلا يؤخذ بذلك.

ج ــ أن عماراً رضي الله عنه ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحاً للأمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها[6].

وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار: أن عماراً سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحاً منبوذاً، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها[7].

وأما قول الشيعة الروافض؛ أن النبيﷺ قام خطيباً، فأشار نحو مساكن عائشة فقال: ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان، وطعنهم على عائشة ــ رضي الله عنها ــ بذلك، وزعمهم: أن الرسول ﷺ أراد أن الفتنة تخرج من بيتها! فهذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق والتدليس على من لا علم عنده من العامة، وذلك بتفسيره قول الراوي: فأشار (نحو

[1] الانتصار للصحب والال ، ص 448.
[2] المستدرك (10/4) ؛ الصحيح المسند لمصطفى العدوي ، ص 356.
[3] البخاري ، رقم 3772.
[4] المصدر السابق نفسه.
[5] الانتصار للصحب والال ، ص 448.
[6] الانتصار للصحب والال ، ص 450 ، 451.
[7] البداية والنهاية (248/7).

مسكن عائشة)، على أن الإشارة كانت لبيت عائشة، وأنها سبب الفتنة! والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتمل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام؛ فإن الراوي قال: أشار نحو مساكن عائشة، ولم يقل: إلى جهة مساكن عائشة، والفرق بين التعبيرين واضح وجلي، وهذه الرواية التي ذكرها أخرجها البخاري في كتاب فرض الخمس[1]. وهذا الحديث قد جاء مخرجاً في كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق وبأكثر من لفظ، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما يدحض دعوى الشيعة الروافض، ويغني عن التكلُّف في الرد عليهم بأي شيء آخر، **وها هي ذي بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ:**

فعن ليث، عن نافع، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان[2]».

وعن عبيد بن عمر قال: حدثني نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «الفتنة من حيث يطلع قرن[3] الشيطان» قالها مرتين أو ثلاثاً.

وعن سالم بن عبد الله، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق: «ها إن الفتنة هاهنا، ها إن الفتنة هاهنا، ها إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان[4]».

وفي هذه الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهي جهة المشرق، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة في الرواية التي ذكرها الشيعة الروافض[5].

كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها:

فعن نافع، عن ابن عمر قال: ذكر النبيﷺ فقال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا»، قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا[6]، فأظنه قال في الثالثة: «هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»[7].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر: أنه قال: يا أهل العراق؟ ما أسأَلَكُمْ عن الصغيرة وأَرْكَبَكُمْ للكبيرة! سمعت أبي؛ عبد الله بن

---

(1) البخاري ، رقم 3104.

(2) البخاري ، رقم 7093؛ مسلم ، رقم 2905.

(3) مسلم ، كتاب الفتن (2229/4).

(4) المصدر السابق نفسه.

(5) الانتصار للصحب والآل ، ص 453.

(6) نجد: من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق.

(7) البخاري ، رقم 7094.

عمر يقول: سمعت رسول الله يقول: «إن الفتنة تجيء من هاهنا -وأوْمَأ بيده نحو المشرق- من حيث يطلع قرنا الشيطان»[1].

وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مسعود قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: «ألا إن الإيمان هاهنا، وإن القسوة وغلظ القلب في الفدادين[2]، وعند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر»[3].

فدلت هذه الروايات دلالة قطعية على بيان مراد النبيﷺ من قوله: «الفتنة (هاهنا)» وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعى الشيعة الروافض من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأيٌ ساقط، لم يفهمه أحد، وما قال به سوى الشيعة الروافض[4].

المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن:

قال ابن تيمية: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع[5]، وسئل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين: أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة، وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها، مما تميزت به عن غيرها[6].

وقال ابن حجر: وقيل: انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة، وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة[7].

وقال في شرح حديث أبي هريرة: أن جبريل أتى النبيﷺ وأمره أن يقرأ خديجة السلام من ربها، وفيه قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة؛ لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، وردَّ بأن الخلاف ثابت قديماً، وإن

---

[1] مسلم ، كتاب الفتنة من المشرق (2229/4).

[2] الفدّادون: الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.

[3] البخاري ، رقم 3302 ؛ الانتصار للصحب والال ، ص 455.

[4] الانتصار للصحب والال ، ص 455.

[5] مجموع الفتاوى (394/4).

[6] مجموع الفتاوى (393/4).

[7] فتح الباري (109/7).

كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم[1].

وعند التحقيق والنظر في النصوص الواردة في تفضيل كل واحدة منهن رضي الله عنهن ـ نجد أنها تدل على أفضلية خديجة وفاطمة، ثم عائشة رضي الله عنهن، وذلك أن الضمير الوارد في قوله ﷺ: «لقد فضلت خديجة على نساء أمتي»[2]، وقد قال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية»[3]، قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل[4]، وقال رسول الله ﷺ: «حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»[5]. وهذا نص في أن خديجة رضي الله عنها أفضل نساء الأمة.

ثم إن اللفظ الوارد في تفضيل فاطمة رضي الله عنها؛ وهو قوله ﷺ: «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة»[6]. وفي لفظ: «سيدة نساء أهل الجنة»[7]، فهو صريح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل، وهو نص في أنها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة، وقد شاركت أمها في هذا التفضيل؛ فهي وأمها أفضل نساء أهل الجنة، وهي وأمها أفضل نساء الأمة، بهذا وردت النصوص[8].

وأما ما ورد في تفضيل عائشة رضي الله عنها من قوله ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، فهو لفظ لا يستلزم الأفضلية المطلقة، كما قال ابن حجر[9]: وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضي الله عنها على غيرها، لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤونة وسهولة الإساغة، وكان أجل طعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل وجهة؛ فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى[10].

فالحديث إذاً دالٌّ على أفضلية عائشة رضي الله عنها على سائر نساء هذه الأمة ما عدا خديجة وفاطمة رضي الله عنهن لورود الدليل على ذلك مما قيد تلك الأفضلية لعائشة رضي الله عنها[11].

---

[1] المصدر السابق نفسه (139/7).
[2] المصدر السابق نفسه (135/7) ؛ مجمع الزوائد (223/9).
[3] الإحسان لابن حبان (73/9) ؛ صحيح الجامع للألباني (371/1).
[4] فتح الباري (135/7).
[5] فضائل الصحابة (755/2)، رقم 1325؛ وصححه الألباني في تخريج المشكاة (1745/3).
[6] البخاري ، رقم 6285.
[7] فتح الباري (105/7).
[8] العقيدة في أهل البيت ، ص 97.
[9] فتح الباري (107/7).
[10] المصدر السابق نفسه (447/6).
[11] العقيدة في أهل البيت ، ص 97.

وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأل النبيﷺ: أي النساء أحب إليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «عائشة»[1]. فقد أشار ابن حبان على أنه مقيد في نسائه ﷺ؛ إذ عقد عنواناً في صحيحه فقال: ذكر خبر وهم في تأويله من لم يحكم صناعة الحديث، وساق تحته حديث عمرو بلفظ: قلت: يا رسول الله! أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: إني لست أعني النساء، وإنما أعني الرجال، فقال: «أبو بكر» أو قال: «أبوها». ثم قال ابن حبان: أذكر الخبر الدال على أن مخرج هذا السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها، وأخرج بسنده عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» قيل له: ليس عن أهلك نسألك، قال: «فأبوها»[2].

وبهذا يتبين أن عائشة تلي خديجة وفاطمة في الفضل رضي الله عنها؛ إذ كل ما ورد من دليل على عموم تفضيلها رضي الله عنها مقيد بالنص الوارد في خديجة وفاطمة رضي الله عنهن، ولا ينكر أن لعائشة رضي الله عنها من الفضائل كالعلم مثلاً ما تختص به عن خديجة وفاطمة رضي الله عنهن، إلا أنه: لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق[3].

وعلى كل حال فليس فضل إحداهن على الأخرى بمطعن على المفضولة، بل في هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث: فاطمة وخديجة وعائشة رضي الله عنهن؛ حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة، فما الذي يضر أم المؤمنين عائشة لو كانت ثالثة نساء الأمة في الفضل؟! وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطعن فيها، كما يفعل الشيعة الروافض؟![4].

هل استباحت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين في معركة الجمل؟:

قد تقدم أنها ما خرجت لذلك وما أرادت القتال، وقد نقل الزهري عنها: أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً[5]. وهذا القول بأن السيدة عائشة استباحت قتال المسلمين باطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التي بينت أن عائشة ما خرجت إلا للإصلاح كما مر معنا، وإنما هذه الأقوال من الروايات التي وضعها الشيعة الروافض، والتي شوهت تاريخ صدر الإسلام، وجعلت مما حدث بين علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم حرباً أهلية، وتأثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتى

---

[1] البخاري ، رقم 4358.
[2] الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (11/9).
[3] فتح الباري (108/7) ؛ العقيدة في أهل البيت ، ص 98.
[4] الانتصار للصحب والال ، ص 461.
[5] المغازي للزهري ، ص 154.

قال بعضهم: وأسرت عائشة، ويصوّرون المسألة كحرب أهلية مخطط لها، وهو قول طبيعي من باحثين لا يستقون معلوماتهم في هذا الشأن إلا من الروايات المقدوحة، ومن المصادر غير الموثوق بها مثل (الإمامة والسياسة)، و(الأغاني)، و(مروج الذهب)، و(تاريخ اليعقوبي)، بل و(تاريخ التمدن الإسلامي) لجورجي زيدان[1].

هل يصح هذا الحديث: تقاتلين علي وأنت له ظالمة؟

إنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعاً، فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس.. لا قاتلت ولا أمرت بقتال، هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار[2].

- ### أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة:

جهز أمير المؤمنين علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد أو متاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحبَّ المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد ابن الحنفية، فبلّغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودَّعوها وودَّعتهم وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة.

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً، وسرح بنيه معها[3] يوماً.

وبتلك المعاملة الكريمة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نراه قد اتبع ما أوصاه به نبي الأمة ﷺ عندما قال له: «إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر». قال: أنا يا رسول الله؟ قال: «نعم» قال: أنا؟ قال: «نعم». قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: «لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها»[4].

وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان لشيء في نفسها من علي رضي الله عنه لموقفه منها في

---

[1] انظر: دراسة وتحليل للعهد النبوي الأصيل، محمد جميل بيهم؛ الحزبية السياسية، رياض عيسى؛ الحريم السياسي؛ النبي والنساء؛ الدولة العربية فلهوزن، نقلاً عن دور المرأة السياسي، ص 442.

[2] منهاج السنة (185/2).

[3] تاريخ الطبري (581/5).

[4] مسند أحمد (393/6)، إسناده حسن.

حديث الإفك؛ حين رماها المنافقون بالفاحشة، فاستشاره النبيﷺ في فراقها. فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[1]. وهذا الكلام الذي قاله عليّ إنما حمله عليه ترجيح جانب النبيﷺ، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغيرة، فرأى عليّ في بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه: ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما[2].

قال النووي: رأى عليّ أن ذلك هو المصلحة في حق النبيﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره ﷺ[3].

وعليّ رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يُفْهَم منها أنه قد عرّض بأخلاقها أو تناولها بسوء، فإنه على الرغم من قوله للنبي ﷺ: لم يضيق الله عليك[4]؛ إلا أنه عاد فقال لرسول الله ﷺ، ناصحاً: وسل الجارية تصدقك[5]. فهو قد دعاه إلى التحري أولاً قبل أن يفارقها، أي: أنه قد رجع عن نصيحته الأولى بالمفارقة إلى نصيحة أخرى بسؤال الجارية، وتحري الحقيقة[6]. وقد سأل رسول الله ﷺ الجارية التي كانت أكثر التصاقاً بعائشة، فأكدت أنها ما علمت من عائشة إلا خيراً، وقد خرج رسول الله ﷺ من يومه الذي سأل فيه الجارية، واستعذر من عبد الله بن أبي قائلاً: «يا معشر المسلمين! من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً»[7].

لقد كانت نصيحة علي في صالح عائشة، فقد ازداد ﷺ قناعة بما علم من خير في أهله[8]. ولم يكن موقف علي في حادثة الإفك هو الذي جعل عائشة تغضب منه رضي الله عنه لأجله، أو تحقد الحقد الذي يجعلها تتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين، كما زعم كثير من الباحثين ـــ ممّن تورط في روايات الشيعة الرافضة، والتي لفقوها ووضعوها.

- **ندمهم على ما حصل منهم:**

قال ابن تيمية:... وهكذا عامّة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزّبير وعليّ وغيرهم، ولم يكن

---

[1] البخاري، رقم 4786.
[2] دور المرأة السياسي، ص 462.
[3] شرح النووي على صحيح مسلم (634/5).
[4] البخاري، رقم 4786.
[5] المصدر السابق نفسه.
[6] دور المرأة السياسي، ص 462.
[7] البخاري، رقم 4786.
[8] دور المرأة السياسي، ص 462.

يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[1]:

أ ـــ فأمير المؤمنين علي ورد عنه، عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال، فقال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[2].

ب ـــ وروى نعيم بن حماد، بسنده إلى الحسن بن علي، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت علياً حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن! لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[3].

ج . وعن حسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين علي أمراً، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعاً[4].

د ـ وعن سليمان بن صرد، عن حسن بن علي: أنه سمع علياً يقول ـ حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم ـ: يا حسن أكل هذا فينا؟! ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة[5].

هـــ وأما عائشة فقد ورد عنها: أنّها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي، وكان أحب إليّ أن أكون ولدت من رسول الله ﷺ بضعة عشر، كلّهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومثل عبد الله بن الزبير[6].

و . وكانت إذا قرأت قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33]. تبكي حتى تبل خمارها[7].

ز ـــ قالت عائشة: وددت أن لو كان لي عشرون ولداً من رسول الله ﷺ، وكلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وإني ثكلتهم، ولم يكن ما كان مني يوم الجمل[8].

ح ـ قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنّت أنّ خروجها مصلحة للمسلمين، ثمّ تبيّن لها فيما بعد أنّ ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبلّ خمارها، وهكذا عامّة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعليّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[9].

ط ـ قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كليّة على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنّت أن الأمر

---

(1) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال ، محب الدين الخطيب ، ص 222.

(2) الفتن ، نعيم بن حماد (80/1).

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) الفتن ، نعيم بن حماد (81/1).

(5) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص 217.

(6) الفتن ، نعيم بن حمّاد (81/1).

(7) سير أعلام النبلاء (177/2)؛ الطبقات (81/8).

(8) التمهيد للباقلاني ، ص 232. (عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي كان من نبلاء الرجال ، وهو من أشرف بني مخزوم ، توفي قبل معاوية.

(9) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض ، ص 222 ، 223.

يبلغ ما بلغ[1].

عاشراً: سيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه واستشهاده:

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي[2]، ويجتمع مع النبيﷺ في قصي، وهو حواري رسول الله وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى[3]، أسلم وهو حدث وله ست عشرة سنة[4]، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ[5]، وقد تعرّض بعد إسلامه للتعذيب، فقد روي أن عمّ الزبير كان يعلق الزبير في حصير، ويدخن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبداً[6].

1 – أول من سل سيفه في سبيل الله:

عن سعيد بن المسيب، قال: أول من سلّ سيفه في ذات الله الزبير بن العوام، وبينما الزبير بن العوام قائل في شعب المطابخ، إذ سمع نغمة: أن رسول الله ﷺ قُتِل، فخرج من البيت متجرداً السيف صَلْتاً، فلقيه رسول الله ﷺ كَفَّةَ[7]كَفَّةَ، فقال: «ما شأنك يا زبير؟» قال: سمعت أنك قُتِلْت، قال: «فما كنت صانعاً؟» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، قال: فدعا له النبيﷺ بخير. قال سعيد: أرجو أن لا تضيع له عند الله عز وجل دعوة النبيﷺ[8].

2 – هجرته للحبشة:

ولما اشتد إيذاء قريش لرسول الله ﷺ ولأصحاب الحبيب ﷺ، وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار النجاشي ذلك الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار، وظلوا على تلك الحال من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك، فحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً، وخافوا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم، وهنا أراد الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين

[1] سير أعلام النبلاء (177/2).
[2] الإصابة (526/1 . 528).
[3] الطبقات الكبرى (100/3) ؛ الإصابة (526/1 . 528).
[4] سير أعلام النبلاء (41/1).
[5] سير السلف (226/1) ، الرواية مرسلة.
[6] الطبراني في الكبير (122/1).
[7] كفة كفّة: أي مواجهة ، كأن كل واحد منهما قد كف صاحبه عن مجاوزته إلى غيره.
[8] فضائل الصحابة (914/2) ، رقم 1260 ، إسناده ضعيف ، حسن لغيره.

النجاشي وبين هذا الرجل. على الجانب الآخر من النيل[1].

قالت أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا؛ قالوا: فأنت، وكان من أحدث القوم سناً. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدْره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، قالت: فَدَعَوْنَا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فو الله إنّا لَعلَى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشِرُوا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومكن له في البلاد[2].

بعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة قام في كنف الحبيب المصطفى رسول الله ﷺ، يتلقى منه مبادئ الإسلام وأوامره ونواهيه، وعندما هاجر رسول الله ﷺ للمدينة كان الزبير من ضمن المهاجرين إليها.

3 – في غزوة بدر:

كان الزبير رضي الله عنه فارساً مقداماً، وبطلاً مغواراً، لم يتخلَّف عن مشهد واحد من المشاهد، تراه في كل غزوة وفي كل معركة، فقد اتصف بالشجاعة الخارقة، والبطولة النادرة، والإخلاص الكامل، والتفاني لإعلاء كلمة الحق[3]، ولقد بذل الزبير رضي الله عنه الكثير في سبيل الله، وجعل نفسه وماله وقفاً لله ـ عز وجل ـ، فأكرمه الله ورفعه في الدنيا والآخرة، فقد كانت عليه عمامة صفراء معتجراً بها يوم بدر، فعن عروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير[4]. فيالها من منقبة لا توازيها الدنيا بما فيها، وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جـدّي ابنُ عمّـةِ أَحْمَـدَ وَوَزِيرُهُ ... عِنْـدَ البلاءِ وَفَـارِسُ الشَّـقْراءِ
وَغَـدَاةَ بَـدْرٍ كَـانَ أَوَّلَ فَـارِسٍ ... شَـهِدَ الوَغَى في اللأْمَةِ الصَّـفْراءِ
نَزَلَتْ بِسِـيمَاهُ المِلائِكُ نُصْـرَةً ... بِالحَوْضِ يومَ تَـآلَبَ الأَعْدَاءُ[5]

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يُرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه فطعنته في عينه فمات، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت، فكان

---

(1) السيرة لابن هشام (279/1) ؛ أصحاب الرسول (274/1).
(2) السيرة النبوية لابن هشام (279/1).
(3) أهل الشورى الستة ، رياض العبد الله ، ص 67.
(4) الطبراني في الكبير ، رقم 230 ، مرسل صحيح الإسناد ؛ سير أعلام النبلاء (46/1).
(5) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص 501.

الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها. فسأله إياها رسول الله فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاها، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قُتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل[1].

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام في إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جداً لكونه قد حمى جسمه بالحديد الواقي، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهايته، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف[2].

وقد كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان: الزبير على فرس على الميمنة، والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة[3].

4 – في غزوة أحد:

قال الزبير رضي الله عنه: جمع لي النبيﷺ أبويه يوم أحد[4]. وهذا دليل على قتاله وبأسه في تلك المعركة، فقد اتَّصف رضي الله عنه بالثبات والعزيمة وحب الشهادة في سبيل الله تعالى، وقد وصف لنا رضي الله عنه ما فعله أبو دجانة الأنصاري في تلك الغزوة، فعندما التحم الجيشان واشتد القتال، وشرع رسول الله ﷺ يشحذ في همم أصحابه، ويعمل على رفع معنوياتهم، وأخذ سيفاً وقال: «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا ــ وكان من ضمنهم الزبير ــ، قال: «فمن يأخذه بحقه؟» فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به العدو حتى ينحني» قال: أنا آخذه بحقه. فدفعه إليه، وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ــ أي: يمشي مشية المتكبر ــ وحين رآه رسول الله ﷺ يتبختر بين الصفين. قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن»[5]. ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع! فاتبعته، فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب، فخرج وهو يقول:

أَنَا الّـذِي عَـاهَـدَنِي خَـلِيـلِـي ... وَنَحْنُ بالسَّـفْحِ لَـدَى النَّخِيـلَ

---

[1] صحيح البخاري، كتاب المغازي، رقم 3998.
[2] التاريخ الإسلامي (163/4).
[3] سير أعلام النبلاء (46/1)، والرواية مرسلة.
[4] فضائل الصحابة (918/2)، رقم 1267 إسناده صحيح.
[5] مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم 2470.



أَنْ لا أقومَ الـدَّهْرَ في الكُيُولِ [1]		أَضْـرِبُ بِسَـيْفِ اللهِ والرَّسُـولِ[2]

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله، وكان من المشـــركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفف[3] عليه، فجعل كل منهما يدنو من صـاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضـربتين، فضـرب المشـرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضـت بسـيفه، وضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها، فقلت: الله ورسوله أعلم[4]، قال أبو إسـحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنسـاناً يحمس الناس حماسـاً شـديداً، فصـمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة[5].

وعن هشام، عن أبيه، قالت عائشة: يا بن أختي كان أبواك ــ يعني الزبير وأبا بكر ــ من ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: 172].

لما انصـرف المشـركون من أحد، وأصـاب النبيﷺ وأصـحابه ما أصـابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من ينتدب لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أنّ بنا قوة، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم فانصرفوا، قال تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: 174] لم يلقوا عدواً[6].

ولما استـشـهد حمزة بن عبد المطلب رضـي الله عنه في أحُد جاءت أم الزبير صـفية بنت بعد المطلب لتنظر إلى أخيها وقد مثل به المشـركون، فجدعوا أنفه، وبقروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسـول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: «القَها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها»، فقال لها: يا أمه إن رســـول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضـانا بما كان من ذلك، لأحتسـبن ولأصـبرن إن شـاء الله، فلما جاء الزبير بن العوام رضـي الله عنه إلى رسول الله، فأخبره بذلك، قال: خلِّ سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت[7]، واستغفرت له[8].

وجاء في رواية عن عروة قال: أخبرني أبي؛ الزبير: أنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسـعى، حتى إذا كادت أن تشـرف على القتلى، قال: فكره النبيﷺ أن تراهم، فقال: «المرأة المرأة». قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صـــفية، قال: فخرجت أسـعى

---

[1] الكيول: مؤخرة الصفوف.
[2] البداية والنهاية (17/4).
[3] ذفّف: أجهز عليه.
[4] البداية والنهاية (18/4).
[5] المصدر السابق نفسه.
[6] البخاري ، رقم 4077.
[7] استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.
[8] السيرة النبوية لابن هشام (108/3).

إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فَلَدمَتْ في صدري، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك، لا أرضَ لك. قال: فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك. قال: فوقفت، وأخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فإذا إلى جانبه رجل من الأنصار قتيل، قد فعل به كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياءً أن نكفن حمزة في ثوبين، والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب، وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفَّنَّا كل واحد منهما في الثوب الذي صار له[1].

5 – في غزوة الخندق: «لكل نبي حواري وحواري الزبير»[2]:

قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: «من يأتينا بخبر بني قريظة؟» فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبيﷺ: «لكُلِّ نبيٍّ حواريّ، وحواريَّ الزبير»[3]. ومعنى قوله ﷺ: «وحواري الزبير»: أي: خاصتي من أصحابي، وناصري، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام؛ أي خلصاؤه وأنصاره؛ فالحواري: هو الناصر المخلص، فالحديث اشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير رضي الله عنه، ولذلك سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنه رجلاً يقول: أنا ابن الحواري فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا[4].

وجاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: فإن قلت: الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء؛ فما وجه التخصيص به؟ قلنا: هذا قاله حين قال يوم الأحزاب: «من يأتيني بخبر القوم؟» قال الزبير: أنا، قال: «من يأتيني بخبر القوم؟» فقال: أنا، وهكذا مرة ثالثة، ولا شك أنه في ذلك الوقت نصر نصرة زائدة على غيره[5].

وقد فداه رسول الله ﷺ يوم الأحزاب بأبيه وأمه؛ فعن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب، جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: وهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: «من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟» فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «فداك أبي وأمي»[6].

وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير رضي الله عنه؛ حيث فداه رسول الله ﷺ بأبويه، وفي هذه التفدية تعظيم لقدره،

---

[1] مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية (34/3) إسناده حسن.
[2] مسلم ، رقم 2414.
[3] المصدر السابق نفسه.
[4] مصنف ابن أبي شيبة ، رقم 12219 ، صحيح.
[5] عمدة القاري (2239/19).
[6] البخاري ، رقم 3720.

واعتداد بعمله، واعتبار بأمره، وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه، فيبذل نفسه أو أعز أهله له[1].

لقد نال الزبير في غزوة الخندق وساماً خالداً باقياً على مر السنين: «لكل نبي حواري، وحواري الزبير»[2]. لقد وصف النبيﷺ الزبير بالحواري، وهو وصف عميق الدلالة واسع المفاهيم، والدارس لهذه المعاني يدرك أبعاد كلمة الحواري، ويتبين معالمها ويعرف أسرارها وأغوارها، وأكثر من يحتاج إلى العناية بهذه المفاهيم هم العلماء والدعاة والمربون، لأن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى إعداد الحواريين ليقدموا نماذج حية في الأسوة والقدوة؛ لأن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيراً في نشر المبادئ والأفكار؛ لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها، يسهل مشاهدتها والتأثر والاقتداء بها، ولأن الحواريين يأخذون بسنة الرسول ﷺ ويقتدون بأمره[3]، كما جاء في الحديث: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره»[4].

ومن سنن الدعوات: أن مسيرتها تمرُّ بالفتن والمحن، وتبتلى من أصدقائها وأعدائها، وحرص الرسول ﷺ على إرشاد المسلمين إلى هذه المتغيرات والحوادث فقال: «ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون»[5]. فما مهمة الحواري؟ القدوة الحسنة، والإيمان التطبيقي، والإخلاص، والفداء التي هي أبرز صفات الحواريين، فيكون مثال حقيقي ـ لورثة الأنبياء ـ، فيسعى لنشر الحق والخير، وهداية الأمة والنهوض بها من كبوتها، ويضحي في سبيل الله بكل غالٍ ونفيس ليجدد للإسلام شبابه ونضارته، في الوقت الذي يكون ساقطو الهمة لا همَّ لهم إلا مصلحتهم الشخصية[6].

والزبير بن العوام رضي الله عنه نموذج فذ في تجسيد هذه المعاني، فقد تربى في أحضان الدعوة على يدي النبيﷺ، وتلقى الجرعات المطلوبة لتحمل أعبائها منذ شبابه الباكر، وموقف الزبير في غزوة الأحزاب يصور لنا شخصيته ونشأته على الجرأة والنصرة، ومحبته للرسول ﷺ، وأثبتت الأيام أنه كان رضي الله عنه رجل المهمات الصعبة، فقد اتصف بالجرأة والإقدام، فكلف بمهمة كشف أسرار العدو، وما حدث مع الزبير يشير إلى مشروعية تقسيم الأعمال، وتصنيف الدعاة كل حسب إخلاصه وفدائيته وتضحيته ومواهبه وطاقته[7].

---

(1) تحفة الأحوذي (246/10).
(2) مسلم ، رقم 2414.
(3) صحيح مسلم بشرح النووي (26/2 ، 27).
(4) دراسات تربوية للأعظمي ، ص 206.
(5) صحيح مسلم بشرح النووي (26/2 ، 27).
(6) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية ، ص 207.
(7) المصدر السابق نفسه ، ص 208.

هذا وقد شارك الزبير في كل غزوات الرسول وكان له مواقف مشرفة، وكان في عهد الراشدين من أعمدة الدولة في فتوحاتها الكبيرة رضي الله عنه.

6 – في غزوة اليرموك:

عن عروة: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدُّ فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم، فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مُقبلاً، فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس ووكَّل به رجلاً[1]. قال الذهبي في السيَر معلقاً: هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله، فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين[2]، وذكر ابن كثير: أن الموقعة هي اليرموك، ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين، فقد قال ابن كثير: وقد كان فيمن شهد اليرموك: الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجُرح يومئذ جُرحين بين كتفيه وفي رواية: جُرح[3]. ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهداً، فشهد اليرموك، فتشرَّفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم[4].

7 – في فتح مصر:

ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كان معه قوّات لم تكن كافية لفتحها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويطلب المدد من الرجال، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام مع اثني عشر ألفاً، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف. وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال[5]. وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصراً حصن بابليون، فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل

---

[1] البخاري ، رقم 3975.

[2] سير أعلام النبلاء (63/1).

[3] البداية والنهاية (260/7).

[4] المصدر السابق نفسه.

[5] فتوح مصر والمغرب ، ص 61 ؛ قادة فتح الشام ومصر ، ص 208 ، 226.

للزبير: إن بهـــا الطاعون. فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون[1]. وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتـح الله بذلـك على المسلمين. فوضع سُلمـاً وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبِّرُ ومعه السيف، فتحامل الناس على السُّلَّم حتى نهاهم عمرو؛ خوفاً من أن ينكسـر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصـن انسـحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابـــه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس[2].

8 – غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه:

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنها ـ قالت: تزوَّجني الزبير ـ رضي الله عنه ـ وماله في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته وأسُوسُه، وأدقُّ النوى للناضحة، وأعلفه وأسقيه الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أُحسن أخبز، فكان يخبز لي جارات من الأنصار، وكن نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي على ثُلُثي فرسخ، قالت: فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعا لي، ثم قال: أخ خ، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته. قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسـول الله ﷺ وعلى رأسـي النوى، ومعه نفر من أصـحابه، فأناخ لأركب معه، فاسـتحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملُك النوى كان أشـدَّ عليَّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرســل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني ســياســة الفرس، فكأنما أعتقني[3].

9 – تسمية الزبير أولاده بأسماء الصحابة الشهداء:

من شدة حب الزبير رضي الله عنه للشهادة، كان أن سمى أولاده بأسماء الصحابة الشهداء، فقد روى هشام بن عروة، عن أبيه قال: قال الزبير: إنّ طلحة يسـمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبيّ بعد محمد ﷺ، وإنّي أسمّي بأسماء الشُّـهداء لعلهم يستشـهدون: عبد الله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر بن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة، وجعفر بجعفر بن أبي طالب، ومصـعب بمصـعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سـعيد، وعمرو بعمرو بن

---

(1) سير أعلام النبلاء (55/1).

(2) قادة فتح الشام ومصر ، ص 209 ، 227.

(3) حياة الصحابة (691/2) ؛ أصحاب الرسول (281/1).

سعيد بن العاص قتل باليرموك[1].

10 – إخفاء الطاعات عند الزبير:

قال الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ: أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليعمل[2].

11 – ما قاله حسان بن ثابت من شعر في مدح الزبير:

مرّ الزبير بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ، وحسّان ينشدهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير، ثم قال: مالي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة، فلقد كان يعرض به رسول الله ﷺ، فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه، فقال حسان يمدح الزبير:

أَقَامَ على عَهْدِ النَّبِيِّ وَهَدْيِهِ ... حَوَارِيُّهُ وَالقَوْلُ بِالفِعْلِ يُعْدَلُ

أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقِهِ ... يُوالي وَلِيَّ الحَقِّ والحَقُّ أَعْدَلُ

هُوَ الفَارِسُ المَشْهُورُ وَالبَطَلُ الَّذي ... يَصُولُ إذَا مَا كَانَ يَوْمٌ مُحَجَّلُ

إِذَا كَشَفَتْ عَنْ سَاقِها الحَرْبُ ... بِأَبْيَضَ سَبَّاقٍ إِلَى المَوْتِ يُرْقِلُ[3]

وَإِنَّ امرأً كَانَتْ صَفِيَّةُ أُمَّهُ ... وَمَنْ أَسَدٌ فِي بَيْتِهَا لمؤَثَّلُ[4]

لَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ قُربى قَرِيبَةٌ ... وَمِنْ نُصْرَةِ الإِسْلاَمِ مَجْدٌ مُؤَثَّلُ[5]

فَكَمْ كُرْبَةٍ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بِسَيْفِهِ ... عَنِ المصْطَفَى وَاللهُ يُعْطِي فيُجْزِلُ

ثَنَاؤُكَ خَيْرٌ مِنْ فِعالِ مَعَاشِرٍ ... وَفِعْلُكَ يَا بْنَ الهَاشِمِيَّةِ أَفْضَلُ[6]

12 – كرم الزبير بن العوام رضي الله عنه:

روي عن عروة بن الزبير: أنه قال: أوصى إلى الزبير سبعة من الصحابة؛ منهم: عثمان وابن مسعود وعبد الرحمن، فكان

---

[1] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص 505 ؛ الطبقات (101/3).

[2] الزهد لابن المبارك ، ص 392.

[3] يرقل: يسرع: وهي سرعة سير الإبل.

[4] في الديوان وعند الحاكم: المرفل: وهو العظيم المبجل.

[5] سير أعلام النبلاء (56/1).

[6] المصدر السابق نفسه (57/1).

ينفق على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم[1].

وهذا مثل رفيع من أمثلة الكرم والوفاء، وهو يجسّم المعاني السامية في النفس حتى تبقى هي الماثلة في الضمير الحي، وتبعاً لذلك يُسخّر هذا الضمير الحي كل ما يملك من أجل سيادة هذه المعاني، وقد تجود النفس مرة ومرة ثم يعترضها شيء من الفتور، فأما أن يتكفَّل مثل هذا الشهم السخي بالنفقة على ورثة عدد من الصحابة، ويحفظ لهم أموالهم؛ فهو نموذج فريد في عالم الواقع، ومؤشر مهم من مؤشرات الرقي الأخلاقي لدى الصحابة رضي الله عنهم[2].

13 – وحان وقت الرحيل: وشهادة رسول الله ﷺ له بدخول الجنة:

خرج الزبير بن العوام رضي الله عنه من معركة الجمل في الجولة الأولى، وقد بينّا الأسباب في تركه لساحة المعركة، وعند خروجه من ساحة القتال كان يتمثل قول الشاعر:

تَرْكُ الأُمُورِ الَّتي أَخْشَى عَوَاقِبَهَا ... في اللهِ أَحْسَنُ في الدُّنْيَا وَفي الدِّينِ

وقيل إنه أنشد:

ولَقَدْ عَلِمْتُ لَو أنَّ عِلْمِي نَافِعِي ... أَنَّ الحَيَاةَ مِنَ المَمَاتِ قَرِيبُ[3]

وبعد خروجه تبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم، فيقال: إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه، ويقال: بل أدركه عمرو ابن جرموز فقال له عمرو: إن لي إليك حاجة، فقال: ادن، فقال مولى الزبير، واسمه عيطة: إن معه سلاحاً، فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه، وكان وقت الصلاة، فقال له الزبير: الصلاة، فقال: الصلاة، فتقدم الزبير ليصلي بهما، فطعنه عمرو بن جرموز فقتله، ويقال: بل أدركه عمرو بوادٍ يقال له: وادي السباع، وهو نائم في القائلة[4]، فهجم عليه فقتله، وهذا هو القول الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت آخر من تزوجها، وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب، فقتل عنها، وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها، فلما قتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:

غَدَرَ ابنُ جُرْمُوزَ بِفَارِسٍ بِهِمَّةٍ ... يومَ اللقاءِ وَكَانَ غرُّ معرد[5]

---

[1] المصدر السابق نفسه (131/1).

[2] التاريخ الإسلامي (131/17).

[3] سير أعلام النبلاء (60/1).

[4] القائلة: وقت اشتداد حرّ الظهيرة.

[5] معرد: المعرد: الصلب والشجاع.

يا عـمرو لو نَبَّهْتَـهُ لَوَجَـدْتَـهُ لا طَائِشاً رَعْشَ الجَنَانِ[1] وَلا اليَدِ

ثكلتـك أمُّـكَ أن ظفرتَ بِمِثْلِـهِ مِمَّنْ بقـي مِمَّنْ يَرُوحُ ويغتـدي

كمْ غَمْرَةٍ قَدْ خَاضَــهَا لَمْ يَثْنِهِ عَنْهـا طِرادُك يا بْنَ فقع العردِدِ[2]

واللهِ ربِّي إن قَتَلْـتَ لَمُسْــلِماً حَلَّـتْ عَلَيْـكَ عُقُوبَـةُ المِتَعَمّـدِ[3]

ولما قتله عمرو بن جرموز، فاحتز رأسه وذهب به إلى علي، ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده، فاستأذن فقال علي:

بشّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لكل نبي حواري وحواريّ الزبير»[4]، ولما رأى علي سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ[5] وفي رواية: منع أمير المؤمنين علي ابن جرموز بالدخول عليه، وقال للآن: بشر قاتل ابن صفية بالنار[6]، ويقال: إن عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد علي، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختفٍ، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد[7] للزبير منه، فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير[8].

هذا وقد أخبر الحبيب المصـطفى: أن الزبير سـيموت شـهيداً، فعن أبي هريرة: أن رسـول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك فقال رسـول الله ﷺ: «اسـكن حراء؛ فما عليك إلا نبي أو صـديق أو شـهيد» وعليه النبيﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير. رضي الله عنهم[9].

قال النووي: وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ، منها إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم غير النبيﷺ وأبي بكر شهداء، فإن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير ـــ رضي الله عنهم ـــ قُتلوا ظلماً شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقُتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قُتل مظلوماً فهو شهيد[10].

---

[1] الجنان: القلب.

[2] البداية والنهاية (261/7). العردد: الصلب الشديد.

[3] المصدر السابق نفسه.

[4] فضائل الصحابة (920/2).

[5] البداية والنهاية (261/7).

[6] الطبقات (105/3) إسناده حسن ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 164.

[7] أقيد: قَوَدَ: القتل بالقاتل.

[8] البداية والنهاية (261/7).

[9] مسلم ، رقم 2417.

[10] شرح النووي على صحيح مسلم (271/15).

قال الشعبي: أدركت خمسمئة أو أكثر من الصحابة يقولون: عليٌّ وعثمان وطلحة والزبير في الجنة، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين، ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذي أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعة قُتلوا، ورُزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذين قَتلوا الأربعة[1].

14 – حرصه على أداء دينه عند الموت:

عن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بدينه، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال: فو الله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقضي عنه، فيقضيه، وإنما دينه الذي كان عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة. قال: فقتل ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين، فبعتها ـــ يعني وقضيت دينه ـــ فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومئتا ألف. فجميع ماله خمسون ألف ألف ومئتا ألف[2]. وقول البخاري رحمه الله محمول على أن جملة المال حين الموت كانت ذلك دون الزائد في أربعة سنين دون القسمة[3]، وقد وقع في تركته من البركة الشيء الكثير[4]. وبارك الله له في أراضيه بعد موته فوفى دينه وزاد عليه الشيء الكثير.

وفي هذه القصة درس وعبر وفوائد:

أ – قول الزبير لابنه: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي:

وهذا مثل من أمثلة اليقين الراسخ، والإيمان القوي الذي ترتب عليه صدق التوكل على الله عز وجل، واللجوء إليه في قضاء الحوائج وكشف الكربات، فالمؤمن الحق يعتقد جازماً بأن كل شيء بيد الله جلَّ وعلا، فإذا وقع في ضائقة وكرب فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه تصور وجود الله تعالى وهيمنته على كل شيء، وأن المخلوقين الذين يُشَكلون طرفاً آخر في قضيته إنما هم في قبضة البارئ جلَّ وعلا، وأن قلوبهم بيده سبحانه يصرفها كيف يشاء، فليلجأ إليه قبل كل شيء، ويسأله قضاء حاجته وتفريج كربته، ثم يقوم بعمل الأسباب التي خلقها الله تعالى وجعلها موصلة إلى النتائج المطلوبة، مع الاعتقاد بأنها

---

[1] سير أعلام النبلاء (62/1).
[2] البخاري ، رقم 3129.
[3] شذرات الذهب (209/1).
[4] الإصابة لابن حجر (461/2).

مجرد أسـباب، وأن الفاعل والمقدّر هو الله تعالى، وأنه قادر على أن ينزع من الأسـباب قوة التأثير فلا تؤدي إلى نتائجها[1] المعروفة.

ب- هل كان الزبير رضي الله عنه من الأثرياء؟

نرى النصَّ السابق ينطق بأن الزبير رضي الله عنه ما كان من الأثرياء أصحاب الأموال المعروفين المشهورين بذلك، بل كان يشعر بالضائقة ويهمه أمر ما في ذمته من أموال وديون، وكان يخشى ألا تفي أرضه وعقاره بما عليه من أموال، كما ينطق هذا النص أيضـاً بأن عبد الله بن الزبير ما كان يخالف أباه في توقعه، بل كان يتوقع مثله أن الديون تزيد على الأموال والأرض، يقول له أبوه: أفترى يُبقي دينُنَا من مالنا شـيئاً؟ فلا يجد عبد الله جواباً لأبيه، ولو كان يتوقع غير ما توقع أبوه، لأجابه مطمئناً إياه في هذا الوقت العصيب، بأن الأمر غير ما يقدِّر ويتوقَّع، بل تجده يجاري أباه صراحة في توقعه، فيسأله عندما أشار عليه أن يستعين بمولاه .: من مولاك؟ فهو يتوقع أنه سيستعين به.

ولا يزعمن زاعم بأن عبد الله لم يكن محيطاً بثروة أبيه، عارفاً بأملاكه، فإن عبد الله كان في ذلك الوقت في سـن الخامسـة والثلاثين، ومن يكن في مثل هذه السـن من شـأنه أن يكون ظهيراً لأبيه عالماً بكل أحواله وأمواله، وبخاصـة إذا كان هو الابن الأكبر، وإن سؤال الزبير له: أفتُرى يُبقي دينُنا من مالنا شيئاً؟ يشهد بأن عبد الله كان على علم بأحوال أبيه وأمواله، بل إن عبد الله صـرَّح بأن أمر قضاء الدين ما كان سـهلاً ولا هيناً، فيقول: فو الله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقضي عنه دينه فيقضيه[2].

ومما يشـهد أيضاً بأن الزبير لم يكن معدوداً من الأغنياء وأصحاب الثروات، وأن توقعه عن ديونه ونسـبتها إلى أملاكه كان في موضعه ومحله: أن حكيم بن حزام رضي الله عنه ـــ وهو ابن عم الزبير ـــ تلقى عبد الله بن الزبير فيقول له: ما أراكم تطيقون هذا الذي عليكم من الديون، فإن عجزتم عن شيء منه، فاستعينوا بي[3].

ودليل رابع: يأتي عبد الله بن جعفر رضـي الله عنه لعبد الله بن الزبير، وكان له عند الزبير أربعمئة ألف، فيقول لابن الزبير: إن شئتم تركتها لكم قال عبد الله بن الزبير: لا.

قال عبد الله بن جعفر: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم[4]. فهذه شهادة اثنين من كبار الصحابة يتوقعان عدم

---

[1] التاريخ الإسلامي (309/20).

[2] البخاري ، رقم 3129.

[3] البخاري ، رقم 3129.

[4] المصدر السابق نفسه.

وفاء أملاك الزبير بما عليه من ديون، ويعدُّ أنه ممن يحتاج إلى عون ومساعدة، ثم هما ممن يعرف الزبير ويخالطه، ويطلع على أحواله، فأحدهما حكيم بن حزام ابن عم الزبير، والآخر ابن ابن خاله، فأم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمة النبيﷺ، وهو يتعامل معه أخذاً وعطاء، واقتراضاً وائتماناً، فهذه أدلة أربعة لا يرقى إليها الشك تنطق بأن الزبير رضي الله عنه ما كان من أصحاب الثروات[1].

وقد فشا فيما فشا عن ثروة الزبير وغناه الحديث عن عبيده وخيوله؛ ففي بعض المصادر أنه كان ألف مملوك، وأن الألف مملوك كانوا يؤدون إليه الخراج كل يوم، فما يدخل إلى بيته منها درهماً واحداً يتصدق بذلك جميعه[2]. لكن المستشرق الذائع الصيت (ول ديورانت) جعل الألف عشرة آلاف، فقال: كان الزبير يمتلك عشرة آلاف عبد، ثم أضاف إليها ألف جواد[3]، وبالطبع حذف المستشرق (الذكي) خبر تصدق الزبير بخراج مماليكه[4]، وهذا الخبر لا يقف أمام رواية البخاري، إذ جاء فيها: فقتل الزبير ولم يترك ديناراً ولا درهماً، إلا أرضين منها الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر[5]. فالرواية واضحة، وهي بأسلوب الحصر، وفي مقام الحديث عن همّ الدين، والكُرب التي كانت في سبيل سداده، فلو كان هناك ألف مملوك، لكان لها ذكر، ولثمنها قيمة وقدر، ألا يساوي المملوك الواحد في أقل تقدير ألفي درهم[6]؟! فيكون ثمن المماليك هو قيمة الدين كله إلا قليلاً، هذا كله على فرض أنها كانت ألفاً فقط، أما إذا أخذنا بشطحة ول ديورانت، وأنها عشرة آلاف مملوك، فمعنى ذلك نسف رواية البخاري من أساسها، فإن عشرة آلاف مملوك وألف جواد يكفي ثمنها ـ مهما كان بخساً ـ أن يسدد ديونه، ويغرق ورثته في لجج الثراء، وما كان الزبير بحاجة إلى أن يقول لابنه: إن من أكبر همي لَدَيْني. ولا أن يسائله:

أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئاً، ولا أن يوصيه: إذا أعجزك شيء من ديني، فاستعن عليه بمولاي[7].

إن الحديث عن سيرة الزبير وطلحة وعمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة ينسجم مع أهداف الكتاب، من حيث الحديث عن سيرة أمير المؤمنين علي وعصره، فهذه الشخصيات تعتبر محورية في الحديث عن عصر أمير المؤمنين علي، كما أن التشويه الذي لحق بها في كتب التاريخ والأدب يكون عند الحديث في الفتن الداخلية، فبيان

[1] الزبير بن العوام ، الثروة والثورة ، عبد العظيم الديب ، ص 9.
[2] سير السلف الصالحين (227/1) ، في إسناده ضعف.
[3] الزبير بن العوام ، الثروة والثورة ، ص 11.
[4] المصدر السابق نفسه ، ص 13.
[5] البخاري ، رقم 3129.
[6] الزبير بن العوام ، الثروة والثورة ، ص 14.
[7] البخاري ، رقم 3129.

ســيرتهم، وأخلاقهم وصــفاتهم، واجب علينا، وحتى يخرج القارئ بمعرفة حقيقية لهذه الشــخصــيات، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة، والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن سيرة الزبير أو غيره من كبار الصحابة التي ساهمت في الأحداث في عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينسجم مع أهداف المؤلف التي أراد إيصالها للقارئ من خلال دراسته لعهد الخلفاء الراشدين.

الحادي عشر: سيرة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه واستشهاده:

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سـعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لـــؤي بن غالب القرشــي التيمي[1]، يجتمع مع النبيﷺ في مرة بن كعب، ومع أبي بكر الصــديق في تيم بن مرة، وعدد ما بينهم من الآباء سواء[2]، وأمه رضي الله عنه: الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن، وهي أخت العلاء بن الحضرمي[3]، أسلمت ولها صحبة، وظفرت بشرف الهجرة[4]. وطلحة رضي الله عنه أحد العشرة الذين بشروا بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا على الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأحد الستة أصحاب الشورى.[5]

1 – إسلامه وابتلاؤه وهجرته:

قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصري، فإذا راهب في صومعته يقول: سَلُوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد منْ أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شــهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نَخْل، وحرّة[6]، وســباخ[7]، فإياك أن تُســبق إليه، قال طلحة: فوقع ما قال في قلبي، فخرجت ســريعاً حتى قدمتُ مكة، فقلت: هل كان من حدث؟. قالوا: نعم محمّد بن عبد الله الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال طلحة: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر، وقلت: اتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه، فادخل عليه، فاتّبعه، فإنَّه يدعو إلى الحق وإلى الخير. وأخبر طلحة أبا بكر بما قال الراهب.، فخرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ، فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الرّاهب؛ فسر رسول الله ﷺ، فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله، أخذهما نوفل بن خويلد بن العدويّة، فشدّهما في حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تيم،

---

[1] الإصابة (220/2) ، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة (210/2).

[2] فتح الباري (82/7).

[3] الإصابة (220/2).

[4] المصدر السابق نفسه (337/4) ؛ فتح الباري (82/7).

[5] المستدرك للحاكم (369/3) ؛ عقيدة أهل السنة في الصحابة (228/1).

[6] حرة: هي الأرض الغليظة ذات الحجارة السُّود النَّخرات.

[7] سباخ: جمع سبخة ، وهي أرض ذات نزّ وملح.

وكان نوفل يُدعى أسد قريش ولذلك سُمّي أبو بكر وطلحة القرينين[1].

هذا وقد أوذي طلحة في الله ولقي أذى كبيراً من المشركين، ومن عشيرته الأقربين، وبقي طلحة رضي الله عنه ـ صابراً على الأذى والعذاب حتى أذن الله عز وجل بالهجرة.

ولما ارتحل رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة لقيه طلحة قادماً من الشام في عير، فكسا رسول الله ﷺ وأبا بكر من ثياب الشام، ثم مضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من حاجته، ثمّ خرج بعد ذلك بآل أبي بكر؛ فهو الذي قدم بهم المدينة، فطلحة من المهاجرين الأوّلين ـــ رضي الله عنهم[2]، ولما قدم المدينة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري[3]، وقيل: كعب بن مالك الأنصاري، حين آخى بين المهاجرين والأنصار[4].

2 – في غزوة بدر:

كان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه كلّف بتحسس عير قريش، وذلك لما تحيّن رسول الله ﷺ وصول عير من الشام لقريش، فقد بعث ﷺ طلحة وسعيد بن زيد رضي الله عنهما يأتيانه بالأخبار، فخرجا وبلغا الحوراء، فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت العير، فتساحلت، فعادا إلى المدينة بالأخبار، كان رسول الله ﷺ قد خرج بالمسلمين في غزوة بدر، فأسرعا لينضما إلى الجيش، إلا أنهما لم يدركا المعركة، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما، سهم كالمقاتلين، وأجر كالمجاهدين[5].

3 – في غزوة أحد، أوجب طلحة رضي الله عنه:

عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولّى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبيﷺ: «مَن للقوم؟» قال طلحة: أنا. قال: «كما أنت» فقال رجل من الأنصار: أنا قال: «أنت» فقاتل حتى قُتل. ثم التفت، فإذا المشركون فقال: من لهم؟ قال طلحة: أنا. قال: «كما أنت». فقال رجل من الأنصار: أنا. قال: أنت فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله (طلحة)، فقال: من للقوم؟ قال طلحة: أنا. فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه فقال: حسّي. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: بسم الله، لرفعتك الملائكة

---

[1] البداية والنهاية (258/7).
[2] البداية والنهاية (258/7)؛ فرسان من عصر النبوة ، ص 225.
[3] البداية والنهاية (258/7).
[4] فرسان من عصر النبوة ، ص 225 ، الاستيعاب لابن عبد البر.
[5] الحاكم في المستدرك (369/3) ؛ الاستيعاب (4188).

والناس ينظرون». ثم رد الله المشركين[1]. وعند أحمد: فقال له النبيﷺ: «لو قلت: بسم الله، لرأيت يُبنى لك بها بيت في الجنة وأنت حيّ في الدنيا»[2].

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبيﷺ يوم أحد[3]. وجُرح في تلك الغزوة تسعاً وثلاثين، أو خمساً وثلاثين، وشُلّت إصبعه أي: السبابة والتي تليها[4]. وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحُد قال: ذلك اليوم كله لطلحة[5]. وعن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة قالتا: جُرح أبونا يوم أُحُد أربعاً وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجة مربعة، وقُطع نساه ـ يعني العرق ـ وشُلَّت أصبعه، وكان سائر الجراح في جسده، وغلبه الغَشي ــ الإغماء ــ ورسول الله ﷺ ــ يرجع به القهقرى؛ كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب[6]، حتى قال عنه ﷺ: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع»[7].

4 – شهيد يمشي على الأرض:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك. فقال رسول الله ﷺ: «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»، وعليه النبيﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنهم[8]، فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيداً وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المصطفى ﷺ، ظل يبحث عن الشهادة في مظانها، فشهد المشاهد كلها مع النبيﷺ عدا غزوة بدر[9]، فقد كان في مهمة كلَّفه بها رسول الله ﷺ كما مرّ معنا، وقال عنه النبيﷺ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»[10].

5 – من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه:

عن موسى وعيسى ابنا طلحة عن أبيهما: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأل رسول الله عمن قضى نحبه: من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه قال: فسأله الأعرابي، فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطلعت من باب المسجد ـــ يعني طلحة ـــ وعليَّ ثياب خضر، فلما راني رسول الله ﷺ قال: «أين السائل عمن قضى

---

[1] السلسلة الصحيحة ، رقم 2171 ، الحديث حسن بمجموع طرقه.
[2] فضائل الصحابة ، رقم 1294 ، إسناده صحيح.
[3] البخاري ، رقم 4063.
[4] البخاري (361/7)؛ أصحاب الرسول (264/1).
[5] فتح الباري (361/7).
[6] سير أعلام النبلاء (32/1).
[7] صحيح الجامع للألباني ، رقم 2540.
[8] مسلم ، رقم 2417.
[9] أصحاب الرسول (260/1).
[10] رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ، رقم 5962.

نحبه؟» قال الأعرابي: أنا يا رسول الله. قال: «هذا ممن قضى نحبه»[1].

6 – دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم:

عن مالك بن أبي عامر، قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليماني، هوأعلم بحديث رسول الله ﷺ منكم ـ يعني أبا هريرة ـــ نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، قال: أما أن قد سمع من رسول الله ﷺ مالم نسمع، فلا أشك، وسأخبرك إنّا كنا أهل بيوت، وكنا إنما نأتي رسول الله ﷺ غدوة وعشية، وكان مسكيناً لا مال له ـ أبو هريرة. إنما هو على باب رسول الله ﷺ، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحداً فيه خير يقول على رسول الله ما لم يَقُلْ[2].

وفي هذه القصة درس مفيد في الدفاع عن العلماء والفقهاء الصالحين.

7 – إنفاقه في سبيل الله:

عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مالٍ من غير مسألة منه[3]. وعن موسى عن أبيه طلحة: أنه أتاه مال من حضـرموت سـبعمئة ألف، فبات ليلته يتململ. فقال: ما ظنّ رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك، فإذا أصـبحت، فادع بجفان وقصـاع فقسـمه. فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصـديق، فلما أصـبح، دعا بجفان، فقسـمَها بين المهاجرين والأنصـار، فبعث إلى عليّ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصـيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشـأنك بما بقي قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[4].

وعن سُعدى بنت عوف المرية، قالت: دخلت على طلحة يوماً وهو خاثر[5]، فقلت: مالك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله، نعم خليلة المسـلم أنتِ، ولكن مالٌ عندي قد غمَّني. فقلت: ما يغُمُّك؟ عليك بقومك، قال: يا غلام ادع لي قومي، فقسّمه فيهم، فسألت الخازن: كم أعطى؟ قال: أربعمئة ألف[6].

عن الحسـن البصـري: أن طلحة بن عُبيد الله باع أرضـاً له بسـبعمئة ألفٍ، فبات أرقاً من مخافة ذلك المال، حتى أصـبح

---

[1] رواه الترمذي بإسناد حسن ، رقم 3742.

[2] سير أعلام النبلاء (37/1) ، إسناده حسن.

[3] الحلية (88/1) ؛ سير أعلام النبلاء (30/1).

[4] سير أعلام النبلاء للذهبي (30/1 ـ 31).

[5] خاثر النفس: غير نشيط.

[6] مجمع الزوائد (148/9) ، قال الهيثمي: رواه الطبراني ، ورجاله ثقات.

ففرَّقه[1].

وعن عليّ بن زيد قال: جاء أعرابي إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم، فقال: إن هذه لرحم ما سألني بها أحد قبلك، إن لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان ثلاثمئة ألف فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان، ودفعت إليك الثمن، فقال: الثمن، فأعطاه. وكان رضي الله عنه لا يدع أحداً من بني تيم عائلاً إلا كفاه، وقضى دينه، وكان يرسل لعائشة أم المؤمنين كل سنة بعشرة آلاف[2]، إنه طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود[3].

وقد سمّاه رسول الله ﷺ بالفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه في وجوه الخير، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسى بن طلحة: أن طلحة نحر جزوراً وحفر بئراً يوم ذي قرد[4]، فأطعمهم وسقاهم فقال النبيﷺ: « يا طلحة الفياض». فسمي طلحة الفياض[5].

8 – من فرائد أقواله ودُرَر جواهر كلامه:

فمن أقواله: إن أقلّ عيب الرجل جلوسه في بيته[6]، ومما حفظ عنه قوله: الكسوة تظهر النّعمة، والإحسان إلى الخادم يكبت الأعداء[7]، ولطلحة ــ رضي الله عنه ــ آراء ثاقبة وصحيحة في الناس، فكان لا يشاور بخيلاً في صلة، ولا جباناً في حرب[8].

9 – شهادة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه:

لما حضر يوم الجمل، واجتمع به علي فوعظه، تأخَّر فوقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته، وقيل: في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه، وجعل يقول: إليّ عباد الله، فأدركه مولى له، فركب وراءه وأدخله البصرة، فمات بدار فيها، ويقال: إنه مات بالمعركة، وإن علياً لما در بين القتلى راه، فجعل يمسح عن وجهه التراب[9]، ثم قال: عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مُجندلاً في الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عُجري

---

[1] سير أعلام النبلاء (32/1).
[2] سير أعلام النبلاء (31/1).
[3] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص 527.
[4] ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر. النهاية (137/4).
[5] البداية والنهاية (258/7).
[6] المستدرك (374/3) ، حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه. مختصر تاريخ دمشق (203/11) ، يقصد: أن العزلة بعد عن الاهتمام.
[7] فرسان من عصر النبوة ، ص 237.
[8] المصدر السابق نفسه.
[9] البداية والنهاية (258/7).

وبُجري[1]، وترحم عليه، وقال: ليتني مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة[2].

ولا شك أن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من أهل الجنة، فقد روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة». ثم قال: وقد روى هذا الحديث، عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه، عن سعيد بن زيد، عن النبيﷺ نحو هذا[3]؛ ففي هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة رضي الله عنه، حيث شهد له النبيﷺ أنه من أهل الجنة، وأكرم بها من شهادة، فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة[4].

10 – حفظ الله له بعد موته:

إن الله حفظ جسد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بعد موته، فقد فتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عاماً، ونقلوه إلى مكان آخر، فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شِقّي لحيته، فعن المثنى بن سعيد قال: أتى رجلٌ عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحة في المنام، فقال: قل لعائشة تحولني من هذا المكان؛ فإن النَّزَّ ـ الرطوبة أو الماء ـ قد آذاني. فركبت في حشمها، فضربوا عليه بناء واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شِقيّ لحيته، أو قال: رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة[5]، فرضي الله عن طلحة وسائر الصحابة أجمعين.

11 – سعد بن أبي وقاص يدعو على من يقع في عثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم:

عن سعيد بن المسيب: أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى، فقام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطاً لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرة، فخرج الرجل فإذا ببختي يشق الناس، فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته[6] والبلاط، فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنيئاً لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك[7].

---

[1] سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.
[2] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص 528.
[3] أخرجه أبو داود. (4649) ؛ الترمذي ، رقم 3757 ، حديث حسن.
[4] عقيدة أهل السنة (293/1).
[5] أصحاب الرسول (270/1).
[6] الكركرة: الصدر.
[7] البداية والنهاية (259/7).



المبحث الثاني : معركة صفين: (37هـ)

أولاً: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة:

(1) أم حبيبة بنت أبي سفيان، ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام:

لما قُتل عثمان رضي الله عنه: أرسلت أم المؤمنين، أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان؛ أرسلوا إليّ بثياب عثمان التي قُتل فيها، فبعثوا إليها بقميصه مضرّجاً بالدم، وبخصلة الشعر التي نتفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير، فبعثته إلى معاوية، فمضى بذلك وبكتابها[1]. وجاء في رواية: خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها[2]، وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية[3]، فورد النعمان على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله، وحثَّ بعضهم بعضاً على الأخذ بثأره[4].

وجاء شرحبيل بن السمط الكندي وقال لمعاوية: كان عثمان خليفتنا، فإن قويت على الطلب بدمه وإلا فاعتزلنا[5]. وآلى رجال الشام أن لا يمسوا النساء ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء، أو تفنى أرواحهم[6]، وكان ذلك ما يريده معاوية، فقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلى أهل الشام بشعة، مقتل الخليفة، سيوفاً مصلتة من الغوغاء على رقاب الناس، بيت المال منتهكاً مسلوباً، وأصابع نائلة مقطوعة، فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها العيون ولا غرابة بعد هذا إطلاقاً أن نرى إصرار معاوية ومن معه من أهل الشام بالإصرار على المطالبة بدم عثمان، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة، وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقدين محتلين متآمرين، ولا يتماوج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه للقصاص من أصحاب هذه الجريمة البشعة[7]؟.

---

[1] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص 539.
[2] البداية والنهاية (539/7).
[3] تاريخ الدعوة الإسلامية ، محمد جميل ، ص 398.
[4] البداية والنهاية (539/7) ، سندها ضعيف.
[5] الأنساب (418/4)؛ تاريخ الدعوة الإسلامية ، ص 398.
[6] تاريخ الطبري (600/5).
[7] معاوية بن أبي سفيان للغضبان ، ص 178 ، 183.

(2) دوافع معاوية في عدم البيعة:

كان معاوية رضي الله عنه والياً على الشام في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولما تولى الخلافة علي أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر، فاعتذر ابن عمر، فأرسل إلى سهل بن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام (وادي القرى) حتى عاد من حيث جاء، إذ لقيته خيل لمعاوية عليها حبيب بن مسلمة الفهري، فقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع[1].

لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتصّ علي ـ رضي الله عنه ـ من قتلة عثمان ثم يدخلون البيعة[2]، وقالوا: لا نبايع من يأوي القتلة[3]، وتخوّفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا في جيش علي، فرأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قتل مظلوماً باتفاق المسلمين، وقتلته في عسكر علي، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان، وكان معاوية رضي الله عنه يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه، فهو ولي دمه، والله يقول: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: 33] لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان، وأنه قتل مظلوماً على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات، وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: «هذا يومئذ على الهدى»، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «نعم»[4].

وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان، ومنشطاً ودافعاً قوياً للتصميم على تحقيق الهدف، وهو: عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ.. فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه، فقال: «يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني» ثلاثاً، فقلت لها: يا أم المؤمنين! فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان، فلم يرضَ بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن أكتبي إليّ به، فكتبت إليه به كتاباً[5].

---

[1] تاريخ الطبري (466/5).

[2] البداية والنهاية (129/7).

[3] العواصم من القواصم ، ص 162.

[4] صحيح سنن ابن ماجه (240/1).

[5] مسند أحمد ، رقم 24045 ، حديث صحيح.

لقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق، إذ كان يدرك إدراكاً تاماً أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى، وأن علياً أفضل منه وأولى بالأمر منه[1]، وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة، وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب.

(3) معاوية يرد على أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما:

بعث علي رضي الله عنه كتباً كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، ثم بعث معاوية طُوماراً[2] مع رجل، فدخل به على علي، فقال له علي: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القَوَدَ[3]، كلهم موتور[4]، تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق، فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. ثم خرج رسول معاوية من بين يدي عليٍّ فهمَّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد[5].

(4) تجهيز أمير المؤمنين علي لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك:

بعد وصول رد معاوية لأمير المؤمنين علي، عزم الخليفة على قتال أهل الشام، كتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة، وبعث إلى عثمان بن حُنيف بذلك، وخطب الناس فحثّهم على ذلك، وعزم على التجهُّز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قثم بن العباس، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه، وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس، وجاء إليه ابنه الحسن بن علي فقال: يا أبة دَعْ هذا؛ فإنّ فيه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم! فلم يقبل منه ذلك، بل صمَّم على القتال، ورتّب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد ابن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة، وقيل: جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة، واستخلف على المدينة قثم بن العباس، ولم يبقَ شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك[6]، وقد تمّ تفصيل ذلك من خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة إلى معركة الجمل.

---

(1) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص 112.
(2) الطومار: الصحيفة.
(3) القود: القاتل بالقتيل.
(4) الموتور: صاحب الثأر.
(5) البداية والنهاية (240/7).
(6) البداية والنهاية (240/7، 241).

(5) بعد معركة الجمل، أرسل أمير المؤمنين علي جرير بن عبد الله إلى معاوية:

ذُكر أن المدة بين خلافة أمير المؤمنين علي إلى فتنة السبئيَّة الثانية، أو ما يُسمى البصرة أو معركة الجمل، خمسة أشهر وواحد وعشرون يوماً، وبين دخوله الكوفة شهراً، وبين ذلك وخروجه إلى صفين ستة أشهر[1]، وروي شهرين أو ثلاثة[2]. وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكره لذلك، فنزل في الرحبة وصلّى بالجامع الأعظم ركعتين، ثم خطب الناس فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله وكان على همذان من زمان عثمان، وإلى الأشعث بن قيس وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان؛ يأمرهما أن يأخذا البيعة له على من هُنالك ثم يُقبِلا إليه، ففعلا ذلك، فلما أراد علي أن يبعث إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه إلى بيعته، قال جرير بن عبد الله البجلي: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين، فإنّ بيني وبينه وُدّاً، فاخذ لك البيعة منه، فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين، فإني أخشى أن يكون هواه معه. فقال علي: دعه.

فبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلمّا انتهى إليه جرير بن عبد الله، أعطاه الكتاب وطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم.

فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنْهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت ثمّ لقتلوك بدم عثمان. فقال الأشتر: والله لو بعثتني لم يعنني جواب معاوية ولأعجلنّه عن الفكرة، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين، لحبستك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمَّة.

فقام جرير مُغْضَباً فأقام بقرقيسياء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه[3]. وهكذا كان الأشتر سبباً في إبعاد الصحابي جرير بن عبد الله الذي كان والياً على قرقيسياء وعلى غيرها، ورأساً في قبيلته بجيلة، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين علي، وهذا الصحابي جرير بن عبد الله البجلي قال: ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي، وقال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحة مَلَكَ»[4].

---

[1] مروج الذهب (360/2).

[2] التاريخ الصغير للبخاري (102/1).

[3] البداية والنهاية (265/7).

[4] مسلم ، رقم 2475.

(6) مسير أمير المؤمنين إلى الشام:

استعد أمير المؤمنين علي لغزو الشام، فبعث يستنفر الناس[1] وجهّز جيشاً ضخماً اختلفت الروايات في تقديره، وكلها روايات ضعيفة[2]، إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار في خمسين ألفاً[3].

وكان مكان تجمع جُند أمير المؤمنين بالنخلية[4]، وهو على ميلين من الكوفة آنذاك، فتوافدت عليه القبائل من شتى إقليم العراق[5]، واستعمل أمير المؤمنين علي أبا مسعود الأنصاري، وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف مقاتل، وبعث شريح بن هانئ في أربعة آلاف، ثم خرج علي رضي الله عنه بجيشه إلى المدائن (بغداد)، فانضم إليه فيها من المقاتلة، وولى عليها سعد بن مسعود الثقفي، ووجه منها طليعة في ثلاثة آلاف إلى الموصل[6]، وسلك رضي الله عنه طريق الجزيرة الرئيسي على شط الفرات الشرقي، حتى بلغ قرب قرقيسياء[7]، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقدم علي إلى الرقة[8]، وعبر منها الفرات غرباً ونزل على صفين[9].

(7) خروج معاوية إلى صفين:

كان معاوية جاداً في مطاردة قتلة عثمان رضي الله عنه، فقد استطاع أن يترصد بجماعة ممن غزا المدينة من المصريين أثناء عودتهم، وقتلهم ومنهم أبو عمرو بن بديل الخزاعي[10]، ثم كانت له أيد في مصر وشيعة في أهل خربتا تطالب بدم عثمان رضي الله عنه، وقد استطاعت هذه الفرقة من إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبي حذيفة في عدة مواجهات عام 36 هـ، كما استطاع أيضاً أن

يوقع برؤوس مدبري ومخططي غزو المدينة من المصريين، مثل عبد الرحمن بن عديسي، وكنانة بن بشر، ومحمد بن حذيفة، فحبسهم في فلسطين، وذلك في الفترة التي سبقت خروجه إلى صفين، ثم قتلهم في شهر ذي الحجة عام 36 هـ[11].

---

[1] الإصابة (123/1 . 124) نقلاً عن الحاكم بسند حسن.

من قال: مئة وخمسين ألف أو يزيدون. البداية والنهاية (260/7). مئة وعشرون ألف ، المعرفة والتاريخ (13/3) بسند منقطع. وقدر بتسعين ألف ، التاريخ ، خليفة بن خياط ، ص [2] 193.

[3] تاريخ خليفة ، ص 193 ، بسند حسن.

[4] موقع قرب الكوفة من جهة الشام ، معجم البلدان (278/5).

[5] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 188.

[6] تاريخ الطبري (603/5) ، بسند حسن إلى عوانة منقطعاً.

[7] قرقيسياء: بلد يقع على نهر الخابور عند مصبه في الفرات. معجم البلدان (328/4).

[8] الرقة: مدينة مشهورة في سورية اليوم على نهر الفرات الشرقي. معجم البلدان (153/3).

[9] تاريخ الطبري (604/5).

[10] المحن لأبي العرب التميمي ، ص 124 ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 191.

[11] خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 191.

وعندما علم معاوية بتحرك جيش العراق نحو الشام، جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن علياً نهد إليكم في أهل العراق... فقال ذو الكلاع الحميري: عليك أمر أي وعلينا أمفعال[1][2].

وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان رضي الله عنه والقتال[3]، وقد قام عمرو بن العاص رضي الله عنه بتجهيز الجيش، وعقد الألوية، وقام في الجيش خطيباً يحرضهم، فقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم، وفلوا حدهم، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلي قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شرذمة قليلة ومنهم من قد قتل خليفتكم، فالله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم أن تبطلوه[4].

وسار معاوية في جيش ضخم، اختلفت الروايات في تقديره، وكلها روايات منقطعة أسانيدها، وهي عين الروايات التي قدرت جيش علي رضي الله عنه، فقدر بمئة ألف وعشرين ألفاً[5]، وقدر بسبعين ألف مقاتل، وقدر بأكثر من ذلك بكثير[6]؛ إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، فهي وإن كانت منقطعة الإسناد إلا أن راويها صفوان بن عمرو السكسي، حمصي من أهل الشام، ولد عام (72 هـ)، وهو ثبت ثقة، وقد أدرك خلقاً ممن شهد صفين، كما يتبين من دراسة ترجمته[7]، والإسناد إليه صحيح[8].

وكان قادة جيش معاوية على النحو التالي: عمرو بن العاص، على خيول أهل الشام كلها، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم، وذو الكلاع الحميري. على ميمنة الجيش، وحبيب بن مسلمة على ميسرة الجيش، وأبو الأعور السلمي على المقدمة؛ هؤلاء هم القادة الكبار، وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزعوا حسب القبائل، وكان هذا الترتيب عند مسيرهم إلى صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرون مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب في اختلاف أسماء القادة في بعض المصادر[9].

وبعث معاوية أبا الأعور السلمي مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقي من دمشق، ولما بلغ صفين أسفل الفرات، عسكر في مكان سهل فسيح، إلى جانب شريعة في الفرات، ليس في ذلك المكان شريعة غيرها، وجعلها في حيزه[10].

---

[1] لغة حمير في إبدال أم بدل (أل) التعريف.

[2] الإصابة (480/1) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 192.

[3] أنساب الأشراف (52/2) بسند منقطع ؛ خلافة علي ، ص 192.

[4] تاريخ الطبري (601/5) ، بسند منقطع.

[5] خلافة علي بن أبي طالب ، ص 194 ؛ المعرفة والتاريخ (313/3).

[6] المصدر السابق نفسه ، ص 194 ؛ تاريخ خليفة ، ص 193.

[7] سير أعلام النبلاء(380/6).

[8] خلافة علي بن أبي طالب ، ص 194.

[9] امتداد العرب في صدر الإسلام ، صالح العلي ، ص 73 ؛ خلافة علي ، ص 194.

[10] صفين ، نصر بن مزاحم ، ص 160 . 161.

(8) القتال على الماء:

وصل جيش علي رضي الله عنه إلى صفين، حيث عسكر معاوية، ولم يجد موضعاً فسيحاً سهلاً يكفي الجيش، فعسكر في موضع وعر نوعاً ما، إذ أغلب الأرض صخور ذات كدى وأكمات[1].

فوجئ جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء، فهرع البعض إلى علي رضي الله عنه يشكون إليه هذا الأمر، فأرسل علي إلى الأشعث بن قيس فخرج في ألفين، ودارت أول معركة بين الفريقين انتصر فيها الأشعث واستولى على الماء[2]، إلا أنه قد وردت رواية تنفي وقوع القتال من أصله؛ مفادها: أن الأشعث بن قيس جاء إلى معاوية فقال: الله الله يا معاوية في أمة محمد ﷺ! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق، فمن للبعوث والذراري؟! إن الله يقول: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9] ، قال معاوية: فما تريد؟ قالوا: خلوا بيننا وبين الماء. فقال لأبي الأعور: خلّ بين إخواننا وبين الماء[3].

وقد كان القتال على الماء في أول يوم تواجها فيه في بداية شهر ذي الحجة فاتحة شر على الطرفين المسلمين، إذ استمر القتال بينهما متواصلاً طوال هذا الشهر، وكان القتال على شكل كتائب صغيرة، فكان علي رضي الله عنه يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميراً، فتقتتلان مرة واحدة في اليوم في الغداة أو العشي، وفي بعض الأحيان يقتتلان مرتين في اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب في جيش علي: الأشتر، وحجر بن عدي، وشبث بن ربعي، وخالد بن المعتمر، ومعقل بن يسار الرياحي. ومن جيش معاوية أغلب من يخرج: حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو الأعور السلمي، وشرحبيل بن السمط، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال، وأملاً في وقوع صلح بين الطرفين، تصان به الأرواح والدماء[4].

(9) الموادعة بينهما ومحاولات الصلح:

ما إن دخل شهر المحرم، حتى بادر الفريقان إلى الموادعة والهدنة طمعاً في صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر في المراسلات بينهم، ولكن المعلومات عن مراسلات هذه الفترة ـ شهر المحرم ـ وردت من طرق ضعيفة[5]، مشهورة، إلا أن ضعفها لا ينفي وجودها.

---

[1] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 196 ، النصر المبين.

[2] مصنف ابن أبي شيبة (294/15) بسند حسن.

[3] سير أعلام النبلاء (41/2) ؛ مرويات أبي مخنف ، ص 296.

[4] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 197 ، 198 ؛ البداية والنهاية (266/7) ؛ تاريخ الطبري (614/5).

[5] تاريخ الطبري (612/5 ، 613) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص 199.

كان البادئ بالمراسلة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه، كما دعاه من قبل إلى الدخول في الجماعة والمبايعة، فرد معاوية عليه برده السابق المعروف، بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولاً، ثم يدخل في البيعة، وقد تبين لنا موقف علي من هذه القضية[1].

كما أن قرّاء الفريقين، قد عسكروا في ناحية من صفين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه[2]، وقد حاول اثنان من الصحابة وهما أبو الدرداء، وأبو أمامة رضي الله عنهما الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضاً لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما[3]. وكذلك حضر مسروق بن الأجدع ـ أحد كبار التابعين ـ فوعظ، وخوف ولم يقاتل[4].

وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات أبي مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال:... ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر، فإن في مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وأنهم إنما دخلوا في الإسلام ولم يزالا في تردد فيه، وغير ذلك، وأنه قال في غضون ذلك: لا أقول إن عثمان قُتل مظلوماً ولا ظالماً؛.. وهذا عندي لا يصح من علي رضي الله عنه[5]. وموقف علي رضي الله عنه من قتل عثمان واضح وقد بينته في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي هذا الكتاب.

ثانياً: نشوب القتال:

عادت الحرب على ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية، خشية الالتحام الكلي، إلى أن مضى الأسبوع الأول منه، وكان عدد الوقعات الحربية بين الفريقين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعة، وذكر أنها تسعون[6]، إلا أن علياً أعلن في جيشه أن غداً الأربعاء سيكون الالتحام الكلي لجميع الجيش، ثم نبذ معاوية يخبره بذلك[7]، فثار الناس في تلك الليلة إلى أسلحتهم يصلحونها ويحدونها، وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن

---

[1] تاريخ الطبري (613/5) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص 199.
[2] المصدر السابق نفسه (614/5).
[3] البداية والنهاية (67/7).
[4] سير أعلام النبلاء (67/4) ، بدون إسناد.
[5] البداية والنهاية (269/7).
[6] الأنباء بتواريخ الخلفاء ، ص 59 ؛ صفين ، ص 202 ؛ شذرات الذهب (45/1).
[7] البداية والنهاية (273/7).

لمن يحتاج من الرجال ممن فلّ سلاحه، وهو يحرض الناس على الاستبسال في القتال[1]، وبات جميع الجيشين في مشاورات وتنظيم للقيادات والألوية.

1 – اليوم الأول:

أصبح الجيشان في يوم الأربعاء قد نظمت صفوفهم ووزعوا حسب التوزيع المتبع في المعارك الكبرى ـ قلب وميمنة، وميسرة، فكان جيش علي رضي الله عنه على النحو التالي:[2] علي بن أبي طالب على القلب، وعبد الله بن عباس على الميسرة، وعمار بن ياسر على الرجالة، محمد ابن الحنفية حامل الراية، وهشام بن عتبة (المرقال) حامل اللواء، والأشعث بن قيس على الميمنة، وأما جيش الشام، فمعاوية في كتيبة الشهباء أصحاب البيض والدروع على تل مرتفع وهو أمير الجيش، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميري على الميمنة على أهل اليمن، وحبيب بن مسلمة الفهري على الميسرة على مضر، والمخارق بن الصباح الكلاعي حامل اللواء[3]، وتقابلت الجيوش الإسلامية، ومن كثرتها قد سدت الأفق، ويقول كعب بن جعيل التغلبي أحد شعراء العرب[4]، وذلك عندما رأى الناس في ليلة الأربعاء وقد وثبوا إلى نبالهم وسيوفهم يصلحونها استعداداً لهذا اليوم:

أَصْبَحَتِ الأُمَّةُ فِي أَمْرٍ عَجَبْ ... وَالمُلْكُ مَجْمُوعٌ غداً لِمَنْ غَلَبْ

فَقُلْتُ قولاً صادقاً غيرَ كَذِبْ ... إنَّ غداً تَهْلِكُ أَعْلامُ العَرَبْ[5]

وتذكر بعض الروايات الضعيفة: أن علياً خطب في جيشه، وحرضهم على الصبر والإقدام والإكثار من ذكر الله[6]، وتذكر أيضاً أن عمرو بن العاص، قد استعرض جيشه، وأمرهم بتسوية الصفوف وإقامتها[7]، وهذه الروايات لا يوجد مانع من الأخذ بها، لأن كل قائد يحرض جيشه ويحمسه، ويهتم بكل ما يؤدي به إلى النصر، والتحم الجيشان في قتال عنيف، استمر محتدماً إلى غروب الشمس لا يتوقف إلا لأداء الصلاة، ويصل كل فريق في معسكره، وبينهما جثث القتلى في الميدان تفصل بينهما، وسأل أحد أفراد جيش علي علياً رضي الله عنه حين انصرافه من الصلاة، فقال: ما تقول في قتلانا

---

[1] سنن سعيد بن منصور (240/2) ضعيف.

[2] تاريخ خليفة بن خياط ، ص 193 ، بسند حسن إلى شاهد عيان.

[3] المصدر السابق نفسه.

[4] شاعر تغلب في عصره ، مخضرم ، شهد صفين مع معاوية ، وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام. الأعلام للزركلي (180/6).

[5] البداية والنهاية (273/7) ؛ تاريخ الطبري (626/5).

[6] تاريخ الطبري (622/5) ، من طريق أبي مخنف.

[7] الطبقات (255/4) ، من طريق الواقدي.

وقتلاهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: من قتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة[1]. وقد صبر بعضهم على بعض فلم يغلب أحد أحداً، ولم ير مولياً حتى انتهى ذلك اليوم. وفي المساء خرج علي رضي الله عنه إلى ساحة القتال، فنظر إلى أهل الشام، فدعا ربه قائلاً: اللهم اغفر لي ولهم[2].

2 – اليوم الثاني:

في يوم الخميس تذكر الروايات: أن علياً رضـي الله عنه قد غلس بصـلاة الفجر واستعد للهجوم، وغير بعض القيادات، فوضـع عبد الله بن بديل الخزاعي على الميمنة بدلاً من الأشـعث بن قيس الكندي الذي تحول إلى الميسـرة[3]، وزحف الفريقان نحو بعضـهما، واشـتبكوا في قتال عنيف أشـد من سـابقه، وبدأ أهل العراق في التقدم وأظهروا تفوقاً على أهل الشـام، واسـتطاع عبد الله بن بديل أن يكسـر ميسـرة معاوية وعليها حبيب بن مسـلمة، ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية (الشهباء)، وأظهر شجاعة وحماساً منقطع النظير، وصاحب هذا التقدم الجزئي، تقدم عام لجيش العراق، حتى إن معاوية، قد حدثته نفسه بترك ميدان القتال، إلا أنه صبر وتمثل بقول الشاعر:

أَبَـتْ لِي عِـفَّـتِي وَأَبَى بَـلاَئِـي ... وَأَخْـذِي الحَـمْـدَ بالـثَّـمَـنِ الـرَّبِـيحِ

وإِكْـرَاهِـي عَـلَـى المـكْـرُوهِ نَـفْسِـي ... وَضَـرْبِي هَـامَـةَ الـبَـطَـلِ المشِـيحِ

وَقَوْلِي كُلَّمَـا جَشَـأَتْ وَجَـاشَـتْ ... مَـكَـانَـكِ تُحْـمَـدِي أَوْ تَسْـتَرِيحِي[4]

واستحثَّ كتيبته الشهباء، واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل، فأخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام، وبايع بعضـهم على الموت، وكروا مرة أخرى بشـدة وعزيمة، وقتل عدد من أبرزهم: ذو الكلاع، وحوشـب وعبيد الله بن الخطاب رضي الله عنهما، وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهرتقدماً، وبدأ جيش العراق في التراجع، واستحرَّ القتل في أهل العراق، وكثرت الجراحات، ولما رأى علي جيشه في تراجع، أخذ يناديهم ويحمِّسهم، وقاتل قتالاً شديداً، واتجه إلى القلب حيث ربيعة، فثارت فيهم الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت، وكانوا أهل قتال[5].

وكان عمّار بن ياسر رضي الله عنه قد جاوز الرابعة والتسعين عاماً، وكان يحارب بحماس، يحرض الناس، ويستنهض الهِمَمَ

---

[1] سنن سعيد بن منصور (2/344. 345)، بسند ضعيف.

[2] مصنف ابن أبي شيبة (15/297)، بسند ضعيف.

[3] تاريخ الطبري (5/630).

[4] المصدر السابق نفسه (5/636).

[5] الإصابة (1/454)؛ أنساب الأشراف (2/56)، بسند حسن إلى قتادة مرسلاً.

ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلاً بجواره يقول: كفر أهل الشـام، فنهاه عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة[1].

ولما رأى عمار رضي الله عنه تقهقر أصحابه، وتقدم خصومه، أخذ يستحثهم ويبين لهم أنهم على الحق، ولا يغرنهم ضربات الشـاميين الشـديدة، فيقول رضـي الله عنه: من سـرَّه أن تكتنفه الحور العين فليقدم بين الصـفين محتسـباً، فإني لأرى صـفاً يضـربكم ضـرباً يرتاب منه المبطلون، والذي نفسـي بيده، لو ضـربونا حتى يبلغوا منا سـعفات هجر، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، لعلمنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل[2].

ثم أخذ في التقدم، وفي يده الحربة ترعد ـ لكبر سنه ـ، ويشتد على حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ويستحثه في التقدم ويرغبه ويطمعه فيما عند الله من النعيم، ويطمع أصحابه أيضاً فيقول: أزفت الجنة وازينت الحور العين، من سره أن تكتنفه الحور العين، فليتقدم بين الصـــفين محتســباً. وكان منظر مؤثر؛ فهو صـــحابي جليل مهاجري بدري جاوز الرابعة والتســعين يمتلك كل هذا الحماس، وهذا العزم، والروح المعنوية العالية واليقين الثابت، فكان عاملاً هاماً من عوامل حماس جيش العراق ورفع روحهم المعنوية، مما زادهم عنفاً وضـراوة وتضـحية في القتال، حتى اسـتطاعوا أن يحولوا المعركة لصـالحهم، وتقدم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو يرتجز بقوله:

أَعْوَرُ يَبْغي أَهْلَـهُ مَحِلاًّ قَدْ عَـالَجَ الحَيَـاةَ حَتَّى مَلاّ

لا بُـدَّ أَنْ يُفِـلَّ أو يُفَلاَّ[3]

وعمار يقول: تقدم يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل[4]، وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين:

الـيَـوْمَ أَلْـقَـى الأَحِـبَّـه مُحَـــمّـــداً وَحِـــزْبَـــهْ[5]

وعند غروب شمس ذلك اليوم الخميس، طلب عمار شــربة من لبن ثم قال: إن رســول الله ﷺ قال لي: «إن آخر شــربة تشربها من الدنيا شربة لبن»[6]. ثم تقدم واستحث معه حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، فلم يرجعا، وقتلا

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (290/15) ، الإسناد حسن لغيره.

(2) مجمع الزوائد (243/7)؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد، ص 219 إسناده حسن.

(3) تاريخ الطبري (652/5).

(4) الأسل: الرماح.

(5) تاريخ الطبري (652/5).

(6) مصنف ابن أبي شيبة (302/15 ، 303) بسند منقطع.

[1] رحمهما الله ورضي الله عنهما.

3 – ليلة الهرير يوم الجمعة:

عادت الحرب في نفس الليلة بشدة واندفاع لم تشهدها الأيام السابقة، وكان اندفاع أهل العراق بحماس وروح عالية حتى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم، وقاتل أمير المؤمنين علي قتالاً شديداً وبايع على الموت[2]، وذكر أن علياً رضي الله عنه صلى بجيشه المغرب صلاة الخوف[3]، وقال الشافعي: وحفظ عن علي أنه صلى صلاة الخوف ليلة الهرير[4]، يقول شاهد عيان: اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاثة ليالي حتى تكسرت الرماح ونفذت السهام، ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل، حتى صرنا نعانق بعضنا بعضاً، ولما صارت السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم، ثم ترامينا بالحجارة، وتحاثينا بالتراب، وتعاضينا بالأسنان، وتكادمنا بالأفواه، إلى أن أصبحوا في يوم الجمعة وارتفعت الشمس وإن كانت لا ترى من غبار المعركة، وسقطت الألوية والرايات، وأنهك الجيش التعب، وكلّت الأيدي، وجفت الحلوق[5].

ويقول ابن كثير في وصف ليلة الهرير ويوم الجمعة: وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا، ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما ليهمر على الآخر، ويهمر عليه، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا، فإنا لله وإنا إليه لراجعون، ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك، وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحا النهار، وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام[6].

4 – الدعوة إلى التحكيم:

إن ما وصل إليه حال الجيشين بعد ليلة الهرير لم يكن يحتمل مزيد قتال، وجاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة أصحابه ليلة الهرير فقال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إن نحن تواقفنا غداً إنه لفناء العرب، وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب، ولكني رجل مسن، وأخاف على النساء والذراري

---

[1] تاريخ الطبري (653/5).

[2] المستدرك (402/3) ، قال الذهبي: ضعيف ؛ خلافة علي ، ص 226.

[3] السنن الكبرى للبيهقي (252/3)؛ قال الألباني: رواه البيهقي بصيغة التمريض. إرواء الغليل (42/3).

[4] تلخيص الحبير (78/2) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص 227.

[5] شذرات الذهب (45/1) ؛ وقعة صفين ، ص 369.

[6] البداية والنهاية (283/7).

غداً إذا نحن فنينا، اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل[1].

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهى، ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القنا[2]، وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمرو بن العاص ولا للمخادعة والاحتيال، وإنما كانت رغبة كلا الفريقين، ولن يضير معاوية أو عمرو بشيء أن تأتي أحدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقى من قوى الأمة المتصارعة.

إنما يزعج ذلك السبئيّة الذين أشعلوا نيران هذه الفتنة، وتركوا لنا ركاماً من الروايات المضللة بشأنها، تحيل الحق باطلاً، وتجعل الفضل كالمناداة لتحكيم القرآن لصون الدماء المسلمة؛ جريمة ومؤامرة[3] وحيلة، ونسبوا لأمير المؤمنين علي أقوالاً مكذوبة تعارض ما في الصحيح على أنه قال: ما رفعوها ثم لا يرفعونها، ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيدة[4]. ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مشورة ابن العاهرة[5]، ووسّعوا دائرة الدعاية المضادة على عمرو بن العاص رضي الله عنه، حتى لم تعد تجد كتاباً من كتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمرو بن العاص وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعة التي لفقها أعداء الصحابة الكرام، ونقلها الطبري، وابن الأثير وغيرهم، فوقع فيها كثير من المؤرخين المعاصرين مثل: حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام، ومحمد الخضري بك في تاريخ الدولة الأموية، وعبد الوهاب النجار في تاريخ الخلفاء الراشدون، وغيرهم كثير، مما ساهم في تشويه الحقائق التاريخية الناصعة.

إن رواية أبي مخنف تفترض أن علياً رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما بعد[6]، وهذه الرواية تحمل سباً من علي لمعاوية وصحبه؛ يتنزه عنه أهل ذاك الجيل المبارك، فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي؟! ويكفي للرواية سقوطاً أن فيها أبا مخنف الرافضي المحترق، فهي رواية لا تصمد للبحث النزيه، ولا تقف أمام روايات أخرى لا يتهم أصحابها بهوى مثل ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال علي بن أبي طالب. فقال: كنا بصفين، فلما استحرَّ القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى علي المصحف؛ فادعه إلى كتاب الله، فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم

---

[1] وقعة صفين للمتغري ، ص 479.
[2] وقعة صفين للمتغري ، ص 481 . 884.
[3] الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص 316.
[4] الكامل (386/2).
[5] تاريخ الطبري (662/5).
[6] المصدر السابق نفسه (662/5 ، 663).

كتاب الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: 23]. فقال علي: نعم، أنا أولى بذلك، فقام القُراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج، بأسيافهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر رضي الله عنه للصلح يوم الحديبية ونزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ، فقال علي: أيها الناس! إن هذا فتح، فقبل القضية ورجع، ورجع الناس[1].

وأظهر سهل بن حنيف رضي الله عنه اشمئزازه ممّن يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة، وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم[2]، وبيَّن لهم بأنه لا خيار عن الحوار والصلح؛ لأن ما سواه فتنة لا تعرف عواقبها، فقال: ما وضعنا بسيوفنا على عواتقنا إلى أمر يُفظعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر؛ ما نسدُّ منها خُصماً إلا تفجر علينا خُصم ما ندري كيف نأتي له[3].

وفي هذه الروايات الصحيحة رد على دعاة الفتنة، ومبغضي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا في صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمِّس لتلك الحرب ليزرعوا البغضاء في النفوس ويعملوا ما في وسعهم على استمرار[4] الفتنة.

إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية، وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين، إذ إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاهاً جماعياً رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة، وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات[5].

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قَبِلَ وقْفَ القتال في صفين، ورضي التحكيم، وعدَّ ذلك فتحاً، ورجع[6] إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً في إزالة الخلاف وجمع الكلمة، ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد.

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة (336/8) ؛ مسند أحمد مع الفتح الرباني (483/8).
[2] البخاري ، رقم 4189.
[3] المصدر السابق نفسه.
[4] الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف ، ص 530.
[5] دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ص 38.
[6] المصدر السابق نفسه ، ص 38.

إن وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم، ساهمت عدة عوامل للاستجابة للتحكيم؛ منها:

أ – أنه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصدام وحقن الدماء؛ سواء تلك المحاولات الجماعية، أم المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أما الرسائل التي تبودلت بين الطرفين لتفيد وجهات نظر كل منهما، فلم تُجد هي الأخرى شيئاً، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية في أيام اشتداد القتال؛ حيث كتب إلى علي رضي الله عنه يطالبه بتوقف القتال، فقال: فإني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فإنا إن كنا قد غُلبنا على عقولنا فقد بقي منا ما ينبغي أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقي[1].

ب – تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلباً يرنو إليه الجميع.

ج – الملل الذي أصاب الناس من طول القتال، حتى وكأنهم على موعد لهذا الصوت الذي نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش علي في اتجاه الموادعة وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرى البقاء إلا عن الموادعة[2]. وهذا ينقض ذلك الرأي المتهافت الذي رُوِّج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص، والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمرو بن العاص، بل، رفع المصحف في الجمل ورشق حامله كعب بن سور قاضي البصرة بسهم وقتل.

د – الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59] ويؤيد هذا ما قاله علي بن أبي طالب حينما عرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله قال: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله[3].

5 – مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين:

يعد حديث رسول الله ﷺ لعمّار رضي الله عنه: «تقتلك الفئة الباغية»[4]، من الأحاديث الصحيحة والثابتة عن النبيﷺ، وقد كان لمقتل عمّار رضي الله عنه أثر في معركة صفين، فقد كان علماً لأصحاب رسول الله ﷺ يتبعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافاً سلاحه، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنه سمع[5]

---

[1] الأخبار الطوال للدينوري، ص 187 ؛ دراسات في عهد النبوة، ص 432.
[2] صفين، ص 482 . 485 ؛ دراسات في عهد النبوة، ص 433.
[3] مصنف ابن أبي شيبة (336/8).
[4] مسلم، رقم 2916.
[5] المصدر السابق نفسه.

حديث رسول الله ﷺ من عمار: «تقتله الفئة الباغية» واستمر في القتال حتى قتل[1].

وكان لمقتل عمّار أثر في معسكر معاوية، فهذا أبو عبد الرحمن السلمي دخل في معسكر أهل الشام، فرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبو الأعور السلمي، عند شريعة الماء يسقون.. وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقي منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عَمّار بن ياسر، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل، وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية». فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، فقال معاوية: اسكت فوالله ما تزال تدحض[2] في بولك أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به[3]. فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم.

وجاء في رواية صحيحة: أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار، وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفئة الباغية». فقام عمرو بن العاص فزعاً يسترجع، حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قتل عمار، قال: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «تقتلك الفئة الباغية» فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؟! إنما قتله علي وأصحابه، جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[4].

وفي رواية صحيحة أيضاً: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمّار يقول كل واحد منهما: أنا قتلته؛ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية». قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه». فأنا معكم ولست أقاتل[5].

من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حريص على قول الحق، والنصح، فقد رأى أن معاوية وجنده هم الفرقة الباغية لقتلهم عماراً، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة؛ ولا شك أن مقتل عمّار رضي الله عنه قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية رضي الله عنه أوَّل الحديث تأويلاً غير مستساغ، ولا يصح في أن الذين قتلوا عماراً هم الذين جاؤوا به إلى القتال[6]، وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن

---

[1] خلافة علي ، ص 211 ؛ مجمع الزوائد للهيثمي (242/7). وقال فيه: رواه الطبراني وفيه أبو معشر ، وهو لين.
[2] الدحض: الزلق ، والداحض: من لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور.
[3] مسند أحمد (206/2) ، إسناده حسن.
[4] مصنف عبد الرزاق (240/11) بسند صحيح.
[5] مسند أحمد (138/11 . 139).
[6] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 325.

العاص، بل كان استشهاد عمار دافعاً لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب[1]. وقد قال رضي الله عنه: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[2].

وقد جاء في البخاري: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمّار لبنتين لبنتين، فرآه النبيﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمّار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». قال عمّار: أعوذ بالله من الفتن[3].

وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبيﷺ أنه قال: «تقتل عماراً الفئة الباغية»، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ، وهو من أصح الأحاديث[4]. وقال الذهبي بعد ما ذكر الحديث: وفي الباب عن عدة من الصحابة، فهو متواتر[5].

6 – فهم العلماء للحديث «تقتلك الفئة الباغية»:

أ- قال ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار، وردٌّ على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه[6]، وقال أيضاً: دلَّ الحديث: «تقتل عماراً الفئة الباغية»، على أن علياً كان المصيب في تلك الحروب؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه[7].

ب- يقول النووي: وكان الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه؛ لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة، لهذا الحديث[8].

ج- قال ابن كثير: كان علي وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: حدثني من هو خير مني ـ يعني أبا قتادة ـ: أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[9]. وقال أيضاً: وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنهما مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قتله أهل الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسولﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن علياً محق، وأن معاوية باغٍ، وما في ذلك من دلائل النبوة[10].

---

[1] معاوية بن أبي سفيان ، الغضبان ، ص 215.
[2] أنساب الأشراف (170/1) ؛ عمرو بن العاص للغضبان ، ص 603.
[3] البخاري ، رقم 447.
[4] الاستيعاب (1140/3).
[5] سير أعلام النبلاء (421/1).
[6] فتح الباري (646/1).
[7] فتح الباري (92/13).
[8] تهذيب الأسماء واللغات (38/2).
[9] البداية والنهاية (220/6).
[10] المصدر السابق نفسه (277/7).

د– وقال الذهبي: هم طائفة من المؤمنين، بغت على الإمام علي، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[1].

هـ– قال القاضي أبو بكر بن العربي في قوله تعالى:: هذه الآية أصل في قتال ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ﴾، والعمدة في حرب المتأوِّلين، وعليها عوّل الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من هذه الملة، وإياها عنى النبيﷺ بقوله: «تقتل عماراً الفئة الباغية»[2].

و– وقال ابن تيمية: وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داعٍ إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داعٍ إلى النار ــ وإن كان متأوِّلاً ــ وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ ــ وإن كان متأولاً ـ، أو باغٍ ـ بلا تأويل ـ وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأوِّلين[3].

وقال أيضاً: مع أن علياً أولى بالحق ممن فارقه، ومع أن عماراً قتلته الفئة الباغية ـ كما جاءت به النصوص ـ؛ فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبل العلم والعدل، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة، فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف[4].

ز– وقال عبد العزيز بن باز: وقال رسول الله ﷺ في حديث عمار: «تقتل عماراً الفئة الباغية». فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين، فمعاوية وأصحابه بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان[5].

ح– وقال سعيد حوى: بعد أن قتل عمار الذي وردت النصوص مبينة: أنه تقتله الفئة الباغية، تبين للمترددين أن علياً كان على حق، وأن القتال معه كان واجباً، ولذا عبّر ابن عمر عن تخلُّفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجباً وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق، كما أفتى بذلك الفقهاء[6].

---

[1] سير أعلام النبلاء (209/8).
[2] أحكام القرآن (1717/4).
[3] مجموع الفتاوى (437/4).
[4] المصدر السابق نفسه (449/4 ـ 450).
[5] فتاوى ومقالات متنوعة (87/6).
[6] الأساس في السنة (1710/4).

7 – الرد على قول معاوية رضي الله عنه: إنما قتله من جاء به[1]:

إن جلَّ الصحابة والتابعين قد فهموا من قول رسول الله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[2]، أن المقصود؛ جيش معاوية رضـي الله عنه، مع أنهم معذورون في اجتهادهم، فهم يقصـدون الحق ويريدونه، ولكنهم لم يصـيبوه، وفئة علي أولى بالحق منهم كما قال رسول الله ﷺ[3]، ومع أن الأئمة لم يعجبهم تأويل معاوية ــ كما سأنقل ــ إلا إنهم عذروه في اجتهاده، فها هو ابن حجر يقول في قوله ﷺ: «يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»[4]: فإن قيل: كان قتله بصـفين وهو مع علي، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصـحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سـببها، وهو طاعة الإمام وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي، وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك، لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم[5].

وقال القرطبي: وقال الإمام أبو المعالي في كتاب (الإرشاد)، فصل: علي رضي الله عنه، كان إماماً حقاً في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطؤوه[6]، وقال أيضاً: وقد أجاب علي رضي الله عنه عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من علي رضي الله عنه إلزام، لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها؛ قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية[7].

وقال ابن كثير: فقول معاوية: إنما قتله من قدمه إلى سـيوفنا، تأويل بعيد جداً، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء[8].

وقال ابن تيمية: وهذا القول لا أعلم له قائلاً من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة، ولكن هو قول كثير من المروانية ومن وافقهم[9].

---

[1] مسند أحمد (206/2) ، إسناده حسن.
[2] مسلم ، رقم 2916.
[3] معاوية بن أبي سفيان ، ص 210 . 214.
[4] البخاري ، رقم 447.
[5] الإصابة، ابن حجر.
[6] التذكرة (222/2).
[7] المصدر السابق نفسه (223/2).
[8] البداية والنهاية (221/6).
[9] منهاج السنة (406/4).

وقال ابن القيم معلقاً على هذا التأويل: نعم التأويل الباطل تأويل أهل الشـــام قوله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[1]، فقالوا: نحن لم نقتله إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا، فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذي قتله هو الذي باشر قتله، لا من استنصر به[2].

8 – من هو قاتل عمّار بن ياسر؟

قال أبو الغادية الجهني وهو يحدث عن قتله لعمار: فلما كان يوم صفين، أقبل يستنُّ أول الكتيبة رَجِلاً، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجلٌ عورة، فطعنه في ركبته بالرمح فعثر، فانكشف المغفر عنه، فضربته فإذا هو رأس عمار. ثم قُتل عمار. قال الراوي: واستسقى أبو غادية، فأتي بماء في زجاج، فأبى أن يشرب فيها، فأتي بماء في قدح فشرب، فقال رجل:.. يتورع عن الشرب في الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار[3].

ويخبر عمرو بن العاص رضي الله عنه الخبر فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قاتل عمار وسالبه في النار»[4].

قال ابن كثير: ومعلوم أن عماراً كان في جيش علي يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله يقال له: أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل: إنه صحابي[5].

وقال ابن حجر: والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا متأولين للمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذه في حق آحاد الناس؛ فثبوته للصحابة بالطريق الأولى[6].

وقال الذهبي: وابن ملجم عند الروافض أشـقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السـنة ممن نرجو له النار، ونجوّز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سـعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسـين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضـهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل[7].

وقد وافق الألباني في تعليقه على قول ابن حجر: هذا حق، ولكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشـكل؛ لأنه يلزم

---

(1) مسلم ، رقم 2916.
(2) الصواعق المرسلة (184/1 ، 185).
(3) الطبقات الكبرى (260/3 ، 261) بسند صحيح.
(4) السلسلة الصحيحة (18/5 . 19).
(5) البداية والنهاية (220/6).
(6) الإصابة (260/7).
(7) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص 654.

تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة؛ أي: «قاتل عمار وسـالبه في النار»[1]، إذ لا يمكن القول بأن أبا غادية القاتل لعمار مأجور؛ لأنه قتله مجتهداً، ورسول الله ﷺ يقول: «قاتل عمار في النار»[2]، فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة، إلا ما دل الدليل القاطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح[3] بها.

وقد ترجم لأبي الغادية الجهني ابن عبد البر فقال: اختلف في اسمه، فقيل: يسار بن سَبُع، وقيل: يسار بن أزهر، وقيل: اسمه مسلم. سكن الشام ونزل في واسط، يعدُّ في الشاميين؛ أدرك النبيﷺ وهو غلام، رُوي عنه أنّه قال: أدركت النبيﷺ وأنا أيفع، أرد على أهلي الغنم، وله سماع من النبيﷺ؛ قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضـرُب بعضكم رقاب بعض»[4]، وكان محباً لعثمان، وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يصف قتله إذا سئل عنه، لا يباليه، وفي قصته عجبٌ عند أهل العلم[5].

9 – المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة:

إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين.. كانت هذه الوقعات من الغرابة إلى حدِّ أن القارئ لا يصدق ما يقرأ، ويقف مشدوهاً أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهُم كان يقف وسط المعركة شاهراً بسيفه وهو يؤمن بقضيته إيماناً كاملاً، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الجنود إلى معركة غير مقتنعين بها، بل كانت معركة فريدة في بواعثها وفي طريقة أدائها وفيما خلفتها من آثار، فبواعثها في نفوس المشاركين يعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوة يذهبون معاً إلى مكان الماء، فيستقون جميعاً، ويزدحمون وهم يغرفون الماء، وما يؤذي إنسان إنساناً[6]. وهم إخوة يعيشون معاً عندما يتوقف القتال، فهذا أحد المشاركين يقول: كنا إذا تواعدنا من القتال دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في معسكر هؤلاء.. وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم[7]، وهم أبناء قبيلة واحدة، ولكل منهما اجتهاده، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف[8]، قتالاً مريراً، وكل منهما يرى نفسه على الحق، وعنده الاستعداد لأن يُقْتَل من

---

[1] السلسلة الصحيحة (18/5 ـ 19).
[2] المصدر السابق نفسه.
[3] المصدر السابق نفسه (19/5).
[4] مسند أحمد (76/4) ، وسنده حسن.
[5] الاستيعاب في معركة الأصحاب ، رقم 3089.
[6] تاريخ الطبري (610/5).
[7] سير أعلام النبلاء (41/2) ؛ مرويات أبي مخنف ، ص 296.
[8] البداية والنهاية (270/7) ؛ دراسات في عهد النبوة ، ص 423.

أجله، فكان الرجلان يقتتلان حتى يُثْخِنا (وهناً وضعفاً)، ثم يجلسان يستريحان، ويدور بينهما الكلام الكثير، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا[1]، وهما أبناء دين واحد يجمعهما، وهو أحب إليهما من أنفسهما، فإذا حان وقت الصلاة توقفوا لأدائها[2]، ويوم قتل عمار بن ياسر صلى عليه الطرفان[3].

ويذكر شاهد عيان اشترك في صفين: تنازلنا بصفين، فاقتتلنا أياماً فكثر القتلى بيننا حتى عقرت الخيل، فبعث علي إلى عمرو بن العاص: أن القتلى قد كثروا، فأمسك حتى يدفن الجميع قتلاهم، فأجابه، فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا، وشبك بين أصابعه، وكان الرجل من أصحاب علي يشد فيقتل في عسكر معاوية، فيستخرج منه. وقد مر أصحاب علي بقتيل لهم أمام عمرو، فلما رآه بكى، وقال: لقد كان مجتهداً أخشن في أمر الله[4].

وكانوا يسارعون إلى التناهي عن المنكر حتى في مثل هذه المواقع، فكانت هناك مجموعة عرفوا بالقراء، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معاً، فلم ينضموا إلى أمير المؤمنين علي، ولا إلى معاوية بن أبي سفيان، وقالوا لأمير المؤمنين:

إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه، فقال علي: مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة؛ من لم يرضَ بهذا فهو جائر خائن[5].

والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من قناعات واجتهادات استوثقوا منها في قرارة أنفسهم وقاتلوا عليها[6].

10 – معاملة الأسرى:

إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البدهية بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بين الإسلام معاملة الأسرى؛ فقد حث رسول الله ﷺ على إكرام الأسير، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين؛ فكيف إذا كان الأسير مسلماً، لا شك إن إكرامه والإحسان إليه أولى، ولكن الأسير في هذه المعركة يعتبر فئة

---

[1] تاريخ الطبري ، نقلاً عن دراسات في عهد النبوة ، ص 424.
[2] تاريخ دمشق (2339/18)؛ دراسات في عهد النبوة ، ص 424.
[3] أنساب الأشراف (56/6) بسند حسن إلى عتبة ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 241.
[4] أنساب الأشراف (56/6) بسند حسن إلى عتبة ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 241.
[5] صفين ، ص 115 ؛ دراسات في عهد النبوة ، ص 424.
[6] دراسات في عهد النبوة ، ص 424.

وقوة لفرقته[1]، ولذلك كان علي رضي الله عنه يأمر بحبسه، فإن بايع أخلى سبيله، وإن أبى أخذ سلاحه ودابته، أو يهبهما لمن أسره ويحلفه إلا يقاتل، وفي رواية: يعطيه أربعة دراهم[2]. وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح، وهو إضعاف جانب البغاة، وقد أتي بأسير يوم صفين، فقال الأسير: لا تقتلني صبراً، فقال علي رضي الله عنه: لا أقتلك صبراً إني أخاف الله رب العالمين، فخلى سبيله ثم قال: أفيك خير تبايع[3].

ويبدو من هذه الروايات أن معاملته للأسرى كما يلي:

- إكرام الأسير والإحسان إليه.
- يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة، فإن بايع أخلى سبيله.
- إن أبى البيعة أخذ سلاحه، ويحلِّفه أن لا يعود للقتال ويطلقه.
- إن أبى إلا القتال تحفظ عليه في الأسر ولا يقتله صبراً[4]. وقد أتى رضي الله عنه مرة بخمسة عشر أسيراً، ويبدو أنهم جرحى، فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه[5].

ويقول محب الدين الخطيب معلقاً على هذه الحرب: ومع ذلك، فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ التي جرى فيها المتحاربان معاً على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء العرب لو يعمل بها في حروبهم ولو في القرن الحادي والعشرين، وإن كثيراً من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدوَّن لولا وقوع هذه الحرب، ولله في كل أمر حكمة[6].

قال ابن العديم: قلت: وهذا كله حكم أهل البغي، ولهذا قال أبو حنيفة: لولا ما سار علي فيهم، ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين[7].

11 – عدد القتلى:

تضاربت أقوال العلماء في عدد القتلى؛ فذكر ابن أبي خيثمة أن القتلى في صفين بلغ عددهم سبعين ألفاً، من أهل العراق

---

(1) كتاب قتال أهل البغي من الحاوي الكبير، ص 133، 134.
(2) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 243.
(3) الأم للشافعي (224/4) (256/8).
(4) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 243.
(5) تاريخ دمشق، تحقيق: المنجد (331/1)؛ خلافة علي بن أبي طالب، ص 243.
(6) العواصم من القواصم، ص 168 . 169، من تعليق الخطيب في الحاشية.
(7) بغية الطلب في تاريخ حلب (309)؛ خلافة علي، ص 245.

خمسة وعشرين ألفاً، ومن أهل الشام خمسة وأربعين ألف مقاتل[1]، كما ذكر ابن القيم أن عدد القتلى في صفين بلغ سبعين ألفاً أو أكثر[2]، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل، إلا مساء الجمعة، فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة[3]، ومهما كان القتال عنيفاً، فلن يفوق شدة القادسية التي كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمئة[4]، وبالتالي يصعب عقلاً أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة.

12 – تفقد أمير المؤمنين علي القتلى وترحمه عليهم:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد نهاية الجولات الحربية يقوم بتفقد القتلى، فيقول شاهد عيان: رأيت علياً على بغلة النبيﷺ الشهباء، يطوف بين القتلى[5]، وأثناء تفقده القتلى ومعه الأشتر، مر برجل مقتول ـ وهو أحد القضاة والعباد المشهورين بالشام ــ فقال الأشتر ــ وفي رواية أخرى عدي بن حاتم ــ: يا أمير المؤمنين! أحابس[6] معهم؟ عهدي والله به مؤمن، فقال علي: فهو اليوم مؤمن. ولعل هذا الرجل المقتول هو القاضي الذي أتى عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين، رأيت رؤيا أفظعتني، قال: ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان، والنجوم معهما نصفين، قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ **[الإسراء: 12]**، فانطلق فوالله لا تعمل لي عملاً أبداً. قال الراوي: فبلغني أنه قتل مع معاوية بصفين[7].

وقد وقف علي على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعاً[8].

وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، ويصير الأمر إلي وإلى معاوية[9]، وكان يقول عنهم: هم المؤمنون[10]، وقوله رضي الله عنه في أهل صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل[11].

---

[1] الأنباء للقضاعي ، ص 59 ، نقلاً عن خلافة علي ، ص 246.
[2] الصواعق المرسلة (377/1) بدون سند ، تحقيق: محمد دخيل الله.
[3] الدولة الأموية ، ص 360 ـ 362.
[4] تاريخ الطبري (388/4).
[5] مصنف ابن أبي شيبة.
[6] حابس بن سعد الطائي: مخضرم ، قتل بصفين.
[7] مصنف ابن أبي شيبة (74/11) بسند منقطع.
[8] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 250 ؛ تنزيه خال المؤمنين.
[9] مصنف ابن أبي شيبة (303/15) ، بسند حسن.
[10] تاريخ دمشق (331/1 ، 329)؛ خلافة علي ، ص 251.
[11] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 251 ؛ تنزيه خال المؤمنين ، ص 169.

13 – موقف لمعاوية مع ملك الروم:

استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين علي ومعاوية رضـي الله عنهما، وطمع في ضـم بعض الأراضـي التي تحت هيمنة معاوية إليه، قال ابن كثير:.. وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشـــاه وأذله، وقهر جندهم ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية لحرب علي، تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه:

والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة[1]، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين.

14 – قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين:

قال نصر بن مزاحم الكوفي: وحمل أهل العراق وتلقَّاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص... فاعترضه علي وهو يقول:

قَـدْ عَلِمَـتْ ذاتُ القُرُونِ المِيْـلِ   والخَصْـــرِ والأَنَامِـلِ الطُّفُولِ[2]

إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف علي وجهه عنه وارتُثَّ. فقال القوم: أفلتَّ الرجل يا أمير المؤمنين. قال: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصـــرفت وجهي[3]. وذكر القصة ـ أيضاً ـ ابن الكلبي كما ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف: وقول علي: إنه اتقاني بعورته فأذكرني الرَّحِمَ إلى أن قال:.. ويروى مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع علي رضـي الله عنه ـــ يوم صـفين، وفي ذلك يقول الحارث بن النضـر السهمي: رواه ابن الكلبي وغيره:

أفي كُـلِّ يـومٍ فَـارِسٌ غَـيْرُ مُـنْـتَـهٍ   وَعَوْرَتُـهُ وَسْـــطَ العَجَـاجَـةِ بَادِيَـة
يَـكُـفُّ لَهَـا عَـنْـهُ عَـلَـيٌّ سِـــنَـانَـهُ   وَيَضْـــحَـكُ مِنْـهُ في الخَلاَءِ مُعَـاوِيَـة[4]

والرد على هذا الافتراء والإفك المبين كالآتي، فراوي الرواية الأولى؛ نصـر بن مزاحم الكوفي صـاحب وقعة صـفين شـيعي جلد لا يستغرب عنه كذبه وافتراؤه على الصحابة، قال عنه الذهبي في الميزان: نصر بن مزاحم الكوفي رافضي جَلد، تركوه،

---

[1] البداية والنهاية (122/8).

[2] الطفولة: جمع طفل ، بالفتح ، وهو الرخص الناعم.

[3] وقعة صفين ، ص (406 ـ 408) ؛ قصص لا تثبت ، سليمان الخراشي (19/6).

[4] الروض الأنف (462/5) ؛ قصص لا تثبت (19/6).

قال عنه العقيلي: شـيعي، في حديثه اضـطراب وخطأ كثير، وقال أبو خيثمة: كان كذاباً[1]، وقال عنه ابن حجر: قال العجلي: كان رافضياً غالياً... ليس بثقة ولا مأمون[2]. وأما الكلبي؛ هشام بن محمد بن السائب الكلبي؛ اتفقوا على غلوه في التشيُّع؛ قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحداً يحدث عنه. وقال الدارقطني: متروك[3].

وعن طريق هذين الرافضيين سارت هذه القصة في الآفاق وتلقفها من جاء بعدهم من مؤرخي الشيعة، وبعض أهل السنة ممن راجت عليهم أكاذيب الرافضة[4]، وتعد هذه القصة أنموذجاً لأكاذيب الشيعة الروافض وافتراءاتهم على صحابة رسول الله، فقد اختلق أعداء الصحابة من مؤرخي الرافضة مثالب لأصحاب رسول الله ﷺ، وصاغوها على هيئة حكايات وأشعار لكي يسهل انتشارها بين المسلمين، هادفين إلى الغض من جناب الصحابة الأبرار ـ رضي الله عنهم ـ، في غفلة من أهل السنة الذين وصلوا متأخرين إلى ساحة التحقيق في روايات التاريخ الإسلامي، بعد أن طارت تلكم الأشعار والحكايات بين القصّاص، وأصبح كثير منها من المسلمات، حتى عند مؤرخي أهل السنة للأسف[5].

15 – مرور أمير المؤمنين علي بالمقابر بعد رجوعه من صفين:

لما انصرف علي أمير المؤمنين رضي الله عنه من صفين مرّ بمقابر، فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحالّ المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبعٌ، وبكم عمّا قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتاً، أحياءً وأمواتاً، الحمد لله الذي خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبى لمن ذكر المعاد وأعدّ للحساب، وقنع بالكفاء[6].

16 – إصرار قتلة عثمان رضي الله عنه على أن تستمر المعركة:

إن قتلة عثمان كانوا حريصين على أن تستمر المعركة بين الطرفين، حتى يتفانى الناس، وتضعف قوة الطرفين، فيكونوا بمنأى عن القصاص والعقاب، ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الشام يرفعون المصاحف، وعلي رضي الله عنه يجيبهم إلى طلبهم فيأمر بوقف القتال وحقن الدماء، فسعوا إلى ثني أمير المؤمنين عن عزمه، لكن القتال توقف، فسقط في أيديهم، فلم يجدوا بداً من الخروج على علي رضي الله عنه، فاخترعوا مقولة: (الحكم لله)، وتحصنوا بعيداً عن الطرفين، والغريب أن المؤرخين لم

---

[1] ميزان الاعتدال (253/4 ـ 254).
[2] لسان الميزان (157/6).
[3] المجروحين لابن حبان (91/3) ؛ تذكرة الحفاظ (343/1) ؛ معجم الأدباء (287/19) ؛ قصص لا تثبت (18/1).
[4] قصص لا تثبت (20/1).
[5] المصدر السابق نفسه (10/1).
[6] البيان والتبيين للجاحظ (148/3) ، فرائد الكلام للخلفاء الكرام ، ص 327.

يركزوا على ما فعله هؤلاء في هذه المرحلة، كما فعلوا في معركة الجمل، رغم أنهم كانوا موجودين في جيش علي، وعن سر إخفاق تلك المفاوضات التي دامت أشهر عديدة، وعن الدور الذي يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به في معركة صفين لإفشال كل محاولة صلح بين الطرفين، لأن اصطلاح علي مع معاوية هو أيضاً اصطلاح على دمائهم، فلا يعقل أن يجتهدوا في الفتنة في وقعة الجمل، ويتركوا ذلك في صفين[1].

17 - نهي أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام:

روي أن علياً ـ رضي الله عنه ـ لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام، أرسل إليهما أن كفّا عمّا يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين! ألسنا على الحق وهم على الباطل؟: قال: بلى وربّ الكعبة المسدّنة، قالا: فلماذا تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيّ من لجج به[2].

وأما ما قيل من أن علياً كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليّاً وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح، لأنّ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا أكثر حرصاً من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذي نهى عن سباب المسلم ولعنه[3]؛ فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «من لعن مؤمناً فهو كقتله»[4]، وقوله ﷺ: «ليس المؤمن بطعان ولا بلعّان»[5]، وقوله ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[6].

كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه، ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين؛ لا تثبت من ناحية السند؛ حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة، فقد أنكر على من يسب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم[7]، فهذا السب والتكفير لم يكن من هدي علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة[8].

---

[1] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص 147.

[2] الأخبار الطوال ، ص 165 ، نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة(232/2).

[3] تحقيق مواقف الصحابة(232/2).

[4] البخاري ، كتاب الأدب (84/7).

[5] السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم 320 ؛ صحيح سنن الترمذي (189/2) ، رقم 1110.

[6] مسلم (2006/4) ، رقم 2598.

[7] نهج البلاغة ، ص 323.

[8] أصول مذهب الشيعة (934/2).

المبحث الثالث : التحكيم

تم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يحكّم كل واحد منهما رجلاً من جهته، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكّل معاوية عمرو بن العاص، ووكل علي أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما جميعاً، وكتب بين الفريقين وثيقة في ذلك، وكان مقر اجتماع الحكمين في دومة الجندل في شهر رمضان سنة 37 هـ، وقد رأى قسم من جيش علي رضي الله عنه أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر؛ فعليه أن يتوب إلى الله تعالى، وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل علي رضي الله عنه إليهم ابن عباس رضي الله عنهما فناظرهم وجادلهم، ثم ناظرهم علي رضي الله عنه بنفسه، فرجع طائفة منهم وأبت طائفة أخرى، فجرت بينهم وبين علي رضي الله عنه حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه، وما زالوا به حتى قتلوه غيلة. وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله تعالى.

تعتبر قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة، وقد تاه فيها كثير من الكُتَّاب، وتخبط فيها آخرون وسطروها في كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوَّهت الصحابة الكرام وخصوصاً: أبو موسى الأشعري الذي وصفوه بأنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعاً في القول، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة، ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم، ووصفوا عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه كان صاحب مكر وخداع، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدّى إلى قتل الكثير من المسلمين.

وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التي وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها؛ وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر أثر في اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها، وليعلم أن كلامنا هذا ينصب على التفصيلات لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه[1].

وقد رأيت أن يكون المدخل في هذا المبحث التعريف بسيرة الصحابيين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

[1] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 378؛ تنزيه خال أمير المؤمنين معاوية، ص 38.

أولاً: سيرة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

هو عبد الله بن قيس بن حضّار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقري[1].

وقد أسلم أبو موسى بمكة قديماً؛ قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديماً وهاجر إلى أرض الحبشة[2]، وتذكر بعض الروايات بأنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله. وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم، لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبيﷺ بالمدينة، فألقتهم السفينة في أرض الحبشة، فحضروا مع جعفر إلى النبيﷺ بخيبر.. ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعثه النبيﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبيﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة، فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح من الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد[3].

1 ـ أوسمة الشرف التي وضعها رسول الله ﷺ على صدر أبي موسى:

أ ـ لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إليَّ:

عن أبي موسى، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي، ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبو رهْم، وأبو عامر. فأخرجتنا سفينتنا إلى النَّجاشي، وعند جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتُتِحَت خيبر، فقال رسول الله ﷺ: «لكم الهجرة مرتين:

هاجَرتم إلى النَّجاشي وهاجرتم إليَّ»[4]، وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قلوباً للإسلام منكم». فقدم الأشعريون؛ فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه فلما قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة[5].

ب ـ هم قومك يا أبا موسى:

عن عياض الأشعري، قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54]. قال رسول الله ﷺ: «هم قومك

---

(1) سير أعلام النبلاء (381/2).

(2) الطبقات (107/4).

(3) فتح الباري (189/7).

(4) مسلم ، رقم 2502.

(5) سير أعلام النبلاء (384/2) إسناده صحيح.

يا أبا موسى»، وأوْمأ إليه[1].

ج ـ اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً:

عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين، بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوطاس، فلقي دُرْيد بن الصُّمة فقتل دريد، وهزم الله أصحابه؛ فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته.[2] فقلت: يا عمّ، مَنْ رماك؟ فأشار إليه. فقصدت له، فلحقته، فلما رآني، ولَّى ذاهباً، فجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألست عربياً؟ ألا تثبت؟ قال: فكفَّ، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين، فقتلته. ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء. فقال: يا بن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له: يستغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً، ثم مات. فلما قدمنا، وأخبرتُ النبيﷺ، توضَّأ، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم اغفر لعُبيد بن أبي عامر»، حتى رأيت بياض إبطيه. ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك» فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخلهُ يوم القيامة مدخلاً كريماً»[3].

د ـ إن هذا قد ردَّ البُشرى فاقبلا أنتما:

عن أبي موسى، قال: كنت عند رسول الله ﷺ بالجعرانة[4]، فأتى أعرابي فقال: ألا تُنجِزُ لي ما وعدتني؟ قال أبشر: قال: قد أكثرت من البشرى. فأقبل رسول الله ﷺ عليَّ وعلى بلال. فقال: «إنّ هذا قد ردَّ البُشْرى فاقبلا أنتما». فقالا: قبلنا يا رسول الله. فدعا بقدح، فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه، ثم قال: «اشرَبَا منه وأَفْرِغَا على رؤوسِكُما ونُحُوركما» ففعلا؛ فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن فَضِّلا لأُمِّكُمَا فأفضلا لها منه[5].

هـ لقد أعطي مزماراً من مزامير آل داود:

عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبيﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: «يا بريدة، أتراه يُرائي؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «بل هو مؤمن منيب، لقد أعطي مزماراً من مزامير آل داود». فأتيته فإذا هو أبو موسى الأشعري؛ فأخبرته[6].

---

[1] المستدرك (313/2) ، صححه الحاكم ووثقه الذهبي ؛ سير أعلام النبلاء (2384).
[2] سير أعلام النبلاء (385/2).
[3] مسلم ، رقم 2498.
[4] الجعرانة: بين مكة والطائف وهي أقرب إلى مكة .
[5] مسلم ، رقم 2497.
[6] مسلم ، رقم 793 ؛ مجمع الزوائد (358/9).

و ـ يا عبد الله بن قيس ألا أدُلُّك على كلمة من كنوز الجنة:

عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبيﷺ في سفر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقبة، فإذا أصعد الرجل قال: لا إله إلا الله، والله أكبر ـ أحسبه قال: بأعلى صوته ـ ورسول الله ﷺ على بغلته يعترضها في الجبل، فقال: «أيها الناس، إنكم لا تُنادون أصمَّ ولا غائباً». ثم قال: يا عبد الله بن قيس ـ أو يا أبا موسى ـ ألا أدُلُّكَ على كلمة من كُنوُز الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

ز ـ يَسّرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تُنفرا:

استعمل رسول الله ﷺ أبا موسى على زبيد وعدن[2]، وأرسله مع معاذ إلى اليمن، فعن أبي موسى: أن النبيﷺ لما بعثه ومعاذاً إلى اليمن، قال لهما: «يَسِّرَا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تُنفرا»، فقال له أبو موسى: إنا لنا بأرضنا شراباً، يُصنعُ مع العسل يقال له: البَتْع، ومن الشعير يقال له: المِزْرُ، قال: «كلُّ مسكر حرام»، فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه في صلاتي، وعلى راحلتي، وقائماً وقاعداً، أتفوَّقُه تفوُّقاً، يعني شيئاً بعد شيء، قال: فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، قال: وكأن معاذاً فُضل عليه[3].

2 ـ مكانة أبي موسى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة في عهد عمر، وكان قائداً للجيوش في فتح قم وقاشان[4]، وموقعة تستر[5]، كما كان من مؤسسي المدرسة البصرية في عهد الفاروق، وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلّم بها[6]، وقد تأثر بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان بينهما مراسلات، سنأتي عليها عند حديثنا عن مؤسسة الولاة والقضاة، وكان أبو موسى رضي الله عنه قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى رضي الله عنه من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في (تذكرة الحفاظ) في الطبقة الأولى من الصحابة رضي الله عنه.

كان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علماً طيباً مباركاً، أقرأ أهل البصرة

---

(1) مسلم ، رقم 2704.

(2) تاريخ خليفة بن خياط ، ص 97 ؛ تحقيق مواقف الصحابة (226/2).

(3) مسلم ، رقم 1733 ؛ البخاري ، رقم 4344.

(4) البداية والنهاية (114/7).

(5) المصدر السابق نفسه (88/7).

(6) تفسير التابعين (423/1).

وأفقههم، وقد كان رضي الله عنه كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأُبَيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيراً، وكان عمر يتعهدهُ بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحداً من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبو موسى[1].

وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة يحرص على مجالس عمر رضي الله عنهما، وربما أمضى جزءاً كبيراً معه، فعن أبي بكر بن أبي موسى أن أبا موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة؟! قال: إنه فقه، فجلس عمر فتحدثا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة[2].

وكما كان أبو موسى حريصاً على طلب العلم والتعلم كان حريصاً على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علماً فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين[3].

وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتفِ بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيههم، فإذا ما سلّم من الصلاة استقبل رضي الله عنه الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم[4].

واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته، وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر رضي الله عنه إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن[5]، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل رضي الله عنه كل ما يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحِلق،

---

[1] سير أعلام النبلاء (389/2).
[2] أبو موسى الأشعري الصحابي العلم المجاهد ، محمد طهماز ، ص 121.
[3] الطبقات (107/4).
[4] سير أعلام النبلاء (289/2).
[5] أبو موسى الأشعري الصحابي العالم ، ص 125 ، 126 ؛ سير أعلام النبلاء (391/2).

فكان يطوف عليهم يُسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم[1]، فالقرآن الكريم شغله الشاغل رضي الله عنه، صرف له معظم أوقاته في حلّه وفي سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر رضي الله عنه، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيّس[2]، ولا تُسمعها إياه[3].

حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقه، فعن حطَّاب بن عبد الله الرّقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلى بهم، ثم جلسوا حِلقاً، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر، فهبَّ الناس للوضوء أيضاً فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث.

وأثمرت جهوده العلمية رضي الله عنه، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمئة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم ويزيد عطاءهم؛ كتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قبلي ممن حمل القرآن ثلاثمئة وبضعة رجال[4].

واهتم أبو موسى رضي الله عنه بتعليم السنة وروايتها؛ فروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين. قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: حدّث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النَّهدي، وخلق سواهم[5].

وكان رضي الله عنه شديد التمسك بسنة النبيﷺ، دلَّ على ذلك مسيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر رضي الله عنه من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا يتهيَّبون من الرواية عن النبيﷺ.

وكان من المقرّبين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فرياً، فتعالَ فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس ــ ما بطأ بهم ــ؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عُجّلت الدنيا

---

[1] المصدر السابق نفسه ، ص 127 ؛ سير أعلام النبلاء (389/2).
[2] الطبقات (108/4) رجاله ثقات ، كيس: عاقل فطن.
[3] سير أعلام النبلاء (390/2).
[4] أبو موسى الأشعري ، ص 129.
[5] سير أعلام النبلاء (381/2).

وغيّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عَدلوا ولا بدّلوا[1]. ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر، فسألني عن أحوال الناس، وبعد (تستر) أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم، فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان[2].

3 . ولاية أبي موسى في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم:

يعتبر أبو موسى ــ بحق ــ أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، ففي أيامه تمكّن البصريون من فتح الأهواز وما حولها، وفتحوا العديد من المواضع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شؤونها.

وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا؛ منها: توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة، ومنها: نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيّمة قال فيها عمر:

أما بعد؛ فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبغي السمن، وإنما حتفها في سمنها[3].

وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواحٍ إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابه القيم عن الوثائق السياسية[4].

وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات، حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد وهو الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فقال: ما قدمها راكب خير لأهلها من أبي موسى[5]، إذ إن أبا موسى ـ رحمه الله ـ كان بالإضافة إلى إمارته خير معلم لأهلها، حيث علّمهم القرآن وأمور الدين المختلفة[6].

وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس، والتي فتحت في زمنه تخضع للبصرة وتدار من قبل والي البصرة الذي يعين عليها العمال من قبله، ويرتبطون به ارتباطاً مباشراً، وهكذا اعتبر أبو موسى من أعظم ولاة عمر، واعتبرت

---

[1] أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهاز، ص 135.
[2] تاريخ الطبري (66/5).
[3] مناقب عمر لابن الجوزي، ص 130
[4] الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.
[5] سير أعلام النبلاء (389/2).
[6] الولاية على البلدان (120/1).

مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته، وبيّنت ملامح أسلوبه في التعامل معهم[1].

وقد أوصى عمر رضي الله عنه في وصيته للخليفة من بعده: ألاَّ يقِرَّ لي عامل أكثر من سنة، وأقِرُّوا الأشعري أربع سنين[2].

وقد تولى أبو موسى منصب القضاء في عهد عمر، وكان كتاب عمر إليه في القضاء أنموذجاً ومثالاً يفيد كل قاض، بل وكل إداري، في كل زمان ومكان[3]، وقال عنه ابن القيم: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم، والشهادة، والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه[4].

كما تولى الولاية في عهد عثمان، واستقضاه ذو النورين على البصرة أيضاً، ولما قتل عثمان كان والياً على الكوفة. ولما تولى علي رضي الله عنه الخلافة، أخذ أبو موسى له البيعة من أهل الكوفة، إذ كان والياً عليها لعثمان بن عفان رضي الله عنه، وحين استنفر الخليفة الكوفيين من ذي قار، رأى أبو موسى بوادر الفتنة والانشقاق بين المسلمين، فنصح لأهل الكوفة أن يلزموا بيوتهم ويعتزلوا هذا الأمر فإنما هي فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي ـ ولكن لاختلاف وجهة نظره مع الخليفة عزل عن ولاية الكوفة[5].

إن حياة أبي موسى رضي الله عنه منذ إسلامه قضاها في نشر الإسلام وتعليم الناس العلم، وخاصة القرآن الذي اشتهر بقراءته، والجهاد في سبيل الله والحرص عليه، والفصل في الخصومات، ونشر العدل وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة، ولا شك إن هذه المهمات صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة؛ من العلم والفهم والفطنة والحذق والورع والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر، فاعتمد عليه رسول الله ﷺ، ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضوان الله عليهم[6]، فهل يتصور أن يثق رسول الله ﷺ ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التي ترويها قصة التحكيم[7].

إن اختيار أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ حكماً عن أهل العراق من قِبَل عليّ ـ رضي الله عنه ـ وأصحابه ينسجم تماماً مع الأحداث، فالمرحلة التالية هي مرحلة الصلح وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعري كان من دعاة الصلح والسلام،

---

(1) المصدر السابق نفسه.
(2) سير أعلام النبلاء (391/2).
(3) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 262.
(4) إعلام الموقعين (186/1).
(5) فتح الباري (53/13) ، التاريخ الصغير (109/11).
(6) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 262.
(7) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (227/2).

كما كان في الوقت نفسه محبوباً، مؤتمناً من قبائل العراق، وقد ذكرت المصادر المتقدمة: أن علياً هو الذي اختار أبا موسى الأشعري، يقول

خليفة في تاريخه: وفيها ــ سنة 37 هــ اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري من قبل عليّ، وعمرو بن العاص من قبل معاوية[1]. ويقول ابن سعد: فكره الناس الحرب وتداعوا على الصلح، وحكّموا الحكمين، فحكّم علي أبا موسى، وحكّم معاوية عمرو بن العاص[2].

ولهذا يمكن القول: إن الدور المنسوب للقرّاء في صفين من مسؤولية وقف القتال والتحكيم، وفرض أبي موسى حكماً ليست إلا فرية تاريخية اخترعها الإخباريون الشيعة الذين ما انقطعوا عن تزوير وتشويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة، وكان يزعجهم أن يظهر عليّ ـ رضي الله عنه ـ بمظهر المتعاطف مع معاوية وأهل الشام، وأن يرغب في الصلح مع أعدائهم التقليديين، من جهة أخرى يحَمّلون المسؤولية أعداءهم الخوارج، ويتخلصون منها، ويجعلون دعوى الخوارج تناقض نفسها، فهم الذين أجبروا علياً على قبول التحكيم، وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم[3].

إن هذه العجالة عن شخصية أبي موسى لها علاقة ببحثنا، نتحدث عن شخصية أمير المؤمنين علي وعصره، وأبو موسى من الشخصيات المؤثرة في عصره، وقد تعرضت للتشويه، وغالباً إذا تحدث أحد عن صفين والتحكيم؛ تعرضت شخصية أبي موسى وعمرو بن العاص للتشويه والكذب والافتراء بسبب الروايات الضعيفة والموضوعة، فكان لازماً علينا أن نتحدث عن شيء من سيرتهما العطرة الزكية، وهذا المقصد من أهداف الكتابة في هذا البحث.

ثانياً: سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه:

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، يكنى أبا محمد، وأبا عبد الله، ويتفق ابن إسحاق[4] والزبير بن بكار[5]: أن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة، وهاجر إلى المدينة في صفر سنة ثمان للهجرة، وذكر ابن حجر: أنه أسلم سنة ثمان قبل الفتح، وقيل: بين الحديبية وخيبر[6].

1 . إسلامه:

نترك عمرو بن العاص رضي الله عنه يحدثنا عن إسلامه، فقد قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق؛ جمعت رجالاً من

(1) تاريخ خليفة ، ص 191 ، 192.

(2) الطبقات (32/3).

(3) تحقيق مواقف الصحابة (215/2).

(4) المعجم الكبير للطبراني (53/9) ، أرسلها ابن إسحاق.

(5) الإصابة (2/3)؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 263.

(6) تهذيب التهذيب (56/8).

قريش، كانوا يرون رأيي ويســمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوًّا منكراً، وإني قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشـــي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضـنا الأدم[1]، فجمعنا له أدَماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنّا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضـمري، وكان رسـول الله ﷺ قد بعثه إليه في شـأن جعفر وأصـحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو دخلت على النجاشي، وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني أجزت عنها[2]، حيث قتلت رسول محمد.

قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً صديقي، أهديت إليّ من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشـــتهاه، ثم قلت له: أيها الملك! إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما ســألتكه، قال: أتســألني أن أعطيك رســول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موســى لقتله؟! قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسـى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسـلام؟ قال: نعم، فبســط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت على أصحابي إسلامي.

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم[3]، وإن الرجل لنبي، أذهب والله، فأسلم، فحتى متى، قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم.

قال: فقدمنا المدينة على رســول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد، فأســلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رســول الله!، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر. قال: فقال رسـول الله: «يا عمرو بايع، فإن الإسـلام يَجُبُّ

---

[1] الأدم: الجلد.

[2] أجزأت عنها : كفيتها.

[3] استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

ما كان قبله، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها»، قال: فبايعته ثم انصرفت[1].

وفي رواية قال:... فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبيﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك. فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «مالك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: «تشترط ماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان[2] قبله».

2. عمرو بن العاص يقود سرية في ذات السلاسل 7 هـ:

جهز النبيﷺ جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، وذلك لتأديب قضاعة التي غرَّها ما حدث في مؤتة التي اشتركت فيها إلى جانب الروم، فتجمعت تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثمئة من المهاجرين، والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعاً كثيرة، فأرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب المدد، فجاءه مدد بقيادة أبي عبيدة بن الجراح[3]، وقاتل المسلمون الكفار، وتوغَّل عمرو في ديار قضاعة التي هربت وتفرقت وانهزمت، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصداقتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين من بني عبس، وبني مرة، وبني ذبيان، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبعها بنو سُلَيم، وعلى رأسهم العباس بن مرداس، وبنو أشجع، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب، وإن لم يكن في بلاد هم جميعها[4].

وفي هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها:

أ. إخلاص عمرو بن العاص:

بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال: خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتني، فأتيته، وهو يتوضأ، فصعَّد فيَّ النظر، ثم طأطأ، فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش[5]، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة»، قال: قلت: يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ، قال: «يا عمرو! نعم المال الصالح للمرء الصالح»[6].

---

[1] صحيح السيرة النبوية ، ص 494 ؛ سير أعلام النبلاء (60/3) ؛ والسيرة لابن هشام (267/2).
[2] مسلم ، كتاب الإيمان ، رقم 121.
[3] السيرة النبوية الصحيحة (471/2) ؛ السيرة النبوية لابن هشام (280/3).
[4] السيرة النبوية لأبي شهبة (433/2) ؛ السيرة النبوية لابن هشام (280/4)
[5] جيش: سرية ذات السلاسل.
[6] رواه ابن حبان في الموارد، رقم 2277 ؛ صحيح السيرة ، ص 508 ، صححه الألباني.

فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام، وحرصه على ملازمة رسول الله ﷺ، وقد بين له رسول الله ﷺ: أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح، لأنه يبتغي وجه الله ويصرفه في وجوه الخير ككفالة الأيتام والأرامل والدعاة ودعم المجاهدين، والمشاريع الخيرية، وغيرها من وجوه البر ويُعِفُّ به نفسه وأسرته[1]، ويغني به المسلمين.

ونستنبط من الحديث: أن سعي العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبيﷺ، كما أن الرجل ذا المال إذا استطعنا إيصال الصلاح له ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما في الحديث، فهو أيضاً مطلوب ومحمود، وهذا خير له وللإسلام والمسلمين.

ب ـ حرص عمرو على سلامة قواته:

بعث رسول الله ﷺ عمراً في غزوة ذات السلاسل، فأصابهم برد، فقال لهم عَمرو: لا يُوقدنَّ أحد ناراً، فلما قدم شكوه، قال: يا نبيَّ الله، كان فيهم قلَّة، فخشيت أن يرى العدوُّ قلَّتهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين؛ فأعجب ذلك رسول الله ﷺ[2].

ج ـ من فقة عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً[3].

وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله، ودقة استنباطه الحكم من دليله[4]؛ ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرِّعون عليها الأحكام، فإن الذي يستوقفنا[5] منها تلك السرعة في أخذ عمرو للقرآن وصلته به حتى بات قادراً على فقه الأمور من خلال الآيات، وهو لم يمضِ على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه في دين الله.

---

[1] التاريخ الإسلامي للحميدي (133/7)

[2] سير أعلام النبلاء (66/3).

[3] سير أعلام النبلاء (67/3) إسناده صحيح ؛ صححه ابن حبان ، رقم 202.

[4] غزوة الحديبية لأبي الفارس ، ص 210.

[5] معين السيرة ، ص 381 ، القائل هو صالح أحمد الشامي صاحب (معين السيرة).

وقد يكون عمرو ــ وهذا احتمال وارد ــ على صلة بالقرآن قبل إسلامه يتتبع ما يستطيع الوصول إليه، وحينئذ نكون أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن الذي لوى أعناق الكافرين، وجعلهم وهم في أشـــد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القرآن، كما رأينا ذلك في العهد المكي، ويؤيد هذا ما رأيناه من معرفته بالقرآن حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهم في عيسى عليه السلام[1].

3 . فضائله ومناقبه:

أ . شهادة رسول الله ﷺ له بالإيمان:

قال رسول الله ﷺ: «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص»[2]. وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشــام»[3]، وقال عمرو بن العاص: فزع الناس بالمدينة مع النبيﷺ فتفرقوا، فرأيت ســالماً احتبى ســيفاً فجلس في المســجد فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل، فخرج رســول الله ﷺ فرآني وســالماً، وأتى الناس فقال: «أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان»[4].

ب . تقديم رسول الله ﷺ له على غيره، وشهادته له بأنه من صالحي قريش:

فقد جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله: ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد أحداً منذ أسلمنا في حرب[5]، وشهد له رسول الله ﷺ بأنه من صالحي قريش، فعن أبي مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عمرو بن العاص من صالحي قريش»[6]؛ وهنا درس نبوي في معرفة النبيﷺ لمعادن الرجال والاستفادة منها.

ج . دعاء رسول الله ﷺ له:

عن زهير بن قيس البلوي عن عمه علقمة بن رمثة البلوي، قال: بعث رســـول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين، ثم خرج رسول الله ﷺ، ثم استيقظ فقال: «رحم الله عمراً». فتذاكرنا من اسمه عمرو، ثم نَعس ثانية فاستيقظ، فقال: «رحم الله عمراً». ثم نعس ثالثة فاســتيقظ، فقال: «يرحم الله عمراً». قلنا: من عمرو يا رســول الله؟ قال: «عمرو بن العاص»،

---

[1] معين السيرة ، ص 381 ، مسند أحمد (203/1) ، رجاله رجال الصحيح.

[2] سلسلة الأحاديث الصحيحة (238/1) ، رقم 155 وحسنه.

[3] الطبقات (191/4) ؛ السلسلة الصحيحة (240/1) ، رقم 156.

[4] مسند أحمد (203) بسند حسن.

[5] سنن البيهقي ، باب إسلام عمرو بن العاص (43/4).

[6] سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب عمرو بن العاص ، رقم 3844.



قلنا: وما باله؟ قال: «ذكرته؛ إني كنت إذا ندبت الناس للصـــدقة، جاء من الصـــدقة فأجزل، فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله، وصــدق عمرو، إن لعمرو عند الله لخيراً كثيراً». قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا، قال فيه رسول الله ما قال، فلم أفارقه[1].

4 . أعماله في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

كان رسـول الله ﷺ قد أرسـل عمراً إلى دعوة أبني الجلندي: جيفر، وعباد، إلى الإسـلام، ودعاهما إلى الإسـلام وصـدقا بالنبيﷺ، وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم، وكانا له عوناً على من خالفه[2].

وبعد وفاة رسول الله ﷺ وجّه الصديق عمرو بن العاص بجيش إلى فلسطين، وكان الصديق خيَّره بين البقاء في عمله الذي أسـنده إليه رسـول الله ﷺ، وبين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والآخرة، إلا أن الذي هو فيه أحب إليه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارمِ به[3]. فلما قدم المدينة أمره أبو بكر رضـي الله عنه أن يخرج من المدينة، وأن يعسـكر حتى يندب معه الناس... ثم أرسـله بجيش إلى الشام[4]. وفي معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة، فكان لمشاركته أثر كبير في انتصار المسلمين.

وبعد وفاة الصديق ـــ استمر عمرو في الشام، وكانت له مشاركة فعالة في حركة الفتح الإسلامي بالشام، فقد قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بيسان، وطبرية، وأجنادين[5]، كما قام رضي الله عنه بفتح غزة، واللُّدّ، ويُبْنىَ، وعمْواس، وبيت جِبْرين، ويافا، ورَفَح، وبيت المقدس، ولم يقتصـر عمرو رضـي الله عنه على فتح بلاد الشـام وحدها، بل شمل أيضـاً بعض مشاهير بلاد مصر، حيث كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصدر أمره إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد الفراغ من فتوح الشـام أن يسـير بمن معه من الجند إلى مصـر، فخرج رضـي الله عنه حتى وصـل إلى العريش ففتحها، كما شملت حركة الفتح أيضـاً: الفرما، والفسـطاط، وحصـن بابليون، وعين شمس، والفيوم، والأشمونين، وأخميم، والبشـرود، وتنيس، ودمياط، وتونة، ودقهلة، ودمياط، والإسـكندرية، وبلاداً إفريقية أخرى؛ مثل: برقة، وزويلة، وطرابلس[6]. وقد شـهد له الفاروق بصفات الزعامة والإمامة فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً[7].

---

[1] المعجم الكبير (5/18) ؛ المستدرك (455/3) ، صححه الحاكم ، وقال الذهبي: صحيح إسناده حسن.
[2] الطبقات (262/1) ؛ جوامع السيرة لابن حزم ، ص 24 ، 29.
[3] إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء ، ص 55.
[4] فتوح الشام للأزدي ، ص 48 . 51.
[5] تاريخ الطبري (605/3) ؛ الكامل لابن الأثير (498/2).
[6] سير أعلام النبلاء (70/3)؛ القيادة العسكرية في عهد الرسول ، ص 634 . 642.
[7] سير أعلام النبلاء (70/3).

وكان في عهد عثمان من المقرَّبين إلى الخليفة، ومن أهل مشورته، ولما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً إلى الشام، وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذلٍّ، ومن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت، وتتابع على ذلك ما شاء الله[1]. وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان رضي الله عنه، وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب؛ قال عمرو بن العاص: أنا أبو عبد الله تكون في حرب من حك فيه قرحة نكأها، رحم الله عثمان ورضي الله عنه وغفر له. فقال سلامة بن زنباع الجذامي: يا معشر العرب! إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا باباً إذ كسر الباب، فقال عمرو: وذاك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشافٍ[2]، تخرج الحق من حافرة البأس، ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فَيَالَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالِكٍ ... وَهَلْ يَصْرِفُ مَالِكٌ حِفْظَ القَدَرْ

نَزَعَ مِنَ الحَرِّ[3] أَوْدَى بِهِمْ ... فَأَعْذَرَهُمْ أَمْ بِقَوْمِي سَكَرْ

ثم ارتحل راجلاً يبكي ويقول: يا عثماناه! أنعي الحياء والدين، حتى قدم دمشق[4].

هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو رضي الله عنه، والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا؛ فهي الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدي عن موسى بن يعقوب[5].

وقد تأثر بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين، فأهووا بعمرو إلى الحضيض، كالذي كتبه محمود شيت خطاب[6]، وعبد الخالق سيد أبو رابية[7]، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضي الله عنهما بأنهما:...انتهازيان صاحبا مصالح، ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله، فهذا لا يعني للعقاد شيئاً، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة:... وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت

---

[1] تاريخ الطبري نقلاً عن عمروبن العاص للغضبان ، ص 464.

[2] أشاف: جمع أشفى وهو المثقب.

[3] الحر: جمع حرة وهي الظلمة الشديدة.

[4] تاريخ الطبري نقلاً عن عمرو بن العاص للغضبان ، ص 464.

[5] عمرو بن العاص للغضبان ، ص 481.

[6] سفراء النبي ﷺ ، محمود شيت خطاب ، ص 508.

[7] عمرو بن العاص ، عبد الخالق سيد أبو رابية ، ص 316.

نقله ولم يثبت منه سند، ولا نصه، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفاق بين الرجلين، كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل على كل منهما، ولولاه لما كان بينهما اتفاق[1].

إن شخصية عمرو رضي الله عنه الحقيقية أنه رجل مبادئ غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمان، وبكى عليه بكاءً مُراً حين قتل، فقد كان يدخل في الشورى في عهد عثمان من غير ولاية، ومضى إلى معاوية رضي الله عنهما يتعاونا معاً على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد[2]، لقد كان مقتل عثمان كافياً لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لا بد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرؤوا على حرم رسول الله ﷺ، وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟! وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع؛ فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمراً همه السلطة والحكم[3].

ثالثاً: نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

(1) هذا ما تقاضى عليه عليُّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

(2) قضية علي على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

(3) إنّا تراضينا أن نقف عند حُكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نُحيي ما أحْيى ونُميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

(4) وإن علياً وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظراً وحاكماً، ورضي معاوية بعمرو بن العاص ناظراً وحاكماً.

(5) على أن علياً ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذِمّته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إماماً، ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً، وما لم يجدا في الكتاب ردّاه إلى سنة رسول الله ﷺ الجامعة، لا يتعمّدان لها خلافاً، ولا يبغيان فيها بشبهة.

---

[1] عمرو بن العاص للعقاد ، ص 231 ، 232.
[2] عمرو بن العاص للغضبان ، ص 489 ، 490.
[3] المصدر السابق نفسه، ص 492.

(6) وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه، وليس لهما أن ينقُضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

(7) وهما آمنان في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، لم يعدوا الحق، رضي به راضٍ أو سخط ساخط، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

(8) فإن توفي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل المعدلة والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

(9) وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية، فلشيعته أن يُوَلّوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

(10) وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

(11) وقد وجبت القضية على ما سمّيناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحَكمين والفريقين، والله أقرب شهيد، وكفى به شهيداً، فإن خالفا وتعدّيا، فالأمّة بريئة من حُكمهما، ولا عهد لهما ولا ذِمة.

(12) والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل، والسلاح موضوعة، والسبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر.

(13) وللحَكمين أن ينزلا منزلاً متوسطاً عدلاً بين أهل العراق والشام.

(14) ولا يحضرهما فيه إلا من أحبَّا عن تراضٍ منهما.

(15) والأجل إلى انقضاء شهر رمضان، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجّلاها، وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخَّراها.

(16) فإن هما لم يحكُما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل، فالفريقان على أمرهم الأول في الحرب.

(17) وعلى الأمّة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر، وهم جميعاً يد واحدة على من أراد في هذا الأمر إلحاداً أو ظلماً أو خلافاً.

وشهد على ما في هذا الكتاب: الحسن والحسين، ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والأشعث بن قيس الكندي، والأشتر بن الحارث، وسعيد بن قيس الهمداني، والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري، وعبد الله بن خباب بن الأرت، وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصاري،

وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله الأســلمي، وعقبة بن عامر الجهني، ورافع بن خديج الأنصــاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والنعمان بن عجلان الأنصــاري، وحجر بن عدي الكندي، ويزيد بن حجية النكري، ومالك بن كعب الهمداني، وربيعة بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبة بن حجية.

ومن أهل الشام: حبيب بن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، ويسر بن أرطاة القرشي، ومعاوية بن خديج الكندي، والمخارق بن الحارث الزبيدي، ومسلم بن عمرو السكسكي، وعبد الله بن خالد بن الوليد، وحمزة بن مالك، وسبيع بن يزيد بن أبجر العبســي، ومســروق بن جبلة العكي، وبســر بن يزيد الحميري، وعبد الله بن عامر القرشــي، وعتبة بن أبي ســفيان، ومحمد بن أبي ســفيان، ومحمد بن عمرو بن العاص، وعمار بن الأحوص الكلبي، ومســعدة بن عمرو العتبي، والصباح بن جلهمة الحميري، وعبد الرحمن بن ذي الكلاع، وتمامة بن حوشب، وعلقمة بن حكم.

كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين[1].

رابعاً: قصة التحكيم المشهورة، وبطلانها من وجوه:

لقد كثر الكلام حول قصـــة التحكيم، وتداولها المؤرخون والكُتَّاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم بين مطيل في سياقها، ومختصر وشارح ومستنبط للدروس، وبانٍ للأحكام على مضامينها، وقلما تجد أحداً وقف عندها فاحصاً محققاً، وقد أحسن ابن العربي في ردها إجمالاً وإن كان غير مفصل، وفي هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص، إذ إن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي، بل هي باطلة من عدة وجوه[2]:

1 ــــ أن جميع طرقها ضعيفة، وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند رجاله ثقات عن الزهري مرسلاً قال: قال الزهري: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراقين، فعند ذلك حكَّموا الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص، فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشــترطا أن يرفعا ما رفع القرآن، ويخفضــا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح.

فلما انصرف عليّ خالفت الحرورية وخرجت ـ وكان ذلك أول ما ظهرت ـ فاذنوه بالحرب، وردوا عليه: أن حكم بني آدم في

[1] انظر الوثائق السياسية ص 537 , 538 , الأخبار الطوال للدنيوي, ص 196 . 199: أنساب الأشراف (382/1)؛ تاريخ الطبري (665/5 , 666)؛ البداية والنهاية (276/7, 277).

[2] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 404.

حكم الله عز وجل، وقالوا: لا حكم إلا لله سبحانه، وقاتلوا.

فلما اجتمع الحكمان بأذرح، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهم في رجال كثير، ووافى معاوية بأهل الشام، وأبى علي وأهل العراق أن يوافوا، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحداً من الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحداً يعلم ذلك، قال: فوالله إني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأرجعهما.

فدخل على عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله، أخبرني عما أسألك عنه، كيف ترانا معشر المعتزلة؟ فإنا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأني ونتثبت حتى تجتمع الأمة؛ قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار؛ فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتى دخل على أبي موسى فقال له مثل ما قال لعمرو، فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأياً، فيكم بقية المسلمين، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك.

فلقي الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد.

فلما اجتمع الحكمان وتكلّما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها، فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى، أأنت على أن نسمِّي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسمِّه لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك عليّ أن أتابعك، وإلا فلي عليك أن تتابعني؛ قال أبو موسى: أسمي لك معاوية بن أبي سفيان فلم يبرحا مجلسهما حتى استبَّا.

ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو كمثل الذين قال الله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 175]. فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال الله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5]. وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار[1].

والزهري لم يدرك الحادثة فهي مرسلة، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة[2]، كما قرّر العلماء، وهناك طريق أخرى أخرجها ابن عساكر بسنده إلى الزهري، وهي مرسلة، وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يصنع

[1] المصنف (463/5) ؛ مرويات تاريخ الطبري ، ص 406.
[2] المراسيل لأبي حاتم ، ص 3 ؛ الجرح والتعديل (246/1).

الحديث[1]. وفي سنده أيضاً الواقدي، وهو متروك[2]، وهذا نصها:

رفع أهل الشـــام المصـــاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه، وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً على أن يوافوا رأس الحول أذرح، وحكموا حكمين ينظرون في أمور الناس فيرضوا بحكمهما، فحكّم علي أبا موســى الأشــعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وتفرق الناس، فرجع علي إلى الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه، فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كان معه، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله، ورجع معاوية إلى الشـــام بالألفة واجتماع الكلمة عليه، ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح في شـــعبان ســـنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما، وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية، فقدَّم أبا موسى فتكلم وخلع علياً ومعاوية، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع علياً وأقر معاوية، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما، وبايع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين[3].

وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيى؛ ضعيف ليس بثقة[4]، وأخباري تالف غالى في الرفض، وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان[5] ضعيفاً، وقال البخاري: وأبو حاتم كان يحيى القطان يضعفه[6]. وقال عثمان الدارمي: ضعيف[7]، وقال النسائي: ضعيف[8].

هذه طرق قصة التحكيم المشهورة، والمناظرة بين أبي موسى وعمرو بن العاص المزعومة، أفبمثل هذا تقوم حجة؛ أو يعول على مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام وعهد الخلفاء الراشدين، عصر القدوة والأسوة؛ ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطراب في متونها لكفاها ضعفاً؛ فكيف إذا أضيف إلى ذلك ضعف أسانيدها؟![9].

2 ـــ أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح، ومن المحال أن يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها[10].

---

[1] تهذيب التهذيب (27/12) ؛ مرويات تاريخ الطبري ، ص 406.
[2] مرويات تاريخ الطبري ، ص 406.
[3] تاريخ دمشق (53/16).
[4] تحقيق مواقف الصحابة (223/2).
[5] مرويات أبي مخنف ، ص 407.
[6] التاريخ الكبير (267/2/4) ؛ الجرح والتعديل (138/9).
[7] التاريخ للدارمي ، ص 238 ؛ تحقيق مواقف الصحابة (223/2).
[8] الضعفاء والمتروكون ، ص 253.
[9] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 408.
[10] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 408.

3 ـ وردت رواية تنقض تلك الروايات تماماً، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصراً بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر معلولاً، عن الحصين بن المنذر: أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره، فأته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه؛ كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغني عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما[1].

وقد روى أبو موسى عن تورُّع عمرو ومحاسبته لنفسه، وتذكُّره سيرة أبي بكر وعمر، وخوفه من الأحداث بعدهما، قال أبو موسى: قال لي عمرو بن العاص: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحلُّ لهما، لقد غُبنا وأخْطأ أو نقص رأيهما، و والله ما كانا مغبونيْن ولا مُخطئيْن ولا ناقصي الرأي، ووالله ما جاءنا الوهم والضعف إلا من قِبلنا[2].

4 ـ إن معاوية كان يقر بفضل علي عليه، وأنه أحق بالخلافة منه؛ فلم ينازعه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد[3]، عن أبي مسلم الخولاني: أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً في الخلافة أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً؛ وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فأتوا علياً فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا علياً فكلموه فلم يدفعهم إليه[4]. فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما؛ فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله[5].

ويقول ابن حزم في هذا الصدد: بأن علياً قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية قط فضل عليّ واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أدَّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العاص لسنه وقوته على الطلب بذلك، وأصاب في هذا، وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط[6].

وفهم الخلاف على هذه الصورة ـ وهي صورته الحقيقية ـ بين إلى أيّ مدى تخطئ الروايات السابقة عن التحكيم في تصوير

---

[1] التاريخ الكبير (398/5).
[2] العواصم من القواصم ، ص 178 . 180.
[3] فتح الباري (86/13).
[4] سير أعلام النبلاء (140/3).
[5] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص 409.
[6] الفصل في الملل والنحل (160/4).

قرار الحكمين، إن الحكمين كانا مفوضـــين للحكم في الخلاف بين علي ومعاوية، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما، وإنما كان حول توقيع القصـــاص على قتلة عثمان، وليس هذا من أمر الخلافة في شـــيء، فإذا ترك الحكمان هذه القضية الأساسية، وهي ما طلب إليهما الحكم فيه، واتخذا قراراً في شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة، فمعنى ذلك: أنهما لم يفضَّا موضوع النزاع، ولم يحيطا بموضوع الدعوى، وهو أمر مستبعد جدّاً[1].

5 ـــ أن الشروط التي يجب توفرها في الخليفة هي العدالة والعلم، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون[2] قرشياً، وقد توفرت هذه الشروط في علي رضي الله عنه، فهل بيعته منعقدة أم لا؟ فإن كانت منعقدة ـــ ولا شك في ذلك

وقد بايعه المهاجرين والأنصار أهل الحل والعقد، وخصومه يقرون له بذلك ـ فقول معاوية السابق يدل عليه؛ بأن الإمام إذا لم يَخْل عن صـــفات الأئمة، فرام العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك ســـبيلاً باتفاق الأئمة؛ فإن عقد الإمام لازم، لا اختيار في حله من غير ســـبب يقتضـــيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصـــود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار لما اســـتتب للإمام طاعة، ولما اســـتمرت له قدرة واستطاعة، ولما صح لمنصب الإمام معنى[3].

وإذاً فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات: كل من لم يرضَ بإمامه خلعه، فعقد الإمامة لا يحله إلا من عقده، وهم أهل الحل والعقد، وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل علي رضي الله عنه فعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة وهو الخليفة الراشـد حتى يقال: إن الحكمين اتفقا على ذلك؟! فما ظهر منه قط إلى أن مات رضـي الله عنه، شيء يوجب نقض بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل، والجد، والبر، والتقوى، والخير[4].

6 ـــ أن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة، وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة؟! لا شك أن الأحوال ستزداد سوءاً، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا، ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلاً ونقلاً.

7 ـ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حصر الخلافة في أهل الشورى: وهم الستة، وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك،

---

(1) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (225/2).

(2) الأحكام السلطانية للماوردي ؛ الأحكام السلطانية لأبي يعلى ، ص 20 ؛ غياث الأمم ، ص 79 وما بعدها.

(3) غياث الأمم ، ص 128 ؛ مرويات أبي مخنف ، ص 410.

(4) الفصل في الملل والأهواء والنحل (238/4).

فكان ذلك إذناً في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم ما بقي منهم واحد، ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص وقد اعتزل الأمر ورغب عن الولاية، والإمارة، وعلي بن أبي طالب القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان؛ فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره[1].

8 ـــ أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم: والسؤال: ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم؛ فالحكمان لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب عنهم ذلك، مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي[2]، أعلم الناس بأمر الشام[3] أنه قال: كان علي بالعراق يُدعى أمير المؤمنين، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين[4].

فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي، وإلى هذا ذهب الطبري، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء[5]، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين؛ لأنه لم يبق له عندهم منازع[6]، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفئاً لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه، فإن فضل علي وسابقته وعلمه، ودينه وشجاعته، وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم[7]. وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[8]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة[9]، ومن المحال أن يطبق الصحابة على مخالفة ذلك[10].

9 ـ أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة، قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: اِلْحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما

---

(1) مرويات أبي مخنف ، ص 411.
(2) سعيد بن عبد العزيز التنوخي ثقة إمام التقريب.
(3) تهذيب التهذيب (60/4).
(4) تاريخ الطبري (76/6).
(5) المصدر السابق نفسه.
(6) البداية والنهاية (16/8).
(7) الفتاوى (73/35).
(8) صحيح مسلم (1480/3).
(9) سنن البيهقي (144/8).
(10) مرويات أبي مخنف ، ص 412.

تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه؛ فلنحن أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم، ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب: حفظت وعصمت[1].

هذا الحديث قد يفهم منه مبايعة معاوية بالخلافة، وليس فيه تصريح بذلك، وقد قال بعض العلماء: إن هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي رضي الله عنه معاوية (رضي الله عنه).

وقال ابن الجوزي: إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده. ويرى ابن حجر في التحكيم[2]، ودلالة النص على القولين الأولين أقوى.

فقوله: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم؛ دليل على اجتماع الكلمة على معاوية، وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع وائتلاف[3].

10 ـ حقيقة قرار التحكيم: ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة، أو إلى أهل الشورى؛ ليس إلا أمر الخلاف بين عليّ ومعاوية حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مدعياً للخلافة ولا منكراً حق عليّ فيها عما تقرر سابقاً، وإنما كان ممتنعاً عن بيعته وعن تنفيذ أوامره في الشام حيث كان متغلباً عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيداً من طاعة الناس له بعد أن بقي والياً فيها زهاء عشرين سنة[4].

وقد قال ابن دحية الكلبي في كتابه (أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين): قال أبو بكر محمد بن الطيب الأشعري ـ الباقلاني ـ في مناقب الأئمة: فما اتفق الحكمان قط على خلعه ـ علي بن أبي طالب... وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه، أو أحد منهما على ما شرطا في الموافقة بينهما، أو إلى أن يبيّنا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، ونصّ كتاب عليّ ـ عليه السلام ـ اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عز وجل من فاتحته إلى خاتمته، لا يجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه، ولا يميلان إلى هوى ولا إدهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما... والكتاب والسنة يثبتان إمامته،

---

[1] البخاري (48/5).

[2] فتح الباري (466/7).

[3] مرويات أبي مخنف.

[4] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (134/2).

ويعظمانه ويثنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظيم جهاده في جهاد المشركين، وقرابته من سيد المرسلين، وما خص به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيق بالإمامة، وأهل لحمل أعباء الخلافة[1].

11 ـ مكان انعقاد المؤتمر: كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين ـ كما جاء في الوثيقة ـ في رمضان في عام 37 هـ، إذا لم تحدث عوائق، في موضع وسط بين العراق والشام، وهذا الموضع المختار هو دومة الجندل[2]، في روايات موثقة، وأذرح[3] في روايات أخرى دونها في الإتقان، ولعل لقرب المكانين من بعضهما أثر في اختلاف الروايات، إذ يقول خليفة بن خياط[4]:... ويقال: بأذرح، وهي من دومة الجندل قريب، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق[5].

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكمان هو دومة الجندل، وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموي من أن التحكيم حدث في أذرح، واستدل على ذلك ببعض روايات لم يبينها، وبالأشعار، وبخاصة بشعر ذي الرمة[6]، في مدح بلال بن أبي بردة[7]؛ وهو قوله:

أبوك تَلافي الدين والناس بعدما ... تشاؤوا وبيتُ الدِّينِ مُنْقَلِعُ الكَسْرِ

فَشَدَّ إِصَارَ الدِّينِ أَيَّامَ أَذْرُحٍ ... وَرَدَّ حُرُوباً قَدْ لَقَحْنَ إِلَى عُقْرٍ[8]

12 ـ هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكمين؟: اجتمع الحكمان في موعدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين، وفد عن أهل العراق، والآخر يمثل أهل الشام، وطلب الحكمان من عدد من أعيان قريش وفضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته؛ وأفضل هؤلاء: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فإنه لم يحضر التحكيم، ولا أراد ذلك، ولا همَّ به[9]؛ فعن عامر بن سعد: أن أخاه عُمَر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة، فلمّا أتاه قال: يا أبة، أرضيت أن تكون أعرابياً في

---

[1] أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، ص 177.
[2] دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية.
[3] أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء.
[4] تاريخ خليفة، ص 191، 192.
[5] خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 267.
[6] ذي الرمة، غيلان بن عقبة، توفي 117 هـ. سير أعلام النبلاء (267/5).
[7] بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري. تهذيب تاريخ دمشق (321/3).
[8] ديوان ذي الرّمة، ص 361 . 362 نقلاً عن خلافة علي، ص 272.
[9] خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 272.

غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت! فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[1].

خامساً: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟

يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية، وذلك بتحمل قادة البلاد الإسلامية جميعاً مسؤولياتهم، ومن ورائهم الأمّة الإسلامية التي يحكمونها في الضغط الجادّ الصادق، على الطرفين المتنازعين، لكي يوقفا بينهما القتال، ويلجا إلى التحكيم الشرعي في الإسلام، فيرسل هذا الطرف حكماً من قبله، وذلك حكماً آخر من قبله أيضاً، للفصل في النزاع القائم وذلك على ضوء ما يلي:

1 . تحديد صلاحيات الحكمين في إصدار الأحكام التي لا بُدّ منها لحل المشكلات التي هي سبب النزاع.

2 . جعل مصادر التشريع الإسلامي هي المرجع الوحيد لإصدار تلك الأحكام والحلول، التي تفصل في مسائل النزاع.

3 ـــ أخذ العهد على كل طرف من طرفي النزاع، وأخذ العهد على جميع قادة البلاد الإسلامية بقبول ما يصدره الحكمان من أحكام وحلول مشروعة لإنهاء النزاع الرّاهن، على أنها واجبة التنفيذ بحكم الإسلام، وأن الخروج عليها، أو الرضا بذلك الخروج يترتب عليه الإثم شرعاً.

4 ــ إذا أصدر الحكمان ما اتّفقا عليه من أحكام، وحلول، وانقاد لها الطرفان المتنازعان ــ قُضي الأمر، وكفى الله المؤمنين القتال.

5 ــ إذا رفض أحد الطَّرفَين، أو كلاهما؛ الانقياد لقضاء الحكمين ــ اعتبر الطرف الرافض هو الطرف الباغي، سواء صدر الرفض من أحدهما، أو من كليهما، ووجب شرْعاً على القوات الإسلامية في الأقطار الأخرى أن تضع نفسها تحت تصرُّف ما يصدره الحكمان من قرارات عسكرية، من أجل التدخل لحسم النزاع بالقوة، على وجه لا تترتب عليه أضرار ومخاطر هي أكبر من ضرر النزاع القائم.

6 ـــ ويكون من صلاحيّات الحكمين بالاتّفاق ـــ إصدار القرارات التي تخص كيفية تحريك القوات المسلحة في الأقطار الإسلامية الأخرى، من أجل حل النزاع القائم على ضوء ما سلف بيانه[2].

ولعلّ اللجوء إلى مثل هذه الطريقة في حل المنازعات بين الأقطار، كفيل بسد الطريق على آية قوة خارجية تتدخل في

---

[1] المسند (168/1) ، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (26/3) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، للسُّلمي ، ص 107.
[2] الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (1665/3).

نزاعات المسلمين بحجة أنَّ بعض أطراف النّزاع دعاها إلى هذا التدخل.. ومن ثم تستغل هذه الفرصة، لكي تتآمر على المسلمين، فتعمل على تصعيد تلك النزاعات، وفرض الحلّ الذي يَحلو لها، ويكون فيه مصلحتها فقط وليعانِ المسلمون، بعدئذ، من آثار ذلك الحلّ أسوأ ممّا كانوا يُعَانُون من فتنة النّزَاع نفسها، فهذه المعاناة لا تهمنا في شيء، لا، بل إنّ هذه المعاناة هي من جملة الاهتمامات التي فرضت من أجل تفجيرها ذلك الحَلّ المشؤُوم.

قلنا: لعل اللُّجوء إلى التحكيم، على نحو ما سلف بيانه، يسد الطريق في وجه تلك القوى الخارجيَّة التي تبغي في صفوف المسلمين الفساد.

هذا، وإن الصفة الإلزامية شرعاً للحل عن طريق التحكيم الذي عرضناه ـــ تستند إلى إجماع الصحابة، فقد أجمع الصحابة كلهم في عهد النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية على اللجُوء إلى التحكيم، والقبول به.. سواء في ذلك الصحابة الذين كانوا مع علي، والصحابة الذين كانوا مع معاوية، والصحابة الذين اعتزلوا الفريقين، كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وغيرهما ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ[1].

سادساً: موقف أهل السنة من تلك الحروب:

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم، لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين، وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضَّى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم، وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة، ولم يجوِّز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال، وبما وصفوا به فيها، وتلك النصوص هي[2]:

1 ـــ قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9].

ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن

---

[1] الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (1665/3).

[2] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (727/2) ؛ تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان ، ص 41.

وصف الإيمان؛ حيث سماهم الله ـ عز وجل ـ مؤمنين، وأمر بالإصلاح بينهم، وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين ولم يخرجهم ذلك من الإيمان، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية؛ فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيماناً حقيقياً، ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال؛ لأنه كان عن اجتهاد[1].

2 ـــ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»[2]. والفرقة المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقد وصف ﷺ الطائفتين معاً بأنهما مسلمتان، وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام.

وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة: أن علياً هو المصيب، وإن كان معاوية مجتهداً وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علي هو الإمام؛ فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»[3].

3 ـ وعن أبي بكرة قال: بينا النبيﷺ يخطب جاء الحسن، فقال النبيﷺ: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[4]. ففي هذا الحديث شهادة النبيﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام، والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا علياً ومن معه، ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام، ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله: فئتين من المسلمين؛ يعجبنا جداً. قال البيهقي: وإنما أعجبه لأن النبيﷺ سماهم جميعاً مسلمين، وهذا خبر من رسول الله ﷺ بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان[5]. فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان، وقد وصفهم النبيﷺ بأنهم من أمته[6].

[1] العواصم من القواصم، ص 169 . 170 ؛ أحكام القرآن (1717/4).
[2] مسلم (745/2).
[3] البخاري مع شرحه في فتح الباري (318/13).
[4] البخاري، كتاب الفتن، رقم 7109.
[5] الاعتقاد للبيهقي، ص 198 ؛ فتح الباري (66/13).
[6] في صحيح مسلم (746/2): تكون في أمتي فرقتان.

كما وصــفهم بأنهم جميعاً متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه، كما شــهد لهم ﷺ بأنهم مســتمرون على الإيمان ولم يخرجوا عنه بســبب القتال الذي حصــل بينهم، وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9]. وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم رضـي الله عنهم أجمعين، فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم، بل هم مجتهدون متأولون، وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما مر معنا.

فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم مسلك الفرقة الناجية من أهل السـنة والجماعة، وهو الإمسـاك عما حصـل بينهم رضـي الله عنهم، ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم، وكتب أهل السنة مملوءة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها[1]:

1 ـ سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عن القتال الذي حصل بين الصحابة، فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها، أفلا أطهر منها لساني؟! مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها[2].

قال البيهقي معلقاً على قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: هذا حسـن جميل؛ لأن سـكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب[3].

2 ـــ سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم، فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا[4]. ومعنى قول الحسـن هذا: أن الصـحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عندما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأياً من عندنا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله ـ عز وجل ـ إذ كانوا غير متهمين في الدين[5].

3 ـ سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة، فأجاب بقوله: أقول ما قال الله:[6] ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى﴾ [طه: 52].

---

[1] عقيدة أهل السنة في الصحابة.

[2] الإنصاف للباقلاني، ص 69 ؛ الطبقات (394/5).

[3] مناقب الشافعي، ص 136.

[4] الجامع لأحكام القرآن (332/16).

[5] المصدر السابق نفسه.

[6] الإنصاف للباقلاني، ص 69.

قال الإمام أحمد رحمه الله بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى[1]. وعن إبراهيم بن ازر الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل، وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه فقال: اقرأ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 141].

4 ـ وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله ﷺ وما ينبغي أن يذكروا به، فقال: وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب[2].

5 ـ وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: ومن بعد ذلك أن نكفَّ عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم[3].

6 ـ قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني: ويجب أن يعلم: أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم من المشاجرة؛ نكف عنه ونترحم على الجميع، ونثني عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان، ونعتقد أن علياً عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة رضي الله عنهم إن ما صدر منهم كان باجتهاد، فلهم الأجر، ولا يفسقون ولا يبدعون، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18]. وقوله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر». فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده؛ فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه. ويدل على صحة هذا القول: قوله ﷺ للحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[4]، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين، وحكم لهما بصحة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 47]... إلى أن قال: ويجب

[1] مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ، ص 164.
[2] رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الداني ، ص 23.
[3] الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، ص 268.
[4] البخاري ، كتاب الفتن ، رقم 7109.

الكف عمّا شجر بينهم والسكوت عنه[1].

7 ـــ وقال ابن تيمية في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو زيد فيه ونقص وغيّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون[2].

8 ـــ وقال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام: فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطئ ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضاً، وأما المصيب فله أجران[3].

9 ـــ وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب يؤجر أجرين[4].

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان، والترحم عليهم، وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم، ونشر محاسنهم رضي الله عنهم وأرضاهم[5].

سابعاً: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة:

1 . (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة:

من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة، ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه (الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي) مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبه كذباً وزوراً، ومن هذه الأدلة:

ـ إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يدعى (الإمامة والسياسة) ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب (المعارف).

إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب، في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

---

[1] العقيدة فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، ص 67 . 69.
[2] العقيدة فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، ص 67 . 69.
[3] الباعث الحثيث ، ص 182.
[4] فتح الباري (34/13).
[5] عقيدة أهل السنة (740/2).

ـــ إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه مؤلف (الإمامة والسياسة) يختلف تماماً عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا؛ ففي منهج ابن قتيبة أن يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب (الإمامة والسياسة) فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

ـــ يروي مؤلف الكتاب عن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه: قاضي الكوفة، توفي سنة 148 هـــ، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة 213 هـــ أي: بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً.

. إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب.

ـ إن قسماً كبيراً من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيراً ما يجيء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة. ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة، ولم ترد في كتاب من كتبه.

إن مؤلف (الإمامة والسياسة) يروي عن اثنين من كبار علماء مصر، وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين[1].

ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء؛ فهو عندهم من أهل السنة، وثقة في علمه ودينه، يقول السّلفي: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السّنة، ويقول ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة[2].

ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين، هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب (الإمامة والسياسة) الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم[3].

يقول الدكتور علي نفيع العلياني في كتابه (عقيدة الإمام ابن قتيبة) عن كتاب الإمامة والسياسة: وبعد قراءتي لكتاب (الإمامة والسياسة) قراءة فاحصة ترجّحَ عندي أن مؤلف (الإمامة والسياسة) رافضي خبيث، أراد إدماج هذا الكتاب في

[1] عقيدة الإمام ابن قتيبة ، علي العلياني ، ص 90.
[2] لسان الميزان (357/3) ؛ تحقيق مواقف الصحابة (144/2).
[3] تحقيق مواقف الصحابة (144/2).



كتب ابن قتيبة نظراً لكثرتها، ونظراً لكونه معروفاً عند الناس بانتصاره لأهل الحديث وقد يكون من رافضة المغرب، فإن ابن قتيبة له سمعة حسنة في المغرب[1]. ومما يرجّح أن مؤلف (الإمامة والسياسة) من الروافض ما يلي:

- أن مؤلف (الإمامة والسياسة) ذكر على لسان علي رضي الله عنه: أنه قال للمهاجرين: الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدافعوا أهله مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشـــر المهاجرين لنحن أحق الناس به، لأنّا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم... والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل[2] الله، ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلاّ الشيعة.
- إن مؤلف (الإمامة والسياسة) قدح في صحابة رسول الله ﷺ قدحاً عظيماً، فصوَّر ابن عمر رضي الله عنه جباناً، وسعد بن أبي وقاص حسوداً، وذكر محمد بن مسلمة غضب على علي بن أبي طالب؛ لأنه قتل مرحباً اليهودي بخيبر، وإن عائشة رضي الله عنها أمرت بقتل عثمان[3]، والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة وإن شاركهم الخوارج، إلاّ أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة[4].
- إن مؤلف (الإمامة والسياسة) يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبل مصعب بن الزبير، لكونه دعا إلى آل رسول الله ﷺ، ولم يذكر خرافاته وادعائه للوحي[5]، والرافضـــة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد لكونه انتقم من قتلة الحســـين، مع العلم أن ابن قتيبة رحمه الله ذكر المختار من الخارجين على الســـلطان، وبيّن أنه كان يدّعي أن جبريل يأتيه[6].
- إن مؤلف (الإمامة والسياسة) كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصـــحابة مئتي صـــفحة، فقام المؤلف باختصـــار التاريخ الناصـــع المشـــرق وســـوّد الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل، وهذه من أخلاق الروافض المعهودة؛ نعوذ بالله من الضلال والخذلان.
- يقول السيد محمود شكري الآلوسي في مختصره للتحفة الإثنا عشرية: ومن مكايدهم ـ يعني الرافضة ـ: أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة؛ فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم، فيعتبر بقوله ويعتد بروايته؛ كالسدي فإنهما

---

[1] الفتاوى لابن تيمية (391/17).
[2] الإمامة والسياسة (12/1).
[3] الإمامة والسياسة (54/1 . 55).
[4] عقيدة الإمام ابن قتيبة للعلياني ، ص 91.
[5] الإمامة والسياسة (20/2).
[6] المعارف ، ص 401.

رجلان أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غالٍ. وعبد الله بن قتيبة رافض غالٍ وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف، فصنف ذلك الرافضي كتاباً سماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال[1]، وهذا مما يرجح أن كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة الرافضي، وليس لابن قتيبة السني الثقة، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء[2]، والله أعلم.

2. نهج البلاغة:

ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب (نهج البلاغة)؛ فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي؛ وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند، خصوصاً فيما يوافق بدعته؛ فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم ـــ عند المحدثين ـ بوضع النهج؛ فهو أخوه علي[3]، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

ـــ قال ابن خلكان في ترجمة الشريف الرضي: وقد اختلف الناس في كتاب (نهج البلاغة) المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضي؟. وقد قيل: إنه ليس من كلام عليّ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم[4].

ـــ وقال الذهبي: من طالع (نهج البلاغة) جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، ففيه السبّ الصُّراح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممّن بعدهم من المتأخرين جزم بأنّ أكثره باطل[5].

ـــ وقال ابن تيمية: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم، ولا لها إسناد معروف[6].

وأما ابن حجر، فيتّهم الشريف الرضي بوضعه، ويقول: ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ... وأكثره باطل[7].

---

[1] مختصر التحفة الإثنا عشرية للآلوسي، ص 32
[2] عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص 93.
[3] الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص 53.
[4] الوفيات (124/3).
[5] ميزان الاعتدال (124/3).
[6] منهاج السنة (24/4).
[7] لسان الميزان (223/4).

واستناداً إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين هذا الموضوع، فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي رضي الله عنه[1].

ويمكن تلخيص أهمّ ما لاحظه القدامى والمحدثون على نهج البلاغة للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

- خلوُّه من الأسانيد التوثيقية التي تعزِّز نسبة الكلام إلى صاحبه ـ متناً ورواية وسنداً.
- كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل ممّا يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين، مع أن خطب الرسول ﷺ لم تصل إلينا سالمة وكاملة مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.
- رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير عليّ رضي الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.
- اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافي ما عُرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ «الشقشقية» التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شُهر عنه من التقشّف والزهد.
- شيوع السجع فيه، إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتّفق مع البعد عن التكلّف الذي عُرف به عصر الإمام عليّ رضي الله عنه، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيداً عن روحه ومبناه.
- الكلام المنمّق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وَشْي العصر العباسي وزخرفته، ما نجد في وصف الطاووس والخفاش، والنحل والنمل، والزرع والسحاب وأمثالها.
- الصيغ الفلسفية والمقالات الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري، حين تُرجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين[2].

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة، وما وقع بينهم وبين أمير المؤمنين علي، وتعرض نصوصه على الكتاب والسنة؛ فما وافق الكتاب والسنة، فلا مانع من الاستئناس به، وما خالف فلا يلتفت إليه.

3. كتاب الأغاني للأصفهاني:

يعتبر كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين في

[1] الأدب والإسلام ، نايف معروف ، ص 53.
[2] الأدب الإسلامي ، ص 54 ـ 55.

آذان أهل الأدب والتاريخ، فليس معنى ذلك أن يُسكت عما ورد فيه من الشعوبية والدس، والكذب الفاضح والطعن والمعايب، وقد قام الشاعر العراقي والأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سمّاه (السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني) فقد شمّر ـ جزاه الله خيراً ـ عن ساعد الجد، ليميز الهزل من الجد، والسمّ من الشهد، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقد، وهي تغلي في الصدور، كغلي القدور، وأخذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة، تسيء إلى آل البيت النبوي الشريف، وتجرح سيرتهم، وتشوه سلوكهم، كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات؛ وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي القدير وليد الأعظمي في كتابه القيم الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب، والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي، وتفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل[1].

ولقد تحدث العلماء فيه قديماً فقالوا:

ـــ قال الخطيب البغدادي: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها[2].

ـ قال ابن الجوزي:...ومثله لا يوثق بروايته، يصحح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمّل كتاب الأغاني، رأى كل قبيح ومنكر[3]. قال الذهبي: رأيت شيخنا تقيّ الدين بن تيمية يضعّفه، ويتهمه في نقله، ويستهْول ما يأتي به[4].

4 ـ تاريخ اليعقوبي (ت 290 هـ):

هو أحمد بن أبي يعقوب، إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي، من أهل بغداد، مؤرخ شيعي إمامي، كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية حتى لقب بالكاتب العباسي، وقد عرض اليعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية؛ فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلي بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة، ويسمِّي

---

[1] السيف اليماني في نحر الأصفهاني للأعظمي ، ص 9 إلى 14.
[2] تاريخ بغداد (398/11).
[3] المنتظم (40/7 ، 41).
[4] ميزان الاعتدال (123/3).

علي بالوصي، وعندما أرخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يُضْفِ عليهم لقب الخلافة، وإنما قال: تولى الأمر فلان. ثم لم يترك واحداً منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار الصحابة؛ فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أخباراً[1] سيئة، وكذلك عن خالد بن الوليد[2]، وعمرو بن العاص[3]، ومعاوية بن أبي سفيان[4]، وعرض خبر السقيفة عرضاً مشيناً[5] ادعى فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي بن أبي طالب الذي هو الوصي في نظره.

وطريقته في سياق الاتهامات ـــ الباطلة ـــ هي طريقة قومه من أهل التشيع والرفض، وهي إما اختلاق الخبر بالكلية[6]، أو التزيد في الخبر[7] والإضافة عليه، أو عرضه في غير سياقه ومحله حتى يتحرف معناه، ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك، وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتهم في كتابه البلدان باسم الدولة المباركة[8]، مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقية.

وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابه (التاريخ الإسلامي) وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا في التاريخ الإسلامي وسيرة رجاله، مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية؛ إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبية، كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي[9].

5 . المسعودي (ت 345 هـ): كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر):

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، من ولد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[10]، وقيل: إنه كان رجلاً من أهل المغرب[11]، ولكن يُرد عليه بأن المسعودي صرح بنفسه أنه من أهل العراق، وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها[12]، وإنه قصد ببلاد المغرب عكس المشرق، فمصر من بلاد المغرب الإسلامي فلا إشكال[13].

---

(1) تاريخ اليعقوبي (2/180 . 183).
(2) المصدر السابق نفسه (2/131).
(3) المصدر السابق نفسه (2/222).
(4) المصدر السابق نفسه (2/232 ، 238).
(5) المصدر السابق نفسه (2/123 ، 126).
(6) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص 431.
(7) المصدر السابق نفسه.
(8) كتاب البلدان لليعقوبي.
(9) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص 432.
(10) الفهرست لابن النديم ، ص 171؛ سير أعلام النبلاء.
(11) الفهرست ، ص 117.
(12) معجم الأدباء (13/91 . 93).
(13) منهج المسعودي في كتابة التاريخ ، ص 44 ؛ أثر التشيع ، ص 243.

والمسعودي رجل شيعي، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً[1]، وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد آدم تنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا ﷺ، ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك في النص والاختيار، فقدم رأي الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنص[2]، وقد أولى الأحداث المتعلقة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتابه (مروج الذهب) اهتماماً كبيراً أكثر من اهتمامه بحياة الرسول ﷺ في الكتاب المذكور[3]، وركز اهتمامه بالبيت العلوي، وتتبع أخبارهم بشكل واضح في كتابه (مروج الذهب)[4]، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

هذه بعض الكتب القديمة التي نحذر منها والتي كان لها أثر في كتابات بعض المعاصرين، كطه حسين (الفتنة الكبرى: علي وبنوه)، والعقاد في عبقرياته فقد تورطا في الروايات الموضوعة والضعيفة، وقامت تحليلاتهم عليها، وبالتالي لم يحالفهم الصواب، ووقعوا في أخطاء شنيعة في حق الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك عبد الوهاب النجار في كتابه (الخلفاء الراشدون) حيث نقل نصوصاً من روايات الرافضة من كتاب (الإمامة والسياسة)، وحسن إبراهيم حسن في كتابه (عمرو بن العاص) حيث قرّر من خلال الروايات الرافضية الموضوعة بأن عمرو بن العاص رجل مصالح ومطامع ولا يدخل في شيء من الأمور إلا إذا رأى أن فيه مصلحة ومنفعة له في الدنيا[5]، وغير ذلك من الباحثين الذين ساروا على نفس المنوال، فدخلوا في الأنفاق المظلمة بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركام الهائل من الروايات التاريخية.

ثامناً: الاستشراق والتاريخ الإسلامي:

إن من أعظم الفرق أثراً في تحريف التاريخ الإسلامي الشيعة الرافضة بمختلف طوائفها وفرقها، فهم من أقدم الفرق ظهوراً ولهم تنظيم سياسي وتصور عقائدي، ومنهج فكري ـ منحرف ـ، وهم أكثر الطوائف كذباً على خصومهم، كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة ـ كما سيأتي معنا ـ، فسب الصحابة وتكفيرهم من أساسيات معتقدهم وأركانه؛ خاصة الشيخين أبي بكر وعمر، ويسمونهما الجبت والطاغوت[6].

وقد كان للشيعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم وتدوينها في كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي، خاصة الأحداث الداخلية، كما كان للشعوبية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية

---

[1] لسان الميزان (225/4) ؛ أثر التشيع ، ص 246.

[2] مروج الذهب ومعادن الجوهر (38/1).

[3] أثر التشيع على الروايات التاريخية ، ص 248.

[4] المصدر السابق نفسه.

[5] تاريخ عمرو بن العاص ، حسن إبراهيم ، ص 206 ، 207.

[6] الشيعة والسنة ، إحسان إلهي ظهير ، ص 32.



والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وإلى إعلاء طائفة على طائفة أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل؛ وهو ميزان التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصاص وانتشارهم وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة، وانحراف طائفة منهم تبتغي العيش والكسب، فنشروا بينهم أكاذيبهم وحكاياتهم وقصصهم الموضوعة، فتلقفها هؤلاء القُصّاص دون وعي وإدراك ونشروها بين العامة، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة على الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام، مما يسيء لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم.

وقد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيَّض الله مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهد في نقد الرواة والمرويات، فبينوا الزائف من الصحيح، ودافعوا عن عقيدة الأمة وتاريخها، وجهد علماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها وبيان الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء، وفي رسم المنهج في نقد الروايات وقبولها، جهد كبير وموفق.

من أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية ورد زيوف الروايات المكذوبة؛ القاضي ابن العربي في كتاب (العواصم من القواصم)، والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله، خاصة كتابه القيم (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية)، وكذا الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب (سير أعلام النبلاء)، و(تاريخ الإسلام)، و(ميزان الاعتدال في نقد الرجال)، وكذلك الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه (البداية والنهاية)، وأيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، و(لسان الميزان)، و(تهذيب التهذيب)، و(الإصابة في معرفة الصحابة).

أما الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية، وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين؛ فهي كثيرة، ونذكر منها:

- الاختلاق والكذب.
- الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة، فيزيدون فيها وينقصون منها حتى تتشوه وتخرج عن أصلها.
- وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده، والتأويل والتفسير الباطل للأحداث.
- إبراز المثالب والأخطاء، وإخفاء الحقائق والصور المستقيمة.
- صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة؛ لأن الشعر العربي ينظر له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد في توثيق الخبر وتأييده.

❖ وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة، كما وضعت الرافضة كتاب (الإمامة والسياسة) الذي نحلته إلى أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به ـ كما مرّ معنا ..

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات في القرن الماضي علماء الغرب وكتابه من المستشرقين والمنَصّرِين ـــ إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية ـ، فوجدوا فيها ضالتهم، وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم ـ بدافع من عصبيتهم وكرههم للمسلمين ـــ؛ من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها، أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشويه، أو التفسير الخاطئ تبعاً للتصور والاعتقاد الذي يدينون به.

ثم شايع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين في البلاد العربية والإسلامية، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم في البحث، وأفكارهم وتصوراتهم في الفهم والتحليل وتفسير التاريخ، وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين، وكان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين، ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال، وذلك أنهم ادّعوا ـ كأساتذتهم ـــ اتباع الروح العلمية المتجردة والمنهج العلمي في البحث، والحقيقة أن غالبهم لم يتجرد إلا من عقيدته، أما التجرد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في إثبات الواقعات التاريخية، كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون إليها، ومدى أمانة الناقلين، وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشري وطبائعه[1]؛ فلا أثر له عند القوم، فلم يتقنوا من المنهج العلمي إلا الأمور الشكلية؛ مثل الحواشي وترتيب المراجع وما شابهها، وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم[2]!.

يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنّا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضي، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين، بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر المتجرد عن كل آصرة بماضي العروبة والإسلام، جرياً وراء المستشرقين في ارتيابهم حيث تحسن الطمأنينة، وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت، وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم أشباه الدلائل عليه[3].

ومن أهم الوسائل التي اتبعها المستشرقون وتلاميذهم في تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامي:

أ ـ التدخل بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذي يعيشون هم فيه، وحسبما يجول

---

(1) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، محمد صامل ، ص 502.
(2) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص 502.
(3) المصادر الأولى لتاريخنا ، مجلة الأزهر ، سنة 1374 هـ.



بخواطرهم، دون أن يحققوا أولاً الواقعة التاريخية حتى تثبت، ودون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة، وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها، فإنه قبل تفسـير الحادثة لا بد من ثبوت وقوعها، وليس وجودها في كتاب من الكتب كافياً لثبوتها[1]، لأن مرحلة الثبوت مرحلة سـابقة على البحث في تفسـير الواقعة التاريخية، كما ينبغي أن يكون التفسير متمشياً مع منطوق الخبر التاريخي، وموضوع البحث، ومع الطابع العام للمجتمع أو العصر والبيئة التي حدثت فيها الواقعة، كما يشترط أن لا يكون هذا التفسير متعارضاً مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة، كما أنه لا ينبغي أن ينظر في التفسير إلى عامل واحد ـ كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة ـ، وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة في الحدث وخاصـة العوامل العقيدية والفكرية.. ثم إن التفسـير التاريخي للحوادث بعد هذا كله لا يعدو كونه اجتهاداً بشـرياً يحتمل الصـواب والخطأ، ولقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضـالة، وعمد إلى تضـخيم أدوارها، وتصـويرها بصـورة المصلح المظلوم، وبأن المؤرخين المسـلمين قد تحاملوا عليها، فالقرامطة، والإسماعيلية، والرافضـة الإمامية، والفاطمية، والزنج، وإخوان الصـفا، والخوارج؛ كلهم في نظرهم واعتبارهم دعاة إصـلاح وعدالة وحرية ومسـاواة، وثورتهم كانت ثورات للإصلاح وإنكار الظلم والجور.

فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسـلامي ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضـالة أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسـلام؛ فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل جهد مستطاع، ليلاً ونهاراً، وسـراً وجهاراً، ولا يتوقع من مطموس الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم في الضلال.

ولكن الأمر الذين قد يحدث استغراباً عند البعض: أن يحمل راية التشـويه والتحريف بعد سـقوط دولة الاستشـراق كتّاب يحملون أسماء إسـلامية، ومن أبناء المسـلمين، ويقومون بنشـر مثل هذه السـموم على بني جلدتهم؛ ليصـرفوا بها الأغرار عن الصـراط المسـتقيم، ولقد عمد هؤلاء إلى التشـبث بالروايات المشـبوهة والضـعيفة والسـاقطة، يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشعبية والكتب المنحولة والضعيفة؛ فهذه الكتب هي مستنداتهم في الغالب، مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة في الطبري والمسعودي؛ مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها.

لقد وقع الاعتداء على التاريخ الإسلامي ـ خاصة تاريخ الصدر الأول ـ بالتشويه: عن طريق اختيار مواقف مختارة، والتركيز عليها؛ كالمعارك والحروب، مع تصـويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صـفة الجهاد في سـبيل الله، أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصـد إظهار خلافات الصـحابة رضـي الله عنهم، وعرضـها وكأنها نموذج للصـراعات والمكائد

---

[1] منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص 504.

السياسية في وقتنا الحاضر. وبالتجهيل: وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة. وبالتشكيك: وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم، والتشكيك في معلوماتهم وصدقهم. وبالتجزئة: وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات وكأنها لا رابط بينها كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه.

فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي، ومحو معالمه النيرة، وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة؛ لذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها، ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين في آرائهم ومناهجهم، وعدم التلقي منهم إلا بحذر شديد.

فإذا كان علماؤنا رحمهم الله قد نقدوا كثيراً من الرواة وضَعَّفوا روايتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب ورواياتهم الإسرائيليات؛ فإنه ينبغي لنا التوقف في قبول أقوال وتفسيرات من يتلقى من المستشرقين، بل إسقاطها، وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان واضح[1].

* * *

---

[1] منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص 507.

الفصل السابع : موقف أمير المؤمنين علي من الخوارج والشيعة

المبحث الأول : الخوارج

أولاً: نشأة الخوارج والتعريف بهم:

عرف أهل العلم الخوارج بتعريفات؛ منها ما بيَّنه أبو الحسن الأشعري: أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة الذين خرجوا على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبيَّن أن خروجهم على علي هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب لما حكم[1].

وأما ابن حزم فقد بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشاركهم في معتقدهم، فقد قال: ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش؛ فهو خارجي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون وخالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً[2].

وأما الشهرستاني: فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذي اجتمعت الكلمة على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمان كان، حيث قال في تعريفه للخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان[3] وقال ابن حجر معرفاً لهم: والخوارج: الذين أنكروا على علي التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة[4]. وقال في تعريفٍ آخر: أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي: طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين[5].

وأما أبو الحسن الملطي: فيرى أن أول الخوارج المحكمة، الذين ينادون: لا حكم إلا لله، ويقولون: علي كفر، بجعل الحكم إلى أبي موسى الأشعري ولا حكم إلا لله: فرقة الخوارج، سميت خوارج لخروجهم على علي رضي الله عنه يوم الحكمين،

---

[1] مقالات الإسلاميين (207/1).

[2] الفصل في الملل والأهواء والنحل (113/2).

[3] الملل والنحل.

[4] هدي الساري في مقدمة فتح الباري ، ص 459.

[5] فتح الباري (283/2).

حين كرهوا التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله[1].

وأما الدكتور ناصر العقل فيقول: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة الجور[2].

فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على علي رضـي الله عنه بعد قبوله التحكيم في موقعة صـفين، ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب الخوارج، ومن تلك الألقاب: الحرورية[3]، والشـراة[4]، والمارقة، والمحكمة[5]، وهم يرضـون بهذه الألقاب كلها؛ إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية[6].

ومن أهل العلم من يرجع بداية نشـأة الخوارج إلى زمن الرسـول ﷺ، ويجعل أول الخوارج ذا الخويصـرة الذي اعترض على الرسـول ﷺ في قسـمة ذهب كان قد بعث به علي رضـي الله عنه من اليمن في جلد مقروظ؛ فقد جاء عن أبي سـعيد الخدري رضـي الله عنه: أنه قال: بعث علي بن أبي طالب إلى رسـول الله ﷺ من اليمن بذهبة في أديم مقرظ[7]، لم تحصَّـل من ترابها[8]، قال: فقسـمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن حصـن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن كلاثة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصـحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبيﷺ، فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السـماء يأتيني خبر السـماء صباحاً ومسـاء»، قال: فقام رجل غائر العينين مشـرف الوجنتين ناشـز الجبهة[9]، كث اللحية محلوق الرأس مشـمر الإزار، فقال: يا رسـول الله! اتق الله، فقال: «ويلك! أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله»، قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسـول الله ألا أضـرب عنقه، فقال: «لا، لعله أن يكون يصلي»، قال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس[10]. ولا أشـق بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مقفٍ[11]، فقال: «إنه يخرج من ضـئضـئ[12] هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السـهم من الرمية»، قال: أظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم

---

[1] التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، ص 47.

[2] الخوارج ، ناصر العقل ، ص 28.

[3] سموا بهذا الاسم لنزولهم بحروراء في أول أمرهم.

[4] سموا شراة لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله ، أي: بعناها بالجنة.

[5] سموا بهذا الاسم لإنكارهم الحكمين ، وقولهم: لا حكم إلا لله.

[6] مقالات الإسلاميين (207/1).

[7] أي: في جلد مدبوغ بالقرظ.

[8] أي: لم تميز ، ولم تصفَّ من تراب معدنها.

[9] أي: مرتفع الجبهة.

[10] أي: أفتش وأكشف ، ومعناه: أني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

[11] مقفٍ: أي مولٍّ.

[12] ضئضئ: هو بضادين معجمتين مكسورتين ، واخره مهموز وهو أصل الشيء.

قتل ثمود»[1].

قال ابن الجوزي عند هذا الحديث: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي، وفي لفظ: أنه قال له: اعدل، فقال: «ويلك ومن لم يعدل إذا لم أعدل»؟!![2]، فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وافته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3].

وممن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة، أبو محمد بن حزم[4]، وكذا الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل)[5].

ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه بإحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله رضي الله عنه ظلماً وعدواناً، وسميت تلك الفتنة التي أحدثوها بالفتنة الأولى[6]، وقال شارح الطحاوية: فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى[7]، وقد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان وقتلوه اسم الخوارج، حيث قال في صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً[8].

الرأي الراجح في بداية نشأة الخوارج:

وبالرغم من الارتباط القوي بين ذي الخويصرة والغوغاء الذين خرجوا على عثمان، وبين الخوارج الذين خرجوا على علي بسبب التحكيم؛ فإن مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الخاصة، أحدثت أثراً فكرياً وعقائدياً واضحاً، بعكس ما سبقها من حالات[9].

ثانياً: ذكر الأحاديث التي تتضمَّن ذم الخوارج:

وردت أحاديث كثيرة عن النبيﷺ في ذم الخوارج المارقة، وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم في أخبث المنازل. فمن الأحاديث التي وردت الإشارة فيها إلى ذمهم: ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي

---

[1] أخرجه البخاري (232/2) ؛ ومسلم (742/2).
[2] أخرجه مسلم (740/2).
[3] تلبيس إبليس ، ص 90.
[4] الفصل في الملل والأهواء والنحل (157/4).
[5] الملل والنحل (116/1).
[6] عقيدة أهل السنة في الصحابة (1141/3).
[7] شرح العقيدة الطحاوية ، ص 563.
[8] البداية والنهاية (202/7).
[9] فرق معاصرة للعواجي (67/1) ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 297.

الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟!، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله! ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم[1]، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[2] ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه[3]، فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نفسه، وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، وقد سبق الفرث والدم[4]، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة[5] تدردر[6]، ويخرجون على حين فرقة من الناس»، قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظر إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته[7].

وروى الشيخان أيضاً من حديث أبي سلمة وعطاء بن يسار: أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية؛ هل سمعت النبي ﷺ يقول: «يخرج في هذه الأمة ـ ولم يقل منها ـ قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم ـ

أو حناجرهم ـــ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقة[8]؛ هل علقت بها من الدم شيء[9].

وروى البخاري من حديث يسير بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئاً؟ قال: سمعته يقول: وأهوى بيده قبل العراق: «يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية».

ففي هذه الأحاديث الثلاثة ذم واضح لفرقة الخوارج، فقد وصفهم ﷺ بأنهم طائفة مارقة، وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعاً لم يتمسكوا منه بشيء، كما اشتمل الحديث الأول في هذه الثلاثة الأحاديث أنهم يقاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا، وكل

---

[1] تراقيهم: جمع ترقوة ، وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق ، وهما ترقوتان من الجانبين.

[2] الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك ، وقيل: كل دابة مرمية.

[3] رصافه: يقال: رصف السهم إذا شده بالرصاف ، وهو عقب يلوى على مدخل النصل فيه.

[4] يعني: مرَّ مراً سريعاً في الرمية لم يعلق به شيء من الفرث والدم.

[5] البضعة: القطعة من اللحم. النهاية في غريب الحديث (133/1).

[6] تدردر: أي: ترجرج تجيء وتذهب. النهاية في غريب الحديث (112/2).

[7] مسلم (743/2 ـ 744).

[8] الفوقة: هي الحجر الذي يجعل فيه الوتر.

[9] مسلم (743/2 ـ 744).

هذا وقع وحصل كما أخبر به صلى الله عليه وسلم.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : «لا يجاوز تراقيهم» احتمالات:

1. يحتمل أنه لكون قلوبهم لا تفقه، ويحملونه على غير المراد به.
2. يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله[1].

ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها الرسول ﷺ: أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وأنهم عندما يقرؤون القرآن يظنون لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم؛ وهو عليهم.

فقد روى البخاري رحمه الله من حديث علي رضي الله عنه: أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثاً؛ فوالله لأن آخر من السماء أحبّ إليّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان[2]؛ أحداث الأسنان[3]، سفهاء الأحلام[4] يقولون من خير قول البرية[5]، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[6].

وفي هذين الحديثين ذم للخوارج بأنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق، فقد دلَّ الحديث الأول على أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب[7]، وأما هذا الحديث الذي هو حديث زيد بن وهب الجهني عن علي رضي الله عنه فقد أطلق الإيمان فيه على الصلاة، وكلا الحديثين دلاّ على أن إيمانهم محصور في نطقهم وأنه لا يتجاوز حناجرهم، ولا تراقيهم، وهذا من أبشع الذم وأقبحه لمن وصف به[8].

ومن الصفات القبيحة التي ذمهم بها عليه الصلاة والسلام: أنهم يمرقون من الدين ولا يوفقون للعودة إليه، وأنهم شر الخلق والخليقة: فقد روى مسلم رحمه الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بعدي من أمتي ــ أو سيكون بعدي من أمتي ـ قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم يعودون

---

[1] فتح الباري (618/6). ما قاله القاضي عياض في شرح النووي (159/7).

قال الحافظ ابن حجر: المراد باخر الزمان زمان خلافة النبوة ، فإن في حديث سفينة المخرج في السنن وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعاً: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكاً» ،

[2] وكانت قصة الخوارج وقتلهم النهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وثلاثين للهجرة. فتح الباري (287/12).

[3] صغار السن. شرح النووي (169/7).

[4] ضعفاء العقول. فتح الباري (619/6).

[5] أي: من القرآن ، كما في حديث أبي سعيد المتقدم: يقرؤون القرآن.

[6] البخاري (281/2).

[7] فتح الباري (281/2).

[8] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1183/3).

فيه، هم شر الخلق والخليقة»[1].

وروي من حديث أبي ســعيد: أن النبيﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس ســيماهم التحالف قال: «هم شر الخلق ـ أو من شر الخلق ـ، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق».

ومن صفاتهم التي ذُمّ بها الخوارج على لسان رسول الله ﷺ أنهم من أبغض الخلق إلى الله:

فقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ: أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل[2]، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً إني لأعرف صفتهم، وهؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم ـــ وأشار إلى حلقه ـــ من أبغض خلق الله إليهم؛ منهم أســود إحدى يديه طبي شــاة[3]، أو حلمة ثدي، فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضــي الله عنه، قال: انظروا؛ فلم يبدو شــيئاً، فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثاً، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضــعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم[4].

ومن صفاتهم القبيحة التي كانت ذماً لهم على لسـان رسول الله ﷺ أنهم حرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه[5]، فقد روى مسـلم في صـحيحه من حديث يُسَـيْر بن عمرو عن سـهل بن حنيف عن النبيﷺ قال: يتيه قوم قبل المشــرق محلقة رؤوســهم[6]، قال النووي: قوله ﷺ: يتيه قوم قبل المشــرق، أي: يذهبون عن الصــواب، وعن طريق الحق، يقال: تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق والله أعلم[7].

ومن الصفات المذمومة التي تلبسوا بها، وأخبر النبيﷺ أنها واقعة فيهم: أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام، وترك عبدة الأوثان والصلبان[8]:

فقد روى الشـيخان في صـحيحيهما من حديث أبي سـعيد الخدري قال: بعث علي رضــي الله عنه وهو باليمن بذهبة في

---

[1] مسلم (750/2).

[2] معناه: أن الكلمة أصلها صدق ، قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ لكنهم أرادوا بها الإنكار على علي في تحكيمه. شرح النووي (173/7 . 174).

[3] المراد: ضرع الشاة.

[4] مسلم (749/2).

[5] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1184/3).

[6] مسلم (750/2).

[7] شرح النووي (175/7).

[8] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1184/3).

تربتها إلى رسول الله ﷺ، قسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر... فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين[1]، ناتئ الجبين[2]، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: «فمن يطع الله إن عصيته؟!، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟!» قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله؛ يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ: «إن من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[3].

وفي هذا معجزة باهرة للرسول ﷺ؛ حيث وقع منهم ما أخبر به ﷺ، فإنهم كانوا يسلون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل، وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارى[4]، كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

ومن الصفات القبيحة التي كانت ذماً وعاراً مشيناً للخوارج: أن الرسول ﷺ حَرَّض على قتلهم إن هم ظهروا، وأخبر عليه الصلاة والسلام: أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود، وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالى يوم القيامة.

وقد شرف الله رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب بمقاتلتهم؛ وقتلهم؛ إذ إن ظهورهم كان في زمنه رضي الله عنه وأرضاه، على وفق ما وصفهم به رسول الله ﷺ من العلامات الموجودة فيهم، فقد خرج رضي الله عنه إلى الخوارج بالجيش الذي كان هيأه للخروج إلى الشام، فأوقع بهم بالنهروان، ولم ينجُ منهم إلا دون العشرة، كما سيأتي بيانه.

ولم يقاتلهم رضي الله عنه حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، ولما أظهروه من الشر من أعمالهم وأقوالهم.

وحسبنا هنا من الأحاديث الواردة في ذم الخوارج ما تقدم ذكره، إذ الأحاديث الواردة في ذمهم كثيرة قلما يخلو منها كتاب من كتب السنة المطهرة[5]. وسيأتي الحديث في الصفات القادمة بإذن الله تعالى عن بداية انحيازهم إلى حروراء، ومناظرة ابن عباس لهم، وحرص أمير المؤمنين علي على تبصيرهم وهدايتهم، وعن أسباب معركة النهروان والنتائج التي ترتبت عليها، وعن أحوال الخوارج، ومناقشة تلك الأصول، وهل الفكر الخارجي لا زالت أفكاره موجودة بين الناس؟ وما أسباب ذلك؟ وكيفية معالجتها؟

---

[1] مشرف الوجنتين: أي غليظهما ، والوجنة: ما ارتفع من لحم خده.

[2] ناتئ الجبين: أي بارز الجبين ، من النتوء: وهو الارتفاع.

[3] البخاري (232/2) ؛ ومسلم (741/2. 742).

[4] عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (118/3).

[5] عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (118/3).

ثالثاً: انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم:

انفصل الخوارج في جماعة كبيرة من جيش علي رضي الله عنه أثناء عودته من صفين إلى الكوفة، قدّر عددها في رواية: ببضعة عشر ألفاً، وحدّد في رواية: باثني عشر ألفاً[1]، وفي رواية: بثمانية آلاف[2]، وفي رواية: بأنهم أربعة عشر ألفاً[3]، كما ذكر: أنهم عشرون ألفاً[4]، وهذه الرواية التي تذكر أنهم عشرون ألفاً، قد جاءت بدون إسناد[5].

وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل، وقد أقلق هذا التفرق أصحاب علي وهالهم، وسار علي بمن بقي من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة، وانشغل أمير المؤمنين بأمر الخوارج خصوصاً بعدما بلغه تنظيم بجماعتهم من تعيين أمير للصلاة وآخر للقتال، وأن البيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يعني انفصالهم فعلياً عن جماعة المسلمين، وكان أمير المؤمنين علي حريصاً على إرجاعهم بجماعة المسلمين، فأرسل ابن عباس إليهم لمناظرتهم، وهذا ابن عباس يروي لنا الحادثة، فيقول: فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، وترجّلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيراً، فقالوا: مرحباً بك يا بن عباس، ما هذه الحلة؟ قال: ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل، ونزلت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: 32]، قالوا: فما جاء بك؟ قال: قد أتيتكم من عند صحابة النبي من المهاجرين والأنصار، من عند ابن عم النبي ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم ومنهم أحد لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه، قالوا: ثلاث، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾، ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة فما الثانية؟، قالوا: فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كانوا كفاراً لقد حل سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم. قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم من كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر

---

[1] تاريخ بغداد (160/1).
[2] البداية والنهاية (280/7 . 281) ، إسناده صحيح ؛ مجمع الزوائد (235/6).
[3] مصنف عبد الرزاق (157/10 . 160) ، بسند حسن.
[4] تاريخ خليفة ، ص 192.
[5] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 303.

الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه، أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: 95]، وكان من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، بل هذا أفضل، وفي المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 35]، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة، خرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب، ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحلّ منها ما نستحل من غيرها؛ فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمنا؛ فقد كفرتم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[الأحزاب: 6] فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، إن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلي: «اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله»، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: «امح يا علي، اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله»، والله لرسول الله ﷺ خير من علي، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة؛ أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم، فقاتلوا على ضلالتهم من قاتلهم من المهاجرين والأنصار[1].

ويمكننا أن نستخرج من مناظرة ابن عباس للخوارج مجموعة من الدروس والعبر والحكم منها:

1 ــ حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم، فقد اختار أمير المؤمنين علي ابن عمه عبد الله بن عباس، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن؛ لأن القوم كانوا يعرفون بالقرّاء ويعتمدون في الاستدلال على معتقدهم بالقرآن، لذا كان أولى الناس بمناظرتهم هو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله، ويمكن القول بأن ابن عباس رضي الله عنه هو صاحب الاختصاص في هذه المناظرة، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، واجتناب الهوى، والتحلي بالحلم والصبر، والتريث والترفق بالخصم، وحسن الاستماع لكلام الخصوم، وتجنب المماراة، ووضوح الحجة وقوة الدليل.

2 ــ الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق، فقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخصومه من الخوارج متفقين على الأخذ من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وكذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنه؛ حيث قال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم؛ أترضون؟ ومع هذا فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يستوثق

[1] خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ، تحقيق: أحمد البلوشي ، ص 200 إسناده حسن.

منهم قبل بداية المناظرة.

3 ـــ معرفة ما عند الخصم من الحجج واستقصاؤها، والاستعداد لها قبل بداية المناظرة، ونتوقع أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه علم بحججهم قبل مناظرتهم، وقرر لأصحابه كيفية الرد عليها.

4 ـــ تفنيد مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى، حتى لا يبقى لهم حجة كما يتضح من كلام ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته لهم كلما فرغ من تفنيد حجة قال: أخرجت من هذه؟.

5 ـــ التقديم للمناظرة بما يخدم نتيجتها لصالح الحق، فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال في بداية الأمر وقبل المناظرة: أتيتكم من عند أصحاب النبيﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم أحد منهم[1].

6 ـ إظهار احترام رأي الخصم أثناء المناظرة، ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس للخوارج[2].

7 . وقد وفّق الله عز وجل الآلاف من هؤلاء، إذ بلغ عدد من شهد معركة النهروان منهم أقل من أربعة آلاف . كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى ـ، وذلك عندما عرفوا الحق، وزالت عنهم الشبهة بفضل الله ثم بفضل ما أوتيه ابن عباس من علم وقوة وحجة وبيان، إذ وضح لهم بطلان ما احتجوا به، بتفسير الآيات التي تأولوها التفسير الصحيح، وبالسنة النبوية المشرفة والتي توضح معاني القرآن الكريم[3].

8 ـــ قول ابن عباس: وليس فيكم منهم أحد[4]، هذا نص صريح من ابن عباس في كون الخوارج لا يوجد فيهم أحد من أصحاب الرسول ﷺ، ولم يعترض عليه أحد من الخوارج، والرواية صحيحة وثابتة، كما أنه لا يوجد أحد من علماء أهل السنة . على حد علمي . قال بأن الخوارج كان فيهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وأما الزعم بأن الخوارج كان فيهم بعض الصحابة؛ فذلك عند المذهب الخارجي، وليس لهم دليل علمي موثوق على قولهم.

9 ـــ تحديد المرجعية: في قول ابن عباس: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم؛

---

[1] المصدر السابق نفسه ص 197 ، إسناده حسن.

[2] منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص 339.

[3] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 307.

[4] خصاص علي بن أبي طالب للنسائي ، ص 200 ، إسناده حسن ، للبلوشي.

أترجعوه؟ قالوا: نعم.

ففي كلام ابن عباس هذا درس مهمّ ألا وهو تحديد المرجعية للمتناظرين حتى يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة من خلال المناظرة.

رابعاً: خروج أمير المؤمنين لمناظرة بقية الخوارج، وسياسته في التعامل معهم بعد رجوعهم للكوفة، ثم خروجهم من جديد:

بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم لهم، خرج أمير المؤمنين علي بنفسه إليهم، فكلمهم فرجعوا ودخلوا الكوفة، إلا أن هذا الوفاق لم يستمر طويلاً، بسبب أن الخوارج فهموا من علي رضي الله عنه أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيئته ـ حسب زعمهم ـ، وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس، فجاء الأشعث بن القيس الكندي إلى أمير المؤمنين، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر، فخطب علي رضي الله عنه يوم الجمعة، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ذكرهم ومباينتهم الناس، وأمرهم الذي فارقوه فيه[1]، وفي رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا نواحي المسجد يحكِّمون الله، فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغى بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم[2]، وأخذ يسكتهم بالإشارة وهو على المنبر، فقام رجل منهم واضعاً إصبعيه في أذنيه ويقول: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]، فرد أمير المؤمنين علي بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ﴾ [الروم: 60].

وأعلن أمير المؤمنين علي سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة، فقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثاً:

1 ـ لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.

2 ـ ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا.

3 ـ ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[3].

فقد سلم لهم أمير المؤمنين علي بهذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة، أو يخرجوا على جماعة المسلمين، مع احتفاظهم بتصوُّراتهم الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية، فهو لا يخرجهم بدايةً من الإسلام، وإنما يسلم لهم بحق الاختلاف دون أن

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة (15/312 ـ 313)؛ صححه الألباني في إرواء الغليل (8/118 ـ 119).

[2] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 452.

[3] مصنف ابن أبي شيبة (15/327 ـ 328)؛ والشافعي في الأم (4/136)؛ وتاريخ الطبري (5/688) بسند ضعيف للانقطاع، إلا أن للسند شواهد وقد توبع. قاله الألباني في إرواء الغليل (8/117 ـ 118).

يؤدي إلى الفرقة وحمل السلاح[1].

ولم يزج أمير المؤمنين بالخوارج بالسجون أو يسلط عليهم الجواسيس، ولم يحجر على حرياتهم، ولكنه رضي الله عنه حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بآرائهم ومظهرهم، فقد أمر مؤذنه بأن يدخل عليه القراء ولا يدخل أحد إلا قد حفظ القرآن، فامتلأ الدار من قراء الناس، فدعا بمصحف إمام عظيم، فطفق يصكه بيديه ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأله عنه، إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه؛ فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله؛ يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: 35]، فأمة محمد أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا علي أن كاتبت معاوية، كتبت علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشاً، فكتب رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: «كيف تكتب»؟ قال: اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: «اكتب» فكتب، فقال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ»، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً، يقول الله تعالى في كتابه: [2] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر﴾ [الأحزاب: 21].

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبي موسى الأشعري حكماً، طلبوا منه الامتناع عن ذلك، فأبى علي عليهم ذلك، وبيَّن لهم أن هذا يعد غدراً ونقضاً للأيمان والعهود، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهوداً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ [النحل: 91].

فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين علي وتعيين أمير عليهم، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبةً بليغة زهدهم في الدنيا، ورغبهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد، إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن، منكرين لهذه الأحكام الجائرة.

ثم قام حرقوص بن زهير، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

[1] الوظيفة العقدية للدولة الإسلامية ، حامد عبد الماجد ، ص 47

[2] مسند أحمد (656/2) ، قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128].

فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم إن الرأي ما رأيتم، وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسنان، ومن راية تحقون بها، وترجعون إليها، فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي ــ وكان من رؤوسهم ــ فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبةً في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت(1).

واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصن الطائي السنسبي، فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى: ﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: 26]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 44 ــ 47]، ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا، أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، فبكى رجل منهم يقال له: عبد الله بن شجرة السلمي، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن فشلتم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته(2).

قال ابن كثير بعد أن ذكر ما أملاه الشيطان لهم مما تقدم ذكره: وهذا ضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوّع خلقه كما أراد، وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً *الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا *أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾ [الكهف: 103. 105].

والمقصود: أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخي، ولا تخرجوا من

(1) البداية والنهاية (312/7) ؛ تاريخ الطبري (689/5).
(2) البداية والنهاية (312/7).

الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحداناً لئلا يفطن بكم، فكتبوا كتاباً عاماً إلا من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحداناً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأخوال والخالات، وفارقوا سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظام والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السموات الذي نصب العداوة لأبينا آدم، ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات.

وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم، فردوهم وأنَّبوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة، ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع، ووافى إليهم من كانوا يكتبون إليه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة[1].

ولما تفرق الحكمان على غير رضا، كتب أمير المؤمنين علي إلى الخوارج وهم مجتمعون بالنهروان: أن الحكمين تفرقا على غير رضا، فارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام، فأبوا ذلك، وقالوا: حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب، فأبى[2]. وفي رواية: كتبوا إليه: أما بعد: فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين. فلما قرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم[3].

إن قضية إعلان الخوارج كفر علي وطلبهم منه التوبة، لا تثبت بهذه الروايات، ولكنها تتفق مع رأي الخوارج في تكفير علي وعثمان وامتحان الناس بذلك[4].

خامساً: معركة النهروان 38 هـ:

1. سبب المعركة:

كانت الشروط التي أخذها أمير المؤمنين علي على الخوارج أن لا يسفكوا دماً ولا يروعوا امناً، ولا يقطعوا سبيلاً، وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب، ونظراً لأن الخوارج يكفِّرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله، فقد بدؤوا

---

(1) البداية والنهاية (312/7 ، 313).

(2) أنساب الأشراف (63/2) ، بسند فيه ضعف ، وله شواهد.

(3) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 319.

(4) المصدر السابق نفسه ، ص 318.

بسفك الدماء المحرمة في الإسلام، وقد تعددت الروايات في ارتكابهم المحظورات.

ومما صحَّ من هذه الروايات ما حدث به شاهد عيان كان من الخوارج، ثم تركهم؛ حيث قال: صحبت أصحاب النهر، ثم كرهت أمرهم، فكتمته خشية أن يقتلوني، فبينما أنا مع طائفة منهم، إذ أتينا على قرية وبيننا وبين القرية نهر، إذ خرج رجل من القرية مذعوراً يجر رداءه، فقالوا له: كأننا روعناك؟ قال: أجل، قالوا: لا روع لك، فقلت: والله يعرفوه ولم أعرفه، فقالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبيﷺ؟ قال: سمعته يقول: إنه سمع النبيﷺ ذكر فتنة فقال: «القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول»، فأخذوه وسرية له معهم، فمر بعضهم على ثمرة ساقطة من نخلة، فأخذها فألقاها في فيه، فقال بعضهم: ثمرة معاهد فبم استحللتها؟ فألقاها من فيه، ثم مروا على خنزير فنفحه بعضهم بسيفه فقال بعضهم: خنزير معاهد فبم استحللته؟ فقال عبد الله بن خباب: ألا أدلكم على ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم، قال: أنا، ولكنهم قدموه إلى النهر فضربوا عنقه. يقول الراوي: فرأيت دمه يسيل على الماء، كأنه شراك ماء اندفر بالماء حتى توارى عنهم[1]، ثم دعوا بالسرية وهي حبلى، فبقروا عما في بطنها. يقول الراوي: لم أصاحب قوماً هم أبغض إليّ صحبة منهم، حتى وجدت خلوة فانفلت[2].

أثار هذا العمل الرعب بين الناس، وأظهر مدى إرهابهم ببقر بطن هذه المرأة وذبحهم عبد الله كما تذبح الشاة، ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يهددون الناس قتلاً، حتى إن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم! ما على هذا فارقنا علياً[3].

بالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين علي إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة[4]، فسار إليهم بجيشه الذي قد أعده لقتال أهل الشام في شهر محرم من عام 38هـ[5]، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان[6].

---

[1] أي: لم يختلط بالماء. تاريخ بغداد (205/1 . 206).

[2] مصنف ابن أبي شيبة (310/15 . 311) ، بسند صحيح.

[3] مجموع الزوائد (237/6 . 238) ، إسناده صحيح.

[4] مصنف ابن أبي شيبة (308/15 . 309) ، بسند صحيح.

[5] أنساب الأشراف (63/2) ، بسند فيه مجهول ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 322.

[6] تاريخ بغداد (205/1 . 206).

2. تحريض أمير المؤمنين علي جيشه على القتال:

كان أمير المؤمنين علي رضـــي الله عنه يدرك أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عناهم رســـول الله ﷺ بالمروق من الدين، لذلك أخذ يحث أصحابه أثناء مسيرهم إليهم ويحرضهم على قتالهم، وكان لأحاديث رسول الله ﷺ في الخوارج أثرها لدى الصحابة وأتباع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد كان رضي الله عنه يحث جيشه على البدء بهؤلاء الخوارج، فقال: أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضـد وليس له ذراع، على رأس عضـده مثل حلمة الثدي عليه شـعيرات بيض» فتذهبون إلى معاوية وأهل الشـــام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله[1].

وقال رضي الله عنه في يوم النهروان: أمرت بقتال المارقين، وهؤلاء المارقون[2].

وعسـكر الجيش في مقابلة الخوارج يفصـل بينهما نهر النهروان، وأمر جيشـه أن لا يبدؤوا بالقتال حتى يجتاز الخوارج النهر غرباً، وأرسل علي رضي الله عنه رسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، وأرسل إليهم البراء بن عازب رضي الله عنه يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا[3]، ولم تزل رســـله تختلف إليهم حتى قتلوا رســـله، واجتازوا النهر[4]، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل في كل محاولات الصلح وحفظ الدماء، ورفضوا عناداً واستكباراً العودة إلى الحق وأصروا على القتال، قام أمير المؤمنين بترتيب الجيش، وتهيئته للقتال[5]، فجعل على ميمنته حجر بن علي، وعلى الميســـرة شـــبث بن ربعي، ومعقل بن قيس الرياحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة وكانوا في سبعمئة قيس بن سـعد بن عبادة، وأمر علي أبا أيوب الأنصـاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصـرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصـرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فرجعوا على علي وكان على ميمنتهم زيد

---

[1] مسلم (748/2 . 749).

[2] السنة لابن أبي عاصم ، تحقيق: الألباني ، وقال المحقق: حديث صحيح ، إسناده ضعيف ، وللحديث شواهد. خلافة علي ، ص 323.

[3] السنن الكبرى للبيهقي (197/8) ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 324.

[4] مصنف ابن أبي شيبة (325/15 . 327).

[5] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 324.

بن حصن الطائي السنبيسي، وعلى الميسرة شريح بن أوفى، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي، فوقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه[1].

3. نشوب القتال:

وزحف الخوارج إلى علي، وقدم علي بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة وصفَّ الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة، فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج، فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقتل أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سخيرة السلمي[2]، وقال أبو أيوب: وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح، فأنفذته من ظهره وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار، فقال: ستعلم أينا أولى بها صليّاً[3].

وقد اعتزل كثير من الخوارج القتال لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب الراسبي، كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار والوهن في اليقين، وهذه الكلمة قالها عندما ضرب علي رضي الله عنه رجلاً من الخوارج بسيفه، فقال الخارجي: حبذا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب: ما أدري إلى الجنة أم إلى النار[4]، فقال رجل من بني سعد وهو فروة بن نوفل الأشجعي: إنما حضرت اغتراراً بهذا وأراه قد شك؟ فانعزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى أبي أيوب الأنصاري، وجعل الناس يتسللون[5].

وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتاً من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة 38/2/9هـ[6].

وأسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى في صفوف الخوارج، وكان الحال على عكس ذلك تماماً في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقتلى أصحاب علي فيما رواه مسلم في صحيحه، وعن زيد بن وهب: رجلان فقط[7]،

---

[1] تاريخ الخلافة الراشدة ، محمد كنعان ، ص 425 ، مختصر من البداية والنهاية.

[2] المصدر السابق نفسه.

[3] المصدر السابق نفسه.

[4] أخبار الخوارج من الكامل للمبرد ، ص 21 ؛ خلافة علي ، ص 325.

[5] المصدر السابق نفسه؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 325.

[6] أنساب الأشراف (63/2) ، بسند فيه مجهول.

[7] مسلم (748/2).

وفي رواية بسند حسن قال: وقتل من أصحاب علي اثنا عشر أو ثلاثة عشر[1]، وجاء في رواية صحيحة: أن أبا مجلز[2] قال: ولم يقتل من المسلمين ـ يقصد جيش علي ـ إلا تسعة رهط، فإن شئت فاذهب إلى أبي برزة[3]، فاسأله فإنه قد شهد ذلك[4].

وأما قتلى الخوارج، فتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعاً[5]، ويذكر المسعودي أن عدداً يسيراً لا يتجاوز العشرة فروا بعد الهزيمة الساحقة[6].

4 . ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه:

ظهرت روايات مختلفة في تحديد شخصية ذي الثدية، وهذه الروايات منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوي، وقد جاء في الأحاديث النبوية أوصاف ذو الثدية، فمن ذلك: أنه أسود البشرة[7]، وفي رواية: حبشي، وأنه مخدج اليد، أي: ناقص اليد، ويده صغيرة مجتمعة، فهي من المنكب إلى العضد فقط، أي: بدون ذراع، وفي نهاية عضده مثل حلمة الثدي وعليها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم؛ إذ إنها «تدردر» أي: تتحرك تذهب وتجيء، أما مخدج اليد، أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلها بمعنى واحد؛ وهو ناقص اليد[8].

وأما اسمه فقد أخطأ من قال: إن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير السعدي[9]، فحرقوص رجل مشهور كان له دور في الفتوح الإسلامية، ثم خرج على عثمان رضي الله عنه، وقد فرَّ إثر معركة الجمل الصغرى التي قتل فيها الزبيرَ وطلحةَ رضي الله عنهما قتلةُ عثمان بالبصرة، وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين[10].

إلا أنه قد ورد في رواية: أن اسمه «حرقوس»؛ أما أبوه فلا يعرفه أحد، وجاء في رواية أن اسمه مالك، وذلك أنهم بحثوا عنه فلما وجدوه قال علي: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟ فجعل الناس يقولون: هذا مالك هذا مالك، فقال علي:

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (311/5) ؛ تاريخ خليفة ، ص 197 ، بسند حسن.

(2) لاحق بن حميد السدوسي البصري ، ثقة من كتاب الثالثة.

(3) نضلة بن عبيد الأسلمي ، صحابي مشهور بكنيته ، مات سنة 65 هـ.

(4) المعرفة والتاريخ (315/3) ؛ تاريخ بغداد (182/1).

(5) أخبار الخوارج من الكامل ، ص 338.

(6) خلافة علي بن أبي طالب ، ص 329 ؛ تاريخ خليفة ، ص 197.

(7) مصنف عبد الرزاق (146/10).

(8) النهاية في غريب الحديث (12/1 ، 13) ؛ فتح الباري (294/12 . 295).

(9) الملل والنحل (115/1).

(10) فتح الباري (292/12) ؛ الإصابة (139/1).

ابن من[1]؟ فلم يعرف أحد أبوه.

وقد ورد في رواية صححها الطبري: أن اسمَه نافع ذو الثدية كما قد جاء عند ابن أبي شيبة وأبي داود، إلا أن طريقهما واحد، فبعدما جاء في المصادر الثلاثة رواية واحدة ذات طريق واحد[2]، كان علي رضي الله عنه يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، وكثيراً ما كان يتعرض إلى ذكر ذي الثدية، وأنه علامة هؤلاء، ويسرد أوصافه.

وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر علي رضي الله عنه أصحابه بالبحث عن جثة المخدج، لأن وجودها من الأدلة على أن علياً رضي الله عنه على حق وصواب، وبعد مدة من البحث مرت على علي وأصحابه وجد أمير المؤمنين عليّ جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر فقال: أخرجوهم، فإذا المخدج تحتهم جميعاً مما يلي الأرض، فكبر علي ثم قال: صدق الله، وبلَّغ رسوله، وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا[3].

5. معاملة أمير المؤمنين علي للخوارج:

عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعده معاملة المسلمين؛ فما أن انتهت المعركة حتى أصدر أمره في جنده بأن لا يُتبع مدبر، أو يذفف على جريح، أو يمثل بقتيل، يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبي وائل ـــ أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع علي حروبه : لم يسبِ علي يوم الجمل ولا يوم النهروان[4]، وقد حمل رثة أهل النهر إلى الكوفة وقال: من عرف شيئاً فليأخذه، فجعل الناس يأخذون حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها، وهذه الرواية لها طرق عدة[5]، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من السلاح والكراع فقط.

وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يكفر الخوارج، إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلى الجماعة وقد رجع كثير منهم، ووعظهم وخوفهم القتال، يقول ابن قدامة: وإنما كان كذلك؛ لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم، فإن أمكن لمجرد القول كان أولى من القتال، لما فيه من الضرر بالفريقين، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين، كما قال بذلك كثير من العلماء[6].

وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يسميهم الفاسقين، فعن مصعب بن سعد قال: سألت أبي عن هذه الآية: ﴿قُلْ

---

[1] الفتح الرباني على مسند الإمام أحمد (155/23)؛ بإسناد حسن ؛ والبداية والنهاية (294/7 ، 295).
[2] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 334.
[3] مصنف ابن أبي شيبة (317/15 . 319) ، بسند صحيح.
[4] السنن الكبرى للبيهقي (182/8) ، بسند صحيح.
[5] تلخيص الحبير (47/4).
[6] فتح الباري (300/12 . 301) ؛ نيل الأوطار (182/8).

هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً *الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 103 ـ 104] أهم الحرورية؟ قال: لا، هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا بمحمد ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحرورية... ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 26 ـ 27]. وكان سعد يسميهم الفاسقين[1]، وفي رواية عن سعد رضي الله عنه أنه قال لما سئل عنهم: هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم[2].

وقد سئل علي رضي الله عنه: أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، فقيل: منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم، وفي رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم، وفي رواية: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا[3]، كما أنه رضي الله عنه وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: إن خالفوا إماماً عادلاً فقاتلوهم، وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالاً[4].

والملاحظ في قتال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للخوارج وقتاله في الجمل وصفين: أن علياً رضي الله عنه ندم وحزن على قتاله في وقعة الجمل وصفين، أما في قتاله مع الخوارج فكان يظهر الفرح والسرور لقتالهم، قال ابن تيمية: فإن النص والإجماع فرق بين هذا وهذا، فإنه قاتل الخوارج بنص رسول الله ﷺ، وفرح بذلك، ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة، وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه من كراهته والندم عليه ما ظهر[5].

سادساً: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين علي:

تمكن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بغزير علمه وسعة فقهه أن يضع قواعدَ وأحكاماً، وهي ضوابط شرعية في قتال أهل البغي، ثم سار أهل السنة من أئمة العلم والفقهاء على سيرته في البغاة، واستنبطوا من هديه الراشدي الأحكام والقواعد الفقهية في هذا الشأن، حتى قال جلة أهل العلم: لولا حرب علي لمن خالفه لما عرفت السنة في قتال أهل القبلة[6]، وروي هذا عن علي نفسه في قوله: أرأيتم لو أني غبت عن الناس، من كان يسير فيهم هذه السيرة[7]؟. وقال الأحنف لعلي: يا علي إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم وتسبي نساءهم، فقال: ما مثلي يُخاف هذا

[1] صحيح البخاري ، فتح الباري (425/8).
[2] مصنف ابن أبي شيبة (324/15 . 325) ؛ الاعتصام للشاطبي (62/1).
[3] مصنف عبد الرزاق (150/10) ؛ مصنف ابن أبي شيبة (332/15) ، بسند صحيح.
[4] مصنف ابن أبي شيبة (320/15)؛ فتح الباري (301/12) ، له سند صحيح عند الطبري.
[5] مجموع الفتاوى (516/28).
[6] التمهيد للباقلاني ، ص 229 ؛ تحقيق مواقف الصحابة (295/2).
[7] مصنف عبد الرزاق (124/10).

منه، وهل يحل هذا إلا ممن تولى وكفر؟ وبناء على ذلك.

فإن قتال أهل القبلة يخالف قتال الكفار والمرتدين من أوجه متعددة:

1 ـــ أن يقصد بالقتال ردعهم ولا يعتمد به قتلهم؛ لأن المقصود ردهم إلى الطاعة ودفع شرهم لا القتل، بينما يجوز أن يعتمد قتل المشركين والمرتدين[1].

2 ـ إذا قاتل مع البغاة عبيد ونساء وصبيان فحكمهم جميعاً حكم الرجل البالغ الحر، يُقاتلون مقبلين ويتركون مدبرين؛ لأن قتالهم لدفع أذاهم، بينما يجوز قتل أهل الردة والكفر مقبلين ومدبرين[2].

3 ـــ إذا ترك أهل البغي القتال إما بالرجوع إلى الطاعة، وإما بإلقاء السلاح، وإما بالهزيمة، وإما بالعجز لجراح أو مرض أو أسر، فإنه لا يجوز الإجهاز على جريحهم وقتل أسيرهم وإن جاز الإجهاز على جرحى المشركين والمرتدين وقتل أسراهم؛ فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال يوم الجمل: لا تتبعوا مدبرين، ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن[3]. وفي رواية عبد الرزاق: أن علياً أمر مناديه فنادى يوم البصرة، لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح، ولا يقتل أسير، ومن أغلق بابه أو ألقى سلاحه فهو آمن، ولم يأخذ من متاعهم شيئاً[4].

وقال علي يوم الجمل: لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فلقد رأيتنا في الجاهلية وإن الرجل ليتناول المرأة بالجريدة أو الهراوة فيعير بها، هو وعقبه من بعده[5]. وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: شهدت صفين وكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يقتلون مولّياً، ولا يسلبون قتيلاً[6].

4 ـــ يعتبر أحوال من في الأسر من البغاة، فمن أمنت رجعته إلى القتال أطلق سراحه، ومن لم تؤمن منه الرجعة حبس إلى انجلاء الحرب ثم يطلق، ولم يجب أن يحبس بعدها، وإن جاز أن يبقى الكافر في الأسر[7].

5 ـ أن لا يستعان لقتالهم بمشرك معاهد ولا ذمي، وإن جاز أن يستعان بهم على قتال أهل الردة والحرب[8].

---

[1] المغني (108/8 ـ 126).

[2] المغني (110/8)؛ الأحكام السلطانية، ص 60.

[3] مصنف ابن أبي شيبة (236/15)؛ الفتح (57/13)، إسناده صحيح.

[4] مصنف عبد الرزاق (123/10 ـ 124)؛ تحقيق مواقف الصحابة (296/2).

[5] نصب الراية (463/3)، تحقيق مواقف الصحابة (297/2).

[6] المستدرك (155/2)، سنده صحيح ووافقه الذهبي.

[7] الأحكام السلطانية، ص 60.

[8] المصدر السابق نفسه؛ تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (298/2).

6 ـــ أن لا يهادنهم إلى مدة ولا يوادعهم على مال، فإن هادنهم إلى مدة لم يلزمه، فإن ضعف عن قتالهم انتظر بهم القوة عليهم، وإن وادعهم على مال بطلت الموادعة ونظر في المال، فإن كان من فيئهم وصدقاتهم لم يرده عليهم، وصرف الصدقات في أهلها والفيء في مستحقيه، وإن كان من خالص أموالهم لم يجز أن يملكه، ووجب رده إليهم[1]، فإن علياً ـ رضي الله عنه ـ لم يستحل مال أهل الجمل.

7 ـ إذا خرجوا على الإمام بتأويل سائغ راسلهم، فإن ذكروا مظلمة أزالها عنهم، وإن ذكروا شبهة بيَّنها ـ كما بيَّن علي رضي الله عنه للخوارج شبههم، وعاد كثير منهم إلى صف الجماعة[2]، فإن رجعوا وإلا وجب قتالهم عليه وعلى المسلمين[3].

8 ـــ إن لم يخرجوا عن المظاهرة بطاعة الإمام، ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها، وكانوا أفراداً تنالهم القدرة ويسهل ضبطهم تُركوا ولم يحاربوا، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب عليهم، ولهم من الحقوق والحدود[4].

9 ـــ لا يقاتل البغاة بما يعم إتلافه كالنار والمنجنيق وغير ذلك، ولا تحرق عليهم المساكن، ولا يقطع عليهم النخل والأشجار، وإن جاز ذلك مع الكفار والمشركين، لأن دار الإسلام تمنع ما فيها وإن بقي أهلها، إلا إذا دعت إلى ذلك الضرورة في حالة ما إذا تحصنوا ولم ينهزموا، لذلك جاز للإمام رميهم بالمنجنيق أو النار على قول الشافعي وأبي حنيفة[5].

10 ـــ لا يجوز غنيمة أموالهم وسبي ذريتهم لقول النبيﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»[6]، وروي عن علي رضي الله عنه يوم الجمل قوله: من عرف شيئاً من ماله مع أحد فليأخذه[7]. وهذا من جملة ما نقم الخوارج عليه، فقالوا: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن حلَّت له دماؤهم فقد حلت له أموالهم، وإن حرمت عليه أموالهم فقد حرمت عليه دماؤهم، فقال لهم ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في مناظرته لهم: أفَتَسْبون أمكم؟ ـ يعني عائشة ـ أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فإن قلتم: ليست أمكم كفرتم، وإن قلتم: إنها أمكم واستحللتم سبيها فقد كفرتم[8]، ويعقب ابن قدامة قائلاً: ولأن قتال البغاة إنما هو لدفعهم وردهم إلى الحق لا لكفرهم، فلا يستباح منهم إلا ما حصل لضرورة الدفع

---

(1) الأحكام السلطانية ، للماوردي ، ص 60.
(2) السنن الكبرى للبيهقي (180/8).
(3) مجموع الفتاوى (450/4).
(4) الأحكام السلطانية ، للماوردي ، ص 58.
(5) المغني لابن قدامة (110/8).
(6) سنن الدارقطني (26/3) ، صححه الألباني في إرواء الغليل ، رقم 1459.
(7) المغني (115/8).
(8) السنن الكبرى للبيهقي (179/8) ؛ خصائص أمير المؤمنين للنسائي ، ص 197 ، إسناده حسن.

كالصائل وقاطع الطريق، وبقي حكم المال والذرية على أصل العصمة[1].

والظاهر من المأثور عن علي ــ رضي الله عنه ــ جواز الانتفاع بسلاحهم؛ فقد روى ابن أبي شيبة عن أبي البختري قال: لما انهزم أهل الجمل قال علي: لا تطلبوا من كان خارجاً من العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم[2]، وفي رواية أخرى قال: ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم[3].

11 . من قتل من البغاة غسل وكفن وصلي عليه؛ لأنهم مسلمون، على مذهب الشافعي وأصحاب الرأي[4].

12 ــ إذا لم يكن البغاة من أهل البدع فهم ليسوا فاسقين، وقتال الإمام وأهل العدل لهم إنما من جهة خطئهم في التأويل، وهم كالمجتهدين من الفقهاء في الأحكام، ومن شهد منهم قبلت شهادته إذا كان عدلاً، وهذا قول الشافعي، وأما الخوارج وأهل البدع إذا بغوا على الإمام فلا تقبل شهادتهم لأنهم فسّاق[5].

13 . يجوز للعادل قتل ذي رحمه الباغي؛ لأنه قتله بحق، فأشبه إقامة الحد عليه مع كراهية قصد ذلك[6].

14 . إذا غلب أهل البغي بلداً فجبوا الخراج والزكاة والجزية وأقاموا الحدود؛ لم يطالبوا بشيء مما جبوه إذا ظهر أهل العدل على ذلك البلد وظفروا بهم، فعندما ظهر علي رضي الله عنه على أهل البصرة بعد موقعة الجمل لم يطالبهم بشيء مما جبوه[7].

15 ــ حكم وراثة الباغي من العادل: لا يرث باغٍ قتل عدلاً، ولا عادل قتل باغياً لقوله ﷺ: «القاتل لا يرث»[8]، وقال أبو حنيفة: أورث العادل من الباغي، ولا أورث الباغي من العادل، وقال أبو يوسف: أورث كل منهما من صاحبه؛ لأنه متأول في قتله[9]، وبهذا قال النووي[10].

16 ــ إذا لم يكن دفع أهل البغي إلا بقتلهم؛ جاز قتلهم ولا شيء على من قتلهم من إثم ولا ضمان ولا كفارة؛ لأنه فعل

---

[1] تحقيق مواقف الصحابة (300/2).

[2] مصنف ابن أبي شيبة (263/15).

[3] تاريخ الطبري ، نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (300/2).

[4] تحقيق مواقف الصحابة (301/2).

[5] المغني (118/8) ، تحقيق مواقف الصحابة (301/2).

[6] المغني (118/8) ، تحقيق مواقف الصحابة (301/2).

[7] المغني (119/8) ، تحقيق مواقف الصحابة (302/2).

[8] سنن ابن ماجه ، كتاب الديات (883/2)؛ صحيح سنن ابن ماجه ، رقم 2140.

[9] الأحكام السلطانية ، ص 61.

[10] شرح النووي على صحيح مسلم (170/7).

ما أمر به، وقتل من أجل الله: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 9]؛ فإن المسلم إذا أريدت نفسه جاز له الدفع عنها بقتل من أرادها إذا كان لا يندفع بغير القتل، وكذلك ما أتلفه أهل العدل على أهل البغي حال الحرب من المال، فلا ضمان فيه[1]، وليس على أهل البغي بالمقابل ضمان ما أتلفوه حال الحرب من نفس ولا مال في أصح الأقوال كما ذكر النووي[2]، ويدل على ذلك ما روى الزهري عن إجماع الصحابة: أن لا يضمن الباغي إذا قتل العادل، قال: هاجت الفتنة الأولى وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، وفيهم البدريون، فأجمعوا أنه لا يقاد أحد، ولا يؤخذ مال أحد على تأويل القرآن[3].

وفي رواية عبد الرزاق: فإن الفتنة الأولى ثارت وأصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً كثير، فاجتمع رأيهم على أن لا يقيموا على أحد حداً في فرج استحلوه بتأويل القرآن، ولا قصاص في دم استحلوه بتأويل القرآن، ولا يرد مال استحلوه بتأويل القرآن؛ إلا أن يوجد شيء بعينه فيرد على صاحبه[4].

سابعاً: من أهم صفات الخوارج:

إن الباحث في تاريخ فرقة الخوارج يلاحظ عدة صفات اتصف بها أتباع هذه الفرقة؛ منها:

1 . الغلو في الدين:

مما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بالدين وتطبيق أحكامه، والابتعاد عن جميع ما نهى عنه الإسلام، وكذلك التحرُّز التام عن الوقوع في أي معصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتى أصبح ذلك سمة بارزة في هذه الطائفة لا يدانيهم في ذلك أحد، ولا أدلُّ على ذلك من قول رسول الله ﷺ: «يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلا صيامهم بشيء»[5].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما يصفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود، وأياديهم كأنها ثفن[6] الإبل، وعليهم قمص مرحضة[7]، مشمِّرين، مسهمة وجوههم من

---

[1] المغني (112/8).
[2] شرح النووي على صحيح مسلم (170/7).
[3] السنن الكبرى للبيهقي (174/8) ، بسند صحيح ؛ تحقيق مواقف الصحابة (303/2).
[4] مصنف عبد الرزاق (121/10).
[5] مسلم ، كتاب الزكاة ، شرح النووي (171/7).
[6] الثفن: جمع ثفنة: ركبة البعير وغيرها مما يجعل فيه غلظ من أثر البروك.
[7] مرحضة: مغسولة. النهاية في غريب الحديث والأثر (208/2).

السهر[1].

وعن جندب الأزدي قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب رضـي الله عنه، فانتهينا إلى معسـكرهم، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن[2].

فقد كانوا أهل صـيام وصـلاة وتلاوة للقرآن، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال إلى درجة الغلو والتشـدد، حيث قادهم هذا التشـدد إلى مخالفة قواعد الإسـلام بما تمليه عليهم عقولهم، كالقول بتكفير صـاحب الكبيرة، وسـيأتي مناقشـة عقائدهم وأفكارهم بإذن الله تعالى.

ومنهم من بالغ في ذلك حتى على كل من ارتكب ذنباً من الذنوب ولو كان صـغيراً؛ فإنه كافر مشـرك مخلد في النار[3]، وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية، أن كفروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين، ورموهم بالكفر أو النفاق، حتى إنهم اسـتباحوا دماء مخالفيهم[4]، ومنهم من اسـتباح قتل النسـاء والأطفال من مخالفيهم كالأزارقة مثلاً[5].

ولا شـك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشـدد والجفاء قد شوهوا محاسن الدين الإسلامي تشويهاً غريباً، فإن هذا الإغراق في التأويل والاجتهاد أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله، وهم في تعمُّقهم قد سلكوا طريقاً ما قال به محمد ﷺ ولا دعا إليه القرآن الكريم، وأما التقوى التي كانوا يظهرون بها فهي من قبيل التقوى العمياء، والصـلاح الذي كانوا يتزينون به في الظاهر كان ظاهر التأويل بادي الزخرفة، وقد طمعوا في الجنة وأرادوا السـعي لها عن طريق التعمق والتشـدد والغلو في الدين غلواً أخرجهم عن الحد الصحيح[6].

ولذلك حذر النبيﷺ من التعمق والتشـدد في الدين؛ لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسـلام، وأخبر أن المتنطع مسـتحق للهلاك والخسران، فقد صح عنه ﷺ: أنه قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً[7].

فبهذا يتبين لنا شـذوذ الخوارج، وكذلك من سـار على منهجهم المبني على التعسـف والتشـدد المخالف لسـماحة الإسـلام

---

[1] تلبيس إبليس ، ص 91.
[2] تلبيس إبليس ، ص 93.
[3] الفصل لابن حزم (191/4)؛ الخوارج ، ناصر السعوي ، ص 183.
[4] الخوارج للسعوي ، ص 183.
[5] تلبيس إبليس ، ص 95 ، الخوارج للسعوي ، ص 184.
[6] الخوارج للسعوي ، ص 184.
[7] مسلم ، كتاب العلم ، شرح النووي (220/16).

ويسره، فإن الإسلام دين اليسر والسماحة، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا»[1].

2. الجهل بالدين:

إن من كبرى افات الخوارج صفة الجهل بالكتاب والسنة، وسوء فهمهم وقلة تدبرهم وتعقلهم، وعدم إنزال النصوص منازلها الصحيحة، وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين[2]، وكان ابن عمر إذا سئل عن الحرورية؟ قال: يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء في عِدَدِهِنّ، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج، فلا أعلم أحداً أحق بالقتال منهم[3].

ومن جهلهم بشرع الله رأوا أن التحكيم معصية تستوجب الكفر، فيلزم من وقع فيه أن يعترف على نفسه بالكفر، ثم يستقبل التوبة، وهذا ما طالبوا به علياً رضي الله عنه؛ إذ طلبوا منه أن يقر على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة[4]، فتخطئة الخوارج له ولمن معه من المهاجرين والأنصار، واعتقادهم أنهم أعلم منهم وأولى منهم بالرأي، وهو والله عين الجهل والضلال[5].

ومن جهالتهم الشنيعة: أنهم وجدوا عبد الله بن خباب رضي الله عنه ومعه أم ولد حبلى، فناقشوه في أمور، ثم سألوه رأيه في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فأثنى عليهما خيراً، فنقموا عليه، وتوعدوه بأن يقتلوه شر قتلة، فقتلوه وبقروا بطن المرأة[6]، ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم، فتحرجوا من ذلك وبحثوا عن صاحب الخنزير وأرضوه في خنزيره! فيا للعجب! أتكون الخنازير أشد حرمة من المسلمين عند أحد يدعي الإسلام[7]، لكنها عبادة الجهال، التي أملاها عليهم الهوى والشيطان[8].

قال ابن حجر: إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم؛ استباحوا دماءهم، وتركوا أهل الذمة فقالوا: نفي لهم بعهدهم، وتركوا قتال المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم، ولم

---

[1] البخاري، كتاب الإيمان، فتح الباري (93/1).
[2] ظاهرة الغلو في الدين، محمد عبد الحكيم، ص 114.
[3] الاعتصام (183/2، 184).
[4] مصنف ابن أبي شيبة (312/15 . 313)؛ الألباني في إرواء الغليل (118/8 . 119)؛ تلبيس إبليس، ص 93.
[5] الخوارج للسعوي، ص 186.
[6] تلبيس إبليس، ص 93.
[7] فتح الباري (285/12).
[8] الخوارج للسعوي، ص 187.

يتمسكوا بحبل وثيق منه، وكفى أن رأسهم رد على رسول الله ﷺ أمره ونسبه إلى الجور، نسأل الله السلامة[1].

وقال عنهم ابن تيمية رحمه الله: فهم جهال، فارقوا السنة والجماعة عن جهل[2]. وبهذا يتبين أن الجهل كان من الصفات البارزة في تلك الطائفة التي هي إحدى الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، فالجهل مرض عضال يهلك صاحبه من حيث لا يشعر، بل قد يريد الخير فيقع في ضده[3].

3. شق عصا الطاعة:

قال ابن تيمية: فهؤلاء ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً، ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها[4]، هذا وقد شقوا عصا الطاعة، وسعوا في تفريق كلمة المسلمين، ويوضح ذلك موقفهم مع أمير المؤمنين علي، حيث تخلوا عنه وخالفوه في أحرج المواقف وعصوا أمره[5]، وظلت تلك الصفة من صفاتهم على مدار التاريخ أن كل من خالفهم في أمر؛ عادوه ونبذوه، حتى إنهم تفرقوا هم أنفسهم إلى عدة فرق يكفر بعضهما بعضاً، ولذلك كثر فيهم الغارات والشقاق والثورات[6].

4. التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم:

قال ابن تيمية: والفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع، أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة..

فهذا أصل البدع التي ثبتت بنص سنة الرسول ﷺ، وإجماع السلف أنها بدعة، وهو جعل العفو سيئة، وجعل السيئة كفراً[7].

وقد تميز الخوارج باراء خاصة فارقوا بها جماعة المسلمين، ورأوها من الدين الذي لا يقبل الله غيره، ومن خالفهم فيها فقد خرج من الدين في زعمهم، فأوجبوا البراءة منه، بل إن منهم من غلا في ذلك، فأوجبوا قتال من خالفهم واستحلوا

---

[1] فتح الباري (301/12).

[2] منهاج السنة (464/3).

[3] نوادر الأصول ، محمد حكيم الترمذي ، ص 54 ؛ الخوارج للسعوي ، ص 881.

[4] الفتاوى (497/28).

[5] الخوارج للسعوي ، ص 191.

[6] المصدر ا لسابق نفسه ، ص 192.

[7] الفتاوى (73/19).

دماءهم[1]، فمن ذلك أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغير سبب غير أنه لم يوافقهم على رأيهم[2].

وقال ابن كثير: فجعلوا يقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم[3].

وقال ابن تيمية: وكانت البدعة الأولى مثل بدعة الخوارج، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذ كان المؤمن هو البر التقي، قالوا: فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار، ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

الأولى: أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك.

ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المؤمنين بالذنوب والخطايا، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفر أهلها المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبيﷺ أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم[4].

5 ـ تجويزهم على النبي ـ ﷺ ـ ما لا يجوز في حقه كالجور:

قال ابن تيمية: والخوارج جوزوا على الرسول ﷺ نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف ـ بزعمهم ـ ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه... وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة، إما برد النقل، وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارةً في الإسناد، وتارةً في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول ﷺ، بل ولا بحقيقة القرآن[5].

6 ـ الطعن والتضليل:

من أبرز صفات الخوارج الطعن في أئمة الهدى وتضليلهم والحكم عليهم بالخروج عن العدل والصواب، وقد تجلَّت هذه الصفة في موقف ذي الخويصرة مع رسول الهدى ﷺ، حيث قال ذو الخويصرة: يا رسول الله اعدل[6]، فقد عَدَّ ذو

---

[1] منهاج السنة (62/3).
[2] الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص 57 ؛ الخوارج للسعوي ، ص 191.
[3] البداية والنهاية (294/3).
[4] الفتاوى (30/13 ، 31).
[5] الفتاوى (73/19).
[6] البخاري ، كتاب استتابة المرتدين ، فتح الباري (290/12).



الخويصرة نفسه أورع من رسول الله ﷺ، وحكم على رسول الله ــ ﷺ ــ بالجور والخروج على العدل في القسمة! وإن هذه الصفة قد لازمتهم عبر التاريخ، وقد كان لها أسوأ الأثر لما ترتب عليها من أحكام وأعمال[1].

7 . سوء الظن:

هذه صفة أخرى للخوارج تجلت في حكم ذي الخويصرة الجهول على رسول الهدى ﷺ بعدم الإخلاص، حيث قال: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله[2]، فذو الخويصرة الجهول لما رأى رسول الله ﷺ قد أعطى السادة الأغنياء، ولم يعطِ الفقراء، لم يحمل هذا التصرف على المحمل الحسن، وهذا شيء عجيب خصوصاً وأن دواعيه كثيرة، فلو لم يكن إلا أن صاحب هذا التصرف هو رسول الهدى ﷺ، لكفى به داعياً إلى حسن الظن، ولكن ذا الخويصرة أبى ذلك، وأساء الظن لمرضه النفسي، وحاول أن يستر هذه العلة بستار العدل، وبذلك ضحك منه إبليس، واحتال عليه، فأوقعه في مصايده.

فينبغي للمرء أن يراقب نفسه، وأن يدقق في دوافع سلوكه ومقاصده، وأن يحذر هواه، وأن يكون منتبهاً لحيل إبليس لأنه كثيراً ما يزين العمل السيِّئ بغلاف حَسَن براق، ويبرر السلوك القبيح باسم مبادئ الحق. ومما يعين المرء على وقاية نفسه، والنجاة لها من حيل الشيطان ومصايده: العلم، فذو الخويصرة لو كان عنده أثارة من علم، أو ذرة من فهم لما سقط في هذا المزلق[3].

8 . الشدة على المسلمين:

عرف الخوارج بالغلظة والجفوة، وقد كانوا شديدي القسوة والعنف على المسلمين، وقد بلغت شدتهم حداً فظيعاً، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ فروَّعوهم وقتلوهم، أما أعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيرهم فقد تركوهم ووادعوهم فلم يؤذوهم.

ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج في هذا السبيل[4]، وما قصة عبد الله بن خباب ومقتله عنا ببعيد، فمعاملة الخوارج للمسلمين مصحوبة بالقسوة والشدة والعنف، وأما للكافرين، فلين وموادعة ولطف[5]، فقد وصف الشارع الشريعة

---

[1] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 106.
[2] البخاري ، كتاب استتابة المرتدين ، فتح الباري (290/12).
[3] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 106 ، 107.
[4] المصدر السابق نفسه ، ص 110.
[5] المصدر السابق نفسه ، ص 111.

بأنها سهلة سمحة، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار، وإلى الرأفة بالمؤمنين، فعكس ذلك الخوارج[1]، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ﴾ [المائدة: 54]؛ فالخوارج عكسوا الآيات، فأرهبوا المسلمين وروّعوهم[2]، هذه بعض الصفات التي اشتهر بها الخوارج.

ثامناً: بعض الآراء الاعتقادية للخوارج:

ومع مرور الزمن استقرت آراء عقائدية خاصة بفرقة الخوارج، وخالفوا فيها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومن هذه الآثار المنحرفة:

1 . تكفير صاحب الكبيرة:

إن الخوارج يكفِّرون مرتكب الكبيرة، ويحكمون بخلوده في النار، وقد استدلوا على معتقدهم ذلك بأدلة:

أ ـ استدلوا بقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: 81]؛ فقد استدلوا بهذه الآية على تخليد أصحاب المعاصي في النار، وقالوا: إنه لا أمل للعاصي الذي يموت على معصيته في رحمة الله[3]، فزعموا أن الخطيئة تحيط بالإنسان فلا يبقى له معها حسنة مقبولة، حتى الإيمان فإنها تذهبه.

ولكن الأمر عكس ما ذهبوا إليه، وهذه الآية نفسها ترد مذهبهم؛ فقد دلت على أن من أحاطت به خطيئته فإنه يخلد في النار، وليس هناك خطيئة تحيط بالإنسان وتحبط أعماله ويخلد بسببها في النار إلا الكفر والشرك بالله، ويؤيد هذا أن تلك الآية نزلت في اليهود، وهم قد أشركوا بالله وحادوا عن سبيله، ومما يبطل زعمهم أيضاً: أن الله قد أوضح سبحانه أن مجرد كسب السيئة لا يوجب الخلود في النار، بل لا بد أن تكون سيئة محيطة به، وقيل: هي الشرك، روي هذا عن ابن عباس. وروي عنه: أن معنى هذه الآية: من كفر حتى يحيط به كفره، فلا تقبل له حسنة، وهذا أولى لما ثبت في السنة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار[4].

ثم إن قوله تعالى: وسيئة نكرة؛ فهي عامة لجميع أنواع السيئات، ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الشيخ عبد الرحمن السعدي ـــ رحمه الله ـــ: والمراد بها هنا الشرك، بدليل قوله تعالى: أي: أحاطت ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾، فلم تدع له منفذاً، وهذا لا يكون

---

[1] فتح الباري (301/12).
[2] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 111.
[3] الإباضية في موكب التاريخ ، علي معمر (133/1).
[4] فتح القدير للشوكاني (105/1).

إلا الشرك؛ فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية أو حديث صحيح على قوله الباطل، فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه[1]. وغير ذلك من الأدلة التي رد عليها علماء أهل السنة والجماعة كل في محله.

ويمكن أن نُجْمِل الرد على الخوارج في تكفيرهم لصاحب الكبيرة، وذلك من عدة وجوه:

أ ـــ أن مرتكب الكبيرة لو كان كافراً لكان حكمه حكم غيره ممن كفر بعد إيمانه، وهو أن يكون مرتداً يجب قتله، لقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[2]، ولقوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»[3].

فهذان الحديثان وغيرهما من أدلة حكم المرتد تفيد أن كل من كفر بعد إيمانه فحكمه القتل، لكن نصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، كما قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2]، وقال الله تعالى في حكم السارق: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38]، وورد في شارب الخمر ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلاً كان على عهد النبيﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبيﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبيﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»[4]، فقد أمر النبيﷺ بجلد شارب الخمر ولم يقتله، بل نهى عن لعنه بعينه، وشهد لهذا الرجل بحب الله ورسوله، مع أنه قد تكرر منه شرب الخمر عدة مرات، ولم يحكم على هذا ولا على السارق والزاني بالكفر ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين، كان يستغفر لهم ويقول: «لا تكونوا أعوان الشيطان على أخيكم»[5].

وقد أجمعت الأمة من الصحابة والتابعين على ذلك إلا من شذَّ عنهم، فلا عبرة بقوله، ثم أيضاً أنه لو كان صاحب الكبيرة كافراً لوجب التفريق بينه وبين زوجته المؤمنة، والمرأة كذلك، وكذلك أيضاً فإنه لا يرث مسلماً ولا يرثه مسلم، ولكن

---

[1] تفسير السعدي (103/1).
[2] البخاري ، كتاب الجهاد ، فتح الباري (149/6).
[3] البخاري ، كتاب الديات ، فتح الباري (201/12).
[4] البخاري ، كتاب الحدود ، فتح الباري (75/12).
[5] مجموع الفتاوى (671/7).

النبيﷺ لم يفرق بين من فعل معصـية وبين زوجته، ولم يحرمه من ميراث من له الإرث منه، وكذلك صـحابته والتابعون لهم بإحسان، فثبت يقيناً أنه غير كافر[1].

ب ـــ أن الله سبحانه وتعالى سمَّى أهل الكبائر مؤمنين مع ارتكابهم لها في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَـدْلِ وَأَقْسِـطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِـطِينَ *إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْـلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الحجرات: 9-10].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم[2].

ومثل هذه الآية أيضـاً قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَـاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَـيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 178]؛ قال ابن حزم رحمه الله: فابتدأ الله عز وجل بخطاب أهل الإيمان من كان فيهم من قاتل أو مقتول، ونص تعالى على أن القاتل عمداً وولي المقتول أخوان، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فصـح أن القاتل عمداً مؤمن بنص القرآن، وحكم له بأخوة الإيمان، ولا يكون للكافر مع المؤمنين تلك الأخوة[3].

فهذه بعض أدلة أهل السـنة في ردهم على قول الخوارج في مرتكب الكبيرة، وقد اسـتقر هذا المعتقد عند علماء أهل السـنة وسطروه في كتبهم، وإليك بعض أقوالهم:

2. رأيهم في الإمامة:

قال أمير المؤمنين علي رضـــي الله عنه: لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبيل وتقام بها الحدود، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء[4].

ولهذا كان حكم الإمامة واجباً على الأمة الإسـلامية، إذ لو بقوا بلا إمام لأثموا جميعاً لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النسـاء: 59]، قال ابن كثير في الآية: الظاهر والله أعلم أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من

---

[1] الخوارج للسعوي ، ص 116 ، 117.

[2] تفسير ابن كثير (211/4).

[3] الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل (235/3).

[4] منهاج السنة (146/1).

الأمراء والعلماء[1]؛ وهذا هو الراجح، ووجه الاستدلال من هذه الآية: أنه سبحانه أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم وهم الأئمة، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصـــب ولي الأمر؛ لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود له، ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده فدل على أن إيجاد إمام للمسلمين واجب عليهم[2]، وقد قال رسول الله ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[3]، أي: بيعة الإمام، وهذا واضح الدلالة على وجوب نصب الإمام؛ لأنه إذا كانت البيعة واجبة في عنق المسلم، والبيعة لا تكون لإمام، فنصب الإمام واجب، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك من بعدهم على وجوب الإمامة، ومما يحتم بوجوب الإمامة، ما وردت به الشريعة من الأحكام الواجبة التي لا يتولاها إلا الإمام ولا تصــح بدونه[4]، وذلك مثل: الجهاد والحج وإقامة الحدود ونحو ذلك، مما لا يتم إلا بالقوة والإمارة[5].

وقد بينت الشريعة أن من حقوق الإمام: السمع والطاعة في غير معصية الله تعالى، فقد قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»[6].

وقد أوجب الشارع طاعة الإمام ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية الله فلا يجوز طاعته فيها، ولا إعانته عليها، ويجب أن يعان على طاعة الله، وأن يستعان به عليها ما أمكن ذلك[7]، فيكون موقف المسلم النصيحة لولاة أمور المسلمين، لقول النبيﷺ في الحديث الصحيح، عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه: أن النبيﷺ قال: «الدين النصيحة» ثلاثاً، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله عز وجل، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[8].

قال ابن حجر: والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حُمِّلوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحســن، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقع النصيحة لهم ببث علومهم ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم[9].

وقد خالف الخوارج ذلك المبدأ الرشــيد، فرأوا الخروج على أئمة المســلمين عند أتفه الأســباب، وقد فعلوا ذلك مع أمير

---

[1] تفسير ابن كثير (303/2).
[2] الإمامة العظمى للدميجي ، ص 47.
[3] مسلم ، كتاب الإمامة (1478/3).
[4] أصول الدين للبغدادي ، ص 272.
[5] السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص 12.
[6] البخاري ، كتاب الجهاد ، فتح الباري (116/6).
[7] منهاج السنة (147/1).
[8] مسلم ، كتاب الإيمان ، شرح النووي (37/2).
[9] فتح الباري (138/1).

المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه، فسفكوا الدماء، وقطعوا السبل، وضيَّعوا الحقوق، وسعوا في إضعاف المسلمين حتى تكالبت عليهم الأعداء، فهذا من أضرار الخروج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد خالفت الخوارج ما كان عليه جمهور المسلمين من اشتراط النسب القرشي في الإمام، وقالوا: إنه لا خصوصية لقريش فيها ولا مزية لهم عن سواهم، بل كل من صار أهلاً لها جاز توليته من دون أي نظر إلى نسبه[1]، وقد احتجوا لمذهبهم بما يلي:

أ ـ قالوا: لأن اشتراط القرشية يخالف المعقول، إذ لا يمنع العقل أن يوجد في غيرهم من هو أفضل منهم.

ب ـ لم يجعل الله النبوة في قوم خاصين؛ فكيف يجعل الإمامة كذلك؟!

ج ـ أن القرآن لا يدل على ذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

د ـ استدلوا بقوله ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»[2].

هـ واستدلوا بقوله ﷺ: «وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدَّع الأنف، فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله»[3].

و ـ لم يثبت الأنصار القرشية في الإمامة، ولو أثبتوها لما طالبوا في الإمامة ولرد عليهم المهاجرون بها[4].

ز ـ أن رسول الله ﷺ قد ولى على الأمم من غير قريش والولايات والإمارات عن الإمارة العظمى، فما جاز فيها جاز في فروعها، وما امتنع فيها امتنع في فروعها[5].

❖ وجوه الرد على الخوارج:

أ ـ أما احتجاجهم بالعقل، فهو مردود لأنه لا حجة فيه مع ثبوت النص والإجماع.

ب ـ وأما احتجاجهم بأن الله لم يجعل النبوة خاصة بقوم فلا حجة في ذلك؛ لأن الله يصطفي للنبوة والرسالة أصلح الناس لها، والخلق لا يستطيعون القطع على أن فلاناً أصلح من غيره، ولا يقارن اختيار المخلوق مع اختيار الخالق، وأما الميزة لقريش فهي على جهة العموم لما كانت تحتله من المكانة الدينية والاجتماعية في قلوب الناس.

ج ـ وأما استدلالهم بقوله تعالى: وقوله ﷺ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ «لا فضل لعربي على أعجمي إلا

---

[1] الفصل (89/4) ؛ مقالات الإسلاميين (204/1).
[2] مسند أحمد (441/5).
[3] مسلم ، شرح النووي (227/12).
[4] الخوارج للسعوي ، ص 155.
[5] المصدر السابق نفسه ، ص 155.



بالتقوى»، فالجواب على هذا من وجهين:

د ـ أن يراد بالآية والحديث المفاضلة بين الناس عامة، فلا شك أن من فضل على صاحبه بزيادة في التقوى؛ فهو أكرم منه وأفضل عند الله، وهذا بغض النظر عن الإمامة، وهذا هو المراد بالآية والحديث؛ لأن دلالة كل منهما عامة.

هـ- أما من جهة الإمامة فلا شك أيضاً أن من زاد على غيره بالعدل والتقوى والصلاح مع توفر باقي شروط الإمامة فيه، فهو أولى؛ لكن لا ننسى أن النسب القرشي شرط، ولا تعارض بين تلك الشروط.

و ـــ وأما احتجاجهم بما ورد في وجوب السمع والطاعة وإن كان الأمير عبداً حبشياً، فهذا الأمر لا إشكال فيه، وقد ورد فيه عدة روايات؛ منها قوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»[1]، وهذا لا يمنع اشتراط الإمامة في قريش، وهو عند أهل السنة مخرج على ثلاثة أمور:

1 . أن يكون العبد مستعملاً من جهة الإمام القرشي، وليس هو الإمام الأعظم.

2 ـــ قد قيل: إن العبد الحبشي إنما ذكره على وجه ضرب المثل وإن لم يصح وقوعه، كما قال رسول الله ﷺ فيمن بنى مسجداً ولو كمفحص قطاة[2]، ومفحص القطاة لا يمكن أن يكون مسجداً[3].

3 . أنه أطلق على طريق المبالغة في وجوب السمع والطاعة، أو باعتبار ما كان قبل العتق[4].

ز ـــ وأما دعواهم أن الأنصار لم يثبتوا أحقية قريش في الخلافة، فهذا غير صحيح، بل الصحيح أنهم أذعنوا لذلك، وحصل الإجماع على أحقية قريش في الخلافة.

قال الإمام الأشعري رحمه الله: اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة رسول الله ﷺ وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة، وبلغ ذلك أبا بكر وعمر ـ رضوان الله عليهما ـ، فقصدا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين، فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا في قريش، واحتج عليهم بقول النبيﷺ: «الأئمة من قريش»[5]، فأذعنوا لذلك منقادين، ورجعوا إلى الحق طائعين، بعد أن قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، وبعد أن جرد الحباب بن المنذر سيفه وقال: أنا خبيلها المحكك، وعذيقها المرجب؟. ثم بايعوا أبا بكر رضوان الله عليه، واجتمعوا على إمامته، واتفقوا على خلافته،

---

(1) البخاري ، كتاب الأحكام ، فتح الباري (121/12).

(2) فتح الباري (122/12) ؛ جامع العلوم والحكم ، ص 230.

(3) الخوارج للسعوي ، ص 157.

(4) فتح الباري (122/13).

(5) المصنف لابن أبي شيبة (544/5) ؛ البخاري بلفظ اخر ، رقم 7140.

وانقادوا لطاعته[1].

وأما احتجاجهم بفعل النبيﷺ، حيث ولى على بعض الأمصـــار أو الجيوش من غير قريش، فلا حاجة لهم في هذا لأنه ليس في الإمامة العظمى، ولا نسلم لهم أن ما جاز في الفرع جاز في الأصل[2].

قال ابن حجر رحمه الله: وأما ما احتج به من لم يعين الخلافة في قريش من تأمير عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة وأسـامة وغيرهم في الحروب؛ فليس من الإمامة العظمى في شيء، بل فيه أنه يجوز استنابة غير القرشي في حياته[3]، والله أعلم.

أدلة أهل السنة القائلين باشتراط النسب القرشي:

أ ـ قوله ﷺ: «إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبَّه الله في النار على وجهه، ما أقاموا الدين»[4].

ب ـ قوله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»[5]، وفي رواية لمسلم: «ما بقي من الناس اثنان»[6].

ج ـ وقوله ﷺ: «الناس تبع لقريش»[7].

د ــ انعقاد الإجماع، فقد حكاه غير واحد من العلماء منهم: النووي؛ حيث قال في شرحه لحديث: «الناس تبع لقريش... إلخ» هذه الأحاديث وأشـباهها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصـة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة[8].

ومنهم القاضي عياض؛ فقد نقل عنه النووي قوله: اشتراط كونه ــ أي: الإمام ــ قرشياً هو مذهب العلماء كافة، قال: وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة، فلم ينكره أحد، قال القاضي: وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل، يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدها في جميع الأعصار. قال: ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش، ولا سـخافة ضـرار بن عمرو في قوله: إن غير القرشـي من النبط وغيرهم يقدّم على القرشـي لهوان خلعه إن عرض منه أمر، وهذا الذي قاله من باطل

---

[1] مقالات الإسلاميين (39/1 . 41) ؛ شرح النووي (200/12) ؛ الفصل (89/4).
[2] الخوارج للسعوي ، ص 158.
[3] فتح الباري (119/13).
[4] البخاري ، كتاب الأحكام ، فتح الباري (114/13).
[5] المصدر السابق نفسه.
[6] مسلم ، كتاب الإمارة ، شرح النووي (201/13).
[7] البخاري ، كتاب المناقب ، فتح الباري (526/6).
[8] شرح النووي على صحيح مسلم (200/12)؛ الإمامة العظمى للدميجي ، ص 273.

القول وزخرفه مع ما هو عليه من مخالفة إجماع المسلمين، والله أعلم[1].

وممن حكى هذا الإجماع أيضاً الماوردي[2] والإيجي[3]، وابن خلدون[4]، والغزالي[5].

ومن المحدثين محمد رشيد رضا، حيث قال: أما الإجماع على اشتراط القرشية قد ثبت بالنقل والفعل، رواه ثقات المحدثين، واستدل به المتكلمون وفقهاء مذاهب السنة كلهم، وجرى عليه العمل بتسليم الأنصار وإذعانهم لبني قريش، ثم إذعان السواد الأعظم من الأمة عدة قرون[6].

ولكن الحافظ ابن حجر اعترض على هذا الإجماع بقوله: ويحتاج من نقل الإجماع إلى تأويل ما جاء عن عمر من ذلك، فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال: إن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل.. الحديث، ومعاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش، إن الأثر المنسوب إلى عمر ضعيف لانقطاعه كما بين بعض أهل العلم[7].

ومال الإمام الجويني إلى عدم اشتراط النسب القرشي[8]، وقد اختلف قول أبي بكر الباقلاني، فاشترط القرشية في كتابه الإنصاف[9]، ولم يشترطها في كتابه التمهيد[10].

وإلى نفي اشتراط القرشية ذهب أكثر المحدثين؛ منهم: محمد أبو زهرة في كتابه (المذاهب الإسلامية)، وذهب إلى أن الأحاديث الواردة مجرد أخبار لا تفيد حكماً[11]. ومنهم العقاد[12]، ومنهم د. علي حسني الخربوطلي في كتابه (الإسلام والخلافة)[13]، وتجرأ على رمي الأحاديث المذكورة بالوضع، ومنهم د. صلاح الدين دبوس في كتابه (الخليفة توليته وعزله)، وذهب إلى أن هذه الأحاديث مجرد أخبار[14]، ومنهم الأستاذ محمد المبارك رحمه الله، فقد اعتبرها من باب السياسة

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (200/12).
(2) الأحكام السلطانية ، ص 6.
(3) المواقف ، ص 398.
(4) المقدمة ، ص 194.
(5) الباطنية ، ص 180.
(6) الخلافة أو الإمامة العظمى لمحمد رشيد رضا ، ص 19.
(7) الإمامة العظمى ، ص 284.
(8) غياث الإمام للجويني ، ص 163.
(9) الإنصاف للباقلاني ، ص 69.
(10) التمهيد نقلاً عن الإمامة العظمى ، ص 275.
(11) المذاهب الإسلامية (90/1).
(12) الديمقراطية في الإسلام ، ص 69.
(13) الإسلام والخلافة ، ص 42.
(14) الخليفة توليته وعزله ، ص 270.

الشرعية المتغيرة بتغير العوامل[1]، والراجح هو ما ذهب إليه جمهور المسلمين من اشتراط النسب القرشي للإمامة[2]، لورود الأدلة الصـــريحة في أحقيتهم، ولإجماع الصـــحابة ومن بعدهم على ذلك، وأدلة المخالفين ليس فيها حجة على عدم الاشتراط.

لكن أحقية قريش في الخلافة لا بد فيها من شرطين:

الأول: إقامتهم للدين لقوله عليه الصـــلاة والســـلام: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبَّه الله في النار على وجهه، ما أقاموا الدين»[3].

الثاني: أن لا يكون هناك إمام قائم، فإن كان ثمة إمام فلا أحقية لهم فيها، فيكون اشتراط النسب القرشي في ابتداء الولاية وعند الاختيار لا في استمرارها، إذ إن الإمام القائم لا تجوز منازعته ولا الخروج عليه لا من قريش ولا من غيرها[4]، ما دام قائماً بأمر الله، ولم ينحرف عن شــرعه، ولم نر منه كفراً بواحاً، أما إذا خرج منه كفر بواح فالأمر منوط بالقدرة، وخاضــع لفقه المصالح والمفاسد.

تاسعاً: طعنهم في بعض الصحابة، وتكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهما:

امتاز الخوارج عن الشيعة الرافضة بإثباتهم إمامة الصديق والفاروق رضي الله عنهما، فهم يعتقدون أن إمامة أبي بكر وعمر إمامة شرعية، لا شك في صحتها ولا ريب عندهم في شرعيتها، وأن إمامتهما كانت برضا المؤمنين ورغبتهم، وأنهما سارا على الطريق المســتقيم الذي أمر الله به لم يغيرا ولم يبدلا حتى توفاهما الله تعالى على ما يرضـيه من العمل الصـالح والنصـح للرعية، وهذا الاعتقاد منهم حق وصدق، فلقد كانا رضي الله عنهما كذلك، ولا يشك في هذا إلا من فتن بمعتقد الرافضة.

وهذا المعتقد للخوارج تجاه الشيخين حالفهم فيه السداد والصواب، وكانوا موفقين فيه، لكنهم هلكوا فيمن بعدهما؛ حيث قادهم الشــيطان وأخرجهم عن الحق والصــواب في اعتقادهم في عثمان وعلي رضـــي الله عنهما، فلقد حملهم على إنكار إمامة عثمان رضـــي الله عنه في المدة التي نقم عليه أعداؤه فيها، كما أنكروا إمامة علي أيضـــاً بعد التحكيم، بل أدى بهم ســـوء معتقدهم إلى تكفيرهما وتكفير طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وأبي موســـى الأشـــعري وعبد الله بن عباس

---

(1) نظام الإسلام في الحكم والدولة ، ص 71.

(2) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ، ص 20 ؛ الخوارج للسعوي ، ص 159.

(3) البخاري ، كتاب الأحكام ، باب الأمراء من قريش ، فتح الباري (114/13).

(4) الخوارج للسعوي ، ص 159 ؛ الإمامة العظمى ، ص 295.

وأصحاب الجمل وصفين.

وقد وجه الخوارج إلى هؤلاء الأخيار من الصحابة طعناً عاماً يشملهم جميعاً، ووجهوا إلى بعضهم طعناً على وجه الخصوص.

فطعنهم فيهم على وجه عام: أنهم يعتقدون فيهم أنهم كفروا، وقد دون أهل العلم هذا المعتقد السـيِّئ عنهم في كتبهم[1]، فقد قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله: والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم، ويكفرون معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله: وكان شيطان الخوارج مقموعاً لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، فلما افترقت الأمة في خلافة علي رضي الله عنه وجد شيطان الخوارج موضع الخروج، فخرجوا وكفَّروا علياً ومعاوية ومن والاهما، فقاتلهم أولى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب[3].

وقال الشهرستاني بعد تعداده لكبائر فرق الخوارج: ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على كل طاعة، وقال في المحكمة الأولى: وطعنوا في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي عدوها عليه، وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين[4].

وقال في الأزارقة بعد أن ذكر أنهم يعتقدون كفر علي رضي الله عنه؛ قال: وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة، وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار[5]، وهذا المعتقد واضح البطلان بمجرد سماعه، واعتقاده ضلال وغواية وترك للحق جانباً، والخوارج استهواهم الشيطان بمعتقدهم هذا، فكانوا له تبعاً فاعتقادهم كفر من تقدم ذكرهم من أصحاب رسول الله ﷺ باطل لأمور عدة:

الأمر الأول: أن الله تعالى أخبر بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وكذا رسوله ﷺ أخبر بأنهم أفضل أمته، فقد قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ **[آل عمران: 110]**.

فقد نوَّه سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وذلك لقيامهم الكامل بواجب الأمر بالمعروف

---

[1] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1157/3).
[2] مقالات الإسلاميين (204/1).
[3] مجموع الفتاوى (89/19).
[4] الملل والنحل (117/1).
[5] المصدر السابق نفسه (121/1).

والنهي عن المنكر، وما ذلك إلا لما بلغوا إليه من كمال الإيمان وقوة اليقين، ولأنهم حققوا صفات الخيرية المنوه عنها في هذه الآية، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: قال: هم الذين هاجروا مع ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الله ﷺ من مكة إلى المدينة[1].

وقال رسول الله ﷺ: «خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث»[2] وإنما كان قرنه خير الناس لأنهم آمنوا به حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبوه، ونصروه حين خذلوه، وجاهدوا وآووا[3].

وأفراد الصحابة الذين يعتقد الخوارج المارقون كفرهم هم من الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وفي مقدمة من يتناوله هذا الثناء العالي الرفيع هم هؤلاء، فهم من أهل الهجرة، ومن الذين آمنوا بالنبيﷺ حين كفر به الناس، وهم من الذين جاهدوا معه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، فالآية والحديث فيهما شهادة الله ورسوله للصحابة عموماً بأنهم خير أمة محمد ﷺ[4].

وأبرز الصحابة الذين تكفرهم الخوارج؛ كعلي والزبير وطلحة وغيرهم وردت أحاديث في حقهم بأنهم من أهل الجنة، وقد بشرهم رسول الله ﷺ بذلك.

الأمر الثاني: شهادة الله لهم بالإيمان الحقيقي الخالص في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: 68] فكلمة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ في هذه الآية أول ما ينطلق هذا اللفظ على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، إذ إنهم أول وأفضل من دخل في هذا الخطاب بلا نزاع، ولكن الخوارج أزاغ الله قلوبهم فلم يهتدوا إلى شهادة العليم الخبير بحقيقة الإيمان للصحابة الذين كفَّروهم أو تبرؤوا منهم[5].

الأمر الثالث: أن الرب تبارك وتعالى أخبر في محكم كتابه العزيز: أنه رضي عن الصحابة ورضوا عنه، وأنه وعدهم بالخلود في الجنات والفوز العظيم، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

ففي هذه الآية صرح تعالى أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهو دليل قرآني صريح في أن من

---

[1] المستدرك (294/2) ، صححه الحاكم ، وأقرّه الذهبي.
[2] مسلم (1965/4).
[3] فيض القدير للمناوي (478/3).
[4] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1160/3).
[5] المصدر السابق نفسه (1161/3).

يعتقد كفرهم فهو ضالٌّ مخالف لله جل وعلا، حيث كفَّر من رضي الله عنه، ولا شك أن تكفير من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا، وتمرد وطغيان، وهذه صفة الرافضة والخوارج المارقة[1]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18]، وفي هذه الآية أعلن الله رضاه عن جيش الإيمان الذين حضروا الحديبية من صحابة رسول الله ﷺ؛ والذين كان منهم علي وطلحة والزبير، وعثمان رضي الله عنه كان في مكة رسولاً لرسول الله ﷺ فبايع له النبي ﷺ، وجعل يده عن يده، فكانت خيراً له من يده[2].

الأمر الرابع: أن الكفر بعيد الوقوع من قوم أخبر الله جل وعلا أنه بغَّض إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: 7].

وأما الآية فقد أخبر تعالى فيها أنه جعل الإيمان أحب الأشياء إليهم، فلا يقع منهم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة، فاستحقُّوا بذلك أن يكونوا هم الراشدين، كما نطقت بذلك الآية الكريمة، فكيف يكفر أولئك الخيرة على زعم الرافضة والخوارج المارقة، وعليهم تتلى ايات الله وفيهم رسوله؟ بل كيف يكفرون وقد كرّه الله إليهم الكفر وجعلهم راشدين؟ فلقد زاغ الخوارج الجهلاء بزعمهم كفر عثمان وعلي وطلحة والزبير وابن عباس وعائشة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ومعاوية وأصحاب الجمل وصفين من الصحابة الكرام[3].

عاشراً: من سمات الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث:

بدأت سمات الخوارج ونزعاتهم تظهر بين طوائف من أبناء المسلمين اليوم، وبأشكال ومظاهر مختلفة من جماعات وأفراد ودعوات وحركات واتجاهات، وشعارات، ومناهج وأساليب ومواقف وتصرفات، ونزعات فردية وجماعية، ونحو ذلك من أمور تنذر بخطر، وتنبئ عن بدايات ظهور البذور العقدية والفكرية والسلوكية للخوارج[4].

ومن هذه السمات والمظاهر: التشدد في الدين على النفس، والتعسير على الآخرين، والتعالم، والغرور، وتصدر الأحداث، وقلة الصبر، وضعف الحكمة، والاستبداد بالرأي، وتجهيل الآخرين، والطعن في العلماء، وسوء الظن فيهم، وتحقيرهم،

---

[1] المصدر السابق نفسه (1163/3).

[2] المصدر السابق نفسه (1163/3).

[3] المصدر السابق نفسه (1165/3).

[4] الخوارج ، ناصر العقل ، ص 120.

والتنفير منهم، والحدية في التعامل مع الآخرين، وصعوبة مد جسور التفاهم معهم، وقابلية الانشطار والتفرق، وسهولة اتهام الآخرين، وصعوبة التجمع والتوحد، والتكفير وغير ذلك من مظاهر الغلو التي ساهم في ظهورها مجموعة من الأسباب؛ منها:

1 . الجهل بالعلوم الشرعية:

فالمتأمل لواقع أكثر أصحاب التوجهات التي يميل أصحابها إلى سمات الخوارج يجد أنهم يتميَّزون بالجهل وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية، فحين يتصدرون للأمور الكبار والمصالح العظمى يكثر منهم التخبط والخلط والأحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة[1]، بسبب عدم قدرتهم على استيعاب فقه المصالح والمفاسد، والعلم بمراتبها، فوق جهلهم باحاد النصوص الحاكمة على القضايا المعينة، إذ ليست المنكرات العامة المتعلقة بالسياسة الشرعية؛ وهي في الغالب سبب الفتن؛ كمسائل الطهارة والصلاة والحج والأحوال الشخصية يقوم فيها الحق ـ غالباً ـ على الأدلة التفصيلية، بل قيام العلم في ذلك على أسس منها:

أ . الأدلة الشرعية العامة، والقواعد، التي يدخل تحتها أمور كثيرة.

ب . مقاصد الشريعة.

ج . الموازنة بين المصالح والمفاسد.

د . الأدلة التفصيلية.

ولا يمكن للعوام، بل صغار العلم فهم القضايا الكلية العامة، وإن كان يمكنهم فهم النصوص الجزئية، وكذلك فهم مقاصد الشريعة لا يكون إلا باستقراء مجمل النصوص، وتصرفات الشارع، ففقه المقاصد فقه عزيز، لا يناله كل أحد، بل لا يصل إليه إلا من ارتقى في مدارج العلم، واطلع على واقع الحال، وقلّب النظر في الاحتمالات التي يظن حدوثها، والموازنة بين المصالح والمفاسد تحتاج إلى فهم للشريعة ومقاصدها، وفهم للواقع ومراتب المفاسد والمصالح، وهذا كله لا يكون إلا للعلماء[2].

إن تصدُّر العامة أنصاف العلماء الذين لا يفهمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يشتت المسلمين ويفرق وحدتهم، لأن العوام لا يتصور اتفاقهم على أمر إذا لم يكن لهم سراة يصدرون عن رأيهم، ولذلك كان الرد إلى أهل الحل والعقد.

[1] الخوارج ، ناصر العقل ، ص 127.

[2] قواعد في التعامل مع العلماء ، ص 121.

2. القراءة من الكتب بدون معلم:

ومن الأسباب التي أسهمت في تشكيل فكر الغلو، طلب العلم من غير بابه، والإقبال بِنَهَمٍ على كتب العلم، دون معلم يعين ولا موجه يرشد، وأخذ الطلاب يستخرجون الأحكام في المسائل العضال قبل أن ترسخ أقدامهم في العلم بالكتاب والسنة، فزلَّت بهم القدم، وقد حدث هذا من نوعين من الشباب:

* شباب عاش في السجون، ولقى المحن والتعذيب.

* وشباب لم يدخلوا السجون، ولم يتعرضوا لمحن، وكانت النتيجة حصاداً مراً من البلبلة الفكرية، وبلاء الغلو، شتت شمل المسلمين المشتت، وزاد تمزيقهم تمزيقاً، وقد حدث هذا لأسباب منها:

أ. الإعراض عن العلماء:

ولقد سلك الغلاة هذا المنهج الخاطئ بسبب وقوع بعض الانحرافات ممن ينتسبون للعلم من أهل الهوى، فبدؤوا بسحب الثقة في أهل العلم، وفي أقوالهم ولو كانت حقاً، ثم غلب على هؤلاء سوء الظن، فوسعوا دائرة الإعراض، وأدخلوا فيها العلماء العاملين الصادقين، وسحبوا الثقة فيهم أيضاً، وكلما خالفهم عالم مجاهد في رأي رأوه، أو مالوا إليه، سحبوا الثقة فيه وأعرضوا عنه، وهنا يكمن الخطر ويوجد الشطط، قال أحد العلماء الذين حاوروا الشباب أثناء لقائه بهم: الذي أخشاه أن فقد الثقة بالعلماء سيحملكم على أحد الأمرين أو الأمرين معاً، وهما: الاجتهاد من غير استعداد كافٍ، ومعرفة تؤهل لذلك، أو العودة للكتب والأخذ عنها دون الاستعانة بأحد، وفي الاثنين من المخاطر ما فيهما.

قال أحد الشباب: لقد وقعنا في الاثنين معاً[1].

ب. الغلو في ذم التقليد:

لقد ذم القرآن الكريم التقليد وأهله، وحذر السلف من هذا المسلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170].

ومن أقوال الأئمة قول الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل، يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري[2].

---

[1] التكفير جذوره وأسبابه ، ص 14، 15 ؛ ظاهرة الغلو في الدين ، ص 313.
[2] إعلام الموقعين (200/2).

وقال أحمد: لا تقلدني، ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا[1].

وقال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا[2].

وقرأ الشباب هذا، وقرؤوا أن المقلد مع العالم كالصبي في حجر أمه، وأن لا فرق بين المقلد والبهيمة[3]، فأنِفوا من تقليد غيرهم من العلماء، وبالغوا في النفور من التقليد وذمه، فظنوا أن الاهتداء بآراء السابقين من الصحابة والتابعين والعلماء الصادقين، والاستفادة من مناهجهم، والاسترشاد بفتاويهم المدعمة بأدلة، ظنوا أن ذلك من التقليد المذموم، فأباحوا لأنفسهم إصدار الفتاوى ولم يتأهّلوا لها بعد، وأكبوا على الكتب يستخرجون منها الأحكام، ويستنبطون الآراء العجاب، وتوغلوا في هذا الميدان وهم ليسوا فرسانه، فشطوا وتجاوزوا الحدود.

إن هؤلاء الشباب لم يحسنوا تمييز الأمور وتفصيلها، ولم يعرفوا صحيح الأقوال من سقيمها، ولم يجيدوا إنزال النصوص منازلها، فعمَّموا حيث لا تعميم، وأعرضوا حيث يجب الإقبال، وأقدموا حيث يجب الإحجام، فالنصوص التي تذم التقليد ليست عامة، إنما لها حالات تتنزل عليها[4].

فابن عبد البر بعد أن ذكر الآثار المروية في ذم التقليد قال في نهاية الباب: وهذا كله لغير العامة، فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها، لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تقبل بعدم الفهم إلى علم ذلك؛ لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة والله علم. ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7]... فكذلك من لا علم له ولا بصر؛ بمعنى ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه، وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا؛ وذلك والله أعلم لجهلها بالمعاني التي يجوز منها التحليل والتحريم والقول في العلم[5].

وعامة هؤلاء الشباب عوام في علوم الشريعة ولوازمها، وأنِفوا من سؤال العلماء واستفسارهم، فكانت النتيجة حصاداً مريراً من الفوضى الفكرية.

---

[1] المصدر السابق نفسه.
[2] المصدر السابق نفسه (201/2).
[3] إعلام الموقعين (201/2)؛ جامع بيان العلم وفضله (114/2).
[4] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 316.
[5] جامع بيان العلم وفضله (114/2 . 115).



ج. التطبيق الخاطئ لكلمات صدق:

إن هذه افة خطيرة، من اتقاها نجا، فمشــكلة من وقع في غلو الخوارج اليوم وأمس، ليســت فيما يســتدلون به، ولكن في تطبيق ما يستدلون به على واقعه ومراده، فعندما انقلب الخوارج على أمير المؤمنين علي ورمَوه بالكفر.. وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال: كلمة حق أريد بها باطل[1]، وبعض أبناء العصــــر الحديث وقعوا فيما وقع فيه غيرهم، حيث أســـاؤوا تطبيق كلمات صـــدق وعدل، فكانت النتيجة اجتراء على الأحكام، والخروج بآراء حائدة عن الاعتدال، ومن هذه الكلمات على سبيل المثال:

❖ التقليد مذموم:

هذه كلمة حق دل عليها القرآن والســنة، ونهى عن التقليد الأئمة العلماء الأفاضــل، وهناك أمور هامة ينبغي التنبيه عليها هنا لنضع الكلمة في واقعها المراد:

ـ إن التقليد الباطل المذموم هو: قبول قول الغير بلا حجة[2].

ـ إن التقليد مذموم في حق القادر على الاجتهاد، جائز في حق العاجز عن الاجتهاد[3].

ـ قراءة كتب العلماء السابقين والاستفادة من آرائهم بلا تعصب ليس من التقليد المذموم بل ينبغي لطالب العلم أن يعرف ما قاله الســابقون في المســألة قبل أن يحكم فيها ليســترشــد بآرائهم وفهمهم[4]. قال عطاء: لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس، فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه[5]. وقال قتادة: من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفه[6]. وقال يحيى بن سلام: لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتي، ولا يجوز لمن لا يعلم الأقاويل أن يقول: هذا أحب إلي[7].

لكن بعض أبناء العصر الحديث أخطؤوا في تطبيق قاعدة عدم جواز التقليد، فحملوا على العوام والعلماء على السواء، ولم يفرقوا بين القادر والعاجز، ولا بين الأصول والفروع، ثم ماذا؟ الإعراض عن أقوال العلماء، بل بلغ الحد ببعضهم إلى تسفيه

---

[1] تاريخ الطبري (688/5).
[2] الفتاوى (15/20).
[3] المصدر السابق نفسه (203/20 ، 204).
[4] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 318.
[5] جامع بيان العلم وفضله (46/2 ، 47).
[6] المصدر السابق نفسه (47/2).
[7] المصدر السابق نفسه.

الآراء وطرح لمناهجهم؛ لأن هذا تقليد مذموم، ثم اجتراء على الفتوى، واستخراج الأحكام مباشرة من القرآن والسنة دون إلمام بالعلوم التي تيسر لهم ذلك[1].

❖ هم رجال ونحن رجال:

كلمة رائعة أعجبت بعض أبناء العصر، لأن فيها اعتداد بالنفس، وأنفة في الانقياد للغير وهذا ما تميل إليه بعض نفوس الناس، هذه الكلمة قالها إمام فقيه هو أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ لكن بعض الناس نسوا قائلها وخصائصه، ومناسبتها،

وانطلقوا يخطفون الأحكام خطفاً بمجرد قراءة الآية أو الحديث، وقل وقوفهم عند شرح وفهم الأئمة والعلماء للآيات والأحاديث، ولا مانع من إهدارها عندهم، فإذا قيل لهؤلاء الناس: ماذا تفعلون؟ اصبروا وتريَّثوا، وتأنّوا في أحكامهم، وانظروا أولاً إلى فهم علمائهم؛ قالوا: هم رجال ونحن رجال، نعم أنتم متساوون من حيث البنية الجسدية، والطباع البشرية، أتدرون من صاحب هذه العبارة؟ وما مناسبتها؟ إنه إمام عالم فقيه منَّ الله عليه بفهم ثاقب، وعلم غزير، وتقوى القلب، ولقد قالها في معرض بيان أصوله حيث قال: إذا كان القرآن أو السنة فأقدِّمهما، إذا كان قول الصحابي فلا أخرج عنه، وإذا كان قول تابعي، فهم رجال ونحن رجال[2]، فينبغي أن يعلم موضع القول ومناسبته حتى لا نشرد في التطبيق، نعم هم رجال علماء مجتهدون، فهل أنتم كذلك[3]؟!

❖ منهج الصحابة: التلقي المباشر من القرآن والسنة:

قام بعض أبناء العصر يحددون منهج الصحابة الكرام، بعد أن اندرس في الأنام، وأقبلوا على القرآن والسنة لاستخراج الأحكام، وأعرضوا عن الاستنارة بفهم علماء الإسلام، وقالوا: يكفينا القرآن والسنة، ولا حجة لنا بأفهام الأموات، فهما النبع الصافي فلا نكدره بشيء، وهنا أخطأت رميتهم، وطاش سهمهم[4]، لأن التلقي المباشر، والتعامل المباشر مع القرآن والسنة له حدود وقيود، فلكل مسلم أن يتعامل مع القرآن والسنة مباشرة للتعرف على أصول العقائد والأخلاق، والعظات، والعبر الجلية، فهذه أمور قد جلاَّها الله سبحانه وتعالى، وبيَّنها أتم بيان، بحيث لا يجد المرء عسراً في فهمها ما دام يعرف لغة القرآن.

أما التعرف على دقائق الأمور في العقائد والأحكام، فدائرته تضيق عن سابقه لتسع أصحاب الكفاءة والقدرة وحدهم،

---

(1) ظاهرة الغلو في الدين ، ص 319.

(2) المصدر السابق نفسه ، ص 319.

(3) المصدر السابق نفسه ، ص 320.

(4) ظاهرة الغلو في الدين ، ص 321.

أولئك الذين تزوَّدوا بعلوم أوسع من اللغة والأصول والحديث.. تمكنهم من حسن الفهم، ودقة الاستنباط، وتمنعهم من الشطط عند المتشابهات، والأمور الخفية، وعلى أساس هذه التفرقة الواعية سار الصحابة الكرام، فقد كانت تنزل بهم المسائل، وتعرض لهم الأمور، فإن كانت من القسم الأول عرفوها بكل يسر وسهولة، وإن كانت من القسم الثاني لم يتجرؤوا حتى يسألوا علماءهم وفقهاءهم، وهذا المنهج هو الذي ينبغي اتباعه، فهو منهج العقل والحكمة الذي يحمي من الجمود، ويقي من الفوضى والبلبلة[1].

إن تفقه بعضهم بدون معلم قد نتج عنه آثار سيئة ومخاطر جسيمة، من أهمها: نبذ تراث السلف من العلوم والفنون المختلفة، التطاول على العلماء، الاتجاه الظاهري في فهم النصوص، التجرؤ على الفتيا، أفكار غالية[2].

ولقد علمنا الإسلام أن للعلم أبواباً كما أن له آداباً، والسعيد من طرقه من أبوابه، وتحلَّى بآدابه، فما علمنا على مدار التاريخ أن أحداً أتى مباشرة إلى القرآن والسنة، وأخذ يعمل فكره ويستنبط الأحكام في أولى خطواته، ويؤخر النظر في أقوال من سبق أو يعرض عنها، ما علمنا هذا عن أحد، اللهم إلا الخوارج الأعراب البدو الجهال المجردين من الفقه، والخالين من الفقهاء، الخوارج ومن حذا حذوهم[3].

ولقد كثر زجر العلماء عن تلقي العلم من الكتب مباشرة دون الاستنارة بآراء وأفهام أهل العلم، لأن هذا باب إلى التحريف والتصحيف، وتبديل الأحكام والقول على الله بلا علم وتحليل الحرام، وتحريم الحلال، قال ابن جماعة وهو يذكر آداب طالب العلم التي أولها الاستخارة في اختيار الشيخ الذي يأخذ العلم عنه، ويكتسب الأخلاق منه: وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع، وله مع من يوثق به من مشائخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق. قال الشافعي ــ رضي الله عنه ــ: من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام، وكان بعضهم يقول: من أعظم البلية الصحيفة، أي: الذين تعلموا من الصحف[4]، ولله در القائل:

مَنْ يَأْخُذِ العِلْمَ عَنْ شَيْخٍ مُشَافَهَةً ... يَكُنِ الزَّيْغُ والتَّصْحِيفُ فِي حَرَمِ
وَمَنْ يَكُنْ آخِذاً لِلْعِلْمِ مِنْ صُحُفٍ ... فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ كَالعَدَمِ

[1] المصدر السابق نفسه ، ص 323.
[2] المصدر السابق نفسه ، ص 323.
[3] المصدر السابق نفسه ، ص 234.
[4] تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم ، ص 87.

وقال علماء السلف: لا تقرؤوا القرآن على المصحفيين، ولا تأخذوا العلم من الصحفيين[1]. وقال أبو زرعة: لا يفتي الناس صحفي، ولا يقرئهم مصحفي[2]، وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7].

وقد أنكر الله على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة[3]، وليس معنى هذا أن نمنع الناس أن يدرسوا ويتعلموا فطلب العلم فريضة، وهو مطلوب من المهد إلى اللحد، لكن نقول: إنهم مهما درسوا، فسيظلون في حاجة إلى أهل الاختصاص، فإنه للعلم الشرعي أدوات لم يتوفروا على تحصيلها، وأصولاً لم يتمرَّسوا بمعرفتها، واستيعابها، وفروعاً ومكملات لم تسعفهم أوقاتهم ولا أعمالهم أن يتفرغوا لها[4]، فلا جراءة وانطلاقة مندفعة غير منضبطة، ولا كسل وخمول وتجميد للفكر والنظر وحظر للبحث وحجر للعقل، إنما نريد جداً وسعياً مع التأني والتثبت والتروي والتأكد، والسؤال عما أشكل، وخير الأمور أوسطها[5].

3. تخلِّي كثير من العلماء عن القيام بواجبهم:

العلماء هم ورثة الأنبياء، ولذلك ينبغي أن يكونوا هم أصحاب القيادة والتوجيه في المجتمع، وعليهم أن يفرضوا وجودهم الأدبي والعلمي والمرجعي بين الناس، بأخلاقهم وجهدهم وعلمهم، وعليهم أن يتحركوا بهذا الدين وبالعلم الذي يعلمونه من هذا الدين لصياغة المجتمع صياغة صحيحة، ووضع كل من الحاكم والمحكوم في وضعه الصحيح بردِّ الحاكم إلى الالتزام بشريعة الله، فيزول من ثم ما هو واقع في المجتمع من ظلم سياسي واجتماعي واقتصادي، وردِّ المحكومين إلى الالتزام بأوامر الله ونواهيه، فيزول من ثم ما وقع في المجتمع من فساد خلقي وروحي وسلوكي، أو الجهاد في سبيل هذا الأمر على الأقل، فيتحقق من الإصلاح بقدر ما يخلص الناس نياتهم لله، وبمقدار ما يبذلون من الجهد اللازم للإصلاح.

لقد كان للعلماء دور القيادة والريادة في المجتمع دائماً وأبداً، وكان الناس يعرفون لهم ذلك حكاماً ومحكومين، ولم تظهر الزعامات السياسية العلمانية عند المسلمين إلا عندما تخلَّى العلماء عن دورهم في قيادة الأمة وتوجيهها، بل ما كان الناس يرضون بغير علمائهم بديلاً أبداً.

وكانت الأمة الإسلامية في كل أصقاع الدولة تحب علماءها وتجلهم وتلتف حولهم، وتفزع إليهم بعد الله سبحانه وتعالى كلما حزبها أمر و حلَّت بها مصيبة، لمعرفة الناس بمكانة العلماء وبقدرتهم على التحرك، وبالتصدي لكل ما يصيبهم من

---

[1] الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (97/2).
[2] المصدر السابق نفسه.
[3] تفسير ابن كثير.
[4] الصحوة الإسلامية ، ص 306.
[5] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 326.

السوء، وكذلك كان الحكام يعرفون للعلماء قدرهم، إن رغبة فيهم أو رهبة منهم، وما كان علماء المسلمين يعرفون بالانقطاع إلى الدرس والتحصيل، بل كانوا هم في مقدمة المجاهدين المقاتلين، وفي مقدمة الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكانوا يشاركون أمتهم أفراحها وأتراحها، وقد لاقى بعضهم من جراء ذلك ما لاقى، ولكن لم يثنهم ذلك عن القيام بواجبهم[1]؛ لأنهم فهموا معنى ورثة الأنبياء.

إن العلماء هم فقهاء الإسلام، ومن دار الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام[2]، والعلماء هم: أئمة الدين، نالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد والصبر واليقين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]، والعلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا عنهم العلم، فهم يحملونه في صدورهم، وينطبع في الجملة على أعمالهم، ويدعون الناس إليه، والعلماء هم الفرقة التي نفرت من هذه الأمة لتتفقه في دين الله، ثم تقوم بواجب الدعوة ومهمة الإنذار، فعليهم أن يكونوا بين الناس، ويقوموا بواجبهم كورثة للأنبياء، ويتخلوا عن انزوائهم وابتعادهم عن الناس ومشاكلهم والاكتفاء بواجب البلاغ والإنذار، بل يتصدروا لتربية الناس وتهذيبهم وتوجيههم وترشيدهم والصبر على مخالطتهم، وحل مشاكل الناس الفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية... إلخ، وفق شرع الله تعالى، فالعلماء هم هداة الناس الذين لا يخلو زمان منهم حتى يأتي أمر الله، فهم رأس الطائفة المنصورة إلى قيامة الساعة، يقول الرسول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمين بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[3].

فلا ينبغي أن يتخلى الكثير من العلماء عن واجبهم تجاه دعوة الله تعالى، ويتركون الناس بدون قيادة تقودهم نحو الخير والفلاح.

4 . شيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعية:

من أهم العوامل التي تؤدي إلى بروز ظاهرة الغلو: الكبت السياسي، من ظلم الأفراد والشعوب، وظلم الناس مما ينافي مقاصد الشريعة وما أمر الله به وأمر به رسوله ﷺ، من تحقيق العدل ونفي الظلم[4].

---

(1) ظاهرة التكفير ، الأمين الحاج محمد أحمد ، ص 181.

(2) إعلام الموقعين 7/1.

(3) البخاري ، كتاب الاعتصام ، رقم 7311.

(4) الخوارج ، ناصر العقل ، ص 126.

5. التأويلات الخاطئة لبعض آراء المفكرين المسلمين المعاصرين:

فكما أن الخوارج انطلقوا إلى بعض الآيات التي نزلت في الكفار ففصلوها زوراً وبهتاناً على طائفة من خيار الصحابة نجد كذلك نفراً من الشباب المتحمس والذي ينقصه العلم الشرعي والفقه في الدين في هذا العصر حملوا بعض آراء المفكرين المسلمين المعاصرين أكثر مما تحمل، وركبوا بسبب ذلك مركباً صعباً[1].

6. انتشار الفساد بين الناس:

من أكبر النكايات التي أصابت الأمة الإسلامية في هذا العصر الفساد العقدي والانحراف الكبير عن منهج أهل السنة والجماعة، وظهور البدع بين المسلمين، ولم يعد الكثير منهم يفقه حقيقة الشهادة التي يرددونها صباح مساء: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما ترمي إليه هذه الكلمة، وما هي شروطها وحقيقتها.

ولقد حاول أعداء الإسلام أن يفرغوا كلمة التوحيد من محتواها الكامل، وبحصر الإسلام في النطق بالشهادتين فقط، أو في التلفظ بهما مع إقامة الشعائر، ويزوي الدين كله في جانب قصي من الحياة لكي يعيش المسلمون حينئذ في وهن وذل وخضوع وانهزام نفسي أمام الطغيان المادي وبهرج الحياة الزائف، كما هو حال المسلمين اليوم[2]، وانتشر الفساد الخلقي بين الناس، وأشرف على هذا الإفساد أعداء الإسلام، وقد استشرى الفساد وعم بصورة جعلت بعض الأخيار ييأسون من الإسلام، ومن ثم ولّد هذا اليأس والقنوط في نفوس بعض الشباب الذي كان متحمساً للعمل الإسلامي، ردود فعل عنيفة، وردود الفعل هذه لها صور مختلفة ومتباينة فمنهم من انحرف مع التيار، ومنهم من اتخذ لنفسه موقفاً عدائياً سلبياً، وقنع أن هذا المجتمع الذي أصيب بهذا القدر من الفساد العقدي والأخلاقي لا خير فيه البتة، وربما حكم عليه بعضهم بأنه مجتمع كافر[3].

7. عدم تزكية النفوس:

إن من الأسباب الرئيسية لتولد بدعة التكفير: عدم تزكية النفوس بسبب ضعف الجانب التربوي، مما يؤدي إلى الغرور والاستبداد، ويجعل المرء يشتغل بعيوب غيره، أكثر من اهتمامه واشتغاله بعيوب نفسه، وعدم تزكية النفوس يتولّد منه أمراض خطيرة؛ منها: العجلة، والاستعلاء بالطاعة، والهوى، واحتقار الناس، وعدم احترامهم، وربما إخراجهم من الملة[4].

---

[1] المصدر السابق نفسه، ص 155 ؛ ظاهرة التكفير، الأمين الحاج، ص 146.
[2] ظاهرة التكفير، ص 152.
[3] المصدر السابق نفسه.
[4] المصدر السابق نفسه، ص 185.

هذه بعض الأسباب التي أدت لبروز ظاهرة الغلو في العصر الحديث.

حادي عشر: أهم مظاهر الغلو في العصر الحديث:

إن مظاهر الغلو في العصر الحديث كثيرة منها:

1 . التشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين:

من مظاهر الغلو في هذا العصـــر: الخروج عن منهج الاعتدال في الدين، الذي كان عليه النبيﷺ، وقد حذر النبيﷺ من ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضـي الله عنه، قال رسـول الله ﷺ: إن هذا الدين يسـر، ولن يشـاد الدين أحد إلا غلبه[1] والتشـدد في الدين كثيراً ما ينشـأ عن قلة الفقه في الدين، وهما من أبرز سمات الخوارج، أعني التشـدد في الدين وقلة الفقه، وأغلب الذين ينزعون إلى خصـــال الخوارج اليوم تجد فيهم هاتين الخصـــلتين[2]، ومن مظاهر الغلو: التعســـير وترك التيسير، فأصحاب الغلو يطالبون الناس بما يطيقون، ويلزمونهم بما لا يلزمهم به الشرع السهل، ولا يراعون قدراتهم وتفاوتها، وطاقاتهم واستطاعتهم وتباينها، وأفهامهم واختلافها، فيخاطبونهم بما لا يفهمون، ويطالبونهم بما لا يستطيعون، ومن أسباب التعســـير الورع الفاســـد، والجهل بمراتب الأحكام، والجهل بمراتب الناس، وأما مجالاته وصـــوره وأشـــكاله، إيجاب النظر والاستدلال على الجميع، وتحديث الناس بما لا يعرفون، وترك الرخص والإلزام بما لم يلزم به الشرع[3].

2 . التعالي والغرور وما يؤدي إليه من تصدر الأحداث:

من الســـمات البارزة في ظاهرة الغلو في الوقت المعاصـــر، التعالم والغرور، وادعاء العلم في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي، والأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ورأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه الســقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيســتقل بغروره عن العلماء، وعن مواصـــلة طلب العلم، فيهلك بغروره ويُهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدعون العلم والاجتهاد، ويتطاولون على العلماء وهم من أجهل الناس[4]. وأدى التعالم والغرور إلى تصـدر حدثاء الأســنان وسـفهاء الأحلام للدعوة بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الناس منهم رؤســاء جهالاً، فأفتوا بغير علم وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجســام بلا تجربة ولا رأي، ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يســـتنقص العلماء والمشـــايخ، ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتى بعض

---

[1] البخاري ، كتاب الإيمان ، فتح الباري (93/1).

[2] الخوارج ، ناصر العقل ، ص 130.

[3] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 241 . 249.

[4] الخوارج ، ناصر العقل ، ص 129.

المشايخ على غير هواه ومذهبه، أو بخلاف موقفه أخذ يلمزهم إما بالقصور أو التقصير، أو الجبن والمداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك، ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم وغرس الغل على العلماء والحط من قدرهم، ومن اعتبارهم، وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ من دينهم ودنياهم[1].

3 . الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين:

من أبرز معالم الغلو حديثاً التعصب للرأي، وعدم الاعتراف برأي الآخرين، وإنكار ما عنده من الحق ما دام خالفه في الرأي، ومن الأسباب التي تولد التعصب للرأي، والانحياز له: قلة العلم، مصادفة الرأي لذهن خال، الإعجاب بالرأي، اتباع الهوى.

إن آفة الإعجاب بالرأي والتعصب له هوت بأصحابها إلى دركات خطيرة، في أزمنة قبلنا، فما الذي هوى بذي الخويصرة الجهول؟! يقول ابن الجوزي: وافته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ[2].

وما الذي هوى بأصحاب ذي الخويصرة غير إعجابهم برأيهم، وظن السوء في غيرهم. وكانت الخوارج تتعبد، إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه، وهذا مرض صعب[3]، إن هؤلاء المساكين وقعوا أسرى لألفاظ لم يحسنوا فهمها، ولم يستمعوا لمن يجليها لهم، ويفهمهم إياها، لأن الصواب هو رأيهم وما عداه خطأ، يقول محمد أبو زهرة: أولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان، ولا حكم إلا لله، والتبرؤ من الظالمين، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا الدماء الإسلامية لنجيع الدماء، وشنوا الغارة في كل مكان[4].

إن هذا التعصب المقيت قد صدَّهم عن الاستجابة للحق بعد وضوحه، فقد ناظرهم أمير المؤمنين علي ــ رضي الله عنه ــ، وناظرهم ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وأزالوا أعذارهم، ودحضوا شبهاتهم، وأقاموا عليهم الحجج الدامغة، وأفحموهم بالبراهين الساطعة، فلم يستجب إلا بعضهم واندفع الكثير لاستباحة دماء المسلمين[5]، إن التعصب للرأي وتجهيل الآخرين يتنافى مع مبادئ هامة في الإسلام كالشورى والتناصح.

---

[1] المصدر السابق نفسه.
[2] تلبيس إبليس ، ص 90.
[3] المصدر السابق نفسه ، ص 91.
[4] تاريخ المذاهب الإسلامية ، محمد أبو زهرة ، ص 61.
[5] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 185.

4. الطعن في العلماء العاملين:

شاهد عصرنا حملة غريبة وظاهرة عجيبة؛ ألا وهي الاعتداء على هيبة العلماء العاملين، وطعنهم بخناجر الزيغ والضلال، ولقد شهدت الصحف والمجلات، والكتب والمقالات، وقاعات الدروس والحلقات نماذج كثيرة من تلك الحملات، فجلبت على أمة الإسلام أبلغ الأضرار، فَشُتِّتَ الشمل المشتت، وفُرِّق الجمع المفرق، وعُمِّق الشقائق الغائر.

ولا شك أن للطعن في العلماء أسباب منها: التعلم بدون معلم، الفهم الخاطئ لبعض عبارات العلماء، واتباع الهوى، والحسد، وقد لجأ بعض الشباب إلى أسلوب سيئ ألا وهو تتبع عورات العلماء وزلاتهم، وتصيد أقوالهم، وشواذ آرائهم، وتحريف كلمهم عن مقصودهم، فعلوا ذلك ليبرروا حملتهم الشعواء في الطعن على العلماء قديماً وحديثاً ممن يخالف آرائهم، ولا يقر مناهجهم الحائدة عن الاعتدال، ولقد كان فعلهم هذا وبالاً على الإسلام، وقرة عين لأعداء الإسلام من بني صهيون وعابدي الأوثان.

وإن هذا المسلك المشين الذي يدل على جهل صاحبه أو مرضه وحقده قد حذر منه العلماء لخطورته على المسلمين، ولأنه تنفيذ لمخطط أعداء الدين، وتحقيق لأغراضهم بلا تعب ولا نصب[1]، يقول ابن تيمية رحمه الله وهو ينهى عن رواية الأقوال الضعيفة عن الأئمة والعلماء: ومثل هذه المسألة الضعيفة، ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدح فيه، ولا على وجه المتابعة له فيها، فإن ذلك ضرباً من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة، وبمثل ذلك صار وزير التتار يلقي الفتنة بين مذاهب أهل السنة حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة، ويوقعهم في مذهب الرافضة وأهل الإلحاد[2].

إن الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين يخدمون المخططات اليهودية والنصرانية والطاغوتية والاستخباراتية سواءً شعروا بذلك أم لا، والذين لا يزالون يطعنون في علماء الأمة بفعلهم هذا يكونون قد ابتعدوا عن منهج أهل السنة والجماعة الذي يقوله: وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل[3].

وليعلم الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة، وما يدري هذا المتعلم أن الاعتبار في الحكم على الأشخاص بكثير الفضائل، قال ابن القيم: ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً

---

[1] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 215 . 223.

[2] الفتاوى (137/32).

[3] شرح الطحاوية (740/2).

أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح، وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين[1].

فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طعن في علمائهم؟! أيبقى شباب أحداث، يحسنون التلاوة، ولا تستقيم لهم لغة، وليس لهم باع طويلة ولا قصيرة في كثير من علوم الشرع؟!

إن أسلوب الطعن في العلماء قرة عين لأعداء الإسلام؛ لأنه ينشئ جيلاً بلا قادة، وهل رأيتم جيلاً بلا قادة قد أفلح؟!

إن أسوأ ما في الأمم السابقة علماؤها وأحبارهم؛ فقد كثر فيهم الضالون المضلون، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 34].

وأفضل ما في الإسلام علماؤه الربانيون العاملون، قال الشعبي: كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم[2]، ووضح ذلك ابن تيمية فقال: وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم، فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم[3].

5 . سوء الظن:

لقد كثر هذا المرض واستشرى ضرره في عصرنا، وكانت هذه الآفة أداة فتك وتدمير، ووسيلة هدم وتخريب، وقد ترتَّب عليها نتائج خطيرة، ومفاسد عظيمة، ولهذه الآفة أسباب ودوافع:

منها: الجهل؛ فالجهل بتفهم حقيقة ما يرى وما يسمع وما يقرأ ومرمى ذلك، وعدم إدراك حكم الشرع الدقيق في هذه المواقف، خصوصاً إذا كانت المواقف غريبة، تحتاج إلى فقه دقيق، ونظر بعيد، يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن، والاتهام بالعيب، والانتقاص من القدر.

ومنها: الهوى؛ وهو افة الافات، فيكفي أن يرى المرء أو يقرأ أو يسمع ما لا يعجبه، ولا يرضاه، ولا يوافق عليه ومبتغاه.. يكفي ذلك لأن يطلق للظن السيئ الحبال، ويرخي له العنان، فيرتع ويصول ويجول، ولا يزن الأمور بميزان الشرع الدقيق، ولا يحاول أن يلتمس المعاذير، ولا يراجع نفسه فضلاً عن أن يتهم فهمه، فالهوى يصده عن ذلك.

---

[1] إعلام الموقعين (283/3).

[2] الفتاوى (284/7).

[3] المصدر السابق نفسه.

ومنها: العجب والغرور؛ فإحسان المرء ظنه بنفسه، وغروره بفهمه، إن كان ذا فهم، وإعجابه برأيه يدفعه لأن يزكي نفسه، ويحتقر غيره، فهو الصواب والكل خطأ، وهو الحق والكل باطل، وهو الهدى والجميع ضلال، وقد رأينا أناس بلغ بهم سوء الظن مبلغاً غريباً عجيباً، حتى أخرجوا جميع الناس عداهم، أحياء وأمواتاً، فرموهم بالزيغ والضلال، وفساد الاعتقاد، فالجميع في عقيدته دخن ودخل وهم وحدهم المخلصون، الجميع هالكون وهم الناجون، إن الظن السيِّئ آفة، ولكل افة آثار وخطورة، فمن اثاره السيئة؛ والسيِّئ لا يلد إلا سيئاً:

- ❖ إنه يدفع صاحبه لتتبع العورات، والبحث عن الزلات، والتنقيب عن السقطات، وهو بذلك يعرض نفسه لغضب الله وعقابه، لأن ذلك من صفات مرضى القلوب الذي توعدهم رسول الله ﷺ ـ بالفضيحة، فقال: «يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه؛ لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عوراتهم يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه في بيته»[1].
- ❖ كما يدفع صاحبه إلى الغيبة، ونهش أعراض الآخرين، والتشفي فيهم.
- ❖ وأخيراً فالظن السيِّئ يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة، ويزرع العداء والبغضاء والشحناء.

ولما كانت هذه الافة ذات خطورة عظيمة كما تبين، فقد كان موقف الإسلام حاسماً، فقد دعا وأمر باجتناب أكثر الظن، لأن الوقائع والأحداث أثبتت أن الجري وراءه واتباعه عاقبته وخيمة وأضراره عظيمة[2]، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: 12] قال ابن كثير: يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو: التهمة والتخوُّن للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليجتنب كثير منه احتياطاً[3]، ومما يدفع سوء الظن التماس العذر لأخيك، قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً[4].

6 ـ الشدة والعنف مع الآخرين:

من مظاهر الغلو حديثاً: الشدة والعنف في التعامل مع الآخرين، واستخدامهما في غير محلهما، وكأن الأصل في التعامل مع الغير هو العنف والغلظة، لا الرفق والرحمة، وهذه الشدة أصبحت هي الطابع الغالب على سلوك بعض الشباب، وقد

---

[1] مسند أحمد (421/4 ـ 424).
[2] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 201 ـ 211.
[3] تفسير ابن كثير (212/4).
[4] المصدر السابق نفسه.

تجاوز العنف حدود القول إلى العمل، فسفكت دماء بريئة بسببه، ودمرت منشآت، ولقد تسبب هذا العنف في أضرار فادحة على أصحابه وعلى الأمة، وقد كانت هناك جملة أسباب رئيسة وراء استخدام بعض الشباب للعنف والشدة، والقسوة والغلظة، نستطيع أن نجملها فيما يلي:

ـ المحن: فكثير من هؤلاء الشباب تعرضوا لمحن شتى، أثرت في نفوسهم وكان لذلك رد فعل شديد، فقابلوا العنف بالعنف، وغلب ذلك على طباعهم.

الجهل بفقه الاحتساب: فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات التي كلف الله بها هذه الأمة، وينبغي للقائم بها أن يكون فقيهاً فيها ليتمكن من تحقيق المصلحة واجتناب المفسدة بأيسر طريق، فهناك أمور ينبغي فقهها والعلم بها لمن يؤدي هذا الواجب.

منها: إن هذا الواجب قد يؤدي تارة بالقلب، وتارةً باللسان، وتارةً باليد، والقلب واجب في كل حال، وبعض الناس قد يقع هنا في خطأ؛ فمنهم من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقاً، من غير فقه وحلم وصبر، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ولرسوله، وهو معتد في حدوده[1]، فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي، ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود، ولا بد في ذلك من الرفق، ولا بد أيضاً أن يكون حليماً صبوراً على الأذى، فإنه لا بد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

فلا بد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر، والحلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال.

وقد ذكر القاضي أبو يعلى: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه[2]، تلك بعض أمور من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد أدى الجهل بها وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف في الدعوة.

ولقد استخدم بعض الشباب أسلوب الغلظة والقسوة في إرشاد الناس ومحاورتهم لهم، ودعوتهم لإقلاعهم عما يخالف الشرع، وظنوا أن طريق الشدة هي المجدية والرادعة، وغاب عنهم أن أسلوب الرفق هو الأصل ولا يترك إلا بعد أن تستنفذ وسائله،

---

(1) الفتاوى (128/27.128).

(2) المصدر السابق نفسه (136/28 . 137).

لأنه هو المجدي النافع، المؤثر في النفس، أما الشدة فإنها تنفر في غالب الأحيان، وتحمل المخالف على الإصرار.

ومن العجب: أن هؤلاء لم يفرقوا بين المخالف على علم، والجاهل الذي لا يدري، ولا بين الداعية للبدعة، والضحية المضلل المخدوع، ولا بين المنكر المختلف فيه، والمتفق عليه.

ومن الأسباب الغليظة التي يسلكها بعض هؤلاء: الخشونة في معاملة الوالدين، فلا يقيم لهم حرمة، ولا يعاونهما ولا يخدمهما، لقد نسي هؤلاء أن الوالدين لهما خصوصيات عن سائر الناس لا سيما في دعوتهم وإرشادهم ولا يعني ذلك التنازل عن الالتزام والتمسك بأمر من أمور الدين أو ارتكاب معصية إرضاء لهواهم.. كلا.. كلا.. إنما نريد الأدب في المعاملة، واللين في القول، وحسن العشرة، والصبر عليهم، والشفقة والرحمة بهم، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ *وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[لقمان: 14-15].

ولقد رأينا بعض الشباب يتخاذل عن معاونة الناس الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهؤلاء في نظرهم لا يستحقون أي خدمة، ولا كلمة طيبة، ولا مساعدة نافعة، فهؤلاء الشباب لم يتضح عندهم مفهوم الولاء والبراء وحدود كلٍّ، فيطغى عندهم البراء على الولاء، ونسوا أن الخدمات الاجتماعية وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة، لأنها عملية، فهي أبلغ تأثيراً في النفس من القول، ونسوا أن خشونتهم في المعاملة، وتخليهم عن المساعدة، يعمق الهوة بينهم، ويذهب لهؤلاء الناس إلى صفوف المنحرفين أعداء الدين، ومن مظاهر العنف البالغة ما يفعله بعض هؤلاء من مجاوزة الغلظة بالقول إلى القتل وسفك الدم، دم العلماء، أو الجنود الأبرياء، أو المواطنين العزل.

وأخيراً: فلا تعجب إذا علمت بعد ذلك أن أصحاب العنف هؤلاء، كثيراً ما انقلب بعضهم على بعض، وتطاولت الألسنة وأحياناً الأيادي، وذلك ليس بغريب إذا راجع الإنسان قليلاً لدراسة أحوال الفرق التي تركت كتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح، فقد تناحرت تلك الفرق فيما بينها، وضلل بعضها بعضاً، وكفر بعضها بعضاً، وهكذا مصير من ترك المنهج الذي جاء به خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وسلامه.

إن الإسلام موقفه صريح من العنف والشدة في الدعوة ومعاملة الناس، قال تعالى ـــ آمراً موسى وأخاه هارون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى *فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 43 ـــ 44]، تلك هي توجيهات ربنا لموسى وهارون عليهما السلام عند دعوة فرعون الطاغية: القول اللين في بيان الحق لأنه أجدى وأقرب لقبول الذكرى وإحداث الخشية، وقال

سبحانه: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 34 . 35].

إن الداعية قد يلقى في طريقه ما يغضبه ويضايقه، وهو لاقيه لا محالة؛ فلا بد أن يوطن نفسه بالصبر، ويحصنها بكظم الغيظ، والعفو عن الناس: ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: 17].

وينبغي للداعية أن يتجنب أسلوب الإثارة والاستفزاز، فيبتعد عن السباب والشتم: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108].

ولقد كثرت النصوص النبوية التي تؤكد وتركز على الالتزام بقاعدة الرفق، والبعد عن الشدة والعنف، قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[1].

والرفق هو الأصل في الدعوة ليس معنى ذلك إلغاء الشدة بالكلية، لا فالشدة مواضعها بعد استنفاد وسائل الرفق والصبر، والموفق من وفقه الله لإنزال كلٍّ في منزله، وعصمه من هواه[2].

7 . التكفير:

تلك هي قمة الغلو وذروته، ولقد بدأت ظاهرة التكفير في عام 1965م، وأخذت تتسع شيئاً مع عام 1967م نتيجةً لبعض المحن، وأخذ هذا الفكر ينتشر رويداً رويداً حتى شكل ظاهرة بارزة، وقد رأينا كثيراً ممن يتصدون لتكفير الناس، قد غاب عنهم مبادىء هامة، فوقعوا فيما وقعوا فيه.

ومن هذه المبادئ:

القاعدة الأولى: الذنوب: كبائر وصغائر، يقول ابن القيم: والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، بنص القرآن والسنة، وإجماع السلف وبالاعتبار[3]، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: 31]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ [النجم: 32] والجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر»[4] فالذنوب

---

(1) مسند أحمد (362/4).
(2) ظاهرة الغلو في الدين، ص 231 . 237.
(3) مدارج السالكين (237/1).
(4) مسلم (209/1)، رقم 233.

متفاوتة في الإثم.

القاعدة الثانية: الكفر نوعان: أكبر وأصـــغر، لقد دلت النصـــوص على أن الكفر نوعان ينبغي التمييز بينهما، فالكفر الأكبر: منها التكذيب بما جاء به الرسـول والجحود والإعراض. والأصـغر: ذنوب توجب اسـتحقاق الوعيد دون الخلود، كقوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضـرب بعضــكم رقاب بعض»[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9] فقد وصف الله الطائفتين المقتتلتين بالإيمان، فدل ذلك على أن وصف الكفر بهذا لا ينقل عن الملة، وذلك هو الكفر الأصغر، يقول ابن القيم: والقصد أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنها ضد الشكر الذي هو العمل بالطاعة[2].

القاعدة الثالثة: تفاوت البدع: لقد ذم الإســلام البدع بجميع أنواعها، وردها على صــاحبها: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[3]، وقال رسـول الله ﷺ: «إن أحســن الحديث كتاب الله، وأحســن الهدي هدي محمد ﷺ، وشــر الأمور محدثاتها»[4]، غير أن بعض الناس قد وقفوا في البدعة لغلبة أهوائهم، وسيطرة الشبهات عليهم، فاستحقوا بذلك الذم، غير أنهم متفاوتون في الإثم لتفاوت البدع؛ فمثلاً: بدعة التكفير ليسـت كبدعة صـوم النصـف من شـعبان، فقبل إصـدار أي حكم ينبغي النظر إلى البدعة والمبتدع الجاهل المقلد غير الداعية فلا يستوي والأول والثاني، كذلك المجاهر والمسر.

القاعدة الرابعة: للتكفير شـــروط وموانع: هذه القاعدة من أهم القواعد، وقد تخفى على كثير، فينبغي التنبيه لها، ومراعاتها في كل حكم، فقد يرتكب المرء ذنباً فهو كفر، وقد يقول قولاً هو كفر، وقد يعتقد اعتقاداً هو كفر، فهل بمجرد اقترافه لهذا القول أو الفعل أو الاعتقاد يصبح كافراً حلال الدم والمال؟ أجاب العلماء بأن هذا الشـخص المعين لا يكون كافراً حلال الدم والمال إلا إذا توفرت فيه عدة شـــروط، وانتفت عنه عدة موانع، حينئذ يجوز الحكم عليه بالكفر، أما إذا انتفى أي شرط أو وجد أي مانع فلا يجوز أن يحكم عليه بالكفر، وليس معنى هذا إعفاءه من العقوبة تماماً، بل يعاقب على حسب حاله، إنما الممنوع الحكم عليه بالكفر لا مطلق العقوبة.

شروط التكفير:

هناك شـــروط ثلاثة لا بد من اجتماعها فيمن عمل عملاً يســتحق عليه الوعيد كاللعن والكفر، وإذا ســقط شــرط منها

---

(1) مسلم (1/ 82) ، رقم 66.

(2) مدارج السالكين (253/1).

(3) البخاري (2/3) ، رقم 2697.

(4) البخاري ، رقم 7277.

فيمتنع لعن الشخص وتكفيره وهذه الشروط هي:

الشرط الأول: العلم:

فلكي يحكم على شخص بالكفر لأنه عمل عملاً، أو قال قولاً، واعتقد اعتقاده هو كفر، لا بد قبل الحكم من التأكد من معرفة هذا الشخص بأن ما يفعله كفر، وأنه مخالف لما يجب فعله من الحق والصواب، فإذا كان جاهلاً بالحق والصواب فلا تشرع عقوبته قبل بيان الحق والصواب بياناً شافياً، فالله سبحانه وتعالى لم يشرع العقوبة قبل إقامة الحجة[1]، قال عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: 15]. وقال تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: 59].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الملك: 8 ـ 9]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: 134]. فهذه النصوص القرآنية تفيد أن الله تعالى لا يؤاخذ عباده إلا بعد قيام الحجة عليهم، وعلمهم بالحق والصواب، وقد ثبت في نصوص أخرى: أن الله لا يؤاخذ الجاهل، ولو كان جهله بمسائل في العقيدة[2]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: «كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له»، وفي رواية: «مخافتك يا رب»[3].

وهذا الحديث متواتر عن النبيﷺ، رواه أصحاب الحديث والأسانيد من حديث أبي سعيد، وحذيفة وعقبة بن عمرو، وغيرهم عن النبيﷺ من وجوه متعددة، يعلم أهل الحديث أنها تفيد العلم اليقيني، وإن لم يحصل ذلك لغيرهم ممن لم يشركهم في أسباب العلم، فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة ابن آدم، بعدما أحرق وذري، وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك، وهذان أصلان عظيمان:

أحدهما: متعلق بالله تعالى، وهو الإيمان بأن الله على كل شيء قدير.

---

[1] ظاهرة الغلو في الدين، ص 265. 267.

[2] ظاهرة الغلو في الدين، ص 267.

[3] البخاري، رقم 3478.

الثاني: متعلق باليوم الآخر، وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله.

ومع هذا فلما كان مؤمناً بالله في الجملة، ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة، وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت، وقد عمل صالحاً، وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه، غفر الله له بما كان منه في الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح[1]، والأدلة من السنة كثيرة.

الشرط الثاني: العمد:

بعد استيفاء شرط العلم، وبيان دليل الحق والصواب للمخالف، والتأكد من وصوله إليه، إن ظل على فعله أو قوله أو اعتقاده الذي يجلب الكفر أو اللعن، لا يجوز الحكم عليه بالكفر إلا بعد استيفاء شرط آخر، وهو العمد، فنرى: هل تعمَّد نصرة القول الباطل، ومخالفة الحق بعد وصوله إليه ووضوحه؟ أو هو مخطئ متأول قد عرضت له بعض الشبه؟ لا بد من توفر شرط العمد، لأن الله تعالى قد رفع الإثم والمؤاخذة عن المخطئ والمتأول[2]، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: 5]، وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286] وقد ثبت عن أبي هريرة عن النبيﷺ: «أن الله تعالى قال: قد فعلت»، لما دعا النبيﷺ والمؤمنون بهذا الدعاء، وقد قال رسول الله ﷺ: «أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، وأنه لم يقرأ بحرف منها إلا أعطيتها»[3]، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان»[4].

وقال ابن تيمية: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية[5].

الشرط الثالث: الاختيار والقدرة:

إذا علم المرء الحق وقال بخلافه ولم يكن متأوِّلاً؛ هل يكفي ذلك للحكم عليه؟ هنا ننتقل إلى الشرط الثالث، فننظر في حال هذا الشخص، وهل قال هذا القول الباطل وهو مختار قادر أو لا؟ وهذا الشرط لا بد من توفره؛ لأن النصوص والوقائع بينت أن الله تعالى لا يؤاخذ المكره والعاجز عن الاختيار[6]، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ

---

[1] الفتاوى (491/21) ؛ الفصل في الملل والنحل لابن حزم (296/3).
[2] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 270.
[3] مسلم ، رقم 173 ، 806.
[4] سنن ابن ماجه ، رقم 2043 ؛ صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (347/1).
[5] الفتاوى (229/3).
[6] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 274.

مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 106].

- موانع التكفير المعين: الخطأ والجهل والعجز والإكراه[1].
- موانع لحوق الوعيد بالشخص المعين.

وقد بين ابن تيمية رحمه الله أن موانع لحوق الوعيد بالشخص المعين عشرة هي: التوبة والاستغفار، الحسنات الماحيـــة، دعاء المؤمنين، ما يعمل للميت من دعاء البر، شفاعة النبيﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة، المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا، ما يحصـل في القبر من الفتنة والضـغطة والروعة؛ فإن هذا مما يكفر الله به الخطايا، أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها، رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد، تلك أسباب عشرة تمنع من لحوق الوعيد بالشخص المعين إذا تلبس ما يوجب الوعيد[2]، فإذا عدمت هذه الأسباب كلها ولن تعدم إلا في حق من عتا وتمرد، وشرد على الله شراد البعير على أهلــه؛ فهنالك يلحق الوعيد بــه، فإن قيل: فما فائدة الوعيد إذاً؟ فالإجابة: وذلك أن حقيقة الوعيد بيان أن هذا العمل سبب في هذا العذاب، فيستفاد من ذلك تحريم الفعل وقبحه، أما أن كل شخص قام به ذلك السبب يجب وقوع ذلك المسبب به، فهذا باطل قطعاً، لتوقف ذلك المسبب على وجود الشرط، وزوال جميع الموانع[3].

*** معنى من لم يكفر الكافر فهو كافر:**

من العبارات التي اشتهرت على ألسنة من يلهبون الناس بسياط التكفير قولهم: من لم يكفر الكافر فهو كافر، وجعلوا هذه القاعدة مسوغاً لتكفير من يخالفهم في رأيهم، وحقيقة: إن هؤلاء الناس لم يحسنوا إنزال هذا القول منزله، ولم يجيدوا فهمه، فالمراد بالكافر الذي من لا يكفره يكون مثله، هو الشـخص المقطوع بكفره الذي توفرت فيه جميع الشـروط، وانتفت عنه جميع الموانع، ومن كان كافراً من البداية ولم يدخل في الإسـلام أبداً مثل: فرعون، أبي جهل، أبي لهب، ماركس... إلخ فمن لم يكفر هؤلاء وأمثالهم؛ فهو مثلهم.

وأما الشخص الخفي حاله لإظهاره الإسلام مثلاً وإبطانه الكفر وكراهية الإسلام، فمثل هذا الشخص من اطلع على حاله وعرف حقيقته في مجالس خاصة وللقرب منه، وتحقق من وجود الشروط، وانتفاء الموانع وجب عليه اعتقاده تكفيره، ومن لم يطلع، وشهد له بالإسلام، فلا إثم عليه لأنه شهد بما علمه، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر، وقد كان المنافقون يعاملون بما يعامل به المسـلمون لأنهم كانوا يظهرون الإسـلام ولا يعلنون كفرهم بل يبطنونه، وقد دلت أعمال أئمة السـلف على أن

---

[1] منهج ابن تيمية في مسألة التكفير (230/2 ـ 266).
[2] ظاهرة الغلو في الدين ، ص 281 ـ 284.
[3] الفتاوى (254/20 ، 255).

المراد بالكافر هو المقطوع بكفره لا المختلف فيه، إذ المختلف في تكفيره لا يكفر من لم يكفره، ودليل ذلك: أن الإمام أحمد كان يرى كفر تارك الصلاة وكان الأئمة الثلاثة لا يرون كفره، وقد دارت مناقشة بين الإمام الشافعي والإمام أحمد حول هذه المسألة، فهل حكم أحمد على الشافعي بالكفر لعدم تكفيره تارك الصلاة؟! بالطبع لا.

وقد حقق ابن تيمية ما نسب إلى الإمام أحمد من الحكم على من لا يكفر أهل البدع، فقال: وعنه في تكفير من لا يكفر روايتان أصحهما لا يكفر[1]، وهذا في حق من لم يكفر الكافر المختلف في كفره، أما المقطوع بكفره فلا، وما نسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تكفير من لا يستحق ذلك، فهذه نبذة من أقواله توضح منهجه في الدعوة، وينفي بها عن نفسه ما نسب إليه زوراً وبهتاناً من تكفير من لا يستحق ذلك.

قال رحمه الله في رسالته للشريف: وأما الكذب والبهتان مثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضعافه، وكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على أحمد البدوي، وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر، ويقاتل؟! سبحانك هذا بهتان عظيم[2].

وفي رده في رسالته إلى السويدي البغدادي يقول: وما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، فيا عجباً! كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟ إلى أن قال: وأما التكفير: فأنا أكفر من عرف دين الإسلام ثم بعدما عرفه سبه، ونهى الناس عنه وعادى من فعله، وهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك[3].

تلك قواعد هامة ينبغي مراعاتها قبل النظر في مسألة التكفير، وهي قواعد اتفق عليها العلماء واعتبروها في أحكامهم، لذلك عصمتهم من الزلل، ووقتهم من السقوط في هاوية التكفير، وثبتتهم على الصراط المستقيم، والطريق السوي، والسبيل القويم الذي لا عوج فيه ولا انحراف، ومن أراد المزيد في بحث هذه المسألة فليراجع (منهج ابن تيمية في مسألة التكفير) للدكتور عبد المجيد المشعبي، و(ظاهرة التكفير) للأمين الحاج محمد أحمد، و(ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث) لمحمد عبد الحكيم حامد، و(الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة) لعبد الرحمن بن معلا اللويحف، و(شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر)، سالم البهنساوي، (الحكم وقضية تكفير المسلم)، لسالم البهنساوي.

---

[1] الفتاوى (12/ 486).

[2] مصباح الظلام ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن ال الشيخ ، ص 43.

[3] المصدر السابق نفسه.

المبحث الثاني : من أهم عقائد الشيعة الرافضة (الإمامة)

يعتقد الشيعة الرافضة الاثنا عشرية: أن الإمامة ركن عظيم من أركان الإسلام، وأصل أصيل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها. وأول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة الرافضة هو ابن سبأ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي ومحصورة بالوصي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره.

فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، وكفَّرهم[1]، لأنه كان يهودي الأصل، يرى أن يوشع بن نون وصي موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب[2].

وهذا ما تعارف عليه شيوخ الشيعة الرافضة، فابن بابويه القمي يسجل عقائد الشيعة في القرن الرابع ويقول بأنهم يعتقدون بأن لكل نبي وصياً أوصى إليه بأمر الله تعالى[3]، ويذكر أن عدد الأوصياء مئة ألف وصي، وأربعة وعشرون ألف وصي[4]. كما ذكر المجلسي في أخباره: أن علياً هو آخر الأوصياء[5]. وجاء في بعض عناوين الأبواب في الكافي: باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد[6]، وباب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً[7]، وقد ضمنها مجموعة من أخبارهم التي يعدونها من الأدلة التي لا يرقى إليها الشك.

ولهذا قال شيخهم مقداد الحلي (ت 821 هـ) بأن مستحق الإمامة عندهم لا بد أن يكون شخصاً معهوداً من الله تعالى ورسوله لا أي شخص اتفق[8]. ويقرر محمد حسين آل كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة الاثني عشرية في هذا العصر: أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار ما يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيد بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه.. فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده[9].

---

[1] رجال الكشي ، ص 101 ؛ المقالات والفرق للقمي ، ص 20.
[2] رجال الكشي ، ص 101 ؛ أصول الشيعة (792/2).
[3] عقائد الصدوق ، ص 106.
[4] المصدر السابق نفسه.
[5] بحار الأنوار (342/39).
[6] أصول الكافي (227/1).
[7] المصدر السابق (286/1).
[8] النافع يوم الحشر ، ص 47.
[9] أصول الشيعة الإمامية ، ص 58.

فأنت ترى أن مفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، فكما يصطفي الله سبحانه من خلقه أنبياء، يختار سبحانه أئمة، وينص عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتب، ويوحي إليهم، ولا يقولون أو يفعلون إلا بأمر الله ووحيه.. أي أن الإمامة هي النبوة، والإمام هو النبي، والتغيير في الاسم فقط، ولذلك قال المجلسي: إن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال[1]، ثم قال: ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة[2] ! هذا قولهم في مفهوم الإمامة، ويكفي في نقده أنه لا سند لهم فيه إلا ابن سبأ اليهودي[3].

أولاً: منزلة الإمامة عندهم وحكم من جحدها:

مسألة الإمامة عند أهل السنة ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها، كما قرره جمع من أهل العلم[4].

ولكنها عند الشيعة الرافضة لها شأن آخر، ففي الكافي روايات تجعل الإمامة أعظم أركان الإسلام، روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذا ـ يعني الولاية ـ[5].

فأنت ترى أنهم أسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام، ووضعوا مكانهما الولاية، وعدّوها من أعظم الأركان، كما يدل عليه قولهم: ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية، وكما يدل عليه حديثهم الآخر، وقد ذكر فيه نص الرواية السابقة وزاد: قلت ـ الراوي ـ: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل[6].

ويقول المجلسي: ولا ريب في أن الولاية والاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام والإذعان لهم من جملة أصول الدين، وأفضل من جميع الأعمال البدنية لأنها مفتاحهن[7].

ويقول المظفر ـ وهو من علمائهم المعاصرين ـ: نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الاباء والأهل والمربين، مهما عظموا، بل يجب النظر فيها، كما يجب النظر في التوحيد والنبوة[8]. بل وصلت الأخبار إلى أكثر من هذا حينما قالت: عُرِج بالنبي صلى الله عليه وسلم بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه

---

[1] بحار الأنوار (82/26).
[2] المصدر السابق نفسه (82/26).
[3] أصول الشيعة الإمامية (794/2).
[4] غاية المرام للامدي ، ص: 363 ؛ الاقتصاد للغزالي ، ص 134.
[5] أصول الكافي (18/2) ، رقم 3.
[6] المصدر السابق نفسه.
[7] مراة العقول (102/7).
[8] عقائد الإمامية ، ص 102.



بالفرائض[1].

هذه الروايات الشيعية الرافضية ومثيلاتها في كتب الشيعة الروافض كانت كفيلة بأن تجعل الإمامة هي الحكم على إيمان الرجل أو كفره، وأن تجعل المسلم معرضاً للاتهام بالكفر لمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرحون بهذه الحقيقة المرة، يقول ابن بابويه القمي في رسالته (الاعتقادات): واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[2]. ويقول يوسف البحراني في موسوعته (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة): وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين[3]. ويقول المجلسي: اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفضل عليهم غيرهم؛ يدل أنهم مخلدون في النار[4].

وقال ابن المطهر الحلي: الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص[5].

فهو يجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشد كفراً من اليهود والنصارى، وقد بنى على ذلك أن الزمان لا يخلو من إمام، وهو إشارة إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر الغائب، والذي أنكره طوائف من الشيعة، وقرر المحققون من علماء النسب والتاريخ أنه لم يولد أصلاً، ولكن شيخ الشيعة الرافضة يرى أن إنكاره أعظم من الكفر[6].

وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب في تكفير أمة الإسلام فيقول: اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة؛ فهو كافر ضالّ مستحقّ للخلود في النار[7].

وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول: لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيه، وخليفته بعد أبو

---

[1] بحار الأنوار (69/23).
[2] الاعتقادات ، ص 103 ؛ ثم أبصرت الحقيقة ، محمد الخضر ، ص 127.
[3] الحدائق الناضرة(153/18).
[4] بحار الأنوار (390/23).
[5] الألفين ، ص 3 ؛ أصول الشيعة الإمامية (867/2).
[6] أصول الشيعة الإمامية (867/2).
[7] المسائل للمفيد ، وقد نقل ذلك عنه المجلسي في البحار (366/8).

بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا[1].

إن الإمامة صنو النبوة أو أعظم، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم، لهذا جاء حكم الشيعة الإثني عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الإثني عشر مكملاً لهذا الغلو، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار، وخصصوا باللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا الإثني عشرية، فتناول تكفيرهم:

1 . الصحابة رضوان الله عليهم:

كتب الشيعة الرافضة مليئة باللعن والتكفير لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عددهم أصابع اليد، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية[2]، كما أن من أهل العلم وأصحاب المقالات من اطلع على هذا الأمر عند الشيعة الإمامية، قال القاضي عبد الجبار: وأما الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمامة الإثني عشر النص الجلي، الذي يكفر من أنكره، ويجب تكفيره، فكفّروا لذلك صحابة النبي عليه السلام[3].

وقريب من هذا المعنى قال عبد القاهر البغدادي: وأما الإمامية فقد زعم أكثرهم[4] أن الصحابة ارتدت بعد النبي صلى الله عليه وسلم سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم[5] ويقول ابن تيمية رحمه الله: إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفراً قليلاً.. إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وتقول كتب الإثني عشرية: إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة أو أربعة آخرين رجعوا إلى إمامة علي، ليصبح المجموع سبعة، ولا يزيدون عن ذلك، ولقد تداولت الشيعة أنباء هذه الأسطورة في المعتمد من كتبها، فسجلوا ذلك في أول كتاب ظهر لهم وهو كتاب سليم بن قيس[6]، ثم تتابعت كتبهم في تقرير ذلك وإشاعته وعلى رأسها (الكافي) أوثق كتبهم الأربعة، و(رجال الكشي)[7]، عمدتهم في كتب الرجال وغيرها من مصادرهم[8]، وسيأتي الحديث عن موقف الشيعة الرافضة من الصحابة مفصلاً بإذن الله تعالى.

---

(1) الأنوار العلمانية (279/2).

(2) أصول الشيعة الإمامية (868/2).

(3) شرح الأصول الخمسة ، ص 761.

(4) تلحظ أن عبد القاهر لا يعمم هذا المذهب على الإمامية كلها.

(5) الفرق بين الفرق ، ص 321.

(6) كتاب سليم بن قيس ، ص 74 . 75.

(7) رجال الكشي ، ص6 ، 7 ، 8 ، 9 ،11.

(8) أصول الشيعة الإمامية (780/2).

2. تكفيرهم أهل البيت:

إن الروايات التي تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالي الفريد، ولا تستثني منهم جميعاً إلا سبعة في أكثر تقديراتها، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحداً من أهل بيت رسول الله باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء علي فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر، قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة:

علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمّار؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة[1]، فالحكم بالردة في هذه النصوص شامل للصحابة، وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة[2].

وقد خصت الشيعة الرافضة بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله، كعم النبي العباس، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72]، وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذي خصصوه باللعن وبأنه سخيف العقل[3]، كما جاء في (الكافي)، وفي (رجال الكشي): اللهم العن ابني فلان وأعم أبصارهما، كما عميت قلوبهما.. واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما[4]. وعلق على هذا شيخهم حسن المصطفوي فقال: هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس[5].

وبنات النبي صلى الله عليه وسلم يشملهن سخط الشيعة الإثني عشرية وحنقهم، فلا يذكرون فيمن استثني من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبي صلى الله عليه وسلم ما عدا فاطمة[6] رضي الله عنهن، فهل يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقول فيه وفي بناته هذا القول[7]؟! وقد نص صاحب (الكافي) في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالإثني عشر فهو كافر، وإن كان علوياً فاطمياً[8]. وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيه الال والأصحاب؛ لأنهم لم يعرفوا فكرة الإثني عشر التي لم توجد إلا بعد سنة260 هـ، كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج

---

[1] تفسير العياشي (199/1) ؛ البرهان (319/1) ؛ تفسير الصافي (389/1)؛ أصول الشيعة الإمامية (891/2).
[2] أصول الشيعة الإمامية (891/2).
[3] أصول الكافي(247/1).
[4] رجال الكشي ، ص 52.
[5] أصول الشيعة الإمامية (892/2).
[6] كشف الغطاء لجعفر النجفي ، ص 5 ؛ أصول الشيعة (892/2).
[7] أصول الشيعة الإمامية (892/2).
[8] أصول الكافي(372/1 . 374).

رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنهم يخصون منهن عائشة[1]، وحفصة رضي الله عنهن أجمعين، بالذم واللعن والتكفير[2].

وقد عقد شيخهم المجلسي باباً بعنوان باب أحوال عائشة وحفصة؛ ذكر فيه 17 رواية[3]، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى[4]، وقد اذوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل بيته أبلغ الإيذاء، حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من سبع سموات، عائشة بنت الصديق بالفاحشة، فقد جاء في أصل أصول التفاسير عندهم، تفسير القمي[5] قذف شنيع متضمن تكذيب القرآن العظيم.

قال ابن كثير في تفسير سورة النور: أجمع أهل العلم ـ رحمهم الله ـ قاطبة على أن من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن[6]، وقال القرطبي: فكل من سبها مما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر[7].

3 ـ تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم:

في دين الشيعة الرافضة الإمامية أن كل حكومة غير حكومة الإمامية الرافضية باطلة، وصاحبها ظالم طاغوت يعبد من دون الله، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله، وقد أثبت الكليني هذا المعنى في عدة أبواب مثل: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، وذكر فيه اثنا عشر حديثاً عن أئمتهم[8]، وباب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله، وفيه خمسة أحاديث[9]، وكل خلفاء المسلمين ما عدا علياً والحسن طواغيت ـ حسب اعتقادهم ـ وإن كانوا يدعون إلى الحق، ويحسنون لأهل البيت، ويقيمون دين الله، ذلك أنهم يقولون: كل راية ترفع قبل راية القائم[10] رضي الله عنه صاحبها طاغوت[11]. قال شارح الكافي: وإن كان رافعها يدعو إلى الحق[12]، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة[13]، حسب مقاييسهم[14].

---

[1] المصدر السابق نفسه(300/1) ؛ رجال الكشي ، ص 57ـ 60.
[2] أصول الشيعة الإمامية (893/2).
[3] بحار الأنوار (227/22 ـ 247).
[4] المصدر السابق نفسه (245/22).
[5] تفسير القمي (377/2).
[6] تفسير ابن كثير (289/3 ـ 290) ؛ الصارم المسلول ، ص 51.
[7] تفسر القرطبي (206/12).
[8] الكافي (372/1ـ 374).
[9] المصدر السابق نفسه (374/1 ـ 376).
[10] هو: المهدي المنتظر.
[11] الكافي: بشرحه للمازندراني (371/12) ؛ بحار الأنوار (113/25) ؛ أصول الشيعة الإمامية (896/2).
[12] أصول الشيعة الإمامية (896/2).
[13] مراة العقول (378/4).
[14] أصول الشيعة الإمامية (896/2).

4 . الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر:

جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسب، وتكفير أهلها على وجه التعيين، ويخصُّون منها غالباً ما كان أكثر التزاماً بالإسلام واتباعاً للسنة، فقد صرحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة، ففي عصر جعفر الصادق كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة: أهل الشام شر من أهل الروم يعني شر من النصارى، وأهل المدينة شر من أهل مكة، أهل مكة يكفرون بالله جهرة[1]. وقالوا: إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفاً[2].

ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا ـ ولا سيما في القرون المفضلة ـ يتأسون بأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الأمصار، وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم المالكي منتسبين إليه إلى أوائل المئة السادسة، أو قبل ذلك أو بعد، فإنه قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم[3]، وقالوا أيضاً عن مصر وأهلها: أبناء مصر؛ لعنوا على لسان داود عليه السلام، فجعل الله منهم القردة والخنازير[4]، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها[5]، وقالوا بئس البلاد مصر، أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل[6]، وقالوا: انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها لأنه يورث الدياثة[7].

وجاءت عندهم عدة روايات في ذم مصر، وهجاء أهلها، والتحذير من سكناها، ونسبوا هذه الروايات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى محمد الباقر، وإلى علي الباقر، وهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة، لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم[8]، ولا يبعد أن هذه النصوص هي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين العبيديين على يد صلاح الدين؛ الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم، وأين هذه الكلمات المظلمة في مصر وأهلها من الباب الذي عقده مسلم في صحيحه باب وصية النبي بأهل مصر[9]، وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها[10]، ولم يستثنِ من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم، وهي قليلة في تلك الأزمان، حتى جاء عنهم: إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار؛ فلم يقبلها إلا أهل الكوفة[11].

---

[1] أصول الكافي (409/2).

[2] المصدر السابق نفسه (410/2).

[3] الفتاوى (299/20 . 300).

[4] بحار الأنوار (208/60) ؛ تفسير القمي ، ص 596.

[5] تفسير العياشي (304/1) ؛ البرهان (456/1).

[6] تفسير العياشي (305/1) ؛ البرهان (457/1).

[7] بحار الأنوار (211/60) ؛ أصول الشيعة (900/2).

[8] بحار الأنوار (208/5).

[9] مسلم (2970/2).

[10] بحار الأنوار (206/60) ، أصول الشيعة (901/2).

[11] نفس المصدرين السابقين

5 . قضاة المسلمين:

تعد أخبارهم قضاة المسلمين طواغيت لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم، فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً، وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به[1]، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: 60]، وهذه الرواية تحكم على القضاء، والقضاة في عصر جعفر الصادق، كما يظهر من إسنادهم للرواية إلى جعفر، فإذا كان هذا نظرهم في قضاة المسلمين في القرون المفضلة، فما بالك فيمن بعدهم[2]؟

6 . أئمة المسلمين وعلماؤهم:

حذروا من التلقي عن شيوخ المسلمين وعلمائهم، وعدوهم كملل أهل الشرك، عن هارون بن خارجة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نأتي هؤلاء المخالفين[3]، فنسمع منهم الحديث يكون حجة لنا عليهم؟ قال: لا تأتهم ولا تسمع منهم، لعنهم الله ولعن مللهم المشركة[4].

وجاء في الكافي عن سدير عن أبي جعفر قال:... يا سدير! فأريك الصادين عن دين الله، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخباث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس، فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم[5].

وقد بين ابن تيمية ـ رحمه الله ـ موقفهم من سلف الأمة وأئمتها والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفَّروا جماهير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من المتقدمين والمتأخرين، فيكفِّرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة، أو ترضَّى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهذا يكفرون أعلام الملة، مثل سعيد بن المسيب، وأبي مسلم الخولاني، وأويس القرني، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومثل: مالك، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وغير هؤلاء، ويرون أن

---

[1] أصول الشيعة الإمامية (902/2) ؛ أصول الكافي (67/1).
[2] أصول الشيعة الإمامية (902/2).
[3] هذا اللقب يطلق على أهل السنة ، وقد يتناول كل مخالف.
[4] بحار الأنوار (216/2) ؛ أصول الشيعة الإمامية (905/2).
[5] أصول الكافي (392/1 . 393) ؛ أصول الشيعة (905/2).

كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى؛ لأن أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي... إلى أن قال: وأكثر محققيهم ـ عندهم ـ يرون أبا بكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل عائشة، وحفصة، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما آمنوا بالله طرفة عين قط، لأن الإيمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلاً من أصله.. ومنهم من يرى أن فرج النبي صلى الله عليه وسلم الذي جامع به عائشة وحفصة لا بد أن تمسه النار؛ ليطهر بذلك من وطئ الكوافر على زعمهم؛ لأن وطئ الكوافر حرام عندهم[1].

هذا التكفير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد، هل يحتاج إلى نقد؟! إن بطلانه أوضح من أن يبين، وكذبه أجلى من أن يكشف، وتكفير الأمة امتداد لتكفير الصحابة، والسبب واحد لا يختلف، ومن الطبيعي أن من يحقد على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبهم ويكفرهم يحقد على الأمة جميعاً ويكفرها، كما قال بعض السلف: لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كان في قلبه على المسلمين أغل[2].

فإذا لم يرض عن أبي بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، والمهاجرين والأنصار وهم في الذروة في الفضل والإحسان، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟ ومبنى هذا الموقف هو دعوى الروافض: أن الصحابة رضوان الله عليهم أنكروا النص، وسيأتي بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة ـ بإذن الله ـ، وما بني على الباطل فهو باطل، ولقد كان حكمهم بردة جيل الصحابة من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الشيعة الرافضة من أساسه[3]. ولذلك قال أحمد الكسروي الإيراني والشيعي الأصل: وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي؛ آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟! فأي الأمرين أسهل احتمالاً: أكذب رجلاً أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خلص المسلمين؟! فأجيبونا إن كان لكم جواب[4].

إن القرآن الكريم بين فيه رب العزة أصول العقائد وحقائقها، وهو التبيان لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89]، ويقول واصفاً كتابه بأنه لم يفرط في قضية يقوم عليها الدين بقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]، فإن كان الأمر كذلك فإن المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة! فكتاب الإسلام العظيم القرآن الكريم يذكر فيه مرات الصلاة والصيام، والزكاة والحج، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الإثني عشرية أو الإمامة من بعد الرسول

---

[1] مجموع الفتاوى (28/261 ـ 262).

[2] الإبانة لابن بطة ، ص 41.

[3] أصول الشيعة الإمامية (2/916).

[4] التشيع والشيعة ، ص 66 ؛ أصول الشيعة (2/916).

رغم كون الإمامة كما تقول النظرية الشيعية الرافضية أعظم أركان الدين!! أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء، ويُصنّف أنواع المحركات من الطعام والشراب، ويتحدث عن الجهاد تارةً وعن السلم تارةً أخرى، ويناقش القضايا الأخلاقية، ثم يتجاهل إمامة الإثني عشر التي يصفها آل كاشف الغطاء بأنها منصب إلهي كالنبوة! إن هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأن القرآن الكريم لم يفرط في قضية يحتاج إليها البشر، فكيف يفرط في قضية الإمامة النصية التي تذكرها الشيعة الإمامية، ثم يتركها لعلمائهم لكي يصيغوها ويحددوا معالمها، مع كون النص على الأئمة من الله لا منهم[1]؟!

ثانياً: العصمة عند الشيعة الرافضة:

إن عصمة الإمام عند الشيعة الرافضة الإمامية شرط من شروط الإمامة، وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي، ولها أهمية كبرى عندهم، ونتيجة لما أضفاه الشيعة على الأئمة من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس، ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه؛ لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة للإمام ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا على أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة، ولا يصدر عنهم أي معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان[2].

وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة، وأنه لا يجوز منهم سوء في شيء من الدين، ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب[3].

وقال ابن المطهر الحلي: ذهبت الإمامية والإسماعيلية إلى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً، وخالف فيه جميع الفرق[4].

وقد نص على ذلك المجلسي بقوله: اعلم أن الإمامية رضي الله عنهم اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً، ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه[5].

---

[1] ثم أبصرت الحقيقة ، محمد سالم ، ص 130.
[2] دراسات عن الفرق ، د. أحمد جلي ، ص 203 ؛ مسألة التقريب (322/1).
[3] أوائل المقالات للمفيد ، ص 35.
[4] كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، ص 90.
[5] بحار الأنوار (205/9).

وروى الصدوق بسنده إلى ابن عباس ـ كذباً وزوراً ـ أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون[1]، وقال أيضاً في تقرير ذلك: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون لا صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر[2].

ولم تكن هذه العقيدة مقصورة على سلف الرافضة، بل شاركهم المعاصرون في ذلك، وفي ذلك يقول محمد رضا المظفر، ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سنّ الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان[3]، وقد نص على ذلك الزنجاني في عقائد الإمامية[4]، كما نص عليه أيضاً علي البحراني في منار الهدى[5]، والسيد مرتضى العسكري في معالم المدرستين[6]، إلا أن هناك اثاراً في المذهب الشيعي الإمامي تخالف ما ذهبوا إليه، ولذلك احتار المجلسي وهو يرى النصوص تخالف إجماع أصحابه، فقال: المسألة في غاية الإشكال، لدلالة كثير من الأخبار والآيات عن صدور السهو عنهم، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز[7]، وهذا اعتراف من المجلسي بأن إجماع الشيعة المتأخرين على عصمة الأئمة بإطلاق يخالف رواياتهم، وهذا دليل واقعي واعتراف صريح في أنهم يجمعون على ضلالة، وعلى غير دليل حتى من كتبهم[8].

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة، أو أن الشيعة قد اختلفت عقائدهم في تحديدها ـ في أول الأمر ـ فمثلاً في عصر أبي جعفر بن بابويه القمي ت 381 هـ، وشيخه محمد بن الحسن القمي، كان رأي جمهور الشيعة أن أول درجة في الغلو هي نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وسلم[9]، فكانوا يعدون من ينفي السهو عن النبي صلى الله عليه وسلم من الشيعة الغلاة، ولكن بعد ذلك تبدلت الحال وأصبح نفي السهو والنسيان عن الأئمة هو خروج بهم إلى منزلة من لا تأخذه سنة ولا نوم.

وقد كانت العصمة بهذه الصورة الغالية من نفي السهو والنسيان عن الأئمة معتقد فئة شيعية مجهولة في الكوفة، ففي البحار

---

(1) إكمال الدين للصدوق ، ص 474.
(2) نقل ذلك عن الزنجاني في عقائد الإمامية الاثني عشرية (157/2).
(3) عقائد الإمامية ، ص 104.
(4) العقيدة في أهل البيت ، ص 371.
(5) منار الهدى ، ص 102.
(6) معالم المدرستين ، ص 159.
(7) البحار (351/25).
(8) مسألة التقريب (330/1).
(9) شرح عقائد الصدوق للمفيد ، ص 160 ، 161.

للمجلسي: أنه قيل للرضا ـ إمام الشيعة الثامن ـ إن في الكوفة قوماً يزعمون: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقع عليه السهو في صلاته فقال: كذبوا لعنهم الله؛ إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو[1].

فهذا يدل على أن عقيدة نفي السهو كانت معتقد قوم غير معنيين لشذوذهم في هذا الاعتقاد، وأنهم كانوا ينفون السهو عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أفضل الأئمة، ولم يقولوا بذلك للأئمة.

ثم تطور هذا الاعتقاد ليشمل أئمة الشيعة الإثني عشر وليعم طائفة الشيعة الإمامية كلها، فهذا شيخ الشيعة المعاصر وايتها العظمى عبد الله الممقاني: يؤكد أن نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي[2]، وهو لا ينكر أن شيوخهم السابقين كانوا يعدون ذلك غلواً، لكنه يقول: إن ما يعتبر غلواً في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعي[3]، وإذا كانت دعوى عصمة الأئمة تعني مضاهاتهم للرسول؛ فإن نفي السهو عنهم تأليه لهم كما أشار إلى ذلك إمام الشيعة الثامن علي الرضا، ولذا قرر ابن بابويه القمي وغيره أن هذا الاعتقاد هو الفيصل بين الغلاة وغيرهم[4].

وإذا كان شيخهم المعاصر الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي، ومنكر الضروري كافر عندهم كما يؤكده شيخهم المعاصر محسن الأمين[5]، فمعنى هذا أن متأخريهم يكفرون متقدميهم، ومتقدميهم يكفرون متأخريهم، وإذا كان الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي، وبعضهم ينقل الإجماع على ذلك[6] فإننا نجد في بعض الكتابات الموجهة لديار السنة[7]، القول بأن الاعتقاد بأن الأئمة يسهون هو مذهب جميع الشيعة[8]، وهكذا يكفر بعضهم بعضاً، ويناقض بعضهم بعضاً، وكلٌّ يزعم أن ما يقوله هو مذهب الشيعة[9].

وقد كان معتقد العصمة من أسباب نشوء عقيدة البداء والتقية ـ كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى ـ وذلك أن واقع الأئمة لا يتفق بحال ودعوى عصمتهم، فإذا حصل اختلاف وتناقض في أقوالهم قالوا هذا بداء أو تقية كما اعترف بهذا بعض الشيعة[10].

إن من أخطر الاثار العلمية لدعوى العصمة اعتبارهم أن ما يصدر عن أئمتهم الإثني عشر هو كقول الله ورسوله، ولذلك

---

(1) البحار (350/25).
(2) تنقيح المقال (240/3).
(3) المصدر السابق نفسه ، مسألة التقريب (97/2).
(4) مسألة التقريب (98/2).
(5) كشف الارتياب ، المقدمة الثانية ، ومهذب الأحكام (388/1 ـ 393).
(6) صراط الحق (121/3) ؛ مسألة التقريب (98/2).
(7) مسألة التقريب (98/2).
(8) الشيعة في الميزان ، محمد جواد ، ص 272 ـ 273.
(9) مسألة التقريب (98/2).
(10) المصدر السابق نفسه (329/1).

فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدها إلى أحد الأئمة ولا تصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والشيعة زعمت لأئمتها عصمة لم تتحقق لأنبياء الله ورسله، كما يدل على ذلك صريح القرآن والسنة والإجماع[1].

1 . استدلالهم على عصمة أئمتهم من القرآن الكريم:

رغم أن كتاب الله سبحانه وتعالى ليس فيه ذكر للإثني عشر أصلاً ـ كما مر ـ فضلاً عن عصمتهم، إلا أن الإثني عشر تتعلق بالقرآن لتقرير العصمة، ويتفق شيوخهم على الاستدلال بقوله سبحانه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ *﴾ [البقرة: 124]، وبهذه الآية صدر المجلسي بابه الذي عقده في بحاره بشأن العصمة بعنوان: باب... لزوم عصمة الإمام[2].

وجملة من شيوخ الشيعة المعاصرين يجعلون هذه الآية أصل استدلالهم من القرآن، ولا يستدلون بسواها مثل محسن الأمين[3]، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء، والذي يقول بأن هذه الآية صريحة في لزوم العصمة[4]، ويتولى صاحب (مجمع البيان) سياق وجهة استدلال أصحابه بهذه الآية على مرادهم؛ فيقول: استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً من القبائح؛ لأن الله ـ سبحانه ـ نص أن لا ينال عهده ـ الذي هو الإمامة[5] ـ ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره، فإن قيل: إنما نفى أن ينال ظالم في حالة ظلمه، فإذا تاب فلا يسمى ظالماً؛ فيصح أن يناله، والجواب: أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً، فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت؛ فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظالم، وإن تاب فيما بعد[6].

نقد استدلالهم:

أ ـ اختلف السلف في معنى العهد على أقوال: قال ابن عباس والسدي: إنه النبوة، قال: لا ينال عهدي الظالمون؛ أي: نبوتي، وقال مجاهد: الإمامة، أي: لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به، وقال قتادة وإبراهيم النخعي وعطاء والحسن وعكرمة: لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين؛ فأما في الدنيا فقد ناله الظالم، فأمن به وأكل وعاش..

قال الزجاج: وهذا قول حسن، أي: لا ينال أماني الظالمين، أي: لا أؤمنهم من عذابي، والمراد بالظالم: المشرك.. وقال الربيع

---

[1] المصدر السابق نفسه (324/1).
[2] بحار الأنوار (191/25).
[3] أعيان الشيعة (458/1).
[4] أصل الشيعة ، ص 59.
[5] اختلف السلف في معنى العهد ـ كما سيأتي ـ ، ولكن الروافض يأخذون بما يوافق هواهم ويقطعون به بلا دليل.
[6] مجمع البيان للطبرسي (201/1) ؛ التبيان للطوسي (449/1).

بن أنس والضحاك: عهد الله الذي عهد إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ *﴾ [الصافات: 113]، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق..

وروي عن ابن عباس ـ أيضاً ـ : لا ينال عهدي الظالمين قال: ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانقضه[1]، فالآية كما ترى، اختلف السلف في تأويلها؛ فهي ليست في مسألة الإمامة أصلاً في قول أكثرهم، والذين فسروها بالإمامة قصدوا إمامة العلم والصلاح والاقتداء، لا الإمامة بمفهوم الرافضة[2].

ب ـ لو كانت الآية في الإمامة فهي لا تدل على عصمة بحال؛ إذ لا يمكن أن يقال بأن غير الظالم معصوم لا يخطئ ولا ينسى ولا يسهو.. إلخ، كما هو مفهوم العصمة عند الشيعة، إذ يكون قياس مذهبهم: من سها فهو ظالم، ومن أخطأ فهو ظالم... وهذا لا يوافقهم عليه أحد ولا يتفق مع أصول الإسلام، فبين إثبات العصمة، ونفي الظلم فرق كبير؛ لأن نفي الظلم إثبات للعدل لا للعصمة الشيعية[3].

ج ـ لا يسلم لهم أن من ارتكب ظلماً ثم تاب منه لحقه وصف الظلم ولازمه، ولا تجدي التوبة في رفعه، فإن أعظم الظلم الشرك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82]، ثم فسر الظلم بقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ *﴾[لقمان: 13]، ومع هذا قال جل شأنه في الكفار: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38]، لكن قياس قول هؤلاء: أن من أشرك ولو لحظة، أو ارتكب معصية ولو صغيرة؛ فهو ظالم لا ينفك عنه وصف الظلم، ومؤدى هذا أن المشرك ولو أسلم فهو مشرك؛ لأن الظلم هو الشرك[4]، فصاروا بهذا أشد من الخوارج الوعيدية؛ لأن الخوارج لا يثبتون الوعيد لصاحب الكبيرة إلا في حالة عدم توبته، ومن المعلوم في بداهة العقول فضلاً عن الشرع والعرف واللغة أن من كفر أو ظلم، ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم.. وإلا جاز أن يقال: صبي لشيخ، ونائم لمستيقظ، وغني لفقير، وجائع لشبعان، وحي لميت، وبالعكس، وأيضاً: لو اطرد ذلك يلزم من حلف لا يسلم على كافر، فسلم على إنسان مؤمن في الحال إلا أنه كان كافراً قبل سنين متطاولة أن يحنث، ولا قائل به[5].

ومن المعروف: أنه قد يكون التائب من الظلم ممن لم يقع فيه، ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يقتل ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله، وتاب بعد ذنوبه، فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن

---

[1] المحرر الوجيز لابن عطية (250/1) ؛ أصول الشيعة (953/2).

[2] أصول الشيعة الإمامية (953/2).

[3] المصدر السابق نفسه.

[4] هم يعنون بالظلم الشرك؛ لأن مرادهم إبطال خلافة أبي بكر وعمر؛ لأنهما قد أسلما بعد شرك ، والشرك لم ينفكّ عنهما بعد إيمانهما في زعمهم ، ولذلك قال الكليني: هذه الآية أبطلت إمامة كل ظالم. أصول الكافي (199/1).

[5] روح المعاني للآلوسي (377/1).

المعلوم أن السابقين أفضل من أولادهم، وهل يشبِّه أبناء المهاجرين والأنصار بابائهم عاقل؟![1].

كما أن استدلالهم هذا يؤدي إلى أن جميع المسلمين وكذلك الشيعة وأهل البيت ـ إلا من تعتقد الشيعة عصمتهم ـ جميعهم ظلمة لأنهم غير معصومين، وقد قال شيخهم الطوسي: بأن الظلم اسم ذم فلا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن؛ لقوله تعالى: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ *﴾ [هود: 18].

د ـ ما قرره أحد علماء الشيعة الزيدية في نقض استدلال الشيعة الإثني عشرية بهذه الآية، حيث قال: احتج الرافضة بالآية على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة، ورام الطعن في إمامة أبي بكر وعمر، وهذا لا يصح؛ لأن العهد إن حمل على النبوة فلا حجة، وإن حمل على الإمامة؛ فمن تاب من الظلم فلا يوصف بأنه ظالم، ولم يمنعه ـ تعالى ـ من نيل العهد إلا حال كونه ظالماً[2].

2 ـ آية التطهير وحديث الكساء:

آية التطهير هي قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا *﴾ [الأحزاب: 33]، وهي كما هو معلوم جزء من قوله تعالى: ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا *وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا *﴾ [الأحزاب: 32 ـ 33]، وقد تعمد علماء الشيعة الإثني عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه، والذي خاطب الله به نساء النبي صلى الله عليه وسلم إغفالاً لنساء النبي صلى الله عليه وسلم من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة[3]؛ قالت: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداةً وعليه مرط[4]مرحل[5] من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي، فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: وحديث ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا*﴾ المؤمنين أم سلمة لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم: قالت أم سلمة: وأنا معهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا *﴾ نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير[6]. لتثبيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة[7].

---

[1] منهاج السنة (302/1 ـ 303).

[2] الثمرات اليانعة ، يوسف بن أحمد الزيدي ، مخطوطة نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية (955/2).

[3] عائشة التي يدعون أنها تبغض علي هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة.

[4] مرط: يعني كساء.

[5] مرحل: وهو الموشَّى المنقوش عليه صور رحال الإبل.

[6] سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، رقم 3788.

[7] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 176.

ويرى علماء الشيعة الإثني عشرية: أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين، من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها، بل ومن الخطأ والسهو البشري[1].

نقد لاستدلالهم من وجوه:

أ ـ حديث أم سلمة المذكور انفاً قد ورد بعدة صيغ:

فروي عن أم سلمة: أنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وفي رواية أخرى: أنه صلى الله عليه وسلم أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم[2].

وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أهل الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف، لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم: في بيت أم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا *﴾، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير[3].

وهناك رواية هامة جداً رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه[4]، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد، فلذلك أدخلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وذلُّوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: «أين ابن عمك؟» قالت: هو في البيت، قال: «اذهبي فادعيه وائتني بابنيه»، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسهما في حجره، وجلس علي على يمينه

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] المصدر السابق نفسه ، ص 177.

[3] فضائل الصحابة (727/2) ، رقم 1994 ، إسناده فيه ضعف وله طرق تقويه.

[4] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 177.

وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتبذ كساء خيبرياً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة، فلفّه رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء، وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: «اللهم أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قلت: يا رسول الله! ألست من أهلك؟ قال: «بلى فادخلي في الكساء»، فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة[1]، فشهد رسول لله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم[2].

ب . ومما يدل على أن الآية ليست دالَّة على العصمة والإمامة أن الخطاب في الآيات كله لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم حيث بدأ بهن وختم بهن:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: 28 . 34].

فالخطاب كله لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت، جاء التطهير بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[هود: 73] والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت[3].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ *﴾ [القصص: 29] والمخاطب هنا أيضاً زوجة موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا *وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا *﴾ [مريم: 54 . 55]؛ فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة؟ وهذا كقوله تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]، ولا شك في دخول زوجاته أو خديجة رضي الله عنها على أقل تقدير في

---

(1) فضائل الصحابة (852/2) ، رقم 1170 ، إسناده حسن.

(2) ثم أبصرت الحقيقة ، ص 187.

(3) الإمامة والنص ، فيصل نور ، ص 386.

الأهل، باعتبار أن السورة مكية[1].

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *﴾ [يوسف: 25]، فالمخاطب هنا عزيز مصر، وقولها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً؟ أي: زوجتك، وهذا بيّن[2].

ج . إذهاب الرجس لا يعني في اللغة العربية ولا في لغة القرآن معنى العصمة:

يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن؛ مادة (رجس) : الرجس الشيء القذر، قال: رجل رجسي، ورجال أرجاس، قال تعالى: ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: 90].. والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر.. وجعل الكافرين رجساً من حيث أن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[التوبة: 125]، وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ *﴾ [يونس: 100]، قيل الرجس: النتن، وقيل: العذاب، وذلك كقوله: إنما المشركون نجس، وقال: أو لحم خنزير فإنه رجس؛ وبالجملة: لفظ الرجس أصله القذر، يطلق ويراد به الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ *﴾ [الحج: 30]، ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات، ونحو قوله: ﴿قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: 145]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: 90]، ولم يثبت أن استخدام القرآن لفظ الرجس بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته[3].

د . التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد:

فكما أن كلمة الرجس لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه في الاجتهاد، وإنما يُراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية؛ فإن كلمة التطهير لا تعني العصمة، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم عن صحابة رسوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 6]

وقال عزّ من قائل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

---

[1] المصدر السابق نفسه ، ص 391.

[2] المصدر السابق نفسه ، ص 393.

[3] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 181.

﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت؛ أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة، ولعموم المؤمنين الذين نصَّت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة: 108]، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق، وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: 11]، ولم يكن في هذا إثبات لعصمته، مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت وبين قوله في أهل بدر: فالرجز والرجس متقاربان﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾، ويطهركم في الايتين واحد، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى، والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء، ثم يتناسون في الوقت نفسه ايات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية[1]، ومن لم يجعل الله نوراً فما له من نور.

هـ- الإرادة في الآية إرادة شرعية، وهي غير الإرادة القدرية، يعني يحب الله أن يذهب عنكم الرجس، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية، والإرادة القدرية الكونية، فقالوا:

. إرادة شرعية دينية: وهي تتضمن معنى المحبة والرضا، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا *﴾ [النساء: 27. 28].

. إرادة قدرية كونية خلقية: وهي التي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وذلك مثل الإرادة في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ *﴾ [البقرة: 253]، وقوله: ﴿وَلاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾[هود: 34]؛ فالمعاصي إرادة كونية قدرية، فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها وينهى عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة، فيفرقون بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه، وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضا[2].

ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلي وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن

---

[1] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 182.

[2] وسطية أهل السنة بين الفرق ، محمد باعبد الله ، ص 387.

الإرادة في هذه الآية، إرادة شرعية، ولذلك جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جلَّلهم بالكساء قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس»[1].

و ـ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يحسم القضية:

آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس»[2]، بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وأن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الرباني عن التطهير، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءه لهم[3]، فطهَّرهم كما طهَّر الله نساء النبي بنص الآية.

ز ـ من الردود الدالة على عدم دلالة الآية على الإمامة والعصمة:

ومنها: أن ما اختص به أمير المؤمنين علي والحسن والحسين رضي الله عنهم من الآية ـ بزعم القوم ـ ثبت للسيدة فاطمة رضي الله عنها، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة رضي الله عنها كذلك وبذات الاعتبار، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة، ومنها خروج تسعة من الأئمة لعدم شمول الآية لهم، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم[4].

3 ـ أدلتهم من مروياتهم:

إن الإثني عشرية تقيم معتقدها في العصمة وغيرها بما يرويه صاحب الكافي، وإبراهيم القمي، والمجلسي وأضرابهم من روايات منكرة في متنها، فضلاً عن إسنادها، تثبت لهؤلاء الإثني عشرية العصمة المزعومة.

وقد ساق المجلسي في بابه الذي عقده في شأن العصمة ثلاثاً وعشرين رواية من روايات شيوخه كالقمي، والعياشي والمفيد وغيرهم، وقد ذكرها بعد استدلاله بآية البقرة، التي تبين أن استدلالهم فيها باطل.

أما الكليني في الكافي فقد عقد مجموعة من الأبواب في معنى العصمة المزعومة، ساق فيها أخباراً بسنده عن الإثني عشر

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب مناقب أهل البيت ، رقم 3787.

(2) سنن الترمذي ، كتاب مناقب أهل البيت ، رقم 3787 ، صححه الألباني.

(3) ثم أبصرت الحقيقة ، ص 182.

(4) الإمامة والنص ، ص 387.



يدعون فيها أنهم معصومون، بل وشركاء في النبوة، بل ويتصفون بصفات الألوهية، وتجد ذلك في الكافي في باب اعتقادهم في أصول الدين أمثلة من ذلك، وفي باب: أن الأئمة هم أركان الأرض، وأثبت فيه ثلاث روايات تقول بأن الأئمة الإثني عشر كرسول الله في وجوب الطاعة، وفي الفضل، وفي التكاليف، فعلي جرى له من الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

ثم ما تلبث أن ترفعهم عن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مقام رب العالمين، حيث تقول بأن علياً قال: أُعطيت خصالاً لم يعطهن أحد قبلي: علمت علم المنايا والبلايا.. فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني[2]، والذي يعلم المنايا والبلايا هو الله سبحانه: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: 34]، والذي لا يعزب شيء، ولا يفوته شيء هو الخالق ـ جلا وعلا ـ قال تعالى: ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾[سبأ: 3]، ومن تتبع أبواب الكافي في هذا المعنى، يلاحظ بأنها لا تخرج عن دعاوى المتنبئين والملحدين على مدار التاريخ سوى أنهم نسبوا هذه المفتريات إلى جملة أهل البيت الأطهار[3].

4 ـ أدلتهم العقلية على مسألة العصمة:

قالوا: إن الأمة لا بد لها من رئيس معصوم يسدد خطاها، فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدده، فيلزم التسلسل، فحينئذٍ يلزم القول بعصمة الإمام؛ لأن الثقة عندهم بالإمامة لا بالأمة.. وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع، ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع بدونه.. إلخ[4].

والحقيقة غير هذا تماماً، فالأمة معصومة بكتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم، ولا تجتمع الأمة على ضلالة، وعصمة الأمة مغنية عن عصمة الإمام، وهذا مما ذكره العلماء في حكمة عصمة الأمة قالوا: لأن من كان من الأمم قبلنا كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبياً يبين الحق، وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا يمكن أحد منهم أن يبدل شيئاً من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما بدله، ولذلك فإن الله سبحانه قرن سبيل المؤمنين بطاعة رسوله في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا *﴾ [النساء: 115]؛ فعصمة الأمة وحفظها من الضلال ـ كما جاءت بذلك النصوص الشرعية ـ تخالف تماماً من: يوجب

---

[1] أصول الكافي (198/1).
[2] المصدر السابق نفسه (197/1).
[3] أصول الشيعة الإمامية (958/2).
[4] كشف المراد لابن المطهر ، ص 390 ـ 391؛ نهج المسترشدين ، ص 63 ؛ الشيعة في عقائدهم ، ص 368 ـ 369.

عصمة واحد من المسلمين، ويجوز على مجموع المسلمين ـ إذا لم يكن فيهم معصوم ـ الخطأ[1]، وكل ما سطروه وملؤوا به الصفحات من أدلة عقلية تؤكد الحاجة إلى معصوم قد تحققت بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك فإن الأمة ترد عند التنازع إلى ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة، ولا ترد إلى الإمام: قال العلماء: إلى كتاب ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، وإلى نبيه صلى الله عليه وسلم، فإن قبض فإلى سنته[2]، وهي بهدي الكتاب والسنة لا تجتمع على ضلالة؛ لأنها لن تخلو من متمسك بهما إلى أن تقوم الساعة، ولهذا فإن الحجة على الأمة قامت بالرسل، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: 163] إلى قوله: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء: 165] ولم يقل ـ سبحانه ـ: والأئمة؛ وهذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسول كالأئمة[3].

كما أن دعوى العصمة عندهم ليس عليها دليل إلا زعمهم بأن الله لم يُخلِ العالم من أئمة معصومين، لما في ذلك من المصلحة واللطف، ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف، وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم المصلحة واللطف الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته، ويحصل بذلك سعادتهم، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي ـ رضي الله عنه ـ.

ومن المعلوم: أن المصلحة واللطف الذي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم من المصلحة واللطف الذي كان في خلافة علي زمن القتل والفتنة والافتراق[4]، أما من دون علي فإنما كان يحصل للناس من علمه ودينه مثل ما يحصل من نظرائه، وكان علي بن الحسين وابنه أبو جعفر، وابنا جعفر بن محمد يعلمون الناس ما علمهم الله كما علمه علماء زمانهم، وكان في زمانهم من هو أعلم منهم وأنفع للأمة، وهذا معروف عند أهل العلم، ولو قدر أنهم كانوا أعلم وأدين فلم يحصل من أهل العلم والدين ما يحصل من ذوي الولاية من القوة والسلطان، وإلزام الناس بالحق ومنعهم باليد عن الباطل.

وأما من بعد الثلاثة كالعسكريين فهؤلاء لم يظهر عليهم علم تستفيده الأمة، ولا كان لهم يد تستعين بها الأمة، بل كانوا كأمثالهم من الهاشميين لهم حرمة ومكانة، وفيهم من معرفة ما يحتاجون إليه في الإسلام والدين ما في أمثالهم، وهو ما يعرفه كثير من عوام المسلمين.. ولذلك لم يأخذ عنهم أهل العلم كما أخذوا عن أولئك الثلاثة[5].

---

[1] المنتقى، ص 410 ؛ أصول الشيعة الإمامية (958/2 ، 959).
[2] التمهيد لابن عبد البر (264/4).
[3] الفتاوى (66/19).
[4] منهاج السنة (104/2).
[5] منهاج السنة (248/3).

5. نقد عام لمبدأ عصمة الأئمة:

دعوى العصمة للأئمة تضاهي المشاركة في النبوة، فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول، ولا يجوز أن يخالف في شيء، وهذه خاصة الأنبياء، ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم؛ فقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ *﴾ [البقرة: 136]، فأمرنا أن نقول: آمنا بما أوتي النبيون.

فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا ما اتفق عليه المسلمون.. فمن جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها[1]، وهذا مخالف لدين الإسلام، للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

. أما القرآن فقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]؛ فلم يأمرنا بالردِّ عند التنازع إلا إلى الله والرسول، ولو كان للناس معصوم غير الرسول صلى الله عليه وسلم لأمرهم بالرد إليه؛ فدلَّ القرآن أن لا معصوم إلا الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا *﴾ [النساء: 69]، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا *﴾ [الجن: 23]؛ فدل القرآن . في غير موضع . على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم. وقد اتفق أهل العلم على أن كل شخص . سوى الرسول صلى الله عليه وسلم . فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، واتباعه فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى[3].

. والسنة المطهرة دلَّت على ذلك، ولكنهم لا يرجعون إلا إلى أقوال أئمتهم، وإليك ما ينقد مذهبهم مما ثبت عندهم من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد جاء في (نهج البلاغة) الذي تعتمده الشيعة، ما يهدم كل ما بنوه من دعاوى في عصمة الأئمة؛ حيث قال أمير المؤمنين . كما يروي صاحب النهج .: لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام النفس، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل

---

[1] المصدر السابق نفسه (174/3).

[2] منهاج السنة (105/2).

[3] المصدر السابق نفسه (3/ 175).

عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي[1].

فهو هنا لم يدّعِ ما تزعم الشيعة فيه من أنه لا يخطئ، بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ، كما لم يعلن استغناءه عن مشورة الرعية، بل طلب منهم المشورة بالحق والعدل؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، كل فرد لوحده معرض للضلالة، فعلم أن دعوى العصمة من غلاة الشيعة[2].

وجاء في (نهج البلاغة) ـ أيضاً ـ: لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي[3]، فأنت ترى أنه لم يشترط العصمة في الأمير، ولم يشر لها من قريب أو بعيد، بل رأى أنه لا بد من نصب أمير تناط به مصالح العباد والبلاد، ولم يقل إنه لا يلي أمر الناس إلا إمام معصوم، وكل راية تقوم غير راية المعصوم فهي راية جاهلية ـ كما تقول كتب الشيعة ـ، ولم يحصر الإمارة في الإثني عشر المعصومين عند الشيعة، ويكفر من تولاها من خلفاء المسلمين كما تذهب إليه الشيعة، بل رأى ضرورة قيام الإمام ولو كان فاجراً، وجعل إمارته شرعية بدليل: أنه أجاز الجهاد في ظل إمارة الفاجر، فأين هذا مما تقره الشيعة بمنع الجهاد حتى يخرج المنتظر[4]... لأن الإمامة الشرعية محصورة في الإثني عشر؟!

وكان الأئمة يعترفون بالذنوب ويستغفرون الله منها، فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه في دعائه في (نهج البلاغة): اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد علي بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وأيت[5] من نفسي ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، وهفوات اللسان[6].

فأنت ترى الإقرار بالذنب، وبالعودة إليه بعد التوبة، والاعتراف بسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، ومخالفة القلب للسان.. كل ذلك ينفي ما تدعيه الشيعة من العصمة، إذ لو كان علي والأئمة معصومين لكان استغفارهم من ذنوبهم عبثاً، وكل أئمتهم قد نقلت عنهم كتب الشيعة الاستغفار إلى الله سبحانه من الذنوب والمعاصي، ولو كانوا معصومين لما كانت لهم ذنوب[7]، ولقد احتار شيوخ الشيعة في توجيه مثل هذه الأدعية والتي تتنافى ومقرراتهم في العصمة[8].

---

[1] نهج البلاغة ، ص 335.

[2] أصول الشيعة الإمامية (964/2).

[3] نهج البلاغة ، ص 82.

[4] فصل الغيبة والمهدية ، ص 824.

[5] وأيت: وعدت.

[6] نهج البلاغة ، ص 104.

[7] أصول الشيعة الإمامية (965/2).

[8] المصدر ا لسابق نفسه (966/2).

وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة ومن كتب الشيعة نفسها؛ ذلك هو الاختلاف والتناقض حيال بعض المواقف والمسائل، وأعمال المعصومين لا تتناقض ولا تختلف، بل يصدق بعضها بعضاً ويشهد بعضها لبعض، والاختلاف ناقض للعصمة التي هي شرط للإمامة عندهم، وهو ناقض بالتالي لأصل الإمامة نفسها، ولذلك فإن ظاهرة الاختلاف في أعمال الأئمة كانت سبباً مباشراً لخروج بعض الشيعة من نطاق التشيع؛ حيث رابهم أمر هذا التناقض، ومن أمثلة ذلك ما ذكره القمي والنوبختي من أنه بعد قتل الحسين، حارت فرقة من أصحابه وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين رضي الله عنهما، لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقاً واجباً صواباً من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم، فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم، وكثرة أصحاب يزيد حتى قتل وقتل أصحابه جميعاً باطل غير واجب؛ لأن الحسين كان أعذر في القعود من محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية، وإن كان ما فعله الحسين حقاً واجباً صواباً من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه، فقعود الحسين وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل، فشكوا في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام[1].

وأما الأمثلة على الاختلاف والتناقض في أقوال الأئمة فهو باب واسع، وكان هو الآخر من أسباب انصراف بعض الشيعة من التشيع، وقد شهد بذلك شيخ الطائفة الطوسي، وقال بأن أخبارهم متناقضة متباينة حتى لا يوجد خبر إلا بإزائه ما يضاده، ولا رواية إلا ويوجد ما يخالفها، وعد ذلك من أعظم الطعون على المذهب الشيعي، ومن أسباب مفارقة بعض الشيعة الإمامية للمذهب.

وكتابا التهذيب والاستبصار ـ وهما المصدران المعتمدان من المصادر الأربعة عند الشيعة ـ يشهدان بهذا التناقض والاختلاف عبر رواياتهما الكثيرة، وقد حاول الطوسي درء هذا الاختلاف ومعالجة هذا التناقض بحمله على التقية؛ فما أفلح إذ زاد الطين بلة، علماً بأن الطوسي هو الذي كان يوجه الروايات فيقول هذا الحديث تقية، وهذه الرواية ليست بتقية، وعليها العمل، والمتفق عليه أن الطوسي نفسه ليس بمعصوم، وبالضرورة سوف يخطئ في توجيه بعض هذه الروايات، فيجعل ما ليس بتقية تقية، والشيعة يتبعونه في توجيه هذا، وبالتالي يتضح أن الشيعة يتبعون في تدينهم أمثال الطوسي، ولا يتبعون المعصوم في دينهم، وقد أوجد الشيعة الرافضة عقيدة التقية والبداء ـ وسيأتي بيانهما بإذن الله ـ لتغطية هذا الاختلاف في أخبار الأئمة وأعمالهم.. فاكتشف بعض الشيعة هذه المحاولة، وعرف سبب وضع هاتين العقيدتين، فترك التشيع وقال: إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً، وهما القول بالبداء وإجازة التقية.

---

[1] المقالات والفرق للقمي ، ص 25 ؛ فرق الشيعة للنوبختي ، ص 25، 26.

. وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة؛ وهو أن المعصوم الذي يدعون اتباعه لم يعصمهم من الخلاف في أصل الدين عندهم وأساسه وهو الإمامة، فتجدهم مختلفين متنابذين متلاعنين يكفر بعضهم بعضاً لاختلافهم في عدد الأئمة، وفي تحديد أعيانهم، وفي الوقف وانتظار عودة الإمام، أو المضي إلى إمام آخر...

هذا عدا الروايات المختلفة المتناقضة في الكثير من أمور الدين ـ أصوله وفروعه ـ، فما منعت العصمة المزعومة أهل الطائفة من الاختلاف.. وعدم وجود أثرها يدل على انعدام أصلها، وقد يقال بأن اعتقادهم في عصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم، لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلي منذ عام 260 هـ.. ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود، إلا أن هذه العقيدة لها اثارها اليوم في واقع الشيعة، ويتمثل في جوانب منها:

1. عملهم بما يؤثر عن الأئمة الإثني عشر كما يعمل سائر المسلمين بالقرآن والسنة.
2. غلوهم في قبورهم وأضرحتهم؛ فالغلو في عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الألوهية تحول إلى غلو في قبورهم ومشاهدهم، فيطاف بها وتدعى من دون الله.
3. أن المجتهد الشيعي أصبح له شيء من هذه الصفة، فهم يرون الراد عليه كالراد على الله وهو كحد الشرك بالله، وهذه من الخطورة بمكان.
4. حَمْل هذا الاعتقاد الفاسد والدينونة به[1] الذي ليس له علاقة بأمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده الأطهار رضي الله عنهم.

ثالثاً: النص من شروط الإمامة عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية:

يعتقد الشيعة الرافضة: أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنها مثلها لطف من الله عز وجل، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر رحمه الله: أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟ لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله؛ رجل فرجل، مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها[2].

ويعتقد الشيعة الإثنا عشرية: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نص على الأئمة من بعده، وعيَّنهم بأسمائهم، وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

---

(1) أصول الشيعة الإمامية (2/969 . 973).

(2) الإمامة والنص ، فيصل نور ، ص 8.



1. علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المرتضى، ت 40 هـ.
2. الحسن بن علي رضي الله عنه: الزكي، ت 50 هـ.
3. الحسين بن علي رضي الله عنه: سيد الشهداء، ت 61 هـ.
4. علي بن الحسين: زين العابدين، ت 95 هـ.
5. محمد بن علي: الباقر، ت 114 هـ.
6. جعفر بن محمد: الصادق، ت 148 هـ.
7. موسى بن جعفر: الكاظم، ت 183 هـ.
8. علي بن موسى: الرضا، ت 203 هـ.
9. محمد بن علي: الجواد، ت 220 هـ.
10. علي بن محمد: الهادي، ت 254 هـ.
11. الحسن بن علي: العسكري، ت 260 هـ.
12. محمد بن الحسن: المهدي، ت 256 هـ.

كان ابن سبأ ينتهي بأمر الوصية عند علي رضي الله عنه، ولكن جاء فيمن بعد من عممها في مجموعة من أولاده.

وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية، ومع ذلك فقد تصل بعض هذه الدعاوى إلى بعض أهل البيت، فينفون ذلك نفياً قاطعاً، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت عقيدة التقية حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس[1].

إن من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة الوصية؛ وهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي رضي الله عنه، وأن من سبقه مغتصبين لحقه كما جاء في كتابهم (الكافي): من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان علياً عليه السلام[2]، ولكن بالاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين، لا نجد للوصية ذكراً في خلافة أبي بكر ولا في خلافة عمر رضي الله عنهما، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه، عند بزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول؛ عندما وصل إلى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن

---

(1) أصول الشيعة الإمامية (800/2).

(2) أصول الكافي (16/2 . 17).



أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما.

ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها، وذلك في خلافة علي رضي الله عنه، وهذه الوصية التي تدعيها الرافضة قد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختي والكشي، ـ وقد مر ذلك معنا ـ ويكفي في الرد على زعمهم ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ومنهم علي رضي الله عنه نفسه، والأدلة كثيرة منها:

1 ـ ذكر عند عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علي، فقالت: من قاله؟! لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فانخنث، فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي[1].

وتصريح عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص لعلي من أعظم الأدلة على عدم الوصية، فإن النبي صلى الله عليه وسلم واله توفي في حجرها، ولو كانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها[2].

2 ـ وعن ابن عباس قال: إن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى في وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله، فلنسأله فيمن هذا الأمر؟، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]، وفي قوله رضي الله عنه شهادة للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنه، ولما عبرت الأنصار رأيها ـ في السقيفة ـ بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير[4]، ولبايعوا من عهد إليه بالوصية، أو على الأقل سيذكر بعضهم.

ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال علي للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لي بالخلافة، وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس اليوم، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين ما يدعى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوه في ذلك من التنصيص على علي مردود، لمخالفته هذا النص الصريح من علي رضي الله عنه؛

---

(1) البخاري ، رقم 1471 ، كتاب الوصايا.

(2) بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (190/1).

(3) البخاري ، كتاب المغازي ، رقم 4447.

(4) البخاري ، كتاب الحدود ، رقم 6830.

لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعى، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة[1].

3 . سئل علي رضي الله عنه: أخصَّكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعمّ به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من اوى محدثاً»[2]. قال ابن كثير: وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته، وبعد وفاته من أن يفتئتوا عليه فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا! ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومضادتهم من حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام[3]، قال النووي: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة والإمامية بالوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم[4].

4 . وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر علي يوم الجمل قال: أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئاً، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله[5].

5 . روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق ابن سلمة، قال: قيل لعلي بن أبي طالب: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[6]، فهذا دليل واضح من أن دعوى النص عليه رضي الله عنه إنما هو من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهم علي وأهل بيته، وإنما يدعون حبهم تستراً ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله[7].

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أن لا أصل للوصية المزعومة وأن ما اعتمد عليه الرافضة هو من وضع عبد الله بن سبأ، الذي هو أول من أحدث الوصية، ثم وضعت بعد ذلك أسانيد ورُكِّبت متون نسبوها زوراً وبهتاناً إلى النبي صلى الله عليه

[1] الإمامة والرد على الرافضة ، تحقيق: علي ناصر فقيهي ، ص 238.

[2] مسلم (1567/3) ، رقم 1978.

[3] البداية والنهاية (221/5).

[4] شرح صحيح مسلم (151/13).

[5] الاعتقاد ، ص 184 ، وقال البيهقي في دلائل النبوة: سنده حسن.

[6] الاعتقاد ، ص 184 ، إسناده جيد.

[7] عقيدة أهل السنة في الصحابة (620/2).

وسلم، وهدفهم من ذلك الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم، بمخالفتهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك ومن ثم الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث[1].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في رده على الحلي: وأما النص على علي؛ فليس في شيء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد بن حزم : ما وجدنا قط رواية عند أحد في هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو في الخلق[2].

وقال في موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم قديماً ولا حديثاً، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات[3].

وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ في أمير المؤمنين علي ثم عمَّموها على آخرين من سلالة علي والحسين في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في آل البيت، شيطان الطاق الذي تلقبه الشيعة مؤمن الطاق[4]، وأنه حينما علم بذلك زيد بن علي بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: بلغني أنك تزعم أن في ال محمد إماماً مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها، أفترى أنه كان يشفق علي من حر اللقمة، ولا يشفق علي من حر النار؟! قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك فتكفر، فلا يكون له فيك الشفاعة[5].

وهذه القصة المروية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول، لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد.

وقد بين محب الدين الخطيب: أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة، وحصر الإمامة والتشريع وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت[6]، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفى 179 هـ[7].

---

[1] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 65.
[2] المنهاج (362/8) ؛ الفصل (161/4).
[3] المنهاج (50/7).
[4] أصول الشيعة الإمامية (800/2).
[5] رجال الكشي ، ص 186.
[6] مجلة الفتح ، ص 5 ؛ العدد 862 ، عام 1367 هـ.
[7] أصول الشيعة الإمامية (803/2).

ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت في الكوفة[1]، بسعي مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة ممن يدعي الصلة بأهل البيت؛ أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم[2].

ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم في عدد الأئمة؛ قال في مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة، ولكنهم مختلفون في مقدارهم، فقال بعضهم: خمسة، وبعضهم: سبعة، وبعضهم: ثمانية، وبعضهم: اثنا عشر، وبعضهم ثلاثة عشر[3].

وكتب الشيعة نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء كانت من كتب الإسماعيلية بمسائل الإمامة للناشئ الأكبر، أو الزينة لأبي حاتم الرازي، أو من كتب الإثني عشرية؛ مثل : المقالات والفرق للأشعري القمي، وفرق الشيعة للنوبختي، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعي الذي يكون فيه الخلاف أمراً عادياً، بل هي أساس الدين وأصله المتين، ولا دين لمن لم يؤمن بإمامهم، ولذلك يكفر بعضهم بعضاً، بل إن أتباع الإمام الواحد يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً[4].

أما الإثنا عشرية فقد استقر قولها ـ فيما بعد ـ بحصر الإمامة في اثني عشر إماماً، ولم يكن في العترة النبوية بني هاشم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم من يقول بإمامة الإثني عشر[5]، إنما عرف الاعتقاد بإثني عشر إماماً بعد وفاة الحسن العسكري[6].

وحصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة، أمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده براء منها، في كتب الشيعة المعتمدة في (نهج البلاغة)، عن علي رضي الله عنه قال: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول[7]، وإن الافاق قد أغامت[8]، والمحجة[9]. قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً[10].

---

[1] بحار الأنوار (259/100) ؛ أصول الشيعة الإمامية (805/2).
[2] أصول الشيعة الإمامية (806/2).
[3] مختصر التحفة ، ص 193.
[4] أصول الشيعة الإمامية (807/2).
[5] منهاج السنة (11/2).
[6] أصول الشيعة الإمامية (808/2).
[7] لا تصبر له ولا تطيق احتماله.
[8] أغامت: غطيت بالغيم.
[9] المحجة: الطريق المستقيمة.
[10] نهج البلاغة ، خطبة رقم 92 ، ص 236.



فلو كانت إمامة علي منصوصاً عليها من الله عز وجل لما جاز لعلي بن أبي طالب تحت أي ظرف من الظروف أن يقول للناس دعوني والتمسوا غيري، ويقول: (أنا لكم وزيراً خير مني أميراً) كيف والناس تريده وجاءت تبايعه[1].

ويقول في (النهج) كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً حين يقول، إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضاً، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى[2].

وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة حقائق جديرة بالاهتمام حيث جعل:

أ ـ الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيدهم الحل والعقد.

ب ـ اتفاقهم على شخص سبب لمرضات الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم.

ج ـ لا تنعقد الإمامة في زمانهم دونهم، وبغير اختيارهم.

د ـ لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين؛ فأين هم الشيعة الإثني عشرية عن هذه التصريحات الهامة[3]؟!

إن مسألة النص لا تثبت بأي وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع، إذ بعد انتهاء العدد المعين؛ هل تظل الأمة بدون إمام؟! ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الإثني عشرية لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم في حدود النيابة[4]، وفي هذا العصر اضطروا للخروج نهائياً عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب

ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع، فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي[5].

• ما يحتج به الإثنا عشرية في أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء في كتب السنة:

عن جابر بن سمرة قال: يكون اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم في قريش[6].

---

[1] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 158.

[2] نهج البلاغة: كتاب إلى معاوية رقم 6 ، ص 526.

[3] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 161.

[4] الحكومة الإسلامية للخميني ، ص 68 ؛ أصول الشيعة (814/2).

[5] الحكومة الإسلامية للخميني ، ص 248 ؛ أصول الشيعة (814/2).

[6] البخاري ، كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف (127/8).



وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرة خليفة. ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش[1]. وفي لفظ: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة[2]. وفي لفظ آخر: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً[3]، وعند أبي داود: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة[4].

وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مضى قال: وزاد: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: الهرج[5].

يتعلق الاثنا عشرية بهذا النص ويحتجون به على أهل السنة، لا لإيمانهم بما جاء في كتب السنة[6]، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به. وبالتأمل في النص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثني عشر وصفوا بأنهم يتولون الخلافة، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة، وأن الناس تجتمع عليهم ولا يزال أمر الناس ماضياً وصالحاً في عهدهم، وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدعي الاثنا عشرية فيهم الإمامة، فلم يتول الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن مدة قليلة، كما لم يقم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر ـ في نظر الشيعة أنفسهم ـ بل ما زال أمر الأمة فاسداً.. ويتولى عليهم الظالمون، بل الكافرون[7]، وأن الأئمة أنفسهم كانوا يتسترون في أمور دينهم بالتقية[8]، وأن عهد أمير المؤمنين علي وهو على كرسي الخلافة عهد تقية، كما صرح بذلك شيخهم المفيد[9]؛ فلم يستطع أن يظهر القرآن، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام، كما صرح بذلك شيخهم الجزائري[10]، واضطر إلى ممالأة الصحابة ومجاراتهم على حساب الدين، كما أقرَّ بذلك شيخهم المرتضى[11]...

فالحديث في جانب، ومزاعم هؤلاء في جانب آخر، ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد، بل نبوة، منه بأن الإسلام لا يزال عزيزاً في عصر هؤلاء، وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة[12].

---

[1] مسلم ، كتاب الإمارة ، باب الناس (1453/2).
[2] المصدر السابق نفسه (1453/2).
[3] المصدر السابق نفسه (1452/2).
[4] سنن أبي داود ، كتاب المهدي (471/4).
[5] سنن أبي داود (472/4) ؛ فتح الباري (211/13).
[6] أصول الشيعة الإمامية (815/2).
[7] منهاج السنة (210/4) ؛ المنتقى ، ص 533.
[8] أصول الشيعة الإمامية (816/2).
[9] المصدر السابق نفسه.
[10] المصدر السابق نفسه.
[11] المصدر السابق نفسه.
[12] أصول الشيعة الإمامية (816/2).

ولهذا قال ابن تيمية: إن الإسلام وشرائعه في زمن بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى إثني عشر خليفة كلهم من قريش». ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثم عبد الملك، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الان. ثم شرح ذلك[1].

ثم إنه قال في الحديث: كلهم من قريش[2]، وهذا يعني أنهم لا يختصون بعلي وأولاده: ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب؟ فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل علي لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقاً علم أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بل بنو تيم وبنو عدي، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل[3]، فإذن لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء[4].

- **أدلتهم من القرآن على النص:**

إن الشيعة الرافضة لما لم يجدوا ما يستدلون به من الشرع لتقرير عقيدة الإمامة بالنص عمدوا إلى ايات من كتاب الله فيها ثناء ومدح لعباده الصالحين وأوليائه المتقين، فجعلوها خاصة بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وأوَّلوها على حسب هذا المعتقد الفاسد، كما اختلقوا أحاديث كثيرة لتأييد هذه البدعة الشنيعة، وذلك لإيقاع جهلة المسلمين ومن قل نصيبه من العلم في ذلك، وما أوردوه في هذا الشأن واضح البطلان، وذلك أن استدلالهم لا يخرج عن أمرين:

أ ـ إما أن يكون فيما استدلوا به دليل على تلك الدعوى، كآية التطهير والمباهلة، وحديث الراية، وحديث خم، وغيرها من الأحاديث.

ب ـ أو أن تكون أحاديث موضوعة، والموضوع لا تقوم به حجة ولهذا اشتهر بين أهل العلم أن الرافضة أكذب الفرق المنتسبة للإسلام، وقد ذكر ابن تيمية: اتفاق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بالكذب[5] وإليك بعض الأمثلة في استدلالهم بالقرآن.

1 ـ آية الولاية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ*﴾[المائدة: 55]. ذكروا في تفسير هذه الآية ما يدل على زعمهم بأنها في إمامة علي، قال شيخ الطائفة ـ كما يلقبونه ـ

---

[1] منهاج السنة (206/4).
[2] مسلم (1453/2).
[3] منهاج السنة (211/4).
[4] أصول الشيعة الإمامية (818/2).
[5] منهاج السنة (59/1).

الطوسي: وأما النص على إمامته من القرآن، فأقوى ما يدل عليه قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ *﴾ [المائدة: 55][1]. وقال الطبرسي: وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل[2]، ويكاد شيوخهم يتفقون على أن هذا أقوى دليل عندهم حيث يجعلون له الصدارة في مقام الاستدلال في مصنفاتهم[3].

وأما كيف يستدلون بهذه الآية على مبتغاهم؟ فإنهم يقولون: اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت في علي، لما تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة، وهو مذكور في الصحاح الستة[4]، و«إنما» للحصر باتفاق أهل اللغة، والولي بمعنى الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة[5]، فأنت ترى أنهم يعتمدون في استدلالهم بالآية بما روى في سبب نزولها، لأنه ليس في نصها ما يدل على مرادهم، فصار استدلالهم بالرواية لا بالقرآن، فهل الرواية ثابتة، وهل وجه استدلالهم سليم؟.

يتبين هذا بالوجوه التالية:

أ ـ أن زعمهم بأن أهل السنة أجمعوا على أنها نزلت في عليّ هو من أعظم الدعاوي الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالنقل أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن علياً لم يتصدَّق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع[6].

وقوله: إنها مذكورة في الصحاح[7] الستة، كذب، إذ لا وجود لهذه الرواية في الكتب الستة، وقد ساق ابن كثير الاثار التي تروى في أن هذه الآية نزلت في علي حين تصدق بخاتمه، وعقب عليها: وليس يصحُّ شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها[8]، وقال عبد العزيز الدهلوي: وأما القول بنزولها في حق علي ابن أبي طالب ورواية قصة السائل وتصدقه بالخاتم عليه في حالة الركوع؛ فإنما هو للثعالبي[9] فقط، وهو متفرِّد به ولا يعد المحدثون من أهل السنة روايات الثعالبي قدر شعيرة ولقبوه بحاطب ليل، فإنه لا يميز الرطب من اليابس وأكثر رواياته عن الكلبي عن أبي صالح وهو من أوهى ما يروى في

---

[1] تلخيص الشافي (10/2) ، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة الإمامية (822/2).

[2] مجمع البيان (128/2) ، نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية (128/2).

[3] عقائد الإمامية الاثني عشرية (81/1 . 82) ؛ أصول مذهب الشيعة (823/2).

[4] أصول مذهب الشيعة (823/2).

[5] عقائد الإمامية الاثني عشرية (81/1 .82) ، نقلاً عن المرجع السابق (823/2).

[6] منهاج السنة (4/4).

[7] أصول مذهب الشيعة (824/2).

[8] تفسير ابن كثير (76/2 . 77).

[9] مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص 141 . 142.

التفسير عندهم[1]، وسبب نزول هذه الآية الصحيح هو أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول صلى الله عليه وسلم ذهبوا إلى عبادة بن الصامت كما أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره، وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم، وتولى الله ورسوله، فأنزل الله قوله جلا وعلا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ *﴾ [المائدة: 55]، أي: والحال أنهم خاضعون في كل شؤونهم لله تبارك وتعالى، ولذلك قال الله تبارك وتعالى في أول الآيات ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51]، يعني عبد الله بن أبي ابن سلول، لأنه كان موالياً لبني قينقاع، ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم والاهم ونصرهم ووقف معهم، وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لهم، أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *﴾ [المائدة: 51]، ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين، وهو عبادة بن الصامت ومن اتبعه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أمثال عبادة وغيره، فهذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت[2].

إن الآيات الكريمة جاءت بالأمر بموالاة المؤمنين، والنهي عن موالاة الكافرين، وهذا المعنى يدرك أيضاً. بعد معرفة سبب النزول الحقيقي. بوضوح من سياق الآيات، إذ قبل هذه الآية الكريمة جاء قوله سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *﴾ [المائدة: 51].

فهذا نهي صريح عن موالاة اليهود والنصارى بالود والمحبة والنفرة... ولا يراد بذلك باتفاق الجميع الولاية بمعنى الإمارة، وليس هذا بوارد أصلاً، ثم أردف ذلك بذكر من تجب موالاته وهو الله ورسوله والمؤمنون، فواضح من ذلك أن موالاة المحبة والنصرة التي نهى عنها في الأولى هي بعينها التي أمر بها المؤمنون في هذه الآية بحكم المقابلة، كما هو بيّن جليّ من لغة العرب[3]، قال الرازي: لما نهى في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار، أمر في هذه الآية بموالاة من تجب موالاته[4]. وقال ابن تيمية: إنه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير خلفاً عن سلف أن هذه الآية نزلت في النهي عن موالاة الكفار، والأمر بموالاة

[1] المصدر السابق نفسه، ص 141، 142، عقيدة أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص 473. وانظر: أسباب النزول للواحدي، تحقيق: أيمن شعبان، ص 163. اليهود في السنة المطهرة (282/1)؛ ويبقى الخبر الذي رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل يتقوى مع المتابعات والشواهد. وانظر: مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير لأحمد محمد شاكر (701/1)، فقد قال أحمد شاكر فيمن قال: نزلت في علي رضي الله عنه: بل هي من أكاذيب الشيعة الذين يلعبون بتأويل القرآن.

[2] رواه ابن هشام في السيرة في أمر بني قينقاع (49/2) عن عبادة بن الوليد؛ ورواه ابن جرير في تفسيره في تأويل قوله تعالى: ﴿...﴾ تفسير الطبري ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾، ورجال إسناده من طريق ابن جرير. موثوقون، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عن والده لكنه مرسل، فإن عبادة بن الوليد تابعي جليل روى عن أبيه وجده وغيرهما، وهو ثقة. التهذيب (114/5).

[3] أصول مذهب الشيعة (826/2).

[4] تفسير الفخر الرازي (25/12).

المؤمنين[1].

ب ـ إن الله تعالى لا يثني على الإنسان إلا بما هو محمود عنده، إما واجب وإما مستحب، والتصدق أثناء الصلاة ليس بمستحب باتفاق علماء الملة، ولو كان مستحباً لفعله الرسول ﷺ ولحض عليه، ولكرر فعله، وإن في الصلاة لشُغْلاً، وإعطاء السائل لا يفوت، إذ يمكن للمتصدق إذا سلم أن يعطيه، بل إن الاشتغال بإعطاء السائلين يبطل الصلاة كما هو رأي جملة من أهل العلم[2].

ج ـ أنه لو قدر أن هذا مشروع في الصلاة لم يختصّ بالركوع، فكيف يقال : لا ولي إلا الذين يتصدقون في حال الركوع؟! فإن قيل: هذه أراد بها التعريف بعلي، قيل له: أوصاف علي التي يعرف بها كثيرة ظاهرة، فكيف يترك تعريفه بالأمور المعروفة، ويعرف بهذا الأمر الذي لا يعرفه إلا من سمعه وصدق به؟! وجمهور الأمة لا تسمع هذا الخبر ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة[3].

د ـ وقولهم: إن علياً أعطى خاتمه زكاة في حال ركوعه، فنزلت الآية مخالفة للواقع، ذلك أن علياً رضي الله عنه لم يكن ممن تجب عليه الزكاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان فقيراً، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملك النصاب حولاً، وعلي لم يكن من هؤلاء[4].

هـ إن الأصل في الزكاة أن يبدأ المزكي، لا أن ينتظر حتى يأتيه الطالب، أيهما أفضل أن تبادر أنت بدفع الزكاة، أو أن تجلس في بيتك وزكاتك عندك، ثم تنتظر الناس حتى يطرقوا عليك الباب ثم تعطيهم زكاة أموالك؟ لا شك أن الأول الأفضل[5].

و ـ قولهم: إن المراد بقوله: الإمارة؛ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ يتفق مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ فإن الله سبحانه لا يوصف بأنه متولٍّ على عباده، وأنه أمير عليهم، فإنه خالقهم ورازقهم وربهم ومليكهم له الخلق والأمر، لا يقال: إن الله أمير المؤمنين كما يسمى المتولي مثل علي وغيره أمير المؤمنين[6]، وأما الولاية المخالفة للعداوة فإنه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة[7]، فهذه الولاية هي المقصودة في الآية، وقوله: أي خاضعون لربهم منقادون ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ *﴾، والركوع في أصل اللغة بمعنى الخضوع، أي يقيمون الصلاة

---

[1] منهاج السنة (5/4).
[2] المصدر السابق نفسه (208/1) (5/4).
[3] منهاج السنة (5/4) ؛ أصول مذهب الشيعة (825/2).
[4] أصول مذهب الشيعة (2825).
[5] حقبة من التاريخ ، ص 193.
[6] أصول مذهب الشيعة (827/2).
[7] المصدر السابق نفسه.

ويؤتون الزكاة في حال الركوع، وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله[1]، وهذا كما قال الله تبارك وتعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ *﴾ [يونس: 24] وهو خرَّ ساجداً، وإنما سمَّاه راكعاً للذل والخضوع لله تبارك وتعالى، وكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لاَ يَرْكَعُونَ *﴾ [المرسلات: 48]، أي: اخضعوا واستسلموا لأمر الله تبارك وتعالى[2].

ز ـ وأما استدلالهم بأداة الحصر «إنما» وأن المراد علي رضي الله عنه بالخصوص؛ فهذا الدليل كما يدل على نفي إمامة الأئمة المتقدمين كما قرر يدل على سلب الإمامة من الأئمة المتأخرين بذلك التقرير بعينه، فلزم أن السبطين ومن بعدهما من الأئمة الأطهار مسلوبة منهم الإمامة، فإن أجابوا عن النقض بأن المراد حصر الولاية في بعض الأوقات أعني وقت إمامته لا وقت إمامة من بعده، وافقوا أهل السنة في أن الولاية العامة كانت له وقت كونه إماماً لا قبله[3]، وإذا كانت هذه أقوى أدلتهم ـ كما يقول شيوخهم ـ تبيَّن أنهم ليسوا على شيء، ذلك أن الأصل أن يستعمل في هذا الأمر العظيم ـ والذي هو عند الروافض أعظم أمور الدين، ومنكره في عداد الكافرين ـ صيغة واضحة جلية، يفهمها الناس بمختلف طبقاتهم، يدركها العامي، كما يدركها العالم، ويفهمها اللاحق، كما يفهمها الحاضر، ويعرفها البدوي، كما يعرفها الحضري، فلما لم يستعمل مثل ذلك في كتاب الله دلَّ أنه لا نص كما يزعمون[4]، وهذه أقوى آية يستدلون بها من كتاب الله، ويسمونها آية الولاية ولهم تعلق بايات أخرى ذكرها ابن المطهر الحلي، وأجاب عليها ابن تيمية بأجوبة جامعة[5].

2 ـ آية المباهلة:

إن آية المباهلة التي نزلت في وفد نجران تعتبر دليل آخر عند الشيعة الاثني عشرية على الإمامة، وهي قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ *﴾ [آل عمران: 61]. ووجه دلالة الآية على إمامة علي بن أبي طالب عند الطوسي وغيره من علماء الشيعة: أنها دلَّت على أفضليته من وجهين:

أحدهما: أنَّ موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوع على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله.

---

[1] الكشاف للزمخشري (624/1) ؛ تفسير الرازي (25/12).

[2] حقبة من التاريخ ، ص 194.

[3] أصول مذهب الشيعة ، ص 825.

[4] أصول مذهب الشيعة الإمامية (829/2).

[5] وقد قام الدكتور علي السالوس بدراسة مستفيضة حول الآيات التي يستدل بها الإمامية لقولهم بالإمامة ، وانتهى من ذلك إلى أن استدلالاتهم تنبني على روآيات متصلة بأسباب النزول ، وتأويلات انفردوا بها لم يصح شيء من هذا ولا ذاك . مع الشيعة الاثني عشرية (55/1 إلى 111).

الثاني: أنه صلى الله عليه وسلم جعله مثل نفسه بقوله: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾؛ لأنه أراد بقوله: الحسن والحسين عليهما ﴿أَبْنَاءَنَا﴾، وبقوله: ﴿وَنِسَاءَنَا﴾، وبقوله: نفسه ونفس علي عليهما السلام.. وإذا جعله مثل نفسه وجب أن ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد[1].

وقد سميت آية المباهلة بهذا الاسم، لأنّ كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأنّ الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء حالهم بعد الموت، وآية المباهلة لا مستند فيها على ما يدعيه الشيعة الاثني عشرية في موضوع الإمامة لعدة أسباب.

أ ـ إنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة (نفسي) التي استدل بها الإمامية على دلالة النص في خلافة علي بن أبي طالب لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة، ولكن ما استدل به أهل السنة على أنها تدل على دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بحضوره بنفسه أو المقاربة في الدين أو النسب؛ فهو مذكور في اللغة موافقاً للدين، قال الزبيدي: قال ابن خالويه: النفس الأخ، قال ابن برّي: وشاهده قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: 61] وفسر ابن عرفة قوله تعالى: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: 12] أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم[2]. قال الدهلوي: معنى (نَدْعُ أَنْفُسَنَا) نحضر أنفسنا، وأيضاً لو قررنا الأمير. أي: الإمام علي ـ من قبل النبي صلى الله عليه وسلم لمصداق ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾، فمن نقرره من قبل الكفار لمصداق في أنفس ﴿وَأَنْفُسَكُمْ﴾، مع أنهم مشتركون في صيغة (نَدْعُ) ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبناءهم بعد قوله: تعالوا[3].

وقوله تعالى: مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ... لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: 12]. نزلت في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك، فإن الواحد من المؤمنين أنفس المؤمنين والمؤمنات، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 54] أي يقتل بعضكم بعضاً. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: 84]. أي لا يُخرج بعضكم بعضاً، فالمراد بالأنفس الإخوان: إما في النسب وإما في الدين[4]. وقد قال الله عز وجل في رسوله الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *﴾ [التوبة: 128]. وفي هذه الآية حجة بالغة على من يستدل بقوله تعالى على معنى المماثلة ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾، فهذه الآية تتكلم عن رسول الله وعن كفار مكة، وتقول: فمن ذا الذي يقول بأنّ نفس ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ الله

---

[1] تفسير التبيان للطوسي (485/3).
[2] تاج العروس (570/16) ؛ ثم أبصرت الحقيقة ، ص 188.
[3] مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص 156.
[4] مختصر منهاج السنة (167/1 . 168).



ونفس كفار مكة ـ عياذاً بالله[1] .؟!!

وهنا تظهر المزاجية في تفسير آية المباهلة حين يتجاهل علماء الشيعة كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون في معناها إلى حد قولهم بأن علياً هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة، وحتى بعض الروايات الشيعية تشير إلى أنّ إطلاق لفظ أنفسنا على الأخ أو القريب أو أرباب الفئة الواحدة شيء متعارف عليه بين العرب، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحُلّة، فلما نظروا إليه قالوا: يا بن عباس، أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس، وقال: وأنا أول ما أخاصمكم فيه وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ... خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31] فهل بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالي[2]؟

ب ـ اعترف أحد أقطاب الشيعة وهو الشريف الرضيّ أن قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ لا يعني أن علياً رضي الله عنه هو نفس رسول الله كما يقول الشيعة، يقول الشريف الرضيّ: قال بعض العلماء: إن للعرب في لسانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب والمقارب بأنه نفس ابن عمه، وأن الحميم نفس حميمه، ومن الشاهد على ذلك قول الله تعالى أراد تعالى: ﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ تعيبوا إخوانكم المؤمنين، فأجرى الأخوة بالديانة مجرى الأخوة في القرابة، وإذا وقعت النفس عندهم على البعيد النسب كانت أخلق أن تقع على القريب النسب.

وقال الشاعر:

كـأنا يـوم قُـرّى إنمـا نـقـتـل إيانا

أراد كأنما نقتل أنفسنا بقتلنا إخواننا، فأجرى نفوس أقاربه مجرى نفسه، لشوابك العصم ونوائط اللحم وأطيط الرحم، ولما يخلج من القربى القريبة، ويتحرك من الأعراق الوشيجة، فأما قول الله تعالى في النورَ فيمكن أن يجرى هذا ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: 61]، لأنه جاء في التفسير: أن معنى ذلك فليسلّم بعضكم على بعض لاستحالة أن يسلم الإنسان على نفسه، وإنما ساغ القول، لأن نفوس المؤمنين تجري مجرى النفس الواحدة، للاجتماع في عقد الديانة، والخطاب بلسان الشريعة، فإذا سلّم الواحد منهم على أخيه كان كالمسلم على نفسه، لارتفاع الفروق واختلاط النفوس[3].

وبهذا يتّضح أنه لا حجة لدى الشيعة في دعواهم أنّ في هذه الآية ما ينص على مساواة بين رسول الله وعلي رضي الله عنه وأرضاه، فلفظ (النفس) يُطلق في لغة العرب على البعيد النسب، فإطلاقه على القريب من باب أولى وليس في ذلك دلالة

---

[1] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 188.

[2] المصدر السابق نفسه ، ص 189.

[3] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 189.

على الإمامة من قريب ولا بعيد[1].

ج ـ إن المباهلة إنما تحصل الرغبة والرهبة والشعور بصدق الداعي بجمعه نفسه وأهله الذين تحن إليهم النفوس بطبيعة الحال مالا تحن إلى غيرهم من الأبعدين في الهلاك[2]، فكونهصلى الله عليه وسلم يدعو ألصق الناس به وأقربهم إليه؛ دليل واضح على صحة نبوته، ولهذا لما رأى نصارى نجران خافوا على أنفسهم وتخلوا عن مباهلته، ولكن الروافض المبتدعة لما ابتلوا بدفع الحق وعدم التسليم له أصيبوا بعدم فهم ما تدل عليه ايات الكتاب العزيز[3].

د ـ قول الشيعة الإمامية: إن الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا النبوة، كلام لا يُسلم له أبداً، إذ إنّ النبي صلى الله عليه وسلم لا يساويه أحد في أمور الدين لا علي ولا غيره، فأين مقام رسول الله وكماله البشري من سائر الناس؟

إن أمير المؤمنين علي نفسه لا يرضى ما يقول الشيعة الإمامية عنه، والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح[4]، فمقام النبوة له هيبته ومكانته عند أمير المؤمنين وقد تحدثنا عنه في هذا الكتاب.

هـ إن قضايا الاعتقاد الكبرى ومهمات الدين وأساسياته العظمى لا بد لإثباتها من الأدلة القرآنية الصريحة القطعية الدلالة على المعنى المطلوب كدلالة قوله تعالى: على ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، ودلالة (محمد رسول الله) على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ودلالة قوله تعالى على فرضية الصلاة ومشروعيتها[5]... ﴿أَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾

3 ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: 23]. وقد أورد الشيعة الإمامية في تفسير هذه الآية حديثاً عزوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهم، الأمر الذي يدل في رأي الشيعة على أفضليتهم ووجوب مودتهم ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم[6].

والإجابة على ما سبق كالاتي:

أ ـ إن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة[7] ومن المعلوم أن علياً إنما تزوج فاطمة بعد غزوة بدر، والحسن ولد في السنة الثالثة للهجرة، والحسين في السنة الرابعة، فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص 190.

(2) منهاج السنة (7/125 ـ 126).

(3) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (2/564 ـ 565).

(4) ثم أبصرت الحقيقة ، ص 191.

(5) اية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة ، عبد الهادي الحسيني ، ص 5.

(6) مجمع البيان للطبرسي (25/49 ـ 51) ؛ مختصر التحفة الإثني عشرية ، ص 153 إلى 155.

(7) تفسير البغوي (4/119) ؛ العقيدة في أهل البيت ، ص 364.

متعددة، فكيف يفسر النبي صلى الله عليه وسلم بوجوب قرابة لا تعرف ولم تخلق بعد[1].

ب ـ إن تفسير الآية الذي في الصحيح يناقض ذلك فقد روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: فقال ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ بن جبير قربى ال محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس: عجِلت، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن في قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة[2].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: فهذا ابن عباس ترجمان القرآن، وأعلم أهل البيت بعد علي، يقول: ليس معناها مودة ذوي القربى، لكن معناها: لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه أجراً، ولكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولاً أن يصلوا رحمه، فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه[3].

ج ـ أن الحديث الذي جعلوه مفسراً للآية: كذب وموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وهم المرجوع إليهم في هذا، وقد نص على ذلك ابن تيمية[4]، وقد تتبع ابن كثير أيضاً الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية، وبيَّن أن الأحاديث التي تنص على أن أُولي القربى هم فاطمة وولداها ضعيفة الإسناد. وأورد رواية عن ابن أبي حاتم قال: حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الآية ـ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: «فاطمة وولداها (رضي الله عنهم)». وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يعرف عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره في هذا المحل، وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر السنة الثانية من الهجرة، والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله

ابن عباس رضي الله عنهما وقد تحدث ابن حجر عن ضعف الروايات المذكورة ومخالفتها للحديث الصحيح[5].

- **أدلتهم من السنة:**

1 ـ خطبة غدير خم:

غدير خم: هو موقع بين مكة والمدينة بالجحفة[6]، ويقع شرق رابغ بما يقرب من 26 كيلاً، ويسمونه اليوم الغربة[7]، ويذكر

---

[1] منهاج السنة (99/7) ؛ دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين ، حلي ، ص 190.

[2] البخاري ، كتاب التفسير ، رقم 4818.

[3] منهاج السنة (100/7).

[4] المصدر السابق نفسه.

[5] تفسير ابن كثير (112/4) ؛ فتح الباري (564/8).

[6] معجم البلدان (289/2).

[7] على طريق الهجرة ، عاتق البلاد ، ص 61.

أنه في هذا الموقع خطب النبي صلى الله عليه وسلم في الناس، وذكر فضل علي رضي الله عنه، واتخذ الروافض هذه الحادثة أساساً يعتمدون عليه في تشيعهم الغالي له من جهة، واعتمدوا عليها في أحقية علي بالخلافة من جهة أخرى، فأعطوا لهذه الحادثة من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها في عصر النبوة[1] حتى ألف فيه كتاب من أحد عشر مجلداً وهو كتاب الغدير ملأه مؤلفه بالأحاديث الموضوعة والضعيفة.

والصحيح ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: أنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً بماء يدعى خُمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر ثم قال: «أما بعد؛ ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». قال له حصين ـ أي: الراوي عن زيد بن أرقم ـ: ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نعم، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم ال علي، وال عقيل، وال جعفر، وال عباس، قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم[2]. وجاء عند غير مسلم كالترمذي[3]، وأحمد[4]، والنسائي في الخصائص[5]، والحاكم[6]، وغيرهم جاءت بأسانيد صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه[7]».

وأما الزيادات الأخرى كقوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». فهذه الزيادات صححها بعض أهل العلم، والصحيح أنها لا تصح، وأما زيادة: «انصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار»، فهذه زيادة مكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم[8].

وخطبة النبي صلى الله عليه وسلم في غدير خم لها سبب وجيه؛ فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً إلى خالد بن الوليد في اليمن ليخمّس الغنائم ويقبض الخُمس، فلما خمّس الغنائم كانت في الغنائم وصيفة هي أفضل ما في السبي، فصارت في الخُمس، ثم إن علياً خرج ورأسه مغطى وقد اغتسل، فسألوه عن ذلك، فأخبرهم أن

---

(1) أثر التشيع على الروآيات التاريخية ، عبد العزيز محمد نور ولي ، ص 299.

(2) مسلم ، رقم 2408.

(3) سنن الترمذي ، رقم 3713.

(4) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم 670 ، صحيح لغيره.

(5) خصائص علي ، رقم 79 ، صحيح رجاله ثقات.

(6) المستدرك (110/3).

(7) حقبة من التاريخ ، ص 182.

(8) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم 1750.

الوصيفة التي كانت في السبي صارت له فتسرّى بها. فكره البعض ذلك منه، وقدم بريدة بن الحصيب بكتاب خالد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ممن يبغض علياً، فصدّق على كتاب خالد الذي تضمن ما فعله علي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «لا تبغضه فإن له في الخُمس أكثر من ذلك»[1]، فلما كانت حجة الوداع رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي[2]، وقد تعجل علي ليلقى الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة، واستخلف رجلاً من أصحابه على الجند، فكسا ذلك الرجل الجند حللاً من البزّ[3]، الذي كان مع علي، فلما دنا الجيش من مكة خرج علي ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، فقال لنائبه: ويلك ما هذا قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فانتزع الحلل وردها إلى البزّ، فأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم علي[4]، فلما اشتكى الناس علياً قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس خطيباً.

قال ابن كثير: إن علياً رضي الله عنه لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إيّاهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه لذلك، والله أعلم، لما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من حجته وتفرغ من مناسكه وفي طريقه إلى المدينة؛ مر بغدير خم، فقام في الناس خطيباً، فبرأ ساحة علي ورفع من قدره، ونبَّه على فضله ليزيل ما وقر في قلوب كثير من الناس[5].

إن النبي صلى الله عليه وسلم أخّر الكلام إلى أن رجع إلى المدينة ولم يتكلم، وهو في مكة في حجة الوداع أو في يوم عرفة، وإنما أجل الأمر إلى أن رجع، فهذا يدل على أن الأمر خاص بأهل المدينة؛ لأن الذين تكلموا في علي رضي الله عنه من أهل المدينة فهم الذين كانوا مع علي في الغزو، وغدير خم في الجحفة وهي تبعد عن مكة تقريباً مئتين وخمسين كيلومتراً، والذي يقول: إنه مفترق الحجيج؛ فهذا غير صحيح، لأن مجتمع الحجيج مكة، فلا يكون مفترق الحجيج بعيداً عن مكة أكثر من مئتين وخمسين كيلومتراً أبداً، فإن أهل مكة يبقون في مكة، وأهل الطائف يرجعون إلى الطائف، وأهل اليمن إلى اليمن، وأهل العراق إلى العراق، وهكذا كل من أنهى حجه، فإنه يرجع إلى بلده، وكذلك القبائل العربية ترجع إلى مضاربها، فلم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا أهل المدينة، ومن كان على طريق المدينة فقط، وهم الذين خطب فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، والاختلاف بين أهل السنة والشيعة الروافض في مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم لا في الثبوت،

---

[1] مجمع الزوائد (127/9) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير عبد الجليل بن عطية ، وهو ثقة صرح بالسماع ، وفيه لين.

[2] مسلم ، رقم 1281.

[3] البزّ: الثياب ، أو متاع البيت من الثياب.

[4] البداية والنهاية (95/5) ؛ السيرة النبوية لابن هشام (259/4) قال ابن كثير: هذا السياق أقرب من سياق البيهقي (دلائل النبوة 398/5) رغم أنه قال عن رواية البيهقي: هذا إسناد جيد على شرط النسائي.

[5] البداية والنهاية (95/5).

فالروافض يقولون: من كنت مولاه فعلي مولاه، أي: من كنت واليه فعلي واليه، وأهل السُنّة يقولون: إن مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه أي: الموالاة التي هي النصرة والمحبة وعكسها المعاداة وذلك لأمور:

أ ـ للزيادة التي وردت وصححها بعض أهل العلم وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[1]. والمعاداة هي شرح لقوله: فعليّ مولاه فهي في محبة الناس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

ب ـ كلمة مولاه تدل على معاني متعددة. قال ابن الأثير: المولى يقع على الرب والمالك والمنعم والناصر والمحب والحليف والعبد والمعتق وابن العم والصهر[2]، كل هذه تطلق العرب على كلمة مولى.

ج ـ الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لو أراد الخلافة لم يأتِ بكلمة تحتمل هذه المعاني التي ذكرها ابن الأثير، والنبي صلى الله عليه وسلم هو أفصح العرب، ولكان يقول: علي خليفتي من بعد، أو عليّ الإمام من بعدي، أو إذا أنا متُّ فاستمعوا وأطيعوا لعليّ بن أبي طالب، ولكن لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة الفاصلة التي تنهي الخلاف إن وجد أبداً، وإنما قال من كنت مولاه فعلي مولاه[3].

د ـ قال الله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *﴾ [الحديد: 15]؛ فسماها مولى لشدة الملاصقة مع الكفار والعياذ بالله.

هـ الموالاة وصف ثابت لعلي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، وبعد وفاة علي رضي الله عنه، فعليّ كان مولى المؤمنين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مولى المؤمنين بعد وفاته رضي الله عنه، فهو الان مولانا كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 55]. وعلي رضي الله عنه من سادة الذين آمنوا.

و ـ قال الإمام الشافعي رحمه الله عن حديث زيد: يعني بذلك ولاء الإسلام كما قال الله تعالى: [4]﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ *﴾ [محمد: 11]. فالحديث لا يدل على أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يدل على أن علياً من أولياء الله تبارك وتعالى، تجب له الموالاة وهي المحبة والنصرة والتأييد[5].

وعموماً فإن هذه الخطبة التي خطبها النبي صلى الله عليه وسلم في غدير خم أراد بها تبرئة ساحة علي رضي الله عنه، ورفع مكانته، والتنبيه على فضله ليزيل ما كان وقر في نفوس الناس من أصحابه الذين كانوا معه في اليمن، وأخذوا عليه بعض الأمور، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يرد أن يفعل ذلك أثناء موسم الحج؛ لأن الحادثة رغم انتشارها بقيت محدودة في

---

(1) السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم 1750.

(2) النهاية في غريب الحديث (228/5).

(3) حقبة من التاريخ ، ص 185.

(4) النهاية في غريب الحديث (228/5).

(5) حقبة من التاريخ ، ص 187.

أهل المدينة، كما أنه لم يؤخره حتى وصوله إلى المدينة حتى لا يُمكن المنافقين من استغلال مثل هذه الحادثة في مكايدهم[1]، ومما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد من خطبته هذه بيان فضل علي للذين لم يعرفوا فضله، أنه عندما قام عنده بريدة بن الحصيب ينتقص في علي . وكان قد رأى من علي جفوة . تغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقال بريدة: بلى يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[2].

وهناك بحث قيم في هذا الموضوع قام به الدكتور محمد علي السالوسي، فتحدث عن خطبة الغدير والوصية بالكتاب والسنة، وقام بدراسة لروايات التمسك بالكتاب والعترة، وناقشها وحكم عليها، ثم قال: مما سبق نرى أن حديث الثقلين التي صح سندها صح متنها، وأن الروايات الثمانية التي تأمر بالتمسك بالعترة إلى جانب الكتاب الكريم لم تخل واحدة منها من ضعف في السند[3]، وفي متن هذه الروايات نجد الإخبار بأن الكتاب وأهل البيت لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أجل هذا وجب التمسك بهما، ولكن الواقع يخالف هذه الأخبار، فمن المتشيعين لأهل البيت من ضل وأضل، وأكثر الفرق التي كادت للإسلام وأهله وجدت من التشيع لآل البيت ستاراً يحميها، ووجدت من المنتسبين لآل البيت من يشجعها لمصالح دنيوية، كأخذ خُمس ما يغنمه الأتباع، إن عدم الضلال يأتي من التمسك بالكتاب والسنة، وإذا تمسك أهل البيت بهما كان لهم فضل الانتساب مع فضل التمسك واستحقوا أن يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم كما قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا *﴾ [الفرقان: 74] أي أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا، ولا يختص هذا بأهل البيت ولكن بكل من يعتصم بالكتاب والسنة، فالروايات التي ضعف سندها لا يستقيم متنها كذلك، وهذا ضعف آخر ومع هذا كله، فلو صحت هذه الروايات فإنها لا تدل من قريب ولا بعيد على وجوب إمامة الأئمة الاثني عشر وأحقيتهم للخلافة[4].

قال العلامة المناوي في فقه روايات الحديث: إن ائتمرتم بأوامر كتابه، وانتهيتم بنواهيه، واهتديتم بهدي عترتي، واقتديتم بسيرتهم، اهتديتم فلم تضلوا[5]. وقال ابن تيمية بعد أن بين أن الحديث ضعيف لا يصح: وقد أجاب عنه طائفة بما يدل

---

[1] أضواء على دراسة السيرة النبوية ، صالح الشامي ، ص 113 . 114.
أثر التشيع على الروآيات التاريخية ، ص 304.

[2] السلسلة الصحيحة (336/4) ، قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

[3] ومع هذا الضعف جاء في كتاب المراجعات للموسوي بأنها متواترة ، ص 51 ونسب للشيخ سليم البشرى أنه تلقى هذا القول بالقبول ، ص 45 ، وأنه طلب المزيد. وذكر صاحب المراجعات روآيات أخرى أشد ضعفاً. مع الشيعة الاثني عشرية (136/1).
[276]مع الشيعة الاثني عشرية (136/1).

[4] مع الشيعة الاثني عشرية (136/1).

[5] فيض القدير (14/3).

على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة. قالوا: ونحن نقول بذلك، كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلى وغيره. وقال أيضاً: إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة والإجماع، والعترة بعض الأمة، فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة[1].

إن حديث الثقلين، في قوله صلى الله عليه وسلم : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله[2] وعترتي». فيه كلام من حيث صحته وثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والثابت عند مُسلم أن الأمر كان بالتمسك بكتاب الله، والوصية بأهل البيت كما مر من حديث زيد بن أرقم في مسلم، فأوصى بكتاب الله، وحث على التمسك به ثم قال: «وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، فالذي أمر بالتمسك به كتاب الله وأما أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فأمر برعايتهم وإعطائهم حقوقهم التي أعطاها الله تبارك وتعالى إياها[3].

ورداً على فهم الشيعة الروافض المنحرف لحديث الثقلين من وجوه:

أ ـ إن عترة الرجل هم أهل بيته، وعترة النبي صلى الله عليه وسلم هم كل من حرمت عليه الزكاة وهم بنو هاشم، هؤلاء هم عترة النبي صلى الله عليه وسلم، فالروافض ليس لهم أسانيد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يقرون بهذا أنهم ليس عندهم أسانيد في نقل كتبهم ومروياتهم وإنما هي كتب وجدوها وقالوا ارووها فإنها حق[4]، أما أسانيدهم كما يقول الحر العاملي وغيره من أئمة الشيعة الروافض إنه ليس عند الشيعة أسانيد أصلاً ولا يعولون على الأسانيد[5]، فأين لهم ما يروونه في كتبهم ثابت عن عترة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ بل أهل السنة هم أتباع عترة النبي صلى الله عليه وسلم وأعطوهم حقهم، ولم يزيدوا ولم ينقصوا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق نفسه: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا: عبد الله ورسوله»[6].

ب ـ إمام العترة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبعده يأتي في العلم عبد الله بن عباس الذي هو حبر الأمة، وكان يقول بإمامة أبي بكر وعمر قبل علي رضي الله عنهم بل إن عليّ بن أبي طالب قد ثبت عنه بالتواتر أنه قال: أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر[7]. فعلي يقرّ بفضل الشيخين وهو إمام العترة[8].

---

[1] منهاج السنة النبوية (105/4)

[2] سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، رقم 3786 ، وفيه زيد الأنماطي ، والحديث له أكثر من طريق لا يخلو من طريق منها من كلام مع اختلاف المتون.

[3] حقبة من التاريخ ، ص 203.

[4] المصدر السابق نفسه.

[5] المصدر السابق نفسه.

[6] البخاري ، رقم 3445.

[7] البخاري ، رقم 3671.

[8] حقبة من التاريخ ، ص 204.

ج ـ هذا الحديث مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً، كتاب الله وسُنتي[1]»، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «عليكم بسُنّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»[2]، فأمر بالعض عليها بالنواجذ. وقال صلى الله عليه وسلم : اقتدوا بالذين من بعدي، أبي بكر وعمر[3]. وقال: «اهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود»[4]، ولم يدل هذا على الإمامة أبداً، وإنما دلَّ على أن أولئك على هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن عترة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة أبداً[5].

د ـ إن الشيعة الروافض يطعنون في العباس[6]، ويطعنون في عبد الله ابنه، ويطعنون في أولاد الحسن، وقالوا: إنهم يحسدون أولاد الحسين، ويطعنون كذلك في أبناء الحسين نفسه من غير الأئمة الذين يدعونهم كزيد بن علي[7]، وكذلك إبراهيم أخي الحسن العسكري[8]، وغيرهم فهم ليسوا بأولياء للنبي صلى الله عليه وسلم وعترته بل أولياءُ النبي وعترته هم الذين مدحوهم وأثنوا عليهم وأعطوهم حقهم ولم ينقصوهم[9].

هـ – فهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم للنص:

فهم الصحابة رضي الله عنهم إن المراد بالمولى أو الولي هو الحب والولاء والطاعة، ولذلك عبّروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي بن أبي طالب بمناداته يا مولانا، فعن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا مولاه» قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري[10].

إن أهم ما يستفاد من هذا الحديث هو أن علي بن أبي طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة، فمن الملاحظ أن أمير المؤمنين علياً قد استنكر منهم مناداته بـ (يا مولانا)، ولو كان أمير المؤمنين علي العربي الفصيح يراها

---

[1] مستدرك الحاكم (93/1).
[2] سنن أبي داود (201/4) ؛ الترمذي ، وقال: حسن صحيح.
[3] صحيح سنن الترمذي للألباني (200/3).
[4] سنن الترمذي ، رقم 3805.
[5] حقبة من التاريخ ، ص 205.
[6] رجال النجاشي ، ص 52 ، نقلاً عن حقبة من التاريخ ، ص 205
[7] بحار الأنوار (194/46) اتهموه أنه كان يشرب الخمر ؛ حقبة من التاريخ ، ص 205.
[8] الكافي (504/1) اتهموه بأنه فاجر ماجن شريب للخمور ؛ حقبة من التاريخ ، ص 205.
[9] حقبة من التاريخ ، ص 205.
[10] فضائل الصحابة (702/2) ، حديث ، رقم 967.

مرادفة: يا أميرنا أو: يا إمامنا؛ لما استنكر على القائلين تلك المناداة[1].

و ـ روت كتب الشيعة الاثني عشرية أقوالاً لبعض أهل البيت ينفون؛ فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة علي من بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فقد قيل للإمام الحسين بن علي الذي كان كبير الطالبيين في عهده وكان وصي أبيه وولي صدقة جده: ألم يقل رسول الله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ فقال: بلى ولكن ـ والله ـ لم يعن رسول الله بذلك الإمامة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به وكان ابنه الإمام عبد الله يقول: ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا، وليس في أحد من أهل

البيت إمام مفترض الطاعة من الله، وكان ينفي أن تكون إمامة أمير المؤمنين من الله[2]، فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء علي والناصرون له، فما ترى غيرهم يقولون[3]؟.

2 ـ حديث الاستخلاف على المدينة في تبوك:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحقق منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى

الحوادث في تاريخ الإسلام[4]، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة علياً، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس مما بداخلهم من حقد ونفاق فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيء إليه، فمن ذلك قولهم ما تركه إلا لثقله عليه وهذا القول منهم في حقه، علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن علياً رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم : أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق[5].

عند ذلك أدرك علي الجيش وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله! أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»[6].

وليس في هذا الحديث ما يستدل به الشيعة على كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله، والرد عليهم من وجوه:

أ ـ الحديث المذكور له سبب هام لا ينبغي أن يغفل، وأن يفهم الحديث دونه، فقد طعن المنافقون في علي رضي الله عنه،

---

[1] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 200.

[2] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 201 ، كذلك الرواية في كتب أهل السنة ؛ الاعتقاد للبيهقي ، ص 182 ـ 183 ؛ ومن كتب الشيعة: بصائر المؤمنين للصفار ، ص 153 ـ 156.

[3] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 201.

[4] المرتضى للندوي ، ص 55.

[5] مسلم.

[6] البخاري ، رقم 2404.

فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانته وفضله، وكذب المنافقين.

ب ـ من الثابت: أن هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى عليه السلام والاستدلال بالحديث على إمامة علي بعد رسول الله بالتالي غير منطبق ولو أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم النص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقال له مثلاً، أنت مني بمنزلة يوشع من موسى، لأن نبي الله يوشع استخلف على بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، لكن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهارون عليه السلام الذي كان خليفة موسى عليه السلام في حياة موسى لا بعد وفاته ليس له إلا معنى واحد هو الترضية لعلي الذي أحزنه إبقاء الرسول صلى الله عليه وسلم له في المدينة مستخلفاً على الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة، فبيّن له النبي عليه الصلاة والسلام أنه كما استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه، وذهب للطور للقاء ربه تبارك وتعالى، فاستخلافي لك من هذا الباب، فموسى لم يستخلف هارون عليهما السلام استخفافاً به وتنقيصاً له، وإنما ائتماناً له وثقة به، وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب رضي الله عنك.

جـ هارون عليه السلام لم يكن وصياً لموسى عليه السلام، بل نبياً ووزيراً بنص القرآن، وقياس حال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذي هو عند الشيعة وصي وليس بنبي قياساً مع الفارق، علماً بأنهم يرفضون القياس أصلاً.

د ـ الاستدلال بكون هارون عليه السلام وزيراً لموسى عليه السلام على وزارة أمير المؤمنين علي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعجب من الأولى، ذلك لأن الله تعالى الذي جعل هارون عليه السلام وزيراً لنبيه موسى عليه السلام قال في محكم كتابه عن طلب موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي *هَارُونَ أَخِي *اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي *وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي*﴾[طه: 29-32] فهل يرى من يدّعي التطابق بين الاثنين كون علي رضي الله عنه مشاركاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في نبوته كما هو الحال في مشاركة هارون لموسى عليه السلام في أمره؟! من يعتقد ذلك فلا شك في كفره وخروجه من ملة الإسلام[1].

هـ لقد استخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة غير علي بن أبي طالب؛ ففي غزوة بدر استخلف عبد الله بن أم مكتوم، واستخلف في غزوة سليم، سباع بن عُرفطة الغفاري، أو ابن أم مكتوم على اختلاف في ذلك، واستخلف في غزوة السويق، بشير بن عبد المنذر، واستعمل على المدينة في غزوة بني المصطلق، أبا ذر الغفاري، وفي غزوة الحديبية، نُمَيْلة بن عبد الله الليثي، كما استعمله أيضاً في غزوة خيبر، وفي عمرة القضاء استعمل عويف بن الأضبط الديلي، وفي فتح مكة، كلثوم

[1] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 215.

بن حصين بن عتبة الغفاري، وفي حجة الوداع، أبا دجانة الساعدي ذكر هذا ابن هشام في مواقف متفرقة من السيرة[1]، إضافة إلى أن استخلاف علي على المدينة لم يكن الأخير فقد استخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في حجة الوداع غير علي، وهذا منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تربية القادة كما حدث عندما أمَّر أبا بكر على الحج، واختصه أيضاً بإمامة الصلاة وحده[2].

و ـ وأما تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بهارون فهذه فضيلة، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه أبا بكر وعمر بأعظم من هارون؛ ففي غزوة بدر، لما كانت قضية الأسرى واستشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر، فرأى أن يعفو عنهم وأن يفادوهم قومهم، ورأى عمر أن يقتلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «إن مثلك كمثل إبراهيم يوم قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *﴾ [إبراهيم: 36]، ومثلك كمثل عيسى إذ قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *﴾ [المائدة: 118]». ثم التفت إلى عمر فقال: «يا عمر إن مثلك مثل نوح لما قال: ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا *﴾ [نوح: 26]، ومثلك كمثل موسى لما قال: [3]﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ *﴾ [يونس: 88]» فشبه أبا بكر بإبراهيم وعيسى وشبه عمر بنوح وموسى، وأولئك من أولي العزم، وهم خير البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أفضل من هارون بدرجات صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بهارون تكريم له كما كرّم النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر عندما شبههم بإبراهيم وعيسى وموسى ونوح[4] عليهما السلام.

ز ـ من أقوال العلماء في شرح الحديث:

❖ قال النووي ـ رحمه الله ـ وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة[5].

❖ وقال ابن حزم ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر احتجاج الرافضة بالحديث: وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق

---

[1] السيرة النبوية لابن هاشم (2 ، 650 ، 804 ، 806).

[2] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 215.

[3] مسند أحمد (383/1) إسناده صحيح.

[4] حقبة من التاريخ ، ص 200.

[5] شرح صحيح مسلم (174/13).

الإمامة بعده؛ لأن هارون لم يلِ أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى ـ عليه السلام ـ يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة، وإذا لم يكن علي نبياً كما كان هارون نبياً، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل؛ فصحّ أن كونه ـ رضي الله عنه ـ من رسول الله بمنزله هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط، وأيضاً فإنما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك...

ثم قد استخلف صلى الله عليه وسلم قبل تبوك وبعد تبوك في أسفاره رجالاً سوى علي ـ رضي الله عنه ـ؛ فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي ـ فضلاً على غيره ـ ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين[1].

❖ وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: واستدل بحديث الباب على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة؛ فإن هارون كان خليفة موسى وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته؛ لأنه مات قبل موسى باتفاق. أشار إلى ذلك الخطابي[2].

❖ وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: في سياق رده على الشيعة الرافضة في استدلالهم بهذا الحديث: وقول القائل هذا بمنزلة هذا، وهذا مثل هذا، هو كتشبيه الشيء بالشيء يكون بحسب ما دل عليه السياق، لا يقتضي المساواة ـ المطلقة ـ في كل شيء، وكذلك هنا بمنزلة هارون وهذا الاستخلاف يسمى من خصائص علي، بل ولا هو مثل استخلافاته فضلاً أن يكون أفضل منها، وقد استخلف مَنْ هو علي أفضل منه في كثير من الغزوات، ولم تكن تلك الاستخلافات توجب تقديم المسْتَخلف على علي إذا قعد معه، فكيف يكون موجباً لتفضيله على علي؟ قد استخلف على المدينة غير واحد، وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى من جنس استخلاف عليّ بل كان ذلك الاستخلاف يكون على أكثر وأفضل ممن استخلف عليه عام تبوك وكانت الحاجة إلى الاستخلاف أكثر، فإنه كان يخاف من الأعداء على المدينة، فأما عام تبوك فإنه كان قد أسلمت العرب بالحجاز، وفتحت مكة وظهر الإسلام وعزّ، ولهذا أمر الله نبيه أن يغزو، ولهذا لم يدع النبي صلى الله عليه وسلم عند علي أحداً من المقاتلة، كما كان يدع النبي صلى الله عليه وسلم بها في سائر الغزوات بل أخذ المقاتلة[3] كلهم.

ح ـ الحكمة في عدم تخصيص رسول الله من بعده أحداً ليتولى أمر الأمة: إن الحكمة في عدم تخصيص رسول الله من بعده

---

(1) الفصل (159/4 ـ 160).

(2) فتح الباري (74/7) ؛ الانتصار للصحب والال ، ص 540.

(3) منهاج السنة (330/7 ـ 332) ؛ مجموع الفتاوى (416/4).



أحداً ليتولى أمر الأمة تتضح في إدراكنا لحقيقة الإسلام كدين رباني للبشرية، وأنه لو حدد الرسول صلى الله عليه وسلم رجلاً من بعده، فإنه يكون قد أعطى المسوغ الشرعي ليدعي المدعون وقد فعلوا بدون برهان . بأن قيادة الأمة من حق أسرة بعينها، ويصبح الحكم الوراثي هو الحكم السائد في الإسلام، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد . وهو لا ينطق عن الهوى إنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى . أن يترك هذا الأمر مطلقاً للمسلمين

أن يختاروا أصلحهم وأخيرهم، وإن كان لمح بعض التلميحات إلى أبو بكر . وكان بمقدوره عليه السلام أن يصرح، ولكنه لم يفعل لهذا القصد . إلا أن التلميح لا يعطي شرعية التولية المباشرة، ولو كانت هناك وصية لأحد من الخلق لما حصل اختلاف في سقيفة بني ساعدة في بداية الأمر، ولما استشار أبو بكر الناس في تولية عمر، ولما ترك عمر الخلافة بيد ستة من المهاجرين... إلخ ولو كانت المسألة وراثة لكان بنو هاشم أول من ينالون هذا الأمر[1].

إن هذا الدين للبشرية، ولا يصح، بأي حال من الأحوال أن يكون محصوراً في أسرة حاكمة واحدة، ويظل متوارثاً، كالمتاع، وإذا كانت العصور التالية فعلت ذلك، كعصر بني أمية، وبني العباس وغيرهم، فإن هذا خلاف القاعدة الشرعية، وما كان خلاف القاعدة، فهو طارىء غريب على دين الله، وينبغي أن ينحى هذا المفهوم القاصر كلية من الفكر الإسلامي حتى يصبح ناصعاً نقياً[2].

بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها في الإمامة:

1 . حديث الطائر:

ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية كذلك حديث الطائر المشوي روى الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم لرسول الله فرخ مشوي فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إن رسول الله على حاجة ثم جاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتح، فدخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبسك يا علي؟ فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: قال يا رسول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل قد يحب قومه[3].

---

[1] دراسات في عهد النبوة للشجاع ، ص 270.

[2] المصدر السابق نفسه.

[3] المستدرك (3/ 130 . 131) ، ضعيف من حيث السند والمتن.

روى هذا الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، بالإضافة إلى أن كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وعدم صحة سند واحد منها أمر يدعو للعجب والدهشة، فأين أصحاب أنس عن هذا الحديث وقد صحبوه السنين الطوال؟ لم نر أي واحد منهم قد روى هذا الحديث، وهم من هم في الثقة والضبط، كأمثال الحسن البصري، وثابت البناني، وحميد الطويل، وحبيب بن أبي ثابت، وبكر بن عبد الله المزني، وأسعد بن سهل بن حنيف، وإسحاق بن عبد الله بن طلحة، وأبان بن صالح وإبراهيم بن ميسرة وغيرهم كثير ممن يروي عن أنس ولا يعرف كثير: ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه . أن حديث الطير . سنداً ومتناً للقاضي أبي بكر الباقلاني[1]، وقال ابن الجوزي: قد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقاً كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك[2]، وقال ابن تيمية: حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل[3]، وقال الزيلعي: كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف[4].

2 . حديث الدار:

ومن الأحاديث التي يستدل بها الشيعة الإثنا عشرية على نصية الإمامة حديث الدار، حيث يرى الشيعة أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه نص على إمامة علي منذ بداية البعثة وأثناء عرضه الإسلام على كفار مكة ومنذ مطالبته إياهم بترك الأوثان وإفراد الواحد القهار بالعبادة لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ *﴾ [الشعراء: 214]. دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاء جبرائيل.

فقال: يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من الطعام، واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه وأبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله خدية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفسي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم يأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال سحركم صاحبكم فتفرق

---

[1] البداية والنهاية (354/7).
[2] العلل المتناهية (225/1 . 234).
[3] منهاج السنة (99/4).
[4] تحفة الأحوذي (224/10).

القوم ولم يكلمهم رسول الله، فقال: الغد يا علي، إن الرجل سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إليّ. فقال ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله، فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت: وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً[1]، أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، وفي سياق آخر (....لم يجبه أحد منهم فقام علي وقال: أنا يا رسول الله قال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا، فقام علي وقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يجبه أحد منهم، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال اجلس أنت أخي[2].

وهذا الحديث باطل سنداً ومتناً، أما سنداً ففي سنده عبد الغفار بن القاسم وعبد الله بن عبد القدوس، فأما عبد الغفار بن القاسم فهو متروك لا يُحتج به، قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث، وقال يحيى

بين معين: ليس بشيء وروى عباس بن يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم ـ أي عند علماء الجرح والتعديل ـ وقال عنه ابن حبان: يقلب الأخبار ولا يجوز الاحتجاج به، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين[3]، وقال النسائي: متروك الحديث[4]، وليس عبد الله بن عبد القدوس بأحسن

حالاً من سابقه، بل هو مجروح أيضاً عند عامة علماء الحديث، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف[5].

وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي:

أ ـ هذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ *﴾ [الشعراء: 214]. صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ، قالوا: نعم

---

(1) مع أن عمره انذاك ما يقارب عشر سنوات.

(2) المراجعات ، المراجعة 2 (350/1) من كتاب الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات ، أبو مريم بن محمد الأعظمي.

(3) المجروحين لابن حبان ، ص 143.

(4) الضعفاء والمتروكين للنسائي ، ص 210.

(5) ميزان الاعتدال (457/2).

ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت [1] ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ *مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ *﴾ [المسد: 1 . 2].

. الشيعة الاثنا عشرية طالما ادعوا النص الصريح على خلافة علي وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب، وأن النصوص متضافرة في إثبات ذلك، وهذا الحديث يدحض قولهم إذ فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا قومه لنصرته وأنّ من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده ولم يخص علياً بذلك بل وأعرض عنه ثلاث مرات، ولما لم يجد ناصراً غير عليّ قال له ما قال، وهذا يدل على أنّ علياً لا يستحق هذا المنصب ابتداء، وأن النبي صلى الله عليه وسلم اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في عليّ، فهل هذا يتوافق مع ما يدعيه القوم من أن علياً منصوص عليه من قبل السماء[2]

3 . حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها: وأحاديث أخرى موضوعة:

والأحاديث الموضوعة في هذا الباب كثيرة جداً، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها. فهذا الخبر مطعون فيه، إذ أنكره البخاري وقال عنه يحيى بن معين لا أصل له وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال النووي والذهبي أنه موضوع[3]. ويقول الألباني، وحديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب، موضوع رواه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل، والطبراني في الكبير والحاكم عن ابن عباس ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر رضي الله عنه[4]، وكذلك حديث من ناصب علياً بالخلافة فهو كافر، فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنة[5]، أصلاً، وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الروافض من حجج اختصاص علي رضي الله عنه وتعيينه دون غيره للخلافة، ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة الروافض من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم[6]، وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة، فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلها[7]، ويعترف الكاتب الشيعي ابن أبي الحديد بأثر الشيعة في وضع الأحاديث لتأييد

---

[1] البخاري ، رقم 4492.
[2] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 224.
[3] الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، ص 71 رقم 257 ؛ الفتاوى (410/4)
[4] ضعيف الجامع الصغير (13/2) ، رقم 1416.
[5] منهاج السنة (107/4 ، 108) ؛ دراسة عن الفرق ، جلي ، ص 195.
[6] المقدمة ، ابن خلدون ، ص 197.
[7] الفصل ، (ابن حزم) (148/4).

مذهبهم في الإمامة فيقول: إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكرية (يريد بعض السنيّين) ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها «أبي بكر» أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث... فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية. أوسعوا في وضع الأحاديث، ولقد كان الفريقان في غنية عما اكتسباه، ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية[1]، ورغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها فإننا نجد أن بعض الشيعة المعاصرين لا زالوا يرددونها في كتاباتهم ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة، وهذا أحد أئمتهم يذهب إلى أن الرسول يعتبر غير مبلغ للرسالة لو لم يعين علياً خليفة من بعده[2]، ويقول: إن الرسول الكريم قد كلمه الله وحياً أن يبلغ ما أنزل الله إليه، فيمن يخلفه في الناس ويحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين علياً للخلافة[3]. وقولهم هذا يناقض كل ما يدّعونه من ايات وأحاديث يستدلون بها بالإمامة لأنه يلزم من قولهم هذا إلى واقعة حديث غدير خم لم يكن الله سبحانه وتعالى ورسوله نصّا على إمامة علي.

ويكفي في نقد نظرية الإمامة عند الشيعة الإمامية أنه لا سند لهم فيها إلا عبد الله بن سبأ اليهودي الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصية من النبي صلى الله عليه وسلم، ومحصورة بالوحي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ، كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفرهم[4]، لأنه كان يهودي الأصل يرى أن يوشع بن نون هو وصي موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[5].

رابعاً: التوحيد والشيعة الاثنا عشرية:

جعل الشيعة العقيدة في الإمام أساساً لمذهبهم وركناً من أركان الدين، وأصبح الإمام عندهم جزءاً من العقيدة وينسب الشيعة إلى بعض أئمتهم القول بأن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له أصبح ضالاً تائهاً إن مات على هذا الحال مات ميتة جاهلية[6]، ذلك لأن الإمام في تصور الشيعة يختلف اختلافاً كلياً عن تصور المسلمين جميعاً لخليفتهم، إذ أن المسلمين

---

[1] شرح نهج البلاغة (48/11 . 50) ، نقلاً عن دراسة عن الفرق ، لشيخي الدكتور أحمد جلي ، ص 195 .196.

[2] دراسة عن الفرق ، ص 196.

[3] الحكومة الإسلامية للخميني ، ص 42 ، 43 ؛ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص 96.

[4] رجال الكشي ، ص 108 ، 109 ؛ أصول مذهب الشيعة الإمامية (792/2).

[5] أصول مذهب الشيعة (792/2).

[6] دراسة الفرق وتاريخ المسلمين ، ص 197.

يعدون الإمام أو خليفة المسلمين شخصاً عادياً في تكوينه ومعارفه، وأن دوره لا يتجاوز دور المنفذ لشرع الله وأنه يعرض عليه الخطأ والانحراف، كما يعرض لسائر الناس فيقوم ويعارض إذا خالف أمر الله، وفوق هذا، فإن الخليفة يختار وينتخب من قبل الجماعة المسلمة وفقاً لمبدأ الشورى[1]. وخلافاً لهذا التصور يذهب الشيعة إلى أن الأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً، وأن لهم ولاية تكوينية إلى جانب الولاية الحكمية، وقد نسبوا إلى رسول الله حديثاً أسندوه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2]، ويقول أحد أئمة الشيعة المعاصرين: وثبوت الولاية والحاكمية للإمام، لا يعني تجرده من منزلته التي هي له عند الله ولا تجعله مثل من عداه من الحكام، فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم والأئمة (عليهم السلام)، كانوا قبل هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله. وقد قال جبرائيل ـ كما ورد في روايات المعراج ـ لو دنوت أنملة لاحترقت. وقد ورد عنهم عليهم السلام أن لنا مع حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل[3]، وبناء على هذا التصور للإمام فإن دوره لا يقف: عند تنفيذ شرع الله بل له هيمنة على شؤون الكون ومجرياته، فعلي عندهم الحاكم المهيمن الشرعي على شؤون البلاد والعباد وأن الملائكة تخضع له، ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم، لأنهم يخضعون للحق في قيامه وقعوده وفي كلامه وصمته وفي خطبه وصلواته وحروبه[4]، وقد أثر اعتقاد الشيعة في الأئمة على عقيدتها في توحيد الله سبحانه بسبب الغلو وإليك بيان ذلك:

1 ـ نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة:

فأول ما نفاجأ به أن نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده، غيروا معناها إلى الإيمان بإمامة علي والأئمة، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك في ولاية الأئمة، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: 65].

جاء في الكافي[5] ـ أصح كتاب عندهم في الرواية، وفي تفسير القمي[6] ـ عمدة تفاسيرهم ـ وفي غيرهما من مصادرهم

---

[1] النظام السياسي للدولة الإسلامية ، ص 147 .236.

[2] دراسة الفرق وتاريخ المسلمين ، ص 198.

[3] الحكومة الإسلامية ، اية الله الخميني ، ص 93 ، 94.

[4] دراسة في الفرق في تاريخ المسلمين ، ص 200.

[5] أصول الكافي (427/1) ، رقم 76.

[6] تفسير القمي (251/2).

المعتمدة[1]، تفسيرها بما يلي: يعني إن أشركت في الولاية غيره[2]، وفي لفظ آخر: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك[3] وقد ساق صاحب البرهان في تفسير القرآن أربع روايات لهم في تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور[4]، وقد جاء في سبب نزولها عندهم: إن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقيم علياً للناس علماً اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته الأول والثاني (يعنون أبا بكر وعمر)، حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك فلما أنزل الله عز وجل ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: 67] شكا رسول الله إلى جبرائيل فقال: إن الناس يكذبوني ولا يقبلون مني، فأنزل الله عز وجل ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ *﴾[الزمر: 65] وحتى يدرك القارىء مدى تحريفهم لايات الله وتامرهم لتغيير الآية وما قبلها وما بعدها وتتبع ذلك بيان معناها قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ *وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ *بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ *﴾ [الزمر: 64-66]. فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله في عبادته، فهم غيروا الأمر فاعتبروا الآية متعلقة بعلي، مع أنه ليس له ذكر في الآية أصلاً، فكأنهم جعلوه هو المعبر عنه بلفظ الجلالة (الله) وجعلوا «العبادة» هي الولاية. والآية واضحة المعنى بينة الدلالة، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة[5]، قال أهل العلم في تفسيرها: إن الله سبحانه أمر نبيه أن يقول هذا للمشركين لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين ابائك[6]. والمعنى: قل يا محمد لمشركين قومك: أتأمرونني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله ولا تصلح العبادة لشيء سواه سبحانه. ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا عن غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال: ﴿أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ *﴾ [الزمر: 64]. ثم بين سبحانه أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرسل من قبله: لئن أشركت بالله ليبطلن عملك. وهذا في بيان خطر الشرك وشناعته، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه؟ ثم قال سبحانه: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ تعبد ما أمرك به المشركون بل أعبد الله وحده دون كل ما سواه من الالهة والأوثان[7]. فالمعنى كما ترى واضح جلي، لا يلتبس إلا على صاحب هوى مغرض، قد أعماه هواه عن رؤية الحق.. فهذه الزمرة التي وضعت هذه الروايات كان جل همها، وغاية قصدها البحث عن سند لدعواهم في الإمامة في القرآن الكريم حتى

---

[1] البرهان (83/4) ؛ وتفسير الصافي (328/4).
[2] هذا لفظ الكليني في الكافي ؛ أصول الشيعة (519/2).
[3] أصول الشيعة (519/2).
[4] البرهان (83/4) ؛ أصول الشيعة (519/2)
[5] أصول الشيعة الإمامية (520/2).
[6] تفسير ابن كثير (67/4) ؛ تفسير البغوي (284/4).
[7] تفسير الطبري (24/24) ؛ تفسير القرطبي (276.277/15) ؛ فتح القدير (474/4) ، روح المعاني للآلوسي (23/24 . 24).

ولو حرفوا ايات الله، فكانت تخبط في هذا الأمر خبط عشواء، لا تستند في الاستدلال إلى أصل في لغة أو عقل فضلاً عن الشرع والدين، كما يظهر في النص الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم بتصويره في موقف الخائف الوجل من قومه، المتردد في تنفيذ أمر ربه، حتى إنه لم يفارق هذا الموقف إلا حينما نزل عليه التهديد بإحباط عمله[1].

2. الولاية أصل قبول الأعمال عندهم:

قالوا: إن الله عز وجل نصب علياً علماً بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة[2]، وقالوا: فإن من أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته، وصومه، وزكاته، وحجه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل شيئاً من أعماله[3]، وزعموا أن جبرائيل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، السلام يقرئك السلام ويقول: خلقت السموات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما عليهن، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبداً دعاني هناك منذ خلقت السموات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية علي لأكبته في سقر[4]، والروايات في هذا المعنى كثيرة وكلها باطلة لا يصح منها شيء، وكل هذه الروايات ليست في الإسلام في شيء، فأمامنا كتاب الله سبحانه ليسيء فيه مما يدعون شيء، وهو الفيصل الأول، والمرجع الأول في كل خلاف، فالقرآن الكريم ذكر أن أصل قبول الأعمال هو التوحيد وسبب الحرمان هو الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: 72] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] وكل ما ذكر من مبالغات الشيعة تكذبها ايات القرآن، فالله سبحانه يقول: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 62]. ولم يذكر سبحانه من ضمن ذلك الولاية، وكذلك قال سبحانه: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ *﴾ [المائدة: 69]، وهم يزعمون أن ولاية الاثني عشر أعظم من الصلاة وسائر أركان الإسلام، والصلاة ذكرت في القرآن بلفظ صريح واضح في أكثر من ثمانين موضعاً، ولم تذكر ولايتهم مرة واحدة، فهل أراد جل شأنه ضلال عباده، أو لم يبين لهم طريق الوصول إليه سبحانه هذا بهتان عظيم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: 115]. وقد جاء في رواياتهم ما ينقض ما قالوه، وإن كانت لا تلبث تأويلاتهم، أو تقيتهم من وأد مثل هذه النصوص المعتدلة، ولكن نذكر ذلك لعل عاقلاً يتعظ أو غافلاً ينتبه، أو نائماً يستيقظ، ولإقامة الحجة على المعاند من كتبه، وبيان ما عليه نصوصهم من

---

[1] أصول الشيعة الإمامية (522/2).

[2] أصول الكافي (437/1).

[3] أمالي الصدوق ، ص 154 . 155.

[4] أمالي الصدوق ، ص 290 ؛ بحار الأنوار (167/27).

تناقض.. جاء في تفسير فرات: قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله يقول لما نزلت: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: 23] قال جبرائيل: يا محمد إن لكل دين أصلاً ودعامة، وفرعاً وبنياناً، وإن أصل الدين، ودعامته قول: لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه[1]. فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد، لا الولاية ويعد محبة أهل البيت هي الفرع وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه[2].

3 . اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه:

يقول الشيعة الإمامية: إن الأئمة الاثني عشرية هم الواسطة بين الله وخلقه قال المجلسي عن أئمته: فإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق[3]، وعقد لذلك باباً بعنوان: باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم[4]، وجاء في كتاب عقائد الإمامية أن الأئمة الاثني عشر هم: أبواب الله والسبل إليه... إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[5] ومن المسائل الموجودة في كتبهم ومصادرهم والتي هي تصب في هذه المعاني:

أ . قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة:

قال أبو عبد الله . على حد زعمهم . بلية الناس عظيمة، إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا[6] وتقول أخبارهم: قال أبو جعفر: بنا عُبِد الله، وبنا عرف الله، وبنا وحد الله[7]، فهذه النصوص لا تنفي الهداية عن الأمة، ولكن تجعل مصدرها الأئمة والحق أن الهداية بمعنى التوفيق إلى الحق وقبوله، لا يملكها إلا رب العباد، ومقلب القلوب والأبصار والذي يحول بين المرء وقلبه، والذي إذا قال للشيء: كن فيكون.. والشيعة في إطلاقها هذه العبارات بلا إي قيد تجعل لأئمتها مشاركة لله في هذه الهداية، والله سبحانه هو الهادي وحده لا شريك له[8]، قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا *﴾ [الكهف: 17] ويقول لنبيه ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[القصص: 56]، أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه فهذه وظيفة الرسل ومن تبعهم بإحسان، ولا تنحصر في

---

(1) تفسير فرات ، ص 148 . 149 ؛ بحار الأنوار (247/23).
(2) أصول الشيعة الإمامية (535/2).
(3) بحار الأنوار (97/23).
(4) المصدر السابق (97/23).
(5) عقائد الإمامية للمظفر ، ص 98 .99.
(6) أمالي الصدوق ، ص 363 ؛ أصول الشيعة (539/2).
(7) بحار الأنوار (103/23).
(8) أصول الشيعة الإمامية (540/2).

الاثني عشر. ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108]، وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلا بالأئمة جرأة على الله[1].

ب. قولهم: لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة:

قالوا: لا يفلح من دعا بغير الأئمة، ومن فعل ذلك فقد هلك جاء في أخبارهم عن الأئمة: من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك[2]، وبلغت جرأتهم في هذا الباب أن قالوا: إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين[3]. هذا ما تقوله الشيعة الرافضة وتفتريه، ولكن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، ولم يقل سبحانه: فادعوه بأسماء الأئمة ومقامات الأئمة أو مشاهدهم. كما قال جل شأنه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، ولو كان أساس قبول الدعاء ذكر أسماء الأئمة لقال: ادعوني بأسماء الأئمة استجب لكم، بل إن هذا الأمر الذي تدعيه الشيعة وتفتريه من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله، لأن الإخلاص في الدعاء لله أصل في الإجابة والقبول. قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ *﴾ [غافر: 14] ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: 29] وهؤلاء الأئمة من سائر البشر ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *﴾ [الأعراف: 194]. ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه في عبادته ودعائه ولياً صالحاً ولا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، بل الجميع عباد الله ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: 172] وقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا *﴾ [مريم: 93].

وأما دعوى أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة فهي دعوى باطلة، إنما الأنبياء دعوا الله عز وجل باسمه سبحانه وبوحدانيته جل شأنه، وأيوب عليه السلام توسل بأسماء الله الحسنى وأنت أرحم الراحمين ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ *فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ*﴾[الأنبياء: 83. 84] وأما يونس عليه السلام فتوسل لله بوحدانيته، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ *فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ *﴾ [الأنبياء: 87. 88].والكلمات التي قالها ادم عليه السلام وزوجه هي كما قال الله سبحانه ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ *﴾ [الأعراف: 23]. وهذه المقالة من الشيعة معلوم فسادها من الدين

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] وسائل الشيعة (1142/4) ؛ أصول الشيعة (541/2).

[3] وهذا أحد أبواب بحار الأنوار (319/26).

بالضرورة وقد نقلت كتب الشيعة نفسها ما يناقض هذه الدعوى عن الأئمة في مناجاتهم لله ودعائهم له، وما من إمام إلا قد رووا عنه الكثير من الدعاء ومناجاته وقد أتى على أكثره المجلسي في بحاره[1].

ج ـ إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله: قال ابن تيمية: حدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله وحده، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت[2]، وجاء في الكافي وغيره: إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة[3]، وخصت الروايات الشيعية الموضوعة زيارة الحسين يوم عرفة بفضل خاص، تقول: من أتى قبر الحسين عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات.. ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مئة حجة ومئة عمرة، ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل[4]، وليست زيارة قبر الحسين عند هؤلاء أفضل من الحج فحسب، بل هي أفضل الأعمال، جاء في رواياتهم، إن زيارة قبر الحسين: أفضل ما يكون من الأعمال[5]، وفي رواية أخرى: من أحب الأعمال زيارة قبر الحسين[6]. وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره، ويهتم بالقبور والأضرحة ويجعلونها من أفضل الأعمال بلا دليل إلا ما صنعته أوهامهم وأوحاه لهم شياطينهم، ليشرعوا من الدين ما لم يشرعه الله[7].

وقد جعل هؤلاء القوم زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم ووضعوا لها مناسك كمناسك الحج إلى بيت الله الحرام، قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وقد صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتاباً سماه «مناسك المشاهد» جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس، وهو أول بيت وضع للناس، فلا يطاف إلا به ولا يصلى إلا إليه ولم يأمر إلا بحجه[8]، ومن رجع إلى مصادر الشيعة الرافضة التي تتحدث عن المشاهد يرى العجب العجاب، والانحراف عن كتاب الله وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أراد التوسع فلينظر إلى كتاب أصول مذهب الشيعة

---

[1] أصول الشيعة الإمامية (545/2).
[2] منهاج السنة (124/2).
[3] ثواب الأعمال ، ابن بابويه ، ص 52 ؛ تهذيب الأحكام للطوسي (16/2).
[4] فروع الكافي للكليني (324/1) ؛ من لا يحضره الفقيه ، بابويه (182/1).
[5] كامل الزيارات ، ص 146 ؛ أصول الشيعة الإمامية (561/2).
[6] أصول الشيعة الإمامية (561/2).
[7] المصدر السابق نفسه.
[8] منهاج السنة (175/1) ؛ مجموع الفتاوى (498/17).

الإمامية[1].

إن للمسلمين كعبة واحدة يتجهون إليها في صلاتهم ودعائهم، ويحجون إليها، ويطوفون بها، أما الشيعة فلهم مزارات ومشاهد عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة[2]، وهذا كله مما نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهي عنه سواء كان فاعله منتسباً إلى السنة أو إلى التشيع، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا *﴾ [نوح: 23].

قال ابن عباس وغيره: هؤلاء... أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[3]، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته[4]، وهذا المعنى أقرت به بعض روايات الشيعة، فقد روى الكليني عن أبي عبد الله، قال أمير المؤمنين: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبراً إلا سويته[5]، وعن أبي عبد الله قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم واله أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه[6]، وعن أبي عبد الله قال: لا تبنوا على القبور.. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ذلك[7]، وعنه أيضاً عن ابائه عن رسول الله نهى أن تجصص المقابر[8]. وقد زعم الحر العاملي أن هذا النهي يشمل كل قبر: غير قبر النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة عليهم السلام وأن هذا النهي لمجرد الكراهة[9]. وصيغة العموم واضحة في هذه الروايات. كما أن دلالة التحريم بينة، ولا دليل عند العاملي سوى ما شذت به طائفته في واقعها وفي جملة من رواياتها، والشذوذ دليل على البطلان لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة بما فيهم أهل البيت الذين أثر عنهم التحذير من ذلك، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله، ثم أن الحكمة التي ورد من أجلها النهي لا تفرق بين قبر وقبر، وقد يكون الخطر في قبور الأئمة أشد لعظيم

---

[1] أصول مذهب الشيعة الإمامية (550/2 إلى 586).

[2] المصدر السابق نفسه (580/2).

[3] البخاري ، فتح الباري (667/8) ، موقف عبد الله بن عباس من حكم المرفوع قاله الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ، ص 80.

[4] مسلم ، كتاب الجنائز ، رقم 969.

[5] فروع الكافي (227/2) ؛ وسائل الشيعة (869/2).

[6] تهذيب الأحكام للطوسي (130/1) ؛ وسائل الشيعة (869/2).

[7] تهذيب الأحكام (30/1) ؛ المحاسن للبرقي ، ص 612.

[8] من لا يحضره الفقيه (194/2) ؛ ابن بابويه ، وسائل الشيعة (870/2).

[9] أصول الشيعة الإمامية (584/2).



الافتتان بهم، ولهذا كان أصل الشرك هو الغلو في الصالحين[1].

4 . قولهم: إن الإمام يحرّم ما يشاء ويحلُّ ما يشاء:

تزعم الشيعة الإمامية في رواياتها أن الله سبحانه وتعالى: خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون[2]، وشرح شيخهم المجلسي النص السابق: فقال: وأجرى طاعتهم عليها، أي أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات، كشق القمر وإقبال الشجر وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتحريم والعطاء والمنع[3]... وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في الاختصاص، والمجلسي في البحار وغيرهما عن أبي جعفر قال: من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين[4] فهو حلال لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال، وما حرموا فهو حرام[5]. ومن المعلوم في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن من أصول التوحيد الإيمان بأن الله سبحانه هو المشرع وحده سبحانه يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لا شريك له في ذلك، ورسل الله يبلغون شرع الله لعباده، ومن ادعى أن له إماماً يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء فهو داخل في قوله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21].

إن حق التشريع لا يملكه إلا رب العباد والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما هم مبلغون عن الله سبحانه لا يحرمون ولا يحلون إلا ما يأمرهم الله به، ويوحيه إليهم قد قال الله جل شأنه فيمن اتبع مشايخه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه قال سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31] فجعل سبحانه اتباعهم فيما يحلون من الحرام ويحرمون من الحلال كما جاء في تفسير الآية[6] عبادة لهم، حيث، تلقوا الحلال والحرام من جهتهم وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله عز وجل[7].

---

[1] تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد ، ص 305.
[2] أصول الكافي (441/1) ؛ بحار الأنوار (340/25).
[3] بحار الأنوار (341/25 . 342).
[4] الظالمون في معتقدهم هم خلفاء الدولة الإسلامية ، ما عدا أمير المؤمنين علياً وابنه الحسين رضي الله عنهما ؛ لأن بقية أئمتهم لم يتولوا الخلافة ولا يوماً واحداً وكل خليفة من غيرهم هو ظالم وغاصب لحق الأئمة على حد زعمهم.
[5] الاختصاص ، ص 330 ؛ بحار الأنوار (334/25).
[6] تفسير الطبري (113/1 . 114) ؛ تفسير ابن كثير (373/2 . 374).
[7] تفسير ابن عطية (166/8).

5 . قولهم: بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء:

عقد صاحب الكافي لهذا باباً بعنوان: باب أن الأرض كلها للإمام[1]، ومما جاء فيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله[2].

فهذا النص شرك في ربوبية الله سبحانه، لأن الله جل شأنه يقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: 107] ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ *﴾ [المائدة: 18] ويقول جل شأنه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [المائدة: 120] وقال: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الفرقان: 2]، وقال سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى *﴾ [النجم: 25]، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: 24] وقال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [فاطر: 3] وقال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت: 17] فهو سبحانه قد تفرد بالملك والرزق والتدبير لا شريك له في ذلك[3].

6 . إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة:

عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام[4].

يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي، لا من أمر الواحد القهار، فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية، والله جل شأنه يقول: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ *﴾ [الرعد: 12]؟ أليست هذه هي السبئية قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الاثني عشرية؟ أليس هذا إدعاء لربوبية علي رضي الله عنه، أو أن له شركاً في الربوبية؟ كيف يتجرأ قلم المجلسي ومن قبله المفيد على كتابة هذه الأسطورة ونسبتها إلى جعفر؟ فإن هذا الإيحاء لا يخفى على أمثالهم، ولا يؤمن بهذا ويدعو إليه إلا كل زنديق وملحد، والعجب من قوم يستقون دينهم من كتب حوت هذا الغثاء، ويعظمون شيوخاً يجاهرون بهذا البلاء، أليس في هذه الطائفة من صاحب عقل ودين يعلن الصيحة والنكير على هذا الضلال المنتشر، والكفر المبين ويبرىء أهل البيت الأطهار من هذا الدرن القاتل وينقي ثوب التشيع ممن لطخه به شيوخ الدولة الصفوية من كفر وضلال أم أن كل صوت صادق إما أن يعاجل بالقتل كما فعلوا مع الكسروي، أو يحمل قوله على التقية

---

[1] أصول الكافي (407/1 . 410).

[2] المصدر السابق (409/1).

[3] أصول الشيعة الإمامية (622/2).

[4] الاختصاص للمفيد ، ص 327 ؛ بحار الأنوار (33/27).

كما صنعوا في الكثير من رواياتهم، وطائفة من أقوال شيوخهم، فهل وصل هذا المذهب في سبيل دعوته إلى نور الحق إلى طريق مسدود[1]؟.

7 ـ الجزء الإلهي الذي حلَّ في الأئمة:

وترد روايات عند الشيعة الإمامية تدعي بأن جزءاً من النور الإلهي حل بعلي[2]، قال أبو عبد الله: ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا[3]. ولكن الله خلطنا بنفسه[4]. وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة ـ كما يزعمون ـ أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة ـ وتبلغ مئات الروايات ـ يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين ـ تعالى وتقدس عما يقولون ـ في الإحياء والإماتة والخلق والرزق[5]. إلا أن رواياتهم تربط هذا بأنه من الله كنوع من التلبيس والإيهام، ويكفي في فساده مجرد تصوره، إذ هو مخالف للنقل والعقل والسنن الكونية، كما هو منقوض بواقع الأئمة وإقراراتهم، حيث يزعم الشيعة أن الأئمة عاشوا مظلومين ومضطهدين، ورسول الهدى صلى الله عليه وسلم يقول ـ كما أمره ربه ـ ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: 188]. ومن الطريف أن كتب الشيعة مع تعظيم الأئمة والغلو فيهم تروي ما يخالف هذا، لتثبت تناقضها فيما تقول، كالعادة في كل كذب وباطل، فقد جاء في رجال الكشي أن جعفر بن محمد قال: فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون، ويلهم، مالهم لعنهم الله فقد اذوا الله واذوا رسوله صلى الله عليه وسلم في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسن ومحمد بن علي صلوات الله عليهم... أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً[6]، ولكن شيوخ الشيعة يعدون مثل هذه الإقرارات من باب التقية، فأضلوا قومهم سواء السبيل، وأصبح مذهب الشيعة مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة[7].

8 ـ قولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء:

عقد لذلك صاحب الكافي باباً بعنوان «باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء[8]».

---

[1] أصول الشيعة الإمامية (624/2).
[2] المصدر السابق نفسه (628/2).
[3] أصول الكافي (440/1) ؛ المصدر السابق (441/1 ـ 442).
[4] أصول الكافي (435/1).
[5] أصول الشيعة الإمامية (628/2).
[6] رجال الكشي ، ص 225ـ226.
[7] أصول الشيعة الإمامية (630/2).
[8] أصول الكافي (260/1 ـ 262).

وضمنه طائفة من رواياتهم. وعقد باباً آخر بعنوان «باب أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا[1]»، وذكر فيه جملة من أحاديثهم، ومن روايات هذه الأبواب[2]. قال أبو عبد الله ـ كما يكذبون ـ: إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون[3]. وعن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبدالله رضي الله عنه جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين. فقال: ورب الكعبة ورب البنية ـ ثلاث مرات ـ لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم واله وراثة[4].

فهذا نموذج من غلو الشيعة الرافضة وهذا بعض ما عندهم، فالغلو أساس مذهبهم وأصله، وقد نهى الله عز وجل وحذر من الغلو لما فيه من منافاة التوحيد وأصل الشرك قديماً وحديثاً قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾[المائدة: 77]. قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: أي لا تجاوز الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله، وماذا إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ﴾ أي: خرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال هاتين الايتين ينهى عن الغلو والإطراء وتجاوز الحد وفيه رد صريح على الشيعة الرافضة وكل من سلك هذا المسلك تجاه من يعظمهم، وقد أمر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس أنه لا يملك لنفسه شيئاً وأن النفع والضر بيد الله وأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله قال تعالى ﴿قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: 50] وقال تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *﴾ [الأعراف: 188] فلله عز وجل أمره أن يفوض الأمور إليه وأن يخبره عن نفسه أنه لا يعلم غيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك[5]. كل ذلك سداً للطرق الموصلة إلى الغلو فيه صلى الله عليه وسلم وتحذيراً لأمته أن يغلو فيه كما غلت اليهود والنصارى في أنبيائهم، فإذا كان هذا في حق سيد الخلق، وأعظمهم منزلة عند الله فغيره من باب أولى، وبهذا يظهر بطلان دعوى الرافضة في الأئمة وزعمهم أنهم يعلمون الغيب ويعلمون ما كان وما سيكون، وجعلهم شركاء

---

[1] المصدر السابق نفسه (258/1).

[2] أصول الشيعة الإمامية (679/2).

[3] أصول الكافي (261/1).

[4] أصول الكافي (260/1 ـ 261).

[5] تفسير ابن كثير (85/2).

لله في الخلق والإحياء وفي الأسماء والصفات وكيف يستقيم لهم ذلك مع قوله تعالى أيضاً في غير ما آية من كتابه العزيز. قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: 34]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ *﴾ [المائدة: 109].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: 8] وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [الحج: 6] وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: 59] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *﴾ [آل عمران: 189]. وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *﴾ [الملك: 1]. وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب والتي تثبت تفرده جل وعلا بعلم الغيب والتصرف بالكون، فمن نسب شيئاً من ذلك إلى أحد من المخلوقين فقد نازع الله في ربوبيته وألوهيته وهوى في الشرك، فأنى له الإسلام مع ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ *﴾ [المائدة: 72] وذلك أن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ *﴾ [الذاريات: 56] أي ليوحدوه فأرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل إفراده بالعبادة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36] والغلو ينافي تحقيق العبادة[1]، وكما حذر الله عز وجل من الغلو بكل مظاهره وصوره، فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً حماية لتوحيد الله وسداً لكل ذريعة تكون سبباً في نقص توحيده، لأن الغلو مطية الشرك ووسيلته وما دب في أمة إلا أهلكها، فقال صلى الله عليه وسلم محذراً أمته من هذا الداء: إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين[2]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله[3]، فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر أمته من الغلو ومجاوزة الحد في مدحه، كما فعلت النصارى في عيسى عليه السلام ويأمر صلى الله عليه وسلم أن يوصف بصفة العبودية والتي قد وصفه الله بها في الإسراء فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء: 1]، كما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه فقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا *﴾ [الجن: 19]. وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: 1] فتلك ثلاث مقامات من أشرف المقامات وصفه ومدحه ربه جل وعلا

---

[1] تفسير القرآن العظيم (373/2).

[2] العقيدة في أهل البيت ، ص 398.

[3] البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم 3445..

فيها بصفة العبودية له، فأين الشيعة الرافضة من تلك الآيات والأحاديث الواردة في النهي عن الغلو والتحذير منه، الداعية إلى تحقيق العبودية؟.

إن الناظر إلى أقوال أمير المؤمنين علي وأبنائه رضي الله عنهم يجد فيها الرد البليغ على هذا الغلو والإفراط وبراءتهم من أقوال الشيعة الرافضة وكل من غالى فيهم، كما تبين كذب تلك الروايات وضلالها المنسوبة إليهم[1]، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال: كنت عند علي بن أبي طالب: فأتاه رجل فقال: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر إليك؟ قال: فغضب وقال: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر إليّ شيئاً يكتمه للناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع، قال فقال: ما هن؟ يا أمير المؤمنين، قال: لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من اوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض. وفي رواية: أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما خصنا رسول الله بشيء[2].

وفي رواية عند الإمام أحمد:.. ما عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً خاصة دون الناس[3]، وروى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال، قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة قال قلت: فما هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر[4]. وفي رواية: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله[5]... قال ابن حجر: وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت . لا سيما علياً . أشياء من الوحي خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بها لم يطلع غيرهم عليها[6]، وقال ابن تيمية عقب إيراده لهذا الحديث: والكتب المنسوبة إلى علي، أو غيره من أهل البيت في الإخبار بالمستقبلات كلها كذب مثل كتاب الجفر والبطاقة وغير ذلك، وكذلك ما يضاف إليه من أنه عنده علم من النبي صلى الله عليه وسلم خصه به دون غيره من الصحابة، وكذلك ما ينقل عن غير علي من الصحابة، أن النبي صلى الله عليه وسلم خصه بشيء من علم الدين الباطن كل ذلك باطل[7] ومما يبين بطلان ذلك، ما روى ابن سعد عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال عن سعيد بن جبير رحمهما الله..: ذلك

---

[1] العقيدة في أهل البيت ، ص 399.
[2] مسلم ، كتاب الأضاحي ، رقم 1978.
[3] المسند (119/1).
[4] البخاري ، كتاب العلم ، رقم 111.
[5] البخاري ، كتاب الجهاد ، رقم 3047.
[6] فتح الباري (204/1).
[7] منهاج السنة (136/8).

رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء وأشار بيده إلى العراق[1]، وجاء عن محمد بن الحنفية محذراً الشيعة الرافضة مما تنسبه إليهم من علم خصهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: إنا والله ما ورثنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين اللوحين[2]، وقد تواتر عن آل البيت أنهم كانوا يقولون لشيعتهم: أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً[3] وزيادة على ذلك فقد جاء في كتب الشيعة الرافضة التحذير من الغلو وبراءة آل البيت من ذلك، فقد روى المجلسي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إياكم والغلو فينا قولوا إنا عبيد مربوبون[4] وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً[5].

وروى الكليني بسنده عن سديد قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزار وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ في مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي[6] وروى الكشي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنهم يقولون. قال وما يقولون قلت: يقولون تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب فرفع يده إلى السماء وقال سبحان الله سبحان الله، لا والله ما يعلم هذا إلا الله[7] فهذه أقوال أئمة آل البيت الطيبين الطاهرين، كما صرحت بذلك كتب الشيعة الرافضة وهم براء مما ترميهم به الشيعة الرافضة، إذ الرافضة من أكذب خلق الله، فالنفاق دينهم والكذب ديدنهم، ولذلك قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ إنهم من أكذب الناس في النقليات ومن أجهل الناس في العقليات[8].

إن روايات الشيعة تكشف نفسها بنفسها وتتناقض نصوصها، وقول الأئمة إنهم مصدر الرزق وإنزال الغيث.. إلخ والذي يرويه شيوخ الاثني عشرية هو من مخلفات غلاة الشيعة، والذين أنكر الأئمة مذهبهم، فقد جاء عن أخبارهم أن أبا عبد الله قال حينما قيل له: إن المفضل بن عمر يقول: إنكم تقدرون أرزاق العباد. فقال: والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ولقد احتجت إلى الطعام لعيالي فضاق صدري وأبلغت إليّ الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم، فعندها طابت نفسي، لعنه الله وبريء

---

[1] الطبقات الكبرى (216/5).

[2] المصدر السابق نفسه (105/5).

[3] البداية والنهاية (110/9).

[4] بحار الأنوار (270/25).

[5] المصدر السابق نفسه (284/25).

[6] أصول الكافي (257/1).

[7] رجال الكشي ص 193 ؛ العقيدة في أهل البيت ، ص 402.

[8] منهاج السنة (3/1).

منه[1]، ولكن هذه الروايات هي كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وفي التقية متسع لكل نص تضيق به نفوس شيوخ الشيعة، وإليك مثالاً على ذلك فاسمع ما يقوله شارح الكافي تعقيباً على قول أبي عبد الله الذي نقلناه انفاً، والذي يتعجب فيه أبو عبد الله من قوم نسبوا له العلم بالغيب، ويذكر للرد عليهم بأن جاريته قد اختلفت في داره فلم يدر أين هي فكيف يقال عنه إنه يعلم ما كان وما يكون. قال شارح الكافي:... الغرض من هذا التعجب وإظهاره هو ألا يتخذه الجهال إلهاً، أو يدفع عن وهم بعض الحاضرين المنكر لفضله ما نسبوه إليه من العلم بالغيب حفظاً لنفسه، وإلا فهو رضي الله عنه كان عالماً بما كان وما يكون، فكيف يخفى عليه مكان الجارية؟ فإن قلت: إخباره بذلك على هذا يوجب الكذب، قلت: إنما يوجب الكذب لو لم يقصد التورية وقد قصدها، فإن المعنى ما علمت به علماً غير مستفاد منه تعالى بأنها في أي بيوت الدار[2]، أنظر التكلف العجيب في رد هذه الرواية لإثبات أن الإمام يعلم ما كان وما يكون حتى ارتكب في سبيل ذلك نسبة الإمام إلى الكذب، وهدم أصلاً من أصولهم وهو العصمة[3]، وأما شيخهم الآخر الشعراني المعلق على الشرح فلم يعجبه هذا التكلف في تأويل الرواية، ورام ردها بأقصر طريق وهو الحكم بأن الرواية كذب، وهكذا يشيعون عن علماء أهل البيت مثل هذه الإشاعات الكاذبة، فإذا أنكروا على هؤلاء الكذابين فريتهم، وفضحوا باطلهم أمام الملأ حمل شيوخ الشيعة هذا التكذيب والإنكار على التقية.. فصارت التقية حيلة بيد غلاة الشيعة لإبقاء التشيع في دائرة الغلو، ورد الحق والإساءة لأهل البيت[4]، وقد ادعى زرارة بن أعين أن جعفر بن محمد يعلم أهل الجنة، وأهل النار، فأنكر ذلك جعفر لما بلغه ذلك، وكفّر من قاله، ولكن زرارة حينما نقل له موقف جعفر قال لمحدثه: لقد عمل معك بالتقية[5].

9 ـ الغلو في الإثبات (التجسيم):

اشتهرت ضلالة التجسيم بين اليهود، ولكن أول من ابتدع ذلك بين المسلمين هم الشيعة الروافض ولهذا قال الرازي: اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي ويونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول[6]، وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم ممن تعدهم الإثنا عشرية في الطليعة من شيوخها، والثقات من نقلة مذهبها[7]. وقد حدد ابن تيمية أول من تولى كبر هذه الفرية من هؤلاء، فقال: وأول من عرف

---

(1) رجال الكشي ، ص 274 ؛ أصول الشيعة الإمامية (685/2).

(2) شرح جامع على الكافي للمازندراني (30/6 . 31).

(3) أصول الشيعة الإمامية (686/2).

(4) المصدر السابق نفسه.

(5) ميزان الاعتدال (2/ 69 . 70).

(6) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص 97.

(7) أعيان الشيعة (106/1) ؛ أصول الشيعة الإمامية (641/2).

في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم[1]، وقد نقل أصحاب الفرق كلمات مغرقة في التشبيه والتجسيم منسوبة إلى هشام بن الحكم وأتباعه تقشعر من سماعها جلود المؤمنين، يقول عبد القاهر البغدادي: زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه[2]، وقد استفاض عن هشام بن الحكم ومن تبعه أمر الغلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها[3] فقد كان تشبيه الله سبحانه بخلقه كان في اليهود، وتسرب إلى التشيع، وأول من تولى كبره هشام بن الحكم، ثم تعدى أثره إلى آخرين عرفوا بكتب الفرق بمذاهب ضالة غالية منسوبة إليهم[4]، ولكن شيوخ الاثني عشرية يدافعون عن هؤلاء الضلال الذين استفاض خبر فتنتهم، واستطار شرهم، ويتكلفون تأويل كل بائقة منسوبة إليهم أو تكذيبها[5]، وقد كان لهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي بالذات دور ظاهر في اتجاه التجسيم عند الشيعة كما تذكر ذلك مجموعة من رواياتهم[6]، وكان الأئمة يتبرؤون منهما ومن قولهما، وحينما جاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقال له: إني أقول بقول هشام. قال إمامهم أبو الحسن علي بن محمد: ما لكم وبقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله جسم، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة[7]، وتفصح بعض رواياتهم عما قالوه في الرب جل شأنه وتقدست أسماؤه، فهذا أحد رجالهم[8]، ينقل لأبي عبد الله ـ كما تقول الرواية ـ ما عليه طائفة من الشيعة من التجسيم فيقول: إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان، وقال آخر: إنه في صورة أمرد جعد قطط، فخرّ أبو عبد الله عليه السلام ساجداً ثم رفع رأسه فقال: سبحان الذي ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم[9]. فأنت ترى أن كبار متكلميهم قد غلو في الإثبات، حتى شبهوا الله جل شأنه بخلقه وهو كفر بالله سبحانه، لأنه تكذيب لقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] وعطلوا صفاته اللائقة به سبحانه فوصفوه بغير ما وصف به نفسه، وإمامهم كان ينكر عليهم هذا المنهج الضال، ويأمر بالالتزام في وصف الله، كما وصف به نفسه، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة[10]، فهذا الاتجاه إلى الغلو في الإثبات، قد طرأ على الإثبات الحق الذي عليه علماء أهل البيت، وأصبح المذهب يتنازعه اتجاهان: اتجاه التجسيم الذي يتزعمه هشام، واتجاه التنزيه الذي عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها، وكما هو ثابت مستفيض في كتب

---

(1) منهاج السنة (20/1).

(2) الفرق بين الفرق ، ص 65.

(3) أصول الشيعة الإمامية (642/2).

(4) المصدر السابق نفسه (643/2).

(5) بحار الأنوار (290/3 . 292) ، دفاع المجلسي عن هؤلاء.

(6) أصول الشيعة الإمامية (646/2).

(7) التوحيد ، ص 104 ؛ ابن بابويه ، أصول الشيعة الإمامية (646/2).

(8) سمته الرواية: يعقوب السراج وهو من ثقاتهم ، الفهرست للطوسي ، ص 214.

(9) التوحيد ، ص 103 ، 104 ؛ ابن بابويه ، أصول الشيعة (647/2).

(10) أصول الكافي (104/1 . 106) ؛ أصول الشيعة (648/2).

أهل العلم[1].

10 . التعطيل عندهم:

بعد هذا الغلو في الإثبات بدأ تغير المذهب في أواخر المئة الثالثة حيث تأثر بمذهب المعتزلة في تعطيل الباريء سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، وكثر الاتجاه إلى التعطيل عندهم في المئة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوي الملقب بالشريف المرتضى، وأبي جعفر الطوسي، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة[2] وكثير مما كتبوه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن العظيم في ايات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة[3]، ولهذا لا يكاد القارىء لكتب متأخري الشيعة يلمس بينها وبين كتب المعتزلة في باب الأسماء والصفات فرقاً، فالعقل ـ كما يزعمون ـ هو عمدتهم فيما ذهبوا إليه، والمسائل التي يقررها المعتزلة في هذا الباب أخذ بها شيوخ الشيعة المتأخرون، كمسألة خلق القرآن، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وإنكار الصفات، بل إن الشبهات التي يثيرها المعتزلة في هذا، هي الشبهات التي يثيرها شيوخ الشيعة المتأخرون والفرق الذي قد يلمسه القارىء في هذه المسألة هو أن الشيعة أسندوا روايات إلى الأئمة تصرح بنفي الصفات وتقول بالتعطيل، فقد جاؤوا بروايات كثيرة في الأئمة يسندون بها مذهبهم في التعطيل ويفترون على أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ وبعض علماء أهل البيت كمحمد الباقر وجعفر الصادق بأنهم يقولون بالتعطيل، واعتبر بعض شيوخهم المعاصرين أن هذا هو عمدتهم في نفي الصفات، حيث قال ـ تحت عنوان طريقة معرفة الصفات: هل يبقى مجال للبحث عن الصفات وهل له طريقة إلا الإذعان، بكلمة أمير المؤمنين رضي الله عنه: كمال الإخلاص نفي الصفات عنه[4].

هذا والثابت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأئمة أهل البيت إثبات الصفات لله، والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم[5]، وهذا أيضاً ما تعترف به بعض روايات لهم موجودة وسط ركام هائل من التعطيل، إن مجموعة من رواياتهم وصفت رب العالمين بالصفات السلبية التي ضمنوها نفي الصفات الثابتة به سبحانه، وليس هذا بجديد فهو سبيل من زاغ وحاد عن منهج الرسل عليهم السلام من المتفلسفة والجهمية وغيرهم.

إن الله سبحانه بعث رسله في صفاته بإثبات مفصل، ونفي مجمل، ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي

---

[1] أصول الشيعة (648/2).
[2] منهاج السنة (229/1).
[3] المصدر السابق نفسه (356/1).
[4] عقائد الإمامية الاثني عشرية للزنجاني ، ص 28.
[5] منهاج السنة (144/2).

مجملاً[1]. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ *﴾ [الشورى: 11].

فالنفي جاء مجملاً وهذه طريقة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ في النفي غالباً. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا *﴾ [مريم: 65]. أي نظير يستحق مثل اسمه، ويقال: مسامياً يساميه[2]. وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهاً[3]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ *﴾ [الإخلاص: 4]. وأما الإثبات فيأتي التفصيل: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ *﴾ [الشورى: 11]. وكآخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ *هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ *هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *﴾ [الحشر: 22 ـ 24]. وشواهد هذا كثيرة[4].

إن الشيعة تروي عن أئمتها: أن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه[5] ولكنها تعرض عن ذلك كما أعرضت عن كتاب الله سبحانه، وعن مقتضى العقل والفطرة، وتؤثر في ذلك التقليد المحض، والأخذ من «نفايا» الفلسفات البائدة وإلا فكيف يتجرأ عاقل على الاعتماد في أمر غيبي لا سبيل للوصول إلى المعرفة فيه على سبيل التفصيل إلا بخبر السماء على العقل القاصر والفكر العاثر، وتحكيم خيالات البشر، المتناقضة، وتصوراتهم المتعارضة[6]؟

أ ـ مسألة خلق القرآن:

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وعلى هذا دل الكتاب والسنة، وإجماع السلف[7]، والاثنا عشرية حذت حذو الجهمية في القول بخلق القرآن، فقد عقد شيخ الشيعة في زمن المجلسي في البحار في كتاب القرآن باباً بعنوان: باب أن القرآن مخلوق[8]، أورد فيه إحدى عشرة رواية، ومعظم هذه الروايات تخالف ما ذهب إليه، ولكن لشيوخ الشيعة مسلكاً في تأويلها، سنذكره بعد قليل ـ بإذن الله تعالى ـ ويقول آية الشيعة محسن الأمين: قالت الشيعة والمعتزلة: القرآن مخلوق[9]، وهذا بناء على إنكارهم لصفة الكلام لله وزعمهم أن الله سبحانه: يوجد الكلام في بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسى، وكجبرائيل حين أنزله

---

(1) شرح الطحاوية، ص 49 ؛ التدمرية لابن تيمية، ص 8.
(2) التدمرية، ص 8.
(3) تفسير الطبري (106/16).
(4) انظر: التدمرية لابن تيمية، ص 8 وما بعدها.
(5) أصول الشيعة الإمامية (656/2).
(6) المصدر السابق نفسه.
(7) الرد على الزنادقة للإمام أحمد، خلق أفعال العباد للبخاري.
(8) بحار الأنوار (92/117 ـ 121).
(9) أعيان الشيعة (461/1).

بالقرآن[1]، هذا بعض ما يقوله شيوخهم في هذا الأمر[2]، وإذا رجعت إلى الروايات التي ينقلوها في (آل البيت)، وجدتها تخالف في أكثرها ما يذهب إليه هؤلاء فمن ذلك: ما جاء في تفسير العياشي: عن الرضا أنه سئل عن القرآن فقال: إنه كلام الله غير مخلوق[3]. وفي التوحيد لابن بابويه القمي قيل لأبي الحسن موسى رضي الله عنه: يا بن رسول الله ما تقول في القرآن، فقد اختلف فيه من قبلنا فقال قوم: إنه مخلوق، وقال قوم: إنه غير مخلوق؟ فقال رضي الله عنه: أما إني لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكن أقول: إنه كلام الله عز وجل[4]، وفي هذا المعنى روايات كثيرة عندهم[5]. ولكن يلاحظ أن شيخ الشيعة في زمنه ابن بابويه القمي قد ذهب في تأويل هذه النصوص إلى اتجاه آخر، فأثبت أن قول الأئمة: القرآن غير مخلوق يعني أنه غير مخلوق أي غير مكذوب لا يعني به أنه غير محدث[6]. وقال: وإنما امتنعنا من إطلاق المخلوق عليه لأن المخلوق في اللغات قد يكون مكذوباً، ويقال: كلام مخلوق أي مكذوب[7]. وقد قال علماء السلف رداً عليهم: إنه غير مخلوق ولم يريدوا بذلك أنه غير مكذوب، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم، وإنما قالوا: إنه مخلوق خلقه في غيره فرد السلف هذا القول، كما تواترت الاثار عنهم بذلك، وصف في ذلك مصنفات متعددة[8]، وفي كتاب تفسير الصراط المستقيم لايتهم البروجردي نقل نصاً عن ابن بابويه ـ أيضاً ـ يحيل فيه النصوص التي فيها المعنى السابق على التقية فقال: ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقية مماشاة مع العامة، أو لكونه موهماً لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى في قولهم: إن هذا الاختلاق[9]، فلم يجد هؤلاء الشيوخ ما يلوذون به إلا القول «بالتقية» أو ما ماثلها.. وهذا المنهج يثبت أنهم ليسوا على شيء، وأن احتمال التقية في كل نص قد أفسد عليهم أمرهم وأضاع حقيقة المذهب، فأصبح دينهم دين المجلسي أو الكليني أو ابن بابويه القمي لا روايات الأئمة[10]، وهكذا يضيع العلم والحق بهذه الطريقة الماكرة، ويكتب على الأمة الفرقة والخلاف بهذه الأساليب التي هي من وحي الشيطان ومكره، ولو أحسن محسن للشيعة وأراد بها الخير من شيوخها لسلك بها طريق الجماعة وأخذ من رواياتهم ما يتفق مع كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهدي الصحابة الكرام وعلماء أهل السنة والجماعة، وتخلص من مكر القمي والكليني والمجلسي، ولا سيما، والأئمة تشتكي من كثرة الكذابين عليها حتى

---

[1] المصدر السابق نفسه (453/1).
[2] أصول الشيعة الإمامية (658/2).
[3] تفسير العياشي (8/1).
[4] التوحيد / ابن بابويه ص (224).
[5] البحار (117/92 . 121) ؛ أصول الشيعة (659/2).
[6] البحار (119/92) ؛ أصول الشيعة (659/2).
[7] أصول الشيعة (659/2).
[8] مجموع فتاوى شيخ الإسلام (301/12).
[9] تفسير الصراط المستقيم (304/1).
[10] أصول الشيعة الإمامية (660/2).

قالوا: بأن الناس أولعوا بالكذب علينا[1]ولو أردت أن تطبق هذه النظرية ـ أي ما تتفق فيه روايات أهل السنة مع روايات الشيعة عن أهل البيت في هذه المسألة لوجدت أن كتب الشيعة روت ـ كما سبق ـ روايات عن أهل البيت بأن كلام الله منزل غير مخلوق، وكتب أهل السنة روت مثل هذا، فقد أخرج البخاري في كتاب أفعال العباد[2]. وابن أبي حاتم[3]، وأبو سعيد الدارمي، والاجري في الشريعة[4]. والبيهقي في الاعتقاد[5]، والأسماء والصفات[6]. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة[7]، وأبو داود في مسائل الإمام أحمد[8]، عن جعفر الصادق أنه قال حينما سئل عن القرآن، قال: ليس بخالق ولا مخلوق. قال ابن تيمية إنه قد استفاض ذلك عن جعفر[9]، فلماذا لا يؤخذ بالمعنى المتفق عليه ويترك الباطل الذي لا يسنده إلا أقوال شيوخ يبغون في الأمة الفرقة والخلاف، وينشدون الشذوذ والعزلة ليتسنى لهم تحصيل الأموال الطائلة باسم الخمس، وتتحقق لهم الوجاهة الاجتماعية، والمنزلة «المقدسة» باسم النيابة عن الإمام الغائب؟ ولهذا ما برحوا يؤكدون على القول: إن ما خالف العامة ففيه الرشاد[10] ـ ويقصدون بذلك أهل السنة والجماعة إن الروايات الواردة في كتب الشيعة والتي تنص على أن القرآن منزل غير مخلوق قد تمثل مذهب قدماء الشيعة الذين كانوا على هذا الاعتقاد كما أشار إلى ذلك أهل العلم[11]، لأن القول بأن القرآن مخلوق هو إحداث متأخري الشيعة[12]. كما أن الاعتقاد بأن القرآن منزل غير مخلوق، هو الثابت عن أهل البيت، إذ ليس من أئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد من يقول بخلق القرآن، ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم[13]، وبعد أليس يكفي في بيان فساد مذهبهم أنه خلاف ما عليه أهل البيت، وخلاف ما اتفقت فيه روايات لهم مع ما جاء عند أهل السنة، وأن رواياتهم كلها متعارضة متناقضة[14]؟ أن معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو: إن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام

---

(1) رجال الكشي ، ص 135 ـ 136.
(2) خلق أفعال العباد ، ص 36 ، تحقيق البدر.
(3) منهاج السنة لابن تيمية (187/2 ـ 188).
(4) الشريعة ، ص 77.
(5) الاعتقاد ، ص 36.
(6) الأسماء والصفات ، ص 247.
(7) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (238/2 ، 241 ـ 242).
(8) مسائل الإمام أحمد ، ص 265.
(9) منهاج السنة (278/1).
(10) أصول الشيعة الإمامية (662/2).
(11) منهاج السنة (296/1) أصول الشيعة الإمامية (664/2).
(12) مقالات الإسلاميين للأشعري (114/1).
(13) منهاج السنة (296/1).
(14) أصول الشيعة الإمامية (668/2).

البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ *﴾ [المدثر: 26]. فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ *﴾ [المدثر: 25]. علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر[1].

ب . مسألة الرؤية:

ذهبت الشيعة الإمامية بحكم مجاراتهم للمعتزلة إلى نفي الرؤية وجاءت روايات عديدة ذكرها ابن بابويه في كتابه التوحيد، وجمع أكثرها صاحب البحار تنفي ما جاءت به النصوص من رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فتفتري . مثلاً . على أبي عبد الله جعفر الصادق بأنه سئل عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد؟ فقال: سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.. إن الأبصار لا تدرك إلا ماله لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية[2]، وقال شيخهم وايتهم جعفر النجفي صاحب كاشف الغطا: ولو نسب إلى الله بعض الصفات:.. كالرؤية حكم بارتداده[3]، وجعل الحر العاملي نفي الرؤية من أصول الأئمة، وعقد لذلك باباً بعنوان باب أن الله سبحانه لا تراه عين ولا يدركه بصر في الدنيا ولا في الآخرة[4]، فنفيهم لرؤية المؤمنين لربهم في الاخرة خروج عن مقتضى النصوص الشرعية، وهو أيضاً خروج عن مذهب أهل البيت، وقد اعترفت بعض رواياتهم بذلك، فقد روى ابن بابويه القمي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة: قال: نعم[5] والرؤية حق لأهل الجنة يرونه بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا مثل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ *﴾ [القيامة: 22-23]. وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ *﴾[ق: 35] قال أنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل[6]، وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] فالحسنى: الجنة، والزيادة، هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل الجنة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثقل موازيننا ويبيّض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة[7]. وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ *﴾ [المطففين: 15]. احتج الشافعي رحمه الله وغيره

---

(1) المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية ، عبد الاخر الغينمي ، ص 109.

(2) بحار الأنوار (31/4).

(3) كشف الغطا ، ص 417 ؛ أصول الشيعة الإمامية (670/2).

(4) أصول الشيعة (670/2).

(5) الفصول المهمة في أصول الأئمة ، ص 12.

(6) مجمع الفوائد (112/7).

(7) مسلم ، رقم 181.



من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي. وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءت رقعة من الصعيد فيها، ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ *﴾ [المطففين: 15]. فقال الشافعي: لما أن حُجب في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياؤه يرونه في الرضى[1]، وأما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن[2]، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنة والجماعة[3].

11 . تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل:

الرسل أفضل البشر وأحقهم بالرسالة، حيث أعدهم الله تعالى لكمال العبودية والتبليغ والدعوة والجهاد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124]. فهم قد امتازوا برتبة الرسالة عن سائر الناس[4] وقد أوجب الله على الخلق متابعتهم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: 64] ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة: ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء[5]، وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما نبه على ذلك عبد القاهر البغدادي[6] والقاضي عياض[7]، وابن تيمية[8]، وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثني عشرية، فقد قرر صاحب الوسائل أن تفضيل الأئمة على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التي نسبها للأئمة[9]، وقال بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى[10]، وفي بحار الأنوار للمجلسي عقد باباً بعنوان باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم[11]، وهذا المذهب الذي استقر عليه مذهب الاثني عشرية مر بتغيرات وتطورات نحو الغلو، فإن الشيعة في مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة كانوا ثلاث فرق. كما يقول

---

(1) مناقب الشافعي للبيهقي (419/1).
(2) شرح الطحاوية ، ص 151.
(3) المصدر السابق نفسه ، ص 146.
(4) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (238/1).
(5) شرح الطحاوية ، ص 493.
(6) أصول الدين ، ص 298.
(7) الشفاء ، ص 1078.
(8) منهاج السنة (177/1).
(9) أصول الشيعة الإمامية (745/2).
(10) المصدر السابق نفسه (745/2).
(11) بحار الأنوار (267/26).

الأشعري ـ:

ـ فرقة: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

ـ الفرقة الثانية: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

ـ والفرقة الثالثة: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة[1].

ويضيف المفيد في أوائل المقالات مذهباً رابعاً لهم وهو أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولي العزم[2]. ثم لا يبوح بذكر المذهب الذي يعتمده من هذه المذاهب بل يذكر توقفه للنظر في ذلك[3]، ولكن يظهر أن كل هذه المذاهب تلاشت بسعي شيوخ الدولة الصفوية ومن تبعهم واستقر المذهب على الغلو في الأئمة، حتى أن المجلسي يقول في عنوان الباب الذي عقده في بحاره لهذا الغرض: إن أولي العزم إنما صاروا أولي عزم بحبهم صلوات الله عليهم[4]. إن من يرجع إلى كتاب الله سبحانه يجد أنه ليس لأئمتهم الاثني عشر ذكر، فضلاً عن أن يقدموا على أنبياء الله ورسله، كما أنه يلاحظ: أن الأنبياء لكونهم أرفع رتبة يقدمون بالذكر على غيرهم من صالحي عباد الله قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: 69]. فرتب الله سبحانه عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب[5]. وكتاب الله يدل في جميع اياته على اصطفاء الأنبياء واختيارهم على جميع العالم[6]، وقد أجمع أهل القرون الثلاثة على تفضيل الأنبياء على من سواهم، والإجماع حجة، وقال ابن تيمية: اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء[7]. والعقل يدل صريحاً على أن جعل النبي واجب الطاعة وجعله امراً وناهياً وحاكماً على الإطلاق والإمام نائباً وتابعاً له لا يعقل بدون فضيلة النبي عليه، ولما كان هذا المعنى موجوداً في حق كل نبي مفقوداً في حق كل إمام لم يكن إمام أفضل من نبي أصلاً، بل يستحيل[8]. ثم قد ورد في كتب الشيعة نفسها ما يتفق مع النص والإجماع والعقل، وينفي ذلك الشذوذ، وهو ما رواه الكليني عن هشام الأحول عن زيد بن علي أن الأنبياء أفضل من الأئمة، وأن من قال غير ذلك فهو ضال[9]، وروى ابن بابويه عن الصادق ما ينص على أن الأنبياء أحب إلى الله من علي[10].

---

(1) مقالات الإسلاميين (120/1).

(2) أوائل المقالات ، ص 42 ـ 43.

(3) المصدر السابق نفسه ، ص 43.

(4) بحار الأنوار (267/26).

(5) أصول الشيعة الإمامية (749/2).

(6) الفتاوى (221/11).

(7) المصدر السابق نفسه.

(8) مختصر التحفة ، ص 101.

(9) أصول الشيعة الإمامية (753/2)؛ مختصر التحفة ، ص 100.

(10) مختصر التحفة ، ص 101.



خامساً: موقف الشيعة الإمامية من القرآن الكريم:

قد كان لمعتقد الشيعة في الإمامة ومحاولة الدفاع عنه أثر كبير في دفع بعض الشيعة إلى تبني أفكار خطيرة حول القرآن والسنة، والصحابة رضوان الله عليهم، فشككوا في القرآن، وأنكروا كثيراً من الأحاديث الثابتة، وطعنوا في الصحابة رضي الله عنهم وجرحوهم ونسبوا إليهم تعمد الكذب وتحريف كتاب الله تعالى.

1 . اعتقاد بعضهم في تحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم:

فقد زعم بعض الشيعة الرافضة أن القرآن الكريم قد حرف وأسقطت منه بعض السور وكثير من الآيات التي أنزلت في فضائل أهل البيت والأمر باتباعهم، والنهي عن مخالفتهم وإيجاب محبتهم وأسماء أعدائهم والطعن فيهم، ولعنهم وقد اتهم الشيعة الصحابة رضوان الله عليهم، بأنهم أسقطوا من القرآن من جملة ما أسقطوه ﴿ وجعلنا عليا صهرك ﴾ من سورة [الشرح] والتي تشير إلى تخصيص علي بمصاهرة الرسول عليه الصلاة والسلام دون عثمان. وقد جهل هؤلاء أن هذه السورة مكية، وأنها حين نزلت لم يكن علياً صهراً للرسول صلى الله عليه وسلم، إذ أن علياً تزوج فاطمة بالمدينة وبعد غزوة بدر، كما سبق أن أشرنا، ويذهب الشيعة أيضاً إلى أنه من بين ما أسقط من (القرآن) سورة الولاية ويزعمون أنها سورة طويلة قد ذكر فيها فضائل أهل البيت[1]، وهكذا تدور معظم مزاعم هذا النفر من الشيعة في القرآن حول هذه القضايا، إذ أنهم لم ينكروا حكماً من أحكامه أو قاعدة من قواعده، ولكن تدور اراؤهم حول إسقاط بعض الآيات إلى ولاية علي ومن بعده من الأئمة وقد ردد هذه الافتراءات على القرآن الكريم العديد من علماء الشيعة الإمامية وعلى رأسهم حجتهم المشهور أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت 329 هـ صاحب كتاب الكافي الذي يعتبر في حجيته لدى الشيعة في مرتبة كتاب البخاري عند أهل السنة، وقد ذكر صاحب تفسير الصافي الشيعي: إن الظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد أيضاً في التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض بقدح فيها، على أنه ذكر في أول كتابه أنه يثق بما رواه فيه[2]، وكتاب الكليني هذا مليء بهذه المزاعم المنحرفة، والتي تهدف في الأساس إلى إثبات إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده. ومن ذلك ما رواه الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: (عن ولاية ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ والأئمة بعده) هكذا نزل أبي جعفر عليه السلام قال، قلت له لم سمي (علي بن أبي طالب) أمير المؤمنين؟ قال الله سماه وهكذا أنزل في كتابه: «وأن محمداً رسولي وأن علياً أمير المؤمنين[3]». ويروي الكليني عن ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

---

[1] دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين ، ص 226.

[2] تفسير الصافي ، ص 13 ؛ الإمام الصادق لأبي زهرة ، ص 333.

[3] أصول الكافي (414/1).

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ بن محمد بن أبي نصر قال: رفع إليَّ أبو الحسن عليه السلام مصحفاً وقال: لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه (لم يكن الذين كفروا) فوجدت فيهم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء ابائهم قال: فبعث إليّ بالمصحف[1]، وقد زعم الكليني أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنهم (أي الأئمة) يعلمون علمه كله، فما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده[2]، وقد ردد هذه الفرية التي ربطت جمع القرآن بعلي رضي الله عنه، وقد ذهب صاحب الاحتجاج إلى: أنه لما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم، جمع علي (عليه السلام) القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه عليه السلام وانصرف، ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن، فقال له عمر: إن علياً جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك ثم فقال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر عليّ القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم؟ قال عمر فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة فقال عمر: فما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك[3]، ولا شك أن مثل هذه الرواية من نسيج خيال مريض فاسد أراد أن يتهم الصحابة بتحريف القرآن، والتامر على حرمان علي من إمامة المسلمين وهو إذ يمدح علي يذمه إذ يصفه بالسكوت السلبي حينما رفض الصحابة الأخذ بقرآنه، فكيف يتفق هذا مع مواقف علي رضي الله عنه البطولية في سبيل الدفاع عن الإسلام، ويرد على مثل هذه الترهات قول علي رضي الله عنه: أعظم الناس أجراً في المصحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع بين اللوحين[4]، ولم يكتف الكليني بهذا، بل نسب هذه الافتراءات والمزاعم الباطلة حول التحريف في القرآن إلى جعفر الصادق، إذ ينسب إليه أنه قال: إن القرآن الذي نزل به الوحي على محمد سبعة الاف آية، والآيات التي نتلوها ثلاث وستون ومئتان وست الاف فقط، والباقي مخزون عند آل البيت[5]، وزعم الكليني أن الصادق قال عن القرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب في زعمه: قيل هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد[6]، ويقولون إن فاطمة رضي الله عنها مكثت بعد النبي خمسة وسبعين يوماً، صبت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله، فأرسل الله إليها جبرائيل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها، وعما يحدث لذريتها، وكان

---

(1) أصول الكافي (412/1) ؛ السنة والشيعة ، إحسان إلهي ، ص 103.

(2) أصول الكافي (631/2) ؛ السنة والشيعة ، ص 87.

(3) أصول الكافي (228/1).

(4) الاحتجاج للطبرسي، ص225، 228؛ دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص 228.

(5) كتاب المصاحف للسجستاني (5/1).

(6) الإمام الصادق ، ص 323.

علي يستمع ويكتب ما يسمع حتى جاء به مصحف قدر القرآن ثلاث مرات ليس فيه شيء من حلال وحرام ولكن فيه علم ما يكون[1].

ـ ويردد عالم شيعي آخر وهو علي بن إبراهيم القمي نفس المزاعم التي ذهب إليها الكليني ويورد عنه محمد محسن الملقب بالفيض الكاشي في تفسيره فيقول: المستفاد من الروايات عن طريق آل البيت أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي في كثير من المواضع ومنها لفظ «ال محمد» غير مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله ورسوله. وبه ـ أي بهذا الرأي ـ قال علي بن إبراهيم المسمى بالقمي له تفسير مليء بهذه الدعاوي والغلو فيها. وأخذ يخلط ويزعم أن هناك ايات في ولاية علي حذفت[2].

ـ وقال صاحب كتاب بصائر الدرجات الصفّار بسنده عن أبي جعفر ـ على حد زعمه ـ ما يستطيع أحد أن يدعي أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء[3]، وعنه أيضاً: ما من أحد من الناس يقول أنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده[4].

ـ وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله: لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين[5]، وفيه عن أبي جعفر: لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حجى[6]. والروايات في كتب الشيعة الرافضة المصرحة بتحريف القرآن كثيرة جداً، وقد أخبر عن استفاضتها وتوترها عندهم كبار علمائهم ومحققيهم، يقول المفيد: إن الأخبار جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من ال محمد صلى الله عليه وسلم باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان[7].

ـ ويقول هاشم البحراني[8]: ـ أحد كبار مفسريهم ـ: أعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الاتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من التغييرات وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات[9]، ويقول أيضاً: وعندي في وضوح صحة هذا القول ـ أي تحريف القرآن ـ بعد تتبع الأخبار

---

[1] أصول الكافي (239/1).

[2] أصول الكافي (240/1) ؛ بحار الأنوار (44/26) ؛ بصائر الدرجات ، ص 43.

[3] دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص 229 ، 230.

[4] بصائر الدرجات ، ص 213.

[5] المصدر السابق نفسه.

[6] تفسير العياشي (13/1).

[7] المصدر ا لسابق نفسه.

[8] أوائل المقالات ، ص 91.

[9] هاشم بن سليمان البحراني ، توفي سنة 1107 هـ.

وتفحص الاثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع وأنه من أكبر مقاصد الخلافة[1].

. ويقول نعمة الله الجزائري[2]: إن الأخبار الدالة على هذا (التحريف) تزيد على ألفي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق الداماد، والعلامة المجلسي[3]، فهذه أقوال أئمتهم ومحققيهم الكبار تقطع بتواتر واستفاضة الروايات في كتبهم بدعوى تحريف القرآن وتبديله، وأنها تبلغ الالاف مما جعل بعض هؤلاء العلماء يقطع بأن هذه العقيدة من ضروريات المذهب عندهم وأكبر مقاصد الإمامة، وزيادة على ما جاء في كتبهم من الاف الروايات الدالة على دعوى تحريف القرآن، فإن أقوال علمائهم ومنظريهم، وأهل الاجتهاد فيهم، جاءت مؤكدة لتلك العقيدة الفاسدة، ولعل المقام هنا لا يتسع لنقل كلامهم هنا وإنما أذكر من نقل إجماعهم على ذلك من كبار علمائهم، يقول المفيد ناقلاً إجماعهم على ذلك واتفقوا (أي الإمامية) أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأجمعت المعتزلة، والخوارج والمرجئة، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عددناه[4].

. وقد قام النوري الطبرسي، أحد كبار علمائهم المتأخرين الهالك في سنة 1320 هـ بتأليف كتابٍ ضخمٍ في إثبات دعوى تحريف القرآن عند الشيعة الرافضة، سماه، فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب[5]، صدره بثلاث مقدمات يتبعها بابان:

الأول: في الأدلة على تحريف القرآن بزعمه.

الثاني: في الرد على القائلين بصحة القرآن في الأمة. وقد أودع الطبرسي في كتابه هذا الاف الروايات الدالة على تحريف القرآن بزعمهم، حيث أورد في الفصلين الأخيرين فقط من الباب الأول المكون من اثني عشر فصلاً (1602) رواية هذا غير ما أورده في الفصول الأخرى من هذا الباب والمقدمات الثلاث والباب الثاني وقال معتذراً عن قلة ما جمعه: ونحن نذكر منها ما يصدق دعواهم مع قلة البضاعة[6]، وقال موثقاً هذه الروايات: وأعلم أن تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معوّل أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والاثار النبوية[7]، وقال بعد أن سرد حشداً هائلاً من أسماء علمائهم القائلين بالتحريف استغرقت خمس صفحات من كتابه: ومن جميع ما ذكرنا ونقلنا، بتتبعي القاصر، يمكن دعوى الشهرة

---

[1] مقدمة تفسير البرهان في تفسير القرآن ، ص 36.

[2] المصدر السابق نفسه ، ص 49.

[3] متوفى سنة 1112 هـ ، قال عنه الحر العاملي: فاضل عالم محقق جليل القدر ، أمل الامل (336/2).

[4] فصل الخطاب ، ص 248 ، الانتصار.

[5] أوائل المقالات ، ص 49.

[6] الانتصار للصحب والال ، ص 61.

[7] فصل الخطاب ، ص 249 ؛ الانتصار للصحب والال ، ص 62.

العظيمة بين المتقدمين وانحصار المخالفين فيهم بأشخاص معينين يأتي ذكرهم[1]، ثم ذكر أن هؤلاء المخالفين هم: الصدوق، والمرتضى، وشيخ الطائفة الطوسي، قال: ولم يعرف من القدماء موافق لهم[2].

وذكر أنه تبعهم الطبرسي صاحب كتاب مجمع البيان، وقال: وإلى طبقته لم يعرف الخلاف صريحاً إلا من هؤلاء المشايخ الأربعة[3] ثم اعتذر بعد ذلك عن بعض هؤلاء العلماء في عدم قولهم بتحريف القرآن بأن الذي حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين، قال معتذراً عن الطوسي عما أورده في كتابه (التبيان) من القول بعدم التحريف: ثم لا يخفى على المتأمل في كتاب التبيان أن طريقته فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين.. وهو بمكان من الغرابة لو لم يكن على وجه المماشاة[4].

وقد سبق النوري الطبرسي في الاعتذار لهؤلاء العلماء: نعمة الله الجزائري حيث قال بعد أن نقل إجماع علماء الإمامية على عقيدة التحريف: نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي، وحكوا أن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن لا غير، ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل، والظاهر أن هذا القول صدر منهم لأجل مصالح كثيرة: منها سد باب الطعن عليها، بأنه إذا جاز هذا في القرآن، فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه، مع جواز لحوق التحريف لها، كيف هؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخباراً كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا[5]، وبهذا يظهر أن القول بتحريف القرآن واعتقاد تغييره وتبديله هو محل إجماع علماء الشيعة الرافضة قاطبة، كما حقق ذلك الطبرسي في فصل الخطاب، ودلت عليه النقول السابقة عن كبار علمائهم، وأنه لم يخالف في هذه العقيدة أحد من علمائهم، حتى وقت تأليف فصل الخطاب إلا أربعة منهم حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين، على ما نص على ذلك الطبرسي ومن قبله نعمة الله الجزائري. وكما أثبتت ذلك البحوث المعاصرة التي بحثت هذه المسألة وأيدت ذلك بذكر شواهد كثيرة من الروايات الدالة على التحريف الواردة في كتب هؤلاء المشايخ الأربعة[6] مما يدل على اعتقادهم مضمونها وموافقتهم لسائر علماء الشيعة الرافضة فيما ذهبوا إليه، من اعتقاد تحريف القرآن وتبديله وإن أظهروا تقية ونفاقاً وخداعاً لأهل السنة[7]، ومما يدل على ما ذهبت إليه أنه لم يتعرض واحد من هؤلاء الذين زعموا التحريف في القرآن إلى نقد من قبل الشيعة إذ ظل الكليني

---

[1] المصدر السابق نفسه ، ص 249.

[2] فصل الخطاب ، ص 30.

[3] المصدر السابق نفسه ، ص 32.

[4] المصدر السابق نفسه ، ص 34.

[5] المصدر السابق نفسه ، ص 34.

[6] الأنوار النعمانية (328/2 . 359).

[7] الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير ، ص 68 . 71.

موضع الثقة والتبجيل والإكرام والمرجع الأول عند جميع الشيعة اليوم ورغم أن الشيعة المعاصرين أكدوا نفي التحريف عن القرآن زيادة ونقصاً، فإننا لا نجد أحداً منهم يرد على الكليني رداً صريحاً أو يظهر عدم الثقة به أو يرفض ما ذهب إليه، بل أن البعض حاول بطريقة ملتوية أن يدافع عنه ويجد له المعاذير[1] وإن كان هؤلاء القوم صادقين، فعليهم أن يتبرؤوا ممن قال بتحريف القرآن الكريم، ولا يترددون في تكفير من أنكر كلمة واحدة من القرآن، وأن يبينوا أن جحود البعض كجحود الكل، لأن ذلك طعن صريح فيما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بضرورة الدين واتفاق المسلمين إن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الذي لم يتطرق عليه التحريف والتبديل وذلك لأن الله تبارك وتعالى تعهد وتكفل بحفظه، بخلاف التوراة والإنجيل، فإن الله لم يتكفل بحفظهما، بل استحفظ عليهما أهلهما فضيعوهما، حكى الشاطبي عن أبي عمر الداني عن أبي الحسن المنتاب قال: كنت يوماً عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق، فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله عز وجل في أهل التوراة: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 44]. فوكل الحفظ إليهم، فجاز التبديل عليهم، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *﴾ [الحجر: 9] فلم يجز التبديل عليهم، قال عليّ فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية، فقال: ما سمعت كلاماً أحسن من هذا[2]، وقد أجمعت الأمة على مر العصور والدهور على أن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن الموجود الان بأيدي المسلمين ليس فيه زيادة أو نقصان ولا تغيير فيه أو تبديل ولا يمكن أن يتطرق إليه شيء من ذلك لوعد الله بحفظه وصيانته ولم يخالف في هذا إلا الشيعة الرافضة حيث زعموا أن القرآن الكريم قد حدث فيه تحريف وتغيير وتبديل، وزعموا أن الصحابة هم الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الدنيوية، وعقيدتهم هذه باطلة ودل على بطلانها الأدلة من القرآن الكريم، وأقوال الأئمة من أهل البيت، والعقل **وإليك بيان ذلك:**

أ. الأدلة من القرآن الكريم:

. الآيات الصريحة الدالة على تكفل الله تعالى بحفظ القرآن، أنه لا يمكن أن يتطرّق إليه التحريف أو التبديل؛ والآيات في هذا الشأن كثيرة منها:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *﴾ [الحجر: 9].

* قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا *﴾ [الكهف: 27].

* قوله تعالى: ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ *﴾ [فصلت: 42].

---

[1] الانتصار للصحب والال ، ص 65.

[2] أضواء على خطوط محب الدين ، ص 42 وما بعدها.

* قوله تعالى: ﴿الم *ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًىً لِلْمُتَّقِينَ *﴾ [البقرة: 1 . 2].

* قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ *﴾ [يونس: 1].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *﴾ [الحج: 52].

* وقوله تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ *إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقرآنهُ *﴾ [القيامة: 16 . 17].

فقد دلَّت هذه الآيات الكريمات على حفظ الله لكتابه الكريم وإحكامه لاياته، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً *﴾ [النساء: 122]، وهذه الآيات في صراحتها على حفظ الله لكتابه وصيانته من التحريف والتبديل، حيث لا يحتاج إلى شرح أو توضيح، كما أن ثناء الله تعالى في القرآن الكريم على الصحابة رضوان الله عليهم مما يؤكد كذب ما نسبته إليهم الشيعة الرافضة من دعوى تحريف القرآن[1]، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ [التوبة: 100].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا *﴾ [الفتح: 18] وغير ذلك من الآيات في مدح الصحابة التي سيأتي شرحها وبيانها في موضعه . بإذن الله تعالى ..

وبعد إيراد هذه الآيات بقسميها المتقدمين؛ نقول للشيعة الرافضة: إن قولكم بتحريف القرآن تعارضه هذه الآيات الكريمة، التي أكد الله تعالى فيها أن هذا القرآن لم يحرَّف ولن يحرَّف؛ لأنه هو الذي تكفل بحفظه وصيانته عن التحريف والتبديل، كما أثنى على صحابة نبيه صلى الله عليه وسلم الذين اتهمتموهم بالتحريف، ووصفهم بالصدق، والإيمان بالله ورسوله، وزكاهم أعظم تزكية، فيلزمكم تجاه هذه الآيات، إما أن تعترفوا وتقروا أن هذه الآيات جاءت من الله تعالى، فعند ذلك لا يسعكم إلا قبولها، واعتقاد ما دلت عليه، من سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل، وإما أن تنكروا أنها من الله فهذا كفر بالله بإجماع المسلمين، إذ من أنكر آية واحدة في القرآن واعتقد عدم صحة نسبتها إلى الله؛ فهو كافر بإجماع المسلمين[2].

ب . الأدلة من أقوال أئمتهم:

فقد جاءت روايات كثيرة عن أئمتهم الذين يعتقدون عصمتهم، يحثُّون فيها الشيعة على التمسك بكتاب الله، وردِّ كل شيء إلى الكتاب والسنة؛ ومن هذه الروايات: ما جاء عن موسى بن جعفر: أنه سئل: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه، أو

[1] الموافقات (59/2).

[2] بذل المجهود ، عبد الله الجميلي (434/1).

تقولون فيه؟ فقال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم[1]. وجاء عن أبي عبد الله أنه قال: من خالف كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر[2]. وعن أبي جعفر أنه قال: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله صلى الله عليه وسلم، وجعل لكل شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه[3]، وعن أبي عبد الله قال: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة[4].

والمتأمل لهذه الروايات يخرج بفائدتين مهمتين:.

* أن الأئمة من آل البيت كانوا يعتقدون كغيرهم من سلف الأمة صحة القرآن الكريم، وإلا لم يطلبوا من تلاميذهم التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ونبذ ما سواهما، ثم إخبارهم إياهم أنه ما من شيء إلا وهو في كتاب الله والسنة، وأنه ليس عندهم إلا ما فيهما.

* أن الروايات المنسوبة إليهم من القول بتحريف القرآن لم يقولوها، بل هم بُرءاءُ منها وممن افتراها[5].

ج ـ الأدلة العقلية:

وكما دلَّ النقل على بطلان دعوى الرافضة في تحريف القرآن الكريم، فإن العقل يدل على بطلان دعواهم تلك، وذلك لما يترتب على القول بتحريف القرآن من المفاسد العظيمة التي يستلزم منها الطعن في الله تبارك وتعالى، وفي النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته رضوان الله عليهم، والأئمة من آل البيت الأطهار، فالقول بتحريف القرآن يستلزم الطعن في الله تعالى واتهامه بعدم الوفاء بوعده بحفظ القرآن من التحريف؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ويستلزم الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث إنه لم يبلغ القرآن الكريم البلاغ الكامل، بل خصَّ علياً رضي الله عنه بكثير من الآيات التي لم يطلع عليها غيره، ويستلزم الطعن في الصحابة الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الخاصة على حسب ما يدعيه الشيعة الرافضة، ويستلزم الطعن في علي والأئمة من بعده، وذلك لأنهم لم يسلموا القرآن الذي معهم ـ على حد زعم الشيعة الرافضة ـ إلى الناس ويدعوهم إليه، وهذا كتم لكتاب الله، وقد توعد الله على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ *﴾ **[البقرة: 159]**.

ولو كان للشيعة الرافضة اعتراف بالأدلة العقلية، لكانت هذه اللوازم الفاسدة المترتبة على تلك العقيدة الخبيثة أكبر رادع لهم

[1] بذل المجهود (235/1).
[2] الأصول للكافي (62/1).
[3] أصول الكافي (70/1).
[4] المصدر السابق نفسه (59/1).
[5] المصدر السابق نفسه.



للإقلاع على هذه العقيدة، والتوبة إلى الله من كل ما افتروه عليه وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم وصحابة نبيه الكرام، وأهل البيت الأطهار[1].

2. اعتقادهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيم:

قال الكليني صاحب (أصول الكافي) والذي هو عندهم كصحيح البخاري عند أهل السنة[2]، يروي ما نصه:.. أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم: وأن علياً كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله[3]. كما توجد هذه المقالة في طائفة من كتبهم المعتمدة كرجال الكشي[4]، وعلل الشرائع[5]، والمحاسن[6]، ووسائل الشيعة[7]، وغيرها. وكيف يقال مثل هذا في كتاب أنزله الله سبحانه ليكون هداية للناس ﴿إِنَّ هَذَا الْقرآن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]؟!.

قال الخليفة الراشد عليّ ـ رضي الله عنه ـ: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الحبل المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم[8].

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: تضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ وقد جاء في كتب الشيعة نفسها عن أهل البيت ما ينقض هذه المقولة في بعض مصادرهم المعتمدة، فقد جاء فيها:... فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، من جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل[9].

وفي (نهج البلاغة) المنسوب لعلي ـ رضي الله عنه ـ، وهو الذي عند الشيعة من أوثق المراجع؛ جاء النص التالي: فالقرآن امر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه[10].

ولهذه النصوص شواهد أخرى، وهي تكشف لنا مدى التناقض والاضطراب الواقع في مصادر هؤلاء القوم، فرواياتهم. كما

---

[1] بذل المجهود (437/1).
[2] المصدر السابق نفسه.
[3] أصول الشيعة الإمامية (155/1).
[4] أصول الكافي (188/1).
[5] رجال الكشي ، ص 420.
[6] الصدوق ، علل الشرائع ، ص 192.
[7] المحاسن للبرقي ، ص 268.
[8] وسائل الشيعة للحر العاملي (141/18).
[9] فضائل القرآن لابن كثير ، ص 15 ، موقف على أمير المؤمنين علي.
[10] تفسير الطبري (225/16).



ترى ـ يعارض بعضها بعضاً، لكنهم في حالة التناقض تلك قد وضعوا لهم منهجاً خطيراً، وهو الأخذ بما خالف العامة ـ وهم أهل السنة عندهم، والمتأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد أراد أن يصدَّ الشيعة عن كتاب الله سبحانه، ويضلهم عن هدى الله، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية القرآن بوجود القيم، والقيم هو أحد الأئمة الاثني عشر؛ لأن القرآن فسر لرجل واحد وهو علي، وقد انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثني عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر، وهو غائب مفقود عند الاثني عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرناً، ومعدوم عند طوائف من الشيعة وغيرهم، فما دامت هذه المقالة ربطت حجية القرآن بهذا الغائب أو المعدوم فكأن نهايتها: أن الاحتجاج بالقرآن متوقف لغياب قَيِّمه أو عدمه، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله، ولا يعرج عليه في مقام الاستدلال، لأن الحجة في قول الإمام فقط، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ ! وحسبك بهذا الضلال والإضلال عن صراط الله، وتلك ليست نهاية التامر على كتاب الله، وعلى الشيعة، ولكنها حلقة من حلقات، ومؤامرة ضمن سلسلة مؤامرات، تريد أن تبعد الشيعة عن كتاب الله عز وجل[1].

إن مما علم من الإسلام بالضرورة أن علم القرآن الكريم لم يكن سراً تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد صلى الله عليه وسلم ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة تخالف هذا الأصل، وتعتقد أن الله سبحانه قد اختصَّ أئمتهم الاثني عشر بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتأويله، وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل[2]، وتذكر بعض مصادر أهل السنة بأن بداية هذه المقالة، وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ؛ فهو القائل: بأن القرآن جزء من تسعة أجزاء، وعلمه عند علي[3].

وقد استفاض ذكر هذه المقالة في كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية بألوان الأخبار وصنوف الروايات:

أ ـ جاء في (أصول الكافي) في خبر طويل عن أبي عبد الله قال: إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسراً، وإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسره لرجل واحد، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب[4].

وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالفه ضل، ومن يبتغي علمه عند غير علي هلك[5]. وزعمت أيضاً كتب الشيعة أن أبا جعفر قال: يا قتادة أنت

---

[1] تفسير العياشي (2/1) ؛ البحار (17/92).

[2] نهج البلاغة ، ص 265 ؛ أصول الشيعة الإمامية (160/1).

[3] أصول الشيعة الإمامية (161/1).

[4] المصدر السابق نفسه (162/1).

[5] أحوال الرجال ، للجوزجاني ص 38 ؛ أصول الشيعة الإمامية (162/1).

فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، قال أبو جعفر ـ رضي الله عنه ـ: بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم... إلى أن قال: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به[1]. ورواياتهم في هذا الباب كثيرة جداً، وربما تستغرق مجلداً، وكلها تحوم حول معنى واحد وهو اختصاص الأئمة الاثني عشر بعلم القرآن، وأنه مخزون عندهم وبه يعلمون كل شيء[2].

والرد على ذلك كما قال الله تعالى لمن طلب آية تدل على صدق الرسول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: 51]؛ فالقرآن الكريم العظيم هو الشاهد والدليل والحجة، ومن ابتغى علم القرآن من القرآن، أو من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، أو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهم علي فقد اهتدى.

والقول بأن من طلب علم القرآن عند غير علي هلك ليس من دين الإسلام، وهو مما علم بطلانه من الإسلام بالضرورة، فلم يخص النبي صلى الله عليه وسلم أحداً من الصحابة بعلم الشريعة دون الآخرين، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44]، فالآية تدل على أن البيان للناس وليس لفرد أو طائفة منهم، ولو كانوا أهل بيته، وقد نفى أمير المؤمنين علي أن يكون خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم دون الناس[3].

وقد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة ومن بعدهم، ورغبهم في تبليغ سنته ولم يخص أحداً منهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «نضّر الله أمرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[4]. وقد روت هذا الحديث كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية المعتمدة[5]، فيكون حجة عليهم.

وأما الدعوة بأن القرآن الكريم لم يخاطب به سوى الأئمة الاثني عشر، ومن هنا فلا يعرف القرآن سواهم ـ إنما يعرف القرآن من خوطب به[6] ـ وبهذا الفهم السقيم يعتبر صحابة رسول الله والتابعون وأئمة الإسلام على امتداد العصور قد هلكوا وأهلكوا ـ على حد زعمهم ـ بقيامهم بتفسير القرآن وفق أصوله، أو اعتقادهم أن في كتاب الله ما لا يعذر أحد بجهالته، ومنه ما تعرفه العرب من كلامها، ومنه ما لا يعرفه إلا العلماء، ومنه ما لا يعلمه إلا الله[7]، فالشيعة تزعم أنه لا يعرف القرآن سوى الأئمة، وأنهم يعرفون القرآن كله وهذه دعوة تفتقر إلى الدليل، وزعم يكذبه العقل والنقل؛ فمما يجب أن يعلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

---

(1) أصول الكافي (25/1) ؛ وسائل الشيعة (131/18).
(2) أمالي الصدوق ، ص 40 ؛ وسائل الشيعة (138/18).
(3) بحار الأنوار (42/237 ـ 238) ؛ أصول الشيعة (163/1).
(4) أصول الشيعة الإمامية (166/1).
(5) مسلم ، رقم 1978.
(6) سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/689 ـ 690).
(7) أصول الكافي (403/1) ؛ وسائل الشيعة للحر العاملي (63/18).

﴿إِلَيْهِمْ﴾[النحل: 44]. يتناول هذا وهذا. وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ـ كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما ـ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ايات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً[1].

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: 29]، وقال: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقرآن﴾ [النساء: 82]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: 68]. وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قرآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *﴾ [يوسف: 2]. وعقل القرآن متضمن لفهمه، ومن المعلوم: أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى.

ولهذا لم تعد فئة من الشيعة تهضم هذه المقالة، وخرجت عن القول بكل ما فيها، فقالت بأن ظواهر القرآن لا يختص بعلمها الاثنا عشر، بل يشاركهم غيرهم فيها، أما بواطن الآيات فمن اختصاص الأئمة. وقام خلاف كبير حول حجية ظواهر القرآن بين الأخباريين والأصوليين، فالفئة الأولى ترى أنه لا يعلم تفسير القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأئمة، والأخرى ترى حجية ظواهر القرآن لعموم الأدلة في الدعوة لتدبر القرآن وفهمه[2].

إن دعوى القرآن لم يفسر إلا لعلي مخالفة لقول الله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ *﴾ [النحل: 44]. فالبيان للناس لا لعلي وحده ـ كما سبق ـ؛ فليس لمن قال لهذه المقالة إلا أحد طريقين: إما القول بأن الرسول لم يبلغ ما أنزل إليه، وإما أن يكذب القرآن، وهي مخالفة للعقل وما علم من الإسلام بالضرورة، ودعوى أن علم القرآن اختص به الأئمة ينافيه اشتهار عدد كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفسير القرآن كالخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت وغيرهم. وكان علي ـ رضي الله عنه ـ يثني على تفسير ابن عباس[3].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر علي، وابن عباس يروي عن غير واحد من الصحابة؛ يروي عن عمر، وأبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف، وعن زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأسامة بن زيد وغير واحد من المهاجرين والأنصار، وروايته عن علي قليلة جداً، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئاً من حديثه عن علي، وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم... وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن علي، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالاثار عن الصحابة والتابعين، والذي منها عن علي قليل جداً،

---

[1] بحار الأنوار (24/237 ـ 238) ؛ أصول الشيعة (1/163).

[2] تفسير الطبري (1/76) ، كلام لابن عباس.

[3] مجموع الفتاوى (13/331).

وما ينقل من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر[1]، وقد تحدث جعفر بِوَلَعِ الناس بالكذب عليه.

إن قولهم بأن علم القرآن انفرد بنقله علي يفضي إلى الطعن في تواتر شريعة القرآن من الصحابة إلى سائر الأجيال، لأنه لم ينقلها ـ على حد زعمهم ـ عن رسول الله إلا واحد وهو علي ـ رضي الله عنه ـ، فهذه المقالة مؤامرة، الهدف منها الصد عن كتاب الله سبحانه والإعراض عن تدبره، واستلهام هديه، والتفكر في عبره، والتأمل في معانيه ومقاصده فالقرآن في دين الشيعة لا وسيلة لفهم معانيه إلا من طريقة الأئمة الاثني عشر، أما غيرهم فمحروم بالانتفاع به، وهي محاولة أو حيلة مكشوفة الهدف، مفضوحة القصد، لأن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين، وخوطب به الناس أجمعون: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قرآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *﴾ [يوسف: 2]، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ *﴾ [آل عمران: 138].

وأمر الله عباده بتدبره، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بمواعظه، ومحال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من البيان والكلام[2]، وهي محاولة للصدِّ عن ذلك العلم العظيم في تفسير القرآن، والذي نقله إلينا صحابة رسول الله والسلف والأئمة.

فهذه الكنوز العظيمة لا عبرة بها ولا قيمة لها في دين الشيعة، لأنها ليست واردة عن الأئمة الاثني عشر، وقد صرح بذلك بعض شيوخهم المعاصرين فقال: إن جميع التفاسير الواردة عن غير أهل البيت لا قيمة لها ولا يعتد بها[3]، لقد حاولت كتب التفسير المعتمدة عندهم كتفسير القمي والعياشي والصافي والبرهان، وكتب الحديث كالكافي والبحار تأويلات لكتاب الله منسوبة لآل البيت تكشف في الكثير الغالب عن جهل فاضح بكتاب الله، وتأويل منحرف لاياته، وتعسف بالغ في تفسيره، ولا يمكن أن تصح نسبتها لعلماء آل البيت، فهي تأويلات لا تتصل بمدلولات الألفاظ، ولا بمفهومها ولا بالسياق القرآني .كما سيأتي أمثلة على ذلك بإذن الله ـ، وبناء على هذه العقيدة؛ أن هذا هو مبلغ علم علماء آل البيت، وفي ذلك من الزراية عليهم ونسبة الجهل إليهم الشيء الكثير من قوم يزعمون محبتهم والتشيع لهم[4].

3 ـ اعتقادهم بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر:

ذهب الشيعة إلى أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأن الناس لا يعلمون إلا الظاهر، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الأئمة ومن يستقي منهم، وبمثل هذه الأفكار فتح الشيعة الباب للزنادقة والملحدين وأصحاب الأهواء

والمذاهب الهدامة لكي يتلاعبوا بالقرآن، وحاولوا جميعاً الكيد له، وأرادوا أن يطفئوا نور الإسلام بأفواههم، ولكن الله متم

---

[1] البيان للخوئي ، ص 463 ؛ أصول الفقه للمظفر (130/3)

[2] تفسير ابن عطية (19/1) ؛ تفسير ابن جزي (9/1).

[3] منهاج السنة (155/4).

[4] تفسير الطبري (82/1).

نوره ولو كره الكافرون، وقد استغل الشيعة فكرة الظاهر والباطن هذه، وحاولوا بها تفسير القرآن لكي يوافق معتقداتهم ويخدم مذهبهم في الإمامة، كما اتخذوا القرآن تكأة للهجوم على الصحابة رضي الله عنهم وتجريحهم في الوقت الذي يمجدون فيه أهل البيت وينسبون إليهم أشياء يدفعونها هم عن أنفسهم، وقد أتى الشيعة الرافضة في هذا الباب باراء تخالف كل ما أثر في تفسير القرآن، ولا يسندها أثر ولا عقل ولا لغة ولا منطق[1].

إن جذور التأويل الباطني نبتت في أروقة السبئية، لأن ابن سبأ حاول أن يجد لقوله بالرجعة مستنداً من كتاب الله بالتأويل الباطل وذلك حينما قال: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع. وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقرآن لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: 85][2]. وقد نقلت لنا بعض كتب أهل السنة نماذج من تأويلات الشيعة لكتاب الله، ولكن ما انكشف لنا اليوم أمر خطير على عقائد الناس وفكرهم وثقافتهم، فقد تحدث الإمام الأشعري[3]، والبغدادي[4]، والشهرستاني[5]، وغيرهم يحكون عن المغيرة بن سعيد ـ أحد الغلاة باتفاق السنة والشيعة ـ والذي تنسب إليه الطائفة المغيرية: أنه ذهب في تأويل الشيطان في قول الله جل شأنه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾[الحشر: 16] بعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ! وهذا التأويل بعينه قد ورثته الاثنا عشرية، ودونته في مصادرها المعتمدة، حيث جاء في تفسير العياشي[6]، والصافي[7]، والقمي[8]، والبرهان[9]، وبحار الأنوار[10]، عن أبي جعفر في قول الله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ [إبراهيم: 22] قال: هو الثاني، وليس في القرآن شيء وقال الشيطان؛ إلا وهو الثاني، فكانت كتب الاثني عشرية تزيد على المغيرية بوضع هذا الانحراف في كتاب الله قاعدة مطردة[11].

فهذه الروايات التي تسندها كتب الشيعة الاثني عشرية إلى أبي جعفر الباقر هي من أكاذيب المغيرة بن سعيد وأمثاله، فقد ذكر الذهبي عن كثير النواء[12]، أن أبا جعفر قال: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد، وبيان بن سمعان؛ فإنهما كذبا علينا

---

[1] الشيعة والرجعة ، محمد رضا النجفي ، ص 19.
[2] أصول الشيعة الإمامية (176/1).
[3] دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين ، ص 233 ، 234.
[4] تاريخ الطبري (347/5).
[5] مقالات الإسلاميين (73/1).
[6] الفرق بين الفرق ، ص 240.
[7] الملل والنحل (177/1).
[8] تفسير العياشي (223/2).
[9] تفسير الصافي (223/3).
[10] تفسير القمي (84/3).
[11] البرهان (309/2).
[12] بحار الأنوار (378/3).

أهل البيت[1]، وروى الكشي في رجاله عن أبي عبد الله قال: لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا[2]، وساق الكشي روايات عديدة في هذا الباب[3].

ويلاحظ أنه اتفق كل من الأشعري، والبغدادي، وابن حزم، ونشوان الحميري على أن جابر الجعفي الذي وضع أول تفسير للشيعة على ذلك النهج الباطني كان خليفة المغيرة بن سعيد[4] الذي قال: بأن المراد بالشيطان في القرآن هو أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ؛ فهي عناصر خطرة يستقي بعضها من بعض عملت على فساد التشيع[5].

وحين احتج شيخ الشيعة في زمنه ـ والذي إذا أطلق لقب العلاّمة عندهم انصرف إليه (ابن المطهر الحلي) ـ على استحقاق علي للإمامة بقوله: «البرهان الثلاثون: قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ *بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ *﴾ [الرحمن: 19-20]، قال: علي وفاطمة، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ *﴾ صلى الله عليه وسلم، الحسن ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ *﴾، فحينما احتج ابن المطهر بذلك قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول، وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن، وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة الباطنية للقرآن، بل هو شر من كثير منه، والتفسير بمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن والطعن فيه، بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه[6] وهذه أمثلة من تحريف الشيعة الرافضة لايات القرآن الكريم، وذلك بفتحهم التفسير الباطني للقرآن الكريم على مصراعيه:

أ ـ تحريفهم معنى التوحيد الذي هو أصل الدين إلى معنى آخر هو ولاية الإمامة:

فعن أبي جعفر أنه قال: ما بعث الله نبياً قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا[7]، وذلك قوله الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

ب ـ تحريفهم معنى الإله إلى معنى الإمام:

ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: 51]. قال أبو عبد الله: يعني بذلك: ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد[8].

---

(1) أصول الشيعة الإمامية (206/1).
(2) كثير النواء: شيعي ، وروي أنه رجع عن تشيعه.
(3) ميزان الاعتدال (161/4).
(4) رجال الكشي ، ص 195.
(5) المصدر السابق نفسه.
(6) مقالات الإسلاميين (73/1) ؛ الفرق بين الفرق ، ص 242. المحلي (44/5) ؛ أصول الشيعة (207/1).
(7) أصول الشيعة (208/1).
(8) منهاج السنة (66/4).

ج. تحريفهم معنى الرب في القرآن إلى معنى الإمام:

ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا *﴾ [الفرقان: 55]. قال القمي في تفسيره: الكافر: الثاني (يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان على أمير المؤمنين علي عليه السلام ظهيراً)[1]. وقال الكاشاني في البصائر: الباقر عليه السلام: أنه سئل عن تفسير هذه الآية فقال: إن تفسيرها في بطن القرآن: علي هو ربه في الولاية[2].

د. تحريفهم معاني الكلمة إلى معاني الأئمة:

فقالوا في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 21]. الكلمة: الإمام[3]، وقوله سبحانه: ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: 64]. قالوا: لا تفسير للإمامة[4].

هـ تحريفهم معاني المسجد والكعبة والقبلة إلى معاني الأئمة:

فقالوا في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 29] قال: يعني الأئمة[5]، وفي رواية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31]؛ قال: يعني الأئمة[6]. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا*﴾[الجن: 18]. قال: إن الإمام من ال محمد فلا تتخذوا من غيرهم إماماً[7]، ويقول الصادق عنهم:.. نحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله[8]. والسجود: هو ولاية الأئمة، وبهذا يفسرون قوله تعالى: ﴿كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ*﴾ [القلم: 43]، حيث قالوا: يدعون إلى ولاية علي في الدنيا[9].

و. تحريفهم معاني التوبة في القرآن إلى الرجوع عن ولاية أبي بكر وعمر وعثمان إلى ولاية علي وحده:

ففي قوله سبحانه: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: 7]. جاء تأويلها عندهم في ثلاث روايات : تقول الأولى: من ولاية فلان وفلان (يعنون ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ بكر وعمر وبني أمية)، وتقول الرواية الثانية: من ولاية الطواغيت الثلاثة: (يعنون: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ بكر وعمر وعثمان) من بني أمية، يعني ولاية ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾، وتقول الثالثة: من ولاية

---

[1] تفسير العياشي (261/2) ؛ البرهان (373/2).
[2] البرهان (373/2) ؛ أصول الشيعة (209/1).
[3] تفسير القمي (115/2).
[4] تفسير نور الثقلين (25/4).
[5] تفسير القمي (274/2) ؛ بحار الأنوار (174/24).
[6] تفسير القمي (314/1) ؛ بحار الأنوار (175/24).
[7] تفسير العياشي (12/2) ؛ أصول الشيعة (216/1).
[8] تفسير العياشي (13/2) ؛ أصول الشيعة (216/1).
[9] البرهان (393/4) ؛ أصول الشيعة (216/1).



هؤلاء وبني ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾، هو أمير المؤمنين وهذا قليل من كثير من تأويلاتهم الباطلة، فقد قامت مصادرهم في التفسير ـ غالباً ـ على هذا المنهج الباطني في التأويل الذي استقته من أبي الخطاب وجابر الجعفي والمغيرة بن سعيد وغيرهم من الغلاة.

ويلاحظ أنه في القرن الخامس بدأ اتجاه التفسير عندهم يحاول التخلُّص من تلك النزعة المفرقة في التأويل الباطني، حيث بدأ شيخ الطائفة عندهم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى 460 هـ) يؤلف لهم كتاباً في التفسير، يحاول فيه أن يتخلص أو يخفف من ذلك الغلو الظاهر في تفسير القمي والعياشي وفي أصول الكافي وغيرها، وهو وإن كان يدافع عن أصول طائفته ويقرر مبادئهم المبتدعة، إلا أنه لا يهبط ذلك الهبوط الذي نزل إليه القمي ومن تأثر به، ومثل الطوسي في هذا النهج الفضل بن الحسن الطبرسي في مجمع البيان، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك حيث يقول: الطوسي ومن معه في تفسيرهم يأخذون من تفسير أهل السنة، وما في تفاسيرهم من علم يستفاد إنما هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة[1].

سادساً: موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام:

يقف الشيعة الرافضة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقف العداوة والبغضاء والحقد والضغينة، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة التي تزخر بها كتبهم القديمة والحديثة، فمن ذلك اعتقادهم؛ كفرهم وردتهم إلا نفراً يسيراً منهم، على ما جاء مصرحاً بذلك في بعض الروايات الواردة في أصح كتبهم وأوثقها عندهم، فقد روى الكليني عن أبي جعفر: أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاث؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرهاً فبايع[2].

ـ وقال نعمة الله الجزائري: الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامة علي، وكفَّروا الصحابة، ووقعوا فيهم، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق وبعده إلى أولاده المعصومين عليهم السلام، ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهي الناجية إن شاء الله[3].

وقدح الشيعة الرافضة في الصحابة لا يقف عند هذا الحد من اعتقاد تكفيرهم وردتهم، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالتبرؤ منهم، وخاصة الخلفاء الثلاثة: أبا بكر وعمر وعثمان، وأمهات المؤمنين[4].

ـ يقول محمد باقر المجلسي: وعقيدتنا في التبرؤ: أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، والنساء

---

[1] منهاج السنة (246/3).

[2] الروضة من الكافي (245/8 ـ 246) ؛ الانتصار للصحب والال ، ص 76.

[3] الأنوار النعمانية (244/2).

[4] الانتصار للصحب والال ، ص 77.

الأربع: عائشة، وحفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم[1].

وقد بلغ من حقد هؤلاء على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : استباحة لعنهم، بل تقربهم إلى الله بذلك أمراً يفوق الوصف، فقد روى الملا كاظم عن أبي حمزة الثمالي ـ افتراء على زين العابدين رحمه الله ـ أنه قال: من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألف ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، من أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك، قال: فمضى مولانا علي بن الحسين، فدخلت على مولانا أبي جعفر محمد الباقر، فقلت: يا مولاي حديث سمعته من أبيك، قال: هات يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث. فقال: نعم يا ثمالي. أتحب أن أزيدك؟ فقلت: بلى يا مولاي. فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي، ومن أمسى ولعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليلة حتى يصبح[2].

ومن الأدعية المشهورة عندهم الواردة في كتب الأذكار: دعاء يسمونه دعاء صنمي قريش (يعنون بهما: أبا بكر وعمر) وينسبون هذا الدعاء ظلماً وزوراً لعلي ـ رضي الله عنه ـ؛ وهو يتجاوز صفحة ونصف وفيه: اللهم صلِّ على محمد وال محمد، والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك.... إلى أن جاء في آخره ـ: اللهم العنهما في مكنون السر، وظاهر العلانية، لعناً كثيراً أبداً، دائماً سرمداً،لا انقطاع لأمره ولا نفاد لعدده، لعناً يعود أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم، وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم، والمسلمين لهم، والمائلين إليهم، والناهضين باحتجاجهم، والمقتدين بكلامهم، والمصدقين بأحكامهم. (قل أربع مرات): اللهم عذبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار، امين رب العالمين[3].

هذا الدعاء مرغب فيه عندهم، حتى إنهم رووا في فضله نسبة إلى ابن عباس أنه قال: إن علياً ـ عليه السلام ـ كان يقنت بهذا الدعاء في صلواته، وقال: إن الداعي به كالرامي مع النبي صلى الله عليه وسلم في بدر، وأحد، وحنين، بألف ألف سهم[4].

ولهذا كان هذا الدعاء محل عناية علمائهم، حتى إن أغا بزرك الطهراني ذكر أن شروحه بلغت العشرة[5].

فهذا ما جاء في كتبهم القديمة وعلى ألسنة علمائهم المتقدمين، أما المعاصرون منهم فهم على عقيدة سلفهم سائرون وبها

---

[1] حق اليقين ، ص 519 (فارسي) ، وقد قام بترجمة النص ونقله إلى العربية: الشيخ محمد عبد الستار التونسوي في كتابه بطلان عقائد الشيعة ، ص 53.

[2] أجمع الفضائح لملا كاظم ، ص 513 ، نقلاً عن الشيعة وأهل البيت ، ص 157.

[3] مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار ، ص 113 ـ 114؛ وتحفة عوام مقبول ، ص 214 ـ 215. وهذا الكتاب الأخير موثق من كبار علمائهم المعاصرين ورد ذكر أسمائهم على غلاف الكتاب ومنهم الخميني.

[4] علم اليقين في أصول الدين لمحسن الكاشاني (101/2).

[5] الذريعة إلى تصانيف الشيعة (192/8).

متمسكون، فهذا إمامهم المقدس وايتهم العظمى الخميني . يقول في كتابه (كشف الأسرار): إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين، وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللاه وحرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وضد أولادها، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين[1].

ويقول عن الشيخين ـ رضي الله عنهما ـ: وهنا نجد أنفسنا مضطرين على إيراد شواهد من مخالفتها الصريحة للقرآن لنثبت بأنهما كانا يخالفان ذلك[2].

ويقول متهمهما بتحريف القرآن: لقد ذكر الله ثماني فئات تستحق سهماً من الزكاة، لكن أبا بكر أسقط واحدة من هذه الفئات، بإيعاز من عمر ولم يقل المسلمون شيئاً[3]. ويقول: الواقع أنهم أعطوا الرسول حق قدره... الرسول الذي كدّ وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم وأغمض عينيه وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية والنابعة من أعمال الكفر والزندقة[4].

وقد خرجت أصوات شيعية معاصرة تدعو للتقارب بين الشيعة وأهل السنة، وتزعم أنها تقدر الصحابة، كالخنيزي، وأحمد مغنية، والرفاعي، ومحمد جواد مغنية، فعليهم أن يعلنوا موقفهم في تقديمهم للصحابة في الأوساط الشيعية، وأن يعملوا على تنقية التراث الشيعي من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله، وأن يتصدوا لمشايخ الشيعة المعاصرين الذين لا يزالون يهذون في هذا الضلال، وألا يتجاهلوا ما جاء في كتبهم قديماً وحديثاً، وما يجري في واقعهم من عوامهم وشيوخهم، وأن يصدقوا ولا يتناقضوا، حتى يقبل منهم موقفهم[5].

إن عقيدة الشيعة الرافضة في الصحابة موجودة في أصول كتبهم التي يقوم عليها المذهب من مطاعن، وسباب، وشتائم بذيئة يتنزه أصحاب المروءة والدين عن إطلاقها على أكفر الناس، بينما تنشرح بها صدور الشيعة الرافضة، وتسارع بها ألسنتهم في حق أصحاب رسول الله وخلفائه ووزرائه وأصهاره، ويعدون ذلك ديناً يرجون عليه من الله أعظم الأجر والمثوبة، وفي الحقيقة: إن المسلم إذا ما تأمل حال هؤلاء الناس وما هم عليه من بعد وضلال فإنه لا بد له من موقفين:

أ ـ موقف استشعار نعمة الله، وعظم لطفه، وسابغ كرمه أن أنقذه من هذا الضلال، الأمر الذي يستوجب شكراً لله على ذلك.

ب ـ موقف الاتعاظ والاعتبار، بما بلغ بهؤلاء القوم من زيغ وانحراف، يعلمه من له أدنى ذرة من عقل، كتقربهم إلى الله بلعن

---

[1] كشف الأسرار ، ص 126.

[2] المرجع السابق نفسه ، ص 131.

[3] المرجع ا لسابق نفسه ، ص 135.

[4] المرجع السابق نفسه ، ص 137.

[5] أصول الشيعة الإمامية (1319/3 إلى 1342).

أبي بكر وعمر صباحاً ومساء، وزعمهم أن من لعنهما لعنة واحدة لم تكتب عليه خطيئة يومه.

وذلك أن عامة العقلاء من هذه الأمة، بل ومن أصحاب الملل السماوية يدركون إدراكاً ضرورياً من دين الله، أن الله ما تعبد أمة من الأمم بلعن أحد من الكفار، ولو كان من أكفر الناس، بل ما تعبدهم بلعن إبليس اللعين المطرود من رحمة الله صباحاً ومساء، في أوراد مخصوصة تقربنا إلى الله كما تتقرب الشيعة الرافضة بلعن أبي بكر وعمر.

بل إني لا أعلم[1]، فيما اطلعت عليه من كتب الرافضة أنفسهم. أنها تضمنت دعاء مخصوصاً أو غير مخصوص في لعن أبي جهل، أو أمية بن خلف، أو الوليد بن المغيرة الذين أشد الناس كفراً بالله وتكذيباً لرسوله صلى الله عليه وسلم، بل ولا في لعن إبليس، في حين أن كتبهم تمتلئ بالروايات في لعن أبي بكر وعمر، كما في دعاء صنمي قريش وغيره، ففي هذا عبرة لكل معتبر فيما يبلغ بالعبد من الضلال إن هو أعرض عن شرع الله، واتبع الأهواء والبدع؛ كيف يزين له سوء عمله وقبيح أفعاله حتى يصبح لا يعرف معروفاً من منكر، ولا يميز حقاً من باطل، بل يتخبط في الظلمات، ويعيش سكرة الشهوات، وهذا ما أخبر الله عنه في كتابه وبين حال أصحابه[2] في قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: 8]. وقال: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا *﴾ [الكهف: 104]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَانُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْدًا*﴾[مريم: 75].

1 ـ نماذج للمزاجية في تفسير الآيات عند الشيعة الرافضة: المتعلقة بردة الصحابة ـ على حد زعمهم ـ والرد على باطلهم:

أ ـ آية سورة آل عمران:

استدل الشيعة الرافضة بقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ *﴾ [آل عمران: 143 ـ 144]. أن هذه الآية يزعمون أنها صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله، وعد الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة، فيما ثبت من الصحابة قلة قليلة وهي الفئة التي ترى الشيعة الرافضة ثبوتها على الإسلام، وهؤلاء الثابتون هم الشاكرون، ولا يكونون إلا قلة كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ *﴾ [سبأ: 13] والمهم عندهم أن آية الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة، الذين يعيشون

---

[1] هو الدكتور إبراهيم الرحيلي صاحب كتاب (الانتصار للصحب والال) ، ص 85.

[2] الانتصار للصحب والال ، ص 85.

مع رسول الله في المدينة، وترمي إلى الانقلاب مباشرة بعد وفاته دون فعل[1]، وقد حوَّلوها وطبقوها على ما حدث في سقيفة بني ساعدة عندما انتخب الصحابة الكرام أبا بكر الصديق رضي الله عنهم. والرد على هذا الكذاب العظيم كالاتي:

. روى الطبري في تفسيره بسنده عن الضحاك قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[آل عمران: 144]: ناس من أهل الارتياب والمرضى والنفاق، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم، وشج فوق حاجبه، وكسرت رباعيته: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول، فذلك قوله: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[آل عمران: 144][2].

وروي أيضاً عن ابن جرير قال: قال أهل المرضى والارتياب والنفاق، حين فرّ الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم : قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية[3].

فالمقصود بالانقلاب على الأعقاب في الآية هو: ما قاله المنافقون لما أشيع في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل، وهو قولهم: ارجعوا إلى دينكم الأول. ولم تكن هذه الآية فيمن ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت هي حجة عليهم، مع أنها إن كانت فيمن ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لكانت أظهر في الدلالة على براءة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المرتدين، فإنهم هم الذين قاتلوهم، وأظهر الله دينه على أيديهم، وخذل المرتدين بحربهم لهم، فرجع منهم من رجع إلى الدين، وهلك من هلك على ردته، وظهر فضل الصديق والصحابة بمقاتلتهم لهم[4]، ولهذا ثبت عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ *﴾ [آل عمران: 144]: الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه[5]، وكان يقول: كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله[6].

لقد كانت لموقعة أحد ظروفها الخاصة وملابساتها، ولذلك جاءت الآيات الكريمة في سورة ال عمران وفقاً لتلك الظروف والملابسات، واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية،لا تمت بصلة للمنهجية العلمية، وتعتبر هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله، فموقفه الثابت يوم أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم خير شاهد على ذلك.. يوم أن وقف وقفته الثابتة مخاطباً الناس بعدما أصابهم الوهن والضعف على فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله عز وجل يقول:

---

[1] ثم اهتديت للتجاني ، ص 114 ، 115.
[2] تفسير الطبري (458/3).
[3] المصدر السابق نفسه (458/3).
[4] الانتصار للصحب والال ، ص 322.
[5] تفسير الطبري (455/3).
[6] المصدر السابق نفسه.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ *﴾ [الزمر: 30] ويقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ *﴾ [آل عمران: 144]، فمن كان يعبد الله عز وجل فإن الله عز وجل حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات[1].

وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر، فاتبعوا مسيلمة، وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وأمثالهم، ومن الذين قالوا نصلي ولا نزكي، فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى؛ لأروع مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين[2].

وقد وقف أمير المؤمنين علي بجانب الخليفة الراشد الصديق في جهاده ضد المرتدين ومانعي الزكاة، أما التيجاني وشرف الدين الموسوي وفلان وفلان من أئمة علماء الشيعة الاثني عشرية فلا زالوا يدندنون حول قضية مانعي الزكاة محاولين تبرئة ساحتهم، ورمي أبي بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة، فأي ضلال ينطق به هؤلاء حين يطعنون في أصحاب رسول الله، ويجعلون من الذين جاهدوا[3] في سبيل الله ورفعة هذا الدين رموزاً للكفار والردة والنفاق؟! ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار وإجلال الإمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق، يذكر الأربلي ـ في كتاب (كشف الغمة في معرفة الأئمة) عن عروة بن عبد الله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف، فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه، قلت: فتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة[4]، فرحم الله الإمام أبا جعفر، ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمس ولم تنطق بها ضمائر اليوم[5].

ب ـ آية سورة المائدة:

وقد استدلَّ بعض المتنطعين على ردة الصحابة و انقلابهم على أعقابهم بقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ *﴾ [المائدة: 54].

إن هذه الآية التي بين أيدينا والتي يستدل بها علماء الشيعة الإثني عشرية، على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم لهي

---

[1] البخاري، فضائل الصحابة، رقم 3668.
[2] ثم أبصرت الحقيقة، ص 302.
[3] المصدر السابق نفسه، ص 302، 303.
[4] كشف الغمة (147/2).
[5] ثم أبصرت الحقيقة، ص 304.



أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام، لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم[1]، فقد روى الطبري بسنده عن علي رضي الله عنه: أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ : بأبي بكر وأصحابه، وعن الحسن البصري قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه، وعن الضحاك قال: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام، وبهذا قال قتادة وابن جريج وغيره من أئمة التفسير[2].

إن الآية الكريمة تحدثت عن صفات جيل التمكين، وبأن أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين فينالوا العزة والكرامة، بينما سيحيق بأهل الردة مكرهم السيِّئ وتغشاهم الزلة، وهذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ الصحيح وتجلت له عزة الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبي بكر، وذل زعماء الردة، كمسيلمة والعنسي وسجاح وخيبتهم[3].

إن هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين، فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات؛ فالله سبحانه وتعالى ذكر بأنه يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، وقد شرحت هذه الصفات في كتابي الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق[4]؛ فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

ج ـ آية سورة التوبة:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ *إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *﴾ [التوبة: 38 ـ 39].

فقد قال بعض علماء الشيعة الرافضة: هذه الآية صريحة في أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد، واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا، رغم علمهم بأنهم متاع قليل، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه، وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، واستبدل غيرهم من المؤمنين الصادقين وقد جاء هذا التهديد باستبدال غيرهم في العديد من الآيات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم تثاقلوا عن الجهاد في مرات عديدة.

فقد جاء في قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ *﴾ [محمد: 38] عند صاحب كتاب (ثم

---

[1] المصدر السابق نفسه ، ص 311.
[2] تفسير الطبري (623/4 ـ 624).
[3] ثم أبصرت الحقيقة ، ص 312.
[4] الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق للمؤلف ، ص 288 إلى 291.

اهتديت): ومن البديهي المعلوم أن الصحابة تفرقوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم واختلفوا، وأوقدوا نار الفتنة، حتى وصل بهم الأمر إلى القتال والحرب الدامية، التي سببت انتكاس المسلمين وتخلفهم وأطمعت فيهم أعداءهم[1].

والرد على هذا الشيعي الرافضي كالاتي: أنه ليس في هاتين الايتين مطعن على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما فيهما حث الله تعالى الصحابة على الجهاد، وذلك عندما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في غزوة تبوك بغزو الروم، وكان ذلك في زمن العسرة وفاقة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع شدة الحر وبعد السفر، فشق ذلك على بعضهم، فنزلت الآيات في الترغيب في الجهاد في سبيل الله، والتحذير من التثاقل عنه، فاستجاب أصحاب النبي لأمر ربهم. قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ **[التوبة: 38]**: وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم، وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك[2].

ولا شك أن هاتين الآيتين تضمنتا نوع عتاب من الله عز وجل لبعض من ثقل عليهم الخروج في الجهاد، وهذا قطعاً لا يرد على عامة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين استجابوا لله ورسوله بالمسارعة في الخروج في سبيل الله وهم غالب الصحابة وأكثرهم[3]. وقال ابن كثير: هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله في غزوة تبوك[4].

ومعلوم أنه لم يتخلَّف عن النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك أحد من أصحابه من غير أهل الأعذار، إلا ثلاثة نفر كما دل على ذلك حديث كعب بن مالك المشهور في الصحيحين[5]، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، ومع هذا فقد ثبت بنص كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: أن الله تاب على الجميع، وأنزل في توبته على سائر الصحابة وحياً يتلى في كتابه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ *﴾ **[التوبة: 117، 118]**.

وتضمنت هذه الآيات إخبار الله تعالى عن توبته على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، والتي تسمى غزوة العسرة فلم يتخلفوا عنه مع ما أصابهم فيها من الجهد والشدة والفقر، حتى جاء في بعض الروايات:

---

[1] ثم اهتديت، ص 115.

[2] تفسير الطبري (372/6).

[3] الانتصار للصحب والال، ص 327.

[4] تفسير ابن كثير (372/2).

[5] البخاري، رقم 4118؛ مسلم، رقم 2769.

أن النفر منهم كانوا يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليها حتى تأتي على آخرهم[1].

كما تضمنت توبة الله على الثلاثة المخلفين، الذين تأخروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة بعد هجر النبي صلى الله عليه وسلم لهم، وندمهم ندماً عظيماً حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت[2].

فلم يبق بعد ذلك عذر لأحد في النيل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو غمزهم بشيء مما قد يقع منهم، بعد مغفرة الله لهم وتوبته عليهم، وثنائه عليهم الثناء العظيم في كتابه، وتزكية الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في سنته رضي الله عنهم[3].

وأما اقتتال الصحابة رضي الله عنهم فقد نشأ في عهد علي رضي الله عنه، وقد تقدم الحديث عن أسباب الاختلاف بين الصحابة في الفتنة، وبيان وجهة كل فريق، وبراءتهم من كل ما يلصق بهم من ذلك، وأن عامة ما صدر منهم إنما كانوا مجتهدين فيه، ليس لأحد أن يذمهم بشيء منه وإنما الإمساك عن ما شجر بينهم والترحم عليهم هو السبيل الأمثل، والمنهج الأقوم في حقهم، فرضي الله عنهم أجمعين[4].

د. حديث المذادة عن الحوض:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أرى يخلص منهم إلا همل النعم»[5]. فقال صلى الله عليه وسلم : «إني فرطكم على الحوض؛ من مر عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي»[6].

يقول بعض الشيعة: فالمتمعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم؛ لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا، بل ارتدوا على أدبارهم بعده صلى الله عليه وسلم إلا القليل الذين عبر عنه بهمل النعم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث: وهم المنافقون؛ لأن النص يقول: فأقول أصحابي، ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فأصبح المنافق بعد وفاة النبي صلى الله

---

[1] تفسير الطبري (502/6) ؛ تفسير البغوي (333/2).
[2] الانتصار للصحب والال ، ص 329.
[3] المصدر السابق نفسه ، ص 328.
[4] المصدر السابق نفسه ، ص 330.
[5] البخاري ، كتاب الرقاق ، رقم 6584 ، 6587.
[6] مسلم ، كتاب الفضائل (1793/4).

عليه وسلم مؤمناً[1].

والرد على هذه الشبهة كالتالي، إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مما لا يقبل النزاع في عدالتهم أو التشكيك في إيمانهم بعد تعديل العليم الخبير لهم في كتابه، وتزكية رسوله لهم في سنته، وثناء الله ورسوله عليهم أجمل الثناء، ووصفهم بأحسن الصفات، مما هو معلوم ومتواتر من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ـ ويأتي بيان ذلك بإذن الله ..

ولهذا اتفق شراح الحديث من أهل السنة، على أن الصحابة غير معنيين بهذه الأحاديث وأنها لا توجب قدحاً فيهم، قال ابن قتيبة ـ في معرض رده على الشيعة الرافضة في استدلالهم بالحديث على ردة الصحابة: فكيف يجوز أن يرضى الله ـ عز وجل ـ عن أقوام ويحمدهم، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم! وهذا هو شر الكافرين[2].

وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد من جفاة العرب، ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين، ويدل القول: (أصيحابي) على قلة عددهم[3].

وقال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله صلى الله عليه وسلم : «هل تدري ما أحدثوا بعدك»: هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:

أ ـ إن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك. أي: لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

ب ـ إن المراد من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بعده فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم إن لم يكن عليكم سيما الوضوء لما كان يعرفه صلى الله عليه وسلم في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

ج ـ إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب[4].

ونقل هذه الأقوال، أو قريباً منها، القرطبي وابن حجر ـ رحمهما الله تعالى[5].

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، ففي

---

[1] ثم اهتديت ، ص 119.

[2] تأويل مختلف الحديث ، ص 279.

[3] فتح الباري (285/11).

[4] شرح صحيح مسلم (136/3 ـ 137).

[5] المفهم للقرطبي (504/1) ؛ فتح الباري (385/11).

بعضها يقول النبي صلى الله عليه وسلم : «فأقول: أصحابي أو أصيحابي» . بالتصغير .، وفي بعضها يقول: «سيؤخذ أناس من دوني فأقول: يا ربي مني ومن أمتي». وفي بعضها يقول: «ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني»[1].

وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة، فإن العقوبات في الشارع تكون بحسب الذنوب، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب[2]، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بين سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله: إنهم ارتدوا على أدبارهم، أو الإحداث في الدين، كما في قوله: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك[3]، فمقتضى ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم من الأعراب، أو من كان بعد ذلك، يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم.

قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم[4].

وقال القرطبي في التذكرة: قال علماؤنا . رحمة الله عليهم أجمعين . فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون[5].

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به الشيعة الرافضة، فالذود عن الحوض، إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدّين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، على ما روى الطبري في تأريخه بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: قد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم وقلتهم وكثرة عدوهم[6].

ومع هذا تصدى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المرتدين وقاتلوهم قتالاً عظيماً وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم،

---

(1) الروآيات في البخاري ، كتاب الرقاق ، فتح الباري (463/11 . 465).
(2) الانتصار للصحب والال ، ص 354.
(3) مسلم ، كتاب الفضائل ، إثبات الحوض (1792/4 . 1082)
(4) شرح النووي على صحيح مسلم (137/3).
(5) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الاخرة (348/1).
(6) الانتصار للصحب والال ، ص 356 ، نقلاً عن تاريخ الطبري (225/3).

فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ. وكذلك أهل البدع كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أشد الناس إنكاراً عليهم، ولهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرؤوا منها ومن أهلها؛ فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال لمن أخبره عن مقالة القدرية: إذا لقيت هؤلاء، فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء، وهم منه براء ثلاث مرات[1].

ويقول البغوي ناقلاً إجماع الصحابة وسائر السلف على معاداة أهل البدع: وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا، مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم[2].

وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم، وقوة إيمانهم وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع، الأمر الذي يظهر به كذب الرافضة في رميهم لهم بالردة والإحداث في الدين، والذود عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم، بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته، ولا يشكل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : «ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني»[3]، فهؤلاء هم من مات النبي صلى الله عليه وسلم وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد ذلك، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء في علم النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه، لأنه مات وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد وفاته، ولذا يقال له: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، وفي بعض الروايات: «إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك؛ إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري»[4].

فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وأين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار، من أولئك المنقلبين على أدبارهم، وهؤلاء المرتدون لا يدخلون عند أهل السنة في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق، فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام[5].

---

[1] السنة لعبد الله بن أحمد (420/2).
[2] شرح السنة للبغوي (194/1).
[3] البخاري ، رقم 6582.
[4] مسلم ، الفضائل ، (1796/4).
[5] الإصابة في تمييز الصحابة (7/1).

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم : «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»[1]، واحتجاج الشيعة الرافضة به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فالحجة له فيه، لأن الضمير في قوله (منهم) إنما يرجع على أولئك القوم الذين يدنون من الحوض ثم يذادون عنه، فلا يخلص منهم إلا القليل، وهذا ظاهر من سياق الحديث؛ فإن نصه: «بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هَلمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم»[2]، فليس في الحديث للصحابة ذكر وإنما ذكر زمراً من الرجال يذادون من دون الحوض ثم لا يصل إليه منهم إلا القليل[3]، قال ابن حجر في شرح الحديث عند قوله: «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم»: يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه، والمعنى لا يرده منهم إلا القليل لأن الهَمَل في الإبل قليل بالنسبة لغيره[4]، ولهذا يظهر بطلان احتجاج الشيعة الرافضة وتلبيسهم وبراءة الصحابة من طعنهم وتجريحهم[5].

2. عدالة الصحابة:

إن تعريفات أهل العلم للعدالة في الاصطلاح ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة، ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي، وأن يبعد عما يخل بالمروءة، ولا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ، والعقل، والسلامة من الفسق، ولم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجميعهم رضي الله عنهم عدول تحققت فيهم صفة العدالة[6]، والمراد بها رواياتهم للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحقيقتها: التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها، قال العلامة الدهلوي: ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم من دخل منهم في الفتنة والمشاجرات، فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم أشد الذنوب، ويحترزون عنه غاية الاحتراز كما لا يخفى على أهل السير[7].

ولقد تضافرت الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مما لا يبقى معها الشك لمرتاب في تحقيق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله، ويدب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه النبي صلى الله عليه

---

[1] البخاري ، رقم 6584 . 6587.

[2] المصدر السابق نفسه ، رقم 6584

[3] الانتصار للصحب والال ، ص 359.

[4] فتح الباري (474/11 . 475).

[5] الانتصار للصحب والال ، ص 360.

[6] عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (799/2).

[7] ظفر الأماني في مختصر الجرجاني للكنوي ، ص 506 ، 507.

وسلم؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[1].

❖ دلالة كتاب الله تعالى على تعديلهم رضي الله عنهم:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أن وسطاً بمعنى: عدولاً خياراً[2]، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة.

ب ـ قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم : أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول؛ وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك؟![3].

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ [التوبة: 100]. ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم: أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم، ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه، ومن أثنى الله تعالى عليه لهذا الثناء كيف لا يكون عدلاً، وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس؛ فكيف لا يثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين؟![4].

د ـ قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا*﴾[الفتح: 29] فهذا الوصف الذي وصفهم الله به في كتبه، وهذا الثناء الذي أثنى به عليهم لا يتطرق إلى النفس معه شك في عدالتهم.

---

[1] عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (800/2).

[2] الكفاية للخطيب البغدادي ، ص 64.

[3] عقيدة أهل السنة في الصحابة (802/2).

[4] المصدر السابق نفسه (804/2).

قال القرطبي رحمه الله عند تفسير هذه الآية: فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث، وهذا مردود؛ فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم، ورضي عنهم وأرضاهم، ووعدهم الجنة بقوله تعالى: ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *﴾، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك، وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد[1].

هـ قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ *وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *﴾ [الحشر: 8 . 9]. فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار؛ بهذا فسر أبو بكر الصديق هاتين الكلمتين من الايتين؛ حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطباً الأنصار: إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين)، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ *﴾ [التوبة: 119].

فهذه الصفات الحميدة في هاتين الايتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتصفوا بها، ولذلك ختم صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون، وختم صفات الذين ازروهم ونصروهم واثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون، وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول؛ فهذه الآيات التي أسلفناها من الآيات البينة الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم، فعدالتهم ثابتة بنص القرآن الكريم[2].

❖ وأما دلالة السنة على تعديلهم رضي الله عنهم:

فقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث يطول تعدادها، وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم؛ ومن تلك الأحاديث:

أ ـ ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي بكر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»[3] وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم: أن هذا القول صدر من النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم

---

[1] تفسير القرطبي (299/16).
[2] عقيدة أهل السنة في الصحابة (807/2).
[3] الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (91/1).

جمع من الصحابة في حجة الوداع، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم؛ حيث طلب منهم: أن يبلغوا ماسمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحداً[1].

قال ابن حبان: وفي قوله صلى الله عليه وسلم : «ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»: أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف، إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله صلى الله عليه وسلم وقال: ألا يبلغ فلان منكم الغائب، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم؛ دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدَّله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً[2].

ب ـ روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً؛ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[3]. وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أن الوصف لهم بغير العدالة سب؛ لا سيما وقد نهى صلى الله عليه وسلم بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه؛ لشهود المواقف الفاضلة، فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى[4]، فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم، وثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق[5].

ولو لم تكن عدالتهم منصوصاً عليها في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم استناداً إلى ما تواترت به الأخبار عنهم؛ من الأعمال الجليلة والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة دين الله الحنيف، فقد بذلوا ما أمكنهم بذله في سبيل نصرة الحق ورفع رايته وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار رضي الله عنهم أجمعين.

والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا؛ فإن هذا لايكون إلا لمعصوم[6]، قال ابن الأنباري: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية، إلى أن ثبت ارتكاب قادح ولم يثبت ذلك ولله الحمد والمنة؛ فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يثبت خلافه، ولا الثقات إلى ما يذكره أهل السير، فإنه لا يصح وما صح فله

---

[1] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (807/2).

[2] الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (91/1).

[3] البخاري (292/2).

[4] فتح المغيث شرح ألفية الحديث (110/3 ـ 111).

[5] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (809/2).

[6] المصدر السابق نفسه.

تأويل صحيح[1].

❖ الإجماع على عدالتهم:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء؛ من لابس الفتن وغيرها، ولا يفرقون بينهم؛ الكل عدول إحساناً للظن بهم، ونظراً لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ولما لهم من المآثر الجليلة: من مناصرتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، والهجرة إليه، والجهاد بين يديه، والمحافظة على أمور الدين، والقيام بحدوده؛ فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف بحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله، وقد نقل الإجماع على عدالتهم جم غفير من أهل العلم، ومن تلك النقول:

أ ـ قال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ: بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي دلت على عدالة الصحابة، وأنهم كلهم عدول، قال: هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء[2].

ب ـ وقال أبو عمر بن عبد البر ـ رحمه الله ـ: ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول، فواجب الوقوف على أسمائهم[3].

ج ـ وحكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين ـ الجويني رحمه الله ـ، وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله: ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة، فلو ثبت توقف في رواياتهم؛ لانحصرت الشريعة على عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما استرسلت على سائر الأعصار[4].

د ـ ذكر ابن الصلاح: أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم، فقد قال: للصحابة بأسرهم خصيصة؛ وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه؛ لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به الإجماع من الأمة، وقال أيضاً: إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة[5] والله أعلم.

هـ قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ؛ بعد أن ذكر أن الحروب التي وقعت بينهم كانت عن اجتهاد وأن جميعهم معذورون رضي

---

[1] فتح المغيث (115/3).
[2] الكفاية ، ص 67.
[3] الاستيعاب على حاشية الإصابة (8/1).
[4] فتح المغيث شرح ألفية الحديث (112/3) ؛ وذكره السيوطي في تدريب الراوي (214/2).
[5] مقدمة ابن الصلاح ، ص 146 ـ 147.

الله عنهم فيما حصل بينهم، وقال: ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم[1]. وقال في التقريب: الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به[2].

و ـ وقال الحافظ ابن كثير: والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل[3].

ز ـ وقال العراقي في شرح ألفيته بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدالة الصحابة: إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان، فأجمع من يعتد به أيضاً: في الإجماع على تعديلهم وإحساناً للظن بهم، وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد[4].

ح ـ وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى؛ مبيناً أن أهل السنة مجمعون على عدالة الصحابة فقال: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة[5].

فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموماً أمر مفروغ منه ومسلم، فلا يبقى لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك[6].

3 ـ وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم:

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم، وتقديم حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك كله.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *﴾[الحشر: 10] هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو أحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفيء، روي

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (149/15).

(2) تقريب النووي مع شرح تدريب الراوي (214/2).

(3) الباعث الحثيث ، ص 181 ـ 182.

(4) شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة (13/3 ـ 14).

(5) الإصابة (17/1).

(6) عقيدة أهل السنة في الصحابة (813/2).

ذلك عن الإمام مالك وغيره.

قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم غلّ فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ: وقد فهم متقدمو أهل السنة والجماعة ومتأخروهم: أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار لهم من اللاحق للسابق، ومن الخلف للسلف، الذين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى مسلم بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: يا بن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم[1].

وروى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر، قال: حدثنا عبد الله بن زيد عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ: هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 8-9] ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10] ، قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة التي بقيت: أن تستغفروا لهم[2].

ولا يتردد من له أدنى علم في أن الشيعة الرافضة خارجون من هذه المنزلة؛ لأنهم لم يترحموا على الصحابة، ولم يستغفروا لهم، بل سبوهم وحملوا لهم الغل في قلوبهم، فحرموا من تلك المنزلة التي يجب على المسلم أن يكون فيها ولا يحيد عنها بحال حتى يلقى ربه[3].

وقد قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاؤوا من بعدهم؛ يستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين، وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم، وإخراج الرافضة من ذلك، وهذا ينقض مذهب الرافضة[4].

---

[1] تفسير القرطبي (32/18).

[2] مسلم (2317/4).

[3] منهاج السنة (153/1) ؛ المستدرك (484/2) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

[4] عقيدة أهل السنة (770/2).

4. تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم في الكتاب و السنة:

أ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِيناً *﴾[الأحزاب: 57]. وهذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرد والإبعاد من رحمة الله والعذاب المهين لمن اذاه ـ جل وعلا ـ بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك، وإيذاء رسوله[1]، يشمل كل أذية قولية أو فعلية من سب وشتم أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى[2]، ومما يؤذيه صلى الله عليه وسلم سب أصحابه وقد أخبر صلى الله عليه وسلم: أن إيذاءهم إيذاء له، ومن اذاه فقد اذى الله[3]، وأي أذية للصحابة أبلغ من سبهم، والآية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم رضي الله عنهم.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْمًا مُبِيناً *﴾ [الأحزاب: 58]. وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء لم يعملوه، ولم يفعلوه، والبهت الكبير: أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم[4].

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم: أنهم في صدارة المؤمنين؛ فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتتحة بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 104]، ومثل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: 107] في جميع القرآن؛ فالآية دلت على تحريم سب الصحابة؛ لأن لفظ المؤمنين أول ما ينطبق عليهم؛ لأن الصدارة في المؤمنين لهم رضي الله عنهم، وسبهم والنيل منهم من أعظم الأذى، وأن من نال منهم بذلك فقد اذى خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا وأن من اتخذ شتمهم والنيل منهم ديناً له فإن الوعيد المذكور في الآية يصيبه[5].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية: ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله عز وجل ـ قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً؛ فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين[6].

ج ـ قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ

---

(1) منهاج السنة (153/1) ؛ عقيدة أهل السنة (772/2).
(2) عقيدة أهل السنة في الصحابة (832/2).
(3) تفسير السعدي (121/6).
(4) مسند أحمد (87/4).
(5) تفسير ابن كثير (525/3).
(6) عقيدة أهل السنة في الصحابة (833/2).

فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: 29]. ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم: أنه لا يسبهم شخص إلا لما وجد في قلبه من الغيظ عليهم، وقد بيَّن تعالى في هذه الآية إنما يغاظ بهم الكفار، فدلت على تحريم سبهم، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب.

د ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»[1]. فهذا الحديث اشتمل على النهي والتحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم، وفيه التصريح بتحريم سبهم[2]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

- **نهي السلف عن سب الصحابة:**

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان، التي تقضي بتحريم سب الصحابة والدفاع عنهم؛ كثيرة جداً منها:

أ ـ قال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ:... إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء؛ فاتهمه على الإسلام[3].

ب ـ قال أبو زرعة الرازي ـ رحمه الله ـ: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[4].

ج ـ وقد ذكر الإمام الشوكاني، إجماع أهل البيت رضي الله عنهم، على تحريم سب الصحابة رضوان الله عليهم، من اثني عشر طريقاً[5]، وقد روى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى محمد بن علي بن الحسين بن علي أنه قال لجابر الجعفي: يا جابر بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر، ويزعمون أني امرهم بذلك! فأبلغهم عني أني إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم إن لم أكن أستغفر لهما، وأترحم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما، فأبلغهم أني بريء منهم، وممن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[6]. وروى أيضاً بسنده إلى عبد الله بن الحسن بن علي أنه قال: ما أرى رجلاً يسب أبا بكر

---

[1] عقيدة أهل السنة نقلاً عن تفسير ابن كثير.
[2] مسلم (1697/4 ـ 1968).
[3] عقيدة أهل السنة في الصحابة (838/2).
[4] مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ، ص 160.
[5] الكفاية في علم الرواية ، ص 67.
[6] إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ، ص 50 ـ 64.

وعمر تيسر له توبة أبداً[1].

5. حب أمير المؤمنين علي وأبنائه الصحابة:

الصورة الحقيقية الناصعة البياض تبقى وما سواها يزول، إنها تتجلى في أهم كتاب عند الشيعة الاثني عشرية (نهج البلاغه)، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده، فهذا أمير المؤمنين علي يصور لنا بنفسه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما راهم وعاينهم، إذ يقول: لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم؛ لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاء الثواب[2].

وهو يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أي محب فارق من يحبه فيقول: أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض أطرافها زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، مُره العيون من البكاء، خُمص البطون من الصيام، ذُبل الشفاه من الدعاء، صُفر الألوان من السهر،

على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعضّ الأيدي على فراقهم[3].

فيا أحباب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، تأملوا في نظرته إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما الإمام علي بن الحسين ـ زين العابدين ـ رحمه الله ـ فكان يذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة؛ لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه، فيقول: فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ علقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في قرابته، اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضِهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة العيش إلى ضيقه، ومن أكثره في اعتزاز دينك إلى أقله، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، والذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو اثارهم والائتمام بهداية منارهم، مكانفين ومؤازرين لهم، يدينون

---

[1] البداية والنهاية (349/9).

[2] عقيدة أهل السنة في الصحابة (851/2).

[3] نهج البلاغة ، ص 182 . 189 ؛ ثم أبصرت الحقيقة ، ص 324.

بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم[1].

فهذا موقف أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم من الصحابة لا ما يدعيه المندسون من الرافضة والمتسترون بستار التشيع، أعداء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وأئمة أهل البيت الأطهار.

سابعاً: موقف الشيعة من السنة النبوية:

معنى السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير[2]، ولقد اهتم علماء أهل السنة بتدوين السنة الصحيحة وبذلوا جهوداً عظيمة من أجل حمايتها من الوضع والوضاعين، وقد بذلوا جهداً لا مزيد عليه، وقد سلكوا طرقاً هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا رحمهم الله، هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها، وأن جهدهم في ذلك جهد تفاخر به الأجيال، وتتيه به على الأمم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

وقد سار علماء السنة على الخطوات التالية في سبيل النقد حتى أنقذوا السنة مما دُبّر لها من كيد، ونظفوها مما علق بها من أوحال[3].

1 . إسناد الحديث: لم يكن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته يشك بعضهم في بعض، ولم يكن التابعون يتوقَّفون عن قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى وقعت الفتنة، وقام اليهودي الخاسر عبد الله بن سبأ بدعوته الاثمة التي يتبناها على فكرة التشيع الغالي القائل بألوهية علي رضي الله عنه، وأخذ الدس على السنة يربو عصراً بعد عصر، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرون في نقل الأحاديث ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها ورواتها، واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم.

يقول ابن سيرين فيما يرويه عنه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم، وقد ابتدأ هذا التثبيت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن مجاهد: أن بشيراً العدوي جاء إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله كذا، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا بن عباس ما لي أراك لا تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة

---

[1] نهج البلاغة ، ص235 ، ثم أبصرت الحقيقة ، ص 325.

[2] صحيفة كاملة لزين العابدين ، ص 13 ، نقلاً عن ثم أبصرت الحقيقة ، ص 329.

[3] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص 47.

إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله؛ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه باذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.

ثم أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب يقول أبو العالية: كنا نسمع الحديث من الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم. ويقول ابن المبارك:

الاسناد من الدين، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء. ويقول ابن المبارك أيضاً: بيننا وبين القوم القوائم. يعني الإسناد[1].

2. التوثق من الأحاديث؛ وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين وأئمة هذا الفن، فلقد كان من عناية الله بسنة نبيه أن مدّ في أعمار عدد من أقطاب الصحابة وفقهائهم، ليكونوا مرجعاً يهتدي الناس بهديهم، فلما وقع الكذب لجأ الناس إلى هؤلاء الصحابة يسألونهم ما عندهم أولاً، ويستفتونهم فيما يسمعونه من أحاديث واثار، ولهذا الغرض كثرت رحلات التابعين بل بعض الصحابة أيضاً من مصر إلى مصر ليسمعوا الأحاديث الثابتة من الرواة الثقاة، ولذلك سافر جابر بن عبد الله إلى الشام، وأبو أيوب إلى مصر لسماع الحديث.

3. نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق وكذب، وهذا باب عظيم وصل منه العلماء إلى تمييز الصحيح من المكذوب، والقوي من الضعيف، وقد أبلوا فيه بلاءً حسناً، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم وما خفي من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم في الله لومة لائم[2].

وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب، ومن أهم أصناف المتروكين الذين لا يؤخذ حديثهم:

أ. الكذّابون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أجمع أهل العلم على أنه لا يؤخذ حديث من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، كما أجمعوا على أنه من أكبر الكبائر، واختلفوا في كفره: فقال به جماعة، وقال آخرون بوجوب قتله، واختلفوا في توبته هل تقبل أم لا؟

ب. الكذّابون في أحاديثهم العامة ولو لم يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اتفقوا على أن من عُرف عنه الكذب ولو مرة واحدة ترك حديثه.

ج. أصحاب البدع والأهواء: وكذلك اتفقوا على أنه لا يقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر ببدعته، وكذا إذا استحل الكذب وإن لم يكفر ببدعته، أما إذا لم يستحل الكذب فهل يقبل أم لا؟ أو يفرق بين كونه داعية أو غير داعية؟ قال ابن

---

[1] المصدر السابق نفسه، ص 90.

[2] مقدمة صحيح مسلم (10/1).

كثير: في ذلك نزاع قديم وحديث، والذي عليه الأكثرون التفصيل بين الداعية وغيره[1]. والذي يظهر لي أنهم يرفضون رواية المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته، أو كان من طائفة عرفت بإباحة الكذب ووضع الحديث في سبيل أهوائها، ولهذا رفضوا رواية الرافضة، وقبلوا رواية المبتدع إذا كان هو أو جماعته لا يستحلون الكذب كعمران بن حطان[2].

د ـ الزنادقة والفساق والمغفلون الذين لا يفهمون ما يحدثون، وكل من لا تتوفر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم.

وقد وضع علماء الحديث القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث، ووضعوا قواعد لمعرفة الموضوع، وذكروا له علامات يعرف بها، كركاكة اللفظ، وفساد المعنى، ومخالفته لصريح القرآن، ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها من العلامات[3].

وبتلك الجهود الموفقة استقام أمر الشريعة بتوطيد دعائم السنة التي هي ثاني مصادرها التشريعية، واطمأن المسلمون إلى حديث نبيهم، فأقصي عنه كل دخيل، ومُيِّز بين الصحيح والحسن والضعيف، وصان الله شرعه من عبث المفسدين ودس الدساسين وتامر الزنادقة والشعوبيين، وقطف المسلمون ثمار هذه النهضة الجبارة المباركة التي كان من أبرزها: تدوين السنة وعلم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلوم الحديث[4].

- **موقف الشيعة من السنة بسبب تكفيرهم للصحابة:**

كانت لنظرة الشيعة ورأيهم في الإمامة أثر في تكفيرهم لمعظم الصحابة رضي الله عنهم، وهذا التكفير الشنيع ترتب عليه إنكار الشيعة لكل الأحاديث التي وردت عن طريق الصحابة، ولم يقبلوا إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت أو ممن نسبوهم إلى التشيع كسلمان الفارسي، وعمّار بن ياسر، وأبو ذر، والمقداد بن الأسود، وقد شنوا هجوماً عنيفاً على رواة الحديث كأبي هريرة، وسمرة بن جندب، وعروة بن الزبير، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وغيرهم واتهموهم بالوضع والتزوير والكذب[5]، واعتبر الإمام عبد القاهر البغدادي الشيعة من المنكرين للسنة لرفضهم قبول مرويات صحابة رسول الهدى ـ عليه الصلاة والسلام ـ[6].

فالشيعة تحارب السنة، ولهذا فإن أهل السنة اختصوا بهذا الاسم لاتباعهم سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم[7]، هذا ما جاء في بعض مصادر أهل السنة، ولكن الشيعة تروي عن أئمتها: أن كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا

---

(1) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص 91.
(2) السنة ومكانتها في التشريع ، ص 93.
(3) المصدر السابق نفسه ، ص 94.
(4) المصدر السابق نفسه ، ص 94 ، إلى 97 ، 98.
(5) المصدر السابق نفسه ، ص 103.
(6) أضواء على محب الدين ، ص 48 ، 65 ، 68.
(7) الفرق بين الفرق ، ص 322 ، 327 ، 346.

يوافق كتاب الله فهو زخرف[1]، وبهذا المعنى روايات أخر[2] عندهم. وهو يفيد أن الشيعة لا تنكر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل تعتمد عليها، وتجعلها مع كتاب الله الميزان والحكم.

والدارس لنصوص الشيعة ورواياتها ينتهي إلى الحكم بأن معظم رواياتهم وأقوالهم تتجه اتجاهاً مجانفاً للسنة التي يعرفها المسلمون، في الفهم والتطبيق، وفي الأسانيد والمتون ويتبين ذلك فيما يلي:

1 . قول الإمام كقول الله ورسوله: فالسنة عندهم هي: كل ما يصدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير[3]، ومن لا يعرف طبيعة مذهبهم لا يلمح مدى مجانبتهم للسنة في هذا القول، إذ إن المعصوم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتجعل كلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله، وهم الأئمة الاثنا عشر، لا فرق عندهم في هذا بين هؤلاء الاثني عشر وبين من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى[4]؛ فهم: ليسوا من قبيل الرواة عن النبي والمحدثين عنه، ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات في الرواية، بل لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي[5].

ولا فرق في كلام هؤلاء الاثني عشر بين سن الطفولة، وسن النضج العقلي، إذ إنهم . في نظرهم . لا يخطئون عمداً ولا سهواً ولا نسياناً طوال حياتهم .كما مرّ معنا في مسألة العصمة .، ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين: إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الحال عند أهل السنة[6]، فالسنة عندهم ليست سنة النبي فحسب، بل سنة الأئمة، وأقوال هؤلاء الأئمة كأقوال الله ورسوله، ولهذا اعترفوا بأن هذا مما ألحقته الشيعة بالسنة المطهرة قالوا: وألحق الشيعة الإمامية كل ما يصدر عن أئمتهم الاثني عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة[7].

وهم يقولون بهذا القول من منطلقين خطيرين، وقاعدتين أساسيتين عندهم في هذه المسألة، وقد أشار أحد شيوخهم المعاصرين إليهما حينما ذكر أن قول الإمام عندهم يجري مجرى قول النبي صلى الله عليه وسلم، من كونه حجة على العباد واجب الاتباع، وأنهم لا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي، فبين أن ذلك يتحقق لهم من طريقين: من طريق

---

[1] منهاج السنة (175/2).
[2] صحيح الكافي (11/1) للبهودي ؛ أصول الشيعة الإمامية (373/1).
[3] أصول الشيعة الإمامية (373/1).
[4] الأصول العامة للفقه المقارن ، ص 122 ؛ محمد تقي الحكيم ، ص 122.
[5] أصول الشيعة الإمامية (374/1).
[6] أصول الفقه المقارن (51/3)؛ أصول الشيعة (374/1).
[7] تاريخ الإمامية ، عبد الله فياض ، ص 140.

الإلهام كالنبي من طريق الوحي، أو من طريق التلقي عن المعصوم قبله[1].

وهم يزعمون أن الأئمة هم خزنة علم الله ووحيه، وقد عقد صاحب الكافي باباً بهذا بعنوان: باب أن الأئمة ـ عليهم السلام ـ ولاة أمر الله وخزنة علمه[2]، وضمن هذا الباب ست روايات في هذا المعنى، وباباً آخر بعنوان: إن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم[3]، وفيه سبع روايات، وباباً ثالثاً بعنوان: أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل ـ عليهم السلام [4]، وفيه أربع روايات[5].

وقد توسع الشيعة الرافضة في هذا الباب.

ونكتفي بهذا القدر من المصادر الوهمية التي تزعمها الرافضة، والتي يغني في بيان فسادها مجرد عرضها وتصورها، ونتيجة لذلك التصور عن الأئمة فإن الشيعة الرافضة لم يهتموا بصحة الإسناد وتقويم الرجال، كما اهتم علماء الحديث من أهل السنة، وفي الوقت الذي رفض فيه الشيعة صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنة المعتمدة الموثقة،

اعتمدوا في أحاديثهم على ما نقله الكليني الذي سبق أن أوردنا أقواله في كثير من عقائدهم واعتبروه حجة، ويعتبر كتابه (الكافي)[6]، من أقدم كتب الشيعة في الحديث وأوثقها عندهم، ويصور أحد الشيعة مكانة هذا الكتاب لديهم فيقول: وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب، والأخذ به والثقة بخبره، والاكتفاء بأحكامه، وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره، على أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم، وعندهم أجل وأفضل من جميع أصول الأحاديث، علماً بأن جل ما في الكافي كما يقول أبو زهرة أخبار تنتهي عند الأئمة، ولا يصح أن نقول أنه يذكر سنداً متصلاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا أنه يدعي أن هذه أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، إلا على أساس أن أقوال أئمتهم هي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها دين الله تعالى..

وأكثر ما يروى في الكافي واقف عند الصادق، وقليل منه ما يعلو إلى أبيه الباقر، وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ونادراً ما يقف عند النبي صلى الله عليه وسلم[7].

كما أن هناك كتاب: (من لا يحضره الفقيه) جمعه أبو جعفر محمد بن علي بن موسى بن بابويه، الذي يلقبونه بالشيخ

---

(1) سنة أهل البيت ، محمد تقي الحكيم ، ص 90.

(2) أصول الشيعة الإمامية (377/1).

(3) أصول الكافي (192/1 . 193).

(4) المصدر السابق نفسه (223/1 . 226).

(5) أصول الشيعة (385/1).

(6) المصدر السابق نفسه (385/1 ، 386).

(7) أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله للسالوس ، ص 274 . 275.

الصدوق، وهو أيضاً من أكبر علمائهم بخراسان (توفي 381 هـ).

ومن الكتب المعتمدة عند الشيعة كتابا: (تهذيب الأحكام) و(الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) لمحمد بن الحسن الطوسي، وهذه الكتب الشيعية مليئة بعشرات الألوف من الأحاديث التي لا يمكن إثبات صحتها، بل معظمها موضوع مختلق[1]، مثل ما سبق أن أشرنا إليه، من الأحاديث التي اعتمدوا عليها في دفاعهم عن أحقية علي بالإمامة.

من هذا العرض لآراء الشيعة ومعتقداتهم، والشيعة يعترفون . أو على الأقل بعض منهم . بأن في تلك الكتب بعض الروايات الموضوعة، كما أنهم أنفسهم جرحوا بعض رواتهم، وإذا كان الأمر كذلك فيمكن أن يأخذ الشيعة بوصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قال:.. الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن؛ فما عرفه القرآن، فالزموه، وما أنكره فردوه[2]. وقوله رضي الله عنه: واقتدوا بهدي نبيكم صلى الله عليه وسلم؛ فإنه أفضل الهدي واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن[3].

وأن يلتزموا بطريقة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فهم الأحكام من القرآن الكريم ومعاني الآيات، فيلتزموا بظاهر القرآن الكريم، وحمل المجمل على المفسر، والمطلق على المقيد، وأن يراعوا الناسخ والمنسوخ والنظر في لغة العرب، وفهم النص بنص آخر، والسؤال عن مشكله، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، وأن يتعلموا من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كيف يحترموا مقام النبوة، ويتعاملوا مع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وفق هديه الذي بينته في هذا الكتاب، ثم يعرضوا رواياتهم التي في كتبهم على العدلين، كتاب الله وسنة رسوله، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قبلوه وما خالفها ينبذوه، ويحذِّروا أتباعهم منه، وخصوصاً تلك الروايات التي تسيء إلى أئمتهم أنفسهم فضلاً عن الإسلام.

إن دين الله كمل، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3]، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل إليه، وامتثل أمر ربه في قوله: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: 67].

وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين، وأقام الحجة على العالمين، وأعلن ذلك بين المسلمين، ولم يسرّ لأحد بشيء من الشريعة ويستكتمه إياه، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: 187].

فهو بيان للناس وليس لفئة معينة من أهل البيت، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ *إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ *﴾ [البقرة: 159 . 160]، وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[النحل: 64]. فالدين قد تم

---

[1] الإمام الصادق ، أبو زهرة ، ص 429.

[2] الخطوط العريضة ، ص 49.

[3] البداية والنهاية (246/7).

وكمل لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يبدل[1]، لا من إمام مزعوم، ولا من غائب موهوم[2].

وقد ودع المصطفى الدنيا بعد أن بلغ الدين كله، وبيَّن جميعه كما أمره ربه، قال صلى الله عليه وسلم : «تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[3]، وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا محمد صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً[4].

ثامناً ـ التقية عند الشيعة:

1 ـ وأما تعريفها عند الشيعة الرافضة فيقول شيخهم المفيد:

التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه. وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا[5].

ويقول يوسف البحراني ـ أحد كبار علمائهم في القرن الثاني عشر ـ: المراد بها إظهار موافقة أهل الخلاف في ما يدينون به، خوفاً[6].

ويقول الخميني: التقية معناها: أن يقول الإنسان قولاً مغايراً للواقع، أو يأتي بعمل مناقض لموازين الشريعة وذلك حفاظاً لدمه أو عرضه أو ماله[7].

فهذه ثلاث تعريفات للتقية لثلاثة من كبار علماء الشيعة الرافضة جاؤوا في فترات زمنية مختلفة، وهذه التعريفات تدور حول أربعة أحكام رئيسة للتقية عندهم وهي:

- أن معنى التقية أن يظهر الإنسان لغيره خلاف ما يبطن.
- أن التقية تستعمل مع المخالفين، ولا يخفى دخول كافة المسلمين تحت هذا العموم.
- أن التقية تكون فيما يدين به المخالفون من أمور الدين.
- أن التقية إنما تكون عند الخوف على الدين أو النفس أو المال، وهذه أربعة أحكام هي محور عقيدة التقية عندهم[8].

---

[1] المصدر السابق نفسه (319/7).
[2] المحلى (26/1).
[3] أصول الشيعة الإمامية (398/1).
[4] هذا المعنى صحح الألباني ـ رحمه الله ـ معظمه.
[5] مسند أحمد (153/5).
[6] تصحيح الاعتقاد ، ص 115.
[7] الكشكول (202/1).
[8] بذل المجهود (638/2).



2 . وأما مكانتها عند الشيعة الرافضة:

فهي تحتل منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، دلت عليها روايات عديدة جاءت في أمهات الكتب عندهم، فقد روى الكليني وغيره عن جعفر الصادق : أنه قال: التقية من ديني ودين ابائي، ولا إيمان لمن لا تقية له[1].

وعن أبي عبد الله أنه قال: إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين[2].

وفي المحاسن: عن حبيب بن بشير، عن أبي عبد الله أنه قال: لا والله ما على الأرض شيء أحب إلي من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم يكن له تقية وضعه الله[3].

وفي أمالي الطوسي عن جعفر الصادق: أنه قال: ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية[4].

وفي الأصول الأصيلة: عن علي بن محمد من مسائل داود الصرمي قال: قال لي: يا داود لو قلت لك: إن تارك التقية كتارك الصلاة؛ لكنت صادقاً[5].

وعن الباقر أنه سئل: من أكمل الناس ؟ قال: أعلمهم بالتقية وأقضاهم لحقوق إخوانه[6].

وعنه أيضاً أنه قال: أشرف أخلاق الأئمة الفاضلين من شيعتنا استعمال التقية[7].

فدلت هذه الروايات على مكانة التقية عندهم، ومنزلتها العظيمة في دينهم، إذ التقية عند الشيعة الرافضة من أهم أصول الدين، فلا إيمان لمن لا تقية له، والتارك للتقية كالتارك للصلاة، بل إن التقية عندهم أفضل من سائر أركان الإسلام، فالتقية تمثل تسعة أعشار دينهم وسائر أركان الإسلام وفرائضه وتمثل العشر الباقي[8]، وقد ذكر صاحب الكافي أخبارها في (باب التقية)[9]، و(باب الكتمان)[10] و(باب الإذاعة)[11]، وذكر المجلسي في بحاره من رواياتهم فيها مئة وتسع روايات في باب عقده بعنوان (باب التقية والمداراة)[12].

---

[1] أصول الكافي (219/2) ؛ المحاسن ، ص 255.
[2] أصول الكافي (217/2) ؛ بذل المجهود (236/2).
[3] المحاسن للبرقي ، ص 257.
[4] أمالي الطوسي ، ص 287.
[5] الأصول الأصيلة ، عبد الله شبر ، ص 320.
[6] المصدر السابق نفسه ، ص 324.
[7] المصدر السابق نفسه ، ص 323.
[8] بذل المجهود (637/2).
[9] أصول الكافي (217/2).
[10] المصدر السابق نفسه (221/2).
[11] المصدر السابق نفسه (369/2).
[12] بحار الأنوار (393/75 . 443).

3 . وأما سبب هذا الغلو في أمر التقية فيعود إلى عدة أمور منها:

أ . أن الشيعة الرافضة تعد إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار، مع أن علياً. رضي الله عنه . بايعهم وصلى خلفهم، وجاهد معهم، وزوج عمر ابنته أم كلثوم، وتسرى من جهاده مع أبي بكر، ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئاً مما فعله أبو بكر وعمر، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساسه، فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتقية[1]، واستخدموا مبدأ التقية لتفسير أحداث تاريخهم، فذهبوا إلى أن سكوت علي عن أبي بكر وعمر . رضي الله عنهم جميعاً . كان تقية، وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية كان تقية، واختفاء أئمتهم وسترهم كان تقية منهم، وهكذا يمكن تفسير كل الأحداث التي تناقض عقيدتهم بالتقية[2].

ب . أنهم قالوا بعصمة الأئمة، وأنهم يسهون ولا يخطئون ولا ينسون، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم، وحتى إن روايات الشيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة حتى لا يوجد خبر منها إلا وبإزائه ما يناقضه، كما اعترف بذلك شيخهم الطوسي[3]، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله، فقالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم على الأئمة، روى صاحب الكافي عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله . عليه السلام .: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيه بجواب آخر؟ فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان[4]. قال شارح الكافي: أي:

زيادة حكم عند التقية، ونقصانه عند عدمها.. ولم يكن ذلك مستنداً إلى النسيان والجهل بل لعلمهم بأن اختلاف كلمتهم أصلح لهم، وأنفع لبقائهم، إذ لو اتفقوا لعرفوا بالتشيع، وصار ذلك سبباً لقتلهم وقتل الأئمة عليهم السلام[5].

ج . تسهيل مهمة الكذابين على الأئمة، ومحاولة التعتيم على حقيقة مذهب أهل البيت؛ بحيث يوهمون الأتباع أن ما ينقله (واضعو مبدأ التقية) عن الأئمة هو مذهبهم، وأن ما اشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه، ويفعلونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم، وإنما يفعلونه تقية، فيسهل عليهم بهذه الحيلة أقوال الأئمة، والدس عليهم، وتكذيب ما يروى عنهم من حق، فتجدهم مثلاً يردون كلام الإمام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذي قاله أمام ملأ من الناس، أو نقله العدول من المسلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السنة، فاتقى في كلامه، ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة أمثال جابر الجعفي بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيه في كلامه.

---

[1] أصول الشيعة الإمامية (984/2).

[2] دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين ، ص 217.

[3] أصول الشيعة الإمامية (985/2).

[4] أصول الكافي (65/1).

[5] شرح جامع للمازندراني (65/1).

وبحسبك أن تعرف أن الإمام زيد بن علي وهو من أهل البيت، يروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ كما تنقله كتب الاثني عشرية نفسها، أنه غسل رجليه في الوضوء، ولكن من يلقبونه بـ (شيخ الطائفة) لا يأخذ بهذا الحديث، ولا يجد حجة يحتج بها سوى التقية، فهو يورد الحديث في الاستبصار عن زيد بن علي عن جده علي بن أبي طالب قال: جلست أتوضأ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتدأت الوضوء ـ إلى أن قال ـ وغسلت قدمي، فقال لي: يا علي خلل بين الأصابع ولا تخلل بالنار[1]، فأنت ترى أن علياً كان يغسل رجليه في وضوئه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكد عليه بأن يخلل أصابعه، والشيعة تخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدي علي رضي الله عنه في ذلك، ولا تلتفت لمثل هذه الروايات، وإن جاءت في كتبها بروايات أئمة أهل البيت، ولا يكلف شيوخ الشيعة أنفسهم بالتفكر في أمر هذه الروايات ودراستها، فلديهم هذه الحجة الجاهزة[2] (التقية).

ولهذا قال الطوسي: هذا خبر موافق للعامة ـ يعني أهل السنة ـ، وقد ورد مورد التقية؛ لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا ـ عليهم السلام ـ القول بالمسح على الرجلين، ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة، ورجال الزيدية، وما يختصون به[3] لا يعمل به.

وفي النكاح: جاءت عندهم روايات في تحريم المتعة؛ ففي كتبهم عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام ـ قال: حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة[4].

وقال شيخهم الحر العاملي أقول: حمله الشيخ[5] وغيره على التقية، يعني في الرواية، لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية[6].

وفي قسمة المواريث أن المرأة لا ترث من العقار والدور والأرضين شيئاً[7]، ولما يأتي عندهم نص عن الأئمة يخالف ذلك، وهو حديث أبي يعقوب عن أبي عبد الله قال: سألته عن الرجل: هل يرث من دار امرأته أو أرضها من التربة شيئاً؟ أو يكون في ذلك منزلة المرأة فلا يرث من ذلك شيئاً؟ فقال يرثها وترثه من كل شيء ترك وتركت[8]. قال الطوسي: نحمله على التقية، لأن جميع من خالفنا يخالف في هذه المسألة، وليس يوافقنا عليها أحد من العامة، وما يجري هذا المجرى يجوز التقية فيه[9].

---

[1] الاستبصار (65/1 ، 66).
[2] أصول الشيعة الإمامية (987/2).
[3] الاستبصار (65/1 ، 66).
[4] تهذيب الأحكام للطوسي (184/2).
[5] إذا أطلق الشيخ في كتب الشيعة ؛ فالمراد به شيخهم الطوسي
[6] وسائل الشيعة (441/7).
[7] الاستبصار للطوسي (151/4 . 155).
[8] المصدر السابق نفسه (154/4).
[9] المصدر السابق نفسه (155/4).

د ـ وضع مبدأ التقية لعزل الشيعة عن المسلمين لذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط؛ يقول إمامهم (أبو عبد الله): ما سمعت مني يشبه قول الناس فيه التقية، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه[1].

وقد كان من اثار عقيدة التقية ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة، حتى إن شيوخهم لا يعلمون في الكثير من أقوالهم أيها تقية وأيها حقيقة[2]. ووضعوا لهم ميزاناً، أخرج المذهب إلى دائرة الغلو، وهو أن من خالف العامة فيه الرشاد[3].

وقد اعترف صاحب الحدائق بأنه لم يعلم من أحكام دينهم إلا القليل بسبب التقية، حيث قال: فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل لامتزاج أخباره بأخبار التقية، كما قد اعترف بذلك ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في جامعه الكافي، حتى إنه تخطئ العمل بالترجيحات المروية عند تعارض الأخبار، والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة الأبرار[4].

وأما تطبيق التقية عندهم خير كاشف بأن تقيتهم غير مرتبطة بحالة الضرورة، وقد اعترف يوسف البحراني بأن الأئمة: يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام، فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة، وإن لم يكن بها قائل من المخالفين[5].

4 ـ مفهوم التقية عند أهل السنة:

إن مفهوم التقية في الإسلام غالباً، إنما هي مع الكفار، قال تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: 28]. قال ابن جرير الطبري: التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا غيرهم[6]، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل، ومجاهد: كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا منهم تقاة[7].

ولكن تقية الشيعة هي مع المسلمين ولا سيما أهل السنة، حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية كما قرره شيخهم المفيد، وكما تلحظ ذلك من نصوصهم التي ينسبونها للأئمة، لأنهم يرون أهل السنة أشد كفراً من اليهود والنصارى، لأن منكر إمامة الاثني عشر أشد من منكر النبوة[8].

والتقية رخصة في حالة الاضطرار، ولذلك استثناها ـ سبحانه ـ من مبدأ النهي عن موالاة الكفار فقال سبحانه: ﴿لاَ يَتَّخِذِ

---

[1] بحار الأنوار (252/2).
[2] أصول الشيعة الإمامية (989/2).
[3] المصدر السابق نفسه.
[4] الحدائق الناضرة ، يوسف البحراني (5/1).
[5] الحدائق الناضرة (5/1).
[6] تفسير الطبري (316/6).
[7] تفسير القرطبي (57/4) ؛ فتح القدير (331/1).
[8] المصدر السابق نفسه (978/2).

الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ *﴾ [آل عمران: 28]، فنهى الله سبحانه عن موالاة الكفار، وتوعد على ذلك أبلغ الوعيد فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: 28] أي: من يرتكب نهي الله فقد برأ من الله، ثم قال سبحانه: أي: إلا من خاف من بعض البلدان والأوقات من ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته[1].

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر: أجمعوا على من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل، فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان: أن لا يحكم عليه بالكفر[2]. ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل، قال ابن بطال: وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجراً عند الله[3]، ولكن التقية عند الشيعة خلاف ذلك، فهي عندهم ليست رخصة بل هي ركن من أركان دينهم[4].

والتقية في دين الإسلام دين الجهاد والدعوة لا تمثل نهجاً عاماً في سلوك المسلم، ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامي، بل هي ـ غالباً ـ حالة فردية مؤقتة، مقرونة بالاضطرار، ومرتبطة بالعجز عن الهجرة، وتزول بزوال حالة الإكراه، أما في المذهب الشيعي تعد طبيعة ذاتية في بنية المذهب، وحالة مستمرة وسلوك جماعي دائم[5].

وقد قرر أهل العلم من خلال معرفتهم بواقع الشيعة: أن تقيتهم إنما هي الكذب والنفاق ليس إلا، وقد فرق ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بين تقية النفاق والتقية في الإسلام فقال.... ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه... فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار، لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه، وإلا فبقلبه، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه، ومع هذا لا يوافقهم على دينهم كله،، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون، حيث لم يكن موافقاً لهم على جميع دينهم ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه شيء، وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره؛ بحيث أتيح له النطق بكلمة الكفر فيعذره الله بذلك، والمنافق والكذّاب لا يعذر بحال، ثم إن المؤمن الذي يعيش بين الكفار مضطراً ويكتم إيمانه يعاملهم بمقتضى الإيمان الذي يحمله ـ بصدق وأمانة ونصح وإرادة للخير بهم، وإن لم يكن موافق لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر وكانوا كفار، وبخلاف الرافض الذي لا يترك شراً يقدر عليه إلا فعله بمن يخالفه[6].

---

[1] تفسير ابن كثير (371/1).
[2] فتح الباري (314/12).
[3] المصدر السابق (317/12).
[4] أصول الشيعة الإمامية (979/2).
[5] المصدر السابق نفسه (981/2).
[6] أصول الشيعة الإمامية (995/2).

ولقد لخص الشيخ سلمان العودة الفروق بين التقية عند أهل السنة والرافضة فقال: إن التقية عند أهل السنة استثناء مؤقت مخالف للأصل، أما عند الشيعة فواجب مفروض حتى يقوم القائم من آل البيت. وينتهي العمل بها عند أهل السنة بمجرد زوال السبب الداعي إليها، أما عند الشيعة فواجب جماعي مستمر لا ينتهي العمل به حتى يخرج مهديهم الذي لا يخرج أبداً. وتقية أهل السنة هي مع الكفار في الغالب، وقد تكون مع الفساق الظلمة، أما تقية الشيعة فهي أصلاً مع المسلمين المخالفين لهم من أهل السنة. إن التقية عند أهل السنة حالة ممقوتة يلجأ إليها المسلم دون رضا واطمئنان إليها، أما عند الشيعة فقد أصبحت خلة ممدوحة مرضية، جاء في مدحها من النصوص عن أئمتهم الكثير الكثير[1].

تاسعاً: المهدي المنتظر بين الشيعة والسنة:

1. عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة:

من أبرز عقائد الشيعة الرافضة التي تكاد تمتلئ بها كتبهم: عقيدة المهدي المنتظر، ويقصد الرافضة الإمامية بالمهدي المنتظر: محمد بن الحسن العسكري؛ وهو الإمام الثاني عشر عندهم ويطلقون عليه الحجة، كما يطلقون عليه القائم[2]، ويزعمون أنه ولد سنة 255 هـ واختفى في سرداب (سر من راى[3])، سنة 265 هـ، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، لينتقم لهم من أعدائهم وينتصر لهم[4]، ولا زال الشيعة الرافضة يزورونه بسرداب (سر من رأى) ويدعونه للخروج[5]، وهذا المهدي الذي يدعيه الرافضة معدوم ولا وجود له: فالحسن العسكري الذي ينسبون إليه المهدي مات ولم يعقب أحداً، فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، وقد صاحب عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة الرافضة، خرافات وأساطير كبيرة لا يصدقها عاقل، ويعتقدون أن المهدي من ولد الحسين[6]، ويروون العجائب في ولادته[7]، ويقولون عندما يخرج يجتمع إليه الشيعة الرافضة من كل مكان[8]، ويخرج الصحابة من قبورهم ويعذبهم[9]، ويقتل العرب، وقريش[10]، ويهدم الكعبة والمسجد النبوي وكل

---

[1] العزلة والخلطة ، سلمان بن فهد العودة ، ص 149.
[2] الإرشاد للمفيد ، ص 363 ؛كشف الغمة ، الأربلي (437/2)؛ بذل المجهود (237/1).
[3] بذل المجهود (237/1) ؛ معجم البلدان (173/3).
[4] المفيد ، ص 346 ؛كشف الغمة (446/2) ؛ بذل المجهود (237/1).
[5] مصابيح الجنات ، محسن العصفور ، ص 255.
[6] الغيبة ، ص 115 ؛ بذل المجهود (238/1).
[7] بذل المجهود (239/1).
[8] بحار الأنوار (291/52).
[9] المصدر السابق نفسه (386/52).
[10] المصدر السابق نفسه (355/52).

المساجد[1]، ويدعو إلى دين جديد وكتاب جديد وقضاء جديد[2]، ويستفتح المدن بتابوت اليهود[3]، وتنبع له عينان من ماء ولبن، ويصير الرجل من الشيعة الرافضة بقوة أربعين رجلاً، ويمد لهم في أسماعهم وأبصارهم، ويحكم بحكم آل داود[4].

وعقيدة الشيعة الرافضة في مهديهم المنتظر باطلة، وقد دلَّ على بطلانها عدة أوجه:

أ ـ ثبوت عدم ولادة هذا المهدي، فقد اقتضت حكمة العلي القدير أن يموت الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الرافضة وليس له ولد، فكانت فضيحة كبيرة وخذلان عظيم للشيعة الرافضة؛ إذ كيف يموت الإمام ولا يوجد له من الأولاد من يخلفه في الإمامة؟! فعقيدة الشيعة الرافضة تنص على أن الذي يخلف الإمام بعد موته ولده،

ولا يجوز أن تكون الإمامة في الإخوة بعد الحسن والحسين[5]، وعدم ولادة المهدي ثابتة في كتب الشيعة أنفسهم[6].

ب ـ لا معنى لاختفاء المهدي: لو سلمنا جدلاً بولادة هذا المهدي، فإنه لا معنى لاختفائه هذه الفترة الطويلة في السرداب، وإذا ما سئل الشيعة الرافضة عن الحكمة من اختفائه في السرداب وعدم خروجه للناس؛ فإنهم يعللون ذلك بأنه يخشى على نفسه القتل[7]، **وهذه علة واهية قد دل على بطلانها عدة أدلة؛ منها :**

- أنه قد جاءت في كتبكم أنه سيكون منصوراً ومؤيداً من الله تعالى، وأنه يملك مشارق الأرض ومغاربها، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويعيش حتى زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام[8].
- كما أن قولكم هذا يترتب عليه أن المهدي لن يخرج حتى تذهب دول الجور والظلم والفساد ليأمن على نفسه من القتل، وعندئذ لا حاجة في خروجه، وهذه الدول تستطيع أن تحمي المهدي لو خرج فلماذا لم يخرج؟
- أن من لا يستطيع أن يحمي نفسه من القتل فمن باب أولى عجزه عن حماية غيره، فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف تنتظرون من هذه صفته أن ينتقم لكم من أعدائكم وينصركم عليهم نصراً مؤزراً؟!

وبهذا تكون قد بطلت دعواهم، بأن العلة من عدم خروج المهدي هو: الخوف من القتل، وبناء على هذا تبطل دعوى وجود المهدي أصلاً إذ لا سبب يمنعه من الاستتار غير خوفه من القتل، كما صرح بذلك شيخ الطائفة الطوسي[9]، فتكون دعوى

---

[1] الرجعة للإحساني ، ص 184.
[2] الغيبة ، ص 154.
[3] بذل المجهود (247/1).
[4] المصدر السابق نفسه (249/1).
[5] كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ، ص 414.
[6] أصول الكافي (505/1) ؛ بذل المجهود (267/1).
[7] الغيبة ، ص 199.
[8] بحار الأنوار (191/52).
[9] الغيبة ، ص 199 ؛ بذل المجهود (271/1).

وجود المهدي باطلة بشهادة علمائهم، وهذا من توفيق الله وعظيم فضله[1].

ج ـ أنه لم تحصل منفعة بهذا المهدي؛ ومما يدل على بطلان عقيدة الشيعة الرافضة في المهدي المنتظر:

أن هذا المهدي الذي تدعيه الرافضة لم تحصل به مصلحة في شيء من أمور الدين أو الدنيا، ولم ينتفع منه المسلمون بشيء لا الرافضة ولا غيرهم، قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إن هذا المعصوم الذي يدعونه في وقت ما قد ولد عندهم لأكثر من أربعمئة وخمسين سنة[2]؛ فإنه دخل السرداب عندهم سنة ستين ومئتين، وله خمس سنين عند بعضهم، وأقل من ذلك عند آخرين، ولم يظهر عنه شيء مما يفعله الإمام المعصوم، فأي منفعة للوجود في مثل هذا لو كان موجوداً، فيكف إذا كان معدوماً؟! والذين آمنوا بهذا المعصوم أي لطف وأي منفعة حصلت لهم به نفسه في دينهم أو دنياهم؟! إلى أن قال: وهذا الذي تدعيه الرافضة إما مفقود عندهم، وإما معدوم عند العقلاء وعلى التقديرين فلا منفعة لأحد به في دين ولا في دنيا[3]، والشيعة الاثني عشرية في هذا العصر نقضوا هذه العقيدة عملياً من خلال اعتقادهم بنظرية ولاية الفقيه، وهي تجويز الحكم والولاية للمسلم العادي غير المعصوم، أو عليه نص من الله ورسوله بشرط العلم والعدل.

2 ـ عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدي:

بينت الأحاديث الصحيحة: أن الله تعالى يخرج في آخر الزمان رجلاً من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً وسلاماً كما ملئت جوراً وظلماً، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويعطي المال بغير عدد. **ومن هذه الأحاديث:**

أ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً[4]، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعاً أو ثمانياً»[5]، يعني حججاً[6].

ب ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً»، قال: «ثم يخرج رجل من عترتي ـ أو من أهل بيتي؛ يملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً»[7].

ج ـ وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم» ـ ثم ذكر شيئاً لا أحفظه فقال: ـ «فإذا رأيتموه، فبايعوه، ولو حبواً على الثلج؛ فإنه خليفة الله

---

(1) بذل المجهود (271/1).

(2) هذا بالنسبة لعصر ابن تيمية ، أما الان فقد مضى عليه ما يزيد عن ألف ومئة وخمسين عاماً.

(3) منهاج السنة (261/8 ـ 262).

(4) بمعنى الصحيح ـ النهاية لابن الأثير (12/3).

(5) المستدرك (557/4 ـ 558) ، قال الألباني: سندهُ صحيح رجاله ثقات. سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم 711.

(6) المهدي وفقه أشراط الساعة ، محمد إسماعيل ، ص 33.

(7) السلسلة الصحيحة ، رقم 1529 ، وحكم الألباني بتواتره.

المهدي»[1].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، يكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما يزعم جهلة الرافضة من أنه موجود فيه إلى الان، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة، ولا معقول صحيح ولا استحسان... إلى أن قال: ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سود أيضاً وهو زي عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء، يقال لها: العقاب... إلى أن قال: والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق، ويبايع له عند البيت كما دلت على ذلك بعض الأحاديث[2].

د ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»[3].

هـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة» إلى أن قال: «فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»[4].

والأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنه عند نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجل منهم.

والثاني: أن حضور أميرهم للصلاة، وصلاته للمسلمين، وطلبه من عيسى عليه السلام عند نزوله أن يتقدم ليصلي لهم يدل على صلاح هذا الأمير وهداه، وجاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى: محمد بن عبد الله، ويقال له: المهدي، والسنة يفسر بعضها بعضاً.

و ـ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «منا الذي عيسى ابن مريم يصلي خلفه»[5].

ز ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «المهدي مني: أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض

---

[1] سنن ابن ماجه (1367/2) ؛ مستدرك الحاكم (464/4) ؛ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

[2] النهاية ، الفتن والملاحم (31/1).

[3] البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء (491/6) مع الفتح.

[4] مسلم ، كتاب الإيمان (193/2) مع شرح النووي.

[5] رواه أبو نعيم في أخبار المهدي ، صححه الألباني. صحيح الجامع (7170/5).



قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك سبع سنين»[1].

ولا توجد أي صلة أو علاقة بين مهدي السنة ومهدي الشيعة الرافضة. وهناك بعض الفوارق بينهما؛ منها:

- أن المهدي عند أهل السنة اسمه (محمد بن عبد الله) فاسمه يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه يوافق اسم أبيه، أما مهدي الشيعة الرافضة، فاسمه محمد بن الحسن العسكري.
- أن المهدي عند أهل السنة من ولد الحسن رضي الله عنه، ومهدي الشيعة الرافضة من ولد الحسين.
- أن المهدي عند أهل السنة تكون ولادته ومدة حياته طبيعية، ولم يوجد في الأحاديث ما يدل على أنه يمتاز عن غيره من الناس بشيء من ذلك، أما مهدي الشيعة الرافضة فإن حمله وولادته كانت في ليلة واحدة، ودخل في السرداب وعمره تسع سنوات، ومضى عليه الان ما يزيد على ألف ومئة وخمسين سنة وهو في السرداب.
- أن المهدي عند أهل السنة يخرج لنصرة الإسلام والمسلمين، ولا يفرق بين جنس
- وجنس، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيخرج لنصرة الشيعة الرافضة خاصة والانتقام من أعدائهم، ويكره العرب وقريشاً فلا يعطيهم إلا السيف، ولا يكون من أتباعه عربي، كما دلت ذلك رواياتهم.
- أن مهدي السنة يحب صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، ويترضّى عنهم ويتمسك بسنتهم، كما يحب أمهات المؤمنين ولا يذكرهن إلا بالثناء الحسن الجميل، أما مهدي الشيعة الرافضة فيبغض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويخرجهم من قبورهم ويعذبهم، ثم يحرقهم ـ على حد زعمهم ـ وكذلك يبغض أمهات المؤمنين، ويحدّ أحب نساء النبي صلى الله عليه وسلم الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها، على حد زعمهم.
- أن مهدي أهل السنة يعمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم فلا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا قمعها، أما مهدي الشيعة الرافضة فإنه يدعو إلى دين جديد وكتاب جديد.
- أن مهدي السنة يقيم المساجد ويعمرها، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيهدم المساجد ويخربها، فيهدم
- المسجد الحرام والكعبة، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يبقي مسجداً واحداً على وجه الأرض ـ كما صرحوا بذلك في رواياتهم.
- أن مهدي السنة يحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، أما مهدي الشيعة الرافضة فيحكم بحكم آل داود.
- أن مهدي السنة يخرج من المشرق، أما مهدي الشيعة الرافضة فيخرج من سرداب سامراء.

---

[1] سنن أبي داود ، كتاب المهدي ، رقم 4265.



- أن مهدي السنة حقيقة ثابتة دلت عليها أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأقوال العلماء قديماً وحديثاً، أما مهدي الشيعة الرافضة فوهم من الأوهام لم يخرج ولن يخرج في يوم من الأيام[1].

عاشراً: عقيدة الرجعة عند الشيعة الرافضة:

الرجعة من أصول المذهب الشيعي، فمن رواياتهم: ليس منا من لم يؤمن بِكَرَّتِنا[2]. وقال ابن بابويه في الاعتقادات: واعتقادنا في الرجعة أنها حق[3]. وقال المفيد: واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات[4]. وقال الطبرسي والحر العاملي و غيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية[5]، وأنها من ضروريات مذهبهم، وأنهم: مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها، وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة[6].

ومعنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت[7]، وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة، ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم، ومنهم من ينكر موتهم ويقول بأنهم غابوا وسيرجعون، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال: بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية، الكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الاثني عشرية عامة للإمام وكثير من الناس، ويشير الآلوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث[8].

وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثني عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف:

1 ـ الإئمة الإثني عشر، حيث يخرج المهدي من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

2 ـ ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة ـ في نظرهم ـ من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثني عشر)، فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان.. ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا ـ كما يزعم الشيعة الرافضة ـ للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها، فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

---

[1] بذل المجهود (256/1 ، 257).

[2] أصول الشيعة الإمامية (1103/2).

[3] الاعتقادات ، ص 90.

[4] أوائل المقالات ، ص 51.

[5] مجمع البيان (52/5) ، الإيقاظ من الهجمة ، ص 33.

[6] المصدر السابق نفسه ص 64.

[7] القاموس (28/3) ؛ مجمع البحرين (334/4).

[8] روح المعاني (27/5) ؛ ضحى الإسلام ، أحمد أمين (237/3).

3 ـ عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضاً، وهم الشيعة عموماً، ولأن الإيمان خاص بالشيعة، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم ومن محض الكفر محضاً، وهم كل الناس ما عدا المستضعفين[1].

ولهذا قالوا في تعريف الرجعة: إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة[2]، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها.

واتجه شيوخ الشيعة إلى كتاب الله سبحانه ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التي يتفردون بها عن سائر المسلمين، ولما لم يجدوا بغيتهم تعلقوا كعادتهم بالتأويل الباطني، وركبوا متن الشطط، وتعسفوا أيما تعسف في هذا السبيل، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم، ودليلاً على زيف معتقدهم، وبرهاناً على بطلان مذهبهم وإليك مثال على تفسيرهم للايات : ويرى شيخ المفسرين عندهم أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُو﴾ * ﴾ [الأنبياء: 95]؛ حيث يقول ما نصه: هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة، لأن أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم ـ يرجعون ـ يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك[3]، ومع أن الآية حجة عليهم، فهي تدل على نفي الرجعة على الدنيا، إذ معناها كما صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة[4]، وهذا كقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ*﴾ [يس: 31] وقوله: ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ *﴾ [يس: 50]، وزيادة (لا) هنا لتأكيد معنى النفي من (حرام)، وهذا من أساليب التنزيل البديعة، النهاية في الدقة.

وسر الإخبار بعد الرجوع مع وضوحه، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم، وفوات أمنيتهم الكبرى وهي حياتهم الدنيا[5]، وإذا كان المقصود إثبات الرجعة فيه رجعة للناس ليوم القيامة بلا ريب[6] أي ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء[7].

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الرافضة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم، وباطلة بدلالة ايات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *﴾ [المؤمنون: 99 ـ 100]، فقوله سبحانه: صريح في نفي الرجعة مطلقاً وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا

[1] أصول الشيعة الإمامية (1105/2).
[2] أوائل المقالات ، ص 51.
[3] أصول الشيعة الإمامية (1105/2).
[4] أوائل المقالات ، ص 95.
[5] تفسير القمي (76/2) ، وضع عنوان في أعلى الصفحة: أعظم دليل على الرجعة.
[6] تفسير ابن كثير (205/3).
[7] تفسير القاسمي (293/11).

يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *﴾ [الأنعام: 27 . 28].

فهؤلاء جميعاً يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل في علاه، وعند رؤية النار يجابون، لما سبق في قضائه: أنهم إليها لا يرجعون، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع[1]، وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة: وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، ولو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه، والقول بالرجعة بعد الموت على الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا، وأنها ليست دار جزاء: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ *﴾ [آل عمران: 185]. وقد كان لابن سبأ اليهودي دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلي، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلاً كحال الاثني عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله كلما توعد كافراً أو ظالماً إنما توعده بيوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة[2].

الحادي عشر: قولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى:

من أصول الاثني عشرية القول بالبداء على الله سبحانه وتعالى، حتى بالغوا في أمره فقالوا: ما عبد الله بشيء مثل البداء[3]، وما عظم الله عز وجل بمثل البداء[4]، ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه[5]، وما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر، وأن يقر الله بالبداء[6].

ويبدو أن الذي أرسى هذا المعتقد عند الاثني عشرية هو الملقب عندهم بثقة الإسلام، وهو شيخهم الكليني (ت 328 أو 329 هـ)؛ حيث وضع هذا المعتقد في قسم الأصول من (الكافي)، وجعله ضمن كتاب التوحيد، وخصص له باباً بعنوان

---

(1) أصول الشيعة الإمامية (1122/2).

(2) مسند أحمد (312/2) ، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(3) أصول الكافي (146/1).

(4) المصدر السابق نفسه.

(5) المصدر السابق نفسه (148/1).

(6) المصدر السابق نفسه.

(باب البداء)، وذكر فيه ستة عشر حديثاً من الأحاديث المنسوبة للأئمة[1].

وإذا رجعت إلى اللغة العربية لتعريف معنى البدء تجد أن القاموس يقول: بدا بدواً بداءة: ظهر. وبدا له في الأمر بدواً وبداء وبداة: نشأ له فيه رأي[2]، فالبداء في اللغة له معنيان:

1 ـ الظهور بعد الخفاء؛ تقول: بدا سور المدينة، أي: ظهر.

2 ـ نشأة الرأي الجديد. قال الفراء: بدا لي بداء، أي: ظهر لي رأي آخر، قال الجوهري: بدا له في الأمر بداء أي: نشأ له فيه رأي[3]. وكلا المعنيين وردا في القرآن، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ﴾[البقرة: 284]، ومن الثاني قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيات لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ *﴾ [يوسف: 35]، وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم، وكلاهما محال على الله سبحانه، ونسبته إلى الله سبحانه من أعظم الكفر، فكيف تجعل الشيعة الاثني عشرية هذا من أعظم العبادات وتدعي أنه ما أعظم الله عز وجل بمثل البداء؟ سبحانك هذا بهتان عظيم[4].

وهذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود؛ فقد جاء في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه[5]، ويبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة، التي أخذها من (توراته) في المجتمع الإسلامي الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع، وتحت مظلة الدعوة إلى ولاية علي رضي الله عنه، ذلك أن فرق السبئية كلهم يقولون بالبداء، وأن الله تبدو له البداوات[6]، ثم انتقلت هذه المقالة إلى فرقة (الكيسانية) أو المختارية أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام به، والتزامه عقيدة[7].

وكان شيوخ الشيعة يُمَنُّون أتباعهم بأن الأمر سيعود إليهم، والدولة ستكون لهم، حتى إنهم حددوا ذلك بسبعين سنة في رواية نسبوها لأبي جعفر، فلما مضت السبعون ولم يتحقق شيء من تلك الوعود اشتكى الأتباع من ذلك فحاول مؤسسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنه قد بدا الله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد[8].

وقد دل القرآن الكريم على إثبات صفة العلم لله تعالى، وعلى بطلان ما نسبته الشيعة الرافضة من عقيدة البداء لله؛ التي

---

(1) أصول الشيعة الإمامية (1133/2).

(2) القاموس المحيط (302/4).

(3) الصحاح (2278/6) ؛ لسان العرب (66/14).

(4) أصول الشيعة الإمامية (1135/2).

(5) المصدر السابق نفسه (1136/2).

(6) التنبيه والرد للملطي ، ص 19.

(7) أصول الشيعة الإمامية (1136/2).

(8) تفسير العياشي (218/2) ؛ بحار الأنوار (214/4).

أفضت إلى نسبة الجهل إليه تعالى.

والآيات الدالة على إثبات صفة العلم لله تعالى كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ *وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمّىً ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ*﴾ [الأنعام: 59. 60]. وقال تعالى: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ *﴾ [الملك: 14].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: قد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء من وجوه انتظمت... لأهل النظر والاستدلال القياسي العقلي:

أحدها: أنه خالق لها، والخلق هو الإبداع بتقدير، ذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل تكونها في الخارج.

الثاني: أن ذلك مستلزم للإرادة المشيئة، والإرادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به.

الثالث: أنها صادرة عنه، وهو سببها التام، والعلم بأصل الأمر وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب، فعلمه بنفسه مستلزم بكل ما يصدر عنه.

الرابع: أنه في نفسه لطيف يدرك الدقيق، خبير يدرك الخفي، وهذا هو مقتضى العلم، بالأشياء مستغنٍ بنفسه عنها، كما هو غني بنفسه في جميع صفاته[1]، وقد دلت الآيات كذلك على تقدير الله تعالى للكون قبل أن يخلقه، وذلك بناء على علمه السابق بهذا الكون قبل وجوده، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا *﴾ [الفرقان: 2]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى *وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى *﴾ [الأعلى: 2. 3].

فهذه الآيات الكريمات فيها أعظم رد على الشيعة الرافضة الذين زعموا: أن الله تعالى لا يعلم الحوادث إلا بعد حدوثها، وأنه قد يأمر بأمر ثم يتغير رأيه بناء على تجديد المصلحة، فالله تعالى قبل أن يخلق هذا الخلق قدره، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا تدبيره، ولا يتجاوز ما كتب الله في اللوح المحفوظ قبل خلق المخلوقات ووجود الكائنات، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون[2].

وقد دلت السنة على إثبات صفة العلم لله تعالى، روى البخاري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[3]، وهذه الأمور التي جاءت في الحديث أمور مستقبلية

---

[1] الفتاوى (211/2).

[2] بذل المجهود (340/1).

[3] البخاري ، رقم 4697.

دل الحديث على علم الله بها قبل حدوثها .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»[1].

وقد جاءت في كتب الشيعة في ذلك الركام الهائل من الأباطيل روايات قد تكون وثيقة الصلة بعلماء آل البيت؛ لأنها تعبر عن المعنى الحق وهو ما يليق بأولئك الصفوة، وقد تكون من اثار الشيعة المعتدلة، فعن منصور بن حازم قال سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ: يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس؟ قال : من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى اليوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق[2].

الثاني عشر: موقف أهل البيت من الشيعة الرافضة:

أئمة أهل البيت كسائر أهل السنة في موقفهم من الرافضة ومن عقائدهم، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة، وبعدهم عن الحق، وهم من أشد الناس ذماً ومقتاً لهم وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، وكثرة كذبهم عليهم، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت في ذم الشيعة الرافضة وبراءتهم من عقيدتهم، فمما جاء عنهم في براءتهم من عقائد الشيعة الرافضة، وتأصيلهم عقيدة أهل السنة[3]:

1 ـ ما ثبت عن علي رضي الله عنه:

وتواتر عنه أنه قال وهو على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ـ رضي الله عنهما[4]، وعنه رضي عنه قال: لا يفضلني أحد على الشيخين إلا جلدته حد المفتري[5] .

وفي الصحيحين أنه قال في حق عمر عند شيعة: ما خلَّفْت أحداً أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أسمع كثيراً رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ذهبت أنا و أبو بكر وعمر...» وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما[6].

وهذه الاثار ـ الثابتة عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تناقض عقيدة الشيعة في الشيخين، كما تقدم، وتدل على براءة

---

(1) مسلم ، رقم 16.

(2) التوحيد لابن بابويه ، ص 334 ؛ أصول الكافي (48/1) ، رقم 10.

(3) الانتصار للصحب والال ، ص 112.

(4) اللالكائي (1366/7 ـ 1397).

(5) السنة لابن أبي عاصم ، ص 561.

(6) البخاري ، رقم 3685.

علي ـ رضي الله عنه ـ من الشيعة الرافضة ومن عقيدتهم، وتوليه للشيخين وسائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحبه لهم ـ كما بينا سابقاً ـ، وإقراره للشيخين بالفضل عليه، وعقوبته من فضله عليهما، وتمنيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر، فرضي الله عنه وعن سائر أصحاب النبي الطيبين المطهرين، من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الشيعة الرافضة والخوارج المارقين، ثم من بعد علي ـ رضي الله عنه ـ.

جاءت أقوال أبنائه، وأهل بيته، في البراءة من الرافضة ومن عقيدتهم وانتقادهم لعقيدة أهل السنة[1].

2 ـ قول الحسن بن علي ـ رضي الله عنه ـ:

عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة قال: كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة؛ لو علمنا أنه مبعوث، ما زوجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله[2]. وروى أبو نعيم : قيل للحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة، قال: كانت جماجم العرب في يدي، يحاربون من حاربت، ويسالمون من سالمت، فتركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم[3].

3 ـ قول الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ:

كان يقول في شيعة العراق ـ الذين كاتبوه ووعدوه بالنصر، ثم تفرقوا عنه وأسلموه إلى أعدائه ـ: اللهم إن أهل العراق غروني، وخدعوني، صنعوا بأخي ما صنعوا، اللهم شتت عليهم أمرهم، وأحصهم عدداً[4]. ثم كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده ـ رضي الله عنه ـ هو وعامة من كان معه من أهل بيته، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة، فكان مقتله ـ رضي الله عنه ـ مصيبة عظيمة، ومأساة جسيمة يتفطر لها قلب كل مسلم[5].

4 ـ قول علي بن الحسين ـ رحمه الله ـ:

ثبت عنه أنه قال: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً[6]. وعنه رحمه الله، أنه جاءه نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ، فلما فرغوا قال لهم: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم

---

(1) الانتصار للصحب والال ، ص 114.
(2) سير أعلام النبلاء (263/3).
(3) حلية الأولياء (37/2).
(4) سير أعلام النبلاء (302/4).
(5) المصدر السابق نفسه.
(6) المصدر السابق نفسه (390/4).

حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه، فأولئك هم المفلحون؟ قالوا: لا، قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *﴾ [الحشر: 10] اخرجوا فعل الله بكم[1]!!.

5 . قول محمد بن علي (الباقر):

عن محمد بن علي أنه قال: أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول[2]، وعنه ـ رحمه الله ـ أنه قال لجابر الجعفي: إن قوماً بالعراق يزعمون أني أمرتهم بذلك؛ فأخبرهم أني أبرأ إلى الله تعالى منهم، والله برأي منهم، والذي نفس محمد بيده لو وليت، لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر الله لهما، وأترحم عليهما، إن أعداء الله غافلون عنهما[3] .

وعن بسام الصيرفي قال: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال: والله إني لأتولاهما، وأستغفر لهما. وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا هو يتولاهما[4].

6 . قول زيد بن علي ـ رحمه الله ـ:

عن زيد بن علي أنه قال: كان أبو بكر إمام الشاكرين. ثم تلا: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ *﴾ [آل عمران: 144]، ثم قال: البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي[5] رضي الله عنهما ـ فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر[6].

7 . قول جعفر بن محمد (الصادق):

عن عبد الجبار بن عباس الهمداني : أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة فقال: إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم، فأبلغوا عني من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة، فأنا منه بريء[7]، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه برأي.

وعن سالم بن... أبي بكر وعمر فقال: يا سالم توله‍ما وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى، ثم قال جعفر: أيسب الرجل جده؟! أبو بكر جدي، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما[8].

---

(1) الحلية (137/3).
(2) سير أعلام النبلاء (406/4).
(3) الاعتقاد للبيهقي ، ص 361.
(4) سير أعلام النبلاء (403/4).
(5) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (1302/7).
(6) النهي عن سب الأصحاب للمقدسي ، ص 75.
(7) سير أعلام النبلاء (259/6).
(8) المصدر السابق نفسه (258/6).

وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول: ما أرجو من شفاعة علي شيئاً، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي مثله، لقد ولدني مرتين[1].

وعنه ـ رحمه الله ـ: أنه سئل عن أبي بكر وعمر فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة[2]. ـ وعنه أنه قال: برىء الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر[3] . قال الذهبي معقباً على هذا الأثر: قلت: هذا القول متواتر عن جعفر الصادق، أشهد بالله إنه لبار في قوله غير منافق لأحد، فقبح الله الرافضة[4].

فهذه هي أقوال أئمة أهل البيت، الطيبين الطاهرين، الذين تدعي الشيعة الرافضة إمامتهم وولايتهم، وينسبون إليهم عقيدتهم موضحة ومبينة موقفهم من الشيعة الرافضة، ومن دينهم، وبراءتهم منهم ومن كل ما يفعلونه بهم من عقائدهم الفاسدة، ومطاعنهم على خيار الصحابة، وأمهات المؤمنين، وأن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة السنة، ظاهراً وباطناً، في كل كبير وصغير، فهي عقيدتهم التي بها يدينون، عليها يوالون ويعادون، وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم، فرحمهم الله رحمة واسعة وأخزى الله من ألصق بهم الأكاذيب[5].

الثالث عشر: وجهة نظر التقريب بين أهل السنة والشيعة:

لقد تبين لنا من خلال البحث مدى ما عند الشيعة الروافض من ضلال وبدع وانحراف عن كتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، ومدى الأخطار والأضرار الكبيرة التي احتوت عليها كتبهم المعتمدة في مجال التفسير والتوحيد والحديث وغيرها، وأنها تصيب المسلمين في صميم دينهم، وفي أصول اعتقادهم، وكل دعوة تقريب تستلزم ضمناً الاعتراف بهذه الكتب التي لا يصل الكيد الاستشراقي والتبشيري إلى مستوى ما وصلت إليه من محاولات لتغيير دين الله وشرعه باسم الإسلام، بل إن الاستشراق والتبشير من معينها يرتوي وعلى شبهاتها وأساطيرها يعتمد في إفساده وتامره على الدين وأهله، ولهذا فإن هناك علاقة وثيقة، بل تشابهاً تاماً بين شبهات المستشرقين والمبشرين واراء الشيعة والروافض وليس هذا بجديد، وهذه العلاقة تستحق أن يفرد لها رسالة علمية خاصة.

فمن قديم كان الأعداء يستخدمون (اراء) الشيعة الروافض تكأة لهم في محاربة الإسلام وأهله، بل كان جنود الشيعة الروافض أمضى سلاحاً في يد الأعداء، وكان التشيع الرافضي مأوى لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد وحاقد وموتور، وأيام

---

[1] المصدر السابق نفسه (255/6).
[2] الانتصار للصحب والال ، ص 119.
[3] سير أعلام النبلاء (260/6).
[4] المصدر السابق نفسه.
[5] الانتصار للصحب والال ، ص 120.

التاريخ مليئة بمؤامراتهم وخياناتهم ومؤازرتهم للأعداء، ومن أبرز الأسباب في ذلك : أن هؤلاء الشيعة الروافض لا يؤمنون بشرعية حكومة إسلامية إلا حكومة المنتظر الذي غاب أكثر من أحد عشر قرناً، ولهذا وجد الأعداء مدخلاً إلى قلوبهم من هذا الطريق[1] .

قال ابن تيمية: وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من مودته للمسلمين، ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهة المشرق وقتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها، كانت الرافضة معاونة لهم على المسلمين، وكذلك من كانوا بالشام وحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين، وكذلك النصارى الذين قاتلوا المسلمين بالشام كانت الرافضة من أعظم المعاونين لهم، فهم دائماً يوالون الكفار من المشركين والنصارى، ويعاونوهم على قتال المسلمين ومعاداتهم[2].

ويكفي للتأكيد على ذلك شواهد تاريخية منها:

1 ـ مؤامرة ابن العلقمي الرافضي في إسقاط بغداد 656 هـ:

وملخص الحادثة: أن ابن العلقمي كان وزيراً للخليفة العباسي المستعصم، وكان

الخليفة على مذهب أهل السنة، كما كان أبوه وجده، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، فكان هذا الوزير الرافضي يخطط للقضاء على دولة الخلافة، وإبادة أهل السنة، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الرافضة، فاستغل منصبه، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامراته ضد الخلافة، وكانت خيوط مؤامراته تتمثل في ثلاث مراحل:

أ ـ **المرحلة الأولى:** إضعاف الجيش، ومضايقة الناس، حيث سعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين، وضعفتهم. قال ابن كثير: وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في اخر أيام المستنصر قريباً من مئة ألف مقاتل.. فلم يزل يجتهد في تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة الاف[3].

ب ـ **المرحلة الثانية:** مكاتبة التتار، يقول ابن كثير: ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهَّل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال[4].

ج ـ **المرحلة الثالثة:** النهي عن قتال التتار وتثبيط الخليفة والناس: فقد نهى العامة عن قتالهم[5]، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج

---

[1] مسألة التقريب (261/2 إلى 278).

[2] منهاج السنة (104/2).

[3] البداية والنهاية (202/13).

[4] المصدر السابق نفسه.

[5] منهاج السنة (38/3).

العراق لهم، ونصفه للخليفة، فخرج الخليفة إليه في سبعمئة راكب من القضاة والفقهاء، والأمراء والأعيان. فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها بدون أي جهد من التتر.

وقد أشار أولئك الملأ من الشيعة الرافضة وغيرهم من المنافقين على هؤلاء أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير ابن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، ونصير الطوسي[1]، وثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي، وقد قتلوا من المسلمين ما يقال: إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم ير الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتر، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من العباسيين ؛ وغير العباسين ؛ فهل يكون موالياً لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين[2].

وقتل الخطباء والأئمة، حملة القرآن، وتعطلت المساجد، والجماعات، مدة شهور ببغداد[3].

وكان هدف ابن العلقمي: أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون بها مذهبهم فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده[4].

2. الدولة الصفوية:

في الدولة الصفوية، والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي: فرض التشيع الاثني عشرية على الإيرانيين قسراً، وجعل المذهب الرسمي لإيران، وكان إسماعيل قاسياً متعطشاً للدماء إلى حد لا يكاد يصدق[5]، ويشيع عن نفسه أنه معصوم، وليس بينه وبين المهدي فاصل، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر[6]، ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة، وكان يتخذ سبَّ الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع، والأسواق، وعلى المنابر منذراً المعاندين بقطع رقابهم، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض بقوة السلاح[7] .

ولقد ازر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو، وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوة

---

[1] كان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته ، لما فتح قلاع الأموات وانتزعها من أيدي الإسماعيلية. البداية والنهاية (201/13).

[2] منهاج السنة (38/3).

[3] البداية والنهاية (203/13).

[4] المصدر السابق نفسه (202/13 . 203).

[5] لمحات اجتماعية من تاريخ العراق. علي الوردي ، ص 56.

[6] الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ،كامل الشيبي ، ص 413.

[7] أصول الشيعة الإمامية (1475/3).

الحديد والنار، وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ: شيخهم علي الكركي[1]، الذي يلقبه الشيعة بالمحقق الثاني، والذي قربه الشاه طهماسب، ابن الشاه إسماعيل، وجعله الامر المطاع في الدولة، وكذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسي، والذي شارك السلطة في التأثير على المسلمين في إيران حتى يقال بأن كتابه (حق اليقين) كان سبباً في تشيع سبعين ألف سني من الإيرانيين[2]، والأقرب أن هذا من مبالغات الشيعة، فإن الرفض في إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب لا بالفكر والإقناع[3].

ولا ينسى الجانب الاخر من أثر الدولة الصفوية، وذلك في حروبها لدولة الخلافة الإسلامية العثمانية، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين، وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس، مع محاربتهم للسنة وأهلها[4].

هذه بعض اثار دولهم وأفرادهم في هذا المجال، ومن كلمات ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الخالدة والمهمة في هذا الموضوع والتي إذا طبقتها على الواقع، وإذا استقرأت من خلالها وقائع التاريخ رأيت صدقها كالشمس قوله ـ رحمه الله ـ: فلينظر

كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام ؛ فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتناً وشراً، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة[5].

ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التي لا تشابهها فتن، إنما تخرج عنهم[6].

فمع من نتحد يا معشر أهل السنة؟! مع من يطعن في قرآننا، ويفسره على غير تأويله، ويحرف الكلم عن مواضعه، ويكفر الصديق والفاروق وأم المؤمنين وأحب نسائه إليه عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وغيرهم من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم، ويخادع المسلمين باسم التقية[7]!!.

3 ـ من التجارب المعاصرة في التقريب:

أ ـ تجربة مصطفى السباعي:

بذل الدكتور مصطفى السباعي عدة مساعٍ مع بعض علماء الشيعة في مسألة التقريب، وسعى لعقد مؤتمر إسلامي لدراسة

---

(1) المصدر السابق نفسه (1476/3).
(2) عقيدة الشيعة ، دونلدسن ، ص 302.
(3) أصول الشيعة الإمامية (1478/2).
(4) المصدر السابق نفسه.
(5) منهاج السنة (243/3).
(6) المصدر السابق نفسه (245/3).
(7) مسألة التقريب (280/2).



السبل الكفيلة لإرساء دعائم الألفة والمودة والتقارب بين الفريقين، وكان يرى من أكبر العوامل في التقريب أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضاً، وأن تصدر ـ الكتب والمؤلفات التي تدعو إلى التقارب، وكما يرى عدم إصدار الكتب التي تثير ثائرة أحد الطرفين .

وقام مصطفى السباعي بزيارة أحد مراجع الشيعة الكبار، ومن يعتبر عندهم من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، والدعوة إلى توحيد الصف، وجمع الكلمة ؛ وهو شيخهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي، فألفاه متحمساً لهذه الفكرة ومؤمناً بها، واتفق معه على عقد مؤتمر إسلامي بين علماء السنة والشيعة لهذا الغرض، كما قام السباعي بزيارة وجوه الشيعة من سياسيين وتجار وأدباء للغرض نفسه، وخرج من هذه الاتصالات فرحاً جذلاً لحصوله على تلك النتائج، وما كان يخطر ببال السباعي رحمه الله أو يدور بخلده ما تنطوي عليه نفوس القوم من أهداف، وما يرمون إليه من وراء دعوته التقريب من خطط، حتى فوجئ السباعي ـ كما يقول ـ بعد فترة بأن هذا الموسوي المتحمس للتقريب قام بإصدار كتاب في أبي هريرة رضي الله عنه ملأي بالسباب والشتائم، بل انتهى فيه إلى القول بأن أبا هريرة رضي الله عنه كان منافقاً كافراً، وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار[1] .

ثم يقول السباعي: لقد عجبت من موفق عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معاً، ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي[2] .

ويذكر السباعي أن غاية ما قدم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقريب هي جملة من المجاملة في الندوات والمجالس مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى في كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار[3] .ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة في العراق وإيران، فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة[4] .

ويذكر السباعي: أن كل بحث علمي في تاريخ السنة أو المذاهب الإسلامية لا يتفق مع وجهة نظر الشيعة ؛ يقيم بعض علمائهم النكير على من يبحث في ذلك، ويتسترون وراء التقريب، ويتهمون صاحب هذا البحث بأنه متعصب معرقل لجهود المصلحين في التقريب، ولكن كتاباً، ككتاب عبد الحسين شرف الدين في الطعن في أكبر صحابي موثوق في روايته للأحاديث

---

[1] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص 9.

[2] المصدر السابق نفسه ، ص 10.

[3] المصدر السابق نفسه ، ص 9 . 10.

[4] المصدر السابق نفسه ، ص 9 . 10.

في نظر أهل السنة يراه أولئك العائبون أو الغاضبون عملاً معرقلاً لجهود الساعين إلى التقريب، ويقول: لست أحصر المثال بكتاب: «أبي هريرة» المذكور، فهناك كتب تطبع في العراق وفي إيران، وفيها من التشنيع على جمهور الصحابة ما لا يتحمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير، مما يؤجج نيران التفرقة من جديد[1] .

هذه تجربة الشيخ السباعي رحمه الله ومحاولته أفلست أمام تعصب شيوخ الشيعة وإصرارهم في عدوانهم على خير جيل وجد في خير القرون[2].

لقد أصبح التقريب في مفهوم الشيعة الرافضة، أن يتاح لهم المجال لنشر عقائدهم في ديار السنة، وأن يستمروا في نيلهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يسكت أهل السنة عن بيان الحق، وإن سمع الروافض الحق يعلو هاجوا وماجوا قائلين : إن الوحدة في خطر[3].

ب . تجربة الشيخ موسى جار الله:

هذا الشيخ الجليل من علماء روسيا؛ فهو موسى بن جار الله التركستاني القازاني الروسي، شيخ مشايخ روسيا في نهاية العصر القيصري وبداية الحكم السوفييتي، كان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا الذين كانوا يزيدون عن الثلاثين مليون نسمة، ثم هبَّ عليه إعصار الشيوعية، فأصبح بعيداً عن دياره وأهله، له تأليف رسائل وكتب، تنقل بين الهند والحجاز ومصر والعراق وإيران، قال عن نفسه: كان بوسعي أن أعد كاتب روسيا الأول وأحد زعماء الطليعة فيها لو أنني تخليت عن إيماني، ولكنني اثرت أن أشتري الاخرة بالدنيا[4].

حاول هذا العالم الجليل أن يجمع شمل الأمة، وأن يوحد أهل السنة والشيعة، وبذل جهوداً في هذا الجانب عظيمة، فبدأ بدراسة كتب الشيعة وطالعها باهتمام، كما يذكر أنه طالع (أصول الكافي وفروعه) (ومن لا يحضره الفقيه)، وكتاب (الوافي) و(مراة العقول) و(بحار الأنوار) و(غاية المرام) وكتب كثيرة وغير هذه الكتب[5]، ثم زار ديار الشيعة وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر يزور معابدها ومشاهدها ومدارسها، ويحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والماتم، ويحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها، والمدارس وحجرتها، وأقام بالنجف أيام الحرم، ورأى كل ما تأتي به الشيعة أيام العزاء ويوم عاشوراء.

---

[1] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص 10.
[2] مسألة التقريب (198/2).
[3] المصدر السابق نفسه.
[4] المصدر السابق نفسه (201/2).
[5] الوشيعة ، ص 19 ؛ مسألة التقريب (199/2).



وخرج هذا العالم بنتيجة علمية، فرأى ببصيرته النافذة وعلمه الغزير أن نقد عقائد الشيعة وواقعها هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة لا تأليف بدونها، وكان أول مساعيه في التقريب لقاؤه مع شيخ الشيعة محسن الأمين في طهران، وجرى بينهما بعض الحديث، ثم قدم له الشيخ موسى ورقة صغيرة كان تاريخ الرسالة 1934/8/26 م وأرسل منها نسخة إلى علماء النجف، وأخرى إلى علماء الكاظمية، فكتب فيها: أقدم هذه المسائل لأساتذة النجف الأشرف بيد الاحترام، بأمل الاستفادة بقلب سليم صادق، كله رغبة في تأليف عالمي الإسلام : الشيعة الإمامية الطائفة المحقة . يعني على زعمهم[1] .، وعامة أهل السنة والجماعة، راجياً إجابة الأساتذة جميعاً أو فرادى، وكل ببيانه البليغ، وبتوقيع يده مؤكداً بخاتمه ومهره، ثم أورد في الرسالة ما في كتب الشيعة من أمور منكرة مشيراً إلى أرقام الصفحات في كل ما يذكره، فذكر عدة قضايا خطيرة في كتب الشيعة الرافضة تحول بين الأمة والائتلاف مثل:

- تكفير الصحابة.
- اللعنات على العصر الأول.
- تحريف القرآن الكريم.
- حكومات الدول الإسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت في كتب الشيعة.
- كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة.
- الجهاد في كتب الشيعة مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل حرمة الميتة وحرمة الخنزير، ولا شهيد إلا الشيعة، والشيعي شهيد ولو مات على فراشه، والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فالويل يتعجلون.

ثم قال الشيخ بعد ما نقل شواهد هذه المسائل من كتب الشيعة المعتمدة مخاطباً شيوخ الشيعة: هذه ست من المسائل، عقيدة الشيعة فيها يقين، فهل يبقى لتوحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل وهذه عقيدة الشيعة؟!

وهل يبقى بعد هذه المسائل، وبعد هذه العقيدة لكلمة التوحيد في قلوب أهليها من أثر؟!.

وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية، ولهم هذه العقيدة في سبيل غلبة الإسلام في مستقبل الأيام من سعي؟! ثم أردف ذلك بمسائل منكرة أخرى مثل:

- رد الشيعة لأحاديث الأمة ودعواهم أن كل ما خالف الأمة فيه الرشاد. ويرى أن هذا المبدأ هدم لدين الشيعة قبل أن يهدم دين الإسلام.
- وما في كتب الشيعة من أبواب في آيات وسور نزلت في الأئمة والشيعة، وفي آيات وسور نزلت في كفر أبي بكر

[1] مسألة التقريب (205/2).

وعمر وكفر من اتبعهما.

- ❖ وغلو الشيعة في التقية.
- ❖ ثم ذكر أباطيل أخرى شنيعة في كتب الشيعة مثل:

- – أن علياً أمير المؤمنين طلق عائشة فخرجت من كونها أم المؤمنين.
- – أن القائم إذا يقوم يقيم الحد على عائشة انتقاماً لأمه ابنة النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها وعلى أبيها وأولادها الصلاة والسلام.
- – أن القائم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام.

- ❖ ثم ذكر أن دين الشيعة روحه العداء، وأن ما في كتب الشيعة من حكآيات العداء بين الصديق والفاروق، وبين علي ؛ كلها موضوعة.
- ❖ وذكر أن كتب الشيعة تقول على لسان بعض الأئمة: إن الأمة وإن كانت لها أمانة وصدق ووفاء، لا تكون مؤمنة لإنكارها الولاية.

وأن الشيعة وإن لم يكن عندها شيء من الدين لا عتب لها ؛ لأنها تدين بولاية إمام عادل، وذكر مسائل أخرى ثم قال: فتفضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام، وتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين .

فماذا كان جواب الشيعة بهذه المسائل التي نقلتها من أمهات كتب الشيعة عرضاً على سبيل الاستيضاح عملاً بأمر الله في كتابه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ *﴾ [النحل: 43] و[الأنبياء: 7]، ثم انتظرت سنة وزيادة ولم أسمع جواباً من أحد إلا من كبير مجتهدي الشيعة بالبصرة قد قام بوظيفته وتفضل علي بكل أجوبته في كتاب تزيد صفحاته على تسعين، بكلمات في الطعن في العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشيعة، ثم كتب الشيخ موسى كتابه (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة) بعد أن لم ير استجابة من شيوخ الشيعة، ويقول: إنني أدافع بذلك عن شرف الأمة وحرمة الدين، وأقضي به حقوق العصر الأول عليَّ وعلى كل الأمة[1].

وإذا كان الشيخ موسى جار الله يرى في نشره كتاب (الوشيعة) وفي نصحه لشيوخ الشيعة أن ذلك أول تدبير في التأليف والتقريب ؛ فإن شيوخ الشيعة ترى أن ما كشفه الشيخ موسى يجب أن يكون دفيناً، ويستفزهم مثل هذا الكشف غاية الاستفزاز، والسبب في انزعاج شيوخ الشيعة من أي كشف لما في كتبهم من أباطيل : أن في ذلك فضحاً لأغراضهم ومآربهم، وكشفاً لاستغلالهم للجمهور البسطاء من الشيعة دينياً باسم النيابة عن المعصوم المنتظر، ومالياً باسم

[1] الوشيعة ، ص 39 ، مسألة التقريب (208/2).

خمس هذا المنتظر[1].

4 . المنهج السليم للتقريب:

هو أن يقوم علماء السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبيان صحته وتميزه عن مذاهب أهل البدع، وكشف مؤامرات الشيعة الرافضة وأكاذيبهم وما يستدلون به من كتب أهل السنة، والرد على الشبهات الموجهة لأهل السنة بعلم وعدل وبرهان، ولا بد من مصاحبة ذلك كله ببيان لانحرافات الشيعة الرافضة، وكشف ضلالاتهم وأصولهم الفاسدة، وإذا كان أئمة السنة قد شاركوا في ذلك فإنه يجب مضاعفة الجهد، وأن يكون جهداً جماعياً مخططاً له.

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل، وتقريب الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفهم الإسلام الصحيح، من خلال علماء أهل السنة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت ؛ كأمير المؤمنين علي وأبنائه وأحفاده من العلماء، ولابد من الوقوف في وجه المد التبشيري الرافضي الذي يشين لأهل البيت الأطهار، والذي ينشط اليوم بشكل قوي في العالم الإسلامي، وفي أوربة وأمريكة، وحتى يجتمع المسلمون على كلمة سواء . ويعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا.

وإذا كان لا يجدي مع بعض علماء الشيعة الرافضة الاحتجاج عليهم بالقرآن والسنة والإجماع، وبيان الحق بهذه الأصول لمخالفتهم لأهل السنة، في ذلك فلا يعني ذلك أن نتوقف عن بيان مذهب أهل السنة وصحته، وبطلان مذهب الشيعة وضلاله في تلك الأصول، فذلك سيحد من انتشار . عقيدة الروافض بين أهل السنة . بإذن الله تعالى ..

وعلينا أن نبحث عما يكشف باطلهم من كتبهم نفسها، وهذا المنهج لم يسلكه علماؤنا المتقدمون الذين اهتموا بالرد على الروافض وتفنيد حججهم ودحض دعواهم، ولعل السبب في ذلك أن كتب القوم لم يكن لها ذلك الذيوع والانتشار، وكانت موضع التداول الخاص بهم، أو أن السبب أن هناك بعض كتبهم الأساسية قد وضعت من المتأخرين، ونسبت للمتقدمين أو زيد عليها في العصور المتأخرة (الدولة الصفوية) أياً كان السبب هذا أو ذاك أو جميعاً ؛ فإن كتب الروافض اليوم قد انتشرت، ودان بقدسيتها وامن بصحتها الكثير من الشيعة الرافضة ؛ فهم لا يؤمنون إلا بما جاء فيها ولا يحتجون إلا بها، ويردون بها السنة الصحيحة، بل نصوص الكتاب الظاهرة، بل منهم من يصدق أساطيرها التي تمسّ كتاب الله العظيم، وتزعم الوحي للأئمة وعلم الغيب، فليكن تصحيح وضع الشيعة من كتبهم وكشف ضلالهم من روايتهم ومنطلق التقريب الصحيح من

---

[1] مسألة التقريب.

مدوناتهم[1] .

وقد قامت جهود مشكورة في هذا المجال، وظهرت بعض الكتب : ك(الإمامة والنص)، فيصل نور، (ثم أبصرت الحقيقة)، محمد سالم الخضر، و(أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية)، د. ناصر عبد الله بن علي القفاري، و(دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين) للدكتور أحمد جلي.

إن هذا المسلك ينبغي أن يدرس بعناية واهتمام ؛ فإن القارئ لكتب الشيعة يتلمس خيوطاً بيضاء وسط ركام هائل من الضلال، ومن الممكن أن ينسج من هذه الخيوط العقيدة الحقة للأئمة، الموافقة للكتاب والسنة الصحيحة من الضياع والتيه الذي يعيشونه، وهذه الخيوط كما تشمل الأصول تشمل الفروع، وعلى ذلك يمكن اللقاء والتقارب[2]، كما أنه ينبغي التنويه وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة، واحترامهم وتقديرهم والوقوف معهم في نصيحة أقوامهم ؛ كالذي قام به السيد حسين الموسوي في كتبه: (لله ثم للتاريخ)، (كشف الأسرار وتبرئه الأئمة الأطهار)، وكالجهد العلمي الذي قام به السيد أحمد الكاتب مشكوراً في كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه) .

وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقتفياً لآثارهم الصحيحة وهديهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان، ونبين لهم أن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعريف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، و يرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات[3]، وأن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم، وكل ما جاء عن السلف رضي الله عنهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا[4].

وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها[5]، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما

هو شر منها، ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى.

والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ *﴾ [يونس: 63]، والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية، مع

---

(1) مسألة التقريب (282/2 ، 283).

(2) مسألة التقريب (296/2).

(3) النهج المبين لشرح الأصول العشرين ، د. عبد الله الوشلي ، ص 126.

(4) المصدر السابق نفسه ، ص 157.

(5) المصدر السابق نفسه ، ص 243.

اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً في حياتهم أو بعد مماتهم، فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم[1].

وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشييد القبور وسترها والتمسح بها، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة[2] .

والعرف الخاطئ لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها، والوقوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء[3].

والإسلام يحرر العقل، ويبعث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء، والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق الناس بها[4] .

ولا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاها، وأدى الفرائض، برأي أو معصية إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يتحمل تأويلاً غير الكفر[5].

إن مثل هذه الأصول والمفاهيم تعين الناس عموماً في فهم الإسلام الصحيح المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومنهج أهل السنة والجماعة، الذي أصل لأصوله، رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون المهديون ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء.

إن أهل الحق المتمسكين بنهج أهل السنة ليس عندهم بدع بحمد الله، ومستندهم القرآن والسنة الصحيحة، ولا يمكنهم التنازل عن شيء من ذلك مما قد يجعل الدين عرضة للمساومة، وأما الشيعة الرافضة فعندهم من البدع الشيء الكثير، لا يمنعهم شيء من التنازل عنها إلا التعصب واتباع الهوى والمصالح المادية لبعض شيوخهم المنحرفين عن هدى أمير المؤمنين علي وعلماء أهل البيت رضي الله عنهم جميعاً .

وذكر العلماء . أن أهل السنة عليهم إنكار بدع المبتدعة، وإن كان المبتدع متعبداً بها معتقداً صوابها، ولا بأس أن نقيد إنكارنا على هذه البدع بالقيد المصلحي وفق قاعدة الترجيح بين المفاسد، والمصالح المتعارضة بأن يحتمل المفسدة اليسيرة من أجل

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص 259.

(2) المصدر السابق نفسه ، ص 279.

(3) المصدر السابق نفسه ، ص 305.

(4) المصدر السابق نفسه ، ص 323.

(5) المصدر السابق نفسه ، ص 343.

درء المفسدة الكبيرة، ونحتمل تفويت المعروف الأصغر حرصاً على جلب المعروف الأكبر، وهذه قاعدة صحيحة عند الفقهاء، والعمل بهذه القاعدة قد يجعلنا نسكت عن إنكار بدعة الشيعة الرافضة في وقت من الأوقات، أو في مكان من الأمكنة ؛ سداً للذريعة، وخروجاً عن أصل الإنكار إذا كان الإنكار يؤدي إلى هياج الفتن وإراقة الدماء والاقتتال بين أهل بلد يتكافأ فيه عدد الشيعة مع عدد أهل السنة، وأما في الأحوال الاعتيادية التي لا تكون هناك مفسدة تصاحب هذا الإنكار يكون مستساغاً أو واجباً[1].

وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمي الهادي في مناقشة بدع المبتدعة، وأن يترفّقوا معهم، وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها، أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب، أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع كافر أو ظالم، وفق السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطَّرد دائماً ليشمل من يأتي من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد، والأقوال الشاذة في كل الأحوال .

والحد المميز بين الطائفتين: الأولى التي نترفق معها في الكلام : والثانية التي نغلظ لها الكلام، إنما يكون كامناً في مدى اعتماد القائل على نص شرعي يتكون من شبهة له، أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان. وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين، ومن لا تأويل له ؛ فالإنكار ـ من تجاهه أولى. وربما كان الإغلاظ له أوجب[2].

إن أهل الحل والعقد من أهل السنة في المجتمعات الطائفية هم الذين يقدرون المواقف السياسية، والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذي تضبطه قواعد السياسية الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه، والتحذير من العقائد المنحرفة المندسة في أوساط المسلمين، حتى لا يتأثروا بتلك الأفكار الفاسدة التي يجتهد دعاتها في نشرها بالليل والنهار ـ والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل، ولقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إبان هجرته للمدينة بعقد المعاهدات مع اليهود التي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يعرف المسلمون حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعوا بها.

* * *

[1] مسألة التقريب (360/2).

[2] المصدر السابق نفسه (361/2).

المبحث الرابع : الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب واستشهاده رضي الله عنه

أولاً: في أعقاب النهروان:

كان قتال أمير المؤمنين رضي الله عنه لهذه الفرقة الخارجة المارقة دليلاً قوياً وحجة ظاهرة في أنه مصيب في قتاله لأهل الشام، وأنه أولى بالحق من معاوية ؛ فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»[1].

فالقارئ يتوقع أن الجيش سيكون أشد عزيمة في قتال أهل الشام لما تيقن لديهم بهذه البراهين وغيرها مما سبق، كمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ؛ إلا أنه بالرغم من ذلك أن الذي حدث عكس ما هو متوقع منهم، فالخطة التي رسمها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هي الذهاب إلى الشام بعد الانتهاء من قتال الخوارج، لأن إدخال الشام تحت خلافته وإعادة وحدة الأمة هدف يجب تحقيقه، وغاية يسعى إلى الوصول إليها، وما حربه للخوارج إلا تأميناً للجبهة الداخلية خشية أن يقعوا بمن في العراق من الذراري أثناء غيابه ـ كما ذكر ذلك في خطبته ـ، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، إذ لم يستطع رضي الله عنه، غزو الشام حتى استشهد[2] .

فلقد كان لخروج الخوارج أثر في إضعاف جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كما أن الحروب في الجمل وصفين والنهروان، تسببت في ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام في صفين، فإن حربهم ليس كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يتَّمت الأطفال ورملت نساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولولا الصلح أو التحكيم الذي رحب به أمير المؤمنين علي وكثيرمن أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامي لا يتخيل اثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علي رضي الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إليهم، وتميل إليه نفوسهم، وإن كانوا يعلمون أن علياً على حق[3].

ومن المعضلات التي أوهنت جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، خروج فرقة تغالي في تعظيم أمير المؤمنين علي وترفعه

---

[1] مسلم (745/2 ، 746).

[2] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ص 345.

[3] المصدر السابق نفسه.

إلى مقام الألوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرؤون من علي ويكفرونه[1]، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئاً ؛ وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة وليس جيش علي فقط[2].

ولقد تصدَّى لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ـ كما بينا ـ بحزم وقوة، ولاشك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب علي كثيراً، ثم تتابعت الفتوق على علي من بعد، فخرج الخريت بن راشد ـ وقيل: اسمه الحارث بن راشد ـ في قومه من بني ناجية، وكان من ولاة علي على الأهواز، فدعا إلى خلع علي، فأجابه خلق كثير، واحتوى على البلاد، وجبى الأموال، فبعث إليه علي جيشاً بقيادة معقل بن قيس الرياحي، فهزمه وقتله[3].

وطمع أهل الخراج في ناحية علي في كسر الخراج، وانتقض أهل الأهواز، ولابد أن علياً واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روي عن الشعبي في هذا الخصوص قوله: لما قتل علي أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانتقضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمي البصرة وانتفض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره، وأخرجوا سهل بن حنيف عامل علي بن أبي طالب من فارس[4].

وفي الجانب الآخر كان معاوية رضي الله عنه يعمل بشتى الوسائل سراً وعلانية على إضعاف جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واستغلَّ ما أصاب جيشه من تفكُّك وخلاف، فأرسل جيشاً إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ سيطر عليها وضمها إليه، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

- إنشغال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالخوارج.
- عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مصر محمد بن أبي بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الأنصاري، فدخل في حرب مع المطالبين بدم عثمان، ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالي السابق، فهزموه.
- اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان في مصر في الرأي، فساعده في السيطرة عليها[5].
- بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقربها من الشام.
- طبيعتها الجغرافية؛ فهي متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء، وتمثل امتداداً طبيعياً، وقد أضافت مصر قوة كبيرة لمعاوية رضي الله عنه؛ قوة بشرية واقتصادية كبيرة .

---

[1] نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ، مصطفى حلمي ، ص 15 ، 16.

[2] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص 350.

[3] تاريخ الطبري (27/6 ـ 47).

[4] المصدر السابق نفسه (53/6).

[5] مصنف عبد الرزاق ؛ الطبقات لابن سعد (83/3) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 351 ، سند صحيح.

وكذلك أرسل معاوية بعوثه إلى شمال الجزيرة العربية، ومكة والمدينة وإلى اليمن، ولكن لم تلبث هذه البعوث أن ردت على أعقابها عند ما أرسل أمير المؤمنين علي من يصدها[1]، وعمل معاوية رضي الله عنه على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال علي رضي الله عنه؛ فقد حاول سحب قيس بن سعد رضي الله عنه عامل علي على مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية علي ومستشاروه فيه فعزله[2] .

- وكان عزل سعد بن قيس مكسباً كبيراً لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل علي رضي الله عنه على فارس ففشل في ذلك[3] .

وقد استطاع معاوية رضي الله عنه أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمَنِّيهم ويعدهم به، ولما يروه من علو أمر معاوية، وتفرق أمر علي رضي الله عنه؛ إذ يقول في إحدى خطبه: إلا أن بسراً قد اطلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، وبطاعتهم أميرهم، ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلاناً فغلَّ وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلاناً فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على علاقته، اللهم أني أبغضتهم وأبغضوني فأرحهم مني وأرحني منهم[4].

ثانياً: استنهاض أمير المؤمنين علي همة جيشه، ثم الهدنة مع معاوية:

لم يستسلم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لهذه المصائب، وهذا التقاعس والتخاذل، فقد بذل جهده في استنهاض همة جيشه بكل ما أوتي من علم وحجة وفصاحة وبيان ؛ فخطبه الحماسية المشهورة التي اشتهرت عنه وتعتبر من عيون التراث لم يقلها من فراغ أو خيال، بل مرٌّ تجرعه وواقع أليم عاصره، فمن خطبه التي قالها لما أغير على أطرافه قال:

أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجُنّتُه[5] الوثيقة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذُّلّ، وشمله البلاء، ودُيِّثَ بالصّغار والقَماءَة[6]، وضرب على قلبه بالأسداد[7]، وأديل[8]

---

[1] تاريخ خليفة ، ص 198 ، بدون سند.

[2] ولاة مصر ، ص 45 . 46.

[3] الاستيعاب (525/2 . 526).

[4] التاريخ الصغير للبخاري (125/1) ، بسند منقطع وله شواهد.

[5] الجُنّة بالضم: الوقاية

[6]]دُيث: ذلل. الصغار: الذل والصغر. القماء: الذل والصغار.

[7] الأسداد: الحجب التي تحجب عنه الهدى والرشاد.

[8] أديل الحقّ منه: تحول الأمر عنه إلى الحق ، فألمت به الكوارث.

الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف[1] ومنع النّصفَ[2]. ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزيَ قوم في عقر دارهم[3] إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، حتى شُنّتْ عليكم الغارات، ومُلكَت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار[4]، وقد قتل حسّان بن حسّان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها[5]، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة[6]، فينتزع حجْلَها وقُلْبها وقلائِدَها ورعاثها[7]، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع[8]، والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين[9]، ما نال رجل منهم كلمٌ ولا أريق له دم، فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان عندي جديراً.

فيا عجباً والله يُميتُ القلب ويَجلبُ الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وتَرَحاً[10] حين صرتم غرضاً يُرْمى، يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويُعصى الله وترضون.

فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ قلتم: هذه حمّارة القيظ[11] ؛ أمهلنا يسبّخ عنّا الحرُّ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبّارة القُرّ[12]، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد، كل هذا فراراً من الحرّ والقرّ، فإذا كنتم من الحرّ والقرُّ تفرّون، فإذا أنتم والله من السيف أفرُّ.

يا أشباه الرجال ولا رجال[13]، حلوم الأطفال، وعقول ربّات الحجال[14]؛ لوددت أني لم أراكم ولم أعرفكم معرفة والله جرّت ندماً، وأعقبت سدَماً[15]، قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحاً[16]، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نُغَبَ التَّهام أنفاساً[17]، وأفسدتم عَلَيَّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب..

---

[1] سيم الخسف: أصبح محلّ الإذلال والمهانة.

[2] منع النصف: النصف: العدل. أي: حرم العدل.

[3] عقر الدار: وسطها ، وأصلها تواكلتم. وكلَّ منكم أمر الجهاد ، أي: الاخر.

[4] الأنبار: بلدة شرقي الفرات.

[5] مسالح: جمع مسلحة وهي الثغر.

[6] المعاهدة: الذمية؛ وهي غير المسلمة المقيمة في بلاد المسلمين.

[7] الحجل: الخلخل. القلب: السوار. الرّغاث: جمع رغثة وهو القرّط.

[8] الاسترجاع ترديد الصوت بالبكاء.

[9] وافرين: تامين لم ينقص عددهم. الكلم: الجرح.

[10] ترحاً: هماً أو حزناً أو فقراً.

[11] القيظ: الحر: حمارة القيظ شدته. يسبّخ: يخفف.

[12] صبارة الشتاء: شدة البرد: القر: البرد.

[13] يقصد أن صفات الرجولة انعدمت فيهم.

[14] حلوم: عقول . ربات الحجال: كناية عن النساء.

[15] سدماً: الهم المشوب بالأسف والغيظ.

[16] القيح: ما في القرحة من الصديد. شحنتم صدري: ملأتموه.

[17] النغب: جمع نغبة (كجرعة): الجرعة. التّهام: الهمّ.

لله أبوهم، وهل أحد منهم أشدُّ لها مراساً منّي[1]، وأقدم فيها مقاماً مني؟! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذرّفْتُ على الستين ؛ ولكن لا رأي لمن لا يطاع[2].

إن هذه الخطبة كتلة نارية يصبُّها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قذائف ساخنة فوق رؤوس أولئك القوم الذين حرموه من قطف ثمار جهاده وتحقيق النصر الذي كان يسعى له، وقد صاغها بأسلوب أدبي رائع، يهزُّ بعباراتها المشاعر، ويحرّك بألفاظها مكامن النفوس، بعيداً عن الغموض والإيهام، كما أنها خالية من السجع والصناعة اللفظية[3].

إن الخطب التي تثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وأعني بها التي تتحدث عن خلافته ؛ تعكس صورة تاريخية تتعدى الوصف الظاهري، لتكشف عن شعور أمير المؤمنين رضي الله عنه تجاه ما يلقاه من جيشه من تخاذل بعد معركة النهروان، ولكن معظم الخطب التي نسبت إليه رضي الله عنه لا تصح؛ فعدد من العلماء يقولون عن خطب علي رضي الله عنه في نهج البلاغة: إنها من تأليف ووضع الشريف الرضي[4]. فلا بد من إعمال منهج نقدي دقيق عند التعامل معها باعتبارها مصدراً تاريخياً.

هذا ومن ناحية أخرى: أخذ علي رضي الله عنه يذكِّر أصحابه بفضائله ومناقبه ومنزلته الرفيعة في الإسلام، فيحدثنا عدد من شهود عيان : أن علياً رضي الله عنه ناشد الناس في الرحبة: من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعاد من عاداه»، فقام اثنا عشر رجلاً . وفي رواية : ستة عشر رجلاً . فشهدوا بذلك[5] . وهذا يذكرنا بعثمان رضي الله عنه عندما كان يستشهد بالصحابة على مناقبه وفضائله عندما حصره الغوغاء، وكأنه يقول: من هذا عمله وخدمته للإسلام؛ أهكذا يكون جزاؤه؟! مع اختلاف المناسبات .

وبالرغم من كل هذه المحاولات والجهود المضنية لم يستطع رضي الله عنه أن يحقق ما يريد؛ إذ لم يستطع أن يغزو الشام بسبب التفكك والتصدع الذي حدث في داخل جيشه وتفرق كلمتهم وظهور الأهواء، فاضطر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في سنة أربعين للهجرة أن يوافق لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على أن يكون العراق له، والشام لمعاوية، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[6] . قال الطبري في تاريخه: وفي هذه السنة . 40 هـ جرت بين علي وبين

---

[1] المراس: المعالجة والمزاولة والمعاناة.

[2] البيان والتبيين للجاحظ ، ص 238 ، 239.

[3] الأدب الإسلامي ، نايف معروف ، ص 59.

[4] ميزان الاعتدال (124/3) ، وله نقد جيد في هذا الموضوع؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص 355.

[5] فضائل الصحابة (705/2) ، إسناده صحيح.

[6] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 356.

معاوية المهادنة . بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[1].

ثالثاً: دعاء أمير المؤمنين عليٌّ اللهَ عز وجل أن يعجِّل له بالشهادة:

هادن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه معاوية، ويبدو أن هذه الهدنة لم تستمر ؛ فمعاوية أرسل بسر بن أبي أرطأة إلى الحجاز واليمن في العام الذي استشهد فيه علي رضي الله عنه[2]، ولما لم يتمكن علي رضي الله عنه من تجهيز الجيش بما يصبو ويريد، ورأى خذلانهم ؛ كره الحياة وتمنَّى الموت، وكان يتوجه إلى الله بالدعاء، ويطلب منه عز وجل أن يعجل منيته ؛ فمما روي عنه: أنه خطب يوماً فقال: اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم . ووضع يده على لحيته[3] .

وقد ألح علي رضي الله عنه في الدعاء في أيامه الأخيرة ؛ فعن جندب قال: ازدحموا على علي رضي الله عنه، حتى وطئوا على رجله ؛ فقال: اللهم إني قد مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني، فأرحني منهم وأرحهم مني[4].

وفي رواية أخرى: عن أبي صالح قال: شهدت علياً وضع المصحف على رأسه حتى سمعت تقعقع الورق، فقال: اللهم إني سألتهم ما فيه فمنعوني، اللهم إني قد مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على غير أخلاقي، فأبدلهم بي شراً مني، وأبدلني بهم خيراً منهم، ومث قلوبهم ميثة الملح في الماء[5].

وفي رواية: فلم يلبث إلا ثلاثاً أو نحو ذلك، حتى قتل رحمه الله[6] . وقال الحسن بن علي: قال لي علي رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي، فقلت: يا رسول الله! ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد[7]؟، قال: ادع عليهم قلت: اللهم أبدلني بهم من هو خيراً منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني لهم. قال الحسن رضي الله عنه: فخرج فضربه الرجل[8].

---

[1] تاريخ الطبري (56/6).

[2] التاريخ الصغير للبخاري (41/1) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 431.

[3] مصنف عبد الرزاق (154/10) ، بإسناد صحيح ؛ الطبقات (4/3) ، إسناده صحيح.

[4] الاحاد والمثاني لابن أبي عاصم (37/1) ، بإسناد حسن ؛ خلافة علي ، ص 432.

[5] سير أعلام النبلاء (144/3).

[6] المحن ، لأبي العرب ، ص 99 ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص 432.

[7] الأود: العوج. اللدد: الخصومة.

[8] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص 649.

رابعاً: علم أمير المؤمنين بأنه سيستشهد:

تفيد بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تعد من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ؛ إخباره بأن علياً سيكون من الشهداء، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير؛ فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ : «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[1] .

وهناك أحاديث أخص من هذا الحديث، تخبر أن علياً سيستشهد بأرض العراق، وتبين كيفية اغتياله أيضاً، وهذا كله يبين صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبأنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يخبر بما أطلعه الله عز وجل عليه عن طريق الوحي، وقد أطلع النبي صلى الله عليه وسلم علياً على ما سيحدث له، وقد امن علي بذلك وأيقن، فكان يتحدث للناس بذلك ؛ فمما حدَّث من ذلك في العراق، إذ يروي عنه أبو الأسود الدؤلي ؛ يقول أبو الأسود: سمعت علياً يقول: أتاني عبد الله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق، فقال: أما إنك إن جئتها ليصيبك بها ذباب السيف، فقال علي: وايم الله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله يقوله، قال أبو الأسود: فعجبت منه، وقلت: رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه[2] !. وحدث بهذا الحديث في ينبع قبل توليه الخلافة، على من عاده في مرضه؛ وهو أبو فضالة الأنصاري البدري رضي الله عنه ؛ إذ قال علي رضي الله عنه: إني لست ميتاً في مرضي هذا، أو من وجعي هذا، إنه عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم أني لا أموت حتى تخضب هذه ـ يعني لحيته ـ من هذه ـ يعني هامته[3] . وحدث به الخوارج وحدث به أصحابه، وقد جمع البيهقي هذه الأحاديث ونحوها في كتابه (دلائل النبوة)[4]، وجمعها الحافظ ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)[5] .

وعن عبد الله بن داود قال: سمعت الأعمش، عن سلمة بن سهيل، عن سالم بن أبي جعدة، عن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً رضي الله عنه على المنبر يقول: ما ننتظر إلا شقياً، عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخضبن هذه من دم هذا، قالوا: أخبرنا بقاتلك حتى نبير عترته، قال: أنشد الله رجلاً قتل بي غير قاتلي[6]، وقد تمثل رضي الله عنه بأبيات شعر فقال:

---

[1] مسلم (1880/4).

[2] تاريخ الذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص 648.

[3] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 433 ، طرق الرواية صحيحة بمجموعها.

[4] دلائل النبوة (438/6 . 441) ، تحقيق: عبد المعطي قلعجي.

[5] البداية والنهاية (323/7 . 325).

[6] كتاب الشريعة للاجري (2105/4) ، تحقيق: الدميجي ، إسناده حسن.

اشـــدُدْ حيـازيمـك لـلموتِ   فــإنَّ المـوتَ لاقــيــكــا

ولا تَجْـزَعْ مِـنَ الـقَـتْـلِ   إذا حــلَّ بِــوَادِيــكَــا [1]

وتذهب بعض الروايات إلى أبعد من هذا، إذ تفيد أن علياً رضي الله عنه يعرف هذا الشقي الذي سيقتله ؛ فيروي عبيدة السلماني، بسند صحيح إليه ـ يقول: كان علي إذا رأى ابن ملجم قال:

أريـدُ حيـاتَـهُ، ويـريـد قَـتْـلـي   عَذِيرُك مِنْ خليلِك من مُرادي[2]

وفي رواية أخرى: قال علي رضي الله عنه، عن عبد الرحمن بن ملجم: أما إن هذا قاتلي، قيل: فما يمنعك منه؟ قال: إنه لم يقتلني بعد[3] .

وقد طلب منه الناس أن يستخلف لما أخبرهم بأنه مقتول، فاعتذر عن ذلك ؛ فعن عبد الله بن سبع، قال: سمعت علياً، يقول لتُخضبنَّ هذه من هذا، فما ينتظر بي الأشقى؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نُبير عترته[4]، قال: إذا تا لله تقتلون بي غير قاتلي. قالوا. فاستخلف علينا. قال: لا ولكن أترُكُكم إلى ما ترككم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟ ـ وقال وكيع مرة: إذا لقيه؟ ـ قال: أقول: اللهمّ تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[5].

وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول: «إنك ستُضرب ضربة هاهنا ـ وأشار إلى صدغيه ـ فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود»[6].

خامساً: استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وما فيه من دروس وعبر وفوائد:

لقد تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحاً غائراً لم تزده الأيام والليالي إلا إيلاماً وحسرة، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلي رضي الله عنه، ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان، وأجمع أهل السير والمؤرخون على ذكر رواية مشهورة[7]

---

(1) تاريخ الذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص 648.

(2) طبقات ابن سعد (33/3 ، 34) ، إسناده صحيح.

(3) الاستيعاب (127/3).

(4) نبير عترته: تهلك ذريته.

(5)]مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية (325/2) حسن لغيره.

(6) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ص 163 ـ 164 ، حكم المحقق أحمد ميرين البلوشي ـ رحمه الله ـ بالصحة.

(7) الطبقات لابن سعد (35/3) ؛ تاريخ الطبري (58/6 إلى 66) بسند منقطع ؛ مروج الذهب (423/2) ؛ الطبراني الكبير (55/1 ـ 58)؛ مجمع الزوائد (249/6)؛ تاريخ الإسلام ، الخلفاء الراشدون للذهبي ، ص 649 ؛ وفيات الأعيان (218/7) ؛ البداية والنهاية (325/7).



لا تسلم من انتقادات لاحتوائها على عناصر متضاربة، وأخرى مختلفة، ولا نستبعد بدورنا أن تكون هذه الحادثة المهمة قد تعرضت مثل غيرها إلى إضافات وزيادات في الفترات المتأخرة، ويبدو من خلال المصادر والدراسات: أن هناك إجماعاً على أنّ عملية قتل علي تمت على أيدي عناصر خارجيّة انتقاماً لضحايا معركة النهروان، أما بقية المعلومات الخاصة بالعملية مثل قصة الحب بين ابن ملجم وقطام والدّور المزعوم للأشعث الكندي ـ وسيأتي بيان براءته بإذن الله لاحقاً ـ وغيرها ؛ فيصعب قبولها والتصديق بها، **وإليك تفصيل مقتله رضي الله عنه:**

1 ـ اجتماع المتآمرين:

كان من حديث ابن مُلجَم وأصحابه: أن ابن ملجم والبُرَك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهر، فترحَّموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم لإخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب ـ وكان من أهل مصر ـ، وقال البُرَك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتعاهدوا وتواثقوا بالله: لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم، فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب[1].

2 ـ خروج ابن ملجم ولقاؤه بقطام ابنة الشجّنة:

فأما ابن ملجم المرادي فكان عداده في كِنْدة، فخرج فلقي أصحابه بالكوفة وكاتمهم أمره كراهة أن يظهروا شيئاً من أمره، فإنه رأى ذات يوم أصحاباً من تَيْم الرِّباب ـ وكان علي قتل منهم يوم النهر عشرة ـ فذكروا قتلاهم، ولقي من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: «قَطَام ابنة الشِّجنة ـ وقد قتل أباها وأخاها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال ـ فلما راها التبست بعقله، ونسي حاجته التي جاء لها، ثم خطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفي لي، قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة الاف، وعبد، وقينة، وقتل علي بن أبي طالب، قال: هو مهر لك، فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وأنت تريديني، قالت: بلى التمس غرته، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي، ويهنئك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينة أهلها. قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت. قالت: إني أطلب لك من يسند ظهرك، ويساعدك على أمرك، فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: وردْان ؛ فكلمته فأجابها .

---

[1] تاريخ الطبري (59/6).

وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والاخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إدّاً، كيف تقدر على علي؟! قال: أكمن له في المسجد ؛ فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قال: ويحك لو كان غير علي لكان أهون علي، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم، وما أجدني أنشرح لقتله. قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه. فجاؤوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة . فقالوا لها: قد أجمع رأينا على قتل علي، قالت: فإذا أردتم فأتوني، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعة التي قتل في صبيحتها علي سنة 40 هـ فقال: هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبي أن يقتل كل منا صاحبه، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف، وهرب وردان حتى دخل منزله، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف، فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له: عويمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه، وجثم عليه الحضرمي، فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه، وسيف شبيب في يده، خشي على نفسه، فتركه، ونجا شبيب في غمار الناس، فشدوا على ابن ملجم، فأخذوه، إلا أن رجلاً من هَمْدان يكنى أبا أدماء أخذ سيفه فضرب به رجله، فصرعه.

وتأخر علي، ورفع في ظهره جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، فصلى بالناس الغداة، قال علي: عليّ بالرجل، فأدخل عليه، ثم قال: أي عدو الله، ألم أحسن إليك، قال: بلى، قال: ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال علي رضي الله عنه. لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلقه[1].

3 . محمد ابن الحنفية يروي قصة مقتل أمير المؤمنين علي:

قال ابن الحنفية: كنت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريباً من السدَّة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى اخره، إذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أدري أخرج من السدة فتكلم بهذه الكلمات أم لا، فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً، ثم رأيت ثانياً، ثم سمعت علياً يقول: لا يفوتنكم الرجل،

---

[1] تاريخ الطبري (62/6).

وشد الناس عليه من كل جانب. قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت علياً يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي[1]. وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عدو الله، لا بأس على أبي، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسَمَّمْته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[2].

4 ـ وصية الطبيب لعلي، وميل أمير المؤمنين للشورى:

عن عبد الله بن مالك، قال: جُمع الأطباء لعلي رضي الله عنه يوم جُرِح، وكان أبصرهم بالطب أُثير بن عمرو السَّكُوني، وكان صاحب كسرى يتطبَّب، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتتبَّع عِرْقاً منها، فاستخرجه فأدخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أمّ رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإنك ميت[3]. وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك ـ ولا نفقدك ـ فنبايع الحسن؟ قال: ما امركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر[4].

5 ـ وصية أمير المؤمنين علي لأولاده الحسن والحسين رضي الله عنهما:

دعا أمير المؤمنين علي حسناً وحسيناً، فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوِي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للاخرة، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر إلى محمد ابن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك[5]؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك، لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمراً دونهما. ثم قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه . وقال للحسن: أوصيك أي بُنيَّ بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغَفْر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار،

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) الاستيعاب (1128/3).

(4) تاريخ الطبري (62/6).

(5) المصدر السابق نفسه (63/6).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش[1].

فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام». انظروا إلى ذوي أرحامكم فصِلُوهم يهوِّن الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تُعنوا أفواههم، ولا يضيعُنَّ بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم صلى الله عليه وسلم،

ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه، والله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم. والله الله في بيت ربكم فلا تخلُّوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة، فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معايشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة لا تخافُنَّ في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى الأمر أشراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم. أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله.

ثم لم ينطق إلا (بلا إله إلا الله) حتى قبض رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين[2]. وجاء في رواية: أنه قتل في صبيحة إحدى وعشرين من رمضان[3]، وتحمل هذه الرواية على اليوم الذي فارق فيه الدنيا، لأنه بقي ثلاثة أيام بعد أن ضربه الشقي[4].

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) تاريخ الطبري (64/6).

(3) التاريخ الكبير للبخاري (99/1) ، بسند صحيح.

(4) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 439.

6 . نهي أمير المؤمنين عن المثلة بقاتله:

فقد قال رضي الله عنه: احبسوا الرجل فإن متُّ فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص[1]. وفي رواية أخرى قال: أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت[2]، وفي رواية أخرى زيادة، وهي قوله: إن مت فاقتلوه قتلتي، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[3].

وقد كان علي نهى الحسن عن المُثْلة، وقال: يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتَلنَّ. انظر يا حسن، إن مِتُّ من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور»[4].

وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت؛ منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التي فيها أمر علي رضي الله عنه بإحراق الشقي بعد قتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرى تسير في اتجاه واحد؛ فكلها فيها أمر علي رضي الله عنه بقتل الرجل إن مات من ضربته، ونهاهم عما سوى ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها بعضاً، وتنهض للاحتجاج بها، هذا من جهة.

كما أن أمير المؤمنين علي لم يجعله مرتداً، فيأمر بقتله، بل نهاهم عن ذلك لمّا همّ بعض المسلمين بقتله، وقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه[5].

وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض علي رضي الله عنه، بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن : هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم: أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله ـ أو قتلته ثم بقيت ـ أن اتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: أما والله حتى تعاين النار، ثم قدمه فقتله[6] .

ثم إن الناس أخذوه فأحرقوه بالنار، ولكن هذه الرواية منقطعة[7]. والصحيح من الروايات، والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت: أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين علي في معاملة عبد الرحمن بن مُلْجم.

---

(1) فضائل الصحابة (560/2) ، بسند حسن.
(2) المحن لأبي العرب ، ص 94 ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص 439.
(3) الطبقات (35/3) ؛ تاريخ الإسلام.
(4) تاريخ الطبري (64/6).
(5) منهاج السنة (245/5) (405/7 ـ 406) ؛ منهج ابن تيمية في مسألة التكفير ، ص 309.
(6) تاريخ الطبري (64/6).
(7) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 440.

ولا تثبت الرواية التي تقول: فلما دفن أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاؤوا بالنفط والبواري، فقال محمد ابن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، دعُونا نشتفّ منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلّم، فكحَلَ عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول، إنك لتكحُل عيني عمّك، وجعل يقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *﴾ [العلق: 1] حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقْطع، فجزع، فقيل له في ذلك. فقال: ما ذاك بجزع، ولكنّي أكره أن أبقى في الدّنيا فُواقاً لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثمّ أحرقوه، وكان أسمر، حسن الوجه، أفلج، شعره من شحمة أذنيه، وفي جبهته أثر السُّجود[1].

وقال الذهبي عن عبد الرحمن بن ملجم: قاتل علي رضي الله عنه، خارجي مُفْتَرٍ، .. شهد فتح مصر، واختط بها مع الأشراف، وكان ممّن قرأ القرآن والفقه، وهو أحد بني تُدول، وكان فارسهم بمصر، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العبّاد، ويقال: هو الذي أرسل صَبيغاً التميمي إلى عمر رضي الله عنه فسأله عمّا سأله عن مستعجم القرآن.. إلى أن قال الذهبي: ثم أدركه الكتاب، وفعل ما فعل، وهو عند الخوارج من أفضل الأمّة، وفي ابن ملجم يقول عمران بن حطّان الخارجي:

يا ضـــربـةً من تَقيّ مـا أرادَ بهـا	إلاَّ ليَبْلُغَ من ذي العَرْشِ رِضْــوَانا
إنّي لأَذْكُرُهُ حينـاً فـأحســبُـهُ	أوفى الـبَرِيَّـةِ عـنـدَ اللهِ مـيـزَانا

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الاخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجوا له النّار، ونجوّز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمّار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل[2].

وأما البُرَك بن عبد الله ؛ فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها علي قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه، فوقع السيف في أليته، فأخذ، فقال: إن عندي خبراً أسرك به، فلئن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم، قال: إن أخاً لي قتل علياً في مثل هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر على ذلك، قال: بلى، إن علياً يخرج ليس معه من يحرسه، فأمر به معاوية فقتل، وبعث معاوية إلى الساعدي ـ وكان طبيباً ـ فلما نظر إليه قال: اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة، فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني، فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد.

---

(1) طبقات ابن سعد (39/3)؛ الأخبار الطوال ، ص 215.

(2) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص 654.

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن حذافة، وكان صاحب شرطته، وكان من بني عامر بن لؤي، فخرج ليصلي، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو، فضربه فقتله، فأخذه الناس، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمارة، فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو. قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة بن حذافة، قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، فقدمه عمرو فقتله[1].

7 ـ مدة خلافة أمير المؤمنين علي، وموضع قبره، وسنّه يوم قتل:

كانت مدة خلافته على قول خليفة بن خياط : أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، ويقال: ثلاثة أيام، ويقال: أربعة عشر يوماً[2]، والذي يظهر أنها أربعة سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وذلك لأنه بويع بالخلافة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام خمس وثلاثين، وكانت وفاته شهيداً في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة[3].

وقد تولى غسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضوان الله عليهم، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص[4]، وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما، فكبر عليه أربع تكبيرات[5]، وفي رواية دون إسناد: كبر عليه تسع تكبيرات[6].

وأما موضع قبره، فقد اختلف فيه، وذكر ابن الجوزي عدداً من الروايات في ذلك، ثم قال: والله أعلم أي الأقوال أصح[7] .

ومن الروايات التي جاءت في هذا الشأن ما يلي:

أن الحسن بن علي رضي الله عنهما دفنه عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي أبواب كندة قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر[8].

ورواية مثلها : أنه دفن بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع ليلاً، وعمي موضع قبره[9].

رواية تذكر: أن ابنه الحسن رضي الله عنه نقله إلى المدينة[10].

---

[1] تاريخ الطبري (65/6).

[2] التاريخ ، ص 199.

[3] التاريخ الكبير للبخاري (99/1) ، سنده صحيح.

[4] المنتظم (175/5) ؛ الطبقات (337/3).

[5] الطبقات (3/ 337 . 338).

[6] المنتظم (175/5).

[7] المصدر السابق نفسه (178/5).

[8] الطبقات (38/3) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 441.

[9] المنتظم (177/5) ؛ تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص 651.

[10] تاريخ بغداد (137/1).

رواية تذكر: أن القبر الذي بظاهر الكوفة المشهد الذي بالنجف هو قبر علي رضي الله عنه، وأنكر بعض أهل العلم مثل شريك بن عبد الله النخعي قاضي الكوفة (ت 178 هـ)، ومحمد بن سليمان الحضرمي (ت 297 هـ)[1].

وفي الحقيقة إن ابتداع ما يسمى مشهد علي رضي الله عنه بالنجف؛ كان أيام بني بويه في عهد الدولة العباسية، وكانوا من الشيعة الروافض، وقد صنع الشيعة ذلك على عاداتهم ـ في القرن الرابع .

قال ابن تيمية: وأما المشهد الذي بالنجف، فأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر عليٍّ بل قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علي، ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثمئة سنة، مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم وحكمهم بالكوفة، إنما اتخذ ذلك مشهداً في ملك بني بويه ـ الأعاجم ـ بعد موت علي بأكثر من ثلاثمئة سنة[2] . وقال: وأما مشهد علي فعامة العلماء على أنه ليس قبره، بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، وذلك أنه إنما أُظهر بعد نحو ثلاثمئة سنة من موت علي في إمارة بني بويه[3].

واختلف في سنّه يوم قتل، فقال بعضهم: قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة، وقيل: وهو ابن خمس وستين سنة، وقيل: وهو ابن ثلاث وستين سنة، وذلك أصح ما قيل فيه[4].

8 ـ خطبة الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد مقتل أبيه:

عن عمرو بن حُبنشي، قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنه، فقال: لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الاخرون، إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعثه ويعطيه الراية ؛ فلا ينصرف[5]حتى يُفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمئة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله[6].

9 ـ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يثني على علي رضي الله عنه:

عن ربيعة الجُرشي: أنه ذُكر علي عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص، فقال له سعد: أتذكر علياً؟! إن له مناقب أربعاً لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من كذا وكذا، وذكر حُمُرَ النعم، وهي قوله صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية...»، وقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[7]. ونسي سفيان واحدة.

---

[1] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 441.
[2] الفتاوى (502/4) ؛ دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ص 280.
[3] الفتاوى (446/27).
[4] تاريخ الطبري (67/6).
[5] فضائل الصحابة (737/2) ، إسناده صحيح. فلا ينصرف: فلا يرجع.
[6] المصدر السابق نفسه ، إسناده صحيح.
[7] المصدر السابق نفسه (798/2) ، إسناده حسن.

10 . عبد الله بن عمر يثني على علي بن أبي طالب رضي الله عنهم:

عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر، فسأله عن عثمان، فذكر من محاسن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم، قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن عليٍّ فذكر محاسن عمله، قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النّبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: لعلّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجلّ، قال: فأرغم الله بأنفك ؛ انطلق، فاجهد على جَهدك[1].

11 . استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنهما:

ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك! إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[2] .

وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك[3] .

وقد طلب معاوية رضي الله عنه في خلافته من ضرار الصُّدائي أن يصف له علياً، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصفنَّه، قال: أما إذْ لا بد من وصفه؛ فكان والله بعيد المدى، شديد القُوى، يقول فصلاً[4]، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحَدِنا ؛ يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله ـ مع تقريبه إيانا وقربه منا ـ لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظِّم أهل الدين، ويُقرِّب المساكين، لا يطمع القويُّ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد أنه قد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُدُولَه[5]، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري، إليّ تعرّضت أم إليَّ تشوَّفتِ! هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجع فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، اه من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها[6].

وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه

---

[1] الصحيح المسند من فضائل الصحابة ، للعدوي ، ص 140.
[2] البداية والنهاية (133/8).
[3] الاستيعاب (1108/3).
[4] المصدر السابق نفسه (1107/3).
[5] سدوله: سدلته.
[6] الاستيعاب (1108/3).

وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية ؛ فأدخلا بيتاً وأجيف[1] الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة[2].

وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي: أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية، فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل علياً، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فأيش دخولك أنت بينهما؟ رضي الله عنهما[3].

12 . ما قاله الحسن البصري . رحمه الله .:

سئل الحسن البصري عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: كان علي والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوّه، وربّاني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يكن بالنّومة[4] عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعْطَى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مُونِقة، ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه[5].

13 . ما قاله أحمد بن حنبل في خلافة علي رضي الله عنه:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل . رحمه الله .: كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم، فجاءت طائفة من الكَرْخيين، فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان فأكثروا، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب وزادوا فأطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم، فقال: يا هؤلاء، قد أكثرتم القَول في علي والخلافة وعلي[6]، أتحسبون أن الخلافة تزيّن عليّاً؟! بل زيَّنها علي[7].

14 . براءة الأشعث بن قيس من دم علي رضي الله عنه:

ذهبت بعض الروايات إلى اتهام الأشعث بن قيس، قال اليعقوبي: إن عبد الرحمن بن ملجم نزل على الأشعث بن قيس، فأقام عنده شهراً يستحدّ سيفه[8] . وذكر ابن سعد في الطبقات، قال: وبات عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل علياً صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس في مسجده حتى كاد أن يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فَضَحك الصبح،

---

[1] أجيف الباب: رُدَّ وأغلق.

[2] البداية والنهاية (133/8).

[3] المصدر السابق نفسه.

[4] النومة: الخامل الذكر الذي لا يؤبه له.

[5] الاستيعاب (1110/3).

[6] تاريخ مدينة السلام (462/1).

[7] المصدر السابق نفسه.

[8] تاريخ اليعقوبي (212/2).

فقام عبد الرحمن بن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسيافهما، ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي[1].. وهذه روايات ضعيفة[2].

إن اتهام الأشعث ليس عليه دليل، وذلك لأن الأشعث بن قيس عند استعراض دوره في خلافة علي رضي الله عنه نجده مخلصاً ووفياً، فهو أول من حارب أهل الشام أثناء القتال على الماء، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم؛ فهو الذي أبلغ علياً رضي الله عنه: أن الخوارج يقولون: إن علياً تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم، وقاتلهم في النهروان، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلي وال بيته، فزوج ابنته من الحسن بن علي رضي الله عنه، وعندما أراد الحسن أن يبني بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث[3]، وقد مات الأشعث من بعد مقتل علي بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن بن علي بن أبي طالب[4]، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس[5]، ولم ينقل عن ال علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة، أو كشفوا أحداً من ال الأشعث بهذا السبب، ويظل قتل علي عملاً من تدبير الخوارج ؛ جاء في الأرجح ثأراً لقتلى النهروان[6].

15 . خطورة الفرق الضالَّة والفرق المنحرفة على المسلمين:

إن الفرق الضالَّة والطوائف المنحرفة عندما تنتشر في بلاد الإسلام تعرِّض أهله للخطر، وتهدِّد الأمن والاستقرار، وتشكِّك الناس في عقيدتهم، وتعيث في الأرض فساداً وخراباً، وتلك هي حال الخوارج المارقين الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وكفّروه، وقتله نفرٌ منهم على حين بغتة كما بينّا ذلك من قبل، زاعمين أنهم يشرون أنفسهم بهذا الفعل ابتغاء مرضاة الله عنهم، وما عندهم في ذلك مستند ولا برهان، إن هو إلا اتباع الأهواء وطاعة الشياطين .

وإذا تبين لنا مما سبق أن الخوارج قد تسببوا في قتل علي ـ رضي الله عنه ـ، وعرفنا مناهجهم الفاسدة ؛ فالواجب على أمة الإسلام أن تحذر منهم، وتحارب مناهجهم، ويقوم العلماء والدعاة بواجبهم في ذلك ليستقر الأمن، وتظهر أنوار السنة، وتخمد نيران البدعة، وفعل ذلك وأداؤه على الوجه الأمثل بالتمكين لعقيدة أهل السنة والجماعة، ومقارعة البدعة والمبتدعين، وهذا كله من أسباب نهوض المجتمعات، وهذه هي الطريقة المثلى لجمع الشمل ووحدة الصف، ومن تأمل تاريخ الإسلام الطويل وجد أن الدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين، وقام بها الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن

---

[1] الطبقات (36/3).

[2] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص 353.

[3] تهذيب الكمال (393/3 ـ 394) ؛ الطبقات (23/6).

[4] الكامل في التاريخ (444/3).

[5] تهذيب التهذيب (300/2).

[6] دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، بطاينة ، ص 52.



المنكر، وعزَّ به الإسلام قديماً وحديثاً، وهذا بخلاف الدول التي قامت على البدعة، وأشاعت الفوضى والفُرقة والمحدثات، وفرّقت الشمل، فهذه سرعان ما تندثر، وتنقرض[1].

16 . الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين:

الكشف عن الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين، دلّ على ذلك قول عبد الرحمن بن ملجم ـ يعني سيفه ـ: والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[2].

إن كلماته هذه تبرز لنا العداء السافر الذي يكنُّه هؤلاء الخوارج لا على عموم المؤمنين فحسب، بل على القادة الكبار من أمثال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الذي تجتمع في شخصه رضي الله عنه أعظم المناقب وأجل السجايا، وانظر ـ رعاك الله ـ كيف تورد المناهج الباطلة، والأفكار المنحرفة أصحابها إلى دركات من التعاسة والشقاء، عندما يغتالون أهل الإيمان، ويدعون أهل الأوثان[3].

17 . تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها:

إن البيئة الفاسدة تؤثر على أصحابها حتى لو كان منهم من يحبُّ العدل ويسعى إليه، فهذا عبد الرحمن بن ملجم يقابل شبيب بن بجرة فيقول له: هل لك في شرف الدنيا والاخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إدّاً، كيف تقدر على عليّ! قال: أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا، وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: ويحك! لو كان غيرَ علي لكان أهون عليّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم، وما أجدني أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟! قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا ؛ تقول رواية الطبري: فأجابه[4].

فانظر ـ رعاك الله ـ كيف يؤثر أصحاب الاراء الضالة والأفكار المنحرفة على من يخالطوهم ويجلسون معهم! إنه على الرغم من أن شبيباً لم ينشرح صدره لقتل علي لما يعلمه عنه من بلائه في الإسلام وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه استجاب لابن ملجم لما أثّر عليه بالشبهة التي ألقاها عليه عندما ذكّره بقتل علي ـ رضي الله عنه ـ لإخوانه من الخوارج

---

[1] سير الشهداء دروس وعبر ، عبد الحميد السحيباني ، ص 77.
[2] تاريخ الطبري (62/6).
[3] سير الشهداء دروس وعبر ، ص 78.
[4] تاريخ الطبري (62/6).



المارقين، فأثار فيه العاطفة تجاههم، رغم أنهم قُتلوا بالحق لا بالباطل، فاستجاب لصاحبه، وانقاد له فكانت النتيجة: إفساد الأفكار، وتلويث السمعة، والخسران المبين، وذلك يدعو كل مسلم أن يحذر من مصاحبة من كان على نهج هؤلاء من فاسدي الاعتقاد، مُلوّثي الأفكار، وأن يسارع إلى مجالسة العلماء الربانيين الذين يعلمون الحق ويعملون به، ويرشدونه إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والاخرة، وإنه إن لم يرضَ بهذه السبيل القويمة وخالط أولئك المنحرفين في عقيدتهم فسيعض أصابع الندم، ولات ساعة مندم[1] كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً *يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً *لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً *﴾ [الفرقان: 27-29].

هذه بعض الدروس والعبر والفوائد من حادثة مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، العالم الرباني، الذي أفنى عمره كله خاشعاً لله تعالى، أوّاهاً منيباً، وخط لنا طريقاً مباركاً للاقتداء والتأسي به.

سادساً: ما قيل في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من رثاء:

1 . ما قاله أبو الأسود الدؤلي، وقال ابن عبد البر: وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بنت العريان النخعية ؛ أولها:

أَلاَ يا عينُ ويحكِ أسْعِدِينا	ألا تَبْكِي أميرَ المؤمنينَا
تبكي أمُّ كلثومَ عليهِ	بَعَبْرَتِهَا وَقَدْ رَأَتِ اليَقينا
أَلاَ قُلْ للخوارجِ حيثُ كانوا	فلا قرَّتْ عيونُ الشَّامِتينا
أَفِي شَهْرِ الصِّيَامِ فَجَعْتُمُونَا	بِخَيْرِ النَّاسِ طُرّاً أَجْمَعِينا
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطَايَا	وَذَلَّلَهَا وَمَنْ رَكِبَ السَّفينا
وَمَنْ لَبِسَ النِّعَالَ وَمَنْ حَذَاها	وَمَنْ قَرَأَ المثَانِي والمِئِينَا
فكلُّ مناقِبِ الخَيْرَاتِ فِيهِ	وَحُبُّ رَسُولِ رَبِّ العَالَمِينَا
لقدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ حيثُ كَانَتْ	بأنَّكَ خَيْرُهَا حَسَباً وَدِيْنَا
وإذا استقبلتَ وَجْهَ أَبِي حُسَيْنٍ	رأيتَ البَدْرَ فَوْقَ[2] النَّاظِرِيْنَا
وكُنَّا قَبْلَ مَقْتَلِهِ بِخَيْرٍ	نَرَى مَوْلى رَسُولِ اللهِ فِينا
يقيمُ الحَقَّ لا يرتابُ فيهِ	ويَعْدِلُ في العِدَا والأَقْرَبِينا

[1] سير الشهداء دروس وعبر ، ص 79.

[2] فوق: في رواية راق. (الاستيعاب (1132/3)).

وليس بِكَاتِمٍ عِلماً لَدَيْه ... وَلَمْ يُخْلَقْ مِنَ المتَجَبِّرِينا
كأن النَّاسَ إذا فَقَدُوا ... علياً نعامٌ حَارَ في بَلَدٍ سِنِينا[1]

2 . ما قاله إسماعيل بن محمد الحميري من شعر له:

سَائِل قريشاً بِهِ إنْ كنتَ ذَا عَمَهٍ ... مَنْ كَانَ أَثْبَتَهَا فِي الدِّينِ أَوْتادا
منْ كانَ أقدمَ إسلاماً وَأكثرَها ... عِلْماً وأَطْهَرَها أَهْلاً وَأَوْلادا
من وحَّدَ اللهَ إذْ كانَتْ مُكَذِّبَةٌ ... تدعُو مَعَ اللهِ أوثاناً وأَنْدادا
مَنْ كانَ يقدمُ في الهَيْجاءِ إنْ نَكلوا ... عَنْها وَإنْ يَبْخَلوا فِي أَزْمَةٍ جَادا
مَنْ كانَ أَعْدَلَها حُكْماً وأبسطَهَا ... عِلْماً وأَصْدَقَهَا وَعْداً وَإيعَادا
إن يَصْدُقُوك فَلَنْ يَعْدُوا أَبَا حَسَنٍ ... إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلْقَ للأبْرَارِ حُسَّادا
إنْ أَنْتَ لَمْ تَلْقَ أَقْوَاماً ذَوِي صَلَفٍ ... وَذَا عِنَادٍ لِحَقِّ اللهِ جُحَّادا[2]

3 . ما قاله بكر بن حماد التاهرتي[3] رداً على شاعر الخوارج عمران بن حطان[4]:

قال شارع الخوارج عمران بن حطان:

يا ضَرْبَةً من تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا ... إلاَّ لِيَبْلُغَ مِن ذِي العَرْشِ رِضْوَانَا
إِنِّي لأَذْكُرُه حيناً فَأَحْسَبُهُ ... أَوْفَى البَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيْزَانا

فقال بكر بن حمّاد التاهرتي معارضاً في ذلك:

قُلْ لابْنِ مُلْجِمَ وَالأَقْدَارُ غَالِبَةٌ ... هَدَمْتَ وَيْلَكَ لِلإِسْلامِ أَرْكَانا
قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشي عَلَى قَدَمٍ ... وَأَوَّلَ النَّاسِ إِسْلاماً وَإِيْمَانَا

---

[1] الاستيعاب (1132/3).
[2] المصدر السابق نفسه (1133/3).
[3] بكر بن حماد التاهرتي (نسبة إلى تاهرت المغربية): رحل إلى المشرق ، وسمع مسند ابن مسدد بن مسرهد ، ورواه عنه في المغرب ، وكان معاصراً للبخاري ، وكان شاعراً. الإصابة (177/3).
.[198]عمران بن حطان الدوسي البصري: من رؤساء الخوارج ، ومن الشعراء المفوّهين ، توفي سنة 84 هـ. الإصابة (177/3).
[4] الاستيعاب (1129/3).

وَأَعْلَمَ النَّاسِ بالقرآن ثُمَّ بما	سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرْعاً وَتِبْيَانا
صِهْرَ النَّبِيِّ وَمَوْلاهُ وَنَاصِرَهُ	أَضْحَتْ مَنَاقِبُهُ نوراً وبُرهَانا
وَكَانَ فِي الحَرْبِ سيفاً صَارِماً ذكراً	ليثاً إذا لَقِيَ الأقرآن أَقرآنا
ذكرتُ قَاتِلَهُ والدَّمْعُ مُنْحَدِرٌ	فَقُلْتُ سبحانَ ربِّ النَّاسِ سُبحانا
إِنِي لأَحْسَبُهُ ما كانَ مِنْ بَشَرٍ	يخشى المعَادَ ولكنْ كانَ شَيْطانا
أَشْقَى مُراداً إذا عُدَّت قبائِلُها	وأَخْسَرُ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ ميزانا
كعاقِرُ النَّاقَةِ الأولى التي جلبت	على ثمودَ بأرضِ الحِجْرِ خُسْرانا
قَدْ كان يُخْبِرُهُم أَنْ سَوْف يَخْضِبُها	قَبْلَ المنِيَّةِ أَزْمَاناً فَأَزْمَانا
فَلاَ عَفَا اللهُ عَنْه ما تَحَمّلَه	وَلاَ سَقَى قَبْرَ عِمْرَانَ بْنِ حَطَّانا
لقولِهِ في شَقِيٍّ ظَلَّ مُجْتَرِماً	وَنَالَ مَا نَالَهُ ظلماً وَعُدْوانا
يا ضَربةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أراد بِهَا	إلا لِيَبْلُغَ من ذي العَرْشِ رِضْوَانا
بل ضَربةً من غَوِيٍّ أَوْرَدَتْهُ لظىً	فَسَوْف يَلْقَى بها الرَّحْمنَ غَضْبَانا
كأنَّه لَمْ يُرِدْ قصداً بِضَرْبَتِهِ	إلاَّ لِيَصْلَى عَذَابَ الخُلْدِ نيرانا[1]

وهكذا خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم، وقد طويت بوفاته صفحة من أنصع صفحات التاريخ وأنقاها ؛ فقد عرف فيه التاريخ رجلاً فذاً من طراز فريد، كانت همته في رضا الله تعالى، وكان همه انتصار الإسلام، وأعظم أمانيه سيادة أحكام الله في دنيا الناس، وأقصى غايته تحقيق العدالة بين أفراد رعيته.

إن دراسة عهد الخلفاء الراشدين تمد أبناء الجيل بالعزائم الراشدية، التي تعيد إلى الحياة روعة الأيام الجميلة الماضية، وبهجتها وبهاءها، وترشد الأجيال بأنه لن يصلح أواخر هذا الأمر إلا بما صلحت به أوائله، وتساعد الدعاة والعلماء وطلاب العلم على التأسي بذلك العهد الراشدي، ومعرفة خصائصه ومعالمه، وصفات قادته وجيله، ونظام حكمه ومنهجه في السير في دنيا الناس، وذلك يساعد أبناء الأمة على إعادة دورها الحضاري من جديد.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة الواحدة إلا خمس دقائق ظهراً بتاريخ 17 ربيع الاخر 1424 هـ، الموافق 7 يونيو 2003 م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به، ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *﴾ [فاطر: 2].

---

[1] العمران: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بفضله وكرمه وجوده، متبرئاً من حولي وقوتي، فالله هو المتفضِّلُ وهم المكرم وهو المعين وهو الموفِّقُ، فله الحمد على ما منّ به عليّ أولاً واخراً، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، وأن يثيبني على كل حرف كتبته، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ؛ فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى. وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ *﴾ [النمل: 19].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ

17/ربيع الاخر 1424 هـ

* * *



الخاتمة

وبعد فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها فصول هذا الكتاب الذي سميته، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شخصيته وعصره، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليَّ فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد عند الرضى، وله الحمد بعد الرضى، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله برأي منه، وحسبي أني كنت حريصاً أن لا أقع في الخطأ، وعسى أن لا أحرم من الأجر، وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرأه في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *﴾ [الحشر: 10].

وبقول الشاعر أبو محمد القحطاني:

قُلْ: إنَّ خَيْرَ الأنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ ... وَأَجَلَّ مَنْ يَمْشِي على الكُثْبَانِ
وأَجَلَّ صَحْبِ الرُّسْل صَحْبُ مُحَمَّدٍ ... وَكَذلِكَ أَفْضَلُ صَحْبِهِ العُمَرَانِ
رَجُلانِ قَدْ خُلِقَا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ ... بِدَمِي وَنَفْسِي ذَانِكَ الرّجُلانِ
فهما اللَّذانِ تَظَاهَرا لِنَبيّنا ... فِي نَصْرِهِ وَهُمَا لَهُ صِهْرَانِ
بِنْتَاهُمَا أَسْنى نِسَاءِ نَبِيِّنَا ... وَهُمَا لَهُ بِالوَحْيِ صَاحِبَتَانِ
أَبَواهُمَا أَسْنى صَحَابَةِ أَحْمَدٍ ... يَا حبَّذا الأَبَوَان وَالبِنْتَانِ
وَهُمَا وَزِيراه اللَّذَانِ هُمَا هُمَا ... لِفَضَائِلِ الأَعْمَالِ مستَبِقَانِ
وَهُمَا لأَحْمَدَ نَاظِرَاهُ وَسَمْعُهُ ... وبِقُرْبِهِ فِي القَبْرِ مُضْطَجِعَانِ
كَانَا عَلَى الإِسْلاَمِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ ... وَهُمَا لِدِيْنِ مُحَمَّدٍ جَبَلانِ
أَصْفَاهُمَا أقواهُمَا أَخْشَاهُمَا ... أَتْقَاهُمَا فِي السِّرِّ والإِعلانِ
أسناهُمَا أزكاهُمَا أعلاهُمَا ... أَوْفَاهُمَا فِي الوَزْنِ وَالرُّجْحَانِ
صديقُ أَحْمَدَ صاحبُ الغَارِ الَّذي ... هُوَ فِي المَغَارَةِ والنبيُّ اثْنَانِ
أعني: أبا بكرِ الَّذي لَمْ يَخْتَلِفْ ... مِنْ شَرْعِنا فِي فَضْلِهِ رَجُلانِ
هو شيخُ أصْحَابِ النَّبِيّ وخيرُهُمْ ... وَإِمَامُهُمْ حَقّاً بِلاَ بُطْلاَنِ
وَأَبو المطَهَّرَةِ التي تَنْزِيهُهَا ... قَدْ جَاءَنا فِي النُّورِ والفُرْقَانِ
أَكْرِمْ بِعَائِشَةَ الرِّضى من حُرَّةٍ ... بِكْرٍ مُطَهَّرَةِ الإِزَارِ حَصَانِ

هِـيَ زوجْ خَـيْرِ الأنـبـيـاءِ وَبِـكْـرُهُ ... وَعَرُوسُـــــه مِنْ جُمْلَـةِ النِّسْـــوانِ

هِيَ عِرْسُـــــه هِيَ أُنْسُــــهُ هِي إِلْفُهُ ... هِيَ حِبُّـهُ صِـــــدْقـاً بلا أَدْهَـانِ

أوليس والـدُهـا يُصـــافي بَعلَهَـا ... وهمـا بـرُوحِ اللهِ مُـؤتَـلِـفَـانِ

لمـا قضـــى صـــدِّيقُ أَحْمَدَ نَحْبَـهُ ... دَفَـعَ الخِـلاَفَـةَ لـلإِمَـامِ الـثَّـاني

أعـني بـه: الـفـاروقَ فـرَّقَ عُـنْـوَةً ... بالسَّـــيـفِ بـينَ الـكُـفْـرِ وَالإِيْمَـانِ

هو أظهر الإِســـلامَ بَعْـدَ خَفَـائِـهِ ... وَمَحَـا الـظَّـلاَمَ وَبَاحَ بالـكِـتْـمَـانِ

وَمَضَـــى وخلَّى الأمْرَ شـــورى بينهم ... في الأمْرِ فـاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَـانِ

مَنْ كـانَ يَسْـــهَرُ ليلـةً في رَكْعَةٍ ... وِتْـراً فـيُـكْـمِـلُ خَـتْـمَـةُ الـقـرآن

وَلِيَ الخلافـةَ صِـــهرُ أَحْمَـدَ بَعْـدَهُ ... أعـنِي عَـلِـيَّ الـعـالِمَ الـرَّبَّانِي

زَوجَ البَتُولِ أخـا الرَّســـولِ وَرُكْنُـهُ ... لَـيْـثُ الحُـرُوبِ مُـنَـازِلُ الأَقـرآن

ســبحـانَ مَنْ جَعَـلَ الخِلافَـةَ رُتْبَـةً ... وَبَـنَى الإِمَـامَـةَ أيّمـا بُـنْـيَـانِ

واستخْلَفَ الأَصْـحَابَ كَيْ لاَ يَدَّعي ... مِـنْ بَـعْـدِ أَحْمَـدَ في الـنُّـبُـوَّةِ ثاني

أَكْرِمْ بِفَـاطِـمَـةَ البَـتُولِ وَبَـعْلِهَـا ... وَبِمَنْ هُـمَـا لِـمُـحَـمَّـدٍ سِـــبْطَـانِ

غُصـــنَانِ أَصْـــلُهُمَا بِرَوْضَـــةِ أَحْمَد ... للهِ دَرُّ الأَصْـــــلِ والـغُـصْـــنَـانِ

أَكْرِمْ بِطَلْحَـةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَــعْـدِهِمْ ... وَسَـــعِـيـدِهِـمْ وَبِـعَـابِـدِ الـرَّحْمـنِ

وَأبِي عُبيـدةَ ذِي الـدِّيانَـةِ وَالتُّقَى ... وَامْـدَحْ جَمَـاعَـةَ بَيْعَـةِ الرِّضْـــوَانِ

قُـلْ خيرَ قولٍ في صَـــحَـابَـةِ أَحْمَـد ... وَامْـدَحْ جَمِـيـعَ الالِ والـنِّسْـــوَانِ

دَعْ ما جَرَى بين الصَّـحَابَةِ في الوَغَى ... بِسُـــيُوفِهِمْ يَوْمَ التَـقَى الجَمْعَـانِ

فـقـتـيـلُـهُـمْ مِـنـهُـمْ وَقَـاتِـلُـهُـم لَهُمْ ... وَكِلاَهُمَـا في الحَشْــرِ مَرْحُومَـانِ

واللهُ يَوْمَ الحَشْـــرِ يَنْزِعُ كُـلَّ مَـا ... تَحْوِي صُــــدورَهُمُ مِنَ الأَضْـغَـانِ

والـويـلُ لـلـرَّكْـبِ الـذين سَـــعَـوا ... إلى عثمانَ فاجْتَمَعُوا عَلَى العِصْـيَانِ

وَيْـلٌ لِمَنْ قَتَـلَ الحُسَـيْنَ، فَـإِنَّـهُ ... قَـدْ بَاءَ مِـنْ مَـوْلاَهُ بِالخُسْــرَانِ

لَسْـــنَـا نُكَفِّرُ مُسْــلِمـاً بكبيرةٍ ... فَـاللهُ ذُو عَـفْـوٍ وَذُو غُـفْـرَانِ

وبقول الشاعر:

أَنَا الـفَـقِـيرُ إِلَى رَبِّ الـبَرِيَّاتِ ... أَنَا المِسْـــكِينُ في مَجْموعِ حَـالاَتِي

أَنَا الظَّلومُ لِنَفْسِــي وَهِيَ ظَـالِمَتِي ... والخيرُ أَنْ يَأتينـا مِنْ عِنْـده يَأتِي

لاَ أســـتطيعُ لنفســـي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ ... وَلاَ عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ المَضَـرَّاتِ

والفَقْرُ لِي وَصْــــفُ ذاتٍ لازمٌ أبـداً	كمـا الغِنى أَبَـداً وَصْـــفٌ لَـهُ ذاتِ
وَهــذِهِ الحَـالُ حَـالُ الخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ	وَكُـلُّـهُـمْ عِـنْـدَهُ عَـبْـدٌ لَـهُ اتِ

وبقول الشاعر:

اطْلُـبِ العِلْمَ وَلاَ تَكْسَـــلْ فَمَـا	أَبْعَـدَ الخَيْرَ عَلَى أَهْـل الكَسَــــلْ
احتـفـلْ لـلـفِـقْـهِ في الـدِّيـن ولا	تَشْـــتَـغِـل عَـنْـهُ بِمَـالٍ وحَـوَلْ
واهـجُـرِ الـنَّـوْمَ وحَصِّــــلْـهُ فَـمَـنْ	يَـعْـرِفِ المطْلوبَ يَحْقِرْ مَـاَ بَـذَلْ
لا تَــقُــلْ قَــدْ ذَهَـبَـتْ أَرْبَابُـهُ	كُلُّ مَنْ سَـــارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَــلْ

«سبحانك اللهم وبحمدك،أشهد أن لا إله إلا أنت،أستغفرك وأتوب إليك»

* * *



أحاديث ضعيفة وموضوعة في أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

1.	إن الله أوحى إليَّ في عليٍّ ثلاثةَ أشياء ليلة أسري بي: أنه سيد المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغرِّ المحجَّلين.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني رقم 353
2.	السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب.
	(ضعيف جداً) السلسلة الضعيفة رقم 358، وضعيف الجامع رقم 3334
3.	علي إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصورٌ من نصره، ومخذولٌ من خذله.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني رقم 357، وضعيف الجامع رقم 379
4.	لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودٍّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.
	(كذب) السلسلة الضعيفة برقم 400
5.	اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيك، فرد عليه شرقها. (وفي رواية): اللهمّ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس. قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني رقم 971
6.	إن الله أمرني بحبِّ أربعة، وأخبرني أنه يحبُّهم. قيل: يا رسول الله! من هم؟ (وفي رواية: سمِّهم لنا) قال: علي منهم . يقول ذلك ثلاثاً . وأبو ذر، وسلمان، والمقداد ؛ أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم.
	(ضعيف) السلسلة الضعيفة للألباني برقمي 1549، 3128، وضعيف الجامع رقم 1566، وضعيف سنن الترمذي 771، وضعيف سنن ابن ماجه 28، والمشكاة 6249
7.	أنا مدينة العلم وعلي بابها ؛ فمن أراد العلم فليأت بابه.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم 2955
8.	أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس لسبع سنين.
	(باطل) ضعيف سنن ابن ماجه برقم 23
9.	رحم الله علياً؛ اللهمَّ أدر الحق معه حيث دار.
	(ضعيف جداً) السلسلة الضعيفة رقم 2094. وضعيف الجامع رقم 3095. وضعيف سنن الترمذي رقم 767، والمشكاة رقم 6125

10.	علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا على الحوض.
	(ضعيف) ضعيف الجامع برقم 3802
11.	علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين
	(ضعيف) ضعيف الجامع رقم 3805
12.	ليلة أسري بي انتهيت إلى ربي عز وجل، فأوحى إليَّ في علي بثلاث: أنه سيد المسلمين، وولي المتقين، وقائد الغرّ المحجلين.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة رقم 4889
13.	يا أنس: انطلق فادع لي سيد العرب . يعني علياً .، فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد ادم، وعلي سيد العرب، يا معشر الأنصار! ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده؟! قالوا: بلى يا رسول الله! قال:: هذا علي فأحبوه بحبي، وأكرموه لكرامتي ؛ فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم 4890
14.	أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم 4891
15.	أنا المنذر، وعلي الهادي، بك يا علي يهتدي المهتدون بعدي.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم 4899
16.	لما أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، صفوتي من خلقي أيدته بعلي ونصرته.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم 4902
17.	من أراد أن ينظر إلى ادم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى في زهده، وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم 4903
18.	تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين: بالطرقات والنهروانات والشعفات.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم 0907
19.	نزلت هذه الآية يوم غدير خم في ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾
	السلسلة الضعيفة برقم 4922
20.	لما نصب رسول الله علياً بغدير خم، فنادى له بالولاية هبط جبريل بهذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾
	(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم 4923

21.	هذا أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، يعني: علياً.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم 4932
22.	أنشدكم الله: هل فيكم أحد اخى رسول الله بينه وبينه ـ إذ اخى بين المسلمين ـ غيري؟ قالوا: اللهم لا.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم 4949
23.	لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.
	(مكذوب) على منهاج السنة (70/5)
24.	حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة.
	(مكذوب) على منهاج السنة (73/5)
25.	الثقلان كتاب الله، طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لا تضلوا، والاخر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم.
	(ضعيف) السلسلة الضعيفة برقم 4914
26.	معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب.
	(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم 4917
27.	إن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا.
	هذا الحديث باطل متناً وسنداً: أما من ناحية السند فيه عبد الغفار بن القاسم: قال عنه الذهبي: أبو مريم الأنصاري رافضي، ليس بثقة، قال علي بن المديني: كان يضع الحديث. ميزان الاعتدال (640/2)
28.	إن وصيي وموضع سري هو علي بن أبي طالب، وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب.
	رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (141/9) وعزاه إلى الطبراني وقال: فيه ناصح بن عبد الله، وهو متروك
29.	أنا دار الحكمة وعلي بابها.
	رواه الترمذي، وأبو نعيم سكت عن قول الترمذي: هذا حديث غريب منكر.. ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات، عن شريك، حديث رقم 3723 وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع. مشكاة المصابيح (1777/3) وحكم ابن الجوزي بأنه مكذوب. الموضوعات (349/1)
30.	أنت يا علي وشيعتك ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ *﴾
	أبو الجارود: زياد بن المنذر الكوفي، قال عنه الحافظ ابن حجر: رافضي كذبه يحيى بن معين. (التقريب 2101)

31.	أوحى الله إلي في علي ثلاثاً: إنه سيد المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين.
	قال الحافظ: قال الحاكم في المناقب: صحيح الإسناد. قلت: بل هو ضعيف جداً ومنقطع أيضاً، إتحاف المهرة (344/1). وقد رد الذهبي هذا الحديث كما في تعليقه على الحديث (المستدرك 139/3) قائلاً بأن عمر بن الحصين العقيلي وشيخه يحيى بن العلاء الرازي متروكان، بل صرح بأن الحديث موضوع
32.	بخ بخ لك يا علي! أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة.
	فيه علي بن زيد بن جدعان. قال عنه الجوزجاني: واهي الحديث ضعيف. الشجرة في أحوال الرجال، ص 194. قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (226/1): هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به. ومن فوقه إلى أبي هريرة ضعفاء، وقال البزار: تكلم فيه جماعة من أهل العلم. (كشف الأستار، ص 490) وقال الدارقطني: ليس بالقوي. سنن الدارقطني (103/1)
33.	رحم الله علياً اللّهم أدر الحق معه حيث دار.
	رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين. (المستدرك (125/3) فيه المختار بن نافع التميمي قال الذهبي تعقيباً على الحاكم: المختار ساقط. وقال الحافظ: المختار ضعيف (التقريب 6522)
34.	عليٌّ أخي في الدنيا والاخرة.
	ضعيف (انظر ضعيف الجامع للألباني 3801)
35.	علي باب حطة ومن دخله كان امناً.
	موضوع: فيه حسين الأشقر. قال البخاري: فيه نظر. التاريخ الكبير (2862/2) وقال: عنده مناكير (التاريخ الصغير 319/2). انظر: السلسلة الضعيفة للألباني 3913
36.	علي خير البشر، فمن أبى فقط كفر.
	موضوع: قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن عدي من طرق كلها ضعيفة (تسديد القوس: 89/3). قال الذهبي: هذا حديث منكر. ووصف الذهبي هذا الحديث بأنه باطل جلي (ميزان الاعتدال 521/1)، وابن الجوزي في الموضوعات (348/1).
37.	لقد علمت أن علياً أحب إليك من أبي، مرتين أو ثلاثاً.
	ضعفه الألباني. ضعيف أبي داود ص 491
38.	مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ؛ من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق.
	رواه الطبراني في الكبير (37/3)، والهيثمي (168/9) في إسناده عبد الله ابن داهر والحسن بن أبي جعفر، وهما متروكان، وقاله الهيثمي.

39.	من أحب أن يحيا حياتي، ويموت موتتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي عز وجل غرس قضبانها بيديه؛ فليتول علي بن أبي طالب.
	صححه الحاكم (128/3) وتعقبه الذهبي، فيه القاسم متروك وشيخه ضعيف، وهو: يحيى بن العلي الأسلمي: قال الحافظ في التقريب (7677) شيعي ضعيف. لكنه أخطأ في ذكر اسم الأسلمي، فسماه المحاربي واستغل عبد الحسين في المراجعات ذلك أبشع استغلال
40.	ما صب الله في صدري شيئاً إلا صببته في صدر علي.
	حديث موضوع. الموضوعات (131/1) أسنى المطالب 1262
41.	محبك محبي، ومحبي محب الله، ومبغضك مبغضي، ومبغضي مبغض الله.
	قال الحافظ: ((رواه ابن عدي وهو باطل)). لسان الميزان (109/2)
42.	يا علي! أبشر فإنك وأصحابك وشيعتك في الجنة، يا علي! صليت العصر؟ قال: لا، قال: اللّهمّ إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة رسولك، فردّ عليه الشمس، قال: فردها عليه، فصلى عليّ وغابت الشمس.

أهم المصادر والمراجع

1. المهدي وفقه أشراط الساعة، الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدّم، الدار العالمية ـ الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1423 هـ.
2. انتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضالّ، للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، 1418 هـ 1997م.
3. النهج المبين للأصول العشرين، عبد الله القاسم الوشلي، دار المجتمع ـ جدة، الطبعة الأولى 1411 هـ 1990 م.
4. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د.ناصر بن عبد الله القفاري، دار طيبة ـ السعودية الطبعة الثانية، 1413 هـ السعودية.
5. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، د. ناصر بن عبد الله ابن علي القفاري، دار الرضا للنشر والتوزيع ـ الجيزة بمصر، الطبعة الثالثة، 1418 هـ 1998 م.
6. بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، عبد الله الجميلي، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة، الطبعة الثانية، 1414 هـ 1994 م.
7. السنة ومكانتها في التشريع، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، 1405 هـ 1985 م.
8. انتصار الحق؛ مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية، مجدي محمد علي، دار طيبة، الطبعة الأولى، 1418 هـ 1997 م.
9. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1403 هـ 1983م.
10. سنن سعيد بن منصور، دار الصميعي ـ الرياض، الطبعة الثانية، 1420 هـ 2000 م.
11. مسند الدارمي، لأبي محمد عبد الله الدّارمي، دار المغني ـ الرياض، 1421 هـ 2000 م.
12. الموسوعة الحديثية السنن الكبرى، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن سعيد النسائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ 2001 م.
13. ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الخضر، دار الإيمان، الطبعة الأولى، 1424 هـ 2003 م.
14. المحصول في علم الأصول، لفخر الدين محمد عمر بن الحسين الرازي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1418 هـ 1997 م.
15. فقه الإمام علي بن أبي طالب، أحمد محمد طه، رسالة مقدمة لجامعة بغداد قسم الدراسات الإسلامية الدينية، لم تطبع.
16. أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ 1988 م.
17. تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1418 هـ 1997 م.
18. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1411 هـ 1991م.
19. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون، 1417 هـ 1996 م.
20. سورة الحجرات، د. ناصر العمر، دار الصديق ـ صنعاء، الطبعة الثالثة، 1422 هـ 2002 م.
21. منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس، عبدو الحاج محمد الحريري، رسالة مقدمة لجامعة بغداد.
22. الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، لأبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1996 م.

23. مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع، د. علي السالوس، دار التقوى، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1997م.
24. سير الشهداء، دروس وعبر، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، دار الوطن، الطبعة الأولى، 1419 هـ 1999م.
25. نساء أهل البيت، منصور عبد الحكيم، المكتبة التوفيقية.
26. الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين، محمد رضا، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
27. تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2001 م.
28. خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عبد الحميد علي ناصر فقيهي، رسالة علمية قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لم تطبع حتى الان، أشرف عليها الدكتور أكرم ضياء العمري.
29. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ 1992 م.
30. البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الريان، الطبعة الأولى، 1408 هـ 1988 م.
31. جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل، دار المجتمع ـ المدينة، الطبعة الخامسة، 1416 هـ 1995 م.
32. الصحيح المسند في فضائل الصحابة، لأبي عبد الله مصطفى العدوي، دار ابن عفّان ـ السعودية، الخبر، الطبعة الأولى، 1416هـ 1995م.
33. الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، د. علي محمد الصَّلاَّبي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1423 هـ 2002 م.
34. دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1418 هـ 1997م.
35. دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار الفرقان للنشر والتوزيع ـ عمان، الطبعة الأولى، 1420 هـ 1999م.
36. الصّواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لأبي العباس أحمد ابن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1997 م.
37. فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، دار طويق ـ الرياض، 1419 ـ 1998 م.
38. الخوارج في العصر الأموي، د. نايف معروف، دار الطليعة ـ بيروت، الطبعة الرابعة.
39. شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور، لأبي عمر عبد الله بن محمد الحمادي، مكتبة الصحابة ـ الشارقة، الطبعة الأولى، 1420 هـ 1999 م.
40. الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد بن حنبل، توزيع وزارةالشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية، 1420هـ 1999م.
41. الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، د. حبيب يوسف مغنية، دار مكتبة الهلال، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1995 م.
42. الطبقات لابن سعد، دار صادر ـ بيروت.
43. عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د. ناصر علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى،

1413 هـ 1993م.

44. السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى، 1410 هـ.
45. بيعة علي بن أبي طالب، أم مالك الخالدي، حسن فرحان المالكي، مركز الدراسات التاريخية ـ عمَّان، الطبعة الثالثة.
46. تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، محمد أحمد الذهبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1407 هـ 1987 م.
47. فتح الباري، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية، 1410 هـ.
48. المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد محمد حسن شُرَّاب، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ 1994م.
49. تاريخ الطبري، لأبي جعفر، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1407 هـ 1987 م.
50. استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري دراسة نقدية، د. خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء ـ جدة، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
51. سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان السجستاني، تحقيق وتعليق: عزت الدعاس، سورية ـ 1391 هـ.
52. سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.
53. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، 1398 هـ.
54. سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي، بشرح جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1348 هـ 1930 م.
55. الإحسان في صحيح ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ 1991م.
56. السلسلة الصحيحة، للألباني، المكتب الإسلامي.
57. معجم الطبراني الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، 1406 هـ 1995 م.
58. السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
59. شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذرعي، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني،المكتب الإسلامي بيروت، 1391هـ.
60. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.
61. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1411 هـ 1991 م.
62. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1972 م.
63. صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، 1347 هـ 1929 م.
64. مجموعة الفتاوى، تقي الدين أحمد ابن تيمية الحرّاني، دار الوفاء بالمنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى، 1418 هـ 1997 م.
65. المصنف في الأحاديث والاثار، للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة، طبع: الدار السلفية، بومباي ـ الهند، الطبعة الأولى، 1403 هـ.
66. المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، طبع: المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثانية،

1403 هـ.

67. العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، إعداد: محمد سعيد مبيّض، دار الثقافة، قطر ـ الدوحة، الطبعة الثانية، 1989 م.

68. تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، تأليف: د. محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ 1994 م.

69. الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، طبعة الجامعة الإسلامية، 1975 م.

70. الإمامة والرد على الرافضة، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق وتعليق: د. علي ابن محمد بن ناصر الفقيهي، طبع: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، 1407 هـ.

71. أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي، طبع: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1346 هـ.

72. الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: نشاط اباد، فيصل اباد ـ باكستان.

73. الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1403 هـ.

74. المقدمة، لابن خلدون.

75. عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان بن حمد العودة، دار طيبة ـ الرياض، الطبعة الثالثة، 1412هـ.

76. الوصية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المطبعة السلفية ومكتبتها، نشر: قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة، 1401 هـ.

77. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للقاضي أبي علي محمد بن الطيب الباقلاني، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، 1407هـ 1987 م.

78. دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د. عبد الرحمن الشجاع، دار الفكر المعاصر ـ صنعاء، الطبعة الأولى، 1419 هـ 1999م.

79. الخلافة بين التنظير والتطبيق، محمود المرداوي، الطبعة الأولى، 1403 هـ 1983 م.

80. منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، د. سليمان بن قاسم العيد، دار الوطن ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1422 هـ 2002م.

81. الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر، معهد الفكر العالمي.

82. عبقرية علي، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية ـ بيروت.

83. خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار ثابت ـ القاهرة، دار الفكر ـ دمشق، الطبعة الأولى، 1415 هـ 1994 م.

84. علي بن أبي طالب، خالد البيطار.

85. علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى، 1412 هـ 1991 م.

86. الأدب الإسلامي في عهد النبوة، نايف معروف، دار النفائس، بيروت ـ لبنان.

87. الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار القلم ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ 1986 م.

88. المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن بن علي بن أبي طالب، لأبي الحسن الندوي، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الثانية، 1419هـ

1998 م.

89. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر ـ بيروت.

90. تاريخ المذاهب، لأبي زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى.

91. نظام الحكم في الإسلام، عارف أبو عبيد، دار النفائس ـ الأردن، الطبعة الأولى، 1416 هـ 1996 م.

92. الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار طيبة ـ السعودية، الطبعة الثانية، 1409هـ.

93. مشكاة المصابيح، للبغوي.

94. فتاوى في التوحيد، عبد الله بن جبرين.

95. الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، عبد العزيز بن أحمد بن حامد، غرّاس للتوزيع ـ الكويت، الطبعة الأولى 1422 هـ.

96. مسند الإمام زيد بن علي، جمع عبد العزيز بن إسحاق البغدادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 1403 هـ.

97. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، 1408 هـ.

98. صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض، الطبعة الثالثة، 1408 هـ 1988 م.

99. صحيح النسائي، للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض، الطبعة الثالثة، 1408 هـ 1988 م.

100. مشكاة المصابيح، للألباني.

101. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

102. فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي ـ السعودية، الطبعة الثانية، 1420 هـ 1999 م.

103. الجامع لأخلاق الراوي واداب السامع، الحافظ الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف ـ الرياض، 1403هـ.

104. شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادي، تحقيق: سعيد أوغلي، نشر دار إحياء السنة النبوية.

105. مسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر دار المعارف ـ مصر، الطبعة الثالثة، 1368 هـ.

106. تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم، سعد الله بن جماعة، دار الكتب العلمية.

107. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، دار بيروت ـ لبنان.

108. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الفكر، دار الكتب الإسلامية، 1402 هـ.

109. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، الطبعة الرابعة، 1419 هـ 1998 م.

110. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين الطبري، دار المعرفة ـ بيروت.

111. تاريخ الخلفاء، للسيوطي، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1997 م.

112. صفة الصفوة، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.

113. التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر د. عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدعوة الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء ـ جدة، الطبعة الأولى، 1418 هـ 1998 م.

114. أدب الدين والدنيا، للماوردي.

115. المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، للدمياطي.

116. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني، المعروف بابن الأثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ 1989 م.

117. صحيح التوثيق في سيرة علي بن أبي طالب، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1996 م.
118. الإمام علي بن أبي طالب، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 1403 هـ 1983 م.
119. رجال الفكر والدعوة، للندوي، دار ابن كثير.
120. كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، تصنيف: نديم مرعشلي، أسامة مرْعشلي، مؤسسة الرسالة، 1413 هـ 1993 م.
121. أخلاق النبي في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1419 هـ 1999 م.
122. روح المعاني، للآلوسي.
123. الزهد، للإمام أحمد بن حنبل.
124. أصحاب الرسول، محمود المصري، مكتبة أبي حذيفة السلفي، الطبعة الأولى، 1420 هـ 1999 م.
125. نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابي الحلبي وشركاه ـ القاهرة.
126. تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، د. صبحي محمصاني، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1984 م.
127. مفتاح دار السعادة لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، 1392 هـ.
128. مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، 1392 هـ.
129. تاريخ دمشق، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.
130. لطائف المعارف، لابن رجب، دار ابن كثير.
131. عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
132. التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1410هـ.
133. معرفة الصحابة، لأبي نعيم، تحقيق: محمد راضي ابن حاج عثمان، مكتبة الدار في المدينة النبوية، ومكتبة الحرمين في الرياض، الطبعة الأولى، 1408هـ.
134. موسوعة فقه علي بن أبي طالب، محمد رواس قلعجي، دار النفائس ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1996 م.
135. فقه التمكين في القرآن الكريم، د. علي محمد الصَّلاَّبي، دار الوفاء ـ المنصورة، الطبعة الأولى، 1421 هـ 2001 م.
136. شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة ـ الرياض.
137. المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة، للزمخشري، تحقيق: سيد إبراهيم صادق، دار الحديث، طبعة 1422 هـ 2001 م.
138. الشيخان أبو بكر الصديق وعمر من رواية البلاذري في أنساب الأشراف، تحقيق: د. إحسان صديق العمد، المؤتمن للنشر ـ السعودية، الطبعة الثالثة، 1418 هـ 1997 م.
139. نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد، المؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ 1994م.
140. الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، 1404 هـ 1984 م.
141. النظام السياسي في الإسلام، د. محمد أبو فارس، دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن، الطبعة الثانية 1407 هـ، 1986 م.
142. روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي، المطبعة السلفية ـ القاهرة، الطبعة الرابعة،

1391هـ.

143. الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري، د. سليمان بن صالح بن سليمان ال كمال، منشورات جامعة أم القرى.

144. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة كوتسا توماسي بالقاهرة.

145. فن الحكم الإسلامي، مصطفى أبو زيد فهمي، المكتب المصري الحديث.

146. الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمي، دار البشير، الطبعة الأولى، 1405 هـ 1985 م.

147. المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله النيسابوري، بذيله: التلخيص، للذهبي، دار الفكر، طبعة 1390 هـ 1970م.

148. نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده، دار البلاغة، الطبعة الثامنة، 1421 هـ 2000 م.

149. مسند أبي يعلي، أحمد بن علي المثنى التميمي، تحقيق وتخريج: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة الأولى.

150. مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان ـ القاهرة، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

151. الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصَّلاَّبيّ، دار النفائس، دار البيارق ـ عمَّان، الطبعة الأولى، 1999 م.

152. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للشيخ عبد الرحمن السعدي.

153. الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، لابن عبد البر، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

154. الغلو في الدين، د. الصادق عبد الرحمن الغرياني، دار السلام، الطبعة الأولى، 1422 هـ 2001 م.

155. المواعظ والاعتبار، أحمد بن علي عبد القادر المقريزي، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافية الدينية ـ القاهرة، 1987 م.

156. الاعتصام، للشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة ـ بيروت، سنة 1402 هـ.

157. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن قيم الجوزية.

158. في ظلال الإيمان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، مكتبة المنار ـ الأردن ـ الزرقاء، الطبعة الأولى، 1407 هـ 1987 م.

159. تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصَّلاَّبيّ، دار الصحابة، الطبعة الأولى، 2001 م.

160. تفسير الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية.

161. السيرة النبوية، لابن هشام، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، بدون تاريخ.

162. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار صادر ـ بيروت.

163. عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1406 هـ 1986 م.

164. الإعجاز والإيجاز، أبو منصور الثعالبي، دار الرائد العربي ـ بيروت.

165. مروج الذهب ومعادن الجواهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار المعرفة ـ بيروت، 1403 هـ 1982 م.

166. الشريعة، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الاجري، تحقيق: د. عبد الله بن سليمان الدميجي، دار الوطن ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1418 هـ 1997 م.

167. الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1421 هـ 2000 م.

168. مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، مكتبة البيان ـ دمشق، 1398 هـ.

169. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، 1410 هـ 1990 م.

170. إحياء علوم الدين، للغزالي.

171. معالم السلوك وتزكية النفوس، عبد العزيز محمد العبد اللطيف، دار الوطن ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1414 هـ.

172. بدائع الفوائد، لابن القيم، مكتبة الرياض.

173. صيد الخاطر، لابن الجوزي.

174. الأخلاق والسير، لابن حزم.

175. الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، المكتبة القيمة ـ القاهرة.

176. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

177. نظام الحكومة الإسلامية للكتاني: المسمى التراتيب الإدارية، محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني، الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت.

178. الأموال، لأبي عبيد، تحقيق: محمد خليل هرّاس، مكتبة الكليات الأزهرية.

179. الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار طارق، دار الكندي ـ الأردن.

180. الهبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، د. فضل إلهي مؤسسة الجريسي ـ الرياض، الطبعة الثالثة، 1420 هـ 1999 م

181. المغني، للإمام العلامة ابن قدامة المقدسي، دار الحديث ـ القاهرة، الطبعة الأولى، 1416 هـ 1996 م.

182. الخراج، لأبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم، المكتبة السلفية ـ القاهرة، الطبعة الثالثة، 1382 هـ.

183. ولاية الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني، دار عالم الكتب ـ الرياض، الطبعة الثانية، 1414 هـ 1994 م.

184. تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، ودار القلم ـ بيروت، الطبعة الثانية، 1397هـ.

185. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ 1995 م.

186. علي بن أبي طالب، د. علي شرفي، دار الكندي ـ إربد ـ الأردن، الطبعة الأولى، 2001 م.

187. الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد العزيز إبراهيم العمري، الطبعة الأولى، 1409 هـ.

188. من أصول الفكر السياسي، محمد فتحي عثمان، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية، 1404 هـ 1984 م.

189. النظم المالية في الإسلام، عيسى عبده، معهد الدراسات الإسلامية ـ القاهرة 1396 هـ 1397 هـ.

190. السياسة المالية لعثمان بن عفان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986 م.

191. تاريخ العرب، مطول، د. فيليب حتي، ترجمة: إدوارد جرجي، د. جبرائيل جبور، دار الكشاف ـ بيروت، 1949 م.

192. وقائع ندوة النظم الإسلامية ـ أبو ظبي، 1405 هـ 1984 م.

193. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي، دار النفائس ـ بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ 1987 م.

194. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، طبعة 1407 هـ.

195. 195 ـ الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله، عبد السلام السليماني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المملكة المغربية.

196. خلاصة التشريع الإسلامي، عبد الوهاب خلاَّف، دار القلم، الطبعة الثانية، 1402 هـ 1982 م.

197. تاريخ القضاعي، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، للإمام القاضي محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي، مطبوعات

جامعة أم القرى.

198. تاريخ القضاء في الإسلام، د. محمد الزحيلي، دار الفكر ـ دمشق، دار الفكر المعاصر ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1415 هـ 1995م.

199. أخبار القضاة لوكيع، وكيع محمد بن خلف بن حيان، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الأولى 1366 هـ 1947 م.

200. الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، دار الفكر ـ بيروت، بدون تاريخ.

201. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق: حسن تميم، مكتبة الحياة ـ بيروت، 1964 م.

202. صحيح سنن أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

203. شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، دار الفكر ـ بيروت، طبعة 1401 هـ 1981 م.

204. المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، مطبعة الإمام بمصر.

205. المبسوط، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة ـ بيروت.

206. المحلى بالاثار، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

207. معجم الطبراني الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، دار العربية ـ بغداد، 1398 هـ.

208. جمع الجوامع بحاشية العطار، للإمام ابن السبكي، مع شرح الجلال المحلي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

209. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للعلامة علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، الناشر : زكريا علي يوسف.

210. فتح العزيز شرح الوجيز، للإمام أبي القاسم عبد الكريم محمد الرافعي، المطبوع في هامش المجموع.

211. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، مطبعة الكليات الأزهرية، طبعة 1386 هـ 1966 م.

212. المنتقى شرح موطأ الإمام مالك بن أنس، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة، طبعة مصورة على الطبعة الأولى سنة 1313 هـ.

213. إعلاء السنن للمحدث الناقد، ظفر أحمد العثماني، على ضوء ما أفاده الإمام الفقيه الشيخ أشرف علي التهانوي، بتحقيق وتعليق: عبد الفتاح أبو غده، منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ـ باكستان.

214. الإشراف على مذاهب أهل العلم، للحافظ محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، بتحقيق: محمد نجيب سراج الدين دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، الطبعة الأولى، 1406 هـ 1986 م.

215. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشيخ محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهيم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1455 هـ 1985 م.

216. المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس، دار صادر ـ بيروت، طبعة بالأوفست 1323 هـ .

217. سبل السلام، للأمير الصنعاني.

218. مقاصد الشريعة الإسلامية، د. محمد سعد اليوبي، دار الهجرة ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1418 هـ 1998 م.

219. الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، عبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، الطبعة الأولى، 1415 هـ 1995 م.

220. الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري، يحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الهجرة، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1996 م.

221. عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1414 هـ 1994 م.

222. حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد ناصر الغامدي، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1412 هـ 1992 م.

223. الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار الباز ـ مكة المكرمة.

224. شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق: محمد محمد سعيد الخطيب أوغلي، دار إحياء السنة النبوية.
225. الأم، للشافعي، دار المعرفة ـ بيروت.
226. مسائل الإمام أحمد، لأبي داود سليمان بن الأشعث، مطبعة المنار بمصر، سنة 1353 هـ.
227. مناقب الشافعي، للرازي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
228. تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، عن طبعة حيدر اباد.
229. الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من خلاف، د. حامد محمد الخليفة، مطابع الدوحة ـ المدينة الرياضية، عمَّان ـ الأردن، الطبعة الأولى، 1423 هـ 2002 م.
230. الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق د. على نويهض، دار الفكر ـ بيروت، بدون تاريخ.
231. تهذيب تاريخ دمشق، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ 1987 م.
232. الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبي ـ بغداد.
233. كتاب الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ـ الهند، الطبعة الأولى 1388 هـ 1968 م.
234. ولاة مصر، لأبي يوسف محمد بن يوسف الكندي، تحقيق: د. حسين نصار، دار صادر ـ بيروت، بدون تاريخ.
235. مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1410 هـ.
236. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ القاهرة، بدون تاريخ.
237. تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، علي محمد الصَّلاَّبيّ، دار النشر والتوزيع ـ القاهرة، الطبعة الأولى، 1423 هـ 2002 م.
238. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد، مؤسسة قرطبة.
239. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد، مكتبة مدينة العلم ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1393 هـ.
240. فتنة مقتل عثمان بن عفان، محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1419 هـ 1999 م.
241. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف عبد الرحمن المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هـ.
242. اثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1401 هـ 1981 م.
243. الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1371 هـ.
244. وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق: عبد السلام هارون ـ القاهرة، الطبعة الثانية، 1382 هـ.
245. تفسير التابعين، عرض ودراسة مقارنة، د. محمد عبد الله علي الخضيري، دار الوطن، الطبعة الأولى، 1420 هـ 1999 م.
246. فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، علي محمد الصَّلاَّبيّ، دار الصحابة ـ الإمارات، الطبعة الأولى، 2002م.
247. أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د. إبراهيم علي شعوط، المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة، 1408 هـ 1988 م.
248. الفتنة الكبرى ـ علي وبنوه، طه حسين، دار المعارف بمصر، 1966م.
249. صفة الصفوة، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة ـ بيروت.
250. الدراهم المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، وداد علي قزاز، مجلة المسكوكات، مديرية الاثار

العامة ـ بغداد الجزء (1)، المجلد (1)، 1969 م.

251. الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، تحقيق وتعليق: الأستاذ محمد عوامة، نشر محمد أمين دمج ـ بيروت، الطبعة الأولى،1396هـ 1976 م.

252. التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، حققه: د. محمود يوسف زايد، دار الثقافة ـ الدوحة، الطبعة الأولى، 1405 هـ 1985 م.

253. الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوى، دار السلام، الطبعة الأولى، 1409 هـ 1989 م.

254. الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي، د. محسن باقر الموسوي، الغدير ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ 1998م.

255. النظم الإسلامية، صبحي الصالح، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة الخامسة، مايو 1980 م.

256. الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ـ محمد حسين الزبيدي، القاهرة 1970 م.

257. العرافة والنقابة مؤسستان اجتماعيتان مهمتان في العهد النبوي، محمد يوسف الفاروقي، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية ـ إسلام اباد ـ باكستان، 1982 م.

258. التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار الماثر ـ المدينة النبوية، الطبعة الأولى، 1420هـ 1999 م.

259. منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس، د. عبدو الحريري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، لم تطبع.

260. دعاوي الإنقاذ للتاريخ الإسلامي، سليمان العودة، رسالة نشرت على الإنترنت.

261. تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار إحياء التراث ـ بيروت.

262. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر ـ بيروت.

263. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.

264. البيان والتبيين للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجي بمصر، 1388 هـ 1968 م.

265. ميزان الاعتدال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة ـ بيروت.

266. لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الثانية، 1390 هـ.

267. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زيد، دار المعرفة ـ بيروت.

268. رجال الكشي، لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، قدم له وعلق عليه: أحمد السيد الحسيني.

269. عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة، لمحمد علي المعلم.

270. الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن.

271. السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، فان فولتن، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، الطبعة الثانية، 1385 هـ 1965 م.

272. العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسهير أجناس، ترجمة: د. محمد يوسف موسى واخرين، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.

273. تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، نكلسن، رينولد، ترجمة: صفاء خلوصي ـ بغداد، مطبعة المعارف، 1388 هـ 1969 م.

274. عقائد الشيعة، رونلدسن دوايت، تعريب: (ع م)، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، 1365 هـ 1946 م.



275. أصول الإسماعيلية، لويس بارنارد، ترجمه إلى العربية: خليل أحمد جلوّ، جاسم محمد الرجب، مكتبة المثنى ـ بغداد، 1367 هـ 1947 م.

276. عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الثانية، 1391 هـ 1981 م.

277. الدولة الأموية، يوسف العش، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1406هـ 1985 م.

278. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي ـ مصر.

279. أحداث وأحاديث فتنة الهرج، د. عبد العزيز دخان، رسالة دكتوراه بفاس بالمغرب، لم تطبع.

280. المغني في الضعفاء للذهبي، تحقيق: نور الدين عتر.

281. التاريخ الكبير، للبخاري، مؤسسة الثقافة ـ بيروت.

282. دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين، أسماء محمد أحمد زيادة، دار السلام، الطبعة الأولى، 1421 هـ 2001م.

283. الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبي ـ القاهرة.

284. لمع الأدلة في عقائد أهل السنة، للجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، بتحقيق: فوقية حسين محمود، الناشر: الدار المصرية.

285. غياث الأمم في تياث الظلم، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، مطابع الدوحة الحديثة ـ قطر، الطبعة الأولى، 1400 هـ.

286. التذكرة في أحوال الموتى والاخرة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، حققه وخرَّج أحاديثه: فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي.

287. حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان ـ الإسكندرية.

288. العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د. سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة البخاري، الطبعة الأولى، 1420هـ 2000 م.

289. إفادة الأخيار ببراءة الأبرار، محمد العربي التباني، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، 1984 م.

290. أعلام النصر المبين، لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي، تحقيق: د. محمد أمحزون، دار الغرب، الطبعة الأولى، 1998م.

291. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنّا، مطبعة الشعب.

292. تقريب التهذيب، لابن حجر.

293. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، الحافظ أحمد بن عبد الله الجرجاني، دار الفكر للطباعة ـ بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ.

294. الأنصار في العصر الراشدي، سياسياً وعسكرياً وفكرياً، د. حامد محمد خليفة، رسالة دكتوراه من كلية الاداب في جامعة بغداد، لم تطبع، من صورة مصورة.

295. العثمانية، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى.

296. خلاصة الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، محمد كنعان، مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1998م.

297. نسب قريش، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، دار المعارف ـ القاهرة.

298. التاريخ الصغير، للبخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ.

299. أنساب الأشراف، لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.

300. كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير، لأبي الحسن الماوردي.

301. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، للحافظ أبي عبد الله محمد عثمان الذهبي، مكتبة دار البيان، حققه وعلق عليه: محب الدين الخطيب.

302. سير السلف، لأبي القاسم الأصفهاني، دار الراية ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1420 هـ 1999 م.

303. أهل الشورى الذين اختارهم عمر رضي الله عنه، رياض العبد الله، دار الرشيد ـ بيروت ـ دمشق، مؤسسة الإيمان ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1412هـ 1992 م.

304. عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني.

305. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، مطبعة الاعتماد، نشر: محمد عبد المحسن الكتبي، تصحيح : عبد الرحمن محمد عثمان.

306. دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، للأعظمي محمد لقمان الأعظمي الندوي، دار العبيكان، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1997م.

307. الزهد، لابن المبارك.

308. الزبير بن العوام، الثروة والثورة، عبد العظيم الديب.

309. فرسان في عصر النبوة، أحمد خليل جمعة، اليمامة ـ دمشق، الطبعة الأولى، 1420 هـ 1999 م.

310. تاريخ الدعوة الإسلامية، محمد جميل عبد الله المصري، الطبعة الأولى، 1407 هـ 1987 م.

311. معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير وملك مجاهد، منير الغضبان، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الثالثة، 1417 هـ 1996 م.

312. المعرفة والتاريخ، للفسوي، لأبي يوسف الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد ـ بغداد، 1394 هـ.

313. الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة، 1984 م.

314. إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1399هـ.

315. الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، د. حمدي شاهدين، دار القاهرة.

316. مسند أحمد مع الفتح الرباني في ترتيب الإمام، للساعاتي، أحمد عبد الرحمن الساعاتي، مطبعة الفتح الرباني بالقاهرة، الطبعة الأولى.

317. تهذيب الأسماء واللغات، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

318. تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مراجعة: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني ـ المدينة المنورة، 1384 هـ 1964 م.

319. عمرو بن العاص الأمير المجاهد، د. منير محمد الغضبان، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، 1420 هـ.

320. معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.

321. عمّار بن ياسر، أسامة بن أحمد سلطان، المكتبة المكية ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1420 هـ 1999 م.

322. قصص لا تثبت، سليمان بن صالح الخراشي، دار الصميعي ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1420 هـ 1999 م.

323. تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، لأبي يعلي محمد الفرّاء، تحقيق: دار النبلاء ـ عمّان، الطبعة الأولى، 1422 هـ 2001 م.

324. أبو موسى الأشعري، الصحابي العالم المجاهد، عبد الحميد طهماز، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأولى، 1411 هـ 1991.

325. أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز، دار القلم ـ دمشق.

326. مناقب عمر، لابن الجوزي.

327. مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة، 1405 هـ 1985م.

328. صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، 1408 هـ 1998 م.

329. السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، الطبعة الأولى، 1412 هـ 1992 م، مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة.

330. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الثالثة، 1417 هـ 1996 م.

331. صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للألباني، دار الصميعي ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1422 هـ 2002 م.

332. غزوة الحديبية، لأبي فارس، دار الفرقان ـ الأردن.

333. من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1413 هـ 1992 م.

334. إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، محمد الخضري، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1996 م.

335. فتوح الشام، محمد عبد الله الأزدي، تحقيق: عبد المنعم عبد الله عامر، نشر مؤسسة القاهرة 1970 م.

336. القيادة العسكرية في عهد الرسول، دار القلم، الطبعة الأولى 1410 هـ 1990 م.

337. سفراء النبي صلى الله عليه وسلم، محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلسي الخضراء، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1996 م.

338. عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، الطبعة الأولى، 1408 هـ 1988 م.

339. عمرو بن العاص، عباس محمود العقاد، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1969 م.

340. المراسيل، لابن أبي حاتم، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1397 هـ.

341. التاريخ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث.

342. الأحكام السلطانية، لأبي يعلي: محمد بن الحسين، تعليق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 1403 هـ.

343. الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، د. محمد خير هيكل، الطبعة الأولى، 1414 هـ 1993 م.

344. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي، الطبعة الثانية، 1382 هـ.

345. مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: لجنة إحياء التراث، طبع دار الافاق الجديدة، الطبعة الثالثة، 1402 هـ.

346. عقيدة الإمام ابن قتيبة، د. علي بن نفيع العلياني، مكتبة الصديق ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1412 هـ 1991 م.

347. المعارف، لابن قتيبة، تحقيق: ثروة عكاشة، الطبعة الثالثة، دار المعارف ـ مصر.

348. مختصر التحفة الاثني عشرية، للسيد محمود شكري الألوسي، مكتبة إيشيق ـ إستانبول ـ تركيا، 1399 هـ 1979 م.

349. السيف اليماني في نحر الأصفهاني، وليد الأعظمي، دار الوفاء ـ مصر، الطبعة الثانية، 1410 هـ 1989 م.

350. منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل العلياني السُّلمي، دار طيبة ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1406 هـ 1986 م.

351. أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، د. عبد العزيز محمد نور ولي، دار الخضيري ـ المدينة النبوية، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1996 م.

352. منهج المسعودي في كتابة التاريخ، سليمان بن عبد الله المديد السويكت، الطبعة الأولى، 1407 هـ 1986 م.

353. تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، 1340 هـ 1922 م.

354. الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير.

355. دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين، د. أحمد محمد جلي، شركة الطباعة العربية ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1406 هـ.

356. الإمام الصادق، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

357. الشيعة والقرآن، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ باكستان، الطبعة الثالثة،1403 هـ.

358. تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1409 هـ.

359. المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، يوسف بديوي، دار ابن كثير ـ بيروت ـ دمشق، دار الكلم الطيب ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ.

360. الكفاية، أحمد بن علي الخطيب، دار الكتاب العربي، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد عمر هاشم، الطبعة الأولى، 1405 هـ.

361. فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

362. 362 ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، 1392 هـ 1972 م.

363. مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، طبع: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

364. الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: أحمد شاكر، طبع مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة الثانية، 1370 هـ.

365. جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية، دار القلم ـ بيروت ـ لبنان.

366. تفسير السعدي، المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهدي النجار، المؤسسة السعدية.

367. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت، الطبعة الثانية، 1389هـ 1970 م.

368. الفرق بين الفرق، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح ـ مصر.

369. أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله، للسالوس علي أحمد السالوس، دار وهدان للطباعة ـ القاهرة، الطبعة الأولى، 1402 هـ.

370. الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ـ القاهرة، 1393 هـ.

371. المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية، الشيخ حسين ال عصفور البحراني، دار المشرق العربي ـ بيروت ـ البحرين.

372. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر، الطبعة الثانية، 1383 هـ.

373. النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، 1423 هـ 2003 م.
374. ضحى الإسلام، أحمد أمين.
375. النهي عن سب الأصحاب، للمقدسي، محمد عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبد الرحمن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
376. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، د. علي الوردي، مطبعة الإرشاد ـ بغداد، 1969 م.
377. الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، كامل الشيبي، مكتبة النهضة ـ بغداد، مطابع دار التضامن، 1386 هـ.
378. نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة ـ الإسكندرية.
379. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا ـ الكويت، الطبعة الأولى، 1406 هـ 1986 م.
380. منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، الدكتور عبد المجيد بن سالم المشعبي، أضواء السلف ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1418 هـ 1997 م.
381. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية.
382. هدي الساري، مقدمة فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية ومكتبتها.
383. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي، مكتبة المثنى ـ بغداد، 1388 هـ 1968 م.
384. الخوارج، ناصر العقل، دار الوطن ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1416 هـ.
385. الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، حامد عبد الماجد قويسي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى، 1413 هـ 1993م.
386. تلبيس إبليس، لابن الجوزي، بتحقيق: محمود مهدي إستانبولي، 1396 هـ 1976 م.
387. الخوارج، دراسة ونقد لمذهبهم، ناصر بن عبد الله السّعوي، دار المعارج الدولية ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1996 م.
388. نصب الراية، لأحاديث الهداية، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزّيلعي، دار المأمون ـ القاهرة، 1357 هـ 1938م.
389. ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، محمد عبد الحكيم، الطبعة الأولى، 1411 هـ 1991 م.
390. الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، مكتبة وهبة.
391. السياسة في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة، 1387 هـ.
392. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1391 هـ 1972 م.
393. قواعد في التعامل مع العلماء، د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الورّاق ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1410 هـ 1992 هـ.
394. التكفير جذوره وأسبابه، د. نعمان عبد الرزاق السامرائي، دار المنارة ـ جدة، الطبعة الأولى، 1404 هـ 1984 م.
395. ظاهرة التكفير، الأمين الحاج محمد أحمد، مكتبة دار المطبوعات الحديثة ـ جدة ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1412 هـ 1992م.
396. الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، كتاب الأمة (2)، الطبعة الرابعة، 1405 هـ 1985 م.
397. مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ال الشيخ، دار الهداية ـ الرياض.
398. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور ـ القاهرة، الطبعة الثانية، 1402 هـ.
399. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد المقري الفيومي، المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
400. القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.
401. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1411 هـ.

402. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني، د. محمد ربيع مدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيم، دار الراية، الطبعة الأولى، 1411 هـ.

403. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، 1402 هـ.

404. الرّواة الذين تأثروا بابن سبأ، د. سعد الهاشمي، الطبعة الأولى، 1413 هـ 1992 م.

405. الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، طبعة أولى، 1403 هـ.

406. الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، 1402 هـ 1982م.

407. الكشاف، للزمخشري، جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة ـ بيروت.

408. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان.

409. اية التطهير وعلاقاتها بعصمة الأئمة، عبد الهادي الحسيني.

410. تفسير البغوي، المسمى معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة ـ بيروت.

411. الحجج الدامغة لنقض كتاب المراجعات، أبو مريم بن محمد الأعظمي.

412. تيسير العزيز لشرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة.

413. الرسالة التدمرية، لابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1391 هـ.

414. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، 1369هـ 1950 م.

415. المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية، عبد الاخر حمَّاد الغنيمي، دار الصحابة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، جمادى الثانية، 1418 هـ 1997 م.

416. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1413 هـ.

417. مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق: أحمد شاكر، دار طيبة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 1424 هـ 2003 م.

418. روايات تاريخ الصحابة في ميزان الجرح والتعديل، د. عبد العزيز صغير دخان،الشوكاني باليمن، طبعة أولى، 1998 م.

419. اليهود في السنة المطهرة، عبد الله الشقاري، دار طيبة، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1996 م.

420. المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التفسير من سورة المائدة إلى سورة الناس، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للطالب فهد عبد العزيز إبراهيم الفاضل، لم تطبع.

421. خلافة علي بن أبي طالب، رتبه وهذبه: د. محمد بن صامل السلمي، مستخرج من البداية والنهاية، دار الوطن، الطبعة الأولى، 1422 هـ 2002م.

422. وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم، دار الراية ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1415 هـ 1994 م.

423. عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، تحقيق ودراسة: محمد عبد الله زربان الغامدي، مكتبة دار العلوم، الطبعة الأولى، 1414 هـ.

424. الزبير بن العوام الثروة والثورة، الدكتور عبد العظيم الديب، مكتبة ابن تيمية ـ البحرين.

425. العزلة والخُلطة، أحكام وأحوال، سلمان بن فهد العودة، الطبعة الأولى، 1413 هـ 1993 م.

426. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أحمد السيد يعقوب الرفاعي، دار الفضيلة ـ القاهرة، الطبعة الأولى.

427. السلسلة الضعيفة، للألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1422 هـ 2002 م.

428. زاد المعاد، ابن القيم، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار الرسالة، الطبعة الأولى، 1399 هـ.

429. السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة، الطبعة الأولى، 1412 هـ 1992 م

430. فقه السيرة النبوية، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر ـ دمشق ـ سوريا، الطبعة الحادية عشرة، 1991 م.

431. فصول من السيرة النبوية، عبد المنعم السيد.

432. هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة، أحمد عبد الغني الجمل، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 1409 هـ 1989 م.

433. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، 1412 هـ 1992م.

434. الخليفتان عثمان وعلي بين السنة والشيعة، أنور عيسى، لم يطبع.

435. مرويات غزوة الحديبية، حافظ الحكمي، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، 1411 هـ 1991 م.

436. القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد صالح العثيمين، دار العاصمة، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

437. التاريخ السياسي، د. على معطي، مؤسسة المعارف ـ بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ 1998 م.

438. قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد رواس قلعجي، دار النفائس، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1416 هـ 1996 م.

439. علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، د. محمد عمر الحاجي، دار الحافظ ـ بدمشق، الطبعة الأولى، 1998 م.

440. زواج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، حقيقة وليس افتراءً، تأليف: أبي معاذ الإسماعيلي.

441. عثمان بن عفان، صادق عرجون، الدار السعودية، الطبعة الثالثة، 1410 هـ 1990 م.

442. مجلة البحوث الإسلامية، العدد العاشر.

443. رياض النفوس للمالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان، طبعة عام 1403 هـ 1983م.

444. فتنة مقتل عثمان، محمد عبد الله الغبان، مكتبة العبيكان، السعودية، طبعة 1419 هـ.

445. عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأولى، 1412 هـ 1991 م.

446. ليس من الإسلام، محمد الغزالي، دار القلم، الطبعة الأولى، 1420 هـ 1999 م.

* * *

فهرس الكتاب



كتب صدرت للمؤلف

1 . السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.

2 . سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

3 . سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

4 . سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

5 . سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

6 . سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.

7 . الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.

8 . فقه النصر والتمكين في القران الكريم.

9 . تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.

10 . تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.

11 . عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

12 . الوسطية في القران الكريم.

13 . الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.

14 . معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.

15 . عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.

16 . خلافة عبد الله بن الزبير.

17 . عصر الدولة الزنكية.

18 . عماد الدين زنكي.

19 . نور الدين زنكي.

20 . دولة السلاجقة.

21 . الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

22 . الشيخ عبد القادر الجيلاني.

23 . الشيخ عمر المختار.



24 . عبد الملك بن مروان وبنوه.

25 . فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.

26 . حقيقة الخلاف بين الصحابة.

27 . وسطية القران في العقائد.

28 . فتنة مقتل عثمان.

29 . السلطان عبد الحميد الثاني.

30 . دولة المرابطين.

31 . دولة الموحدين.

32 . عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.

33 . الدولة الفاطمية.

34 . حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.

35 . صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.

36 . استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول (ﷺ)، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.

37 . الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.

38 . الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.

39 . المشروع المغولي عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.

40 . سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.

41 . الشورى في الإسلام.

42 . الإيمان بالله جل جلاله.

43 . الإيمان باليوم الآخر.

44 . الإيمان بالقدر.

45 . الإيمان بالرسل والرسالات.

46 . الإيمان بالملائكة.

47 . الإيمان بالقران والكتب السماوية.

48 . السلطان محمد الفاتح.

49 . المعجزة الخالدة.

50 . الدولة الحديثة المسلمة، دعائمها ووظائفها.

51 . البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.

52 . التداول على السلطة التنفيذية.

53 . الشورى فريضة إسلامية.

54 . الحريات من القران الكريم، حرية التفكير، وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.

55 . العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وإنسانية.

56 . المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.

57 . العدل في التصور الإسلامي.

58 . كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

59 . الأمير عبد القادر الجزائري.

60 . كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.

61 . سُنة الله في الأخذ بالأسباب.

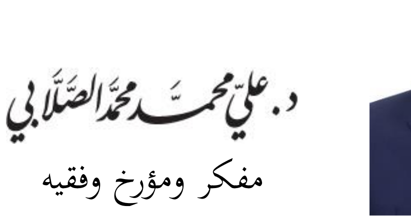
62 . كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

63. أعلام التصوف السُني "ثمانية أجزاء".

64. الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.

* * *





مفكر ومؤرخ وفقيه

- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام 1383 هـ/ 1963م
- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام 1993م، وبالترتيب الأول.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام 1996م.
- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام 1999م.
- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم والفقه والتاريخ والفكر الإسلامي.
- زادت مؤلفات الدكتور الصلابي عن ستين مؤلفًا أبرزها:
  - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث
  - سير الخلفاء الراشدين
  - الدولة الحديثة المسلمة
  - وسطية القرآن الكريم في العقائد.
  - صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي.
  - تاريخ كفاح الشعب الجزائري
  - العدالة والمصالحة الوطنية
  - وآخر مؤلفاته "الإباضية. مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج".